

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمَجِينَا أَنْتَ ، قَالَ : سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبَ حَيْثُ فِي طَلْبِهِ ، قَالُوا فَأَوْصِنَا ، قَالَ تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أُبْلَغَ الْبُعِيَّةَ ، ثُمَّ قَالَ الْيَوْمَ صَحَائِفُ الْأَعْمَارِ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الْكُسَالَى وَالْخَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوَظَنَ مَرَكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوَلَدَ بَيْنَهُمَا الْخُسْرَانَ ، أ. هـ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةَ بِالتَّوَانِي	فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامِهِ
فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمَّوَهُ بِفَقْرٍ	وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمَّوَهَا نَدَامَةً
آخِرُ : خِصَالٌ إِذَا لَمْ يَخَوْهَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْلُ	مَنَالًا مِنَ الْأُخْرَى يَكُونُ لَهُ ذُخْرًا
يَكُونُ لَهُ تَقْوَى وَزُهْدٌ وَعِفَّةٌ	وَإِكْتَارُ أَعْمَالٍ يَنَالُ بِهَا أَجْرًا
آخِرُ : لَيْسَ يَبْقَى عَلَى الْجَدِيدَيْنِ إِلَّا	عَمَلٌ صَالِحٌ وَذِكْرٌ جَمِيلٌ
آخِرُ : وَمَا فِي النَّاسِ أَحْسَنُ مِنْ مُطْبِعِ	لِخَالِقِهِ إِذَا عَدَّ الرَّجَالَ
آخِرُ : سَأَنْفِقُ رِيْعَانَ الشَّيْبَةِ دَائِبًا	عَلَى طَلَبِ الْعَلْيَاءِ مَعَ طَلَبِ الْأَجْرِ
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لِيَالِيًا	تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِي

قَالَ بَعْضُهُمْ أَبُهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارِكُمْ ، وَلَا مَحَلٌّ لِإِقَامَتِكُمْ ، دَارٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا الْفَنَاءَ وَأَوْجَبَ مِنْهَا عَلَى أَهْلِهَا الرَّحِيلَ فَكَمْ مِنْ عَامِرٍ مُؤْتِقٍ وَمُحَسِّنٍ ، عَمَّا قَلِيلٍ سَتَخْرُبُ عِمَارَتُهُ ، وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ مُعْتَبِطٍ سَيَرَحُلُ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَأَحْسِنُوا رِحْمَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا الرَّحْلَةَ وَاحْمِلُوا خَيْرَ مَا يَحْضُرُكُمْ لِلنُّقْلَةِ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبِحَ وَتَحْمَدِ الْعَاقِبَةَ
الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

شِعْرًا: إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمْرُكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ
آخِر: إِذَا شَامَ الْفَتَى بَرَقَ الْمَعَالِي فَأَهْوَنُ فَائِتِ طَيْبُ الرَّقَادِ

(٢)

الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
أَشْرَفَ الْأَشْيَاءِ قَلْبُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فَإِذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتُكَ ، فَمَاذَا يَبْقَى
مَعَكَ ، كُلُّ الْفَوَائِدِ ذَهَبَتْ .

شِعْرًا: أَمَّا يَوْمُوتُكَ فِي الدُّنْيَا فَوَاسِعَةٌ فَلَيْتَ قَبْرِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ يَتَسَعُ
آخِر: وَبَادِرِ اللَّيْلُ يَدْرُسِ الْعُلُومَ فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيْبِ

(٣)

إِعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ عَظِيمٌ ، وَحِصْنُ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ،
وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فِجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ ، وَهُوَ فِي
غِرْوَرٍ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ . نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ قُلُوبَنَا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلِّمْ .

شِعْرًا: يَحْيِي اللَّيَالِي إِذَا الْمَغْرُورُ أَغْفَلَهَا كَانَ شُهْبَ الدِّيَاجِي أَعْيُنُ نُجُلُ
آخِر: وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ لِحَالِقِهِ فَهُوَ الَّذِي خَسِرَ الْعُمْرَا
آخِر: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لِمَا غَفَلُوا وَنَامُوا

لَقَدْ خُلِقُوا لِمَا لَوْ أَبْصَرْتَهُ عِيُونَ قُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا
 مَمَاتُ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ وَتَوَيْحٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامٌ
 مَلَا حِظَّةً: لَا يُسْمَحُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَخْتَصِرَهُ أَوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسْمُوهُ
 تَحْقِيقًا لِأَنَّ الْإِحْتِصَارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الْأَصْلِ وَالتَّحْقِيقُ أَرَى أَنَّهُ
 إِتِهَامٌ لِلْمُؤَلَّفِ، وَلَا يُطْبَعُ إِلَّا وَقَفًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ.

شِعْرًا: الدِّينُ فِيهِ الْعِزُّ وَالْكَمَالُ وَالْكَفْرُ فِيهِ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ

«فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفْعُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ»

مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفَهَّمَهُ
 مَعْنَاهَا، وَوَفَّقَهُ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهَا.

شِعْرًا: إِذَا تَمَّ دِينُ الْمَرْءِ تَمَّتْ أُمُورُهُ
 آخِر: الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمِ الْخَبْرَا
 فَاعْمَلْ بِهِ تُرِدْ فَهْمًا وَمَعْرِفَةً
 وَتَحْمَدِ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ إِذَا
 لِلَّهِ دَرُّ رَجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ
 آخِر: جَمِيعُ الْكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَاهَا
 سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمْ وَاسْتَمِعْ لِي
 آخِر: أَقْلُبُ كُتُبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَا
 وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَسَّلْتُ
 وَأَحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تُنَالَ بِنَائِلِ
 وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بِأَقْبَا
 آخِر: لَصِيقُ فُوَادِي مُنْذُ عِشْرِينَ حِجَّةً
 وَتَمَّتْ أَمَانِيهِ وَتَمَّ بِنَاؤُهُ
 لِأَنَّهُ قَوْلٌ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشْرَا
 يَا ذَا النُّهَى كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَخْرَا
 جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ وَانْتَشْرَا
 فِيمَا يَدُوقُ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهْرَا
 مِلَالٌ أَوْ قُتُورٌ أَوْ سَامَةٌ
 وَقَوْلُ الْمُصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَةِ
 وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَلَيْدَا
 لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُعْتُ فِيهَا مُنْضَدَا
 مَهِينٌ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
 فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا غَدَا
 وَصَيْقَلُ ذِهْنِي وَالْمَفْرَ عَنْ هَمِّي

عَزِيْزٌ عَلَيَّ مَثَلِيْ اِعَارَةٌ مِّثْلِهِ لِمَا فِيْهِ مِنْ عِلْمٍ لَطِيْفٍ وَمِنْ نَظْمِ
جَمُوْعٍ لِاصْنَافِ الْعُلُوْمِ بِاَسْرَهَا فَاَخْلَقَ بِهِ اَنْ لَا يُفَارِقَهُ كُمِّي

«فَصْلٌ»

فِي نَمَازِجٍ مِنْ وَصَايَا السَّلَفِ وَثَبَاتِهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ رَحْمَةً لِلَّهِ عَلَى تِلْكَ الْأَرْوَاحِ

الْأُولَى : وَصِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عن أبي المليح أن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إني أوصيك بوصية ، إن أنت قبلتها عني : إن لله عز وجل حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وإن لله عز وجل حقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه عز وجل لا يقبل التافلة حتى تؤدى الفريضة ، ألم تر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة بإتباعهم الحق في الدنيا ، وثقل ذلك عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حقاً ، أن يثقل ، ألم تر إنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة بإتباعهم الباطل في الدنيا ، وخف ذلك عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطلاً ، أن يخف ، ألم تر « تر » أن الله عز وجل أنزل آية الرجاء عند آية الشدة ، وآية الشدة عند آية الرجاء ، لكي يكون العبد راغباً راهباً ، لا يلقي بيده إلى التهلكة ، لا يتمنى على الله عز وجل غير الحق ، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ، ولا بد لك منه ، وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ، والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

وَصِيَّةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عن الشعبي قال : لما طعن عمر رضي الله عنه جاء ابن عباس فقال : يا أمير المؤمنين ! أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، وقُتلت شهيداً ولم يختلِف عليك اثنان ، وتوفى رسول الله ﷺ

وهو عنك راضٍ، فقال له: أَعِدْ عَلَيَّ مَقَالَتَكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: الْمَعْرُورُ مَنْ غَرَّرْتُموهُ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلُجِ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَصِيَّةُ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وعن العلاء بن الفضل عن أبيه قال: لَمَّا قُتِلَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَشَوْا خَزَائِنَهُ فَوَجَدُوا فِيهَا صُنْدُوقًا مُقْفَلًا، فَفَتَحُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ حُقَّةً فِيهَا وَرَقَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: هَذِهِ وَصِيَّةُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ يُبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ لِيَوْمِ لَارِيْبٍ فِيهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، عَلَيْهَا يَحْيَا، وَعَلَيْهَا يَمُوتُ، وَعَلَيْهَا يُبْعَثُ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَصِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وعن الشعبي لَمَّا ضُرِبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تِلْكَ الضَّرْبَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ضَارِبِي؟ قَالُوا: قَدْ أَخَذْنَا، قَالَ: أَطْعَمُوهُ مِنْ طَعَامِي، وَاسْقُوهُ مِنْ شَرَابِي، فَإِنِ أَنَا عِشْتُ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْيِي، وَإِنِ أَنَا مِتُّ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً لَا تَزِيدُوهُ عَلَيْهَا.

ثُمَّ أَوْصَى الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَغْسِلَهُ وَلَا يُعَالِي فِي الْكَفَنِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَعْلَمُوا فِي الْكَفَنِ فَإِنَّهُ يُسَلَّبُ سَلْبًا سَرِيعًا»، وَامشُوا بِي بَيْنَ الْمِشْيَتَيْنِ، لَا تُسْرِعُوا بِي، وَلَا تُبْطِئُوا، فَإِنِ كَانَ خَيْرًا عَجَّلْتُمُونِي إِلَيْهِ، وَإِنِ كَانَ شَرًّا أَلْقَيْتُمُونِي عَنْ أَكْتافِكُمْ.

شِعْرًا: تُرَاعُ لِذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَتَلْهَوْهَا وَتَلْعَبُ

وَنَحْنُ بُنُو الدُّنْيَا خُلِقْنَا لِغَيْرِهَا وَمَا كَانَ فِيهَا فَهَوَ شَيْءٌ مُّحَبَّبٌ
 آخِرُ: أبا المُعِيرَةَ والدُّنْيَا مُعِيرَةٌ وَإِنَّ مَنْ عُرِّ بالدُّنْيَا كَمَعْرُورٍ
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَصِيَّةُ معاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولما أصيب أبو عبيدة (بن الجراح) في طاعون عمّواص استحلّف معاذ بن
 جبل واشتد الوجع، فقال الناس لمعاذ: ادع الله يرفع عنا هذا الرجز، قال: إنه
 ليس برجز ولكنه: دعوة نبيكم ﷺ وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص
 (بها) الله من يشاء منكم أيها الناس: أربُعِ جِلالٍ مَنْ استطاع أن لا يُدرِكَه شيءٌ
 منهن، فلا يُدرِكَه، قالوا: وما هي؟ قال: يأتي زمانٌ يظهرُ فيه الباطلُ، ويصبحُ
 الرجلُ على دينٍ ويُمسي على آخَرٍ، ويقول الرجلُ: والله ما أدري على ما أنا.
 لا يعيشُ على بصيرة، ولا يموتُ على بصيرة، ويُعطى الرجلُ المالَ من مالِ الله
 على أن يتكلّمَ الذي يُسخطُ الله، اللهم آتِ آلَ مُعَاذٍ نَصيبَهُمُ الأوفى من هذه
 الرحمة، فطعنَ ابنه فقال: كَيْفَ تَجِدَانِيكُمَا؟ قال: يَا أَبَانَا ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا
 تُكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ قال: سَتَجِدَانِي إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصابرين .. ثم طعنتُ
 امرأتاه، فهلكتا، وطعنَ هوَ في إِبْهَامِهِ، فَجَعَلَ يَمَسُّهَا بِفِيهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّهَا
 صَغِيرَةٌ، فَبارِكْ فِيهَا، فَإِنَّكَ تبارِكُ في الصغِيرِ حَتَّى هَلَكَ رَحمةُ اللهُ عليه، وَصَلَّى
 اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَصِيَّةُ عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وعن الشعبي قال لما حضرَ عبدُاللهِ بنَ مسعودٍ الموتُ دَعَا ابنَهُ فقال:
 يا عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ! إِنِّي أوصيكُ بِخُمْسِ خِصالٍ فاحفظْهُنَّ
 عَنِّي: أظهرِ اليأسَ لِلنَّاسِ، فَإِنَّ ذلكَ غَنِيٌّ فاضِلٌ، ودَعْ مَطْلَبَ الحَاجاتِ إلى
 النَّاسِ، فَإِنَّ (ذلكَ) فَقْرٌ حَاضِرٌ، ودَعْ ما تَعْتَدِرُ منه مِنَ الأُمورِ، ولا تَعْمَلْ بِهِ،

وإن استطعت أن لا يأتي عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس فافعل ، فإذا صليت صلاة فصل مؤدع كأنك لا تصلّي بعدها . قال بعضهم :

شِعْرًا : أَلَا لَيْتَ ابْنِي أَنِّي يَوْمَ تَدُنُو مِنِّي الْأَزْمُ ذَكَرَ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَأَخْرُ رَمَقٍ مِنْ حَيَاتِي خِتَامُهُ بِكَلِمَةِ إِخْلَاصِي لِبَارِي الْبَرِيَّةِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَصِيَّةُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ولما حضرت أبا موسى الوفاة دعا فتياه فقال : اذهبوا فاحفروا لي وأعمقوا فإنه كان يستحب العُمق ، قال : فجاء الحفرة فقالوا : قد حفرنا . فقال : اجلسوا بي فوالذي نفسي بيده إنها لإحدى المنزلتين ، إما ليوسعن قبري حتى تكون كل زاوية أربعين ذراعاً ، وليفتحن لي باب من أبواب الجنة فلا نظرن إلى منزلي فيها وإلى أزواجي ، وما أعد الله عز وجل لي فيها من النعيم ، ثم لأنا أهدى إلى منزلي في الجنة مني اليوم إلى أهلي ، وليصينني من روحها وريحانها حتى أبعث . وإن كانت الأخرى فليضيقن علي قبري حتى تختلف فيه أضلاعي حتى يكون أضيق من كذا وكذا ، وليفتحن لي باب من أبواب جهنم ، فلا نظرن إلى مقعدي وإلى ما أعد الله عز وجل لي فيها من السلاسل والأغلال والقرناء ، ثم لأنا إلى مقعدي من (جهنم) لأهدى مني اليوم إلى منزلي ، ثم ليصينني من سمومها وحميمها حتى أبعث . والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وَصِيَّةُ أَبِي عَقِيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

ولما كان يوم الإمامة واصطف الناس للقتال كان أول من جرح أبو عقيل رمي بسهم بين منكبه وفؤاده فأخرج السهم فوهن له شقه الأيسر وجر إلى الرّحْلِ فَلَمَّا حَمَى الْقِتَالَ سَمِعَ مَعْنَ بْنَ عَدِي يَصِيحُ يَا آلَ الْأَنْصَارِ اللَّهُ اللَّهُ

والكرة على عدوكم قال عبد الله بن عمر فنهض أبو عقيل فقلت ما تريد، قال: قد فوه المنادي باسمي، فقلت ما يعني الجرحي. فقال: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حبواً. فتحزمت وأخذ السيف ثم جعل ينادي: يا آل الأنصار كرهة كيوم حنين، قال ابن عمر: فاختلقت السيوف بينهم فقطعت يده المجروحة من المنكب فقلت: أبا عقيل، فقال: لبيك، بلسانٍ مُلتاثٍ، لمن الدبرة؟ فقلت: أبشر قد قتل عدو الله. فرفع رأسه أو أصبعه إلى السماء يحمده الله ومات رحمه الله. قال ابن عمر: فأخبرت عمر فقال: رحمه الله ما زال يسأل الشهادَةَ ويطلبُها. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وصية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

ولما تجهز الناس وتهيؤوا للخروج إلى مؤتة مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة (من لحم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلي)، في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره (بعدد عدونا). قال: (فشجع عبد الله بن رواحة الناس، ثم قال: والله يا قوم، إن الذي تكروهون للذي خرجتم له، تطلبون الشهادة وما نقاتل العدو بعدة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به، فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة فمضوا.

ولما قدم أبو عون مصر واستولى على البلد أرسل إلى حيوة بن شريح فجاء فقال: إنا معشر الملوك لا نعصى فمن عصانا قتلناه قد وليتك القضاة، قال أوامر أهلي قال اذهب فجاء إلى أهله فغسل رأسه ولحيته ونال شيعاً من الطيب ولبس أنظف ما قدر عليه من الثياب ثم جاء فدخل عليه فقال من جعل السحرة

أَوْلَى بِمَا قَالُوا مِنَّا فَأَقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ، فَلَسْتُ أَتَوَلَّى لَكَ شَيْئاً، قَالَ: فَأَذَنْ لَهُ فَرَجَعَ.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةُ جَلَسْتُ عِنْدَهُ وَبِيَدِي الْخِرْقَةَ لِأَشَدِّ بِهَا لِحْيَيْهِ فَجَعَلَ يَعْزُقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا: لَا بَعْدَ. فَفَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَثَانِيَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ، قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا أَيُّ شَيْءٍ هَذَا قَدْ لَهَجْتَ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَعْرِقُ حَتَّى تَقُولَ قَدْ قَبِضْتَ، ثُمَّ تَعُودُ فَتَقُولُ لَا لَا بَعْدَ فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ مَا تَدْرِي؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ قَائِمٌ حِذَائِي عَاضٌ عَلَى أَنْمَلِهِ يَقُولُ لِي أَحْمَدُ فُتْنِي، فَأَقُولُ لَهُ: لَا بَعْدَ حَتَّى أَمُوتُ.. أِه. وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

آخر: وصية داؤد بن أبي هند رضي الله عنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هَذَا مَا أَوْصِي بِهِ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ «أَوْصِي بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَزُورِ طَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَالرِّضَى بِقَضَائِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ، وَأَوْصَاهُمْ بِمَا أَوْصَى بِهِ يَعْقُوبُ بَنِيهِ» ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وَدَاوُدُ يَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَبِالْقَدَرِ كُلِّهِ، عَلَى ذَلِكَ يَحْيَا، وَعَلَى ذَلِكَ يَمُوتُ.

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِيُلُوغَ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرَقِيِّ وَيَا مُنْجِي الْهَلَكِيِّ وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عِيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَصِيَّةُ الْأَوْزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وسئل الأوزاعي كيف يكتب الرجل وصيته؟ قال: يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد به فلان بن فلان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة (آتية) لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، على ذلك يحيًا، وعليه يُبعث إن شاء الله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

وَصِيَّةُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن عبد بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي المدني قال لما حضرت فاطمة رضي الله عنها الوفاة دعت بماء فاعتسلت ثم دعت بحنوط فتحنطت، ثم دعت به شيايب أكفانها فلبست ثم قالت إذا أنا مت فلا تحركوني فقلت هل بلغك أن أحدًا فعل ذلك قبلها قال نعم كثير بن عباس.

وكتب في طرف أكفانه كثير بن عباس يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن أسماء بنت عميس أن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصت أن يعسلها زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعسلها هو وأسماء بنت عميس، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وَصِيَّةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عن الزهري أن سعد بن أبي وقاص لما حضرته الوفاة دعا بحلق جبة له من صوف فقال كفنوني فيها فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما كنت أحبها لهذا اليوم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

وَصِيَّةُ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

عن حماد بن سلمة قال قرأتُ في وصية حُميد بن عبد الرحمن الحميري أوصى أنَّه يشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبورِ وَأَوْصَى أَهْلَهُ من بعده أن يتقوا اللهَ ويصلحوا ذاتَ بَيْنِهِمْ وأن لا يموتوا إلا وهم مسلمون .

وَصِيَّةُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

عن الصنابحي قال دَخَلْتُ على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبَكَيْتُ فقال مهلاً لم تَبكي فوالله لئن استشهدت لأشهدنَّ لك ولئن شُفِّعْتُ لأشْفَعَنَّ لك ولئن أَسْتَطَعْتُ لأَنْفَعَنَّكَ .

ثم قال والله ما حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ من رَسولِ اللهِ ﷺ لكم فيه خَيْرٍ إلا قد حَدَّثْتُكُمْوه إلا حَدِيثاً واحِداً سَوْفَ أَحَدَّثُكُمْوه اليوم وقد أحيط بنفسي .

سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ شَهِدَ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمداً رَسولُ اللهِ حَرَّمَ على النار » انفراد باخراجه مسلم .. أهـ .

وصية : أَوْصَى بَعْضُهُمْ أَحَاً لَهُ في اللهُ فقال أَلْهَمَكَ اللهُ يَا أَحْيَى ذِكْرُهُ وَأَوْزَعَكَ شُكْرَهُ وَرَضَّاكَ بِقَدْرِهِ وَلَا أُحْلَاكَ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَمَعْرِفَتِهِ .

ولا وَكَلِّكَ إلى نَفْسِكَ ولا إلى أَحَدٍ من خَلْقِهِ وكتبك عنده مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَقْرِيْبَهُ وَجَدَّ في الطلَبِ بالصِدْقِ والأدبِ .

وَأَرَادَ رَسولُ اللهِ ﷺ بالمتابعة والتَّصَدِيقِ .

وَأَرَادَ الدارَ الآخرةَ بالأعمالِ الصالحةِ واحْتِمَالِ الأذى وتَرْكِ الأذى ، وجَعَلَكَ مِنَ المكثرينَ لِذِكْرِ اللهِ وَحَمْدِهِ وشُكْرِهِ الوَجِلينَ مِنْ حَشِيْبَتِهِ تعالى .

المُخْلِصِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤَحِّدِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُصَدِّقِينَ لِلَّهِ تَعَالَى
الْمُؤَثِّرِينَ لِلَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْمُقَدِّمِينَ حَقَّهُ عَلَى حُقُوقِهِمْ .

الذِينَ خَلَّتْ بَوَاطِنُهُمْ مِنَ الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَسُوءِ الظن .

الذِينَ لَا يَسْتَأْذِرُونَ وَلَا يُزَاجِمُونَ وَعَلَى غَيْرِ طَاعَةِ رَبِّهِمْ لَا يَحْزَنُونَ .

الذِينَ هُمْ عَلَى جَمِيعِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ يَشْفُقُونَ وَبِهِمْ يَرْفُقُونَ الذِينَ يَنْصَحُونَ
الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَفْتُرُونَ ، وَيُعَرِّفُونَ بِاللَّهِ وَشَرْعِهِ وَلَا يُعْنِفُونَ وَلَا يَسْخَرُونَ بِالنَّاسِ
وَلَا يَسْتَهْزِئُونَ .

وَعَنْ عَيْبٍ مَنْ فِيهِ الْعَيْبُ يُعَمِّضُونَ وَيَسْتُرُونَ وَلِعَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
لَا يَتَّبِعُونَ ، الذِينَ هُمْ لِلَّهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ مُرَاقِبُونَ .

الذِينَ يَكُونُ غَضَبُهُمْ لِلَّهِ لَا لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا يَتَمَنَّوْنَ السُّوءَ وَلَا يَعْتَدُونَ
وَيَكُونُ رِضَاهُمْ لِلَّهِ ، الذِينَ لَا يَأْمُرُونَ إِلَّا بِمَا تَأْمُرُ بِهِ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةُ
وَلَا يُنْكِرُونَ إِلَّا مَا أَنْكَرَتْهُ الشَّرِيعَةُ عَلَى حَسَبِ طَاقَتِهِمْ .

الذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ تَوَمَّةٌ لَائِمٌ وَيُبْغِضُونَ الظُّلْمَ مِنَ الظَّالِمِ وَيَمُتَّقُونَ
الظَّالِمَ وَلَا يُعْظَمُونَهُ ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَمْنَعَ الظُّلْمَةَ مِنَ الظُّلْمِ حَتَّى
لَا يَظْلِمُوا وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَتُوبُوا .

الذِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ يَحْكُمُونَ الرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الْمُقْبِلِينَ
بِكُلِّتِهِمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَجَعَلَكَ اللَّهُ يَا أَحْيَى مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ الذِينَ لَا شَرِيكَ عِنْدَهُمُ الْمُنْزِهِينَ
الذِينَ لَا تُهْمَةٌ عِنْدَهُمُ الْمُصَدِّقِينَ الذِيَ لَا شَكَّ عِنْدَهُمْ .

الطَّالِبِينَ الذِينَ لَا فُتُورَ عِنْدَهُمْ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ الْمُتَّبِعِينَ الذِينَ
لَا ابْتِدَاعَ عِنْدَهُمُ الْقَانِعِينَ الذِينَ لَا طَمَعَ عِنْدَهُمْ وَلَا مِيلَ إِلَى السُّوءِ عِنْدَهُمْ
لِلْمُسْلِمِينَ .

الذين لا مُتَارَعَةَ عندهم الراضين الذين لا سخط عندهم المحافظين على طاعة الله الذين لا يرضيهم إلا مولاهم ولا يرتضون نفوسهم إلا إذا استقامت على ما يحبه الله ويرضاه .

الذين يقتفون أثر الشارع وبه يقتدون وعلى جميع الصحابة يترحمون ولقراية نبيهم يؤادون وبفضل السلف يعترفون .

الذين لا تعجبهم زينة الدنيا الذين يحثون عباد الله على طاعته ويُحِبُّونَ الله عز وجل إلى خلقه ويذكرونهم نِعْمَهُ .

الذين أيديهم مقبوضة عن أموال الناس وجوارحهم مكفوفة عن أذاهم وعن أعراضهم ، الناس منهم في راحة وهم من شرور أنفسهم في تعبٍ ونصبٍ ورياضة .

الذين لا يقابلون عملَ السوءِ إلا عَفْوَاً وَصَفْحاً ولا قولَ السوءِ إلا إِعْرَاضاً عَمَلًا بقول الله تعالى : ﴿إِذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنْ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ، وقوله : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ، وقوله : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ .

شِعْرًا : قالوا سَكَّتْ وَقَدْ حُوِّصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ
فَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ
أَمَا تَرَى الْأَسْدَ تُحْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ
آخِرُ : وَإِنِّي أَلْقَى الْمَرْءَ أَعْلَمُ أَنَّهُ
فَأَمْنَحُهُ بَشْرًا فَيَرْجِعُ قَلْبُهُ
آخِرُ : رَجَعْتُ عَلَى السَّقِيهِ بِفَضْلِ حِلْمِي
وَظَنَّ بِي السَّقَاةَ فَلَمْ يَجِدْنِي
فَقَامَ يَجْرُرُ رِجْلَيْهِ ذَلِيلًا

إن الجوابَ لباب الشرِّ مِفْتَاحُ
أَيْضًا وَفِيهِ لِيَصُونَ الْعِرْضَ إِصْلَاحُ
وَالكَلْبُ يَحْشَى لِعَمْرِي وَهُوَ تَبَّاحُ
عَدُوٌّ وَفِي أَحْسَائِهِ الضَّغْنُ كَامِنُ
سَلِيمًا وَقَدْ مَاتَتْ لَدَيْهِ الضَّغَائِنُ
فَكَانَ الْجِلْمُ عَنْهُ لَهُ لِحَامًا
أَسَافُهُ وَقُلْتُ لَهُ سَلَامًا
وَقَدْ كَسَبَ الْمَذَلَّةَ وَالْمَلَامًا

والله أعلم وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

وقال بعضهم مؤصياً أولاده بَوْصِيَّةٍ نَافِعَةٍ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا.

وبعد، فإني لما علاني المَشِيْبُ بَعْمَتِهِ، وقادني الكِبَرُ في رُمْتِهِ، وأدكرتُ الشباب بعد أُمَّتِهِ؛ أَسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ، وَنَدِمْتُ بعد الْفِطَامِ على ما رَضِعْتُ؛ وتأكدُّ وُجُوبُ نُصْحِي لِمَنْ لَزَمَنِي رَعِيَّتُهُ، وتعلق بسَعْيِي سَعْيُهُ، وأملتُ أن تَتَعَدَّى إليَّ ثمراتُ استقامته، وأنا رهين فَوَاتٍ، وفي برزخ أموات؛ ويأمن العثور في الطريق التي اقتضت عِثَارِي، إن سلك - وعسى ألا يكون ذلك - على آثاري: فقلت أحاطب الثلاثة الوَلَدَ، وثمرات الخَلْدِ؛ بعد الضراعة إلى الله في توفيقهم، وإيضاح طريقهم، وجمع تفريقهم؛ وأن يَمُنَّ عليَّ فيهم بحسن الخَلْفِ، والتلافي من قَبْلِ التَّلَفِ، وأن يرزق خَلْفَهُم التمسك بهدي السَّلَفِ؛ فهو وليّ ذلك، والهادي إلى خير المسالك.

اعلموا هداكم مَنْ بأنواره يَهْتَدِي الضُّلَّالُ، وبرضاهُ تُرْفَعُ الأَغْلَالُ، وبالتماسِ قربه يحصل الكمال، إذا ذهب المال، وأُخْلِفَتِ الآمالُ، وتبرأت من يمينها الشُّمَالُ؛ أُنِي مُودِعِكُمْ وَإِنْ سَأَلْتَنِي الرَّدَى، ومُفَارِقِكُمْ وَإِنْ طَالَ المَدَى، وما عدا مما بدا؛ فكيف وأدواتُ السفر تُجْمَعُ، ومُنَادِي الرِّحِيلِ يُسْمَعُ؛ ولا أَقْلٌ لِلْحَيِّبِ المُوَدَّعِ مِنْ وَصِيَّةٍ مُحْتَضِرٍ، وَعُجَالَةٍ مُقْتَصِرٍ؛ وَنَصِيحَةٍ تَكُونُ نَشِيدَةً وَاعٍ وَمُبْصِرٍ؛ تَتَكَفَّلُ لَكُمْ بِحُسْنِ العَوَاقِبِ مِنْ بَعْدِي، وتُوضِحُ لَكُمْ فِي الشَّفَقَةِ وَالْحُنُوقِ قَصْدِي، حَسْبَمَا تَضَمَّنَ وَعْدُ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ وَعْدِي؛ فَهِيَ أَرْبُكُمْ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ وَقْفُهُ، وَلَا يَتَأَلَّمُ المَكْرُوهُ مَا رَفَّ عَلَيْكُمْ سَقْفُهُ؛ وَكَأَنِّي بِشَبَابِكُمْ قَدْ شَاخَ، وَبِرَاجِلِكُمْ قَدْ أَنَاخَ؛ وَبِنَشَاطِكُمْ قَدْ كَسَلُ، وَاسْتَبَدَلَ الصَّابَ مِنَ العَسَلِ، وَنُصُولِ الشَّيْبِ تُرُوعَ بِأَسَلِ، لَا بَلَّ [السَّامُ] مِنْ كُلِّ حَدَبٍ قَدْ نَسَلِ، وَالمَعَادُ اللَّحْدُ وَلَا تَسَلِ؛ فَبِالْأَمْسِ كُنْتُمْ فِرَاحَ حَجَرٍ، وَاليَوْمِ آبَاءَ عَسْكَرِ مَجَرٍ، وَغَدًا شُبُوحَ مَضْيِعَةٍ وَهَجَرٍ؛ وَالقُبُورَ فَاعْرَةَ، وَالنَّفُوسَ عَنِ المَأْلُوفَاتِ

صَاغِرَةٌ؛ وَالدُّنْيَا بِأَهْلِهَا سَاخِرَةٌ، وَالْأُولَى تَعْقُبُهَا آخِرَةٌ؛ وَالْحَازِمُ مَنْ لَمْ يُتَعَطَّ بِهِ فِي أَمْرٍ، وَقَالَ: بِيَدِي لَا بِيَدِ عَمِرٍو؛ فَاقْتَنُوهَا مِنْ وَصِيَّةٍ، وَمَرَامٌ فِي النَّصِيحِ قَصِيَّةٌ؛ وَخُصُّوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا انْتَقَلُوا؛ وَحَسْبِي وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ هَمَلًا، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ وَلَا رِضِي الدُّنْيَا مُنْزَلًا، وَلَا لَطْفَ بِنِّ أَصْبَحَ عَنْ فِعَّةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا؛ وَتَلَقَّنَا تَلْقِينًا، وَتَعَلَّمَا عَلَمًا يَقِينًا؛ أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَنْفَرَدَ بَدْنِي، وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنْبِي، وَيُسْحَ انْسِكَابِي، وَتَهْرُولَ عَنِ الْمَصَلِّي رِكَابِي، أَحْرَصَ مِنِّي عَلَى سَعَادَةِ إِلَيْكُمْ تُجَلِّبُ، أَوْ غَايَةِ كَمَالِ بِسَبِّكُمْ تُرْتَادُ وَتَطْلُبُ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَوْرَفَ مِنْكُمْ ظَلًّا، وَلَا أَشْرَفَ مَحَلًّا، وَلَا أَغْبَطَ نَهْلًا وَعَلًّا؛ وَأَقْلَ مَا يُوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصِيخُوا إِلَى قَوْلِي الْآذَانَ، وَتَتَلْمَحُوا صُبْحَ نَصِيحِي فَقَدْ بَانَ، وَسَاعِدِ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةَ لِقْمَانَ:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ * .

وَأَعِيدُ وَصِيَّةَ خَلِيلِ اللَّهِ وَإِسْرَائِيلَ، حَسْبَمَا تَضَمَّنَهُ مُحْكَمُ تَنْزِيلِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وَالدِّينَ الَّذِي ارْتَضَاهُ وَاصْطَفَاهُ، وَأَكْمَلَهُ وَوَفَّاهُ، وَقَرَّرَهُ مِصْطَفَاهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَوَفَّاهُ، فَاللَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ، فَرْدٌ صَمَدٌ، لَيْسَ لَهُ وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ.

سَبَقَ وَجُودُهُ الْأَكْوَانُ؛ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَا يَعْمَلُونَ، وَالَّذِي لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ؛

الحي العليم المدبّر القدير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ أرسل الرسل رحمة لندعو العباد إلى النجاة من الشقاء وتوجّه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء، مؤيّدّة بالمعجزات التي لا تصف أنوارها بالاختفاء، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء؛ ثم ختم ديوانهم بنبيّ ملّتنا المرعية للهمل، الشاهدة على الملل، فتلخّصت الطاعة، وتبينت له الإمرة المطاعة، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشراً، وترك دينه يضم من الأمة نَشْرًا؛ فمن اتبعه لحق به، ومن حاد عنه تورّط في مُتَسِّبِهِ، وكانت نجاته على قدر سببه.

روي عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، فَعَضُّوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوْاجِدِ».

فاعملوا يا بنيّ بوصية من ناصح جاهد، ومُشْفِق شفقة والد؛ واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه، وعُوا مرآشد هديه فيافوز واعيه؛ وصلّوا السبب بسببه، وآمنوا بكل ما جاء به مجملًا أو مفصلاً على حسبه، وأوجبوا التجلّة لصحبه؛ الذين اختارهم الله لصحبته، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته؛ واشملوهم بالتوقير، وَفَضِّلُوا مِنْهُمْ أُولِي الْفَضْلِ الشَّهِير؛ وتبرؤوا من العصية التي لم يدعكم إليها داع، ولاتع التشاجر بينهم أذن واع، فهو عنوان السداد، وعلامة سلامة الاعتقاد؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة، وأئمتها الجلّة؛ فهم صقّلة نصولهم، وفروع ناشئة عن أصولهم، وورثتهم وورثة رسولهم؛ واعلموا أني قطعت في البحث زماني، وجعلت النظر شاني، منذ براني الله وأنشاني، مع نبل يعترف به الشاني، وإدراك يُسَلِّمُهُ العقل الإنساني؛ فلم أجد خابط ورق، ولا مصيب عرق؛ ولا نازع خطام، ولا متكلف فطام، ولا مقتحم بحر طام؛ إلا وغايته التي يقصدها قد فضلتها الشريعة وسبقها، وفرّعت ثنيتها وارتقتها؛ فعليكم بالتزام جادتها السابلة، ومصاحبة رفقتها

الكافلة، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة؛ والله يقول وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ وقد علت شرائعُه، وراع الشكوك رائعُه؛ فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين، وابدلوا دونه النفوس فعل المهتمدين، فلن ينفع متاعٌ بعد الخلود في النار أبد الآبدين، ولا يضّرّ مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين، ومتاع الحياة الدنيا أخسّ ماورث الأولاد عن الوالدين، اللهم قد بلغت، فأنت خير الشاهدين.

فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود، وتستدعي شؤه الوجوه وتُضجّ الجلود؛ واستعينوا برضا الله من سُخطه، واربتوا بنفوسكم عن غمطه؛ وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم، ولا تَحْمَدُوا على جيفة العَرَض الزائل اثلافكم؛ واقنعوا منه بما تيسر، ولا تأسؤا على ما فات وتعدّر؛ فإنما هي دُجنة يَنسخها الصباح، وصَفقة يتعقبها الخسار والرباح؛ ودونكم عقيدة الإيمان، فشدّوا بالنواجذ عليها، وكفكفوا الشُّبه أن تدنّو إليها؛ واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خَرَق لا يرفؤه عمل، وكل ما سوى الراعي هَمَل، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أَمَل؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظاً وتلاوة، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة؛ وتفكروا في آياته ومعانيه، وامثلوا أوامره وانتهوا عن مناهيه، ولا تتأولوه ولا تغلّوا فيه؛ وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه، وأكثروا من بواعث حبه؛ وصونوا شعائر الله صونَ المحترم، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرم.

الله في الصلاة ذريعة التجلّة، وخاصة الملّة، وحاقنة الدم، وغنى المستأجر المستخدم؛ وأم العباد، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة؛ والناحية عن الفحشاء والمنكر مهما عرض الشيطان عرضهما، ووطأً للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما؛ والوسيلة إلى بلّ الجوانح ببرود الذكر، وإيصال تحفة

الله إلى مريض الفكر؛ وضابطة حسن العشرة من الجار، وداعية المسألة من الفُجَّار؛ والواسمة بسِمة السلامة، والشاهدة للعقد برفع الملامة؛ فاصبروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعادة، فالخير عادة؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية، [وثُؤثروا على العلية الدنيئة]؛ فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تُنيس والفلك بها من أجلكم لا يجبس؛ وإذا قرنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل؛ والوظائف بعد أدائها لا تفوت، وأين حق من يموت، من حق الحي الذي لا يموت؟ وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها؛ وأتبعوها بالنوافل ما أطقتموها؛ فبالإتقان تفاضلت الأعمال، وبالمراعاة استُحِقَّ الكمال، ولا شكر مع الإهمال، ولا ربح مع إضاعة رأس المال؛ وثابروا عليها في الجماعات، وبيوت الطاعات؛ فهو أرفع للملام، وأظهر لشرائع الإسلام؛ وأبرِّ بإقامة الفَرَض، وأدعى إلى مساعدة البعض البعض.

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصِّل، وشرط لمشروطها محصِّل؛ فاستوفوها، والأعضاء نظفوها، ومياهاها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها؛ والحُجول والعُرر فأطيلوها، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها؛ فالبناءُ بأساسه، والسيف برئاسه، واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطُهور، وذكر مجهور وغير مجهور؛ تستغرق الأوقات، وتنازع شتى الخواطر المفترقات؛ فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقال، وكان في درجة الرجولة ذا انتقال، واستعاض صدأه بصِقال؛ وإن تراخى تقهقر الباع، وسرقتة الطباع، وكان لما سواها أضيع فَشَمَل الضياع.

والزكاة أختها الحبيبة، ولِدَتْها القربية؛ مِفْتَاح السماحة بالعرض الزائل، وشُكْران المسعول على الضد من درجة السائل؛ وحق الله في مال من أغناه، لمن أجهده في المعاش وعَنَّاه؛ من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه، ولا عِلَّة القدر الذي يخفيه، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه، فاسمحو بتفرقتها للحاضر

لإخراجها، واختيار عرضها وتناجها؛ واستحيوا من الله أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل، وخالفوا الشيطان كلما عدل؛ واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون، ولا تدرون أين تسلكون؛ فوهب وأقدر، وأورد بفضله وأصدر؛ ليرتب بكرمه الوسائل، ويقيم الحجج والدلائل، فابتغوا إليه الوسيلة بماله، واغتنموا رضاه ببعض نواله.

وصيام رمضان عبادة السر المقرّبة إلى الله زُفَى، المححوضة لمن يعلم السر وأخفى؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام، والقيام ببر القيام؛ والاجتهاد، وإيثار السهاد على المهاد؛ وإن وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعيه، ولو احقه الشرعية؛ فبذلك تحسّن الوجوه، وتحصل النفوس من الرقة على ماترجوه؛ وتهذب الطباع، ويمتد في ميدان الوسائل إلى الله الباع.

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب؛ وقد بين رسول الله ﷺ قدره فيما فرض عن ربه وسنّه، وقال: «لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ».

ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله إن كانت لكم قوة عليه، وغنى لديه؛ فكونوا ممن يسمع نفيّه ويُطيعه، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه.

هذه عمُد الإسلام وفروضة، ونقود مهرة وعروضه؛ فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين، وعلى من يُناوئكم ظاهرين، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين.

واعلموا أنّ بالعلم تُستكمل وظائف هذه الألقاب، وتُجلى محاسنها من بعد الانتقاب؛ فعليكم بالعلم النافع، دليلاً بين يدي الشافع؛ فالعلم مفتاح هذا الباب، والموصل إلى اللباب؛ والله عز وجل يقول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. والعلم وسيلة النفوس الشريفة، إلى المطالب المنيفة، وشرطه الخشية لله والخيفة، وخاصة الملائ

الأعلى، وصفة الله في كتبه التي تُثلى؛ والسبيل في الآخرة إلى السعادة، وفي الدنيا إلى التَّجَلَّةِ عادة؛ والدُّخْر الذي قليله يشفع وينفع، وكثيره يُعْلِي ويرفع؛ لا يغصبه الغاصب، ولا يسلبه العدو المناصب؛ ولا يبتزه الدهر إذا مال، ولا يستأثر به البحر إذا هال؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله، وقليل وإن جَمَّ ماله؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابكم، وتخطى حسابكم، فالتمسوه لبنികم، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم؛ واحملوهم على جمعه ودرسه، واجعلوا طباعهم ثرى لغرسه؛ واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرّاه، وسهر يهجر له الجفن كراه؛ تَعَقِدُوا لهم ولاية عَزَّ لا تُعزل، وتُحِلُّوهم مثابة رفعة لا يُحيط فارعها ولا يستنزل؛ واختاروا من العلوم التي يُنْفِقُها الوقت، ما لا يناله في غيره المقت؛ وخير العلوم علوم الشريعة، وما نجم بمنابها المريعة؛ من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولها، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها؛ فإنما هي آلات لغير، وأسباب إلى خير منها وخير؛ فمن كان قابلاً منها لازدياد، وألفى فهمه ذا انقياد؛ فليخص تجويد القرآن بتقديمه، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه؛ ثم الشروع في أصول الفقه، فهو العلم العظيم المِنَّة، المُهْدِي كنوز الكتاب والسُنَّة؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة، والتدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلّة، وهذه هي الغاية القصوى في الملة؛ ومن قصر إدراكه عن هذا المرمى، وتقاعد عن التي هي أسمى؛ فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه.

وأمروا بالمعروف أمراً رقيقاً، وانهؤا عن المنكر نهياً حرياً بالاعتدال حقيقاً، واغبطوا من كان من سنّة العَفَلات مُفِيقاً، واجتنبوا ما تُنْهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً؛ وأطيعوا أمر من ولّاه الله من مؤرّم أمراً، ولا تقربوا من الفتنة جَمراً، ولا تُدَاخِلُوا في الخِلافِ زياداً ولا عمراً.

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين، وأهم ما أضرى عليه الآباء السنة

الْبَيْنِ؛ وَأَكْرَمُ مَنْسُوبٍ إِلَى مَذْهَبِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ. وَإِبَائِكُمْ
وَالْكَذِبَ فَهُوَ الْعَوْرَةُ الَّتِي لَا تُوَارَى، وَالسَّوْءَةُ الَّتِي لَا يُرْتَابُ فِي عَارِهَا
وَلَا يُتَمَارَى؛ وَأَقْلُ عُقُوبَاتِ الْكَذَابِ، بَيْنَ يَدَيِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ، أَلَّا
يُقْبَلَ صِدْقُهُ إِذَا صَدَقَ، وَلَا يُعَوَّلَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ بِالْحَقِّ قَدْ نَطَقَ.

وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم، وفي وجه الديانة كلوم؛ ومن الشريعة التي
لا يُعذَرُ بِجَهْلِهَا؛ أَدَاءُ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا؛ وَحَافِظُوا عَلَى الْحِشْمَةِ وَالصِّيَانَةِ،
وَلَا تَنْجِرُوا مَنْ أَقْرَضَكُمْ دِينَ الْخِيَانَةِ؛ وَلَا تُوجِدُوا لِلْعَدْرِ قَبُولاً، وَلَا تَقْرَؤُوا عَلَيْهِ
طَبْعاً مَجْبُولاً؛ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولاً؛ وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِكَتْرِ
وَلَا حِزْنٍ، وَلَا تَذْهَبُوا لِغَيْرِ مُنَاصِحَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَهْلٍ وَلَا حِزْنٍ، وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ؛ وَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تُعِينُوا فِي سَفْكِ الدَّمَاءِ وَلَوْ
بِالْإِشَارَةِ أَوْ بِالْكَلَامِ، أَوْ مَا يَرْجَعُ إِلَى وَظِيفَةِ الْأَقْلَامِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي
فُسْحَةٍ مُمْتَدَّةٍ، وَسَبِيلِ اللَّهِ غَيْرُ مُنْسَدَّةٍ؛ مَا لَمْ يَنْبِذْ إِلَى اللَّهِ بِأَمَانِهِ، وَيَعْمَسَ فِي
الدِّمِّ الْحَرَامِ بِيَدِهِ أَوْ لِسَانِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الَّذِي هَدَى بِهِ سَنّاً قَوِيماً،
وَجَلَى مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ لَيْلاً بَهِيماً: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ
جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ .

واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق دليل على من كرمت طباعه، وأمتد
في سبيل السعادة باعه؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله، فليُنظر هل يحب أن
يُزنى بأهله؟! والله قد أعدَّ للزاني عذاباً وبيلاً، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا إِنَّهُ
كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ .

والخمر أم الخبائث ومفتاح الجرائم والجرائر؛ واللغو لم يجعله الله في
الحياة شرطاً، والمُحرَّم قد أغنى عنه بالحلال الذي سوغ وأعطى؛ وقد تركها
في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد، ولا لِنفوسهم بالمضرة في مرضاة
الأجساد، والله قد جعلها رجساً مُحَرَّماً على العباد، وقرنها بالأنصاب والأزلام
في مُبَايَنَةِ السُّدَادِ.

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهي الدين، والله تعالى يقول: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في الكتاب المبين، ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه، وأنزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه؛ والتمسوا الحلال يسع في أحدكم على قدمه، ولا يكل اختياره إلا للثقة من خدمه، ولا تلجؤوا إلى المشابه إلا عند عدمه؛ فهو في السلوك إلى الله أصل مشروط، والمحافظ عليه مغبوط.

وإياكم والظلم، فالظالم ممقوت بكل لسان، مجاهر لله بصريح العصيان، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصّاحح والحسان؛ والتميمة فساد وشتات، لا يبقى عليه ممتات، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة قتات»، واطرحوا الحسد والبخل فمارئى البخیل وهو مؤذود؛ وإياكم وما يعتذر منه، فمواقف الخزي لا تستقال عثراتها، ومظنات الفضائح لا تؤمن عمرائها؛ وتفقدوا أنفسكم مع الساعات، وأفشوا السلام في الطرق والجماعات، وارقوا على ذوي الزمانات والعاهات، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم في البضاعات؛ وعولوا عليه وحده في الشدايد، واذكروا المساكين إذا نصبتهم الموائد؛ وتقربوا إليه باليسير من ماله، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله؛ وازعوا حقوق الجار، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار؛ وتعاهدوا أولي الأرحام، والوشائج البادية الالتحام؛ واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر، وتفسد السر والجهر؛ والرشا فإنها تحط الأقدار، وتستدعي المدلة والصغار؛ ولا تسامحوا في لعبة قمر، ولا تشاركوا أولي البطالة في أمر؛ وحقوق الله من الأزدراء والاستخفاف، ولا تلهجوا بالآمال العجاف، ولا تكلّفوا بالكهانة والإرجاف؛ واجعلوا العمر بين معاش ومعاد، وخصوصية وأبتعاد، واعلموا أن الله بمرصاد، وأن الخلق بين رزق وحصاد، وأفلوا بغير الحالة الباقية الهوم، واحذروا القواطع عن السعادة كما

تُحَذَرُ السُّمُومُ، وَاَعْلَمُوا أَنَّ الْخَيْرَ أَوْ الشَّرَّ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ أَنْ يَدُومَ؛ وَقَابَلُوا
بِالصَّبْرِ أَذِيَّةَ الْمُؤْذِنِ، وَلَا تَقَارِضُوا مَقَالَاتِ الظَّالِمِينَ، فَاللَّهُ لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ خَيْرٌ
النَّاصِرِينَ؛ وَلَا تَسْتَعْظِمُوا حَوَادِثَ الْأَيَّامِ كُلَّمَا نَزَلَتْ، وَلَا تَضِجُوا لِلْأَمْرَاضِ إِذَا
أَعْضَلَتْ؛ فَكُلُّ مُنْقَرِضٍ حَقِيرٍ، وَكُلُّ مُنْقَضٍ وَإِنْ طَالَ فَقَصِيرٌ؛ وَأَنْتَظِرُوا
الْفَرَجَ، وَأَنْشَقُوا مِنْ جَنَابِ اللَّهِ الْأَرَجَ؛ وَأَوْسَعُوا بِالرَّجَاءِ الْجَوَانِحَ، وَأَجْنَحُوا
إِلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَطُوبَى لِعَبْدٍ إِلَيْهِ جَانِحٌ، وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ بِالْدُعَاءِ،
وَالجَّوُوا إِلَيْهِ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ؛ وَقَابَلُوا نِعَمَ اللَّهِ بِالشُّكْرِ الَّذِي يَقِيدُ مِنْهَا
الشَّارِدَ، وَيُعَذِّبُ الْمَوَارِدَ؛ وَأَسْهَمُوا مِنْهَا لِلْمَسَاكِينِ، وَأَفْضَلُوا عَلَيْهِمْ، وَعِينُوا
الْحُظُوظَ مِنْهَا لِدَيْهِمْ؛ فَمِنَ الْآثَارِ: «يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا قَلَّمَا
زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ»، وَلَا تُطْغَمُ النِّعَمُ فَتَقْصُرُوا فِي شُكْرِهَا، وَتَلْفِكُمْ
الْجَهَالَةُ بِسُكْرِهَا؛ وَتَتَوَهَّمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ جَلَبَهَا، وَجَدَّكُمْ حَلَبَهَا؛ فَاللَّهُ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا فَعَلَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا نَظَرَ بَعَيْنَ الْيَقِينِ. وَاللَّهُ اللَّهُ
لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ، وَلَا تُدْهِبُوا بِدَهَابِهِ زِينَتَكُمْ؛ وَلِيَلْتَزِمَ كُلُّ مِنْكُمْ لِأَخِيهِ،
مَا يَشْتَدُّ بِهِ تَوَاحِيهِ؛ بِمَا أَمَكَّنَهُ مِنْ إِخْلَاصِ وَبِرٍ، وَمُرَاعَاةٍ فِي عِلَاقِيهِ وَسِرِّ،
وَلِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ لَا تُجْهَلُ، وَحَقٌّ لَا يُهْمَلُ؛ وَأَظْهَرُوا التَّعَاوُدَ وَالتَّنَاصُرَ، وَصَلُّوا
التَّعَاهُدَ وَالتَّزَاوَرَ؛ تُرْغِمُوا بِذَلِكَ الْأَعْدَاءَ، وَتَسْتَكْثِرُوا الْأَوْدَاءَ؛ وَلَا تَنْفَسُوا فِي
الْحُظُوظِ السَّخِيفَةِ، وَلَا تَهَارِشُوا تَهَارِشَ السِّبَاعِ عَلَى الْجَيْفَةِ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ
الْمَعْرُوفَ يُكَدَّرُ بِالْإِمْتِنَانِ، وَطَاعَةَ النِّسَاءِ وَشَرَّ مَا أَفْسَدَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ؛ فَإِذَا
أَسَدَيْتُمْ مَعْرُوفًا فَلَا تَذْكُرُوهُ، وَإِذَا بَرَزَ قَبِيحٌ فَاسْتُرُوهُ، وَإِذَا أَعْظَمَ النِّسَاءُ أَمْرًا
فَاحْتَقِرْهُ «إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَعْظِيمًا لِلدِّينِ فَسَاعِدُوهُنَّ وَانصُرُوهُ» وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْسُوا
مُقَارَضَةَ سَجَلِي، وَبَرُّوا أَهْلَ مَوَدَّتِي مِنْ أَجْلِي، وَمَنْ رُزِقَ مِنْكُمْ مَا لَابَهَذَا الْوَطَنِ
الْقَلِقِ الْمِهَادِ، الَّذِي لَا يَصْلُحُ لِغَيْرِ الْجِهَادِ؛ فَلَا يَسْتَهْلِكُهُ أَجْمَعٌ فِي الْعَقَارِ،
فَيُصْبِحُ عُرْضَةً لِلْمَدْلَةِ وَالْإِحْتِقَارِ، وَسَاعِيًا لِنَفْسِهِ إِنْ تَغَلَّبَ الْعَدُوُّ عَلَى بَلَدِهِ فِي
الْإِفْتِضَاحِ وَالْإِفْتِقَارِ؛ وَمُعَوَّقًا عَنِ الْإِنْتِقَالِ، أَمَامَ الثُّوبِ الثَّقَالِ؛ وَإِذَا كَانَ رِزْقُ

العبد على المولى، فالإجمال في الطلب أولى؛ وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا، فخيرها لا يقوم بشرها، ونفعها لا يفي بضرها؛ وأعقاب من تقدم شاهدة، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة؛ ومن بلي منكم بها فليستظهر بسعة الاحتمال، والتقلل من المال، ويحذر معاودة الرجال، ومزلات الإذلال، وفساد الخيال، ومداخلة العيال؛ وإفشاء الأسرار، وسكر الاغترار؛ وليصن الديانة، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانة، ويسر من رضا الله على أضح الطرق، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق؛ وليقف في التماس أسباب الجلال، وسمو القدر ورفعة الحال دون الكمال، فما بعد الكمال غير الثقصان، والزعازع تُسالم اللذن اللطيف من الأغصان. وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً، واستظهاراً على الحظوظ وغلاباً؛ فذلك ضرر بالمروءات والأقدار، دأع إلى الفضح والعار؛ ومن امتحن منكم بها اختياراً، أو جبر عليها إكراها وإيثاراً؛ فليتلق وظائفها بسعة صدره، وليبدل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره؛ فالولايات فتنة ومحنة، وأسر وإحنة؛ وهي بين إخطاء سعادة، وإخلال بعادة؛ وتوقع عزل، وإدالة رخاء بأزل، ويبيع جد من الدنيا بهزل؛ ومزلة قدم، واستتباع ندم؛ ومال العمر كله قوت ومعاد، واقتراب من الله وابتعاد؛ جعلكم الله مومن نعمة بالتبصير والتنبيه، وممن لا ينقطع بسبه عمل أبيه.

هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها، وتجارتي التي لربحكم أدرتها؛ فتلقوها بالقبول لنصحها، والاهتداء بضوء صبحها؛ وبقدر ما أمضيت من فروعها، واستعشيت من دروعها؛ اقتنيت من المناقب الفاخرة، وحصلت على سعادة الدنيا والآخرة؛ وبقدر ما أضعت من لآئها النفيسة القيم، استكثرت من بواعث الندم؛ ومهما سمتم إطالتها، واستغزتم مقالتها؛ فاعلموا أن تقوى الله فذلك الحسب، وضابط هذا الباب؛ كان الله خليفتي عليكم في كل حال،

فالدُّنْيَا مُنَاخٌ اِرْتَبَحَالَ، وَتَأْمِيلُ الْإِقَامَةِ فَرَضٌ مُحَالٌ؛ فَالْمَوْعِدُ لِلالتِّقَاءِ، دَارُ الْبَقَاءِ؛ جَعَلَهَا اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ حُطَّةِ النَّجَاةِ، وَتَفَقَّ بِضَائِعِهَا الْمُرْجَاةَ، بَلَطَاتِفِهِ الْمُرْتَجَاةَ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ مِنْ حَبِيبِكُمُ الْمُوَدِّعِ، وَاللَّهُ يَلَامُهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْ شَمَلٍ مُتَصَدِّعٍ وَرَحْمَةٍ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.. إِنْتَهَى.

اللَّهُمَّ طَيِّبْنَا لِلِقَائِكَ، وَأَهْلُنَا لَوْلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، وَتَوْفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِالصَّالِحِينَ.

شِعْرًا: رَجَعْتُ عَلَى السَّفِينَةِ بِفَضْلِ حِلْمِي فَكَانَ الْحِلْمُ عَنْهُ لَهُ لِحَامًا وَظَنَّ بِي السَّفَاةَ فَلَمْ يَجِدْنِي أَسَافُهُهُ وَقُلْتُ لَهُ سَلَامًا فَقَامَن يَجُرُّ رِجْلِيهِ ذَلِيلًا وَقَدْ كَسَبَ الْمَذَلَّةَ وَالْمَلَامَا وَفَضْلُ الْحِلْمِ أْبْلَغُ فِي سَفِينِهِ وَأُخْرَى أَنْ يُنَالَ بِهِ انْتِقَامَا

كان عمر بن الخطاب رحمه الله يتَمَثَّلُ بِمَا يَلِي مِنَ الْآيَاتِ:

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبَقَى بَشَاشَتُهُ
لَمْ تُغْنِي عَن هُرْمَزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ
وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَجَرَّ الرِّيَّاحُ لَهُ
أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا
حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلَا كَذِبٍ
مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبَقَى بَشَاشَتُهُ
فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ غِبْرَاءَ مُوَحِّشَةٍ
تَجْهَازِي بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ
آخِرُ: رَكُّنُوا إِلَى الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ
حَتَّى إِذَا اغْتَرُّوا بِهَا

يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
وَالْحُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادًا فَمَا خَلَدُوا
وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا بَيْنَهُمَا تَرِدُ
مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ
لَا بُدَّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا
أَوْ الْعُبَارُ يَعَافُ الشَّيْنَ وَالشَّعْنَ
فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدَثًا
يُطِيلُ فِيهَا وَلَا يَخْتَارُهَا اللَّبْسَا
يَأْتَفُسُ قَبْلَ الرَّيِّ لَمْ تُخْلِقِي عَبَثًا
وَتَبَوَّأُوا الرُّتْبَ الْعَلِيَّةَ
صَرَعَتْهُمْ أَيْدِي الْمَنِيَّةِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

« فُضِّلَ »

فائدة عظيمة النفع في دفع فضول الغم والهَم الغم يكون للماضي والهَم يكون للمستقبل، فمن اغتمَّ لِمَا مَضَى من ذُنُوبِهِ نَفَعَهُ غَمُّهُ على تَفْرِيطِهِ، لِأَنَّهُ يُثَابُ عَلَيْهِ .

وَمَنْ اهْتَمَّ بِعَمَلٍ خَيْرٍ نَفَعَتْهُ هِمَّتُهُ، قال الله جل وعلا: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله فقد وقع أجره على الله﴾ فأما إذا اغتمَّ لمفقود من الدنيا، فالمفقود لا يرجع والغم يُؤذي، فكأنه أضاف إلى الأذى أذى .

وَيَنْبَغِي لِلْحَازِمِ أَنْ يَحْتَرِزَ مِمَّا يَجْلِبُ الْغَمَّ، وَجَالِبُهُ فَقَدْ مَحْبُوبٍ فَمِنْ كَثُرَتْ مَحْبُوبَاتُهُ كَثُرَ غَمُّهُ وَمَنْ قَلَّتْهَا قَلَّ غَمُّهُ .

ثم إنَّ الإنسانَ كُلَّمَا طَالَ إلفُهُ لِمَا يُحِبُّهُ واستمتعاهُ به تمكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ ، فإذا فَقَدَهُ أَحْسَسَ مِنْ مُرِّ التَّأَلُّمِ فِي لَحْظَةٍ لِفَقْدِهِ بِمَا يَزِيدُ عَلَى لَذَاتِ دَهْرِهِ الْمُتَقَدِّمِ .

وهذا لانَّ المَحْبُوبَ مُلَائِمَ فَإِنْ اضْطَرَّ إِلَى جَوَائِبِ الْغَمِّ فَأَثْمَرَتِ الْغَمَّ فِعْلَاجُهُ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِمَّا قُضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ قَدَرِهِ وَأَنَّهُ الْفِعَالُ لِمَا يُرِيدُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا عَنِ تَدْبِيرِهِ وَلَا مَحِيدٌ لِأَحَدٍ عَنِ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا حُطَّ فِي اللُّوْحِ الْمَسْطُورِ ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْكَدْرِ فَالْبِنَاءُ إِلَى النَّقْضِ وَالْجَمْعُ إِلَى التَّفْرُقِ وَمَنْ رَامَ بَقَاءَ مَا لَا يَبْقَى كَمَنْ رَامَ وَجُودَ مَا لَا يُوجَدُ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ مِنَ الدُّنْيَا مَا لَمْ تُوضَعْ عَلَيْهِ، قال الشاعر:

طُبِعَتْ عَلَى كَدْرِ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

ثم يتصوَّر ما نَزَلَ بِهِ مُضَاعَفًا فِيهِمْ عَلَيْهِ حِينِيذٌ مَا هُوَ فِيهِ وَمِنْ عَادَةِ الْحَمَالِ الْحَازِمِ أَنْ يَضَعَ فَوْقَ حِمْلِهِ شَيْئًا ثَقِيلًا ثُمَّ يَمْشِي بِهِ حَطَوَاتٍ ثُمَّ يُنْزِلُهُ فَيَخِفُّ الْحِمْلُ عَلَيْهِ .

وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ تَصَوَّرَ أَعْظَمَ مِنْهَا فَمَثَلًا إِذَا ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ
تَصَوَّرَ أَنْ يَعْمَى ، وَإِذَا أَخَذَ بَعْضُ مَالِهِ تَصَوَّرَ أَخْذَهُ كُلَّهُ وَهَكَذَا يُقَدِّرُ أَعْظَمَ مِمَّا
حَدَّثَ بِهِ فِيهِونَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ .

شِعْرًا: يُمَثِّلُ ذُو اللَّبِّ فِي نَفْسِهِ مَصَائِبَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا
فَإِنْ نَزَلَتْ بَعْتَهُ لَمْ تُرْعَهُ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا
وَذُو الْجَهْلِ يَأْمَنُ أَيَّامَهُ وَيَنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلَا
فَإِذَا دَهَتْهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ بَعْضُ مَصَائِبِهِ أَعْوَلًا
وَلَوْ قَدَّمَ الْحَزَمَ فِي أَمْرِهِ لَعَلَّمَهُ الصَّبْرُ حُسْنَ الْبَلَا

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْحَازِمُ مَنْ أَعَدَّ لِلْخَوْفِ عُدَّتَهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ وَنَفَى فُضُولَ
الْخَوْفِ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ إِذَا لَا يَنْفَعُهُ خَوْفُهُ مِنْهُ .

وَقَدْ اشْتَدَّ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ بِكَثِيرٍ مِنَ الصَّالِحِينَ حَتَّى سَأَلُوا اللَّهَ تَقْلِيلَ ذَلِكَ
وَالسَّبَبُ فِي سُؤْلِهِمْ أَنَّ الْخَوْفَ كَالسُّوْطِ لِلدَّابَّةِ فَإِذَا أَلْحَ بِالسُّوْطِ عَلَى النَّاقَةِ «أَيِ
يَضْرِبُهَا» قَلِقَتْ .

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لِشَابٍ يُجَالِسُهُ أَتُحِبُّ أَنْ تَحْشَى اللَّهَ حَقَّ حَشْيَتِهِ قَالَ
نَعَمْ . قَالَ أَنْتَ أَحْمَقُ لَوْ حَشَيْتَهُ حَقَّ حَشْيَتِهِ مَا أَدَيْتَ الْفَرَائِضَ .

قَالَ وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْ نَزْوِلِ الْمَرَضِ فَإِنَّهُ نَازِلٌ لَا بُدَّ
وَأَخَوْفٌ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ زِيَادَةٌ أَدَى .

شِعْرًا: يَا مَنْ سَيْنَى عَنْ بَيْنِهِ كَمَا نَأَى عَنْهُ أَبُوهُ
مَثَلٌ لِنَفْسِكَ قَوْلُهُمْ جَاءَ الْيَقِينُ فَوَجَّهْهُ
وَتَحَلَّلُوا مِنْ ظُلْمِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلَّلُوهُ
آخِرَ: أَسْلَمُوهُ مَقْبُورًا مَشِيعُوهُ وَانصَرَفُوا عَنْهُ وَخَلَّفُوهُ
سَاعَةَ سَوَّوْا ثُرَابَهُ عَلَيْهِ وَلَّوْا لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ

فَأَمَّا الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ وَالْفِكْرُ فِيهِ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهِ عَنِ النَّفْسِ وَإِنَّمَا يُخَفِّفُ الْأَمْرَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ فَلَا يُفِيدُ الْحَذِرُ إِلَّا زِيَادَةَ عَلَى الْمَحْذُورِ .

وَكُلَّمَا تَصَوَّرْتَ شِدَّتَهُ كَانَتْ كُلُّ تَصْوِيرَةٍ مَوْتًا لَلْيَصْرِفِ الْإِنْسَانَ فِكْرَهُ عَنِ تَصَوُّرِ الْمَوْتِ لِيَكُونَ مَيِّتًا مَرَّةً لَا مَرَّاتٍ وَيَكُونُ صَرْفُ الْفِكْرِ رِيحًا .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَادِرٌ عَلَى تَهْوِينِهِ إِذَا شَاءَ وَلِيُوقِنَ أَنَّ مَا بَعْدَهُ أَحْوَفُ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ فَنَطْرَةٌ إِلَى مَنْزِلِ إِقَامَةٍ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُكْثِرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ لِيَحْتَهُ عَلَى الْإِكْتِنَارِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لَا لِنَفْسِ تَصْوِيرِهِ وَتَمَثِيلِهِ .

فَإِنْ خَطَرَ عَلَى الْقَلْبِ الْحُزْنَ عَلَى فِرَاقِ الدُّنْيَا فَالْعِلَاجُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارٍ لَدَّةٍ وَفَرَجٍ وَسُرُورٍ ، وَإِنَّمَا لَدْتُهَا رَاحَةٌ مِنْ مُؤَلِّمٍ وَمِثْلُ هَذَا لَا يُنَافِسُ فِيهِ ، فَأَمَّا الْحُزْنَ عَلَى فِرَاقِ الدُّنْيَا لِفَوْتِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَقَدْ كَانَ السَّلْفُ يَحْزَنُونَ لِذَلِكَ .

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عِنْدَ مَوْتِهِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبُّ الدُّنْيَا وَطَوَّلَ الْبَقَاءَ فِيهَا لَا لِكَرِّي الْأَنْهَارِ وَلَا لِغَرَسِ الْأَشْجَارِ ، وَلَكِنْ لِظَمِّ الْهَوَاجِرِ وَمَكَابِدَةِ السَّاعَاتِ وَمُزَاحِمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ حِلْقِ الذِّكْرِ .

وَاحْتَضِرَ أَحَدُ الْعُبَادِ فَقَالَ مَا تَأْسُفِي عَلَى دَارِ الْهَمُودِ وَالْأَحْزَانِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ وَإِنَّمَا تَأْسُفِي عَلَى لَيْلَةٍ لِمُتَّهَا وَسَاعَةٍ غَفَلْتُ فِيهَا عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ .

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
آخِر: وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
آخِر: مَا مَاتَ مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ زَمَانَهُ
آخِر: الدِّينُ فِيهِ الْعِزُّ وَالْجَمَالُ
آخِر: وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ
آخِر: وَإِذَا رُزِقَتْ مِنَ الْحَلَالِ تِجَارَةٌ
فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيِّمِينَ يَذْكُرُ
ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
بِتَفَهُمٍ وَتَدْبِيرٍ لِمَعَانِي
وَالْكَفْرِ فِيهِ الدُّلُّ وَالْهَوَانُ
إِذَا لَمْ يُحْلِصُوا لِلَّهِ دِينَنَا
فَأَيُّدِلُ لَهَا فِي مَرَاضِي اللَّهِ مُجْتَهِدًا

هَكَذَا كَانَتْ طَرِيقَةُ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ كَانُوا يَحْرِصُونَ عَلَى أَنْ لَا تَمُرَّ سَاعَةٌ مِنَ الزَّمَانِ أَنْ يَتَزَوَّدُوا فِيهَا بِعِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ صِدْقَةٍ أَوْ ذِكْرِ أَوْ مُجَاهَدَةِ نَفْسٍ أَوْ إِسْدَاءِ نَفْعٍ لِمُسْلِمٍ، حَتَّى لَا تَذَهَبَ الْأَعْمَارُ سَبَهْلًا دُونَ فَائِدَةٍ .

فَكُنْ فِي حَالَةٍ تَزْدَادُ فِيهَا لَدَى الْحَلَاقِ مَرْتَبَةً وَقَدْرًا وَكَانُوا يَقُولُونَ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَقْتِ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، وَيَقُولُونَ الْوَقْتُ سَيْفٌ إِنْ قَطَعْتَهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ .

وَكَانُوا يُحَاوِلُونَ دَائِمًا التَّرَقِّيَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ أَحْسَنَ مِنْهَا بِحَيْثُ يَكُونُ الْيَوْمُ أَحْسَنَ مِنْ أَمْسٍ، وَيَقُولُونَ مَنْ كَانَ يَوْمُهُ كَأَمْسِيهِ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ أَحْسَنَ مِنْ أَمْسِيهِ فَهُوَ غَيْرُ مَغْبُونٍ، وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ أَحْسَنَ مِنْ أَمْسِيهِ فَهُوَ رَابِحٌ، وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ أَسْوَأَ مِنْ أَمْسِيهِ فَهُوَ خَسِرَانٌ .

وَقَالَ حَكِيمٌ مَنْ أَمْضَى يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ فِي غَيْرِ حَقِّ قَضَائِهِ أَوْ فَرَضِ آدَائِهِ أَوْ مَجْدِ آثَلِهِ أَوْ حَمْدِ حَصَلَتِهِ أَوْ خَيْرِ أَسْسِهِ أَوْ عِلْمِ إِقْتَبَسَهُ فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ نَفْسَهُ .

وَأَسْوَأُ أَيَّامِ الْفَتَى يَوْمٌ لَا يُرَى لَهُ فِيهِ أَعْمَالٌ تَسُرُّ لَدَى الْحَشْرِ وَقَالَ آخَرُ أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ قَلْبُكَ وَوَقْتُكَ، فَإِذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتُكَ فَمَاذَا يَبْقَى مَعَكَ كُلِّ الْفَوَائِدِ ذَهَبَتْ .

قَالَ الْحَسَنُ عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ أَمَرُوا بِالزَّادِ وَنُودِيَ فِيهِمْ بِالرَّحِيلِ جَلَسَ أَوْلَاهُمْ مَعَ آخِرِهِمْ وَهُمْ يَلْعَبُونَ .

وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ إِنَّ بِيضَاعَةَ الْآخِرَةِ كَأَسَدَةٍ فَاسْتَكْثَرُوا مِنْهَا فِي وَقْتِ كَسَادِهَا فَإِنَّهُ لَوْ جَاءَ وَقْتُ نَفَاقَتِهَا لَمْ تَصِلُوا فِيهَا إِلَى قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ .

وقال آخر لو سَقَطَ مِنْ أَحَدِهِمْ دِرْهَمٌ لَظَلَّ يَوْمَهُ يَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ ذَهَبٌ
دِرْهَمِي، وَعُمُرُهُ يَذْهَبُ وَلَا يَقُولُ ذَهَبَ عُمُرِي، وَكَانَ لِلَّهِ أَقْوَامٌ يُبَادِرُونَ
الْأَوْقَاتَ وَيَحْفَظُونَ السَّاعَاتِ وَيُلَازِمُونَهَا بِالطَّاعَاتِ .

وَيَقُولُ آخَرٌ لِلَّهِ دَرٌّ أَقْوَامٍ يُحَافِظُونَ عَلَيَّ أَوْقَاتِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ مُحَافَظَتِكُمْ عَلَيَّ
دَرَاهِمِكُمْ .

وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمْتُهُ عَلَى يَوْمِ
عَرَبَتْ شَمْسُهُ نَقَصَ فِيهِ أَجَلِي وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي .

وقال آخر كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علماً يُفَرِّبُنِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فلا
بُورِكُ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِهِ .

وهكذا كَانَ السلف يَنْصَحُونَ إِخْوَانَهُمْ وَيَحْفَظُونَ أَوْقَاتَهُمْ فَعَلَيْكَ
بِالْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ .

شِعْرًا: فَقُلْ لِمَرْجِي مَعَالِي الْأُمُورِ
آخِرًا: يَا نَائِمًا وَالْمِنُونُ يَقْضَى
جَاءَكَ أَمْرٌ وَأَيُّ أَمْرٍ
هَلْ بَعْدَ هَذَا الْمَشِيبِ شَيْءٌ
فَلَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ سَهْلًا
مِنْ بَعْدِ مَا الْمَرْءُ فِي بَرَاحٍ
سَاكِنٌ نَفْسٍ قَرِيرٍ عَيْنٍ
إِذْ عَصَفَتْ فِي دَارِهِ رِيحٌ
فَبَاتَ فِي أَهْلِهِ حَصِيدًا
فَعَادَ ذَلِكَ النَّعِيمُ بُؤْسًا
وَسَيِّقَ سَوْقًا إِلَى ضَرْبِجٍ
بِعَيْرٍ إِجْتِهَادِ رَجَوْتِ الْمُحَالَا
وَعَالِبًا وَالْحِمَامُ أَوْفَى
طَمَّ عَلَى غَيْرِهِ وَعَفَى
غَيْرَ تُرَابٍ عَلَيْكَ يُحْتَى
وَلَا بِشَيْءٍ عَلَيْكَ يَخْفَى
يَهْتَزُّ تَيْهًا بِهِ وَظَرْفَا
يُرْشَفُ ثَعْرَ النَّعِيمِ رَشْفَا
تَقْصِفُ كُلَّ الظُّهُورِ قَصْفَا
قَدْ جَعَفَتْهُ الْمُنُونُ جَعْفَا
وَصَارَ ذَلِكَ السُّكُونُ رَجْفَا
يُرْصَفُ بِالرَّغْمِ فِيهِ رَصْفَا

وَبَاتَ لِلدَّوْدِ فِيهِ طَعْمًا وَلِلْهَوَامِّ الْعِطَاشَ رَشْقًا
وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ رَهِينًا بِكُلِّ مَا قَدْ هَفَا وَأَهْفَا

اللَّهُمَّ أَنَا نَسَأُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ
أَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ
وَبَالِهَا وَارْأُفِ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنُزُولِهَا، وَارْحَمْنَا مِنْ
هُمُومِ الدُّنْيَا وَعُغُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى
وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ مَعَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: إِعْلَمْ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَثَبَّتْنَا وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمْ
عَلَى قَوْلِهِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّ عَلَى مَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ أَنْ يَعْلَمَ
أَنَّهَا سَاعَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى مُعَانَاةٍ صَعْبَةٍ جِدًّا لِأَنَّ صُورَتَهَا أَلَمٌ مَحْضٌ وَفِرَاقٌ لِجَمِيعِ
الْمَحْبُوبَاتِ .

ثُمَّ يَنْضَمُّ إِلَى ذَلِكَ هَوْلُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشَدَائِدُهُ وَالْخَوْفُ مِنَ الْمَالِ،
وَيَأْتِي الشَّيْطَانُ يُحَاوِلُ أَنْ يُسْخِطَ الْعَبْدَ عَلَى رَبِّهِ، وَيَقُولُ لَهُ أَنْظِرْ فِي إِيَّيْ شَيْءٍ
الْقَاكَ، وَمَا الَّذِي قَضَى عَلَيْكَ وَكَيْفَ يُؤَلِّمُكَ .

وَهَا أَنْتَ تُفَارِقُ وَلَدَكَ، وَرَوْجَتَكَ، وَأَهْلَكَ، وَتُلْقَى بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى،
وَرُبَّمَا أَسْخَطَهُ عَلَى رَبِّهِ، فَكَّرَهُ قَضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَلِقَاءَهُ، وَرُبَّمَا حَسَنَ إِلَيْهِ الْجَوْرَ
فِي الْوَصِيَّةِ، وَرُبَّمَا حَابَا بَعْضَ الْوَرِثَةِ وَخَصَّهُ بِشَيْءٍ دُونَهُمْ، أَوْ يُعَوِّقُهُ إِصْلَاحَ
شَأْنِهِ، وَالخُرُوجَ مِنْ مَظْلَمَةٍ تَكُونُ فَبَلَهُ، أَوْ يُؤَيِّسُهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، أَوْ يَحْوُلُ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ .

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْيُسْرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :
«أَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَّخِبَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ» .

وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ يَقُولُ الشَّيْطَانُ لِأَعْوَانِهِ إِنَّ فَاتِكُمْ الْآنَ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِ
أَبَدًا .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْعِلَاجُ لِتِلْكَ الشَّدَائِدِ فَيَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ قَبْلَهُ مُقَدِّمَةً ،
وَهُوَ أَنْ مَنْ حَفِظَ اللَّهَ فِي صِحَّتِهِ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي مَرَضِهِ وَمَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي خَطَرَاتِهِ
حَرَسَهُ اللَّهُ عِنْدَ حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ .

فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «إِحْفَظِ
اللَّهَ يَحْفَظْكَ إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي
الشَّدَةِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ .

ثُمَّ إِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ قِصَّةَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَفَّقَهُ اللَّهُ لِأَعْمَالِ صَالِحَةٍ
مُتَقَدِّمَةً أَنْقَذَهُ اللَّهُ بِسَبَبِهَا ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسْبِحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِفِرْعَوْنَ عَمَلٌ خَيْرٌ لَمْ يَجِدْ وَقْتَ الشَّدَةِ مُتَعَلِّقًا ، فَقِيلَ لَهُ :
﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ الزَّاهِدُ
يَقُولُ عِنْدَ الْمَوْتِ سَيِّدِي لِهَذِهِ السَّاعَةِ حَبَأْتُكَ .

فَأَمَّا مَنْ ضَيَّعَ وَأَهْمَلَ فِي حَالِ الصُّحَّةِ فَإِنَّهُ يُضَيِّعُ فِي مَرَضِهِ فَالْجَزَاءُ مِنَ
جِنْسِ الْعَمَلِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ مَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْأَمُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٤٠﴾ .

«فائدة»: قال أحد العلماء: إنِّي رأيتُ جمهورَ الناسِ إذا طرَقَهُمُ المرضُ اشتغلوا بالشكوى والتداوي عن الالتفاتِ إلى المصالحِ من وصية أو فعل خير فكم لَهُ من ذُنُوبٍ لا يُتُوبُ منها أو عندهُ ودائعٌ أو عليه دينٌ أو زكاةٌ أو مظلمة لا يخطر بباله تدارُكُها، والسببُ والله أعلمُ ضَعْفُ الإيمانِ فَيَنْبَغِي لِلْمُتَّقِظِ أَنْ يَتَأَهَّبَ فِي حَالِ صِحَّتِهِ قَبْلَ هُجُومِ المرضِ أو الموتِ فَرَبَّمَا ضَاقَ الوَقْتُ عَنِ عَمَلٍ وَاسْتِدْرَاكِ فَارِطٍ أَوْ وَصِيَّةٍ وَرُبَّمَا مَاتَ فَجَاءَهُ اللهُ أَعْلَمُ .

شِعْرًا: أَبْغَى فَتَى لَمْ تَذُرْ الشَّمْسَ طَالِعَةً
آخِر: لِلَّهِ قَوْمٌ أَخْلَصُوا فِي حُبِّهِ
ذَكَرُوا النِّعِمَ فَطَلَّقُوا ذُنْيَاهُمُومًا
قَامُوا يُتَاجِرُونَ الْإِلَهَ بِأَدْمُجٍ
سَتَرُوا وَجُوهَهُمُومًا بِاسْتَارِ الدُّجَى
عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا وَجَادُوا بِالذِّي
وَإِذَا بَدَأَ لَيْلٌ سَمِعْتَ حَيْنِيَهُمْ
تَعَبُوا قَلِيلًا فِي رِضَا مَحْبُوبِهِمْ
صَبَرُوا عَلَى بُلُوَاهُمُومًا فَجَزَاهُمُومًا
يَا أَيُّهَا الْغُرُّ الْحَزِينُ إِلَى مَتَى
بَادِرْ زَمَانِكَ وَاعْتَنِمْ سَاعَاتِهِ
وَاضْرَعْ إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ وَنَادِهِ
مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ غَايَةُ مَقْصِدِي

يَوْمًا مِنَ الْوَقْتِ إِلَّا صَلَّى أَوْ ذَكَرَا
فَكَسَا وَجُوهَهُمُومًا الْوَسِيمَةَ نُورًا
زُهْدًا فَعَوَّضَهُمْ بِذَلِكَ أَجُورًا
تَجْرِي فَتَحْكِي لَوْلُؤًا مَثُورًا
لَيْلًا فَأَضْحَتْ فِي النَّهَارِ بُدُورًا
وَجَدُوا فَأَصْبَحَ حَظُّهُمْ مَوْفُورًا
وَشَهِدَتْ وَجَدًا مِنْهُمْ وَمُزْفِيرًا
فَأَرَاخَهُمْ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَثِيرًا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّةً وَحَرِيرًا
تُفْنِي زَمَانِكَ بَاطِلًا وَغُرُورًا
وَاحْذَرْ تَوَانَاكِي تَحُورَ أَجُورًا
يَا وَاحِدًا فِي مُلْكِهِ وَقَدِيرًا
وَإِذَا رَضِيَتْ فَنِعْمَةٌ وَسُرُورًا

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ

عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يَجِبُهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مَنْ أَرَادَ لِحَاقِ الْقَوْمِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمَشْمُرِينَ عَنِ سَاقِ لِالْآخِرَةِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ ، أَنْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ الْكَسَلَ وَالْعَجْزَ وَالتَّوَانِي وَالتَّهَالُكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَيُجَدُّ وَيَجْتَهِدُ سَالِكاً طَرِيقَ الْمُجْتَهِدِينَ الْعَارِفِينَ قِيمَةَ الْوَقْتِ وَالْعُمُرِ .

شِعْرًا: كَأَنَّكَ لَمْ تُسْبِقْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ الَّذِي أَنْتَ تَطْلُبُ
آخِر: أَسْرِعْ أَخَا الْعِلْمِ فِي ثَلَاثِ الْأَكْلِ وَالْمَشْيِ وَالْكِتَابَةِ
آخِر: وَسَاهِرِ اللَّيْلِ فِي الْحَاجَاتِ نَائِمُهُ وَوَاهِبِ الْمَالِ عِنْدَ الْمَجْدِ كَاسِبُهُ

وَذَكَرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ عِلَاجَ الْكَسَلِ وَهُوَ سَهْلٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ فَقَالَ : هُوَ تَحْرِيقُ الْهَمَّةِ بِخَوْفِ فَوَاتِ الْقَصْدِ ، وَبِالْوُقُوعِ فِي اللَّوْمِ ، أَوْ التَّأْسُفِ ، فَإِنَّ أَسْفَ الْمُفْرِطِ إِذَا عَايَنَ أَجْرَ الْمُجْتَهِدِ أَعْظَمَ مِنْ كُلِّ عِقَابٍ ، وَلِيَفْكَرِ الْعَاقِلُ فِي سُوءِ مَعْبَةِ الْكَسَلِ وَالْعَجْزِ ، وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ فَرُبَّ رَاحَةٍ أَوْجَبَتْ حَسْرَاتٍ وَنَدَمًا ، فَمَنْ رَأَى زَمِيلَهُ اجْتَهِدَ وَثَابَرَ عَلَى دُرُوسِهِ وَنَجَحَ زَادَتْ حَسْرَتُهُ وَأَسْفَهُ ، وَمَنْ رَأَى جَارَهُ قَدْ سَافَرَ وَرَجَعَ بِالْأَرْبَاحِ وَالْفَوَائِدِ زَادَتْ حَسْرَةُ أَسْفِهِ وَنَدَامَتُهُ عَلَى لَذَّةِ كَسَلِهِ وَعَجْزِهِ .

قَالَ وَقَدْ أَجْمَعَ الْحُكَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْحِكْمَةَ لَا تُدْرِكُ بِالرَّاحَةِ فَمَنْ تَلَمَّحَ ثَمَرَةَ الْكَسَلِ اجْتَنَبَهُ وَمَنْ مَدَّ فِطْنَتَهُ إِلَى ثَمَرَاتِ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ نَسَى مَشَاقَّ الطَّرِيقِ ، ثُمَّ أَنَّ اللَّيْبَ الذَّكِيَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا وَإِنَّمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا كَالْأَجِيرِ أَوْ كَالتَّاجِرِ ، ثُمَّ أَنَّ زَمَانَ الْعَمَلِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مُدَّةِ الْبَقَاءِ فِي الْقَبْرِ كَلْحِظَةٍ ، ثُمَّ إِنْ إِضَافَةَ ذَلِكَ إِلَى الْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ لَيْسَ يَشِيءُ

ومن أنفع العلاج النظر في سير المجتهدين الذين يعرفون قيمة العلم النافع والعمل الصالح والوقت والعجب من مؤثر البطالة في موسم الأرباح .

والمهم أنه بالجِدِّ والإجتِهادِ تُدْرِكُ غَايَةَ المُرَادِ، وَبِالعَزَمَاتِ الصَّحَاحِ يُشْرِقُ صَبَاحُ الفَّلَاحِ، وَما حَصَلَتْ الأمانِي بالتَّوَانِي ولا ظَفَرَ بالأمل مَن اسْتَوَطَنَ الكَسَلَ .

شِعْرًا: ما هَدَيْتِ الحِياةَ رَخيصةً فَصَنَّها عَنِ التَّضْيِيعِ في غَيْرِ وَاجِبٍ
وأَكْثَرَ بِها ذِكرَ الإِلهِ وَحَمْدَهُ وَشُكْرًا لَهُ تُحْظَى بِأَسْتَى المِراتِبِ
أخْر: وَلَيْسَ كَما قَدْ شِئْتَهُ وَاشْتَهَيْتَهُ وَلِكِنْ كَما شاءَ الإِلهُ يَكُونُ
إِذا لَم أَجِدْ شَيْئًا نَفِيسًا أُريدُهُ رَجَوْتُ إِلهَ الخَلْقِ أَنْ سَيَكُونُ

وقد قيل الكسل مزلقة الربح، وآفة الصنائع، وأرضة البضائع، وإذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقها نوم العفلة عن صالح العمل .

الجِدُّ بِالجِدِّ وَالجِرْمَانُ فِي الكَسَلِ فَانصَبَ تُصِيبَ عَنِ قَرِيبِ غَايَةِ الأمل
ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ المَوْجِبَ لِلکَسَلِ حُبُّ الرَاحةِ وإِثْثارِ البَطْالَةِ وصُعُوبَةُ المِشاقِ .
وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ أَنَّ النَبِيَّ ﷺ كان يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحِزَنِ والعِجْزِ وَالكِسالِ» متفق عليه .

وَفِي أَفْرَادِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : «المُؤْمِنُ القَويُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ إِحْرَاصٌ عَلى ما يَنْفَعُكَ وَاسْتِعْنُ بِاللَّهِ وَلا تَعْجِزْ فَإِنْ أَصابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كَذا كانَ كَذا وَلِكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَما شاءَ فَعَلْ فَإِنْ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ» ، وَقالَ ابنُ مَسْعُودٍ «إِنِّي لا بَغِضُ الرَجُلِ أراهُ فارِغًا لَيْسَ في شَيْءٍ مِنَ عَمَلِ الدُنيا وَلا عَمَلِ الآخِرَةِ» أخرجهُ أبو نَعيْمٍ في الحَلِيةِ ، وَقالَ : «يَكُونُ في آخِرِ الزمانِ أَقْوامٌ أَفضَلُ أَعْمالِهِمُ التَّلاوُمُ بَيْنَهُمُ يُسَمَّوْنَ الأَثْنانَ» ، وَقالَ ابنُ عَبَّاسٍ تَرَوَّجَ التَّوَانِي

بالكسل فولد بَيْنَهُمَا الْفَقْرَ . وَقَالَ آخَرُ مَضَى الْقَوْمَ عَلَى نَحِيلِ بُلْقِي عِتَاقٍ وَبَقِينَا
 عَلَى حُمْرٍ دَبْرَةَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ كُنَّا عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ فَمَا أَسْرَعْنَا بِالْوَصُولِ .
 تَضَرَّعَ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ .

شِعْرًا : لَا عُدْتُ أَرْكُبُ مَا قَدْ كُنْتُ أَرْكَبُهُ جُهْدِي فَخُذْ بِيَدِي يَا خَيْرَ مَنْ رَحِمَا
 هَذَا مَقَامٌ ظَلُومٌ خَائِفٌ وَجِيلٌ لَمْ يَظْلِمِ النَّاسُ لَكِنْ نَفْسَهُ ظَلَمَا
 فَاصْفَحْ بِفِظْكَ عَمَّنْ جَاءَ مُعْتَدِرًا بِزَلَّةٍ سَبَقَتْ مِنْهُ وَقَدْ نَدَمَا
 مَا لِي سِوَاكَ وَلَا عِلْمٌ وَلَا عَمَلٌ فَاْمُنْ بِعَفْوِكَ يَا مَنْ عَفُوهُ عَظَمَا

اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
 عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
 نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيَزِيلَ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
 وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَقَمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصِيْدَةٌ تَحْتَوِي عَلَى نَصَائِحَ وَوَصَايَا وَمَوَاعِظَ وَآدَابٍ وَأَخْلَاقٍ فَحَضِرْ قَلْبَكَ وَالْقِي سَمْعَكَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَوِيِّ الْمَاجِدِ ذِي الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ وَالْمَحَامِدِ
 حَمْدًا يَفُوقُ حَمْدَ كُلِّ الْخَلْقِ وَمَا أُطِيقُ شُكْرَ بَعْضِ الْحَقِّ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّ دِينِنَا الْإِسْلَامِ
 سَأَلْتَنِي الْإِفْصَاحَ عَنْ هَذِي الْجِحْمِ وَنُزْهَةَ الْأَلْبَابِ، خُذْهَا كَالْعَلْمِ
 خُذْ يَا بُنَيَّ هَذِهِ النَّصَائِحَ حَا وَاسْتَعْمِلْنَهَا غَاذِيًا وَرَائِحًا
 لِتَقْنِي مَنْفَعَةً وَجِحْمَةً وَاتَّشِينِي عَنِ مَنِي وَنِعْمَةٍ
 فَحِفْظُهَا يَهْدِي إِلَى دَارِ الْبَقَا وَحُبُّهَا يَهْزِمُ أَجْنَادَ الشَّقَا

إِذَا ابْتَدَأْتَ الْأَمْرَ سَمَّ اللَّهُ
 وَكَلَّمَا رَأَيْتَ مَصْنُوعَاتِهِ
 فَادْكُرْهُ سِرًّا سَرْمَدًا وَجَهْرًا
 هَذَا وَإِنْ تَعَارَضَ الْأَمْرَانِ
 وَاعْمَلْ بِهِ تَنْلُهُمَا جَمِيعًا
 وَإِنْ أَتَاكَ مُسْتَشِيرٌ فَادْكُرْ
 شَاوِرَ لَيْبًا فِي الْأُمُورِ تَنْجَحُ
 وَأُخْلِصِ النَّيَاتِ فِي الْحَالَاتِ
 وَاسْتَخِرِ اللَّهَ تَعَالَى وَاجْتَهِدْ
 مَنْ اسْتَحَارَ رَكِبَ الصَّوَابَا
 مَنْ اسْتَحَارَ لَمْ يَفْتُهُ حَزْمٌ
 مَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَأْتِي بِالْعَبْرِ
 كَمْ آيَةٌ مَرَّتْ بِنَا وَآيَةٌ
 وَنَحْنُ فِي ذَا كُلِّهِ لَا نَعْتَبِرُ
 أَلَيْسَ هَذَا كُلُّهُ تَأْدِيبًا؟
 لَكِنْ قَسَى قَلْبٌ وَجَفَّتْ أَدْمُعُ
 فَسَأَلَ الرَّحْمَنَ سِتْرَ مَا بَقِيَ
 فَكَمْ وَكَمْ قَدْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَا
 حَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي بِالْوَعْظِ
 سِرِّ سِيرٍ مَنْ غَايَتُهُ السَّلَامَةُ
 بَادِرٌ بِخَيْرٍ إِنْ نَوَيْتَ وَاجْتَهَدْ
 حُذْ فِي عِتَابِ نَفْسِكَ الْأَمَارَةَ
 خَالِفْ هَوَاكَ تَنْجَحْ مِنْهُ حَقًّا
 نَفْسِي عَمَّا سَرَّنِي تُدْفِعُ

وَاحْمَدُهُ وَاشْكُرْهُ إِذَا تَنَاهَا
 وَالْمُبْدَعَاتِ مِنْ عَلَا آيَاتِهِ
 لِتَشْهَدَنَّ يَوْمَ الْجَزَاءِ أَجْرًا
 فإِذَا بِحَقِّ الْمَلِكِ الدِّيَانِ
 وَلَا تَقُلْ سَوْفَ تَكُنْ مُضِيْعًا
 قَوْلَ النَّبِيِّ: الْمُسْتَشَارُ مُتَمَمِّنٌ
 مَنْ يَخْفِ الرَّحْمَنَ فِيهَا يَرْبِحُ
 فَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ
 ثُمَّ ارْضَ بِالْمَقْضِيِّ فِيهِ وَاعْتَمِدْ
 أَوْ اسْتَشَارْ أَمَّنَ الْعِقَابَا
 أَوْ اسْتَشَارْ لَمْ يُرْمَهُ نَحْصُمُ
 أَفِقْ وَسَلِّمْ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ
 فِي بَعْضِهَا لِمَنْ وَعَى كِفَايَةٌ
 وَلَا نَخَافُ غَيْبَهَا فَتَزْدَجِرُ
 فَمَا لَنَا لَا نَتَّقِي الذُّنُوبَا
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ إِلِيهِ الْمَرْجِعُ
 وَعَفْوُهُ وَاللَّطْفُ فِيمَا نَتَّقِي
 وَسَتَرَ الْقَيْحِ جِيلاً جِيلاً
 وَأَنْتَ تَنْبُو كَالْعَلِيْظِ الْفَظِّ
 وَعُدْ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ
 وَإِنْ نَوَيْتَ الشَّرَّ فَازْجُرْ وَاقْتَصِدْ
 فَإِنَّهُمَا عَدَارَةٌ عَرَارَةٌ
 وَالنَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ كَيْ لَا تَشْقَى
 وَهِيَ إِلَى مَا ضَرَّنِي تُسَارِعُ

تُكْرِمُ شَيْئاً ثُمَّ تَأْتِي مِثْلَهُ
وَمَنْ حَبَّاهَا غَفْلَةً فَقَدْ خَسِرَ
ثُمَّ الْجُوبُ لِلسُّؤَالِ فَاسْتَعِندُ
وَأَنْتَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا غِيًّا
فَإِنهَا عَاقِبَةٌ مَرْضِيَّةٌ
حَقًّا وَلَوْ عَمَّرْتَ عُمَرَ نُوحٍ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْقِيَامَةِ
فَأِنَّهَا تَهْزِمُ كُلَّ حَوْبَةٍ
وَلَا تَحْدُ طَرْفَةَ عَيْنٍ عَنْهُ
سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنِ التَّنَاهِي
وَتَرِكَ مَا يُخْشَى وَشُكْرِ الْوَاهِبِ
وَاعْصِ هَوَاكَ وَاحْذَرِ التَّعْنِيفَا
فَاعْتَمِدِ الصِّمْتَ وَدَعْ عَنِ الْهَذَرِ
بِأَجْرَةٍ مِنْكَ حَتَمْتَ فَكَأ
أَفْضَلُ مِنْ نُطْقِ جَنَى النَّدَامَةِ
فَالزَّمْهُمَا وَقِيَّتْ كُلَّ ضَيْرِ
وَالجِلْمُ كَنْزٌ لَا يَكَادُ يُفْنَى
وَبِهِ الْقَلْبُ الصِّدْقِي مِنَ السَّنَةِ
إِكْتَارُهُ مِنْ عِلْمِهِ وَأَدْبِهِ
أَوْ غَيْرِ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ زَنْكََا
وَلَا عِبَادَاتٍ بَعِيرِ عِلْمِ
فَاعْمَلْ بِمَا عَلَّمْتَهُ قَبْلَ الْأَجْلِ
هَذَا إِذَا كَانَ بِلَا سَامَةِ
وَالْبِرُّ وَالرَّفْقُ بِلَا اعْتِلَالِ

قَدْ أَسْرَتْهَا شَهْوَةٌ وَغَفْلَةٌ
فَمَنْ حَبَى حِسَانَهَا فَقَدْ ظَفِرَ
قَدِّمِ لِيَوْمِ الْعَرَضِ زَادَ الْمُجْتَهِدِ
تَطْوِي اللَّيَالِي الْعُمَرَ طَيًّا
فَلَا تَبْتَ إِلَّا عَلَى وَصِيَّةٍ
هَيَّاتِ لِأَبَدٍ مِنَ النُّزُوجِ
فَسَأَلِ اللَّهَ لَنَا السَّلَامَةَ
أَعِدْ لِجَيْشِ السَّيِّئَاتِ تَوْبَةَ
وَارْجِعْ أَلَى رَبِّكَ فَسَأَلْنَاهُ
أَفْضَلَ زَادِ الْمَرْءِ تَقْوَى اللَّهِ
عَلَيْكَ بِالتَّقْوَى وَكُلِّ وَاجِبِ
وَكَُنْ لِأَسْبَابِ التَّقَى أَلْفَا
فَالخَوْفُ أَوْلَى مَا امْتَطَى أَخُو الْحَذَرِ
لَوْ أَنَّ مَا اسْتَمْلَاهُ كَاتِبَاكََا
صَمْتُ يُؤَدِّيكَ إِلَى السَّلَامَةِ
العِلْمُ وَالجِلْمُ قَرِينَا خَيْرِ
فَالعِلْمُ عِزٌّ لَا يَكَادُ يُبْلَى
العِلْمُ لَا يُحْصَى فَخُذْ مَحَاسِنَهُ
أَجْمَلُ شَيْءٍ لِلْفَتَى مِنْ نَسَبِهِ
إِنْ كُنْتَ مُحْتَاجاً إِلَيْهِ مَا نَكَا
لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بَعِيرِ فَهَمِ
لَا تَطْلُبَنَّ العِلْمَ إِلَّا لِلْعَمَلِ
فَإِنَّ فِيهِ غَايَةَ السَّلَامَةِ
نُصْحُ الْوَرَى مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ

فَتَرَكُهُ أَقْرَبُ لِلْفَلَاحِ
هَذَا وَلَوْ قَدَّرَ بَعْضُ سَاعَةِ
بَيْنَ يَدَي رَبِّكَ غَيْرَ آيسِ
تَتْلُو المَثَانِي رَغْباً فِي الرِّبْحِ
هَبْ لِي الرِّضَاءَ بالقَضَاءِ والقَدْرُ
فَضْلاً، وَمِنْ غَمِّ وَضِيقِ مَخْرَجَا
وَالأَمْنُ أَهْنَى عَيْشَةَ المُلُوكِ
وَأَقْهَرُ هَوَاكَ تَنْجَحَ قَبْلَ القَصْدِ
وَالشُّكْرُ أَيْضاً حَارِساً لِنِعْمَتِكَ
مَا بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ البرِّيَّةِ
عَمَّا رَعَيْنَاهُ وَمَا نَقُولُ
أَخْرَهُ العَجْزُ عَنِ الرِّيَاسَةِ
وَعُمَّهُمُ بِالْعَدْلِ يَنْصَحُوكَا
أَعْظَمَ مَا يَحْشَى وَيَتَّقِيهِ
عَلَى تَرْقِي أَكْبَرِ الأَعْمَالِ
وَمَنْ طَعَى مُشِيرُهُ فَقَدْ جَهَلَ
وَشَرُّ مِنْهُ خَاذِلُ المَظْلُومِ
والبَغْيُ أَيْضاً جَالِبٌ لِلنَّقَمِ
وَصُحْبَةُ الجَاهِلِ أَيْضاً شَوْمٌ
تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بالأَخْيَارِ
وَصَارَ كُلُّ رِبْحِهِ خُسْرَانَا
وَأَنْقَذُ التَّبَلِ دُعَا المَظْلُومِ
وَبِئْسَ مَا عَوَّضَهُ إِصْرَارُهُ
فَالأَمْرُ جَدُّ لَا هَوَاكَ المُرْدِي

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الرِّيَاءَ يَصَاحِ
فَالعُمُرُ مَا كَانَ قَرِينِ الطَّاعَةِ
حُتُّ كُنُوزِ الدَّمْعِ فِي الحِنَادِسِ
عَلَى سَوَادِ خَالِ حَدِّ الصُّبْحِ
وَقُلْ بِمَا جَاءَ بِهِ خَيْرُ البَشَرِ
وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ فَرْجَا
العَدْلُ أَقْوَى عَسْكَرِ المُلُوكِ
سُسُ يَا أَخِي نَفْسَكَ قَبْلَ الجُنْدِ
وَاجْعَلْ قِيَامِ العَدْلِ حِصْنَ دَلْتِكَ
فَالحَقُّ أَنْ تُعْدِلَ بالسَّوِيَّةِ
فَكُلُّكُمْ وَكُلْنَا مَسْئُولُ
مَنْ لَمْ يَجِدْ طَوْلاً إِلَى السِّيَاسَةِ
أَحْسِنِ إِلَى العَالِمِ يَحْمَدُوكَا
فَعَدْلُ سُلْطَانِ الوَرَى يَقِيهِ
لَا تَسْتَعِنِ بِأَصْغَرِ العُمَالِ
فَمَنْ عَدَا وَزِيرُهُ فَمَا عَدَلُ
شَرُّ الأَنْبَامِ نَاصِرُ المَظْلُومِ
الظُّلْمُ حَقّاً سَالِبٌ لِلنَّعَمِ
ظُلْمُ الضَّعِيفِ يَابَسِي لَوْمِ
وَقِيلَ إِنَّ صُحْبَةَ الأَشْرَارِ
يَجْنِي الرَّدَى مَنْ يَغْرِسَ العِدْوَانَا
أَقْرَبُ شَيْءٍ صَرَغَةُ المَظْلُومِ
نِعْمَ شَفِيعُ المَذْنِبِ اعْتِذَارُهُ
حُذِّ الأُمُورَ كُلَّهَا بِالجَدِّ

خَيْرُ دَلِيلِ الْمَرْءِ الْأَمَانَةُ
 مَنْ ائْتَمَطَى أَمْرًا بِلا تَدْمِيرِ
 مَنْ صَانَ أُخْرَاهُ بِدُنْيَاهُ سَلِمَ
 مَنْ أَحْرَعَ الطَّعَامَ وَالْمَنَامَا
 مَنْ أَكْثَرَ الْمِرْزَاحَ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ
 مَنْ سَأَلَ النَّاسَ جَنَى السَّلَامَةِ
 مَنْ نَامَ عَنِ نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ
 مَنْ اهْتَدَى بِالْحَقِّ حَيْثُمَا ذَهَبَ
 مَنْ رَفَضَ الدُّنْيَا أَتَتْهُ الْآخِرَةُ
 وَقِيلَ مَنْ قَلَّتْ لَهُ فَضَائِلُهُ
 وَمَنْ تَرَاهُ أَحْكَمَ التَّجَارِبَا
 مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ بِنَوْعِ الْمَكْرِ
 مَنْ لَا تُطِيقُ حَرْبَهُ فَسَالِمِ
 مَنْ لَمْ يُبَالِ كَانَتْ الدُّنْيَا لِمَنْ
 مَنْ بَانَ عَنْهُ فَرَعُهُ وَأَصْلُهُ
 مَنْ غَلَبَ الشَّهْوَةَ فَهُوَ عَاقِلٌ
 مَنْ ظَلَّ يَوْمًا كَاتِمًا لِسِرِّهِ
 خَيْرُ زَمَانِكَ الَّذِي سَلِمْتَا
 خَيْرُ النَّدَى وَأَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ
 لَا تَثْبُتُ النِّعْمَاءُ بِالْجُحُودِ
 مَنْ غَلَبَتْهُ شَهْوَةُ الطَّعَامِ
 تَعْصَى الْإِلَهَ وَتُطِيعُ الشَّهْوَةَ
 مِنْ هَمُّهُ أَمْعَاؤُهُ وَفَرْجُهُ
 أَجْمَلُ شَيْءٍ بِالْغِنَى الْقِنَاعَةَ

بَيْنَ الْوَرَى وَتَرَكُهُ الْخِيَانَةَ
 صَيَّرَهُ الْجَهْلُ إِلَى تَدْمِيرِ
 وَمَنْ وَقَى دُنْيَاهُ بِالدِّينِ نَدِمَ
 لَدَّ وَطَابَ سَالِمًا مَا دَامَا
 وَمَنْ جَنَى الْوَقَارَ عَزَّتْ قِيَمَتُهُ
 وَمَنْ تَعَدَّى أَحْرَزَ النَّدَامَةَ
 نَبَّهَهُ الْعُدْوَانُ مِنْ أَعْدَائِهِ
 مَالَ إِلَيْهِ الْخَلْقُ طَرًّا وَغَلَبَ
 فِي حُلَّةٍ مِنَ الْأَمَانِ فَاجِرَةُ
 فَقَدْ ضَعُفَتْ بَيْنَ الْوَرَى وَسَائِلُهُ
 فَازَ بِهَا وَحَمِدَ الْعَوَاقِبَا
 كَفَاهُ كُلُّ مِنْهُمُ بِالْعَدْرِ
 تَعِشْ قَرِيرَ الْعَيْنِ غَيْرَ نَادِمِ
 فَهُوَ عَظِيمُ الْقَدْرِ سِرًّا وَعَلَنُ
 أَوْشَكَ أَنْ يَنْعَاهُ حَقًّا أَهْلُهُ
 وَمَنْ دَعَتْهُ فَاجَبَ جَاهِلُ
 أَصْبَحَ مِنْهُ حَامِدًا لِأَمْرِهِ
 مِنْ شَرِّهِ لُطْفًا وَمَا اقْتَرَفْتَا
 فِيمَا يُرَى إِغَاثُهُ الْمَلْهُوفِ
 وَالشُّكْرُ حَقًّا ثَمَنُ الْمَزِيدِ
 سَلَّ عَلَيْهِ صَارِمُ الْأَسْقَامِ
 هَذَا دَلِيلُ قَاطِعٍ بِالْقَسْوَةِ
 وَتَاهَ فِي شَهْوَتِهِ لَا تَرْجُهُ
 فُعْدَهَا مِنْ أَشْرَفِ الْبِضَاعَةِ

فاعْمَلْ بِمَا عَلِمْتَهُ وَلَا تَدْعُ
 مَنْزِلَةَ الْأَخْيَارِ وَالْكَرَامِ
 كَسْبُ الْحَلَالِ لِذَوِي الْعِيَالِ
 وَلَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ
 وَسِنَّةُ اللِّئَامِ فِي الْجُحُودِ
 وَلَا تَبْنِ كِبْرًا وَسُدَّ بَابَهُ
 وَلَا لِذِي كِبَرٍ صَدِيقٌ فَافْهَمِ
 وَالْيَأْسُ مِنْهُ أَحَدُ التُّجَحُّيْنِ
 فَافْهَمِ فِيهِهِ الْعِزُّ حَقًّا وَالْعُلَا
 ثُمَّ يُؤُولُ بِجَنَى الْحُسْرَانِ
 فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى اسْنَى الرُّتَبِ
 كَمَا رَوَيْنَاهُ كَنَقْشٍ فِي الْحَجَرِ
 أَدْرَكَهُ كَمِينُ آفَاتِ الزَّلَلِ
 اثْقَلُ مَا كَانَ عَلَى الْإِنْسَانِ
 وَضَلَّ أَيْضًا ثُمَّ دَامَتْ حَسْرَتُهُ
 لِأَنَّهُ مِنْ أَفْجِحِ الرِّذَائِلِ
 لَا تُطْلَقَنَّ الطَّرْفَ وَاللِّسَانَ
 لَا تَأْتِ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ
 فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْقِيَامَةِ
 وَالْكَبِيرَ وَالشُّحَّ فَبِتَّ بَتًّا
 فَاشْكُرْ مُثَابًا مَنْ كَفَى أُمَثَالَهَا
 فَلَا تُقْلُ سُوءًا يُعْوَدُ فَرَضًا
 لَا تَنْظُرَنَّ لِلرُّبَى اسْتِصْغَارًا
 لِذَوِيهِ فِي السِّنِّ شَاءَ أَوْ أَبَى

وَهِيَ تَسُوقٌ قَاصِدِيهَا لِلرَّوْعِ
 وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي يَدِي الْأَنْامِ
 وَاعْلَمْ أَنَّ عَمَلَ الْأَبْطَالِ
 فَإِنَّكَ الْمَسْئُولُ عَنْهُمْ فَاجْتَهِدْ
 مِنْ عَادَةِ الْكَرَامِ بَدَلُ الْجُودِ
 لَا تَذُنْ مِمَّنْ يَذُنُ بِالْخِلَابَةِ
 لَا رَأْيَ لِلْمُعْجَبِ تَيْهَاً فَاعْلَمْ
 الْمَطْلُ بُخْلٌ أَفْجِحُ الْمُطْلِينِ
 وَالْبُخْلُ ذَاءٌ وَدَاؤُهُ السَّخَا
 وَالْجِرْصُ دَاعِي الْخَلْقِ لِلْجِرْمَانِ
 مَارُثُ الْأَنْبَاءِ خَيْرًا مِنْ أَدَبِ
 لَا سِيمَا إِنْ كَانَ بَانَ فِي الصِّغْرِ
 مَنْ امْتَطَى جَوَادَ رَيْعَانِ الْعَجَلِ
 مَنْ كَانَ ذَا عَجْزٍ عَنِ الْإِحْسَانِ
 مَنْ رَكِبَ الْجَهْلَ كَتَبَ مَطِيئُهُ
 وَصَارَ أَيْضًا عِبْرَةً لِلْعَاقِلِ
 إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَرْتَجِي الْجِنَانَا
 أَوْ رُمْتَ تَجْنِي زَهْرَ خَيْرِي أَمْرًا
 أَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يَرْتَجِي السَّلَامَةَ
 فَلَا تُقْلُ هُجْرًا وَإِنْ غَضِبْتَا
 إِنْ فَوَّقْتَ مَصَائِبُ نِبَالَهَا
 وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَصُونَ عَرِضًا
 إِنْ كُنْتَ تَحْتَارُ الْجِنَانَ دَارًا
 زَكُنْ أَخَا لِلْكَهْلِ مِنْهُمْ وَأَبَا

وِإِنَّا لَشَيْخٌ قَدْ تَعَشَّاهُ الْكِبَرَا
 آوِي الْيَتِيمِ وَإِرْحَمِ الضَّعِيفَا
 وَالنِّبَاءِ هُنَّ كَالْعَوَانِي
 وَاعْمَلْ بِمَا فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ
 وَصِلْ ذَوَاتِ الرَّحِمِ لِسَائِلَةَ
 وَالْجَارِ أَكْرَمُهُ فَقَدْ وَصَّانَا
 وَاحْذَرْ بَنِي غِيَّةِ الْأَنَامِ
 وَالْهَمَزَ وَاللَّمَزَ مَعَ النَّيْمَةَ
 شَرُّ الْأُمُورِ الْعُجْبُ فَاجْتَنِبْهُ
 فَالْكِبَرُ دَاءٌ قَاتِلُ الرَّجَالِ
 لَا دَاءَ أَدْوَى مَرَضًا مِنَ الْحُمُقِ
 وَالْحَقْدُ دَاءٌ لِلْقُلُوبِ، وَالْحَسَدُ
 وَالْبَغْيُ صَاحٍ يَصْرَعُ الرَّجَالَ
 وَالْمَنُّ أَيْضًا يَهْدُمُ الصَّيِّعَةَ
 رَبُّ غَرَامٍ جَلَبَتْهُ لَحْظَتُهُ
 وَرُبُّ مَأْمُولٍ تَرَى مِنْهُ الضَّرَرَ
 وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّ خُلْفَ الْوَعْدِ
 لَا حَذَرَ مِنْ قَدَرٍ بَدَافِعِ
 وَقِيلَ مَا أَضْمَرْتَ بِالْجَنَانِ
 لَا تُطِلِ الشُّكُورَى فِيهِ التَّلْفُ
 لَا يُفْسِدُ دِينَ الْوَرَى إِلَّا الطَّمَعُ
 لَا تَحْمِلَنَّكَ كَثْرَةُ الْإِنْعَامِ
 وَلَا تَقُلْ سُوءًا تَرُلُ الْقَدَمَا
 لَا تَقْرَبَنَّ مِنْ وَدَائِعِ الْبَرِيَّةِ

وفاق بالنفوسِ عن قوسِ العدا
 وارفق بمملوكين أن تحيفا
 فاجنح إلى الخيرات غير واني
 من الوصايا العرِّ بجمد راء
 عن قطعها يوم القلوب ذاهلة
 به النبي المصطفى مولانا
 لفضاً وتعريضاً مدى الأيام
 فإنها ذخائر ذميمة
 والبخل ما حيتت صد عنه
 دواؤه تواضع الأبطال
 ولا دواء مثل تحسين الخلق
 رأس العيوب فاجتنبه واقتصد
 ويقتصر الأعمار والآجال
 مطيئة الطعام والرعاغ
 ورب حرب أججته لفظه
 ورب محذور يسر من حذر
 في أكثر الأمثال خلبق الوغد
 ولا أسي من فائت بنافع
 يظهر في الوجه وفي اللسان
 والشكر لله الغني شرف
 حقاً ولا يصلحه إلا الورع
 على ارتكاب سيء الآثم
 وتورث الطعن وتبدي الندما
 ولا الوكالات ولا الوصييه

فَأِنَّهُنَّ سَبَبُ الْبَلَايَا
لَا تَشْتَعِلُ إِذَا حُبِيتَ النِّعَمَا
لَا تَتَّبِعُ مَسَاوِيءَ الْإِخْوَانِ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ يَحْقِرُ الضَّعِيفَا
لَا تَسْتَقِلَّ الْخَيْرَ فَالْجِرْمَانُ
لَا تَجْزِعَنَّ فَقَدْ حَى الْمَقْدُورُ
لَا تَتَخَطَّى فُرْصَ الزَّمَانِ
أَنْفَاسَكُمْ خُطَاكُمْ إِلَى الْأَجَلِ
أَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ أَعْلَى الرَّتَبِ
الْوَالِدُ الْبِرُّ يَزِيدُ فِي الشَّرَفِ
الرِّفْقُ يُذْنِبِي الْمَرْءَ لِلصَّلَاحِ
إِسَاءَةُ الْمُحْسِنِ مَنَعُ الْبِرِّ
تَنَاسَى مِنْ إِخْوَانِكَ الْمَسَاوِيَا
وَأَوْلَهُمْ مِنْ فِعْلِكَ الْجَمِيلَا
وَكُلُّ مَنْ أَبَدَى إِلَيْكَ الْفَاقَةَ
بَسَدُ الْوُجُوهِ أَحَدُ الْبَدَلَيْنِ
وَإِنْ خَفَضْتَ الصَّوْتَ مَا اسْتَطَعْتَا
لِلَّهِ فِي كُلِّ بَلَاءٍ نِعْمَةٌ
تَمْحِصُ ذَنْبٌ وَثَوَابٌ إِنْ صَبَرَ
وَتَوْبَةٌ يُحْدِثُهَا وَصَدَقَةٌ
وَفِي قَضَاءِ اللَّهِ ثُمَّ فِي الْقَدْرِ
أَعْمَارُكُمْ صَحَائِفُ الْأَجَالِ
عَلَيْكَ بِالصَّدْقِ وَلَوْ أَضْرَكََا
صَبْرُ الْفَتَى عَلَى الْيَمِّ كَسْبُهُ

وَمَعْدِنُ الْآفَاتِ وَالرِّزَايَا
بِسُكْرِهَا عَنْ شُكْرِهَا فَتَنْدَمَا
رَغِي الذُّبَابِ فَاسِدَ الْأَبْدَانِ
كِبْرًا وَلَا مَنْ يَحْسُدُ الشَّرِيفَا
أَقْلُ مِنْهُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
بِكُلِّ مَا جَاءَتْ بِهِ الدُّهُورُ
إِنَّ التَّوَانِي سَبَبُ الْجِرْمَانِ
وَحَادِغُ الْأَعْمَالِ تَقْدِيمُ الْأَمَلِ
وَنَهْيُكَ الْمُنْكَرَ مِنْ أَقْوَى السَّبَبِ
وَالْوَالِدُ السُّوءُ يَشِينُ بِالسَّلْفِ
وَهُوَ لِقَاحُ سُرْعَةِ النَّجَاحِ
وَتُخْفَعَةُ الْمِسْيَةِ كَفَلُ الشَّرِّ
يَدُّ لَكَ الْوِدَادُ مِنْهُمْ صَافِيَا
وَدَعُ مَثَابًا قِيلُهُمْ وَالْقِيَالَا
صُنْ عَنِ مَحْيَاهُ الَّذِي أَرَاقَهُ
وَأَعْظَمُ الْهَمِّينِ هُمُ الدِّينِ
ثُمَّ غَضَّتِ الطَّرْفَ أَنْتَ أَنْتَا
لَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَدْمُمَهُ
وَيَقْظُهُ مِنْ غَفْلَةٍ لِمَنْ نَظَرَ
وَوَعْظُهُ هَدْيَةٌ مُوَفَّقَةٌ
مِنْ بَعْدِ هَذَا عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِ
فَجَلِّدُوهَا أَنْفَسَ الْأَعْمَالِ
وَلَا تُعَيِّرْ هَالِكًا فَتَهْلِكََا
أَسْهَلُ مِنْ حَاجَتِهِ لِصَحْبِهِ

فَالصَّبْرُ سَيْفٌ لَا يَكَادُ يَنْبُو
جَرْحُ الْيَدَيْنِ عِنْدَ أَهْلِ الْهَمَمِ
خَيْرٌ قَرِينِ الْمَرْءِ حُسْنُ الْخُلُقِ
الْحُرُّ عَبْدٌ مَا تَرَاهُ طَامِعًا
أَغْنَى الْغِنَى لِلْمَرْءِ حُسْنُ الْعَقْلِ
إِيَّاكَ أَنْ تَحْدَعَكَ الْأَمَانِي
وَاحْذَرْ لُزُومَ سَوْفٍ مَا اسْتَطَعْتَا
سَارِعٌ إِلَى الْخَيْرِ ثَلَاقٍ رَشَدًا
وَإِنْ صَحِبْتَ الْمَلِكَ الْمُعْظَمًا
وَانصَحْهُ وَالْوَرَى مَعًا بِالرِّفْقِ
آخِ الَّذِي يَسُدُّ مِنْكَ الْخَلَّةَ
وَمَنْ أَقَالَ عَثْرَةً وَمَنْ رَفَقَ
فَهُوَ الَّذِي قَدْ تَمَّ عَقْلًا وَكَمَلُ
فَاشْدُدْ يَدَيْكَ يَا بَنِي
إِيَّاكَ إِنْ تَهْمَلِ طَرْفَ الطَّرْفِ
إِذَا تُسِيءُ إِلَى أَخِيكَ فَاعْتَذِرْ
فَالْعُذْرُ يَقْضِي بِكَمَالِ الْعَقْلِ
وَجَانِبِ الْخَلْقِ بغيرِ مَقْتِ
إِذَا التَّوْبُ مَكَارِهِ فَنَمَ لَهَا
عَسَى الَّذِي أَصْبَحَتْ فِيهِ مِنْ حَرَجِ
هَذَا الَّذِي جَادَتْ بِهِ الْقَرِيحَةُ
وَإِنْ رَأَتْ عَيْنَاكَ عَيْنًا صُنْهُ
فَتَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى عَفْوًا
وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى

وَالْقَنَعُ نَجْمٌ لَا تَرَاهُ يَحْبُو
أَهْوَنُ مِنْ جُرْحِ اللِّسَانِ فَافْهَمِ
يُذْنِي الْفَتَى مِنْ كُلِّ أَمْرِ صَائِبِ
وَالْعَبْدُ حُرٌّ مَا تَرَاهُ قَانِعًا
وَالْفَقْرُ كُلُّ ذُلِّ الْجَهْلِ
فِيئَهَا قَاتِلَةُ الْإِنْسَانِ
فِيئَهُ سَيْفٌ عَسَى وَحَتَّى
وَكُنْ مِنَ الشَّرِّ أَشَدَّ بُعْدًا
فَاحْذَرْ رُجُوعَ الشَّهْدِ مِنْهُ عَلَقَمًا
وَالْبَسْ لَهُمْ دُرْعِي ثَقَى وَصِدْقِ
وَيَسْتُرُ الزَّلَّةَ بَعْدَ الزَّلَّةِ
وَكَظَمَ الْعَيْظَ إِذَا اشْتَدَّ الْخُنُقُ
وَمَنْ إِذَا قَالَ مَقَالًا قَدْ فَعَلَ
تُحْظُ بِعِزِّ دَائِمٍ سِنِي
فِيئَهُ يَسْمُو لِكُلِّ حَتْفِ
وَإِنْ أَسَاءَ يَا بَنِي فَاعْتَفِرْ
وَالْعَفْوُ بُرْهَانٌ لِكُلِّ فَضْلِ
وَالْبَسْ لَهُمْ ياصَاحِ دِرْعِ الصَّمْتِ
وَقُلْ عَسَاهَا تُنْجِلِي وَعَلَّهَا
يُعْقِبُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْفَرَجِ
فَاحْذَرْ عَلَيْهِ وَأَقْبَلِ النَّصِيحَةَ
فَتَفْضُلًا مِنْكَ وَصُدَّ عَنْهُ
يَتْبَعُهُ فِي كُلِّ عُسْرٍ يُسْرًا
مَا صَدَّحَتْ قَمْرِيَّةٌ عَلَى الذُّرَا

والآل والأزواج والأصحابِ والتابعين من أولي الأبَابِ
آخر : «إنتهى»

عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَا يُؤَدِّي وَمَا تَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ وَشَيْكَأً
فَلَيْسَ تَنَالُ عَفْوَ اللَّهِ إِلَّا
وَبِرِّ الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ رَفِيقٍ وَإِنْ تَشُدُّ يَدًا بِالْخَيْرِ تُفْلِحْ
إِلَى سُنَنِ السَّلَامَةِ وَالْحَلَاصِ
وَفَوْزاً يَوْمَ يُؤَخَذُ بِالنَّوَاصِي
بِتَطْهِيرِ النَّفُوسِ مِنَ الْمَعَاصِي
وَتُصْحِحِ لِلأَدَانِي وَالْأَقْصَايِ
وَإِنْ تَعْدِلْ فَمَا لَكَ مِنْ مَنَاصِرِ

اللَّهُمَّ تَبَّتْ وَقَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، اللَّهُمَّ عَامِلِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَآمِنُنَّ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ
وَإِحْسَانِكَ وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَادْخُلْنَا بِفَضْلِكَ
وَكَرَمِكَ وَجُودِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَاجْعَلْنَا مَعَ عِبَادِكَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَارِ رِضْوَانِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: أخرج أبو الشيخ بن حبان في كتاب الوصايا والحاكم في
مستدرکه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم كلاهما عن عطاء الخرساني .

قال حَدَّثَنِي ابْنَةُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ أَنَّ ثَابِتًا قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَعَلَيْهِ
دِرْعٌ لَهُ نَفَيْسَةٌ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَخَذَهَا، فَبَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ ثَابِتٌ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ أُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلْمٌ
فَتَضِيْعَهُ .

إِنِّي لَمَّا قُتِلْتُ أُمْسِرُ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَخَذَ دِرْعِي وَمَنْزِلُهُ فِي
أَفْصَى النَّاسِ وَعِنْدَ خِبَائِهِ فَرَسُنُ يَسْتُنُّ فِي طَوْلِهِ، وَقَدْ كَفَأَ عَلَى الدَّرْعِ بُرْمَةٌ
وَفَوْقَ الْبُرْمَةِ رَحْلٌ فَأَتَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَمَرُّهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى دِرْعِي فَيَأْخُذَهَا .

وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقل له إن علي من الدين كذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته، قال ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس .. إنتهى .

شِعْرًا: تَبَارَكَ ذُو الْعُلَا وَالْكَبِيرِيَاءِ تَفَرَّدَ بِالْجَلَالِ وَبِالْبَقَاءِ
 وَسَوَى الْمَوْتِ بَيْنَ الْخَلْقِ طُرًّا وَكُلُّهُمْ رَهَائِنٌ لِلْفَنَاءِ
 وَذُنْيَانَا - وَإِنْ مَلْنَا إِلَيْهَا وَطَالَ بِهَا الْمَتَاعُ - إِلَى انْقِضَاءِ
 أَلَا إِنَّ الرُّكُونَ عَلَى غُرُورٍ إِلَى دَارِ الْفَنَاءِ مِنَ الْفَنَاءِ
 وَقَاطِنُهَا سَرِيعُ الظَّنِّ عَنْهَا وَإِنْ كَانَ الْحَرِيسَ عَلَى الثَّوَاءِ

اللَّهُمَّ اللَّهُمَّا ذَكَرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ لَامِثَالِ أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« وَصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ نَافِعَةٌ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا »

وَصِيَّةُ الْإِمَامِ الْعَزَالِيِّ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ، فَقَالَ: وَإِنِّي أَوْصِي هَذَا الْأَخَ أَنْ
 يَصْرِفَ إِلَى الْآخِرَةِ هِمَّتَهُ وَأَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُحَاسِبَ وَيُرَاقِبَ سَرِيرَتَهُ
 وَعَلَانِيَتَهُ وَقَصْدَهُ، وَهِمَّتَهُ، وَأَفْعَالَهُ، وَأَقْوَالَهُ، وَإِصْدَارَهُ، وَإِيرَادَهُ، أَهْيَ
 مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا يَقْرُبُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيُوصِلُهُ إِلَى سَعَادَةِ الْأَبَدِ، أَوْ مَنْصَرِفَةٌ إِلَى مَا
 يَعْمُرُ دُنْيَاهُ وَيُصْلِحُهَا لَهُ إِصْلَاحًا مُنْعَصًا، مَشُوبًا بِالْكُدُورَاتِ، مَشْحُونًا
 بِالْغُمُومِ وَالْهُمُومِ، ثُمَّ يَحْتَمُّهَا بِالشَّقَاوَةِ وَالْعِيَاذِ بِاللَّهِ؟

فَلْيُفْتَحْ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ وَلْيَنْظُرْ نَفْسًا مَا قَدَّمَتْ لِعَدِّهِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ لَا نَاطِرَ لِنَفْسِهِ
 وَلَا مُشْفِقَ سِوَاهُ .

وليتدبر ما كان بصددِهِ؛ فإن كان مشغولاً بِعِمارة ضِيعَة فَلْيَنْظُرْ: كَمَ مِنْ قَرِيَة أَهْلَكَهَا اللهُ تَعَالَى وَهِيَ ظالِمَة، فَهِيَ خاوية على عروشها بَعْدَ إِعْمالِها؟
وَإِنْ كان مُقْبِلاً على اسْتِخْراجِ ماء، وَعِمارة نَهْرٍ؛ فَلْيَنْظُرْ: كَمَ مِنْ بَعْرِ مُعْطَلَة وَقَصْرِ مَشِيدٍ بَعْدَ عِمارةِهما؟

وَإِنْ كان مَهْتَمًّا بِتَأْسِيسِ بِناءٍ؛ فَلْيَتَأَمَّلْ: كَمَ مِنْ قِصُورِ مُشِيدَة البُنْيَانِ مُحْكَمَة القواعد والأركان، أَظْلَمَتْ بَعْدَ سَكَّانِها؟

وَإِنْ كان مَهْتَمًّا بِعِمارة الحِداثِ والسبائِنِ زِ فليعتبر: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ﴾ [٤٤] سورة الدخان، الآيات: ٢٥-٢٧]، وليقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ [٢٦] سورة الشعراء، الآيات: ٢٠٥-٢٠٧].

وَإِنْ كان مَشْغُوفًا - والعِيادُ بالله - بِخِدمة سُلْطان، فَلْيَتَذَكَّرْ ما وَرَدَ في الخَبَرِ أَنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ القِيامَةِ: أَيْنَ الظَّلْمَةُ وَأَعوانُها؟ فلا يَبْقَى أَحَدٌ مَدَّ لَهامْ دِواءَ أو بَرى لَها فَمَما فِوقِ ذلكِ إِلَّا حَضَرَ، فَيُجْمَعُونَ في تابوتٍ مِنْ نارٍ، فَيَلْقَوْنَ في جَهَنَّمَ.

وعلى الجملة، فالناس كلهم إلا من عصم الله نسوا الله فنسيهم، وأعرضوا عن التزود للآخرة، وأقبلوا على طلب أمرين: الجاه والمال، فإن كان هو في طلب جاه ورياسة، فليتذكر ما ورد به الخبر: أن الأمراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صورة الذر تحت أقدام الناس يطؤونهم بأقدامهم، وليقرأ ما قال تعالى في كل متكبر جبار.

وقد قال ﷺ: «يُكْتَبُ الرَّجُلُ جَبَّارًا وَمَا يَمْلِكُ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِهِ» أي: إذا طلب الرياسة بينهم، وتكبر عليهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَا ذُبَّانِ

ضَارِيَانِ أُرْسِلَا فِي زَرِيْبَةِ غَنَمٍ بِأَكْثَرِ فَسَادًا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ فِي دِيْنِ الرَّجُلِ
الْمُسْلِمِ» .

وإن كان في طلب المال وجمعه فليتمل قول عيسى عليه السلام: يا معشر
الحواريين، الغنى مسرة في الدنيا، مضرّة في الآخرة، بحق أقول لكم:
لا يدخل الأغنياء ملكوت السماء.

وقد قال نبينا ﷺ: يُحْشَرُ الْأَغْنِيَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعِ فِرْقٍ: رَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، وَأَنْفَقَهُ فِي حَرَامٍ، فَيُقَالُ: أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، وَأَنْفَقَهُ فِي حَلَالٍ فَيُقَالُ: أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ، وَأَنْفَقَهُ فِي حَرَامٍ، فَيُقَالُ: أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ، وَأَنْفَقَهُ فِي حَلَالٍ، فَيُقَالُ: قَفُوا هَذَا، وَاسْأَلُوهُ؛ لَعَلَّهُ ضَيَّعَ بِسَبَبِ غِنَاهُ فِيمَا فَرَضْنَا عَلَيْهِ، أَوْ قَصَرَ فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي وُضُوئِهَا، أَوْ رُكُوعِهَا، أَوْ سُجُودِهَا، أَوْ حُشُوعِهَا، أَوْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ فُرُوضِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ.

فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ بَاهَيْتَ، وَاخْتَلْتِ فِي شَيْءٍ مِنْ ثِيَابِكَ؟
فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَاهَيْتُ وَلَا اخْتَلْتُ فِي ثِيَابِي .
فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ فَرَطْتَ فِيمَا أَمَرْنَاكَ بِهِ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَحَقِّ الْجِيرَانِ
وَالْمَسَاكِينِ، وَقَصَرْتَ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ، وَالتَّفْصِيلِ وَالتَّعْدِيلِ؟
وَيُحِيطُ هَوْلَاءُ بِهِ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَغْنَيْتَهُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَأَخَوْجَتْنَا إِلَيْهِ،
فَقَصَرَ فِي حَقِّنَا.

شِعْرًا: فَإِنْ يَكُنِ الرَّحْمَنُ أَعْطَاكَ ثَرْوَةً
فَأَصْبَحْتَ ذَائِسِرٍ وَقَدْ كُنْتَ ذَاعُسِرٍ
يَزِدُّكَ وَتَأْمَنُ يَا أَحْيَى مِنَ الْفَقْرِ
لِمَنْ كَانَ ذَا فَقْرٍ قَرِيبٍ وَذِي عُسْرِ
ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابٌ
آخِرُ: ذَهَابُ الْمَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ

فإنَّ ظَهَرَ تَقْصِيرٌ ذُهِبَ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَإِلَّا قِيلَ لَهُ: قِفْ! هَاتِ الْآنَ شُكْرَ كُلِّ لُقْمَةٍ، وَكُلِّ شَرْبَةٍ، وَكُلِّ أَكْلَةٍ، وَكُلِّ لَذَّةٍ؛ فَلَا يَزَالُ يُسْأَلُ.

فَهَذَا حَالُ الْأَغْنِيَاءِ الصَّالِحِينَ الْمَصْلِحِينَ الْقَائِمِينَ بِحَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى، أَنْ يَطُولَ وَقُوفُهُمْ فِي الْعَرَصَاتِ، فَكَيْفَ حَالُ الْمُفْرَطِينَ الْمُنْهَمِكِينَ فِي الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ، الْمُتَكَاثِرِينَ بِهِ، الْمُتَنَعِّمِينَ بِشَهَوَاتِهِمْ، الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [سورة التكاثر، الآية: ١].

فَهَذِهِ الْمَطَالِبُ الْفَاسِدَةُ هِيَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَى قُلُوبِ الْخَلْقِ، فَسَخَّرَتْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَجَعَلَتْهَا ضُحْكَةً لَهُ، فَعَلِيهِ وَعَلَى كُلِّ مُسْتَمِرٍّ فِي عِدَاوَةِ نَفْسِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ عِلَاجَ هَذَا الْمَرَضِ الَّذِي حَلَّ بِالْقُلُوبِ.

فَعِلَاجُ مَرَضِ الْقُلُوبِ أَهَمُّ مِنْ عِلَاجِ مَرَضِ الْأَبْدَانِ، وَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. وَلَهُ دَوَاءَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَلَازِمَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَطُولِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، مَعَ الْإِعْتِبَارِ بِخَاتِمَةِ الْمُلُوكِ وَأَرْبَابِ الدُّنْيَا، كَيْفَ أَتَهُمْ جَمَعُوا كَثِيرًا، وَبَنَوْا قُصُورًا، وَفَرَحُوا بِالدُّنْيَا بَطْرًا أَوْ غُرُورًا فَصَارَتْ قُصُورُهُمْ قُبُورًا، وَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ هَبَاءً مَنْثُورًا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٨]، ﴿أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ..﴾ [الآية: ٣٢ سورة السجدة، الآية: ٢٦].

فَقُصُورُهُمْ وَأَمْلَاكُهُمْ وَمَسَاكِينُهُمْ صَوَامَتْ نَاطِقَةً، تَشْهَدُ بِلِسَانِ حَالِهَا عَلَى غُرُورِ عُمَّالِهَا، فَانظُرِ الْآنَ فِي جَمِيعِهِمْ: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [سورة مريم، الآية: ٩٨].

شِعْرًا: إِنَّ الَّذِينَ بَنَوْا فَطَالَ بِنَاؤُهُمْ وَاسْتَمْتَعُوا بِالْمَالِ وَالْأَوْلَادِ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

قال بعضهم:

حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى نَتَوَانَا
والموتُ يَطْلُبُنَا حَتِيثًا مُسْرِعًا
وَأُظُنُّ هَذَا كُلَّهُ نِسْيَانَا
وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَلِكَ سِوَانَا
غَلَبَ الْيَقِينُ عَلَى التَّشَكُّكِ فِي الرَّدَى
يَأْمَنُ يَصِيرُ غَدًا إِلَى دَارِ الْبَلَى
حَتَّى كَانَا قَدْ نَرَاهُ عِيَانَا
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ إِنْ عَقَلْتَ مَكَانَا
إِنَّ الْأَمَاكِينَ فِي الْمَعَادِ عَزِيْزَةٌ

الدواء الثاني: تدبّر كتاب الله، ففيه شفاء ورحمة للمؤمنين.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بملازمة هذين الواعظين بقوله: «فقد تركت فيكم واعظين: صامتا وناطقا؛ الصامت الموت، والناطق القرآن».

وقد أصبح أكثر الناس أمواتا عن كتاب الله تعالى، وإن كانوا أحياء في معاشهم، وبكما عن كتاب الله، وإن كانوا يتلونهم بألسنتهم؛ وصمّا عن سماعه، وإن كانوا يسمعونهم بأذانهم؛ وعميا عن عجائبه، وإن كانوا ينظرزن إليه في صحائفهم؛ وأميين في أسرارهم، ومعانيه، وإن كانوا يشرحونه في تفاسيرهم.

فاحذر أن تكون منهم، وتدبر أمرك، من لم يتدبر كيف يقوم ويحشر؟

وانظر في أمرك وأمر من لم ينظر في نفسه، كيف خاب عند الموت وخسر؟ واتعظ بآية واحدة من كتاب الله تعالى، ففيها مقنع وبلاغ لكل ذي بصيرة؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ الآية [٩ سورة المنافقين، الآية: ٦٣] إلى آخرها. وإياك ثم إياك، أن تشتغل بجمع المال فإن فرحك به ينسيك عن ذكر الآخرة وينزع حلاوة الإيمان من قلبك.

شِعْرًا: أَنْطَمَعُ أَنْ تُخَلِّدَ لَا أَبَالِكَ أَمِنْتُ مِنَ الْمَيِّتَةِ أَنْ تَنَالَكَ

فُكُنْ مُتَوَقِّعاً لِهَاجُومِ مَوْتٍ يُشْتَتُّ بَعْدَ جَمْعِهِمْ عِيَالُكَ
كَأَنِّي بِالثَّرَابِ عَلَيَّكَ يُحْتَى وَبِالْبَاكِينَ يَقْتَسِمُونَ مَالُكَ
آخِر: أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

قال عيسى عليه وعلى نبينا صلوات الله وسلامه لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإنَّ بَرِيقَ أموالهم يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ إِيْمَانِكُمْ وهذا ثمرته بمجرد النظر فكيف عاقبة الجَمْعِ والطَّغْيَانِ والبَطْرِ إنتهت الوصية .

شِعْرًا: إِذْ كُرِّئِي الْمَوْتَ لَدَى النَّوْمِ وَلَا تَغْفُلِي عَنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ الْهَيْبِ
وَإِذْ كُرِّئِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا مُؤْنِسَ فِيهَا سِوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ
قَدَّمِي الْخَيْرَ إِحْتِسَابًا فَكَفَى بَعْضُ مَا قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
رَاعِنِي فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا لَا أَرَاغُ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ الْمَشِيبِ
جَنَّ جَنَابِي إِلَى بُرْدِ الثَّرَى حَيْثُ أُنْسَى مِنْ عَدُوٍّ وَصَدِيقِ
وَكَمَ ذِي مَعَاصِي نَالَ مِنْهُنَّ لِدَّةً وَمَاتَ وَحَلَاهَا وَذَاقَ الدَّوَاهِيَا
تَصَرَّمْ لَذَاتِ الْمَعَاصِي وَتُنْقِضِي وَتَبْقَى تِبَاعَاتِ الْمَعَاصِي كَمَا هِيََا
فَوَاسَأْنَا وَاللَّهِ رَاءِ وَسَامِعُ لِعَبْدٍ بَعَيْنِ اللَّهِ يَغِشِي الْمَعَاصِيَا

والله أعلم وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

«فَصَلِّ»: وَلَمَّا نَزَلَ الْمَوْتُ بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
أَخْرَجُوا فِرَاشِي إِلَى صَحْنِ الدَّارِ فَأَخْرَجَ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي احْتَسِبُ نَفْسِي عِنْدَكَ
فَإِنِّي لَمْ أُصَبْ بِمِثْلِهَا؛ وَمِنْ أَخْلَافِهِمْ قَلَّةُ الضَّحِكِ وَعَدَمُ الْفَرَجِ بِشَيْءٍ مِنْ
الدُّنْيَا بَلْ كَانُوا يَنْقَبِضُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ حَصَلَ لَهُمْ مِنْ مَلَاسِيهَا وَمَرَآكِهَا
وَمَنَاكِحِهَا وَمَنَاصِبِهَا عَكْسُ مَا عَلَيْهِ أُنْبَاءُ الدُّنْيَا الْعَاشِقُونَ لَهَا كُلُّ ذَلِكَ خَوْفًا
أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ عُجِّلَ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَيْفَ يَفْرَحُ بِشَيْءٍ سِوَى
فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ مَنْ هُوَ فِي السَّحْنِ مَحْبُوسٌ عَنْ لِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

شِعْرًا: لَعَمْرِي مَا الرَّزِيَّةُ فَقَدْ قَصُرَ فَنَسِيحٌ مُنِيَّةٌ لِلسَّاكِنِينَ
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقَدْ دِينَ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِينَ

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ
مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ
وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصَّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَجِبْتُ مِنْ ضَاحِكٍ وَمِنْ وَرَائِهِ النَّارُ وَمِنْ مَسْرُورٍ
وَمِنْ وَرَائِهِ الْمَوْتُ.

وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ عَوْفٍ بِعَشَائِهِ
وَهُوَ صَائِمٌ فَقَرَأَ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ فَلَمْ
يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى رُفِعَ طَعَامُهُ وَمَا تَعَشَّى وَإِنَّهُ لَصَائِمٌ خَرَجَهُ الْجَوْزُ جَائِيًا . وَقَالَ
الْحَسَنُ مَا ظَنُّكَ بِاقْوَامِ قَامُوا لِلَّهِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ مَقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ يَأْكُلُوا
فِيهَا أَكْلَةً وَلَمْ يَشْرَبُوا فِيهَا شَرْبَةً حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أَعْنَاقَهُمْ عَطَشًا وَاحْتَرَقَتْ
أَجْوَاهَهُمْ جَوْعًا صَرَفَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَسَقُوا مِنْ عَيْنِ آيَةٍ قَدْ آتَى حُرْمًا وَاشْتَدَّ
نَضِجُهَا .

شِعْرًا: وَمَا عِظَمَ الْمُصَابِ فِرَاقِ أَهْلِ
وَلَا مَوْتِ الْعَرِيبِ بَعِيدِ دَارٍ
وَلَا وَلَدٍ وَلَا جَارٍ شَفِيقِ
عَنِ الْأَوْطَانِ فِي الْبَلَدِ السَّحِيقِ
وَلَكِنَّ الْمُصِيبَةَ فَقَدْ دِينَ
يَنَالُ بِفَقْدِهِ سُكْنَى الْحَرِيقِ

وَرُوِيَ أَنَّ الْحَسَنَ أَمْسَى صَائِمًا فَأُتِيَ بِعَشَائِهِ فَعَرَضَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّ
لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ فَقَلَصَتْ يَدُهُ وَقَالَ ارْفَعُوهُ
فَأَصْبَحَ صَائِمًا .

فَلَمَّا أَمْسَى أُتِيَ بِأَفْطَارِهِ عَرَضَتْ لَهُ الْآيَةُ فَقَالَ ارْفَعُوهُ فَقُلْنَا يَا أَبَا سَعِيدٍ
تَهْلِكُ وَتَضَعُفُ فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ صَائِمًا فَذَهَبَ ابْنُهُ إِلَى يَحْيَى الْبَكَّاءِ وَثَابَتِ

الْبُنَائِي وَيَزِيدُ الضَّبِّي، فَقَالَ أَدْرِكُوا أَبِي فَإِنَّهُ هَالِكٌ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى سَقَوْهُ شَرْبَةَ مَاءٍ مِنْ سَوِيقٍ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ يُنْعَصُ عَلَيْهِمْ ذِكْرُ طَعَامِ أَهْلِ النَّارِ وَشَرَابِهِمْ طَعَامَ الدُّنْيَا فَيَمْتَنِعُوا مِنْ تَنَاوُلِهِ أحياناً لِذَلِكَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ حَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ وَقَرَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيْقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى غَلَبَهُ الْبُكَاءُ وَعَلَا نَسِيجُهُ فَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ .

وَقَالَ سِرَارُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: عَاتَبْتُ عَطَاءَ السُّلَمِي فِي كَثْرَةِ بُكَائِهِ فَقَالَ لِي يَا سِرَارُ كَيْفَ تُعَاتِبُنِي فِي شَيْءٍ لَيْسَ هُوَ إِلَيَّ إِنِّي إِذَا ذَكَرْتُ أَهْلَ النَّارِ وَمَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِقَابِهِ تَمَثَّلْتُ لِي نَفْسِي بِهِمْ فَكَيْفَ لِنَفْسِي تُعَلُّ يَدَاهَا إِلَى عُقُوبَتِهَا وَتُسْحَبُ إِلَى النَّارِ أَنْ لَا تَبْكِي وَلَا تَصِيحُ وَكَيْفَ لِنَفْسِي تُعَذِّبُ أَنْ لَا تَبْكِي .

وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ كَانَ إِخْوَانُ مُطَرِّفٍ عِنْدَهُ فَحَاضُوا فِي ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَقَالَ مُطَرِّفٌ لَا أَدْرِي مَا تَقُولُونَ حَالَ ذِكْرِ النَّارِ بَيْنِي وَبَيْنَ الْجَنَّةِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْهَدَيْلِ لَقَدْ شَعَلَتِ النَّارُ مَنْ يَعْقِلُ عَنْ ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَعُوتِبَ يَزِيدُ الرَّقَاشِي عَلَى كَثْرَةِ بُكَائِهِ وَقِيلَ لَهُ لَوْ كَانَتْ النَّارُ خُلِقَتْ لَكَ مَا زِدْتَ عَلَى هَذَا، فَقَالَ وَهَلْ خُلِقَتْهُ إِلَّا لِي وَلِأَصْحَابِي وَلِإِخْوَانِنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ .

أَمَا تَقْرَأُ ﴿سَنَفِرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ ، أَمَا تَقْرَأُ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْهِمَا شَوَاطِئٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْصَبِرَانِ﴾ ، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ وَجَعَلَ يَجُولُ فِي الدَّارِ وَيَبْكِي حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ .

شِعْرًا: يَارَبِّ جُدُّ لِي إِذَا مَا ضَمَّنِي جَدَّتِي بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تُنَجِّنِي مِنَ النَّارِ

أَحْسِنَ جَوَارِي إِذَا أَمْسَيْتُ جَارَكَ فِي لَحْدٍ فَإِنَّكَ قَدْ أَوْصَيْتَ بِالْجَارِ
 اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوَ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَنُورِهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ
 وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى
 وَجْهِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمُ وَيَا كَرِيمُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَضْلٌ»: وَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ مَقَتْ أَنْفُسِهِمْ وَمُحَاسَبَتُهَا عَلَى الدَّفِيقِ
 وَالْجَلِيلِ، قَالَ مُطَرِّفٌ بِدُعَائِهِ فِي عَرَفَةَ اللَّهُمَّ لَا تُرَدِّهُمْ لِأَجْلِي، وَقَالَ بَكْرُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى أَهْلِ عَرَفَاتٍ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَدْ غَفِرَ لَهُمْ لَوْلَا أَنِّي
 كُنْتُ فِيهِمْ، وَقَالَ أَيُّوبُ السَّحْتَانِيُّ إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ كُنْتُ عَنْهُمْ بِمَعْرِلٍ .
 وَقَالَتْ أُمْرَأَةٌ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ يَا مَرَّائِي، فَقَالَ يَا هَذِهِ وَجَدْتِي إِسْمِي الَّذِي أَظَلُّهُ
 أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَقَالَ لَوْ قِيلَ لِيَخْرَجَ شَرٌّ مِنْ فِي الْمَسْجِدِ مَا سَبَقَنِي إِلَى الْبَابِ
 أَحَدٌ .

وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ مَا يَنَامُ إِلَّا أَوَّلَ اللَّيْلِ ثُمَّ يَنْتَفِضُ فَرِعَاً مَرْعُوباً يُنَاتِدِي
 النَّارَ النَّارَ شَعْلَنِي ذِكْرُ النَّارِ عَنِ النَّوْمِ وَالشَّهْوَاتِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيَقُولُ عَلَى أَثَرِ
 وَضُوئِهِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَالِمٌ بِحَاجَتِي غَيْرَ مُعَلَّمٍ وَمَا أَطْلُبُ إِلَّا فِكَكَ رَقَبَتِي مِنَ
 النَّارِ .

وَلَمَّا احْتَضَرَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْأَشْهَبِ وَحَمَادُ ابْنُ سَلَمَةَ
 فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ أَمِنْتَ مِمَّنْ كُنْتَ تَخَافُهُ وَتَقْدُمُ عَلَيَّ مَنْ تَرْجُوهُ
 وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَقَالَ يَا أَبَا سَلَمَةَ أَيُّطْمَعُ لِمِثْلِي أَنْ يَنْجُوَ مِنَ النَّارِ، فَقَالَ
 أَيُّ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ .

وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ كَثِيراً مَا يَتِمُّثَلُ :

أَظْرِيْفُ إِنَّ الْعَيْشَ كَدَّرَ صَفْوَهُ ذَكَرُ الْمَيْتَةِ وَالْقُبُورِ الْهُوْلُ
 دُنْيَا تَدَاوَلَهَا الْعِبَادُ ذَمِيمَةً شَيَّبَتْ بِأَكْرَهٍ مِنْ تَقْيِيعِ الْحَنْظَلِ
 وَبَنَاتُ دَهْرٍ لَا تَزَالُ مُلِمَّةً وَلَهَا فَجَائِعُ مِثْلُ وَقْعِ الْجَنْدَلِ
 وَجَاعَ مَرَّةً جُوعًا شَدِيدًا فَمَرَّ بِدَارٍ فِيهَا عُرْسٌ فَدَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ
 فَلَمْ يُطَوِّعْهَا وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ وَقَدَّمَتْ لَهُ بِنْتَهُ قُرْصًا فَأَكَلَهُ وَشَرِبَ مَاءً فَتَجَشَّى
 ثُمَّ قَالَ :

سَيَكْفِيكَ مِمَّا أُغْلِقُ الْبَابُ دُونَهُ وَظَنَّ بِهِ الْأَقْوَامُ مِلْحَ بَجْرَدُوقِ
 وَتَشْرَبُ مِنْ مَاءِ فُرَاتٍ وَتَعْتَذِي تُعَارِضُ أَصْحَابَ الشَّرِيدِ الْمَلْبِقِ
 تَجْتَنِّي إِذَا مَا هُمْ تَجَشَّوْا كَأَنَّمَا ظَلَلَتْ بِأَنْوَاعِ الْحَبِيصِ الْمُفْتَقِ
 آخِرُ : إِذَا مَا أَصْبْنَا كُلَّ يَوْمٍ مُذَيِّقَةً وَخَمَسَ ثُمَيْرَاتٍ صَعَارٍ كَوَائِرِ
 فَتَحْنُ مُلُوكَ الْأَرْضِ خَصْبًا وَنَعْمَةً وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْعَابِ عِنْدَ الْهَزَائِرِ
 وَكَمْ مُتَمَنَّ عَيْشِنَا لَا يَنَالُهُ وَلَوْ نَالَهُ أَضْحَى بِهِ حَقَّ فَائِرِ
 آخِرُ : خُمُصُ الْبُطُونِ مِنَ الطَّوَى وَأَعْفَةُ عَنِ شِبْهَةِ لَا يَعْرِفُونَ حَرَامَا

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ عُبَيْدٍ إِنِّي لِأَجِدُ مَائَةَ حَصَلَةٍ مِنْ حِصَالِ الْخَيْرِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ
 فِي نَفْسِي مِنْهَا وَاحِدَةً، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ لَوْ كَانَ لِلدُّنُوبِ رِيحٌ مَا قَدَّرَ
 أَحَدٌ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيَّ .

وَذَكَرَ دَاوُدُ الطَّائِي عِنْدَ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَاتُّنُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ
 بَعْضَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مَا ذَلَّ لَنَا لِسَانٌ بِذِكْرِ خَيْرٍ أَبَدًا .

وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ مَنْ لَمْ يَتَّهَمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ وَلَمْ يُخَالَفْهَا فِي
 جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَلَمْ يَجْرِّهَا إِلَى مَكْرُوهِهَا فِي سَائِرِ أَوْقَاتِهِ كَانَ مَغْرُورًا وَمَنْ نَظَرَ
 إِلَيْهَا بِاسْتِحْسَانٍ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا .

وَلَمَّا سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿ الْآيَةَ ، قَالَتْ : يَا بَنِيَّ هُوَ لَآءِ فِي الْجَنَّةِ أَمَّا السَّابِقُ
 بِالْخَيْرَاتِ فَمَنْ مَضَى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 بِالْجَنَّةِ وَالرِّزْقِ وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ فَمَنْ تَبَعَ أَثَرَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى
 لَحِقَ بِهِ وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَمِثْلِي وَمِثْلَكُمْ فَجَعَلْتُ نَفْسَهَا مَعَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهَا .

شِعْرًا: قَوْمٌ مَضَوْا كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِمْ نُزْهًا
 عَدْلٌ وَأَمْنٌ وَإِحْسَانٌ وَبَدُلُ نَدَى
 مَاتُوا وَعِشْنَا فَهُمْ عَاشُوا بِمَوْتِهِمْ
 لِلَّهِ دُرٌّ زَمَانٍ نَحْنُ فِيهِ فَقَدْ
 جُورٌ وَخَوْفٌ وَذُلٌّ مَا لَهُ أَمْدٌ
 وَقَدْ بُلِينَا بِقَوْمٍ لَا إِحْلَاقَ لَهُمْ
 مَا فِيهِمْ مِنْ كَرِيمٍ يُرْتَجَى لِنَدَى
 لَا الدِّينُ يُوجَدُ فِيهِمْ لَا وَلَا لَهُمُوا
 وَالصَّبْرُ قَدْ عَزَّ وَالْأَمَالُ تُطْمَعُنَا
 وَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ فَقَدْ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
 بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
 خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ
 عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ
 اشْفِ قُلُوبَنَا مِنْ أَمْرَاضِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَأَمْلَأْنَا مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَقْبِلْ بِهَا إِلَى
 طَاعَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»

وَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَثْرَةُ الْحُزْنِ وَالْمَهَمِّ كُلَّمَا تَذَكَّرُوا الْمَوْتَ
وَسَكَرَاتِهِ وَخَوْفِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ الَّذِي مِنْ أَسْبَابِهِ اسْتِيْلَاءُ حُبِّ الدُّنْيَا عَلَى الْقَلْبِ
وَضَعْفُ الْإِيمَانِ وَالْإِنْتِهَامِ فِي الْمَعَاصِي.

لَأَنَّهُ مَتَى ضَعْفَ الْإِيمَانُ ضَعْفَ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى وَقَوِيَ حُبُّ الدُّنْيَا حَتَّى لَا
يَبْقَى فِي الْقَلْبِ مَوْضِعٌ لِحُبِّ اللَّهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ حَدِيثِ النَّفْسِ وَلَا أَثَرَ لَهُ فِي
كَيْفِهَا عَنِ السَّيِّئَاتِ.

وَذَلِكَ يُورِثُ الْإِكْتَارَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالِاسْتِمْرَارَ فِيهَا حَتَّى يُظْلِمُ الْقَلْبُ
وَتَرَاكُمَ عَلَيْهِ ظُلُمَاتُ الذُّنُوبِ فَلَا تَرَالُ تُطْفِئُ مَا فِيهِ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ عَلَى
ضَعْفِهِ حَتَّى تَصِيرَ طَبْعاً وَرَيْناً.

فَإِذَا جَاءَتْ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ ازْدَادَ ضَعْفُ حُبِّهِ لِلَّهِ لِشُعُورِهِ بِفِرَاقِ الدُّنْيَا إِذْ
هِيَ الْمَحْبُوبُ الْعَالِبُ عَلَى الْقَلْبِ فَيَتَأَلَّمُ بِاسْتِشْعَارِ فِرَاقِهَا وَيَرَى ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ
فَيَخْتَلِجُ ضَمِيرُهُ بِانْكَارِ مَا قُدِّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ وَكَرَاهِيَتِهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ
فَيُخْشَى أَنْ يَفْرُطَ مِنْ لِسَانِهِ أَوْ يَثُورَ مِنْ قَلْبِهِ شَيْءٌ يُسْخِطُ اللَّهَ عَلَيْهِ.

وَالَّذِي يُفْضِي إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْخَاتِمَةِ غَلَبَةُ حُبِّ الدُّنْيَا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا
وَالْفَرَجُ بِأَسْبَابِهَا مَعَ ضَعْفِ الْإِيمَانِ الْمَوْجِبِ لِضَعْفِ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى أَمَا مَنْ
كَانَ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى أَعْظَمَ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالدُّنْيَا فَهُوَ أَبْعَدُ عَنْ هَذَا
الْحَظَرِ الْعَظِيمِ فَحُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ.

وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مُتَأَثِّرِينَ بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ
ﷺ لَا تَرْنُ عِنْدَهُمُ الدُّنْيَا شَيْئاً وَلَا يَعْبُونَ بِهَا وَإِذَا حَصَلَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا خَرَجَ
فَوَراً وَمِنْ أَخْلَاقِهِمُ الْقَنَاعَةُ وَحُسْنُ الْإِلْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالثِّقَةِ بِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِي
الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ قَالَ بَعْضُهُمْ:

يَأْمَنُ لَهُ الْفَضْلُ مَحْضًا فِي بَرِّيَّتِهِ
 عَوْدَتِي عَادَةً أَنْتَ الْكَفِيلُ بِهَا
 وَلَا تُذِلُّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ
 وَابْعَثْ عَلَيَّ يَدَ مَنْ تَرْضَاهُ مِنْ بَشَرٍ
 فَإِنَّ حَبْلَ رَجَائِي فِيكَ مُتَّصِلٌ

آخر:

إِنَّ الْفَنَاعَةَ كَنْزٌ لَيْسَ بِالْفَانِي
 وَعِشْ قَنُوعًا بِلَا حِرْصٍ وَلَا طَمَعٍ
 لَيْسَ الْغِنَى كَثِيرَ الْمَالِ يَحْزَنُهُ
 يُجْمَعُ الْمَالُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ شُبِّهِ
 يَشْتَقِي بِأَمْوَالِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ كَمَا
 إِنَّ الْعَنَى غَنَى النَّفْسِ قَانِعُهَا
 بَرٌّ كَرِيمٌ سَخِيٌّ النَّفْسِ يُنْفِقُ مَا
 مُنَوَّرَ الْقَلْبِ يَحْشَى اللَّهَ يَعْْبُدُهُ
 مُوَفَّقٌ رَاسِخٌ فِي الْعِلْمِ مُتَّبِعٌ

آخر: إِنْ كُنْتَ تَرْجُو اللَّهَ فَافْتَعِ بِهِ
 مَنْ ذَا الَّذِي تَلْزَمُهُ فَاقَةٌ وَذُخْرُهُ اللَّهُ الْغِنَى الْكَبِيرُ
 فَعِنْدَهُ الْفَضْلُ الْكَثِيرُ الْغَزِيرُ

«فَصْلٌ»: قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ فَوَائِدِ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ أَنَّهُ يَعْرِفُ
 بِذَلِكَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ فَإِنَّ عِبَادَتَهُ لَا تَكَادُ
 تُجِدِي عَلَيْهِ، وَهِيَ قَلِيلَةُ الْمَنْفَعَةِ جَدًّا.

وقد قال الامام أحمد: حدثنا حجاج حدثنا جرير بن حازم عن وهب
 قال: بلغني أن نبي الله موسى عليه السلام مرَّ برجلٍ يدعُو ويتضرَّع فقال:

يارب ارحمه، فإني قد رحمته، فأوحى الله تعالى إليه: «لو دعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر في حقي عليه».

فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله على العباد، فإن ذلك يورثه مَقَّتْ نفسه، والأزراء عليها، ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذلل والانكسار بين يدي ربه، واليأس من نفسه.

وإن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته، فإن من حَقَّه ان يُطَاعَ ولا يُعصى، وأن يُذكرَ فلا يُنسى، وأن يُشكَّرَ فلا يُكفر.

فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عليه، علمَ علمَ اليقين أنه غير مُؤدِّ له كما يُبغِي وانه لا يسعُه إلا العفو والمغفرة، وأن إن أحيِلَ على عمَلِهِ هَلَكَ.

فهذا محل أهل المعرفة بالله تعالى وبُنُفوسِهِم، وهذا الذي أيا سَهُم من أنفُسِهِم وَعَلَّقَ رَجَاءَهُم كُلَّهُ بعفو الله ورحمته.

وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بضيد ذلك، ينظرون في حقهم على الله ولا ينتظرون في حق الله عليهم.

ومن ههنا انقطعوا عن الله وحجبت قلوبهم عن معرفته والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه.

شِعْرًا: ما أُنعمَ العيشة لو أن الفتى يُلهمُ تَسبيحاً لِخَلِيقِ الوَرَى
وقد تحلَّى بالسَّخَاءِ والتُّقى لِيَقْتَدِيَ مَنْ قَصْدُهُ سُبُلَ الهُدَى

فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله أولاً، ثم نظره هل قام به كما يُبغِي ثانياً.

وأفضل الفكر الفكر في ذلك، فإنه يسير القلب إلى الله ويطرحة بين يديه ذليلاً خاضعاً منكسراً كسراً فيه جبره، ومفتقراً فقراً فيه غناه، وذليلاً ذلاً فيه عزه،

وَلَوْ عَمِلَ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا عَسَاهُ أَنْ يَعْمَلَ فَإِنَّهُ إِذَا فَاتَهُ هَذَا فَالَّذِي فَاتَهُ مِنَ الْبِرِّ
أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي أَتَى، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»: وقال رحمه الله تعالى: فائدة قَبُولِ الْمَحَلِّ لِمَا يُوضَعُ فِيهِ
مَشْرُوطٌ بِتَفْرِيفِهِ مِنْ ضِدِّهِ، وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ فِي الدَّوَاتِ وَالْأَعْيَانِ، فَكَذَلِكَ هُوَ فِي
الْإِعْتِقَادَاتِ وَالْإِرَادَاتِ.

فإذا كان القلب مُمْتَلِئًا بِالْبَاطِلِ بِاعْتِقَادِهِ وَمَحَبَّتِهِ لَمْ يَبِيقَ فِيهِ لِاعْتِقَادِ الْحَقِّ
وَمَحَبَّتِهِ مَوْضِعٌ كَمَا أَنَّ اللِّسَانَ إِذَا اشْتَغَلَ بِالتَّكَلُّمِ بِمَا لَا يَنْفَعُ لَمْ يَتِمَّكَنْ صَاحِبُهُ مِنَ
النُّطْقِ بِمَا يَنْفَعُهُ إِلَّا إِذَا فَرَّغَ لِسَانَهُ مِنَ النُّطْقِ بِالْبَاطِلِ.

وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا
فرغها من ضدها. فكذلك المشغول بمحبة غير الله واراادته والشوق إليه والأنس
به لا يمكن شغله بمحبة الله واراادته وحبه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه بغيره.

ولا حركة اللسان بذكره والجوارح بخدمته إلا إذا فرغها من ذكر غيره
وخدمته. فإذا امتلأ القلب بالشغل بالخلق والعلوم التي لا تنفع لم يبق فيها
موضع للشغل بالله ومعرفة اسمائه وصفاته، واحكامه.

وسر ذلك في اصغاء القلب كإصغاء الأذن، فإذا أصغى إلى غير حديث
الله لم يبق فيه اصغاء وفهم لحديثه، كما إذا مال إلى غير محبة الله لم يبق فيه ميل إلى
محبتة. فإذا نطق القلب بغير ذكره لم يبق فيه محل للنطق بذكره كاللسان.

ولهذا في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قبحاً
حتى يريه خيراً له من أن يمتلىء شعراً» رواه مسلم وغيره.

فبين ان الجوف يمتلىء بالشعر، فكذلك يمتلىء بالشبه والشكوك
والخيالات، والتقدير التي لا وجود لها، والعلوم التي لا تنفع، والمفاكحات
والمضحكات والحكايات ونحوها.

وإذا امتلأ القلب بذلك جاءته حقائق القرآن والعلم الذي به كماله وسعادته فلم تجد فيه فراغاً لها ولا قبولاً وجاوزته إلى محل سواه .

كما إذا بدلت النصيحة لقلب ملآن من ضدها لا منفذ لها فيه فإنه لا يقبلها وتلج فيه لكن ثمر مجتازة لا مستوطنة .

وقال بعضهم الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ، ولقي حكيم حكيماً فقال له لا رأك الله عندما نهك ولا فقدك حيث أمرك ، وقال بشر بن الحارث بي داء ما لم أعالج نفسي لا أتفرغ لغيري فإذا عاجلت نفسي تفرغت لغيري .

وقال أنا أكره الموت ولا يكره الموت إلا مريب وسأله بعضهم موعظة فقال : ما تقول فيمن القبر مسكنه والصراط جوازه والقيامة موقفه والله مسأله فلا يعلم إلى جنة يصير فيهنّي أو إلى نار فيعزى فوا طول حزنه وأعظم مصيبتاه زاد البكاد فلا عزاء واشتد الخوف فلا أمن .

شِعْرًا: تَعَاْفَ الْقَدَا فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ وَتَكَرَّعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَتُوْثِرُ فِي أَكْلِ الطَّعَامِ الْذَّهْ وَلَا تَذْكُرُ الْمُخْتَارَ مِنْ أَيْنَ تَكْسَبُ
وَتَرْقُدُ يَا مَسْكِينَ فَوْقَ نَمَارِقِ وَفِي حَشْوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلْهَبُ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جِهَالَةً وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ بَدِينِكَ تَلْعَبُ

ولقد كان بعض الصحابة يُؤدّي ما عليه من العبادة ولم يكن يكثر من الاستغفار في حياة النبي ﷺ ثم لما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى أكثر الصحابي من الاستغفار، فسأله الصحابة في ذلك فقال لقد كنتُ آمنًا من العذاب في حياة الرسول ﷺ فلما تُوفّي لم يبق إلا الأمان الثاني وهو الاستغفار .

يقول الله تبارك وتعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ .

وقال عامر بن عبدالله بن قيس : لو أن الدنيا كانت لي بخذافيرها ثم أمرني

الله تعالى بإخراجها كلها لأخرجتها بطيب نفس، وكان يقول كم من شيء كنت أحسنه أود الآن أني لا أحسنه وما يعني ما أحسن من الخير إذا لم أعمل به .
 وكان يقول « من جهل العبد أن يخاف على الناس من ذنوبهم ويأمن هو على ذنوب نفسه » .

ويقول بعضهم طوبى لمن كان صمته تفكراً وكلامه ذكراً ومشيئه تدبيراً وكان سفيان الثوري يقول: إذا فسد العلماء فمن بقي في الدنيا يصلحهم ثم ينشد:

يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ يَا مِلْحَ الْبَلَدِ مَا يُصْلِحُ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَدَ
 آخِر: وَرَاعِ الشَّاةَ يَحِمْيَ الذُّبَّ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذِ الذُّنَابُ لَهَا رِعَاةُ
 بِالْمِلْحِ يَصْلِحُ مَا يُحْشَى تَغْيِيرُهُ فَكَيْفَ بِالْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ الْغَيْرُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: وقال بعضُ العلماءِ إخواني إعلموا أنَّ صلاحَ الأمةِ وفسادها بِصلاحِ العلماءِ وفسادهم وأن من العلماءِ رحمة على الناس يسعد من إقتدى بهم وأن من العلماءِ فتنة على الأمة يهلك من تأسى بهم .

فالعالم إذا كان عاملاً برضوان الله مؤثراً للآخرة على الدنيا فأولئك خلفاء الرسل عليهم السلام والنصحاء للعباد والدعاة إلى الله فيسعد من أجابهم ويفوز من اقتدى بهم ولهم مثل أجر المتأسين بهم .

وتلى بعض أهل العلم قول الله تعالى ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعى إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ .

فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال انني من المسلمين إنه خليفة الله .

يا قوم فبمثل هذا العالم اقتدوا به وتأسوا تسعدوا ألا أن صينفاً من العلماء رضوا بالدنيا عوضاً عن الآخرة فأثروها على جوار الله تعالى ورغبوا في الاستكثار منها وأحبوا العلو فيها .

فتأسى بهم عالم من الناس وافتتن بهم خلق كثير أولئك أسوء فتنة على الأمة ، تركوا النصح للناس كيلاً يفتضحوا عندهم ، لقد خسروا وبسما اتجروا واحتملوا أوزارهم مع أوزار المتأسين بهم فهلكوا وأهلكوا أولئك خلفاء الشيطان ودعاة إبليس أقل الله في البرية أمثالهم .

وقال بعض العلماء من إزداد بالله علماً فإزداد للدنيا حباً إزداد من الله بعداً وقال إذا كان العالم مفتوناً بالدنيا راغباً فيها حريصاً عليها فإن في مجالسته لفتنة تزيد الجاهل جهلاً وبتن العالم يزيد الفاجر فجوراً ويفسد قلب المؤمن .

شِعْرًا: أَوْصِيَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
إِيَّاكُمْ أَنْ تُهْمِلُوا أَوْقَاتَكُمْ
وإنما غَيِّمَ الْإِنْسَانَ
مَا أَحْسَنَ الطَّاعَةَ لِلشَّبَّانِ
وَأَعْمِرُوا أَوْقَاتَكُمْ بِالطَّاعَةِ
وَمَنْ تَفْتُهُ سَاعَةٌ فِي عُمُرِهِ
وَمَنْ يَكُنْ فَرَطَ فِي شَبَابِهِ
وَيَا سَعَادَةَ امْرِئٍ قَضَاهُ
أَحَبَّ رَبِّي طَاعَةَ الشَّبَابِ
فَتَبَّ إِلَى مَوْلَاكَ يَا إِنْسَانُ
وَمَنْ يَقُلْ إِنِّي صَغِيرٌ أَصْبِرُ
فإِنَّ ذَاكَ غَرَّهُ إِبْلِيسُ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَتُبْ صَغِيرًا
عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ الدِّيَانِ
فَتَنَّدُمُوا يَوْمًا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
شَبَابُهُ وَالخُسْرُ فِي النَّوَانِي
فَأَسْعَوْا لِتَقْوَى اللَّهِ يَا إِخْوَانِي
وَالذِّكْرُ كُلُّ لَحْظَةٍ وَسَاعَةٍ
تَكُنْ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ فِي قَبْرِهِ
حَتَّى مَضَى عَجِبْتُ مِنْ تَبَابِهِ
فِي عَمَلٍ يَرْضَى بِهِ مَوْلَاهُ
يَا فَوْزَهُمْ بَجَنَّةِ الرِّضْوَانِ
مَنْ قَبِلَ أَنْ يَقُوتَكَ الْأَوَانُ
ثُمَّ أُطِيعَ اللَّهُ حِينَ الْكِبَرِ
وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ مَطْمُوسُ
وَلَمْ يَكُنْ بَعِيْهِ بَصِيرًا

مُجَانِباً لِلِإِثْمِ وَالْعِصْيَانِ
مُلَازِماً تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ
مُرَاقِباً لِلَّهِ فِي الشُّؤُونِ
مُجَانِباً رَدَائِلَ الْأَخْلَاقِ
مُحَارِباً لِنُزَعَةِ الضَّلَالِ
فَإِنْ أُرِدْتَ الْفُوزَ بِالنَّجَاةِ
يَا مَنْ يَرُومُ الْفَوْزَ فِي الْجَنَاتِ
انْهَضْ إِلَى السَّجَدَاتِ فِي الْأَسْحَارِ
وَاحْذَرْ رِيَاءَ النَّاسِ فِي الطَّاعَاتِ
وَاحْتَرِمْ مِنَ الْأَصْحَابِ كُلِّ مُرْشِدٍ
وَصُحْبَةَ الْأَشْرَارِ دَاءٌ وَعَمَى
فَإِنْ تَبِعْتَ سُنَّةَ النَّبِيِّ
وَاحْتَرِمْ مِنَ الزَّوْجَاتِ ذَاتِ الدِّينِ
وَزَوْدَ الْأَوْلَادِ بِالْآدَابِ
وَهَذِّبِ النُّفُوسَ بِالْقُرْآنِ
وَاحْرَصْ عَلَى مَا سُنَّةُ الرَّسُولِ
دَعْ عَنكَ مَا يَقُولُهُ الضُّلَّالُ
وَأَصْدُقِ الْحَدِيثَ قَوْلَ رَبِّنَا
يَأَيُّهَا الْعَفْصَلَانُ عَنْ مَوْلَاهُ
أَمَا عَلِمْتَ الْمَوْتَ يَأْتِي مُسْرِعاً
وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ بَعْدِ الْأَجْلِ
فَبَادِرِ التَّوْبَةَ فِي إِمْكَانِهَا
يَأَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَا هَذَا الْعَمَلُ
لَوْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ قَدْرَ مَوْتِهِ

مُخَالَفاً لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
مُسْتَعَصِماً بِالذِّكْرِ مِنْ نِسْيَانِ
مُحَازِراً مِنْ سَائِرِ الْفُتُونِ
مُجَانِباً كُلَّ عَدَا الْخَلِاقِ
وَصَوْلَةَ الْأَهْوَاءِ وَسُوءِ الْحَالِ
فَاسْئَلْكَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْهُدَاةِ
بِالْمُشْتَهَى وَسَائِرِ اللَّذَاتِ
وَاحْرَصْ عَلَى الْأَوْرَادِ وَالْأَذْكَارِ
فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ
إِنَّ الْقَرِينِ بِالْقَرِينِ يَقْتَدِي
تَزِيدُ فِي الْقَلْبِ السَّقِيمِ السَّقَمَا
فَاحْذَرْ قَرِينَ السُّوءِ وَالذَّنِي
وَكَنْ شُجَاعاً فِي حِمَى الْعَرِينِ
تَحْفَظْ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَوْصَابِ
وَلَا تَدْعَهَا نُهْبَةَ الشَّيْطَانِ
فَهُوَ الْهُدَى وَالْحَقُّ إِذَا أَقُولُ
فَفِيهِ كُلُّ الْخُسْرِ وَالْوَبَالِ
وَخَيْرُ هَدْيٍ لِلَّهِ عَنْ نَبِيِّنَا
انْظُرْ بِأَيِّ سَيِّءٍ تَلْقَاهُ
وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى
إِلَّا الَّذِي قَدَّمَهُ مِنَ الْعَمَلِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصَدَّ عَنْ إِيْتَانِهَا
إِلَى مَتَى هَذَا التَّرَاخِي وَالْكَسَلُ
مَا ذَاقَ طَوْلَ الدَّهْرِ طَعْمَ قُوْتِهِ

وَيَحَكَ هَذَا الْقَلْبُ أُنْسَى مِنْ حَجَرٍ
مُضَيِّعُ الْعُمْرِ كَثِيرُ الْخَطَلِ
وَلَيْلُهُ فِي النَّوْمِ بِمَسِّ الْحَالَةِ
بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ مَعَ الْعَطِيَّةِ
وَالْحَوْ فِي الْكِتَابِ لِلذُّنُوبِ
وَالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ وَالْجِنَانِ
وَلَا عَلَى الْإِخْطَاءِ وَلَا الْعِصْيَانِ
وَلَا تُدَقُّنَا حُرْقَةَ النَّيْرَانِ
وَاحْمِ الْحِمَى مِنْ هَيْشَةِ الْعَوْغَائِي
لِلْأَهْلِ فِي الْأَفْطَارِ وَالْأَوْطَانِ
وَالشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى الْأَنْعَامِ
وَأَجْزَلِ الْإِفْضَالِ إِذْ هَدَانَا
وَالْاِقْتِدَاءِ بِسَيِّدِ الْأَنْعَامِ
مَا نَاحَ طَيْرُ الْاِيكِ وَالْحَمَامِ
الْهَاشِمِيِّ الْمُجْتَبِيِّ النَّذِيرِ
وَصَحْبِهِ مَا هَبَّتِ الرِّيَّاحُ

مَا لِي أَرَاكَ لَمْ تُفِدْ فِيكَ الْعِبْرَ
وَأَفْلَسُ النَّاسِ طَوِيلُ الْأَمَلِ
نَهَارُهُ مُمَضِيهِ فِي الْبَطَالَةِ
ادْعُ لَنَا يَا سَامِعَا وَصِيَّتِي
وَالسِّرِّ فَضْلًا مِنْهُ لِلْعُيُوبِ
يَارَبِّ جُدْ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَلَا تَوَاحِدْنَا عَلَى النَّسِيَانِ
يَا رَبِّ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْفِتْنَانِ
يَا رَبِّ وَانصُرْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ
وَدِينِكَ احْفَظْهُ مَعَ الْأَمَانِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْخِتَامِ
مَا أَعْظَمَ الْأَنْعَامِ مِنْ مَوْلَانَا
لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ
عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْبَشِيرِ
وَالِهِ مَا انبَلَجَ الصَّبَّاحُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا
وَأَلْهِمْنَا يَا مَوْلَانَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَآمِنَّا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، اللَّهُمَّ
يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ
وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي
لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِكَ نَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

وَحَسْبُكَ مِنْ آثَارِ تَرْبِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ عَلَى قُوَّةِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا مَا يَتَجَلَّى بِأَكْمَلِ مَعَانِيهِ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ . أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَجَاءَ بِمَالِهِ كُلِّهِ يَكَادُ أَنْ يُخْفِيَهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ : مَا خَلَفْتَ وَرَاءَكَ لِأَهْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ .

فَقَالَ عِدَّةُ اللَّهِ وَعِدَّةُ رَسُولِهِ فَبَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا أَبَا بَكْرٍ وَاللَّهِ مَا اسْتَبَقْنَا إِلَى بَابِ خَيْرٍ إِلَّا كُنْتُ سَابِقًا ، وَجَاءَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ حَتَّى دَفَعَهُ إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ : مَا خَلَفْتَ وَرَاءَكَ لِأَهْلِكَ يَا عُمَرُ .

قَالَ : خَلَفْتُ نِصْفَ مَالِي لَهُمْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبَّابٍ قَالَ : شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ .

فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ : عَلَيَّ مِائَةٌ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَالَ عُثْمَانُ عَلَيَّ ثَلَاثُمِائَةٍ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ مَا عَلَيَّ عُثْمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَخَرَجَ عَطَاؤُهُ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ قَالَ : فَجَعَلْتُ تَقْضِي حَوَائِجَهُ فَفَضَّلَ مَعَهَا سَبْعَةَ فَأَمَرَهَا أَنْ تَشْتَرِيَ بِهَا فُلُوسًا قَالَ قُلْتُ لَوْ أَخَّرْتَهُ لِلْحَاجَةِ تَتُوبُكَ أَوْ لِلضَّيْفِ يَنْزِلُ بِكَ قَالَ إِنَّ خَلِيلِي عَهْدٌ لِي أَنَّ أَيْمًا ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ كِيٍّ عَلَيْهِ فَهُوَ جَمْرٌ عَلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يُفْرِغَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

وَعَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِنِّي
لَأَلِجُ هَذِهِ الْعُرْفَةَ مَا أَلِجُهَا إِلَّا خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَالٌ فَاتَوَفَى وَلَمْ أَنْفِقْهُ رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُرْسِلَ إِلَى زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ بِعَطَائِهَا
فَقَالَتْ مَا هَذَا قَالُوا أُرْسِلَ إِلَيْكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَتْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ثُمَّ سَلَّتْ
سِتْرًا لَهَا فَفَقَطَعْتُهُ وَجَعَلْتُ الْعَطَاءَ صُرْرًا وَقَسَمْتُهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهَا وَرَجِمِهَا وَأَيْتَامِهَا
ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَيْهَا وَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي عَطَاءُ عُمَرَ بَعْدَ عَامِي هَذَا فَكَانَتْ أَوَّلَ
نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِحُوقًا بِهِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ كَانَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ
الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْفُ مَمْلُوكٍ يُودُونَ إِلَيْهِ الْخَرَاجَ فَكَانَ يَقْسِمُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ثُمَّ
يَقُومُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمِسْوَرِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَاعَ أَرْضًا لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَفَقَسَمَهَا فِي بَنِي زُهْرَةَ وَفُقَرَاءَ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَالٍ
مِنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ مَنْ بَعَثَ هَذَا الْمَالَ قُلْتُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ .

قَالَ وَقَصَّ الْقِصَّةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ مِنْ بَعْدِي
إِلَّا الصَّابِرُونَ سَمَى اللَّهُ ابْنَ عَوْفٍ مِنْ سُلَسْبِيلِ الْجَنَّةِ قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ
صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ .

وَعَنْ نَافِعٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ مِائَةَ أَلْفٍ فَمَا حَالَ
الْحَوْلُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ وَعَنْ أَيُّوبَ بْنِ وَائِلِ الرَّاسِبِيِّ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ
فَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ جَارٌ لِابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ أَتَى ابْنَ عُمَرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ
وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ قِبَلِ إِنْسَانٍ آخَرَ وَالْفَانِ مِنْ قِبَلِ آخَرَ وَقَطِيفَةَ .

فَجَاءَ إِلَى السُّوقِ يَرِيدُ عِلْفًا لِرَاحِلَتِهِ بِدِرْهَمٍ نَسِيئَةً فَقَدِ عَرَفَتْ الَّذِي جَاءَهُ
فَأْتَيْتُ سُرِّيَّتَهُ فَقُلْتُ لِي أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ وَأُحِبُّ أَنْ تَصْدُقَ بِنِي قُلْتُ
أَلَيْسَ قَدْ أَتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ قَبْلِ
إِنْسَانٍ آخَرَ وَالْفَانِ مِنْ آخَرَ وَقَطِيفَةَ .

قَالَتْ بَلَى قُلْتُ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَطْلُبُ عِلْفًا بِدِرْهَمٍ نَسِيئَةً قَالَتْ مَا بَاتَ حَتَّى
فَرَقَهَا فَأَخَذَ الْقَطِيفَةَ فَأَلْفَاها عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ ذَهَبَ فَوَجَّهَهَا ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ يَا مَعْشَرَ
التُّجَّارِ مَا تَصْنَعُونَ بِالدُّنْيَا وَابْنُ عُمَرَ أَتَتْهُ الْبَارِحَةَ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَوَضَحَ
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ يَطْلُبُ لِرَاحِلَتِهِ عِلْفًا نَسِيئَةً بِدِرْهَمٍ .

وَكَانَتْ زَوْجَاتُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ زَوْجَاتٌ صَالِحَاتٌ تُعِينُهُمْ عَلَى تَنْفِيذِ
المَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ فَهَذَا أَبُو الدَّحْدَاحِ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ مِنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ
اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ ﴾ .

قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ قَالَ
نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ قَالَ أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَاوَلَهُ عَلَيْهِ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ فَقَالَ
إِشْهَدْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي أَيُّ البُسْتَانِ وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ
فِيهِ سِتْمَائَةٌ نَحْلَةٌ وَفِي البُسْتَانِ زَوْجَتُهُ أُمُّ الدَّحْدَاحِ وَأَوْلَادُهُ يَسْكُونُونَهُ .

ثُمَّ جَاءَ إِلَى البُسْتَانِ فَنَادَى زَوْجَتَهُ يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ قَالَتْ لَبَّيْكَ قَالَ اخْرُجِي
أَنْتِ وَأَوْلَادُكَ فَقَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي عِزًّا وَجَلًّا حَائِطِي فَشَجَعْتَهُ وَنَشَطْتَهُ وَقَالَتْ
رَبِحَ بَيْعُكَ ثُمَّ نَقَلَتْ مَتَاعَهَا وَأَوْلَادَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . فَتَأَمَّلْ قُوَّةَ اليَقِينِ فِيمَا
عِنْدَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْمَلُ وَتَأَمَّلْ مَوْقِفَ زَوْجَتِهِ مِنْ عَمَلِهِ هَذَا .

وَلَوْ كَانَتْ مِنْ نِسَاءِ هَذَا الزَّمَانِ لَقَالَتْ أَنْتِ مَجْنُونَةٌ وَأَقْلَقْتِ رَاحَتَهُ وَأَلْبَتِ
عَلَيْهِ أَوْلَادَهُ وَأُمَّهُ وَأَبَاهُ وَقَالَتْ خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ . نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ .

وَهَذَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ تَرَدُّ عَلَيْهِ عَيْرٌ لَهُ مِنَ الشَّامِ فِي وَقْتِ نَزْلِ فِيهِ البُرْحِ

بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ فَإِذَا هِيَ أَلْفٌ بَعِيرٍ مَسُوقَةٌ تَحْمِلُ بَرًّا وَزَيْتًا وَزَيْبًا.

فَجَاءَهُ التُّجَّارُ وَقَالُوا بَعْنَا مِنْ هَذَا الَّذِي وَصَلَ إِلَيْكَ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ ضُرُورَةَ النَّاسِ فَيَقُولُ حُبًّا وَكَرَامَةً كَمْ تُرْبِحُونِي عَلَى شِرَائِي فَيُجِيبُونَ قَائِلِينَ الدَّرْهَمَ دِرْهَمَيْنِ فَيَقُولُ أُعْطِيتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يَا أَبَا عُمَرَ، وَمَا بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ تُّجَّارٌ غَيْرُنَا وَمَا سَبَقْنَا إِلَيْكَ أَحَدٌ فَمَنْ أَعْطَاكَ.

فَيُجِيبُ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشْرَةَ أَعْنَدَكُمْ زِيَادَةً فَيَقُولُونَ لَا، فَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى أَنْ هَذِهِ وَمَا حَمَلْتُ صَدَقَةً لِلَّهِ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَا لَيْتَ أَغْنِيَاءَ هَذَا الزَّمَنِ تَنْسَخُوا مِنَ الزَّكَاةِ فَقَطُّ وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ يَتَغَلَّبُوا عَلَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالدُّنْيَا وَالْهَوَى.

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا مُنْجِيَّ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلِنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»

وَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَمَّا أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْرٍ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْرٍ لَمْ أَصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنفَسُ عِنْدِي مِنْهُ فَمَا تَأْمُرُنِي قَالَ أَنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا.

قَالَ فَتَصَدَّقْ بِهَا عُمَرُ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُورَثُ وَلَا يُوهَبُ قَالَ فَتَصَدَّقْ بِهَا عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرُّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ

وَلِضَيْفٍ لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكَلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ
مُتَمَوِّلٍ فِيهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ لَهُ يَوْمَ أُسْلِمَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
مُدَّخَرَةً مِنْ رِبْحِ تِجَارَتِهِ وَقَدْ رَبِحَ الْكَثِيرَ مِنَ التَّجَارَةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَلَمَّا هَاجَرَ
مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ لَهُ مِنْ كُلِّ مُدَّخَرِهِ سِوَى خَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

لَقَدْ أَنْفَقَ مَالَهُ الْمُدَّخَرَ فِي افْتِدَاءِ الضُّعْفَاءِ مِنَ الْمَوَالِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا
يَذُوقُونَ الْعَذَابَ الْوَانَا مِنْ سَادَاتِهِمُ الْكُفَّارِ كَمَا أَنْفَقَهُ فِي بَرِّ الْفُقَرَاءِ وَالْمَعْوِزِينَ ،
فَلْيَعْتَبِرْ بِذَلِكَ مَعْشَرَ الْحُرَّاسِ لِلْأَمْوَالِ .

وَقَدْ حَدَّثَ أَنْ جَاءَ عَامِلٌ عُمَرُ بِالْبَحْرَيْنِ أَبُو هُرَيْرَةَ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَرَوَاتِهِ :
قَدِمْتُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَأَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَسَاءً
فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْبِضْ هَذَا الْمَالَ قَالَ وَكَمْ هُوَ قُلْتُ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
قَالَ وَتَدْرِي كَمْ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ قُلْتُ نَعَمْ مِائَةُ أَلْفِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَالَ
أَنْتِ نَاعِسٌ اذْهَبِ اللَّيْلَةَ فَبِتْ حَتَّى تُصْبِحَ .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ اقْبِضْ مِنِّي هَذَا الْمَالَ قَالَ وَكَمْ هُوَ قُلْتُ
خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالَ أَمِنْ طَيِّبٍ هُوَ قُلْتُ لَا أَعْلَمُ إِلَّا ذَاكَ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ جَاءَنَا مَالٌ كَثِيرٌ فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَكِيلَ لَكُمْ كِلْنَا وَإِنْ
شِئْتُمْ أَنْ نَعُدَّ لَكُمْ عَدَدْنَا وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَزِنَ لَكُمْ وَزَنَّا .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ الدَّوَانِ يُعْطُونَ عَلَيْهَا فَاشْتَهَى
عُمَرُ ذَلِكَ وَوَزَعَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ كُلِّهَا .

وَذَكَرَ يَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَزَا أَهْلَ دِمَشْقَ وَنَصِيبِينَ
فَأَصَابَ مِنْهُمْ أَلْفَ فَرَسٍ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَهِيَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ
فُعْرَضَ عَلَيْهِ مِنْهَا تِسْعُمِائَةِ فَرَسٍ فَتَنَّبَهُ لِصَلَاةِ الْعَصْرِ فِإِذَا الشَّمْسُ قَدْ غَرَبَتْ

وَفَاتِ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَلَمْ يُحْبِرُوهُ بِذَلِكَ هَيْبَةً لَهُ فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ وَقَالَ رُدُّوَهَا عَلَيَّ
فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا فَضْرَبَ سُوقَهَا وَأَعْنَقَهَا بِالسَّيْفِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ وَطَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ حَيْثُ
اشْتَعَلَ بِهَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ .

وَكَانَ ذَلِكَ مُبَاحًا لَهُ وَبَقِيَ مِنْهَا مِائَةٌ فَرَسٍ فَلَمَّا عَقَرَهَا لِلَّهِ تَعَالَى أَبَدَلَهُ اللَّهُ
تَعَالَى خَيْرًا مِنْهَا وَأَسْرَعَ وَهِيَ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ تَجْرِي
بِأَمْرِهِ كَيْفَ شَاءَ وَإِلَيْهِ يُشِيرُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْحِيَادِ ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ،
رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ .

شِعْرًا : لَا أَجْعَلُ الْمَالَ لِي رَبًّا يُصْرِفُنِي لَا بَلْ أَكُونُ لَهُ مَوْلًا أَصْرِفُهُ
مَالِي مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَا تَقَدَّمَ لِي فَذَلِكَ لِي وَلِغَيْرِي مَا أَخْلَفَهُ
آخر :

وما الفرق بين المال لولا امتهانه وبين الحصى المجموع أو كُتِبَ الرَّمْلِ
آخر : تَمَتَّعَ بِمَالِكَ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَإِلَّا فَمَا النَّفْعُ إِنْ أَنْتَ مُتًّا
شَقِيئَ بِهِ ثُمَّ خَلَفْتَهُ لِعَيْرِكَ بَعْدَكَ فَسُحْقًا وَمَقْتًا
آخر : فَإِنَّ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَنْزِلِي هُوَ الْمَنْزِلُ الْأَقْصَى إِذَا لَمْ أَقْرَبِ
وَلَسْتُ وَإِنْ أُذِنْتُ يَوْمًا بِبَيْعِ خَلَاقِي وَلَا دِينِي إِبْتِغَاءَ الرَّغَائِبِ

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ مَعَ غُلَامِهِ بَارِعْمَائِهِ دِينَارًا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ
الْجَرَّاحِ وَأَمَرَ الْغُلَامَ بِالتَّائِي لِيَرَى مَا يَصْنَعُ فِيهَا فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهَا
لَهُ وَتَأَنَّى يَسِيرًا فَفَرَّقَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ كُلَّهَا فَرَجَعَ الْغُلَامُ لِعُمَرَ فَخَبَّرَهُ فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ
مِثْلَهَا لِمَعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ فَأَرْسَلَهَا مَعَهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالتَّائِي كَذَلِكَ فَفَعَلَ فَفَرَّقَهَا
فَاطَلَعَتْ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ : نَحْنُ وَاللَّهِ مَسَاكِينُ فَأَعْطَيْنَا فَلَمْ يُبْقِ فِي الْخِرْقَةِ إِلَّا
دِينَارَانِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهَا فَرَجَعَ الْغُلَامُ لِعُمَرَ وَأَخْبَرَهُ فَسُرَّ بِذَلِكَ وَقَالَ إِخْوَةٌ
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

وَرُوِيَ أَنَّ زَوْجَةَ طَلْحَةَ بِنَ عُبَيْدِ اللَّهِ رَأَتْ مِنْهُ ثِقْلًا فَقَالَتْ لَهُ مَا لَكَ لَعَلَّهُ رَابِكَ مِنْ شَيْءٍ فَتَعْتَبِكَ قَالَ لَا وَلِنِعْمِ الْحَلِيلَةُ لِلْمُسْلِمِ أَنْتِ وَلَكِنْ اجْتَمَعَ عِنْدِي مَالِي وَلَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَتْ وَمَا يَعْطُكَ مِنْهُ أَدْعُ قَوْمَكَ فَاقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ يَا غُلَامُ عَلَيَّ بِقَوْمِي فَكَانَ جُمْلَةً مَا قَسَمَ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ ٤٠٠٠٠٠ .

وَبَاعَ أَرْضًا مِنْ عُثْمَانَ بِسَبْعُمِائَةٍ فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ فَلَمَّا جَاءَ بِهَا قَالَ إِنَّ رَجُلًا بَيِّتُ عِنْدَهُ هَذِهِ فِي بَيْتِهِ لَا يَدْرِي مَا يَطْرُقُهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَبَاتَ وَرُسْلُهُ تَخْتَلِفُ فِي السُّكِّ سِكِّكَ الْمَدِينَةَ حَتَّى اسْحَرُوا مَا عِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ فَرَقَوْهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

الصحابه رضي الله عنهم جمعوا كرمًا وشجاعة وخصلاً حميدة إقرأ
آخر سورة الفتح وما ينطبق عليهم رضي الله عنهم مايلي :

شِعْرًا: فَهُمْ جَمَعُوا الْعِلْيَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً
وَزُهْدًا وَجُودًا لَا يَضِيقُ فُوقًا
وَرَائِحَةَ مَحْبُوبَةٍ وَمَذَاقًا
أَمْطَارَهَا الْفِضَّةَ الْبَيْضَاءَ وَالذَّهَبُ
آخِر: لَهُمْ سَحَابٌ جُودٍ فِي أَنْامِلِهِمْ
فِي الْعُسْرِ قَالُوا إِذَا أُبْسِرْنَا ثَانِيَةً
حَتَّى إِذَا عَادَ أَيَّامُ الْيَسَارِ لَهُمْ
آخِر: هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا
وَمَا يُدْرِكُونَ التَّابِعُونَ فِعَالُهُمْ
آخِر: وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ
آخِر: وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ السُّيُوفَ لَدَيْهِمْ
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهَا فِي أَكْفِهِمْ

وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَالٍ فِي غَرَارَتَيْنِ
ثَمَانُونَ أَلْفًا وَمِائَةٌ أَلْفٌ دِرْهَمٌ وَهِيَ صَائِمَةٌ فَجَعَلَتْ تَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَأَمْسَتْ وَمَا

عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ دِرْهَمٍ فَقَالَتْ لِحَارِ يَتِيهَا هَلْمِي فَطُورِي فَجَاءَتْ بِحُبْزٍ وَرَزِيَّتٍ فَقَالَتْ لَهَا
الْحَارِيَّةُ فَمَا اسْتَطَعْتَ فِيمَا قَسَمْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَنْ تَشْتَرِي لَنَا لَحْمًا بِدِرْهَمٍ قَالَتْ لَا
تُعْنِفْنِي لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ . هَكَذَا يُؤَثِّرُ الْإِيمَانُ الْعَمِيقُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولِهِ .

كان سهل بن عبد الله بن يونس التستري يُنفقُ ماله في طاعة الله فجاءت أمه وإخوته
إلى عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يشكونه فقالوا هذا لا يُمسكُ شيئاً ونخشى عليه
الفقر فأراد عبد الله أن يُعينهم عليه .

فَقَالَ لَهُ سَهْلُ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أَنْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ اشْتَرَى ضَيْعَةً بِرُسْتَقَ
«أرض السواد» وهو يريد أن ينتقل إليها أَكَانَ يَتْرُكُ بِالْمَدِينَةِ شَيْئًا وَهُوَ يَسْكُنُ الرُّسْتَقَ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ خَصَمَكُمْ يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَّحَوَّلَ إِلَى الرُّسْتَقِ لَا يَتْرُكُ
بِالْمَدِينَةِ شَيْئًا فَالَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَّحَوَّلَ إِلَى الْآخِرَةِ كَيْفَ يَتْرُكُ فِي الدُّنْيَا شَيْئًا .

شِعْرًا : بَهَا لَيْلٌ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْلُ
هُمُ الْقَوْمِ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

وَمِنَ الشِّعْرِ الَّذِي لَا يَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا يَلِي :

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
لَا يَنْطَقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارُوا بِإِكْتَارِ
إِنْ يُسْأَلُوا الْحَيْرَ يُعْطُوهُ وَإِنْ نُحِبُّوا فِي الْجُهْدِ أَدْرَكَ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارِ
وَإِنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لِأَنُوا وَإِنْ شَهْمُوا كَشَفَتْ إِذْ مَارَ حَرْبٍ غَيْرَ إِعْمَارِ
هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيَسَارَ ذَوْوِ حَسَبِ سُوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيَسَارِ
آخِرُ : بَهَا لَيْلٌ لَوْ عَايَنْتَ فَيَضُ أَكْفَهُمْ لِأَيَقَنْتَ أَنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ

فائدة سببُ البخلِ سِتَّةُ أَشْيَاءَ غَلَبَةُ الشَّهَوَاتِ (١) وَطُولُ الْأَمَلِ (٢) وَرَحْمَةُ الْوَالِدِ
(٣) وَخَوْفُ الْفَقْرِ (٤) وَقَلَّةُ الثَّقَةِ بِمَجِيءِ الرِّزْقِ (٥) وَعَشْقُ الْمَالِ لِذَاتِهِ (٦) . فَالْبَخِيلُ
يَتَعَبُ نَفْسَهُ وَيَحْرُمُهَا وَيَنْفَعُ غَيْرَهُ كَمَا قِيلَ :

شِعْرًا: يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ
كَدُودَةَ الْقَرِّ مَا تَبَيَّنَ يَهْدُمُهَا
آخر: إِذَا كُنْتَ جَمَاعًا لِمَالِكَ مُمْسِكًا
تُؤَدِّيهِ مَذْمُومًا إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ
آخر: وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يَلِمُ وَفِرًّا
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهُوَ طَائِفٌ
آخر: يَا لَهْفِ قَلْبِي عَلَى مَالٍ أَفْرُقَهُ
إِنَّ اعْتِدَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَطْلُبُنِي
آخر: قُلْ لِي بِرَبِّكَ مَاذَا يَنْفَعُ الْمَالَ
الْمَالُ كَالْمَاءِ إِنْ تُحَسِّنَ سَوَاقِيَهُ
تَحْيَا عَلَى الْمَاءِ أَغْرَاسُ الرِّيَاضِ كَمَا
إِنَّ الشَّرَاءَ إِذَا حِيلَتْ مَوَارِدُهُ
اللَّهُ أَعْطَاكَ فَابْذُلْ مِنْ عَطِيَّتِهِ
آخر: لَقَدْ دَرَجَ الْأَسْلَافُ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ
وَقَدَّرَفَضُوا الدُّنْيَا الْعُرُورَ وَمَا سَعَوْا
فَقَيَّرُهُمْ حُرٌّ وَذُو الْمَالِ مُنْفِقٌ
لِيَأْسُهُمُ التَّقْوَى وَسَيِّمَاهُمُ الْحَيَا
مَقَالُهُمْ صِدْقٌ وَأَفْعَالُهُمْ هُدًى
خُضُوعٌ لِمَوْلَاهُمْ مُثُولٌ لِرُؤُوسِهِ
آخر: أَيَا نَفْسٍ لِلْمَعْنَى الْأَجَلُ تَطْلُبُنِي
فَكَمْ أَبْعَدَتْ الْفَأْوَكَمَ كَدَّرَتْ صَفَاً
فَلَوْ جُعِلَتْ صَفْوًا شُعِلَتْ بِحُبِّهَا
لَعُمُرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارٍ أَحْيَى حِجَا
عَنِ الْمَوْطِنِ الْأَسْنَى عَنِ الْقُرْبِ وَاللِّقَا

وَاللِّحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدْعُ
وغيرها بِالذِّي تَبَيَّنَ يَنْفَعُ
فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينٌ
فَيَأْكُلُهُ عَفْوًا وَأَنْتَ دَفِينٌ
لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ
فَرِيَسْتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ
عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوتِ
مَا لَيْسَ عِنْدِي لِمَنْ أَحْدَى الْمُصِيبَاتِ
إِنَّ لَمْ يَزِينَهُ إِحْسَانٌ وَإِفْضَالٌ
يَأْسَنُ وَإِنْ يَجْرُ يَعْدُبُ مِنْهُ سِلْسَالٌ
تَحْيَا عَلَى الْمَالِ أَرْوَاحٌ وَأَمَالٌ
ذُونَ الْفَقِيرِ فَحَيْرٌ مِنْهُ إِفْقَالٌ
فَالْمَالُ عَارِيَةٌ وَالْعُمُرُ رَحَالٌ
وهِمَّتُهُمْ نَيْلُ الْمُكَارِمِ وَالْفَضْلِ
لَهَا وَالذِّي يَأْتِي يُبَادِرُ بِالْبَدْلِ
رَجَاءُ ثَوَابِ اللَّهِ فِي صَالِحِ السَّبِيلِ
وَقَصْدُهُمُ الرَّحْمَنُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
وَأَسْرَارُهُمْ مَنْزُوعَةُ الْغِشِّ وَالْغِلِّ
فُنُوتٌ لَهُ سُبْحَانُهُ جَلٌّ عَنْ مِثْلِ
وَكَفِي عَنِ الدَّارِ الَّتِي قَدْ تَقَضَّتْ
وَكَمَ جَدَّدَتْ مِنْ تَرْحَةٍ بَعْدَ فَرَحَتِ
وَلَمْ يَكُ فَرَقٌ بَيْنَ دُنْيَا وَجَنَّةِ
فَيَلْهُوُ بِهَا عَنْ دَارِ فَوْزٍ وَجَنَّةِ
عَنِ الْعَيْشِ كُلِّ الْعَيْشِ عِنْدَ الْأَحِبَّةِ

فَوَاللَّهِ لَوْلَا ظُلْمَةُ الذَّنْبِ لَمْ يَطْبُ لَكَ الْعَيْشُ حَتَّى تَلْتَحِقَ بِالْأَجَّةِ
 اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْبَسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَخُصَّنَا
 مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَإِتْبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ
 وَابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرِ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا
 تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَفَهْمًا ذَكِيًّا
 صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : وَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ تَوْصِيَّةُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ
 الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ : وَدَعَّ ابْنُ عَوْنٍ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ الْمُتَّقِي
 لَيَسِّرَ عَلَيْهِ وَحِشَّةً .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : كَانَ يُقَالُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ أَحَبَّهُ النَّاسُ وَإِنْ كَرِهُوا وَقَالَ
 الثَّوْرِيُّ لابن أبي ذئبٍ إِنْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ كَفَاكَ النَّاسَ وَإِنْ اتَّقَيْتَ النَّاسَ لَنْ يُغْنُوا
 عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .

وَكَانَتْ أَعْمَالُهُمْ بَعِيدَةً عَنِ الرِّيَاءِ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الصَّدَقَاتِ ﴿وَإِنْ
 تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ
 بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» ، كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ لَا
 يَطَّلِعُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِهِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمَصْحَفِ فَعَطَّاهُ
 بِكُمِّهِ .

شِعْرًا : إِذَا وَانَاكَ مِنْ مَوْلَاكَ خَمْسٌ فَلَا تَأْسَفْ عَلَى شَيْءٍ يُفُوتُ
 جِحْيً وَسَلَامَةً وَلِبَاسُ تَقْوَى وَدَيْنٌ غَيْرُ مَدْحُولٍ وَقُوتُ
 آخِرٍ : جَمَالُ أُخِي النَّهْيِ كَرَمٌ وَتَقْوَى وَلَيْسَ جَمَالُهُ عَرْضًا وَطُولًا
 وَكَانَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ قُولُوا مَا أَكْرَهُ فِي وَجْهِهِ فَإِنَّ

الرَّجُلَ لَا يَنْصَحُ أَحَاهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فِي وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ وَكَانَ يَقُولُ يَا أَهْلَ
الْقُرْآنِ لَا تَتَّخِذُوا الْقُرْآنَ بَضَاعَةً تَلْتَمِسُونَ بِهِ الرِّيحَ فِي الدُّنْيَا اظْلُبُوا الدُّنْيَا بِاللُّدْنِيَا
وَالْآخِرَةَ بِالْآخِرَةِ .

وَبِالتَّالِي فَإِنَّ الِانْتِهَامَكَ فِي الدُّنْيَا قَدْ شَمَلَ أَصْنَافَ الْحَلْقِ لِقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ
تَعَالَى إِذْ لَا يُحِبُّ اللَّهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُ فَكَلَّمَا ازْدَادَتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ ازْدَادَ حُبُّهُ
لَهُ ، وَكَلَّمَا فَكَّرَ فِي نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ قَوِيَ حُبُّهُ لِرَبِّهِ ، لِأَنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةً عَلَى حُبِّ
مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .

وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أَيُّ إِنْ كَانَتْ رِعَايَةُ هَذِهِ الْمَصَالِحِ
الدُّنْيَوِيَّةِ عِنْدَكُمْ أَوْلَى مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمِنَ الْمُجَاهَدَةِ لِأَعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ
فَانْتَظِرُوا مَاذَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ .

وَلِهَذَا قَالَ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَهَذَا وَعَيْدٌ شَدِيدٌ وَتَهْدِيدٌ شَنِيعٌ
لِلْمُنْهَمَكِينَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا الْمُؤَثِّرِينَ لَهَا وَلِأَهْلِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ أَفَلَا يَعْتَبِرُ اللَّيْبُ وَيَنْظُرُ كَمْ حَرَمَتْ أَيْدِي الْمُتُونِ مِنْ
قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ وَكَمْ غَيَّرَتْ الْأَرْضُ بِلَايَتِهَا وَكَمْ غَيَّبَتْ فِي تُرَابِهَا مِمَّنْ عَاشَرَتْ
مِنْ صُنُوفِ الْمَخْلُوقِينَ .

وَمَا أَكْثَرَ مَنْ أَخَذَتْ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَقَالِبَهُ وَصَارَ عَبْدًا لَهَا فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ
ضَاعَتْ أَوْقَاتُهُ النَّفِيسَةُ فِي الرِّكْضِ خَلْفَهَا يَجْمَعُهَا لِمَنْ يَخْلُفُهُ عَلَيْهَا وَصَارَ هُوَ
بِالْحَقِيقَةِ حَارِسًا خَادِمًا مُحَامِيًا بِجَارَتِهِ وَكِسْوَتِهِ وَسُكْنَاهُ فَقَطْ وَلَا شُكْرَ وَلَا
ثَنَاءَ وَلَا مُرُوَّةَ وَتَأَمَّلْهُ وَصَنَّفًا مُطَابِقًا لِأَغْنِيَاءِ أَهْلِ هَذَا الزَّمَنِ تَكُونُ بِذَلِكَ مُصَدِّقًا
مُتَعَجِّبًا وَإِنْ كُنْتَ مُوَفَّقًا قُلْتَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَانَا ، اللَّهُمَّ عَافِهِمْ

وَلَا تَبْتَلِينَا وَاسْتَعْمَلْتَ مَا عِنْدَكَ فِيمَا يُقْرَبُ إِلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ
يُبَيِّنَ لِي عَلَى الْإِيمَانِ وَأَنْ لَا يُزَيِّعَ قَلْبَكَ بَعْدَ إِذْ هَدَاكَ وَأَنْ يَهَبَ لَكَ مِنْ لَدُنْهُ
رَحْمَةً وَأَنْ يُهَيِّئَ لَكَ مِنْ أَمْرِكَ رَشِيدًا.

شِعْرًا: وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْمَقَامِ نَصِيبُ
فَإِنْ تُعْجِبُ الدُّنْيَا رِجَالًا فَإِنَّهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَالزَّوَالُ قَرِيبُ
آخِر: يُحْصِي الْفَتَى مَا كَانَ مِنْ نَفَقَاتِهِ وَيُضِيعُ مِنْ أَنْفَاسِهِ مَا أَنْفَقَا
وَكَأَنَّمَا دُنْيَا ابْنِ آدَمَ عَرْسُهُ أَخَذَتْ جَمِيعَ ثَرَايِهِ إِذْ طَلَّقَا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوِّهَا
وَالْهَمِّنَا يَا مَوْلَانَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمِنَّا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنِ لَا نُسِيءُ إِذَا عَدَدْنَا أَهْلَهُ مِنْ ضُعْفَاءِ
الْمُنْتَدِينِينَ الَّذِي غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَدَاهِنَةُ، وَالتَّمَلُّقُ، وَالكَذِبُ، رَاجِعُ حَالِ السَّلْفِ
الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا وَانظُرْ حَالَنَا الْيَوْمَ، تَعَجَّبْ مِنْ الْفَرْقِ الْمُبِينِ.

كَانَ هَذَا الْمَالُ بِأَيْدِيهِمْ بِكَثْرَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَدُورُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، لِأَنَّهُمْ
نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنُ مِنَ
الصَّالِحِينَ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

مُطْمَئِنِّينَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ﴾ كَانُوا إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِمُ الْمَالُ يُصِيبُهُمْ قَلَقٌ حَتَّى يَتَّصِدَّقُوا بِهِ عَلَى حَدِّ.

شِعْرًا: لِأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ إِنْ أَهْتَمَمْتُكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ
وَلَا أَذُمَّكَ إِنْ لَمْ يُمِضْ قَدْرُ فَالرِّزْقُ بِالْقَدْرِ الْمَحْتُومِ مَصْرُوفُ

آخر: لا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا ضِيقَتْ مِنْ فَرَجٍ
وَأِنْ تَضَاقَقَ بَابٌ عَنْكَ مُرْتَبِحٌ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمٌ
آخر: قَالَتْ طَرِيفَةُ لَا تَبْقَى دَرَاهِمُنَا
لَكِنْ إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمَ الْمَضْرُوبُ صُرَّتْنَا
آخر: أَلَمْ تَرَى أَنَّ الْمَالَ يُهْلِكُ أَهْلَهُ
وَمَنْ جَاوَزَ الْمَاءَ الْعَزِيزَ مَسِيلُهُ
يَأْتِي بِهِ اللَّهُ فِي الرُّوحَاتِ وَالذُّلُجِ
فَانظُرْ لِنَفْسِكَ بَاباً غَيْرَ مُرْتَبِحِجٍ
بِاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ اللَّهُ بِالْفَرَجِ
وَمَا بِنَا صَلَفٌ فِيهَا وَلَا حَرْقٌ
ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
إِذَا جَمَّ آتِيهِ وَسُدَّتْ طَرِيقُهُ
وَسُدَّتْ مَجَارِيَ الْمَاءِ فَهَوَ غَرِيقُهُ

وجاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعث مكرمة قريش، قال: ذهبت المكارم إلا من الثقوى يا ابن أخي إني اشتريت بها داراً بالجنة أشهدك أني جعلت ثمنها في سبيل الله، تأمل يا أخي سيرة الرجال الذين عرفوا الدنيا حقيقة لعلك تقتدي بهم فتربح الدنيا والآخرة.

وَكَانُوا إِذَا عَرَضَ لَهُمْ أَحَدٌ وَأَبْدَى لَهُمْ احتِياجَهُ يَرُونَ غَفْلَتَهُمْ عَنْهُ مِنْ
التَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ الْفَاحِشَاتِ عَلَى حد قول الشاعر:

وتركي مؤاساة الأخلاء بالذي
وإني لأستحيي من الله أن أرى
آخر: خَلِيلٌ أَتَانِي نَفْعُهُ وَقَتَ حَاجَتِي
آخر: يَرَى الْمَرْءُ أَحْيَانًا إِذَا قَلَّ مَالُهُ
وَمَا إِنْ بِهِ بُخْلٌ وَلَكِنْ مَالُهُ
تَنَالُ يَدِي ظَلَمَ لَهُمْ وَعُقُوقُ
بِحَالِ اتِّسَاعِ وَالصَّدِيقُ مُضَيِّقُ
إِلَيْهِ وَمَا كُلُّ الْأَخْلَاءِ يَنْفَعُ
مِنَ الْخَيْرِ أَبْوَابًا فَلَا يَسْتَطِيعُهَا
يُقَصِّرُ عَنْهَا وَالْبَخِيلُ يُضْيِعُهَا

أَيْنَ هَذَا وَأَيْنَ حَالُنَا الْيَوْمَ وَقَدْ بَخَلْنَا بِحَقِّ الْمَالِ الزَّكَاةَ وَهِيَ حَقُّ الْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ ... إلخ.

وَكَانُوا إِذَا فَاتَتْهُمْ تَكْبِيرَةُ الْأَحْرَامِ مَعَ الْأَمَامِ رُبَّمَا غَشَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَلَمِ هَذَا الْمَصَابِ الْعَظِيمِ وَكَانُوا يُعْزُونَ مَنْ فَاتَتْهُ تَكْبِيرَةُ الْأَحْرَامِ وَمِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى مَنْ فَاتَتْهُ الْجَمَاعَةُ أَوْ الْجُمُعَةُ .

أَيْنَ هَذَا مِنْ حَالِبِ مُجْتَمَعِنَا الْيَوْمَ الَّذِي تَرَى الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يُجَافِي عَلَيْهِ الْبَابَ وَيَشْرَبُ الشَّيْءَ وَالذُّخَانَ أَبَا الْحَبَائِثِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ .

وَكَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ مَعَ الْجَمَاعَةِ تَجِدُهُمْ يَحْرُصُونَ عَلَى الْإِتْيَانِ إِذَا ظَنُّوا أَنَّهَا أُفِيْمَتِ الصَّلَاةُ وَيَقْصِدُونَ النَّقَارِينَ الَّذِينَ لَا يَتْرَكُونَ فِي الصَّلَاةِ وَلَا يَطْمَئِنُّونَ فِيهَا وَلَا يَتِمَّكُنُ الْمَأْمُومُ مِنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ الَّتِي لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا وَلَا يَتِمَّكُنُ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالشَّهْدِ كَامِلًا .

فَإِنَّ دَلَّ هَذَا عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ الصَّلَاةَ وَلَا الْمَقْصُودَ مِنْهَا وَلَوْ فَهَمُوهَا تَمَامًا لَصَارَتْ قِرَّةً أَعْيُنُهُمْ وَلَا اسْتَرَاخُوا بِهَا وَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا .

وَكَانُوا أَيَّ السَّلَفِ مِمَّنْ يَحِنُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلِذَلِكَ تُعَدُّ لِأَحَدِهِمْ أَرْبَعِينَ حِجَّةً ، وَأَزِيدُ ، أَيْنَ هَذَا مِمَّنْ يُسَافِرُونَ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ بِلَادِ الْحُرِّيَّةِ مُحَكَّمَةِ الْقَوَانِينِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَيُؤَالُونَهُمْ بَلْ وَيَدْرُسُونَ عَلَيْهِمِ وَالنَّبِيَّ ﷺ قَدْ تَبَّرَأَ مِنَ الْمُقِيمِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا كَانَ يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَلَكِنْ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وَمَعَ ذَلِكَ يُبْعَثُونَ الْفُلُوسَ الْعَظِيمَةَ ، الَّتِي سَيُنَاقِشُونَ عَنْهَا دَاخِلَةَ وَخَارِجَةَ ضِدًّا مَا عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ مِنْ هَجْرَانِ مَنْ جَاءَ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ غَيْرَ مُهَاجِرٍ قَالَ ﷺ أَنَا بَرِيءٌ مِنْ مُسْلِمٍ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكِينَ وَسَكَنَ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ مِثْلُهُمْ . بَلِّغْ يَا أَخِي مَنْ يَدْرُسُونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

وَكَانَ السَّلْفُ يَشْتَأِقُونَ إِلَى الصِّيَامِ، وَبَعْضُهُمْ يَصُومُونَ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ، وَثَلَاثَةَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَيَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ، وَبَعْضُهُمْ يَصُومُ كَصِيَامِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَوْمٌ يَصُومُ وَيَوْمٌ يُفْطِرُ.

أَمَّا نَحْنُ فَيَا لَيْتَهُ يَسَلِّمُ لَنَا رَمَضَانُ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ وَالْمُنْقِصَاتِ وَهَيْهَاتِ، وَكَانَتِ الْمَسَاكِنُ لَا تَهْمُهُمْ يَسْكُنُونَ فِيهَا تَيْسِرًا.

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ حَضَرَ رَجُلًا بَيْنِي دَارًا وَهُوَ يُعْطِي الْعُمَّالَ الْأَجْرَةَ فَمَدَّ يَدَهُ فَأَعْطَاهُ دِرْهَمًا فَطَرَحَ الدِّرْهَمَ فِي الطِّينِ فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ وَقَالَ كَيْفَ تَطْرَحُ الدِّرْهَمَ فِي الطِّينِ.

فَقَالَ أَعْجَبُ مِنِّي أَنْتَ لِأَنَّكَ طَرَحْتَ كُلَّ دَرَاهِمِكَ فِي الطِّينِ يَعْنِي ضَيَّعْتَهَا فِي الْبِنَاءِ، وَمَرَّ عَلِيٌّ بِبَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ فَرَأَى سَعَةَ دَارِهِ فَقَالَ لَهُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجُ.

وَكَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَيْتٍ مِنْ شَعْرِ أَلْفِ سَنَةٍ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْتَ بَيْتًا مِنْ طِينٍ تَأْوِي إِلَيْهِ قَالَ أَنَا مَيِّتٌ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ كَثِيرٌ مَنْ يَمُوتُ.

شِعْرًا: أَرَى الزُّهَادَ فِي رَوْحٍ وَرَاحَةٍ قُلُوبُهُمْ عَنِ الدُّنْيَا مُزَاحَةً إِذَا أَبْصَرْتُهُمْ أَبْصَرْتَ قَوْمًا مُلُوكُ الْأَرْضِ سَيِّمَتُهُمْ سَمَاحَةً

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ بُسَّ بَيْتُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ بَيْتُ الْعُرُوسِ يُذَكَّرُ الدُّنْيَا وَيُنْسَى الْآخِرَةَ، وَكَانَ لِشَقِيقِ الْبَلْخِيِّ حُصٌّ يَكُونُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِيهِ فَإِذَا غَزَا هَدَمَهُ وَإِذَا رَجَعَ بَنَاهُ. بَلَّغْ يَا أَخِي أَهْلَ الْفُلُلِ وَالْعَمَائِرِ وَقُلْ عَنِ قَرِيبٍ سَتَسْكُنُونَ فِي مَسْكَنٍ ثَلَاثَ أَذْرُعٍ فَقَطْ وَيُسَدُّ عَلَيْكُمْ فِيهِ.

شِعْرًا: تَبْنِي الْمَنَازِلَ أَعْمَارًا مُهَدَّمَةً مِنَ الزَّمَانِ بِأَنْفَاسٍ وَسَاعَاتِي

آخِر: أَمَّا بُيُوتُكَ فِي الدُّنْيَا فَوَاسِعَةٌ فَلَيْتَ قَبْرِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ يَتَّسِعُ
السَّلْفُ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا الْمَوْعِظَةَ، أَوْ مَرُّوا بِحَدَادٍ يُوقِدُ نَارًا، صَعِقُوا
وَرُبَّمَا مَكَّنُوا بِلَا وَعْيٍ، أَيَّامًا، أَوْ أَشْهُرًا مُتَتَالِيَاتٍ، وَقَدْ سَمِعْتَ بِأَنَاسٍ قَتَلْتَهُمْ
الْمَوَاعِظُ أَمَّا نَحْنُ فَتَتَلَى عَلَيْنَا الْآيَاتُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا كَانَتْهَا مَرَّتْ قُلُوبَنَا مِنْ
الْإِنْهَمَاكِ بِالدُّنْيَا وَالْعَقْلَةِ أَصْبَحَتْ لَا تُؤَثِّرُ فِيهَا الْعِظَاتُ .

كَانُوا يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَلْتَفُونَ كُتْلَةً
وَاحِدَةً وَيَأْخُذُوا عَلَى يَدِ السَّفِيهِ أَمَّا نَحْنُ فَتَنْبِطُ وَنَقُولُ لِمَنْ يُرِيدُ الْمَسَاعَدَةَ مَا
أَنْتَ بِمُلْزَمٍ أَنْتَرَكَهُمْ .

السَّلْفُ كَانُوا يَنْصَحُونَ أَهْلَ الْمَعَاصِي، وَيَهْجُرُونَهُمْ، إِذَا أَصْرُوا عَلَى
الْمَعَاصِي وَلَوْ كَانُوا مِمَّنْ لَهُمْ مَنْزِلَةٌ وَمَكَانَةٌ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا
وَكَانُوا لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْ مَةَ لَائِمٍ وَهَمُّهُمْ عَالِيَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ رَفِيعَةٌ لَا يَحْشُونَ
إِلَّا اللَّهَ لَا يَتَمَلَّقُونَ وَلَا يَدَاهُنُونَ وَلَا يَخْضَعُونَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا: يَا مَنْ خَلَا بِمَعَاصِي اللَّهِ فِي الظُّلْمِ فِي اللُّوجِ يُكْتَبُ فِعْلَ السَّوِّ بِالْقَلَمِ
بِهَا خَلَوْتُ وَعَيْنُ اللَّهِ نَاطِرَةٌ وَأَنْتَ بِالْإِثْمِ مِنْهُ غَيْرُ مُكْتَبِمِ
فَهَلْ أَمِنْتَ مِنَ الْمَوْلَى عِقُوبَتَهُ يَا مَنْ عَصَى اللَّهَ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

آخِر:

قَالُوا نَرَى نَقْرًا عِنْدَ الْمُلُوكِ سَمَوْا وَمَا لَهُمْ هِمَّةٌ تَسْمُوا وَلَا وَرَعُ
وَأَنْتَ ذُو هِمَّةٍ فِي الْفَضْلِ عَالِيَةٌ فَلِمَ ظَمِئْتَ وَهُمْ فِي الْجَاهِ قَدْ كَرَعُوا
فَقُلْتَ بَاعُوا نُفُوسًا وَاشْتَرَوْا ثَمَنًا وَصُنْتُ نَفْسِي فَلِمَ أَخْضَعُ كَمَا خَضَعُوا
قَدْ يُكْرَمُ الْقَرْدُ إِعْجَابًا بِخِسَّتِهِ وَقَدْ يُهَانُ لِفَرْطِ النَّحْوَةِ السَّبْعُ

هَذَا الَّذِي كَانَ مِنْ سَلَفِنَا الْكِرَامِ نَحْوِ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ .

أَمَّا نَحْنُ فَتَتْرَكُهُمْ وَنَقُولُ ذُنُوبُهُمْ عَلَى جُنُوبِهِمْ، وَرُبَّمَا جَالَسْنَاهُمْ،

وَوَاكَلْنَاهُمْ، وَعَظَّمْنَاهُمْ، كَمَا يَسْمَعُ الْكَثِيرُ يَقُولُونَ لِلْمُجَاهِرِ بِالْمَعَاصِي
كَشَارِبِ الدُّخَانِ، وَحَالِقِ اللَّحْيَةِ، وَمُسْتَعْمِلِ آيَاتِ اللّٰهُ، يَا مُعَلِّمُ يَا أَسْتَاذُ
يَا سَيِّدُ وَالوَاجِبُ هَجْرُهُ لِيَرْتَدَعَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

شِعْرًا: عُرِيَ الْأَعْمَارِ يَغْلُوهَا انْفِصَامُ سَوَاءً فِي الثَّرَى مَلِكٌ وَعَبْدٌ
وَأَمْرُ اللَّهِ مَا مِنْهُ اعْتِصَامُ ثَوَى النِّعْمَانِ حَيْثُ ثَوَى عِصَامُ
أَعَدَّ لِمَوْقِفِ الْعَرْضِ احْتِجَاجًا لَعَلَّكَ لَيْسَ يَقْطَعُكَ الْخِصَامُ
وَلَا يَعْظُمُ سِوَى التَّفْرِيطِ حَظْبُ عَلِيكَ فَإِنَّهُ الْحَطْبُ الْعُظَامُ
إِذَا شَرِكْتَ بِكَ الْحَرْبُ الْعُقَامُ وَلَمْ تَعْرِفْ وَقَدْ فَجِئَ انْتِقَالُ
أَغْفَرُ لِلذُّنُوبِ أَمْ انْتِقَامُ تَوَقُّ مِنْ السَّفَارِ عَلَى اغْتِرَارِ
فَلَيْسَ لِسَاكِنِي الدُّنْيَا مُقَامُ وَإِنَّ الْمَوْتَ لِلْأَثْقَى شِفَاءُ
كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ لَهُ سَقَامُ حَذَارِ حَذَارِ إِنَّكَ فِي بَحَارِ
مِنَ الدُّنْيَا طَمَتْ فَلَهَا التَّطَامُ وَتَعَلَّمُ أَنَّهَا تُرْدِي يَقِينًا
وَمِنَّا فِي غَوَارِبِهَا افْتِحَامُ وَإِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَمَرْتُ
وَأَخْر: هُوَ الزَّمَانُ فَلَا عَيْشٌ يَطِيبُ بِهِ كَثْرَ الزَّحَامِ
يَجْنِي الْفَتَى إِذَا لِيَمَتْ جَنَائِئِهِ وَلَا سُرُورٌ وَلَا صَفْوٌ بِلَا كَدَرِ
وَكُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ يُعْجَبْنَا أَحَالَ مِنْ ذَنْبِهِ ظُلْمًا عَلَى الْقَدَرِ
فَإِنَّمَا هُوَ نُقْصَانٌ مِنَ الْعُمُرِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

«فَصَلِّ»: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ حُبُّ شَهْوَةٍ مِنْ
شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَيَكُونُ اسْتِعْرَاقَ قَلْبِهِ صَارِفًا وَجْهَهُ إِلَى الدُّنْيَا .

فَإِنَّ اتَّفَقَ قَبْضُ الرُّوحِ حَالَةَ غَلْبَةِ الدُّنْيَا فَلَا أَمْرَ حَاطِرٍ لِأَنَّ الْمَرْءَ يَمُوتُ عَلَى
مَا عَاشَ عَلَيْهِ كَمَا أَنَّهُ يُبْعَثُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ وَلَا يُمَكِّنُ اكْتِسَابُ صِفَةٍ أُخْرَى
لِلْقَلْبِ تَضَادُّ الصِّفَةِ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهِ لِأَنَّ ذَلِكَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَقَدْ انْقَطَعَ

بِالْمَوْتِ وَلَا أَمَلٍ بِالرُّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا لِيَتَذَارَكَ ذَلِكَ وَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْظُمُ الْحَسْرَةُ .
 وَيَشْتَدُّ النَّدَمُ وَكَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مُحْلِدٍ إِلَيْهَا وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا
 فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ وَلَمْ تُنْقِذْهُ مِنْ صَرَعَتِهِ وَلَمْ تَشْفِهِ مِنَ أَلَمِهِ وَلَمْ تُبْرِئْهُ مِنْ
 سَقَمِهِ .

شِعْرًا: بَلَى أَوْرَدْتُهُ بَعْدَ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ
 فَلَمَّا رَأَى أَنَّ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ
 تَنَدَّمَ إِذْ لَمْ تُعْنِ عَنْهُ نَدَامَةٌ
 آخِر: فِي التَّحْذِيرِ عَنِ الدُّنْيَا:

كَعَرُوسٍ زَيَّنَتْهَا مُسْرِفَاتُ
 عَارِفٍ يَسْمُو بِإِشْرَاقِ الصِّفَاتِ
 وَالزَّمِ التَّقْوَى إِلَى يَوْمِ الْوَفَاةِ
 وَيَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا وَمَا هِيَ دَارُهُ
 إِذَا صَحَّ فِيهَا فِكْرُهُ وَاعْتِبَارُهُ
 فَأَفْصَحُ شَيْءٍ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
 سَيُغْنِيكَ عَنِ جَهْرِ الْمَقَالِ سِرَارُهُ
 أَيْبَحْتُ مَعَانِيهِ وَأَقْوَتُ دِيَارُهُ
 تَنَاوَشُ أَطْرَافِ الْقَنَا وَاشْتِجَارُهُ
 وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزْتُهُ الْمَقَادِرُ
 وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَازِرُ نَاصِرُ
 تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهُا وَالْحَنَاجِرُ
 آخِر: يَسِّرَ الْفَتَى بِالْعَيْشِ وَهُوَ مُبِيدُهُ
 وَفِي عِبْرِ الْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ وَاعِظُ
 فَلَا تَحْسِنَ يَا غَافِلُ الدَّهْرَ صَامِتًا
 أَصْبَحْ لِمَنَاجَاةِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
 أَدَارَ عَلَى الْمَاضِينَ كَأَسَا فَكَلَّهْمُ
 وَلَمْ يَحْمِهِمْ مِنْ أَنْ يُسْقَوْا بِكَأْسِهِمْ
 آخِر: أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهَمُّومُهُ
 فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجُ
 وَقَدْ جَشَّتْ خَوْفَ الْمَيِّتَةِ نَفْسُهُ

وَلِهَذَا سَبَبَانِ أَحَدُهُمَا كَثْرَةُ الْمَعَاصِي وَالْآخَرُ ضَعْفُ الْإِيمَانِ وَذَلِكَ أَنَّ
 مُقَارَفَةَ الْمَعَاصِي مِنْ غَلْبَةِ الشَّهَوَاتِ وَرُسُوخَهَا فِي اللَّبِّ بِكَثْرَةِ الْإِلْفِ
 وَالْعَادَةِ، وَكُلُّ مَا أَلْفَهُ الْإِنْسَانُ فِي عُمُرِهِ يَعُودُ ذِكْرُهُ إِلَى قَلْبِهِ غَالِبًا عِنْدَ الْمَوْتِ .

فَعَلَيْكَ بِالْإِكْتِسَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ .

شِعْرًا: لَوْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ
أَمْضَى الْحَيَاةِ بِتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلِ
آخِر: وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
وَبِالنَّاسِ أَمْضَى وَقْتَهُ فِي الْعِبَادَةِ
وَأَعْرَضَ عَنِ قَبْلِ وَقَالٍ وَجَلَسَةٍ
مَعَ الْمُشْغَلِيِّ أَوْقَاتِهِمْ فِي الْمَضَرَّةِ
وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ وَحَمْدِهِ
وَشُكْرِ لَهُ وَقَتَ الْهَنَاءِ وَالْمَسَاءَةِ

فَإِنْ كَانَ مِثْلُهُ إِلَى الطَّاعَاتِ أَكْثَرَ كَانَ أَكْثَرَ مَا يَحْضُرُهُ غَالِبًا ذِكْرُ اللَّهِ
وَطَاعَتُهُ وَإِنْ كَانَ إِلَى الْمَعَاصِي أَكْثَرَ غَلَبَ ذِكْرُهَا عَلَى قَلْبِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ فَرَبَّمَا
تَفْيِضُ رُوحَهُ عِنْدَ غَلَبَةِ مَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي فَيَتَّقِي بِهَا قَلْبُهُ وَيَذْهَلُ عَنِ اللَّهِ
وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ لِاسْتِعْغَالِهِ بِمَا تَقَيَّدَ بِهِ نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ .

فَالذِّكْرِ غَلَبَتْ طَاعَتُهُ عَلَى مَعَاصِيهِ بَعِيدٌ عَنِ هَذَا الْخَطَرِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَالذِّكْرِ
غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي وَكَانَ قَلْبُهُ بِهَا أَفْرَحَ مِنَ الطَّاعَاتِ يُحْشَى عَلَيْهِ وَخَطَرُهُ
عَظِيمٌ جَدًّا .

وَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا الْمُجَاهَدَةُ وَالصَّبْرُ طُولَ الْعُمْرِ
فِي فِطَامِ نَفْسِهِ عَنِ الشَّهَوَاتِ مُحَافَظَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْهَا وَيَكُونُ طُولَ عُمُرِهِ
مُوَاطِبًا عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مُكْثَرًا لِذِكْرِ اللَّهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا وَمَاشِيًا
وَإِنْ كَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَشَيْئًا مِنْهُ فَلْيُدَاوِمْ عَلَيْهِ بِتَدْبِيرٍ وَتَفْهِيمٍ لِيَسْتَفِيدَ حِفْظًا
وَفَهْمًا وَأَجْرًا .

وَتَحْلِيلَةَ الْفِكْرِ عَنِ الشَّرِّ عُدَّةً وَذَخِيرَةً لِحَالَةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشَدَائِدِهِ فَإِنَّ
الْمَرْءَ يَمُوتُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ وَيُحْشَرُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ .

وَيُعْرَفُ ذَلِكَ أَيُّ أَنْ مَا أَلْفَهُ طُولَ عُمُرِهِ يَعُودُ ذِكْرُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِمِثَالِ،
وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا شَكَّ أَنَّهُ يَرَى فِي مَنَامِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي أَلْفَهَا طُولَ عُمُرِهِ

فَالَّذِي قَضَىٰ عُمُرَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ يَرَىٰ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ
وَرُؤْيَا بَعْضِهِمْ وَبَعْضِ كُتُبِ الْعِلْمِ وَالَّذِي قَضَىٰ عُمُرَهُ فِي التَّجَارَةِ يَرَىٰ مِنَ
الْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا .

وَالَّذِي قَضَىٰ عُمُرَهُ فِي الْخِيَاطَةِ يَرَىٰ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخِيَاطَةِ
وَالْخِيَاطِ وَالَّذِي قَضَىٰ حَيَاتَهُ فِي الْفِلَاحَةِ يَرَىٰ الْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْفِلَاحَةِ
وَالْفَلَاحِينَ .

وَالَّذِي قَضَىٰ عُمُرَهُ فِي الْفَسَادِ وَالْفُجُورِ يَرَىٰ فِي مَنَامِهِ الْأَحْوَالَ الْمُتَعَلِّقَةَ
بِالْفُجُورِ وَيَرَىٰ الْفَسَقَةَ مِثْلَهُ وَأَعْمَالَهُمْ مِنْ لِيَاطٍ أَوْ زِنَا أَوْ سَرِقَةٍ أَوْ مُسْكِرٍ أَوْ
دُخَانٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ وَقَسَّ عَلَىٰ ذَلِكَ بَاقِي الْأَعْمَالِ .

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَظْهَرُ فِي حَالَةِ النَّوْمِ مَا حَصَلَ لَهُ مُنَاسِبَةٌ مَعَ الْقَلْبِ
بَطُولِ الْإِلْفِ أَوْ بِسَبَبِ آخَرٍ مِنَ الْأَسْبَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَالْمَوْتُ شَيْبَةٌ بِالنَّوْمِ وَلَكِنَّهُ
فَوْقَهُ وَلَكِنْ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَمَا يَتَقَدَّمُهُ مِنَ الْعَشِيَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّوْمِ فَرُبَّمَا
اِقْتَضَىٰ ذَلِكَ تَذَكُّرَ مَا لَوْفَهُ وَعَوْدَهُ إِلَى الْقَلْبِ وَأَحَدَ الْأَسْبَابِ الْمُرْجِحَةِ لِذَلِكَ
أَيُّ ذِكْرُهُ فِي الْقَلْبِ طُولُ الْإِلْفِ لِذَلِكَ .

إِذَا فَهَمَّتْ ذَلِكَ فَاحْذَرِ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَتَلُوا أَوْ قَاتَلْتَهُمْ فِي مُقَابَلَةِ
التَّلْفِزِيُونِ وَالسَّيْنِمَا وَالْمِذْيَاعِ وَالْبِكْمَاتِ وَالصُّوْرِ وَنَحْوِ الْمُنْكَرَاتِ الْمَحْرَمَاتِ
وَاحْذَرِ تَعَاطِيَهَا بَيْعًا أَوْ شِرَاءً فَتَحْسِرَ وَفَتَكُ وَمَا لَكَ، نَسَّأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ مِنْهَا
وَمِنْ جَمِيعِ الْمَحْرَمَاتِ .

وَلِذَا نُقِلَ عَنِ بَقَالٍ أَنَّهُ كَانَ يُلْقَنُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَلِمَتِي الشَّهَادَةِ فَيَقُولُ
خَمْسَةَ سِتَّةِ أَرْبَعَةٍ فَكَانَ مَشْغُولًا بِالْحِسَابِ الَّذِي طَالَ إِلْفُهُ لَهُ فَغَلَبَ عَلَى لِسَانِهِ
وَلَمْ يُوفِّقْ لِلشَّهَادَتَيْنِ وَيَحْشَىٰ عَلَى صَاحِبِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ وَمُتَّخِذِي
آلَاتِ اللَّهِ مِنْ شِطْرُنَجٍ وَأَعْوَادٍ وَأُورَاقٍ لَعِبٍ وَبِكْمَاتٍ وَاصْطُوانَاتٍ وَكَرَّةٍ

وَمِذْيَاعٍ وَتَلْفِزِيُونَ وَسَيْنَمَا وَصُورٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَشْعُولًا بِهَا فِي آخِرِ
لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ فَيَكُونُ خِتَامُ صَحِيفَةِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ مِمَّا يَأْتِي فِيهَا مِنْ أَغَانِي
وَتَمَنِّيَّاتٍ وَصُورٍ وَفِذْيُو وَنَحْوِهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ
الْحَاتِمَةِ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلْإِسْتِعَادِ لِمَا أَمَانَنَا، اللَّهُمَّ وَقَوِي أَيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ
وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ
صُدُورَنَا وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَعِزَّنَا مِنْ عَدُوِّكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: قد آن بعد ظلام الجهل إبصاري
لِيلُ الشَّبَابِ قَصِيرٌ فَاسِرْ مُبْتَدِرًا
كَمْ اغْتَرَارِي بِالدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
وَوَعْدِ زُورٍ وَعَهْدٍ لَا وَفَاءَ لَهُ
دَارٌ مَاتِمُهَا تَبْقَى وَلَذَتْهَا
فَلَيْتَ إِذْ صَفَرْتَ مِمَّا كَسَبْتُ يَدِي
لَيْسَ السَّعِيدُ الَّذِي دُنِيَاهُ تُسْعِدُهُ
الشَّيْبُ صَبْحٌ يُنَاجِينِي بِإِسْفَارِ
إِنَّ الصَّبَاحَ قُصَارَى الْمُدْلِجِ السَّارِي
أَبْنِي بِنَاهَا عَلَى جُرْفٍ لَهَا هَارِي
تَعَلَّمَ الْعَدْرَ مِنْهَا كُلُّ عَدَارِ
تَفَنَى أَلَا قُبِّحَتْ هَاتِيكَ مِنْ دَارِ
لَمْ تَعْتَلِقْ مِنْ خَطَايَاهَا بِأَوْزَارِ
إِنَّ السَّعِيدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

والله أعلم، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللَّهِ كَانَ سَلَفُنَا يَزُورُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِلْمَذَاكِرَةِ لِلْعِلْمِ
وَتَذَكُّرِ الْمَلَمَاتِ وَالْمُهَمَّاتِ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مَعْنَاهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ
رَسُولِهِ ﷺ، وَعَنْ أَوْرَادِهِمْ وَمَقْدَارِهَا فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْأَذْكَارِ
وَالصَّدَقَاتِ وَعَنْ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ لِيَقْتَنُوهَا وَالْكُتُبِ الضَّارَّةِ لِيَجْتَنِبُوهَا .

هَذَا مَدَارٌ مَجَالِسِهِمْ لَا يُخْطِئُونَهُ وَلَا يَدُورُ لَهُمْ غَيْرُهُ عَلَى بَالٍ أَيْنَ هَذَا مِنْ

مَجَالِسِنَا وَهِيَ مَوَارِدُ غَضَبٍ وَمَقْتٍ وَغَيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ وَبُهْتٍ وَمُدَاهَنَةٍ وَمُصَانَعَةٍ
 وَقَذْفٍ وَتَسَاوُلٍ كَمْ مَرَّتْ بُلْبُلَانِ، وَفِي إِيِّ مَرْتَبَةٍ زَيْدٌ، وَكَمْ فَلَّةٌ وَعِمَارَةٌ لِعُمَرَ،
 وَكَمْ دُكَّانٌ لِيَكْرٍ وَبِكْمٍ بَاعَ فُلَانٌ بَيْتَهُ، وَمَا الَّذِي أُذْبِعَ فِي الْمَلَاهِي، وَانْكِبَابٍ
 عَلَى الْمَجَلَّاتِ وَالْجَرَائِدِ حَمَالَاتِ الْكَذِبِ فَتَلَّاتِ الْأَوْقَاتِ فِي اللَّهْوِ وَمَا لَا
 فَائِدَةَ فِيهِ وَأَيْنَ قَضَيْتِ الْعُطْلَةَ فِي لُبْنَانَ أَوْ فِي أَوْرُبَا أَوْ فِي مِصْرَ.

كَانَتْ أَسْفَارُ السَّلَفِ لِلِقَاءِ أَحْبَارِ الْأُمَّةِ أَوْعِيَةَ الْعِلْمِ مَهْمَا كَانُوا بَعِيدِينَ
 يَتَلَقَّوْنَ عَنْهُمْ عِلْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَتَفَقَّهُوْنَ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ أَلَيْسَ مِنَ الْمُؤَسِّفِ
 أَنْ يَكُونَ أَوْلَيْكَ النَّاسُ سَلَفَنَا وَيَبِينَنَا وَبَيْنَهُمْ هَذَا الْإِنْفِصَالُ.

كَانَ حُبُّ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَتَوَادُّدُهُمْ وَتَرَاحُمُهُمْ فَوْقَ مَا يُتَصَوَّرُ كَانَ يَمُرُّ
 الْمَارُّ فِي بِيوتِهِمْ فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا دَوِيَّ أَصْوَاتِهِمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ.

وَالآنَ مَا تَسْمَعُ مِنْ بِيوتِنَا إِلَّا مَا يُحَرِّضُ عَلَى الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ وَالْعِصْيَانِ
 وَالنَّشُوزِ وَالْمَخَاصِمَاتِ وَالطَّلَاقِ وَالتَّفْرِقِ وَالْقَطِيعَةِ وَالْعُقُوقِ مِنْ أَعَانٍ وَالْحَانَ
 مِنْ مَذْيَاعٍ وَتَلْفِزِيُونَ وَفِدْيُونَ وَنَحْوِهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي عَمَّتْ وَطَمَّتْ وَابْتَلَى
 بِهَا الْخَلْقَ وَحَطَّمَتِ الْأَدْيَانَ وَالْأَخْلَاقَ وَقَضَّتْ عَلَى الْعَيْرَةِ الدِّينِيَّةِ.

تَنْبِيهِ: إِنَّتَبِهْ يَا مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَاتَى بِكُفَّارٍ حَدَّامِينَ أَوْ سَائِقِينَ أَوْ
 مُرَبِّينَ أَوْ خِيَاطِينَ أَوْ طَبَاخِينَ وَأَمْنَهُمْ عَلَى أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَمَحَارِمِهِ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُمْ
 أَعْدَاءُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ حَذَّرَ يَا أَخِي عَنْ بَثُّهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُلْ لَهُ عَمَلُكَ
 هَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ نَشَرٌ لِلْفَسَادِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَنَائَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى مَنْ
 هُمْ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ وَمُصَادَمَةٌ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ
 مِثْلُهُ»، هَذَا مَا نَقَدَرُ عَلَيْهِ مِنَ النَّصْحِ وَانْكَارِ الْمُنْكَرِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ وَسَتَظْهَرُ
 ثَمَرَةُ مُحَالَطَةِ الْأَجَانِبِ وَاسْتِخْدَامُهُمْ بَعْدَ ثَمَانِ أَوْ عَشْرِ سِنَوَاتٍ، اللَّهُ أَعْلَمُ فِيمَا
 أَظُنُّ وَسَيَنْدُمُ الْمُسْتَحْدِمُونَ وَنَحْوَهُمْ نَدَامَةً عَظِيمَةً عِنْدَمَا يَتَحَلَّقُوا أَوْلَادَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ

بأخلاق الكفرة والفسفة ويشبون عليها ويألفونهم ولغتهم . ولكن لا ينفع الندم
حينما يفوت الآوان ويتذكرون نصح الناصح وإهمالهم له .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا ، وَأَجِرْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

وَالْيَ أُولَى الْعِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيدِ
قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْإِلَهَ لِحِفْظِ هَدْيِهِ
وَأَقَامَهُمْ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالْتِدْيِ
يَزُكُّ عَلَى الْإِسْلَامِ بَلْ حِصْنٌ لَهُ
فَهُمُ الْمَحْكُتُ فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصًا
قَوْمٌ هُمُوا بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ
شَتَانٌ بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصُهُ
وَالتَّارِكِينَ لِأَجْلِهَا آرَاءُ مَنْ
لَمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ
فَلِذَلِكَ نَامُوا عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحُوا
وَالرُّكْبُ قَدْ وَصَلُوا الْعُلَا وَتَيَّمَّمُوا
وَأَتُوا إِلَى رَوْضَاتِهَا وَتَيَّمَّمُوا
قَوْمٌ إِذَا مَا نَاجَدُ النَّصَّ بَدَا

ثِ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ وَالْأَكْوَانِ
ذَا الدِّينَ مِنْ ذِي بَدْعَةِ شَيْطَانِ
تَحْرِيفِ وَالتَّنْمِيمِ وَالتَّقْصَانِ
يَأُوي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الْفُرْقَانِ
لَهُمُوا فِرْنَيْدِيْقُ حَبِيْثُ جَنَانِ
أُولَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلْإِيْمَانِ
حَقًّا لِأَجْلِ زُبَالَةِ الْأَذْهَانِ
آرَأُوهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ
ثَقُلَتْ رُؤُسُهُمُوا عَنِ الْقُرْآنِ
يَتَلَاعَبُونَ تَلَاعَبَ الصَّيَّانِ
مِنْ أَرْضِ طَيِّبَةِ مَطْلَعِ الْإِيْمَانِ
مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ مَطْلَعِ الْقُرْآنِ
طَارُوا لَهُ بِالْجَمْعِ وَالْوِجْدَانِ

وَإِذَا هُمُوا سَمِعُوا بِمُتَدِّعٍ هَدَى
وَرِثُوا رَسُولَ اللَّهِ لَكِنْ غَيْرُهُمْ
وَإِذَا اسْتَهَانَ سِوَاهُمْ بِالنَّصِّ لَمْ
عَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِدِ رَغْبَةً
لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً
عَزَلُوهُ فِي الْمَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ
ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ وَبِسِكِّةٍ
وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الْمَطَاعِ لِغَيْرِهِ
يَا لِلْعُقُولِ أَيْسُورِي مَنْ قَالَ بَالٍ
وَمُخَالَفٍ هَذَا وَفِطْرَةَ رَبِّهِ
بَلْ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرُوا عَلَى
وَالْوَحْيِ جَاءَ مُصَدِّقًا لَهُمَا فَلَا
سِلْمَانَ عِنْدَ مُوَفَّقِي وَمُصَدِّقِي
فَإِذَا تَعَارَضَ نَصُّ لَفِظٍ وَارِدٍ
فَالْعَقْلُ إِمَّا فَاسِدٌ وَيُظَنُّهُ الرِّ
أَوْ أَنَّ ذَاكَ النَّصُّ لَيْسَ بِثَابِتٍ
وَتُصَوِّفُهُ لَيْسَتْ يُعَارِضُ بَعْضُهَا
وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا
أَوْ أَنَّ يَكُونُ الْبَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ

اللَّهُمَّ اللَّهُمَّا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنَا حُبَّهُ عِنْدَكَ،
اللَّهُمَّ وَمَا رَزَقْتَنَا مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لَنَا فِيمَا نُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنَّا
مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لَنَا فِيمَا نُحِبُّ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ اقْبَلْ تَوْبَتَنَا وَاعْسِلْ حَوْبَتَنَا وَأَجِبْ دَعْوَتَنَا وَتَبِّتْ حُجَّتَنَا وَاهْدِ قُلُوبَنَا

وَسَدَّدَ السِّنِينَ وَاسْتَلَّنَ سَخِيمَةَ قُلُوبِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة » : عِبَادَ اللَّهِ طَاعَةَ اللَّهِ صَلَاحُ فِي الْأَرْضِ لِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
بِالطَّاعَاتِ وَهَذِهِ الطَّاعَاتُ تُرْضِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهُ شَكَرٌ غَفُورٌ وَهَذِهِ
الطَّاعَاتُ هِيَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ يَكُونُ يُسْرُ الْعِبَادِ فَيَكُونُونَ فِي حَيَاتِهِمْ هَذِهِ فِي
سَعَادَاتٍ وَهِيَ النَّبِيُّ إِذَا بُعِثُوا أَدْخَلَهُمْ بِهَا اللَّهُ الْجَنَّاتِ ، فَالنَّاسُ إِذَا لَزِمُوا طَاعَةَ
اللَّهِ نَالُوا الْخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَخَيْرٌ مَا تَزَوَّدَهُ الْمَرْءُ تَقْوَى اللَّهِ .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ
حَسَنٍ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ خَاطَبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ أَبَا ذَرٍّ
أَحَدَ السَّابِقِينَ فِي الْإِسْلَامِ وَتَلْبِيَةَ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا أَسْلَمَ وَالنَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ
وَرَأَى مِنْ حِرْصِهِ عَلَى الْمَقَامِ مَعَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ قَالَ لَهُ هَذِهِ
الْمَقَالَةُ .

وَاشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ عَلَى أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ جَمَعَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ
حَقِّ اللَّهِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ فَحَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ وَالتَّقْوَى كَلِمَةٌ
جَامِعَةٌ لِلْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ مَانِعَةٌ مِنَ النَّقَائِضِ وَالرَّذَالِاتِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى هِيَ امْتِثَالُ
الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ وَالْوُقُوفُ عِنْدَ الْحَدِّ الشَّرْعِيِّ الَّذِي حَدَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ هِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ وَوَصِيَّةُ كُلِّ رَسُولٍ لِقَوْمِهِ
أَنْ يَقُولُوا اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ التَّقْوَى فِي الدَّارَيْنِ بَابٌ وَاسِعٌ
لِلْمُتَّقِي الْمَلَازِمِ لِلْأَدَبِ يَنْفُذُ مِنْهُ أَنْ نَزَلَتْ بِالنَّاسِ شِدَائِدٌ أَوْ نَزَلَ بِهِ شِدَّةٌ لَا مَفْرَّ

مِنْهَا وَإِنْ شِئْتَ فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

إِنَّ رَبَّنَا الَّذِي بِيَدِهِ أَرْزَمَةُ الْأُمُورِ : بِيَدِهِ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ لَا زَيْدٌ وَلَا عَمْرٍو وَلَا خَالِدٌ وَلَا بَكْرٌ وَالتَّقْوَى جَمَالٌ لِلْمَرْءِ لَا يُمَانُهُ جَمَالٌ فِي نَظَرِ الْأَفْضَلِ الْمُتَّقِينَ وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّمَهَا تُفْزُ	إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
وَأَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ تَنْلُ مِنْهُ الرِّضَا	إِنَّ الْمُطِيعَ لَهُ لَدَيْهِ مُقَرَّبٌ
آخِرُ : إِنَّ التَّقِيَّ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ	يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسَّرِيرِ
آخِرُ : يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ	وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَا
يَقُولُ الْمَرْءُ فَايَّدْتِي وَمَالِي	وَتَقْوَى اللَّهِ أَعْظَمُ مَا اسْتَفَادَا
آخِرُ : أَطِيبُ الطَّيِّبَاتِ فِعْلُ الْفَرَائِضِ	وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِقَتْلِ الْأَعَادِي
وَرَسُولٌ يُهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً	تَنْتَفِعُ فِيهَا أَحْيَى فِي الْمَعَادِ
آخِرُ : أَطِعِ الْإِلَهَ وَلَا تُطِعْ لِهَوَاكََا	إِنَّ الْإِلَهَ إِذَا أَطِيعَتْ هَذَاكََا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَسُوذُ وَلَنْ تَرَى	سُبُلَ الرَّشَادِ إِذَا عَصَيْتَ اللَّهَ
آخِرُ : وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَعَ رِجَالٍ قُلُوبُهُمْ	تَحُنُّ إِلَى التَّقْوَى وَتَرْتَاخُ لِلذِّكْرِ

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَيَّ بَأْيِ زَمَانٍ وَجَدْتَ وَأَيَّ مَكَانٍ أَقَمْتَ فَإِنَّ التَّقْوَى لَا تَنْفِيذُ بَزَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ وَإِنَّمَا هِيَ عِبَادَةٌ وَأَخْلَاصٌ لِلرَّحْمَنِ وَكَفَّ عَنْ مَحَارِمِهِ وَمُكَافَحَةٌ لِهَوَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ .

وَمَوْضِعُهَا الْقَلْبُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « التَّقْوَى هَاهُنَا وَيَشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ » وَتَظْهَرُ آثَارُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ وَالْإِنْكَفَافِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ

إلى قلوبكم» ، فعلى الإنسان أن يندل جده واجتهاده في تحسين موضع نظر الله منه ليكون نقياً طاهراً خالياً من الغش والحسد والحقد والظنون السيئة بالمسلمين خالياً من جميع الأمراض النفسية والخلقية فلعل الله ينظر له نظرة قبول ورحمة وعطف واحسان وامتنان .

يَا أَبَا ذَرٍّ أَمْرُكَ بِالتَّقْوَى الْمُشْتَمَلَةَ عَلَى امْتِنَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَالاِبْتِعَادِ عَنِ مَحَارِمِهِ .

وَكَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَمِيرِ جَيْشِهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ يَحُضُّهُ فِيهِ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَيُحَذِّرُهُ الْمَعَاصِي فَقَالَ وَبَعْدُ فَأَنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعِدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاساً مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَإِنَّمَا يُنْصَرُّ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ لِلَّهِ .

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عُدَّتْنَا كَعُدَّتِهِمْ فَإِنْ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ وَإِلَّا نُنْصَرُّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَعْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ حَفْظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَلَا تَقُولُوا أَنَّ عَدُوَّنَا شَرٌّ مِنَّا فَلَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا قَرَبٌ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرٌّ مِنْهُمْ كَمَا سُلِّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي كُفَّارُ الْمَجُوسِ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ مَفْعُولاً .. وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ لِي وَلَكُمْ .. أَهـ .

فَتَأَمَّلْ مَا كَتَبَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قَائِدِ جَيْشِهِ يَأْمُرُهُ بِالتَّقْوَى وَيُحَذِّرُهُ مِنَ الْمَعَاصِي بِأَشَدِّ الْمَوَاقِفِ وَأَخْرَجَهَا عِنْدَ مُقَابَلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِجَيْشِ الْعَدُوِّ مِنْ

الْكَفَرَةَ الْمَعَانِدِينَ لِعِلْمِهِ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ وَالذَّخِيرَةِ وَأَقْوَى عَامِلٍ لِنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَالْعَلْبَةِ عَلَيْهِمْ وَالظَّفَرِ بِهِمْ .

فَتَمَسَّكَ الْمُسْلِمُونَ بِوَصِيَّةِ عُمَرَ وَكَانُوا كَمَا وَصَفَ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ الْمُسْلِمِينَ لِرَجُلٍ مِنَ الرُّومِ أَمِيرٌ فَقَالَ جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ رِجَالٍ دِقَاقٍ يَرْكَبُونَ نُحْيُولًا عِتَاقًا أَمَّا اللَّيْلُ فَرُهْبَانٌ وَأَمَّا النَّهَارُ ففُرْسَانٌ لَوْ حَدَّثْتُ جَلِيسَكَ حَدِيثًا مَا فَهَمَهُ عَنْكَ لِمَا عَلَا مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ فَالْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ أَتَاكُمْ مِنْهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ .

شِعْرًا: هُمُ الرَّجَالُ وَعَبْنٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَالِي وَصَفِهِمْ رَجُلٌ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمُحُّهَا» لِمَا كَانَ الْعَبْدُ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ مِنْهُ تَقْصِيرٌ فِي التَّقْوَى وَلَوْ أَرَمَهَا أَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَدْفَعُ ذَلِكَ وَيَمْحُوهُ فَكَانَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ :

وَحَيْثُ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الزَّلَلِ وَالْحَطَا، فَإِذَا مَا وَقَعَتْ مِنْكَ زَلَةٌ أَوْ خَطِيئَةٌ فَاتَّبِعْهَا بِالْحَسَنَةِ فَهِيَ مَاحِيَةٌ لَهَا مُحْلِصَةٌ لَكَ مِنْ شَرِّهَا وَاثْمِهَا تَظْهِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ فَقَابَلْهُ بِالْإِحْسَانِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ .

شِعْرًا: أَصْدَقُ صَدِيقِكَ إِنْ صَدَقْتَ صَدَاقَةً وَادْفَعْ عَدُوَّكَ بِالَّتِي فَإِذَا الَّذِي وَهَذَا مِنْ أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الْمَرْءِ وَأَجَلِّ صِفَاتِهِ فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ مُسِيئٌ مِنْ الْخَلْقِ خُصُوصًا مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْكَ كَالْأَقْرَبِ وَالْأَصْحَابِ وَنَحْوِهِمْ فَقَابِلْ إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ وَسَوَاءٌ كَانَتْ إِسَاءَةٌ قَوْلِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً فَإِنْ قَطَعْتَ فَصْلَهُ وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاعْفُ عَنْهُ وَإِنْ تَكَلَّمَ فِيكَ غَائِبًا أَوْ حَاضِرًا فَلَا تُقَابَلْهُ بِالْإِسَاءَةِ بَلْ اعْفُ عَنْهُ وَعَامِلْهُ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ وَإِنْ هَجَرَكَ وَتَرَكَ خِطَابَكَ فَطَيِّبْ لَهُ الْكَلَامَ وَابْدُلْ لَهُ السَّلَامَ كَمَا قِيلَ :

شِعْرًا: وَأَنَّ أَسَاءَ مُسِيٍّ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي
 آخِر: فَإِنَّ جَارَيْتَ ذَا جُرْمٍ بِجُرْمٍ
 آخِر: إِذَا سَفَهَ السَّفِيهَ عَلَيْكَ فَاجْعَلْ
 فَإِذَا قَابَلْتَ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ حَصَلَ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ، كَأَنَّهُ قَرِيبٌ شَقِيقٌ وَهَذَا فِيمَا إِذَا كَانَ الْمُتَعَدِّي
 مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَأَهْلًا لِلْعَفْوِ وَالْمَسَامَحَةِ وَالْمَقَابَلَةِ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ وَالْحَدَرَ مِنْ
 الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ .

شِعْرًا: كَمْ جَاهِلٍ مُتَوَاضِعٍ
 وَمُمَيِّزٍ فِي عِلْمِهِ
 فَدَعِ التَّكْبُرَ مَا حَيٍّ
 فَالْكِبْرُ عَيْبٌ لِلْفَتَى
 سَتَرَ التَّوَاضِعُ جَهْلَهُ
 هَدَمَ التَّكْبُرُ فَضْلَهُ
 يَتَ وَلَا تُصَاحِبْ أَهْلَهُ
 أَبَدًا يُقْبَحُ فِعْلُهُ

وَأَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْمُتَعَطِّرِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّذِينَ يَزِيدُهُمُ الْعَفْوُ عُتُورًا وَطُعْيَانًا
 وَتَمَادِيًا فِي ظُلْمِهِمْ وَشَرِّهِمْ وَبَغْيِهِمْ فَاسْتَعْمَالَ الشَّدَّةِ وَالْحَزْمِ وَالْقَسْوَةِ أَوْلَى
 لِيَرْتَدُّعُوا لِأَنَّ اللَّئِيمَ إِذَا أَكْرَمْتَهُ تَمَرَّدَ وَإِذَا أَهْنَتْهُ رَبَّمَا تَأَدَّبَ وَاعْتَدَلَ . وَقَدِيمًا
 قِيلَ :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لِلْأَنْدَالِ تُفْسِدُهُمْ
 آخِر: إِنَّ الْعَبِيدَ إِذَا أَذَلَّتْهُمْ صَلَحُوا
 آخِر: إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ
 فَوَضِعُ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَا
 إِنَّ الْحَدِيدَ تُلِينُ النَّارُ قَسْوَتَهُ
 كَمَا تُضِيرُ رِيَاحُ الْوَرْدِ بِالْجَعَلِ
 عَلَى الْهَوَانِ وَإِنْ أَكْرَمْتَهُمْ فَسَدُوا
 وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
 مُضِرُّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا
 وَلَوْ صَبَبْتَ عَلَيْهِ الْبَحْرَ مَا لَانَا
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ ، مَدَحُهُمْ جَلَّ
 وَعَلَا لِإِنْتِصَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَغَى عَلَيْهِمْ وَأَرْدَفَ جَلَّ وَعَلَا ذَلِكَ بِمَا يَدُلُّ
 عَلَى أَنَّ الْإِنْتِصَارَ مُقَيَّدٌ بِالْمِثْلِ لِأَنَّ التَّقْصَانَ حَيْفٌ وَالزِّيَادَةُ ظُلْمٌ وَالسَّائِي هُوَ
 الْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فَقَالَ : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ .

وَنُعَوِّدُ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى آخِرِ جُمْلَةٍ فِي الْحَدِيثِ وَهِيَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَحَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنًا» أَيِّ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ، وَالْخُلُقُ صُورَةُ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةِ. وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ فِي الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ هُوَ أَسُّ الْفَضَائِلِ وَيَنْبُوعُ الْمَكَارِمِ وَعَيْنُ الْكَمَالِ.

وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ» الْمَعْنَى أَنَّ خَيْرَ خِصَالِ الْبِرِّ وَأَعْظَمَهَا حُسْنُ الْخُلُقِ نَظِيرَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «الْحَجَّ عَرَفَهُ» وَنَاهِيكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ امْتَدَّحَ مُحَمَّدًا ﷺ بِهِ لِبَيَانِ فَضْلِهِ وَعُلُوِّ مَنَزَلَتِهِ وَشَرَفِهِ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ مُهِمَّتَهُ الَّتِي لِأَجْلِهَا بُعِثَ وَبِهَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَقُولُ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا شَاكَلَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَلَنَا الْأَسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَقَدْ ذَكَرْنَا تَمَازِجَ مِنْ حِلْمِهِ ﷺ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ لِيُنَ الْجَانِبِ وَالتَّوَاضُّعُ وَعَدَمُ الْعِظْبِ وَكُفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ وَالْعَفْوُ عَنْ مَسَاوِيهِمْ وَأَذْيَتِهِمْ وَمُعَامَلَتُهُمْ بِالْإِحْسَانِ الْقَوْلِيِّ وَالْإِحْسَانِ الْفِعْلِيِّ وَبَشَاشَةِ الْوَجْهِ وَلُطْفِ الْكَلَامِ وَالْقَوْلِ الْجَمِيلِ الْمُؤْنِسِ لِلْجَلِيسِ الْمُدْخِلِ عَلَيْهِ السُّرُورَ الْمُزِيلِ عَنْهُ الْوَحْشَةَ.

وَمِنْ الْخُلُقِ الْحَسَنِ أَنْ تُعَامِلَ كُلَّ أَحَدٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ وَيُنَاسِبُ حَالَهُ وَمِمَّا يُشْمَرُهُ حُسْنُ الْخُلُقِ تَيْسِيرُ الْأُمُورِ لِصَاحِبِهِ وَحُبُّ الْخُلُقِ لَهُ وَمَعُونَتُهُمْ وَالِابْتِعَادُ عَنْ أَذَاهُ وَقَلَّةُ مَشَاكِلِهِ فِي الْحَيَاةِ مَعَ النَّاسِ وَالْمُجَالِسِينَ لَهُ وَاطْمِئْنَانُ نَفْسِهِ وَطَيْبُ عَيْشِهِ وَرِضَاؤُهُ بِهِ.

وَمِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ الصِّدْقُ وَالْوَفَاءُ وَالشَّهَامَةُ وَالتَّجَدُّدُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ

والتواضع وعلو الهمة والتثبت والعفو والبشر والرحمة والشجاعة والوقار
والورع والسياسة والصبر والحياء والسخاء والنزاهة والقناعة وحفظ السر
والعفة والإيتار.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قِبَائِحِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا
انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا
مَنَا، وَآمِنْنَا عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَحْوِيهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: أَسْعَدْنَا مَنْ وَفَّقَ اللَّهُ
وَمَنْ رَضِيَ مِنْ رِزْقِهِ بِالَّذِي
وَاطَّرَحَ الْحِرْصَ وَأَطْمَاعَهُ
طُوبَى لِمَنْ فَكَّرَ فِي بَعْثِهِ
وَاسْتَدْرَكَ الْفَارِطَ فِيمَا مَضَى
فَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي جَمِيعِ الْوَرَى
وَكُلُّ مَنْ عَاشَ إِلَى غَايَةٍ
يَعْلَمُهُ حَقًّا يَقِينًا بِلَا
كَأْتَمَّا حُصَّ بِهِ غَيْرُنَا
وَإِنْ جَرَى ذِكْرٌ لَهُ بَيْنَنَا
وَلَيْسَ فِينَا وَاحِدٌ عَامِلٌ
كَمْ آمِنٍ فِي سِرِّهِ غَافِلٌ
أَمْوَالُهُ لَا تُنْحَصِي كَثْرَةً
وَمِنْ عَظِيمِ الذِّكْرِ فِي نِعْمَةٍ

لِكُلِّ فَعَلٍ مِنْهُ يَرْضَاهُ
قَدْرَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ
فِي تَيْلٍ مَا لَمْ يُعْطِهِ مَوْلَاهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ اللَّهُ
وَمَا نَسِيَ فَاللَّهُ أَحْصَاهُ
طُوبَى لِمَنْ تُحْمَدُ عُقْبَاهُ
فِي الْعُمْرِ فَالْمَوْتُ قُصَارَاهُ
شَكٌّ وَلَكِنْ يَتَنَاسَاهُ
أَوْ هُوَ خَطْبٌ نَتَوَقَّاهُ
فَلْنَا جَمِيعًا قَدْ عَلِمْنَاهُ
لِغَيْرِ مَا يُصْلِحُ دُئِيَاهُ
فِي أَعْظَمِ الْعِزِّ وَأَوْفَاهُ
وَالْحَلْقُ تَرْجُوهُ وَتَحْشَاهُ
يُرْجَى وَيُحْشَى وَلَهُ جَاهُ

قَدْ بَاتَ فِي خَفْضٍ وَفِي غِبْطَةٍ فِي أَطْيَبِ الْعَيْشِ وَأَهْنَاهُ
 أَصْبَحَ قَدْ فَارَقَ ذَا كُلِّهِ قَهْرًا وَصَارَ الْقَبْرُ مَثْوَاهُ
 فَزَالَتِ النَّعْمَةُ فِي لَحْظَةٍ وَاسْتُرْجِعَتْ مِنْهُ عَطَايَاهُ
 سَيِّقَ إِلَى دَارِ الْبِلَى مُكْرَهًا لَمْ يُعْنِ عَنْهُ الْمَالُ وَالْحِجَاهُ
 وَكُلُّ مَنْ كَانَ وَدُودًا لَهُ تَحْتَ تُرَابِ الْأَرْضِ وَارَاهُ
 حَتَّى إِذَا مَا غَابَ عَنْ عَيْنِهِ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا وَحَلَاهُ
 مُقَاطِعًا مُطَّرِحًا مُهْمَلًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ يَتَجَافَاهُ
 كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ سَاعَةً وَلَمْ يَكُنْ فِي الدَّهْرِ لَاقَاهُ
 لِي أَجَلٌ قَدَرُهُ خَالَقِي نِعْمٌ وَرِزْقٌ أُتَوَّفَاهُ

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
 أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا، وَأَجِرْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
 وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيُتِّينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»: قال ابن القيم رحمه الله الدين كله يرجع إلى هذه القواعد

الثلاث: فعل المأمور، وترك المحذور، والصبر على المقدور.

وهذه الثلاثة هي التي أوصى بها لقمان لابنه في قوله: يا بني أقم الصلاة

وأمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر وأصبر على ما أصابك.

فأمره بالمعروف: يتناول فعله بنفسه وأمر غيره به، وكذلك نهيته عن

المنكر.

أما من حيث إطلاق اللفظ، فتدخل نفسه وغيره فيه، وأما من حيث اللزوم الشرعي، فإن الأمر الناهي لا يستقيم له أمره ونهيه، حتى يكون أول مأمور ومنهي .

وذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يُوَفُّونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقِبَى الدَّارِ﴾ .

فجمع لهم مقامات الإسلام والإيمان في هذه الأوصاف، فوصفهم بالوفاء بعهده الذي عاهدهم عليه، وذلك يعم أمره ونهيه الذي عهده إليهم، بينهم وبينه، وبينهم وبين خلقه. ثم أخبر عن استمرارهم بالوفاء به بأنهم لا يقع منهم نقضه .

شِعْرًا: إِذَا أَنْتَ لَمْ تُصَلِّحْ لِنَفْسِكَ لَمْ تَجِدْ
آخِر: نِعْمُ إِلَهِهِ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ
آخِر: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ نِعْمَةٍ
وَكُلٌّ مَنْ عُوْفِي فِي دِينِهِ
لَهَا أَحَدًا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يُصَلِّحُ
وَأَجْلُهُنَّ فَنِعْمَةُ الْإِيمَانِ
أَوْفَى عَلَى الْعَبْدِ مِنْ طَاعَتِهِ
فَأِنَّهُ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٌ

ثم وصفهم بأنهم يعملون ما أمر الله به أن يوصل، ويدخل في هذا ظاهر الدين وباطنه، وحق الله، وحق خلقه، فيصلون ما بينهم وبين ربهم بعبوديته وحده لا شريك له، والقيام بطاعته .

والإنابة إليه والتوكل عليه، وحبه وخوفه ورجائه، والتوبة والاستكانة له، والخضوع والذلة له، والإعتراف له بنعمته، وشكره عليها، والإقرار بالخطيئة، والإستغفار منها .

فهذه هي الصلة بين الرب والعبد، وقد أمر الله بهذه الأسباب التي بينه وبين عبده أن توصل، وأمر أن يوصل ما بيننا وبين رسوله ﷺ بالإيمان به، وتصديقه وتحكيمه في كل شيء، والرضا لحكمه، والتسليم له.

وتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين صلوات الله وسلامه عليه، فدخل في ذلك القيام بحقه وحق رسوله.

وأمر أن نصل ما بيننا وبين الوالدين والأقربين بالبر والصلة، فإنه أمر ببر الوالدين وصلة الأرحام وذلك مما أمر به أن يوصل وأمر أن نصل ما بيننا وبين الزوجات بالقيام بحقوقهن ومعاشرتهم بالمعروف.

وأمر أن نصل ما بيننا وبين الأرقاء بأن نطعمهم مما نأكل، ونكسوهم مما نكتسي، ولا نكلفهم فوق طاقتهم، وأن نصل ما بيننا وبين الجار القريب والبعيد بمرعاة حقه، وحفظه في نفسه وماله وأهله بما نحفظ به نفوسنا وأهلينا وأموالنا وأن نصل ما بيننا وبين الرفيق في السفر والحضر.

وأن نصل ما بيننا وبين الحفظة الكرام الكاتبين بأن نكرمهم ونستحي منهم كما يستحي الرجل من جلسه ومن هو معه ممن يجله ويكرمه فهذا كله مما أمر الله به أن يوصل.

ثم وصفهم بالحامل لهم على هذه الصلة، هو خشيته وخوف سوء الحساب يوم المآب ولا يمكن أحداً قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته، ومتى ترحلت الخشية من القلب إنقطعت هذه الوصل.

ثم جمع لهم سبحانه ذلك كله في أصل واحد وهو آخية ذلك وقاعدته ومداره الذي يدور عليه وهو الصبر فقال: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾ فلم يكتف منهم بمجرد الصبر حتى يكون خالصاً لوجهه. ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبر وهو الصلاة فقال: ﴿وأقاموا الصلاة﴾.

وهذان هما العونان على مصالح الدنيا والآخرة وهما الصبر والصلاة فقال
تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ ، وقال:
﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ .

ثم ذكر سبحانه إحسانهم إلى غيرهم بالإنفاق سرّاً وعلانية فأحسنوا إلى
أنفسهم بالصبر والصلاة، وإلى غيرهم بالإنفاق عليهم .

ثم ذكر حالهم إذا جهل عليهم وأوذو أنهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرأون
بالحسنة السيئة، فيحسنون إلى من يسيء إليهم فقال: ﴿ويدرأون بالحسنة
السيئة﴾ .

وقد فسر هذا الدرء بأنهم يدفعون بالذنب الحسنة بعده كما قال تعالى:
﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ ، وقال ﷺ: «اتبع السيئة الحسنة بعدها
تمحها» .

والتحقيق: أن الآية تعم النوعين والمقصود: أن هذه الآيات، تناولت
مقامات الإسلام والإيمان كلها، واشتملت على فعل المأمور، وترك المحذور،
والصبر على المقدور .

وقد ذكر تعالى هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا﴾ ،
وقوله: ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ ، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ .

فكل موضع قرن فيه التقوى بالصبر، اشتمل على الأمور الثلاثة، فإن
حقيقة التقوى: فعل المأمور، وترك المحذور .

شِعْرًا:

اكَدَحْ لِفْسِيكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي مَهْلٍ وَلَا تَكُنْ جَاهِلًا فِي الْحَقِّ مُرْتَابًا
إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَوْرُودٌ مَنَاهِلَهَا لَا بُدَّ مِنْهَا وَلَوْ عُمِّرْتَ أَحْقَابًا

فِي اللَّيَالِي فِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ
 بَعْدَ الشَّبَابِ يَصِيرُ الصُّلْبُ مُنْحَنِيًّا
 يُفْنِي النُّفُوسَ وَلَا يُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
 لِمُسْتَقَرٍّ وَمِيقَاتٍ مُقَدَّرَةٍ
 وَمَنْ تُعَاقِرُهُ الْأَيَّامُ تَبْدُلُهُ
 حَلَّوًا بُرُوجًا وَأَوْطَانًا مُشَدَّةً
 فَيَالَهُ سَفَرًا بُعْدًا وَمُعْتَرِبًا
 بِمُوحِشٍ ضِيْقٍ نَاءٍ مَحَلَّتُهُ
 كَمْ مِنْ مَهْيَبٍ عَظِيمٍ الْمُلْكِ مُتَّخِذٍ
 أَضْحَى ذَلِيلًا صَغِيرِ الشَّانِ مُنْفَرِدًا
 وَقَبْلَكَ النَّاسُ قَدْ عَاشُوا وَقَدْ هَلَكُوا
 يَا أَيُّهَا الرَّاحِلُ النَّاسِي لِمَصْرَعِهِ
 إَكَدْخَ لِنَفْسِكَ مِنْ دَارِ ثَزَائِلِهَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

«فصل في ذم طول الأمل والحث على تقصيره»

اعْلَمُوا مَعْشَرَ الْأَخْوَانِ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ وَأَيُّقِظَ قُلُوبَنَا وَقُلُوبَكُمْ مِنَ الْعَفْلَةِ
 وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمْ الْأَسْتِعْدَادَ لِلنُّقْلَةِ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ أَنْ مِنْ أَضْرِّ
 الْأَشْيَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ طُولُ الْأَمَلِ وَمَعْنَى ذَلِكَ اسْتِشْعَارُ طُولِ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا
 حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الْقَلْبِ فَيَأْخُذُ فِي الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ .

شِعْرًا: تَأَهَّبْ لِلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ
 يَسْرُكْ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ
 آخِر: فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ
 فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيعَادَ الْعِبَادِ
 لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بَعِيرٌ زَادِ
 سِوَى حَنُوطِ عَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خِرَقِ

وغير نَفْحَةٍ أَعْوَادٍ تُشْبِهُ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمَنْطَلِقِ
وَيَنْسَى أَنَّهُ مُهَدَّدٌ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، كُلُّ مَا هُوَ آتٍ
قَرِيبٌ، فَتَأَهَّبْ لِسَاعَةِ وَدَاعِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَخُرُوجِكَ مِنْهَا.

شِعْرًا: «أُوْمَلُ أَنْ أَحْيَا وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِي الْمَوْتَى تَهْزُ نُعُوشُهَا»
«وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِثْلَهُمْ غَيْرَ أَنَّ لِي بَقَايَا لِيَالٍ فِي الزَّمَانِ أَعِيشُهَا»
أخر: يَا أَيُّهَا الْبَانِي النَّاسِي مَنِيَّتَهُ لَا تَأْمَنَّ فَإِنَّ الْمَوْتَ مَكْتُوبٌ
عَلَى الْخَلَائِقِ إِنْ سُرُوا وَإِنْ حَزَنُوا فَلَمُوتٌ حَتْفٌ لِيَذِي الْأَمَالِ مَنْصُوبٌ
لَا تَبْنِيَنَّ دِيَارًا لَسْتَ تَسْكُنُهَا وَرَاجِعِ النَّسْكَ كَيْمَا يُغْفَرَ الْحُوبُ

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ مَنْ طَالَ أَمَلُهُ سَاءَ عَمَلُهُ وَذَلِكَ أَنَّ طُولَ الْأَمَلِ يَحْمِلُ
الْإِنْسَانَ عَلَى الْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَالتَّشْمِيرِ لَهَا لِعِمَارَتِهَا وَطَلَبِهَا حَتَّى يَقْطَعَ وَقْتَهُ
لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ فِي التَّفَكِيرِ فِي جَمْعِهَا وَإِصْلَاحِهَا وَالسَّعْيِ لَهَا مَرَّةً بِقَلْبِهِ وَمَرَّةً
بِالْعَمَلِ فَيَصِيرُ قَلْبُهُ وَجِسْمُهُ مُسْتَعْرِقَيْنِ فِي طَلَبِهَا.

وَحِينَئِذٍ يَنْسَى نَفْسَهُ وَالسَّعْيَ لَهَا بِمَا يَعُودُ إِلَى صِلَاحِهَا وَكَانَ يَنْبَغِي لَهُ
الْمُبَادَرَةُ وَالْاجْتِهَادُ وَالتَّشْمِيرُ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْإِقَامَةِ وَالْبَقَاءِ وَأَمَّا
الدُّنْيَا فَهِيَ دَارُ الزَّوَالِ وَالْإِنْتِقَالِ وَعَنْ قَرِيبٍ يَرْتَحِلُ مِنْهَا إِلَى الْآخِرَةِ وَيُحَلِّفُ
الدُّنْيَا وَرَاءَهُ. فَهَلْ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ يَعْتَنِي الْإِنْسَانُ بِالْمَنْزَلِ الَّذِي سَيَنْتَقِلُ مِنْهُ قَرِيبًا
وَيُهْمِلَ الْمَنْزَلَ الَّذِي سَيَرْتَحِلُ إِلَيْهِ قَرِيبًا وَيَمْكُثُ فِيهِ طَوِيلًا.

شِعْرًا: الْمَرْءُ بَعْدَ الْمَوْتِ أُحْدُوثَةٌ يَفْنَى وَيَبْقَى مِنْهُ آثَارُهُ
فَأُحْسِنُ الْحَالَاتِ حَالَ امْرِئٍ تَطْيِيبُ بَعْدَ الْمَوْتِ أُخْبَارُهُ
أخر: وَمَا الْعَمْرُ وَالْأَيَّامُ وَسَائِطًا جُعِلْنَ لِمَا يَرْضِي الْإِلَهَ وَسَائِلًا
أخر: وَتَأْكُلُنَا أَيَّامُنَا فَكَأَنَّمَا تَمُرُّ بِنَا السَّاعَاتُ وَهِيَ أُسُودٌ
أخر: أَتُبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَرَفْتَ قَلِيلٌ

لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَفِيهِ رَحِيلُ
اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ
وَبَهِّنَا لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا، وَآمِنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ طُولَ الْأَمَلِ لَهُ سَبَبَانِ أَحَدُهُمَا الْجَهْلُ
وَالْآخَرُ حُبُّ الدُّنْيَا، أَمَّا حُبُّ الدُّنْيَا فَهُوَ إِنَّهُ إِذَا أَنْسَ بِهَا وَبِشَهَوَاتِهَا وَعَلَائِقِهَا
ثَقُلَ عَلَى قَلْبِهِ مُفَارَقَتُهَا فَامْتَنَعَ قَلْبُهُ مِنَ الْفِكْرِ فِي الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ مُفَارَقَتِهَا
وَكُلُّ مَنْ كَرِهَ شَيْئًا دَفَعَهُ عَنِ نَفْسِهِ وَالْإِنْسَانُ مَشْغُولٌ بِالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ الَّتِي
تُوَافِقُ مُرَادَهُ .

شِعْرًا: وَالْمَرْءُ يُبْلِيهِ فِي الدُّنْيَا وَيُخْلِقُهُ حِرْصٌ طَوِيلٌ وَعُمْرٌ فِيهِ تَقْصِيرٌ
يُطَوِّقُ النُّحْرَ بِالْأَمَالِ كَاذِبَةً وَلَهْذُمُ الْمَوْتِ دُونَ الطُّوقِ مَطْرُورٌ
جَدَلَانَ يَيْسِمُ فِي أَشْرَاكِ مَيْتَتِهِ إِنْ أَفَلَتَ النَّابُ أَرْدَتْهُ الْأَطَافِيرُ

وَإِنَّمَا يُوَافِقُ مُرَادَهُ الْبَقَاءُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَزَالُ يَتَوَهَّمُهُ وَيَقْدِّرُهُ فِي نَفْسِهِ وَيَقْدَرُ
تَوَابِعَهُ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَأَهْلِ وَدَارٍ وَأَصْدِقَاءٍ وَدَوَابٍّ وَمَرْكُوبٍ وَسَائِرِ
أَسْبَابِ الدُّنْيَا فَيَصِيرُ قَلْبُهُ عَاكِفًا عَلَى هَذَا الْفِكْرِ فَيَلْهُو عَنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللذاتِ
الْمَوْتِ .

شِعْرًا: إِذَا طَالَ عُمْرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ لِخَالِقِهِ فَهُوَ الَّذِي مَا لَهُ عَقْلٌ
آخَرُ: وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالْوَقْتِ أَمْضَى وَقْتَهُ فِي الْعِبَادَةِ
وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ حَقِيقَةً وَشُكْرٍ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
آخَرُ: إِنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ حَقِيقَةٌ تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا

وَهِيَ السَّبِيلُ لِمَنْ أَرَادَ نَجَاتَهُ
 آخِر: كَيْفَ أَرْجُو مِنَ الْمَنَايَا خَلَاصًا
 وَأَرَى كُلَّ مَنْ صَحَبْتُ دَفِينًا
 فَأَرَى النَّاسَ يُنْقَلُونَ سِرَاعًا
 كُلُّ يَوْمٍ إِلَيْهِمْ مَرَدٌ فِينَا
 قَدْ أَصَابَتْهُمْ سِهَامُ الْمَنَايَا
 وَسَتَرَمِي السَّهَامُ لَا بُدَّ فِينَا
 مِنْ شَرِّهَا مِنْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ تَبْتَهَلُ
 آخِر: سِتُّ بُلِيثٌ بِهَا وَالْمُسْتَعَاذُ بِهِ
 مِنْ قَبْلَنَا وَالْهَوَى وَالْحِرْصُ وَالْأَمَلُ
 نَفْسِي وَإِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا الَّتِي فَتَنْتُ
 مِنْ شَرِّهَا فَلَقَدْ أَعَيْتُ بِنَا الْحَيْلُ
 إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ يَا مَوْلَايَ وَاقِيَّةٌ

فَإِنْ خَطَرَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالضَّرُورَةِ إِلَى الْإِسْتِعَادِ وَالتَّهَيُّؤِ
 لَهُ سَوْفَ وَوَعَدَ نَفْسَهُ وَقَالَ مَا مَضَى إِلَّا الْقَلِيلُ إِلَى أَنْ تَكْبُرَ ثُمَّ تَتَوْبُ وَتُقْبَلُ
 عَلَى الطَّاعَةِ فَلَا يَزَالُ يُمْنِي وَيُسَوِّفُ مِنَ الشَّبَابِ إِلَى الْكُهُولَةِ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ أَوْ
 إِلَى رُجُوعِ مِنَ السَّفَرِ أَوْ إِلَى فَرَاعِهِ مِنْ تَدْبِيرِ شُؤْنِهِ أَوْ شُؤْنِ أَوْلَادِهِ أَوْ بَنَاتِهِ أَوْ
 زَوَاجِهِمْ أَوْ انْتِهَاءِ شَعْلِهِ فِي عِمَارَاتِهِ أَوْ فِاللَّهِ أَوْ ذَكَائِنِهِ أَوْ بُسْتَانِهِ أَوْ تَكْمِيلِ
 دِرَاسَتِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يَتَلَذُّ بِذِكْرِهَا وَلَا تُجِدِي شَيْئًا
 لِكِنَّهُ يَرْتَاخُ لَهَا.

فَلَا يَزَالُ يُمْنِي نَفْسَهُ بِمَا يُوَافِقُ هَوَاهَا وَلَا يَزَالُ يُعَالِطُ نَفْسَهُ فِي الْحَقَائِقِ
 وَيَتَوَهَّمُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يَتَفَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَيَظُنُّ أَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ صَفَتْ لَهُ
 وَيَنْسَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ
 قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن
 بِالْأَمْسِ﴾.

شِعْرًا: أُوْفٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا
 هُمُومُهَا مَا تَنْقُضِي سَاعَةً
 كَأَنَّهَا لِلْحُزْنِ مَخْلُوقَةٌ
 آخِر: إِنَّمَا الدُّنْيَا بِلَاءٌ
 عَنِ الْمَلِكِ فِيهَا وَلَا سَوْقَةٌ
 لَيْسَ فِي الدُّنْيَا ثُبُوتٌ
 نَسَجَتْهُ الْعَنْكَبُوتُ
 إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٌ

كُلُّ مَنْ فِيهَا لَعْمَرِي عَنْ قَرِيبٍ سِيْمُوتُ
 اِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا أَيُّهَا الرَّاعِبُ قُوْتُ
 آخِر: لَا تُعْطِ عَيْنَكَ إِلَّا غَفْوَةَ الْحَدْرِ وَاسْهَرُ لِنَيْلِ عُلُومِ الدِّينِ تَعْتَنِمِ
 وَلَا تَكُنْ فِي طِلَابِ الْعِلْمِ مُعْتَمِداً إِلَّا عَلَى مُوجِدِ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْعَدَمِ
 آخِر: تَصْنُفُوا الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ
 وَلِمَنْ يُعَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلِبُ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ
 آخِر: ضَيَّعْتَ وَقْتَكَ فَانْقَضَى فِي غَفْلَةٍ وَطَوَيْتَ فِي طَلِبِ الْخَوَادِعِ أَذْهَرَا
 أَفْهِمْتَ عَنِ الزَّمَانِ جَوَابَهُ فَلَقَدْ أَبَانَ لَكَ الْعِظَاتِ وَكَّرَرَا
 عَايَنْتَ مَا مَلَأَ الصُّدُورَ مَخَافَةً وَكَفَاكَ مَا عَايَنْتَهُ مَنْ أَخْبَرَا

وَأَصْلُ هَذِهِ الْأَمَانِيِّ كُلُّهَا حُبُّ الدُّنْيَا وَالْأُنْسُ بِهَا وَالْغَفْلَةُ عَنِ الْآخِرَةِ الثَّانِي
 الْجَهْلُ حَيْثُ يَسْتَبْعِدُ الْمَوْتَ مَعَ الصَّحَّةِ وَالشَّبَابِ وَلَا يَدْرِي الْمِسْكِينُ أَنَّ
 الشُّيُوخَ فِي الْبُلْدَانِ أَقَلَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِكَثْرَةِ الْمَوْتِ فِي
 الشُّبَّانِ وَالصَّبِيَّانِ أَكْثَرَ وَلَوْ سَأَلْتَ أَحَدَ الشُّيُوخِ الطَّاعِنِينَ فِي السِّنِّ عَنْ مَنْ مَاتَ
 مِنَ الشُّبَّانِ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمْ لَعَدَّ لَكَ مِئَاتٍ .

شِعْرًا: لَيْسَ بِالسِّنِّ تَسْتَحَقُّ الْمَنِيَا كَمْ نَجَا بَارِئًا وَعُوجِلَ بِكُرِّ
 وَعَوَانٌ حَازَتْ حُلِيَّ كِعَابِ فَاجَأَتْهَا مِنَ الْخَوَادِثِ بِكُرِّ
 آخِر: لَا تَعْتَرَّ بِشَبَابٍ نَاعِمٍ خَطِئِ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّبَابِ شُبَّانُ
 آخِر: وَلَقَدْ سَلَوْتُ عَنِ الشَّبَابِ كَمَا سَلَا غَيْرِي وَلَكِنْ لِلْحَبِيبِ تَذَكُّرُ
 آخِر: يُعَمَّرُ وَاحِدٌ فَيَعُرُّ أَلْفًا وَيُنْسَى مَنْ يَمُوتُ مِنَ الشَّبَابِ

وَأَيْضًا لَا يَدْرِي أَنَّ الْمَوْتَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَأْتِي فَجَاءَةً غَالِبًا لَكِنَّ الْمَرَضَ
 لَا يُسْتَبْعَدُ إِثْبَاتُهُ فَجَاءَةً لِأَنَّ الْوَهْمَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا مَا يَأْلُفُهُ فَإِلَّا نَسَانُ أَلْفَ مَوْتٍ
 غَيْرِهِ وَلَمْ يَرَى مَوْتَ نَفْسِهِ أَصْلًا فَلِذَلِكَ يَسْتَبْعَدُ إِلَّا أَنَّ الْعَاقِلَ يَعْرِفُ أَنَّ الْأَجَلَ
 مَحْدُودٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ وَالْإِنْسَانُ يَسِيرُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ كَمَا قِيلَ :

شِعْرًا: نَسِيرٌ إِلَى الْآجَالِ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ وَأَيَّامًا تُطَوَى وَهُنَّ مَرَا حِلُّ
تَبْنِي الْمَنَازِلَ أَعْمَارٌ مُهَدَّمَةٌ مِنَ الزَّمَانِ بِأَنْفَاسٍ وَسَاعَاتٍ
وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا وَيُذْنِي الْمَنَايَا لِلنَّفُوسِ فَتَقْرُبُ

«فَصِلْ»: إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَعَلَّاجُ الْجَهْلِ الْفِكْرُ الصَّافِي مِنَ الْقَلْبِ
الْحَاضِرِ وَسَمَاعُ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ وَأَمَّا
حُبُّ الدُّنْيَا فَالْعِلَاجُ فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ الْقَلْبِ شَدِيدٌ فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ وَالْمَشَقَّةِ وَهَذَا
هُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ الَّذِي أَعْجَزَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

وَلِهَذَا مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ إِلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ حُبُّ التَّزْيِينِ مِنَ الْأَثَابِ
وَالثِّيَابِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَرْكُوبِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا رَأَى ذَلِكَ الَّذِي هُوَ بِالْحَقِيقَةِ
حُبُّ الدُّنْيَا غَالِبًا عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ بَاضَ فِيهِ وَفَرَّخَ فَلَا يَزَالُ الْحَبِيثُ يُزِينُ لَهُ
وَيَدْعُوهُ إِلَى عِمَارَةِ الْمَسْكَنِ وَتَزْوِيقِهِ وَتَوْسِيعِهِ وَتَنْظِيمِهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّزْيِينِ
بِالثِّيَابِ وَالْمَرْكُوبِ وَيَسْتَسْخِرُهُ وَيَسْتَعْمِرُهُ طُولَ عُمُرِهِ فَإِذَا أَوْفَعَهُ وَوَرَّطَهُ فِي
ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَغْنَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ .

ثَانِيًا: أَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَجْرُهُ إِلَى الْبَعْضِ الْآخِرِ بِالْقُوَّةِ فَلَا يَزَالُ يُوَدِّعُهُ مِنْ
شَيْءٍ إِلَى آخَرَ بِالتَّدرِجِ إِلَى أَنْ يَذْهَبَ عُمُرُهُ فُرْطًا وَيُسَاقَ إِلَى أَجَلِهِ فَيَمُوتُ
وَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَيُحْشَى مِنْ سُوءِ
الْعَاقِبَةِ بِالْكَفْرِ نَعُودًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ .

شِعْرًا: الْقَلْبُ مُحْتَرِقٌ وَالِدَّمْعُ مُسْتَبِقٌ وَالكَرْبُ مُجْتَمِعٌ وَالصَّبْرُ مُفْتَرِقٌ
كَيْفَ الْفِرَارُ عَلَى مَنْ لَا فِرَارَ لَهُ مِمَّا جَنَاهُ الْهَوَى وَالشَّوْقُ وَالْقَلْقُ
يَارِبُّ إِنْ كَانَ شَيْءٌ لِي بِهِ فَرَحٌ فَا مَنَّ عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ بِي رَمَقُ
آخِر: يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا
مَا أَقْتَلَ الدُّنْيَا لِخُطَابِهَا
إِنَّ لَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ خَلِيلُ
تَقْتُلُهُمْ قَدَمًا قَتِيلًا قَتِيلُ

تَسْتَنْكِحُ الْبَعْلَ وَقَدْ وَطِئْتُ
 إِنِّي لَمُعْتَرٌّ وَإِنَّ الْبَلَاءَ يَعْمَلُ
 تَزَوَّدُوا لِلْمَوْتِ زَادًا فَقَدْ
 آخِر: إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سَلَطُوا
 إِبْلِيسَ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى
 إِبْلِيسُ يَسْلُوكُ فِي طَرِيقِ مَهَالِكِي
 وَأَرَى الْهَوَى تَدْعُو إِلَيْهِ حَوَاطِرِي
 وَزَخَارِفُ الدُّنْيَا تَقُولُ أَمَا تَرَى
 آخِر: أَلَا أَيُّهَا اللَّاهِي وَقَدْ شَابَ رَأْسُهُ
 أَنْصَبُ وَقَدْ نَاهَزَتْ حَمْسِينَ حِجَّةً
 حَذَارٍ مِنَ الْأَيَّامِ لَا تَأْمَنَنَّهَا
 أَتَأْمَنُ خَيْلًا لَا تَرَالُ مُغِيرَةً
 وَتَأْمَلُ طُولَ الْعُمُرِ عِنْدَ تَفَاذِهِ
 يُرْجِي الْفَتَى وَالْمَوْتُ دُونَ رَجَائِهِ
 تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنْيَا بِرَادٍ مِنَ التَّقَى

وَلَا عِلَاجَ لِحُبِّ الدُّنْيَا إِلَّا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ
 الْعِقَابِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ وَمَهْمَا حَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ بِذَلِكَ ارْتَحَلَ عَنْ قَلْبِهِ حُبُّ
 الدُّنْيَا فَرَأَى حَقَارَتَهَا وَنَفَاسَةَ الْآخِرَةِ وَرَأَى أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِأَهْلٍ أَنْ يُلْتَمَتَ
 إِلَيْهَا أَوْ تُرْمَقَ بِعَيْنِ الْمَحَبَّةِ خِلَافًا لِلسَّوَادِ الْأَعْظَمِ الْمُتَهَمِكِينَ فِيهَا.

شِعْرًا: إِذَا مُوجِدُ الْأَشْيَاءِ يَسَّرَ لِلْفَتَى
 كِفَافٌ يَصُونُ الْحُرْعَ عَنْ بَدَلٍ وَجْهِهِ
 وَمَكْتَبَةٌ تَحْوِي تَعَالِيمَ دِينِنَا
 وَمَقْرُوشُهُ الْحَصْبَا كَمَا كَانَ أَوْلَى
 ثَمَانَ خِصَالٍ قَلَّمَا تَتَّيَسَّرُ
 فَيُضْحِي وَيُمْسِي وَهُوَ حُرٌّ مُؤَفَّرٌ
 وَمَسْجِدٌ طِينٍ بِالْقَدِيمِ يُذَكَّرُ
 أَوْ الرَّمْلِ لَا فُرْشَ بِهَا تَتَّفَكَّرُ

ورابعها في كل يوم وليلة
 وخامسها عزت وقل وجودها
 وبيت حلي من شرور تنوعت
 وجيرانه أصحاب دين وغيره
 مجالسهم فيما يحث على التقى
 وثامنها قوامه الليل دأبها
 تسلي عن الدنيا ومن ولعوا بها
 فهذا الذي قد نال ملكاً بلا أذى
 يُنادي لحسن في المساجد يجهر
 صديق على الأيام لا يتغير
 لها عند أصحاب الرذيلة مظهر
 إذا ستنصروا للدين هبوا وشمروا
 ورؤيتهم بالتابعين تذكروا
 تصلي وتتلو للكتاب وتذكر
 وتخدمه طول النهار وتشكر
 ولم يعده عز ومجد ومفخر

فَعَنْ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ قَالَ أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ فَقَالَ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا فَاسْتَهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي وَكَأَنِّي انْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاعَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ (يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالزَّمْ) ثَلَاثًا» .

سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُرِيَنَا الدُّنْيَا كَمَا أَرَاهَا الصَّالِحِينَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
 آخر: يا خاطب الدنيا إلى نفسه
 إن التي تحطب عذارة
 آخر: ما أحسن الدنيا وإقبالها
 من لم يطيع الله في صرفها
 آخر: يسيء امرء منا فيعض دائماً
 أسرها هواها الشيخ والكهل والفتى
 وما هي أهل أن يؤهل مثلها
 له عن عدو في ثياب صديق
 تنح عن خطبتها تسلم
 قريئة العرس من الماتم
 إذا أطاع الله من نالها
 عرض للإدبار إقبالها
 ودنياك ما زالت نسيء وتومق
 بجهل فمن كل النواظر ترمق
 لود ولكن ابن آدم أحمق

قال بعضهم العجب مِمَّنْ يَعْتَرُّ بالدنيا وإنما هي عُقوبَةٌ ذَنْبٍ .

قال الأصمعي سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول كنتُ أدور في ضَيْعَةٍ لي
فسمعت من يقول :

وإنَّ امرأً دُنِيَاهُ أَكْبَرُ هِمِّهِ لَمُسْتَمْسِكٍ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ
فجعلته نقش خاتمي .

وقال علي بن أبي طالب الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب إذا قُرُبْتَ مِنْ
أَحَدِهِمَا بَعُدْتَ عَنِ الْآخَرِ .

قيل لزاهد أي خلق الله أصغر قال الدنيا لأنها لا تُعَدَّلُ عند الله جناح
بُعُوضَةٍ فقال السائل وَمَنْ عَظَّمَ هَذَا الْجِنَاحَ كَانَ أَصْغَرَ مِنْهُ .

وقال بعضهم كان السلف يحرصون على حِفْظِ أَوْقَاتِهِمْ أَشَدَّ مِنْ حِرْصِ
أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَى دُنْيَاهُمْ . قال بعضهم :

وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا غُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلُ مَا عَلَيْكَ يَضِيغُ

وقال علي بن الحسين السجاد الدنيا سُبَاتٌ وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ .

وقال آخر : ما آثَرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ حَكِيمٌ وَلَا عَصَى اللَّهُ كَرِيمٌ .

شِعْرًا : فَيَا رَبِّ ذَنْبِي قَدْ تَعَاظَمَ جُرْمُهُ وَأَنْتَ بِمَا أَشْكُوهُ يَا رَبِّ عَالِمٌ
وَأَنْتَ رُوُوفٌ بِالْعِبَادِ مُهَيِّمٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ وَاسِعُ الْعَفْوِ رَاحِمٌ

وقال آخر : اتَّخَذُوا الدُّنْيَا مَرْضَعًا وَالْآخِرَةَ أُمَّاً لَمْ تَرَوْا إِلَى الصَّبِيِّ إِذَا
تَرَعَرَ عَ وَعَقَلَ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى أُمِّهِ .

وقال آخر : أَيَامُكَ ثَلَاثَةٌ : يَوْمُكَ الَّذِي وَلِدْتَ فِيهِ وَيَوْمُ نَزُولِكَ قَبْرِكَ وَيَوْمُ

خُرُوجِكَ إِلَى رَبِّكَ ، فَيَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ قَصِيرٍ حُبِيءٍ لَهُ يَوْمَانِ طَوِيلَانِ .

شِعْرًا: حَيَاتِكَ رَأْسُ الْمَالِ وَالِدَيْنُ رِبْحُهُ وَأَخْلَاقُ أَشْرَافِ بِيَهِنَّ تَصَدَّرُ
وَمَوْسِمُكَ الْأَيَّامُ فَلَتُكَ حَازِمًا وَإِلَا فُذُو التَّفْرِيطِ لَا شَكَّ يَحْسُرُ
وَمَنْ ضَيَّعَ التَّوْحِيدَ ضَاعَتْ حَيَاتُهُ وَعَاشَ بِجَهْلٍ غَارِقٍ لَيْسَ يُعْذَرُ

اللَّهُمَّ أَرْحَمِ غُرَبَتَنَا فِي الْقُبُورِ وَآمِنًا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: أَعْلَمُ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِطَاعَتِهِ ...

أَنَّ النَّاسَ مُتَفَاوِثُونَ فِي طُولِ الْأَمَلِ تَفَاوُثًا كَثِيرًا فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمَلُ الْبَقَاءَ إِلَى
زَمَانِ الْهَرَمِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَنْقَطِعُ أَمَلُهُ بِحَالٍ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ قَصِيرُ الْأَمَلِ وَكُلَّمَا
قَصُرَ الْأَمَلُ جَادَ الْعَمَلُ لِأَنَّهُ يُقَدَّرُ قُرْبُ الْمَوْتِ فَيَسْتَعِدُّ اسْتِعْدَادَ مَيِّتٍ فَرُوي عَنْ
عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ إِنَّمَا يُهْلِكُ اثْنَتَانِ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا الْهَوَى
فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ .

وَإِنَّمَا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ وَرُوي عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ مَنْ ارْتَقَبَ
الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرِ وَصَدَّقَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَوْ أَنَّ غَائِبِينَ عَنْكَ تَعْتَقِدُ أَنَّ
أَحَدَهُمَا لِمَجِيئِهِ احْتِمَالٌ قَوِيٌّ فِي لَيْلَتِكَ أَوْ فِي يَوْمِكَ وَالْآخِرُ يَتَأَخَّرُ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ
أَوْ بِشَهْرَيْنِ اسْتَعْدَدْتَ لِلَّذِي تَخْشَى أَنْ يُفَاجِعَكَ فُؤُومُهُ سَرِيعًا وَلَا سِيَّمًا إِنْ
كَانَ قَدْ أَوْصَاكَ بِوَصِيَّةٍ نَفَذْتُهَا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ فَيَلْحَقَكَ مَلَامَةٌ أَوْ عُقُوبَةٌ وَتُهَيِّئْ
لَهُ مَعَ ذَلِكَ مَا تُقَدِّرُ عَلَيْهِ مِنْ تُحْفٍ وَمَا تَرَى أَنَّهُ يُنَاسِبُ وَيَهْوَاهُ .

شِعْرًا: تَأَهَّبْ لِلذِّ وَالْأَبْدَ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيعَادَ الْعِبَادِ
يَسْرُكَ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بَعِيرٌ زَادٍ

«فَصْلٌ»: إَعْلَمُ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ تَقْصِيرَ الْأَمَلِ دَلِيلٌ

عَلَى كَمَالِ الْعَقْلِ فَسَبِيلُ الْعَاقِلِ تَقْصِيرُ آمَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ
وَعَلَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ .

قَصَرَ الآمَالِ فِي الدُّنْيَا تَفَزُّرُ فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
وَمَعْنَى تَقْصِيرِ الْأَمَلِ اسْتِشْعَارُ قُرْبِ الْمَوْتِ وَهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ قَصَرَ الْأَمَلِ
سَبَبٌ لِلزُّهْدِ لِأَنَّ مَنْ قَصَرَ أَمَلَهُ زَهَدًا، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ الْكَسَلُ عَنِ
الطَّاعَةِ وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّسْيَانِ لِلآخِرَةِ وَالتَّسَاهُلِ بِتَأْخِيرِ
قَضَاءِ الدُّيُونِ وَالقَسْوَةِ فِي الْقَلْبِ .

شِعْرًا: تُخَبِّرُنِي الْأَمَالُ أَنِّي مُعَمَّرٌ وَأَنَّ الَّذِي أَحْشَاهُ عَنِّي مُؤَخَّرٌ
فَكَيْفَ وَمَرُّ الْأَرْبَعِينَ قَضِيَّةً عَلَيَّ بِحُكْمِ قَاطِعٍ لَا يُعْيِرُ
إِذَا الْمَرءُ جَاَزَ الْأَرْبَعِينَ فَإِنَّهُ أَسِيرٌ لِأَسْبَابِ الْمَنَايَا وَمَعْبِرٌ
وَقِيلَ مَنْ قَصَرَ أَمَلُهُ قَلَّ هَمُّهُ وَتَنَوَّرَ قَلْبُهُ، لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَحْضَرَ الْمَوْتَ اجْتَهَدَ
فِي الطَّاعَةِ وَرَضِيَ بِالْقَلِيلِ وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ الْأَمَلُ مَذْمُومٌ إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ فَلَوْلَا
مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْأَمَلِ لَمَا آفَوْا وَلَا صَنَّفُوا .

وَفِي الْأَمَلِ سِرٌّ لَطِيفٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لَوْلَاهُ لَمَّا تَهَنَّا أَحَدٌ بِعَيْشٍ وَلَا طَابَتْ نَفْسُهُ
أَنْ يَشْرَعَ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَمَلُ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِأُمَّتِي
وَلَوْلَا الْأَمَلُ مَا أَرْضَعَتْ أُمَّمٌ وَلِدَهَا وَلَا عَرَسَ غَارِسٌ شَجْرًا» رَوَاهُ الْخَطِيبُ .
عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالمَذْمُومُ مِنَ الْأَمَلِ الاسْتِرْسَالُ فِيهِ وَعَدَمُ
الاسْتِعْدَادِ لِأَمْرِ الآخِرَةِ فَمَنْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يُكَلَّفْ بِإِزَالَتِهِ .

وَوَرَدَ فِي ذِمِّ الاسْتِرْسَالِ فِي الْأَمَلِ حَدِيثُ أَنَسِ رَفَعَهُ «أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ
جَمُودُ الْعَيْنِ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ وَطُولُ الْأَمَلِ وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا» رَوَاهُ الْبِزَارُ .
وَرَوَى عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَخُوفٌ مَا أَخَافُ
عَلَيْكُمْ إِثْنَانِ طَوْلُ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّ طَوْلَ الْأَمَلِ يُنْسِي الآخِرَةَ وَاتِّبَاعُ
الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ» .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «صَلاَحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ، وَهَلَاكُ آخِرِهَا بِالْبُخْلِ وَطُولِ الْأَمَلِ»، وَقِيلَ إِنَّ طُولَ الْأَمَلِ حِجَابٌ عَلَى الْقَلْبِ يَمْنَعُهُ مِنْ رُؤْيَا قُرْبِ الْمَوْتِ وَمُشَاهَدَتِهِ وَوَقُرَّ فِي الْأَذْنِ يَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ وَجِبَتِهِ وَدَوِيٍّ وَقَعْتِهِ وَبِقَدْرِ مَا يُرْفَعُ لَكَ مِنَ الْحِجَابِ تَرَى وَبِقَدْرِ مَا تُخَفِّفُ عَنْ أُذُنِكَ مِنَ الْوَقْرِ تَسْتَمِعُ.

فَانظُرْ رَحْمَكَ اللَّهُ نَظْرَ مَنْ رَفَعَ الْحِجَابَ وَفُتِحَ لَهُ الْبَابُ وَاسْتَمِعَ سَمَاعَ مَنْ أَزِيلَ وَقَرَهُ وَخُوطِبَ سِرَّهُ وَبَادِرَ قَبْلَ أَنْ يُبَادَرَ بِكَ وَيُنزَلَ عَلَيْكَ وَيُنْفَذَ حُكْمُ اللَّهِ فِيكَ فَتَطْوَى صَحِيفَةُ عَمَلِكَ وَيُحْتَمُّ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ.

ويقال لك اجن ما غرست واحصد ما زرعت واقرا كتابك الذي كتبت كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبربك تبارك وتعالى رقيبا، وعلم أن الأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني، ويعقبه التشاغل والتقاعد، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى.

وذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان، ولا يطالب صاحبه ببرهان، كما أن قصر الأمل يبعث على الجِدِّ والاجتهاد في العمل، ويحمل على المبادرة، ويحث على المسابقة قال:

وسأضرب لك في ذلك مثلاً، مثل ملك من الملوك كتب إلى رجل يقول له إفعل كذا وكذا، وانظر في كذا وكذا، وأصلح كذا وكذا، وانتظر رسولي فلاناً فإنني سأبعثه إليك ليأتينني بك.

وإياك ثم إياك أن يأتينك إلا وقد فرغت من أشغالك وتخلصت من أعمالك، ونظرت في زادك، وأخذت ما تحتاج إليه في سفرك.

وإلا أحللت بك عقابي وأنزلت عليك سخطي، وأمرته يأتيني بك مغلولة يدك مقيدة بجلاك، مشمئاً بك أعداك، مسحوباً على وجهك إلى دار خزي وهوان وما أعددته لمن عصاني.

وَإِنْ وَجَدَكَ قَدْ فَرَعْتَ مِنْ أَعْمَالِكَ وَقَضَيْتَ جَمِيعَ أَشْغَالِكَ أَتَى بِكَ
مُكْرَمًا مُرْفَعًا مُرْفَهًا إِلَى دَارِ رِضْوَانِي وَكَرَامَتِي وَمَا أَعَدَدْتُهُ لِمَنْ امْتَثَلَ أَمْرِي
وَعَمِلَ بِطَاعَتِي .

وَاحْذَرُ أَنْ يَخْدَعَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ عَنْ امْتِثَالِ أَمْرِي وَالِاشْتِغَالِ بَعْمَلِي
وَكَتَبَ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْكِتَابِ .

فَأَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ فَقَالَ هَذَا كِتَابُ الْمَلِكِ يَا مُرْنِي فِيهِ بَكْذَا وَكَذَا، وَذَكَرَ
لِي أَنَّ رَسُولَهُ يَأْتِينِي لِيَحْمِلَنِي إِلَيْهِ وَأَنَا لَا أَمْضِي إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِينِي رَسُولُهُ، وَلَعَلَّ
رَسُولَهُ لَا يَأْتِينِي إِلَّا إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ فَأَنَا عَلَى مُهَلَّةٍ .

وَسَأَنْظُرُ فِيمَا أَمْرَنِي بِهِ، وَلَمْ يَقَعْ الْكِتَابُ مِنْهُ بِذَلِكَ الْمَوْقِعِ، وَلَمْ يُنْزَلْهُ مِنْ
نَفْسِهِ بِتِلْكَ الْمَنْزَلَةِ، وَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَى كِتَابُهُ إِلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ بِمِثْلِ مَا أَتَانِي، وَلَمْ
يَأْتِهِمْ رَسُولُهُ إِلَّا بَعْدَ السَّنِينَ الْكَثِيرَةِ، وَالْمُدَدِ الطَّوِيلَةِ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

وَلَعَلَّ رَسُولَهُ يَتَأَخَّرُ عَنِّي كَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمْ، وَجَعَلَ الْعَالِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ
الرَّسُولَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً كَمَا ظَنَّ، أَوْ أَكْثَرَ أَوْ إِلَى الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَ
لِنَفْسِهِ بِرِغْمِهِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى اشْتِغَالِ نَفْسِهِ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمِمَّا كَانَ غَنِيًّا عَنْهُ وَتَرَكَ أَوْامِرَ
الْمَلِكِ وَالشُّغْلَ الَّذِي كَلَّفَهُ النَّظَرَ فِيهَا وَالِاشْتِغَالَ بِهِ .

فَكَلَّمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَ أَنَا مَشْغُولٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَسَأَنْظُرُ فِي السَّنَةِ
الْمُقْبِلَةِ وَالْمَسَافَةَ أَمَامِي طَوِيلَةً وَالْمُهْلَ بَعِيدًا .

وَهَكَذَا كُلَّمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَ أَنَا مَشْغُولٌ، وَسَأَنْظُرُ فِي الْأُخْرَى أَوْ
سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَيَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَسْوِيفِهِ، وَاعْتِرَارِهِ، إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ
الْمَلِكِ فَكَسَّرَ بَابَهُ وَهَتَكَ حِجَابَهُ وَحَصَلَ مَعَهُ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ .

وَقَالَ لَهُ أَجِبِ الْمَلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُهُ يَا مُرْنِي فِيهِ بِأَعْمَالِ

أَعْمَلَهَا وَأَشْعَالَ أَنْظُرُ لَهُ فِيهَا، وَمَا قَضَيْتُ مِنْهَا شُغْلًا، وَلَا عَمِلْتُ فِيهَا حَتَّى الْآنَ شَيْئًا .

فَقَالَ الرَّسُولُ لَهُ وَيْلَكَ وَمَا الَّذِي أَبْطَأَكَ عَنْهَا وَمَا الَّذِي حَبَسَكَ عَنِ الشُّغْلِ بِهَا وَالنَّظَرَ فِيهَا . فَقَالَ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّكَ تَأْتِينِي فِي هَذَا الْوَقْتِ .

فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ وَمِنْ أَيْنَ كَانَ لَكَ هَذَا الْظَّنُّ وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِهِ وَمَنْ أَعْلَمَكَ بِأَنِّي لَا آتِيكَ إِلَّا فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَظُنُّ . قَالَ ظَنَنْتُ وَطَمَعْتُ وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي وَخَدَعَنِي الشَّيْطَانُ وَغَرَّنِي .

فَقَالَ لَهُ أَلَمْ يُحَذِّرِكَ الْمَلِكُ فِي كِتَابِهِ مِنْهُمَا وَأَمَرَكَ أَلَّا تَسْمَعَ لَهُمَا ، قَالَ : بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُ وَلَقَدْ جَاءَنِي هَذَا فِي كِتَابِهِ وَلَكِنِّي خُدِعْتُ فَأَخْدَعْتُ وَفُتِنْتُ فَافْتِنْتُ وَارْتَبْتُ فِي وَقْتِ مَجِيئِكَ فَتَرَبَّصْتُ .

فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ غَرَّكَ الْعُرُورُ وَخَدَعَكَ الْمُخَادِعُ أَجِبِ الْمَلِكَ لَا أُمَّ لَكَ ، قَالَ أَنْشُدْكَ إِلَّا تَرَكَتَنِي حَتَّى أَنْظُرَ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ ، أَوْ فِي بَعْضِهِ أَوْ فِيمَا تَيَسَّرَ مِنْهُ حَتَّى لَا أَقْدُمَ عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ الْمُفْرَطِينَ وَعِصَابَةِ الْمُقْصِرِينَ .

وَهَذَا مَا لَمْ يَكُنْ جَمَعْتُهُ لِنَفْسِي ، وَأَعَدَدْتُهُ لِمُؤْنَةِ زَمَانِي ، فَاتَّرَكْنِي حَتَّى آخَذُ مِنْهُ زَادًا أَتَرَوُدُهُ وَدَابَّةً أُرَكِّبُهَا ، فَإِنَّ الطَّرِيقَ شَاقَّةً ، وَالْمَفَازَةَ صَعْبَةً ، وَالْعَقَبَةَ كَوُودًا ، وَالْمَنْزِلَ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ .

قَالَ أَتُرَكُّكَ حَتَّى أَكُونَ عَاصِيًا مِثْلَكَ ثُمَّ دَفَعَهُ دَفْعَةً أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ جَمَعَ يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَانْطَلَقَ بِهِ يَجْرُهُ مِنْ خَلْفِهِ خَزِيَانًا نَدْمَانًا جَوْعَانًا عَطْشَانًا ، وَهُوَ يُنْشِدُ بِلِسَانِ الْحَالِ :

لَا كَحُزْنِي إِذَا لَقِيتُ خَزِينًا جَلَّ حَظِّي فَدَيْتُكُمْ أَنْ يَهُونَا
ضَاقَ صَدْرِي عَنْ بَعْضِهِ وَاحْتِمَالِي فَاسْأَلُوا بِي حَيْثُ أَلْقَى الْمُنُونَا

ما تُرِيدُ الْعُدَاةُ مِنِّي وَإِنِّي لَبِحَالٍ يَرِيقُ لِي الْمَبْغُضُونَ
 زَفَرَاتٌ هَتَكَنَ حُجْبَ فَوَادِي وَهُمْ وَمَ قَطَعْنَ مِنِّي الْوَتِينَ
 حُنْتُ عَهْدَ الْمَلِكِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَاتَّخَذْتُ الْخِلَافَ شَرَعًا وَدِينًا
 غَرَسْتُ فِي الْحَيَاةِ كَفِي شَرًّا فَاجْتَنَيْتُ الْعِقَابَ مِنْهُ فُنُونًا
 لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ وَأَيْنَ لِمِثْلِي ظَالِمٌ نَفْسُهُ بَأْسٌ لَا يَكُونَا
 يَا خَلِيلِي وَلَا خَلِيلَ لِي الْيَوْمَ مَ سِوَى حَسْرَةٍ تُدِيمُ الْأَيْنَا
 رَبَعَ الرَّابِحُونَ وَانْقَضَتِ السُّوْ قُ وَخَلَى بَعْبِهِ الْمَعْبُودَا
 فَابْكِنِي إِنْ يَكُنْ بُكَاءُ مُفِيدًا أَوْ فَدَعْنِي وَعُصْبَةٌ يَكُونَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ
 وَتَبَهَّنَا لِإِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
 وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
 وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا، وَآمِنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ،
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحُسْنِ
 الْأَقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ
 وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى
 بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»

وَأَمَّا الْآخَرُ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ بِمِثْلِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى هَذَا فَإِنَّهُ أَخَذَ
 كِتَابَ الْمَلِكِ وَقَبَّلَهُنَّ وَقَرَأَهُ وَتَصَفَّحَهُ وَتَدَبَّرَهُ، وَقَالَ أَرَى الْمَلِكَ قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ
 بِأَنَّ أَعْمَلَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، وَأَقْضِي لَهُ كَذَا وَكَذَا، وَأَنْظُرُ لَهُ فِي كَذَا وَكَذَا.

وَمِنْ أَيْنَ سَبَقَتْ لِي هَذِهِ السَّابِقَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ الَّذِي عَنَى بِي عِنْدَهُ ،
وَمَنْ الَّذِي أَنْزَلَنِي مِنْهُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، حَتَّى جَعَلَنِي مِنْ بَعْضِ خُدَّامِهِ ، وَالْقَائِمِينَ
بِأَمْرِهِ .

وَاللَّهُ إِنَّ هَذِهِ لَسَعَادَةٌ وَاللَّهُ لِنَهَا لِعِنَايَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي
الْكِتَابِ وَقَالَ أَسْمَعَ الْمَلِكِ وَقَدْ قَالَ لِي فِي كِتَابِهِ ، وَانْتَظِرْ رَسُولِي فَإِنِّي سَأَعْتَهُ
إِلَيْكَ لِيَأْتِيَنِي بِكَ وَأَرَهُ لَمْ يَحُدَّ لِي الْوَقْتُ الَّذِي يَبْعَثُ فِيهِ الرَّسُولَ إِلَيَّ وَلَا سَمَاءُ
لِي .

وَلَعَلِّي لَا أَفْرُغُ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابِهِ إِلَّا وَرَسُولُهُ قَدْ أَتَانِي وَنَزَلَ عَلَيَّ ، وَاللَّهُ لَا
قَدَّمْتُ شُغْلًا عَلَى شُغْلِ الْمَلِكِ وَلَا نَظَرْتُ فِي شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ فَرَاجِي مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ
الْمَلِكُ ، وَإِعْدَادِي زَادًا أَنْزَوْدُ بِهِ ، وَمَرْكُوبًا أَرْكَبُهُ إِذَا جَاءَنِي رَسُولُهُ وَحَمَلَنِي
إِلَيْهِ .

فَتَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ وَقَالَ لَهُ لِمَ هَذِهِ الْمَسَارِعَةُ كُلُّهَا وَفِيمَ هَذِهِ الْمُبَادَرَةُ كُلُّهَا .
فَقَالَ لَهُ وَيَحْكُ أَمَا تَرَى كِتَابَ الْمَلِكِ بِمَا جَاءَنِي ، أَمَا تَسْمَعُ مَا فِيهِ أَمَا
تُصَدِّقُهُ ، أَمَا تَوْمُنُ بِهِ ، قَالَ لِي سَمَعْتُ وَأَمَنْتُ وَصَدَّقْتُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَكَ
فِيهِ إِنَّ رَسُولَهُ يَأْتِيكَ الْيَوْمَ وَلَا غَدًا وَلَا وَقْتًا مَعْلُومًا .

وَلَكِنَّهُ سَيَّأَتِيكَ وَقَدْ جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى فُلَانٍ بِهَذَا الَّذِي قَدْ جَاءَكَ أَنْتَ بِهِ ،
وَقَدْ بَقِيَ مُنْتَظِرًا لِرَسُولِهِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَإِلَى الْآنَ مَا أَتَاهُ .

وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ مَا جَاءَهُ ، وَفُلَانٌ أَتَاهُ بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَفُلَانٌ أَتَاهُ بَعْدَ
مِائَةِ سَنَةٍ ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ، فَلِمَ هَذِهِ الْعَجَلَةُ ، وَفِيمَ هَذَا
الْإِسْرَاعِ .

فَقَالَ وَيَحْكُ أَمَا تَرَى أَنْتَ فُلَانًا قَدْ جَاءَهُ كِتَابُ الْمَلِكِ بِهَذَا الَّذِي جَاءَنِي
وَجَاءَهُ الرَّسُولُ فِي إِثْرِ مَجِيءِ الْكِتَابِ ، وَفُلَانٌ كَذَلِكَ ، وَفُلَانٌ قَدْ جَاءَهُ بَعْدَ
سَنَةٍ .

فقال بلى ولكن لا تنظر إلى هؤلاء خاصة وانظر إلى الذين قلت لك ممن تأخر عنه المجيء فقال له دعني يا هذا فقد شغلني والله وإني لأخاف أن يأتيني الرسول وأنا أكلمك .

ثم أقبل على ما أمره به الملك فامتثل له، ونظر فيما حد له، واشتغل بما يجب عليه أن يشتغل به، وأخذ الزاد لسفره، وأخذ الأهبة بطريقه وجعل ينتظر الرسول أن يأتيه وأقبل يلتفت يمينا وشمالا ينظر من أين يأتيه ومن أين يقبل عليه .

فبينما هو كذلك وإذا برسول الملك قد أتاه فقال أجب الملك قال نعم قال الساعة، قال الساعة، قال وفرغت مما أمرك به، وعملت ما حد لك أن تعمله، قال نعم، قال فانطلق .

قال بسم الله فخلع عليه خلعة الأولياء وكساه كسوة الأصفياء وأعطاه مركوبا يليق به ويحمل بمثله وانطلق به في حبور وسرور .

فبان لك بهذا المثل وبغيره فضيلة قصر الأمل، وفضيلة المبادرة إلى العمل، والاستعداد للموت قبل نزوله، والأنتظار له قبل حلوله .

وقد كثرت الحضر على هذا وكثرت الأقاويل فيه، ولم يزل المذكرون يذكرون والمنبهون ينبهون لو يجدون سمعا ووعيا وقلبا حافظا ومحلا قابلا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. انتهى .

شِعْرًا: مَنْ شَامَ بَرَقَ الشَّيْبَ أَيَقَنَ إِتْمَا وَبُلُ الْمَنِيَّةِ عَقْبُهُ يَتَدَفَّقُ فَاعِدَّ زَادًا لِلرَّحِيلِ مُبَادِرًا أَجَلًا يُفَاجِئُ ضَحْوَةً أَوْ يَطْرُقُ

اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُتَقَرِّبِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ، وَالْوَفَاءِ بَعَهْدِكَ، فَأَنْتَ تَعَلَّمْ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفْدِكَ، وَخَالِصِ وُدِّكَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مَنَا، فَبِكَامَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: دَوَامُ حَالٍ مِنْ قَضَايَا الْمُحَالِ وَالنَّصْرُ بِالصَّبْرِ مُحَلَّى الطُّبَى وَعَادَةُ الْأَيَّامِ مَعَهُوْدَةٌ وَمَا عَلَى الدَّهْرِ انْتِقَادٌ عَلَى مَنْ لِلْيَالِي بَائِتِلَافٍ وَكَمْ أَخَذَ عَطَاءً، مِحْنَةً مِنْحَةً حَالُ انْتِظَامٍ وَإِنِّشَارٍ مَعًا وَهَلْ سَنَا الصَّبْحُ وَجُنْحُ الدُّجَى وَالظُّلْمُ الْحُلُكُ عَلَى نُورِهَا وَالسَّيْفُ قَدْ يَصْدَأُ فِي غَمْدِهِ وَالشَّمْسُ بَعْدَ الْغَيْمِ تُجَلَى كَمَا وَالْفَرْجُ الْمُوهُوبُ تَجْرِي بِهِ فَصَابِرِ الدَّهْرِ بِحَالِيهِ مِنْ فَمَا لَهُ صَبْرٌ عَلَى حَالَةٍ وَلَا يَضِيْقُ صَدْرُكَ مِنْ أَرْمَةٍ وَإِنْظُرْ بِلُطْفِ الْعَقْلِ كَمْ كُرْبَةٍ وَكِلْ إِلَيْهِ كُلُّ حَاجٍ فَمَا وَكُلْ بَدءٍ فَلَهُ غَايَةٌ وَكُلْ عَوْدٍ فَلَهُ آيَةٌ وَفِي مَالِ الصَّبْرِ عُقْبَى الرِّضَا عَجِبْتَ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْقَوَى يَهْوِي مَعَ الْأَمَالِ مُسْتَرْسِلًا

وَاللُّطْفُ مَوْجُودٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَالجَدُّ بِالْحَدِّ مَرِيشَ النَّبَالِ حَرْبٌ وَسَلْمٌ وَاللِّيَالِي سِجَالُ حَالٍ فَإِنَّ الْحَالَ ذَاتُ انْتِقَالٍ مِنْ اعْتِبَارٍ بِاخْتِلَافِ اللَّيَالِ تَفْرُقُ جَمْعٌ، جَلَالٌ جَمَالٌ كَأَنَّمَا هُذِي اللَّيَالِي لَأَلْ لِخَلْقَةِ الْأَضْدَادِ إِلَّا مِثَالٌ تَدُلُّ وَالسُّعْسُرُ يُسْرُ يُدَالُ ثُمَّ يُجَلِّي صَفْحَتَيْهِ الصَّقَالُ لِلْغَيْثِ مِنْ بَعْدِ الْقُنُوطِ انْهِمَالُ لَطَائِفٌ لَمْ تَجْرِ يَوْمًا بِيَالٍ حُلُوٌّ وَمُرٌّ وَاعْتِدَا وَاعْتِدَالُ وَإِنَّمَا الصَّبْرُ حُلِيُّ الرِّجَالِ ضَاقَتْ فَصُنْعُ اللَّهِ رَحْبُ الْمَجَالِ فَرَجَهَا لُطْفٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ لِذِي حَجَى إِلَّا عَلَيْهِ اتَّكَالُ وَغَايَةُ الْحَطْبِ الشَّدِيدِ انْحِلَالُ وَآيَةُ الْعَقْلِ اعْتِبَارُ الْمَالِ مِنْ فَرَجٍ يُدْنِي وَأَجْرٍ يُنَالُ يُعْرُّ بِالرَّبِّ الشَّدِيدِ الْمِحَالِ طُلُوعِ الْهَوَى حَيْثُ أَمَالَتَهُ مَالٌ

تخدعه النفس بتخييلها
يخال أن الأمر جارٍ على
والخلق والأمر لمن لم يزل
والفعل والترك ليل على
يعطي فلا منع ويقضي فلا
يُدبّر الأمر فعن أمره
يُضِلُّ يَهْدِي حكمه أنفذت
وحكمه الباريء في حكمه
والرب لا يُسأل عن فعله
فيا أبا الفكر اشتغالاً بما
ينفد، ففي التسليم من كل ما
وأرض بما فاتك أو نلتَه
وفوض الأمر إلى الحق لا
فدو الحجى فيما اتقى وارتجى
يرضى بقسم الرب كل الرضا
يرى خلال الشكر والصبر في
فهو على الحالين قد نال من
ما أقصر الدنيا على مرّها
فأفظن لها حزماً ففي ظلها
ما يقظت العيش إلا كرى
يا ليت شعري والمنى عبرة
والشيب هل يوقظني صبحه
وكسرتي من عسرتي هل تقي
هذا زماني في تولّ وفي

وهل خيال النفس إلا خيال
تديره.. هيات مما يحال
في ملكه الملك وما إن يزال
مراده والكل طوع أنفعال
دفع ويمضي حكمه لا يُبال
تقدير ما في الكون سُفلٍ وعال
فضلاً وعدلاً في هدىً أو ضلال
ما لجال العقل فيها مجال
قد قضي الأمر ففيم السؤال؟!
في غيره للفكر حقّ اشتغال
ينفذ تسليم وتنعيم بال
فكسه ما لك فيه مجال
تركن من الدنيا لحال مُحال
بالعدل حالٍ ومن العدل خال
في كل حالٍ ما عن العهد حال
ما سرّ أو ساء أبرّ الخلال
مناه في الدارين أقصى منال
كالظل ما أقصر مدّ الظلال!
ما قال يوماً حازم حيث قال
ولا مرّائي العين إلا خيال
والشعر قول قد ينافي الفِعال
فالتوم في ليلٍ من اللهو طال
وعسرتي من عبرتي هل تُقال
عزمي توانٍ والهوى في توال

حَالٌ مِنْ اِحْتَلَّ بَدَارَ الْبَلَاءِ
 يَارَبِّ مَا الْمَخْلَصُ مِنْ زَلَّتِي
 يَارَبِّ مَا يَلْقَاكَ مِثْلِي بِهِ
 يَارَبِّ لَا أَحْمِلُ حَرَّ الصَّبَا
 أَمْ كَيْفَ عُذْرِي وَقَدْ اعْذَرْتَ لِي
 رَحْمَتَكَ اللَّهُمَّ فَهِيَ الَّتِي
 وَلَا تُعَامِلْنَا بِأَعْمَالِنَا

وَلَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِارْتِحَالٍ
 لَا عَمَلٌ لَا حِجَّةٌ لَا اِحْتِيَالٍ
 عَنْ طَاعَةِ لَمْ أَلْقَهَا بِامْتِحَالٍ
 فَكَيْفَ بِالنَّارِ لضعْفِي اِحْتِمَالٍ
 بِأَخْذِ حُذْرِي مِنْ دَوَاعِي النَّكَالِ
 لَهَا عَلَى الْعَاصِينَ مِثْلِي ائْتِيَالِ
 لَكِنْ رَجَا آمَالِنَا صِلَ وَوَالِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا وَإِمْنٌ خَوْفَنَا وَاخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ
 أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : ثُمَّ اعْلَمْ إِنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ دَيْدَنُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلُونَ الْمُتَّقُونَ الْوَرِعُونَ
 الْمُبْعُدُونَ عَنِ التَّكَالِبِ عَلَى الدُّنْيَا الزَّاهِدُونَ فِي حُطَامِهَا الْفَانِي وَكَذَلِكَ أَرْبَابُ
 الْقُلُوبِ الْوَاعِيَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا عُلَمَاءَ يُقْصِرُونَ أَمَلَهُمْ وَيَحْتَفِرُونَ الدُّنْيَا وَيَعْلَمُونَ
 أَنَّهَا زَائِلَةٌ عَكْسُ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ عَيْدُ الدُّنْيَا لِلْبُطُونِ وَالْفُرُوجِ .

شِعْرًا: لَا تَحْسِدَنَّ غَنِيًّا فِي تَنَعْمِهِ
 تَصْفُو الْعِيُونَ إِذَا قَلَّتْ مَوَارِدُهَا
 آخِر: تَحَرَّزْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّ فَنَاءَهَا
 فَصَفُوفُهَا مَمْرُوجَةٌ بِكُدُورَةٍ
 آخِر: دَعِ الْفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرِفَهَا
 آخِر: عَيْشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
 كَمْ جَهُولٍ بَاتَ فِيهَا مُكْثِرًا
 آخِر: يُحِبُّ الْفَتَى طُولَ الْبَقَاءِ كَأَنَّهُ
 إِذَا مَا طَوَى يَوْمًا طَوَى الْيَوْمِ بَعْضَهُ

قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ مَقْرُونًا بِهِ الْكَدْرُ
 وَالْمَاءُ عِنْدَ ازْدِيَادِ النَّيْلِ يَعْتَكِرُ
 مَحَلُّ فَنَاءٍ لَا مَحَلُّ بَقَاءٍ
 وَرَاحَتُهَا مَقْرُونَةٌ بَعْنَاءٍ
 فَصَفُوهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هُجْرَانُ
 عَيْشَةُ الْقَانِعِ فِيهَا أَوْ أَقْلُ
 وَعَلَيْمٌ بَاتَ مِنْهَا فِي عِلَلٍ
 عَلَى ثِقَةٍ إِنَّ الْبَقَاءَ بَقَاءُ
 وَيَطْوِيهِ إِنْ جَنَّ الْمَسَاءُ مَسَاءُ

زِيَادَتُهُ فِي الْجِسْمِ نَقْصُ حَيَاتِهِ
وَأَنِّي عَلَى نَقْصِ الْحَيَاةِ نَمَاءٌ

قَالَ ﷺ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ
فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ
كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ
إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرَ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرَ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ
صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

ولبعضهم على هذا الحديث :

أَيُّ صَاحٍ كُنْ فِي شَيْءٍ دُنْيَاكَ هَذِهِ غَرِيبًا كَيْبًا عَابِرًا لِسَبِيلٍ
وَعُدَّ مِنْ أَهْلِ الْقَبْرِ نَفْسَكَ إِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا مِنْ أَقْلٍ قَلِيلٍ

قَالُوا فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ مَعْنَاهُ لَا تَرَكَّنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا
وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ فِيهَا وَلَا تَشْتَغَلْ فِيهَا إِلَّا بِمَا يَشْتَغَلُ بِهِ الْغَرِيبُ
فَقَطُّ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَحْوَالِ الْإِنْسَانِ ثَلَاثُ حَالَاتٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا
شَيْئًا وَهِيَ قَبْلَ أَنْ يُوْجَدَ .

وَحَالٌ أُخْرَى وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْبَقَاءِ
السَّرْمَدِيِّ فَإِنَّ لِنَفْسِكَ وُجُودًا بَعْدَ خُرُوجِ الرُّوحِ مِنَ الْبَدَنِ إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا
فِي النَّارِ وَهُوَ الْخُلُودُ الدَّائِمُ وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ حَالَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ وَهِيَ أَيَّامُ حَيَاتِهِ
فِي الدُّنْيَا فَانظُرْ إِلَى مِقْدَارِ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَالَتَيْنِ يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّهُ أَقْلٌ مِنْ طَرَفَةِ
عَيْنٍ فِي مِقْدَارِ عُمُرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَبِهَذَا التَّفَكِيرِ السَّلِيمِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَلَمْ

يُبَالِي كَيْفَ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ بِهَا فِي ضَرَرٍ وَضِيقٍ أَوْ سَعَةٍ وَرِخَاءٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَهَذَا لَمْ يَضَعِ النَّبِيُّ ﷺ لِبِنْتِهِ عَلَى لِبْنَتِهِ وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ .

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَأَعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا هَذَا مَثَلٌ وَاضِحٌ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَعْبَرٌ إِلَى الْآخِرَةِ وَالْمَهْدُ هُوَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ عَلَى أَوَّلِ الْقَنْطَرَةِ وَاللَّحْدُ هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِي عَلَى آخِرِ الْقَنْطَرَةِ .

شعراً :

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ فَمُقَوِّضٌ
كَانَ الْفَتَى يَبْنِي أَوَانَ شَبَابِهِ وَيَهْدُمُ فِي حَالِ الْمَشِيبِ وَيَنْقُضُ
آخِر :

يَا غَافِلَ الْقَلْبِ عَنْ ذِكْرِ الْمَنِيَّاتِ عَمَّا قَلِيلٍ سَتُلْقَى بَيْنَ أَمْوَاتٍ
فَاذْكُرْ مَحَلَّكَ مِنْ قَبْلِ الْحُلُولِ بِهِ وَتُبْ إِلَى اللَّهِ مِنْ هُوٍ وَلذَاتِ
إِنَّ الْحَيَامَ لَهُ وَقْتُ إِلَى أَجَلٍ فَاذْكُرْ مَصَائِبَ أَيَّامٍ وَسَاعَاتِ
لَا تَطْمَئِنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا قَدْ آنَ لِلْمَوْتِ يَأْذُ اللَّبَّ أَنْ يَأْتِي
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ الْقَنْطَرَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثُلُثَهَا وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ قَطَعَ الثُّلُثَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْمَسَافَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ
لَهُ إِلَّا ثَمَنُ الْمَسَافَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا خُطْوَةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهَا وَكَيْفَ
مَا كَانَ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعُبُورِ فَمَنْ وَقَفَ يَبْنِي عَلَى الْقَنْطَرَةِ وَزِينَتِهَا وَهُوَ يُسْتَحْتُ
عَلَى الْعُبُورِ عَلَيْهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالْحُمُقِ وَالسَّفَهَةِ .

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ بَلَغَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّهَا مَثَلِي
وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكَوا مَفَاذَةً غَبْرَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكَوا

مِنْهَا أَكْثَرُ أَوْ مَا بَقِيَ أَنْفَدُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وَيَقْوَا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَفَازَةَ لَا زَادَ وَلَا حُمُولَةَ فَأَيُّقِنُوا بِالْهَلَكَةِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ فَقَالُوا إِنَّ هَذَا قَرِيبُ عَهْدٍ بَرِيفٍ وَمَا جَاءَ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ عَلَامَ أَنْتُمْ قَالُوا عَلَى مَا تَرَى قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُمْكُمْ إِلَى مَاءٍ رُوَاءِ وَرِيَاضٍ خُضْرٍ مَا تَعْمَلُوا قَالُوا لَا نَعْصِيكَ شَيْئًا .

قَالَ عُهُودُكُمْ وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ عُهُودَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ بِاللَّهِ لَا يَعْصُونَهُ شَيْئًا قَالَ فَأُورِدَهُمْ مَاءً وَرِيَاضًا خَضْرَاءَ فَمَكَثَ فِيهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ الرَّحِيلُ قَالُوا إِلَى أَيْنَ قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَا تَكْتُمُونَ وَإِلَى رِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ فَقَالَ أَكْثَرُ الْقَوْمِ وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَّنَا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ وَمَا نَصْنَعُ بَعِيشٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا .

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أَلَمْ تَعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهُودَكُمْ وَمَوَائِقَكُمْ بِاللَّهِ لَا تَعْصُوهُ وَقَدْ صَدَقْتُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ فَوَاللَّهِ لَيَصُدَّقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ قَالَ فَرَاخٌ فِيمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بِقِيَّتِهِمْ فَزَلَّ بِهِمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا مِنْ بَيْنِ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَا حَقُّ أَمْرٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ بَيْتٌ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مَرْتَبَعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ فَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجْلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ . وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

شعرا : الْقَلْبُ مُحْتَرَقٌ وَالِدَّمْعُ مُسْتَبِقٌ وَالْكَرْبُ مُجْتَمِعٌ وَالصَّبْرُ مُفْتَرَقٌ
كَيْفَ الْفِرَارُ عَلَى مَنْ لَا فِرَارَ لَهُ مِمَّا جَنَاهُ الْهُوَى وَالشُّوقُ وَالْقَلْقُ

يا رَبُّ إِنَّ كَانَ شَيْءٌ لِي بِهِ فَرَحٌ فَاْمُنْ عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ بِي رَمَقُ
 آخر: والمرءُ يُبْلِيهِ فِي الدُّنْيَا وَيُحْلِقُهُ حِرْصُ طَوِيلٍ وَعُمُرُ فِيهِ تَقْصِيرُ
 يُطَوِّقُ النَّحْرَ بِالْأَمَالِ كَاذِبَةً وَهَذَا الْمَوْتِ دُونَ الطَّوْقِ مَطْرُورُ
 جَذْلَانَ يَبْسِمُ فِي أَشْرَاكِ مَيْتِهِ إِنْ أَفَلَتِ النَّابُ أَرْدَتَهُ الْأَظْفِيرُ
 وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ رَوَاهُ
 الترمذي وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَقَالَ ﷺ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا أَنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ
 شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُسْتَوْدِ
 بِنِ شَدَّادٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدَكُمْ
 أَصْبَعَهُ فِي أَلِيمٍ فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعْ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ الرِّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّخْلَةِ الْمَيْتَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَرُونَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا
 حَتَّى الْقَوَاهَا قَالُوا وَمِنْ هَوَانِهَا الْقَوَاهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ
 مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا وَفِي التِّرْمِذِيِّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا .

هي الدنيا إذا عُشِقَتْ أَذَلَّتْ
 وَتُكْرِمُ مَنْ يَكُونُ لَهَا مُهِينًا
 كَظَلِّكَ إِنْ تَرُمُهُ تَجْدُهُ صَعْبًا
 آخر: وَتَتْرِكُهُ فَيَتَّبِعُ مُسْتَكِينًا

هي الدنيا تقول بملء فيها
 حِذَارٌ حِذَارٌ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

فلا يَغْرُرْكُمْ حُسْنُ ابْتِسَامِي

فَقُولِي مُضْحِكُ وَالْفِعْلُ مُبْكِي

آخِرُ : دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا وَصَدَّقَهَا
آخِرُ : فَيَبِينَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرَنَا
فَأُقِ لِلدُّنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
آخِرُ : وَمَا الْمَرْءُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا كَهَاجِعِ
يُنْعَمُهُ طَيْفٌ مِنَ اللَّهْوِ بَاطِلٌ وَيُوقِظُهُ يَوْمٌ بِهِ الْمَوْتُ فَاجْتَمِعْ
وَلَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ أَنْهَكَ الْكُفْرَةَ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَالْمَالِ فَإِنَّ الدُّنْيَا
جَنَّتَهُمْ وَإِنَّمَا الْعَجَبُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ يَصِلُ حُبُّ الْمَالِ وَالدُّنْيَا فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَى حَدٍّ أَنْ تَذْهَلَ عُقُولُهُمْ وَأَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا هِيَ شُغْلُهُم الشَّاعِلُ لَيْلًا وَنَهَارًا
وَهُمْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الدُّنْيَا مِنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ أَلَيْسَ كِتَابُ اللَّهِ هُوَ
الَّذِي فِيهِ « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » .

وَيَقُولُ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ .

وَتَقَدَّمَتْ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُبَيِّنَةَ لِحِقَارَةِ الدُّنْيَا وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنْ
تَتْرَكَ الدُّنْيَا وَتَبْقَى جِياعاً عَارِبِينَ مُحْتَاجِينَ بَلْ مَعْنَاهُ أَنْ لَا نَجْعَلَهَا مَقْصِداً كَمَا
جَعَلَهَا الْكُفَّارُ بَلْ نَجْعَلِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَسِيلَةً إِلَى تِلْكَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ فَتَكُونَ
مِنَ الْفَرِيقِ الَّذِي يُحِبُّ الْمَالَ لِأَجْلِ الْآخِرَةِ .

وَقَدْ كَانَ عَلَى هَذَا الْمَبْدَءِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَكَذَلِكَ
التَّابِعُونَ هُمْ اتَّخَذُوا الدُّنْيَا مَطِيَّةً لِلْآخِرَةِ فَسَادُوا بِهَا أَهْلُ الدُّنْيَا وَمَا تَخَلَّفْنَا عَنْهُمْ
فِي هَذَا الْمَبْدَءِ وَجَعَلْنَا الْمَالَ هُوَ الْمَقْصِدُ سَكَنَّا إِلَى الدُّنْيَا وَأَحْبَبْنَا الْحَيَاةَ وَلَذَائِدَهَا
وَالدَّاهِيَةَ الْعَظِيمَةَ هِيَ أَنَا ضَرَبْنَا بِالذَّلِّ .

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « اِنَّ اَكْثَرَ مَا اَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللّٰهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْاَرْضِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَقَالَ ﷺ فَوَاللّٰهِ مَا الْفَقْرُ اَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ اَخْشَى اَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلٰى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوْهَا كَمَا تَنَافَسُوْهَا فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا اَهْلَكْتَهُمْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ اُنَاسٍ هَلَكُوا فَبَكَى اَحْبَابُهُمْ ثُمَّ بُكُوا
تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكُوا
آخِر: اِنِّيْ وَإِنْ كَانَ جَمْعُ الْمَالِ يُعْجِبُنِيْ فَلَيْسَ يَعْدِلُ عِنْدِيْ صِحَّةَ الْجَسَدِ
فِي الْمَالِ زَيْنٌ وَفِي الْاَوْلَادِ مَكْرَمَةٌ وَالسُّقْمُ يُنْسِيْكَ ذِكْرَ الْمَالِ وَالْوَالِدِ
وَاللّٰهُ اَعْلَمُ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة: عن الزهري : سمعتُ علي بن الحسين يُحَاسِبُ نَفْسَهُ وَيُنَاجِي رَبَّهُ
يَا نَفْسُ حَتَّامَ إِلَى الدُّنْيَا سُكُونِكَ ، وَإِلَى عِمَارَتِهَا رُكُونِكَ ، أَمَا اعْتَبَرْتَ
بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكَ ، وَمَنْ وَارَثَهُ الْاَرْضُ مِنْ أَلْفِكَ ، وَمَنْ فُجِعَتْ بِهِ
مِنْ إِخْوَانِكَ . وَنُقِلَ إِلَى الثَّرِيِّ مِنْ أَقْرَابِكَ ، فَهَمَّ فِي بَطُونِ الْاَرْضِ بَعْدَ
ظَهْوَرِهَا مُحَاسِنَةً فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ .

خَلَّتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاضُهُمْ وَسَاقَهُمْ نَحْوَ الْمَنَائِي الْمَقَادِرُ
وَحَلَّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا هَا وَضَمَّتْهُمْ تَحْتَ التَّرَابِ الْحَفَائِرُ

كَمْ خَرَبَتْ أَيْدِي الْمُنُونِ مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ وَكَمْ غَبَرَتْ الْاَرْضُ
وَعَيَّبَتْ فِي تَرَابِهَا مَمَّنْ عَاشَرَتْ مِنْ صُنُوفٍ وَشَيَّعَتْهُمْ إِلَى الْمَهَالِكِ ثُمَّ رَجَعَتْ
عَنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْاَفْلَاسِ .

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكَبُّ مُنَافِسٍ لِحُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ
عَلَى خَطَرِ تَمَشِّي وَتُصْبِحُ لَاهِيًا أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنَّ امْرَأًا يَسْعَى لِذُنْيَاهُ دَائِبًا وَيَذْهَلُ عَنْ أُخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ

فَحَتَّامَ عَلَى الدُّنْيَا إِقْبَالَكَ وَبِشَهْوَاتِهَا اسْتِغْلَالَكَ وَقَدْ وَخَطَكَ الشَّيْبُ

وأناك النذير وأنت عما يراد بك ساهٍ وبلذة يومك وغدك لاهٍ وقد رأيت انقلاب
أهل الشهوات وعانيت ما حل بهم من المصيبات .

أبعد اقتراب الأربعين تربص وشيب قذالٍ مُنذرٍ للأكابر
كأنك معنيٌ بما هو ضائرٌ لنفسك عمداً أو عن الرشيد حائر
أنظر إلى الأمم الماضية والملوك الفانية كيف اختطفتهم عقبان الأيام
ووافاهم الحيام فأنمحت من الدنيا آثارهم وبقيت فيها أخبارهم وأضحوا ريماً
في التراب إلى يوم الحشر والمآب والحساب .

فأمسوا رميمًا في التراب وعطّلت مجالسهم منهم وأخلى المقاصر
وحلوا بدارٍ لا تزاور بينهم وأنى لسكان القبور التزاور
فما أن ترى إلا قبوراً ثووا بها مسطحة تسفي عليها الأعاصير

كم من ذى منعة وسلطانٍ وجنودٍ وأعوانٍ تمكن من دُنياه ونال فيها ما
تمناه ، وبنى فيها القصور والدسائر ، وجمع فيها الأموال والذخائر ، وملح
السراري والحرائر .

فما صرفت عنه المنية إذا أتت مُبادرة تهوى إليها الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التي بنى وحف بها أنهاره والدسائر
ولا قارعت عنه المنية حيلة ولا طمعت في الذب عنه العسائر

أتاه من الله مالا يُردّ ونزل به من قضاياه ما لا يُصدّ فتعالى الله الملك
الجبار المتكبر العزيز القهار قاصم الجبارين ومبيد المتكبرين الذي ذلّ لِعِزِهِ كُلُّ
سلطانٍ وأبادَ بِقُوَّتِهِ كُلَّ دِيَّانٍ .

ملكٌ عزيزٌ لا يُردُّ قضاؤه حكيمٌ عليمٌ نافذُ الأمرِ قاهرٌ
عنى كل ذي عِزٍ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ لِلْمُهَيْمِنِ صَاغِرٌ

لَقَدْ خَضَعْتَ وَاسْتَسَلَّمْتَ وَتَضَّالْتَ لِعِزَّةِ ذِي الْعَرْشِ الْمَلُوكِ الْجَبَابِرِ
فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ وَالْحِذَارَ الْحِذَارَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَائِدِهَا ، وَمَا نَصَبْتَ لَكَ
مِنْ مَصَائِدِهَا ، وَتَحَلَّيْتَ لَكَ مِنْ زِينَتِهَا ، وَأَبْرَزْتَ لَكَ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَأَخْفَيْتَ
عَنْكَ مِنْ قَوَاتِلِهَا وَهَلَكَاتِهَا .

وَفِي دُونَ مَا عَايَنْتَ مِنْ فَجَعَاتِهَا إِلَى دَفْعِهَا دَاعٍ وَبِالزُّهْدِ أَمْرٌ
فَجِدْ وَلَا تَغْفُلْ وَكُنْ مُتَّقِظًا فَعَمَّا قَلِيلٍ يَتْرُكُ الدَّارَ عَامِرٌ
فَشَمْرٌ وَلَا تَفْتُرْ فَعُمْرُكَ زَائِلٌ وَأَنْتَ إِلَى دَارِ الْإِقَامَةِ صَائِرٌ
وَلَا تَطْلُبْ الدُّنْيَا فَإِنَّ نَعِيمَهَا وَإِنْ نِلْتَ مِنْهُ غِبُّهُ لَكَ ضَائِرٌ

فَهَلْ يَحْرُصُ عَلَى الدُّنْيَا لَيْبٌ ، أَوْ يُسَرُّ بِهَا أَرْبَبٌ ، وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ
فَنَائِهَا ، وَغَيْرُ طَامِعٍ فِي بَقَائِهَا أَمْ كَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ مَنْ يَخْشَى الْبَيَاتَ وَكَيْفَ
تَسْكُنُ نَفْسٌ مَنْ تَوَقَّعَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ الْمَمَاتَ .

أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَغُرُّ نَفُوسَنَا وَتَشْغَلُنَا اللَّذَاتُ عَمَّا نُحَازِرُ
وَكَيفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ بِمَوْقِفِ عَرْضِ يَوْمِ تَبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَا سُدِّي مَا لَنَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَصَادِرُ

وَمَا عَسَى أَنْ يَنَالَ صَاحِبُ الدُّنْيَا لَذَّتَهَا وَيَتَمَتَّعَ بِهِ مِنْ بَهْجَتِهَا مَعَ
صُنُوفِ عَجَائِبِهَا وَقَوَارِعِ فَجَائِعِهَا وَكَثْرَةِ عَذَابِهِ فِي مَصَائِبِهَا وَفِي طَلِبِهَا وَمَا
يُكَابِدُ مِنْ أَسْقَامِهَا وَأَوْصَابِهَا وَالْأَمَمَاتِ .

أَمَّا قَدْ نَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ يَرُوحُ عَلَيْنَا صَرْفُهَا وَيُبَاكِرُ
تُعَاوِرُنَا آفَاتُهَا وَهَمُومُهَا وَكَمْ قَدْ نَرَى يَبْقَى لَهَا الْمُتَعَاوِرُ
فَلَا هُوَ مَغْبُوطٌ بِدُنْيَاهُ آمِنٌ وَلَا هُوَ مِنْ تَطْلَا بِهَا النَّفْسَ قَاصِرٌ

كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا ، وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍ عَلَيْهَا ، فَلَمْ

تَنْعَشُهُ مِنْ عَثْرَتِهِ ، وَلَمْ تُنْقِذْهُ مِنْ صَرَعَتِهِ ، وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ ، وَلَمْ تُبْرِهِ مِنْ سَقَمِهِ ، وَلَمْ تُخَلِّصْهُ مِنْ وَصْمِهِ .

بَلَى أوردته بعد عز ومنعة موارد سوء ماهن مصادر فلما رأى أن لا نجاة وأنه هو الموت لا ينجيه منه التحاذر تنادم إذ لم تغن عنه ندامة عليه وأبكته الذنوب الكبائر

إذا بكى على ما سلف من خطاياها ، وتحسّر على ما خلف من دنياه ، واستغفر حتى لا ينفعه الاستغفار ، ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول المنية ونزول البلية .

أحاطت به أحزانه وهمومه وأبلس لما أعجزته المقادر فليس له من كربة الموت فارح وليس له مما يحاذر ناصر وقد جشأت خوف المنية نفسه ترددها منه اللها والحناجر

هنالك خلف عواده وأسلمه أهله وأولاده وإرتفعت البرية بالعويل وقد أيسوا من العليل فغمضوا بأيديهم عينيه ومدد عند خروج روحه رجله وتخلّى عنه الصديق والصاحب الشفيق .

فكم موجع يبكي عليه مفجع ومستنجد صبراً وما هو صابر ومسترجع داع له الله مخلصاً يعدد منه كل ما هو ذاكراً وكم شامت مستبشر بوفاته وعمّا قليل للذي صار صائر

فشقت جيوبها نساؤه ، ولطمت خدودها إماؤه ، وأعول لفقده جيرانه ، وتوجع لريزته إخوانه ، ثم أقبلوا على جهازه وشمروا لإبرازه كأن لم يكن بينهم العزيز المقتدى ولا الحبيب المبدى .

وحلّ أحبّ القوم كان بقربه يحث على تجهيزه ويبادر وشمّر من قد أحضروه لغسله ووجه لما فاض للقبر حافر

وَكُنَّ فِي ثَوْبَيْنِ واجْتَمَعُوا لَهُ مُشِيعَةً إِخْوَانَهُ وَالْعَشَائِرُ
فلو رأيت الأصغر من أولاده ، وقد غلب الحزن على فؤاده ، ويخشى
من الجزع عليه وقد خضبت الدموع عينيه وهو يندب أباه ويقول : يا ويلاه
واحرباه .

لَعَانَتْ مِنْ قُبْحِ الْمَنِيَةِ مَنْظَرًا يُهَالِ لِمَرَاهُ وَيَرْتَاعُ نَاطِرُ
أكابر أولاد يبيع اكتسابهم إذا ما تناساه البنون الأصغر
وربته نسوان عليه جوازع مدامعهم فوق الحدود غوازر
ثم أخرج من سعة قصره ، إلى مضيق قبره ، فلما استقر في اللحد ،
وهيء عليه اللبن احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياها وأوزاره ، وضاق ذرعاً
بما رآه ، ثم حثوا بأيديهم عليه التراب ، وأكثروا عليه البكاء والانتحاب ، ثم
وقفوا ساعة عليه وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب .

فَوَلَّوْا عَلَيْهِ مُعْوَلِينَ وَكُلَّهُمْ لِمِثْلِ الَّذِي لَاقَى أَخُوهُ مُحَاذِرُ
كشَاء رعاء أمين بدالها بمديته بادى الذراعين حاسر
فربعت ولم ترعى قليلاً واجفلت فلما نأى عنها الذي هو جازر
عادت إلى مرعاهها ، ونسيت ما في أختها دهاها ، أفابأفعال الأنعام
اقتدينا أم على عاداتها جرئنا ، عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبره
بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ما ترى .

ثوى مفرداً في لحده وتوزعت موارثه أولاده والأصاهر
وأحنوا على أمواله يقسمونها فلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمناً من أن تدور الدوائر
كيف أمنت هذه الحالة ، وأنت صائر إليها لا محالة ، أم كيف ضيعت
حياتك ، وهي مطيئتك إلى مماتك ، أم كيف تشبع من طعامك ، وأنت

مُنْتَظِرَ حِمَامِكَ ، أم كيف تَهْنَأُ بالشهوات ، وهي مَطِيَّةُ الآفات .
ولم تَنْزَوِدْ لِلرَّحِيلِ وَقَدْ دَنَا وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ وَشِيكَ مُسَافِرُ
فِيَاهُفِّ قَلْبِي كَمَا أَسُوِّفُ تَوْبِي وَعُمْرِي فَإِنِ الرَّدَى لِي نَاطِرُ
وَكُلِّ الَّذِي أَسْلَفْتُ فِي الصُّحُفِ مُثَبَّتٌ يَجَازِي عَلَيْهِ عَادِلُ الْحَكْمِ قَادِرُ

فَكَمْ تُرْتِعُ بِآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ ، وَتُرَكِّبُ عَيْكَ وَهَوَاكَ ، أَرَاكَ ضَعِيفَ
الْيَقِينِ ، يَأْمُوثِرُ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ ، أَيْهَذَا أَمَرَكَ الرَّحْمَنُ أَمْ عَلَى هَذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ
أَمَا تَذَكَّرُ مَا أَمَامَكَ مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ وَشَرِّ الْمَأْبِ ، أَمَا تَذَكَّرُ حَالَ مَنْ جَمَعَ
وَتَمَّرَ ، وَرَفَعَ الْبِنَاءَ وَزَخَرَفَ وَعَمَّرَ ، أَمَا صَارَ جَمْعُهُمْ بُورًا وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا .

مُخْرَبٌ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيَا فَلَآ ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ
وَهَلْ لَكَ إِذْ وَأَفَاكَ حَتْفُكَ بَعْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللَّهِ عَادِرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَفْنَى الْحَيَاةُ وَتَنْقُضِي وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرٌ أَهْ

ينبغي لن عمر ستين سنة أن يحاسب نفسه ويتخلى للعبادة قبل هجوم
هادم اللذات .

وَفِيَتْ سِتِّينَ وَاسْتَكْمَلَتْ عِدَّتَهَا فِيهَا بَقَاؤُكَ إِذْ وَفَيْتَ سِتِّينَا
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ يَامِسْكِينُ فِي مَهَلٍ فَكُلُّ يَوْمٍ تَرَى نَاسًا يَمُوتُونَ

آخر:

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ
بِهِ وَجَلُّ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ دُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ عَيْنُهَا
وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيَتَّقَى
وَمَا لَكَ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفُ

فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي
إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا
يُصَدِّدُ ذُو الْقُرْبَى وَيُحْفُوا الْمُؤَالِفُ
لَيْنُ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي
أَرْجِي لِأَسْرَافِي فَإِنِّي لَتَأَلِفُ
آخِرُ :

غفلتُ وليس الموتُ في غفلةٍ عني
وما أَحَدٌ يُجْنِي عَلَيَّ كَمَا أَجْنِي
أَشِيدُ بُنْيَانِي وَأَعْلَمُ أَنَّي
أَزُولُ ، لِمَنْ شَيْدَتُهُ وَلِمَنْ أَبْنِي
كَفَانِي بِالْمَوْتِ الْمُنْغَصِّ وَأَعِظًا
بِمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتُ أُذُنِي
وَكَمْ لِلْمَنَايَا مِنْ فُنُونٍ كَثِيرَةٍ
تُمَيِّتُ وَقَدْ وَطَّنتُ نَفْسِي عَلَى فَنٍّ
وَلَوْ طَرَقْتُ مَا اسْتَأْذَنْتُ مَنْ يُحِبُّنِي
كَمَا أَفْقَدْتَنِي مَنْ أَحَبُّ بِلا إِذْنِ
وَقَدْ كُنْتُ أَفْدي نَاطِرِيهِ مِنَ الْقَدَى
فَغَطَّيْتُ مَا قَدْ كُنْتُ أَفْديهِ بِالْعَيْنِ
سَتَسْجُنِي يَا رَبِّ فِي الْقَبْرِ بُرْهَةً
فَلَا تَجْعَلِ النِّيرانِ مِنْ بَعْدِهِ سِجْنِي
وَلِي عِنْدَ رَبِّي سَيِّئَاتٌ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنِّي عَبْدٌ بِهِ حَسَنُ الظَّنِّ

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالِحِ الْعَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ
 سَبِيلَ الرَّشَادِ وَطَرِيقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَتِمُّ الرَّغْبَةُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا
 وَلَا يَسْتَقِيمُ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بَعْدَ نَظَرَيْنِ صَحِيحَيْنِ : نَظَرٌ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةٌ
 زَوَالُهَا وَفَنَائِهَا وَأَضْمِحْلَالُهَا وَنَقْصُهَا وَخَسْفُهَا وَأَلْمُ الْمُرَاحِمَةِ عَلَيْهَا وَالْحِرْصِ عَلَيْهَا
 وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعُصَصِ وَالنَّغْصِ وَالْأَنْكَادِ .

وَأَخْرَجَ ذَلِكَ الزُّوَالُ وَالْأَنْقِطَاعُ مَعَ مَا يُعْقَبُ ذَلِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَسْفِ
 فَطَالِبُهَا لَا يَنْفِكُ مِنْ هَمٍّ قَبْلَ حُصُولِهَا وَهَمٌّ فِي حَالِ الظُّفْرِ بِهَا وَغَمٌّ بَعْدَ فَوَاتِهَا
 فَهَذَا أَحَدُ النَّظَرَيْنِ .

(النَّظَرُ الثَّانِي) النَّظَرُ فِي الْآخِرَةِ وَأَقْبَالُهَا وَجَيْئُهَا وَلَا بُدَّ وَدَوَامِهَا وَبَقَائِهَا
 وَشَرَفِ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْمَسْرَاتِ وَالتَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا هَهُنَا فَهِيَ
 كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ فَهِيَ خَيْرَاتٌ كَامِلَةٌ دَائِمَةٌ ،
 وَهَذِهِ خَيَالَاتٌ نَاقِصَةٌ ، مُنْقَطِعَةٌ مُضْمِحِلَّةٌ .

فَإِذَا تَمَّ لَهُ هَذَا النَّظَرَانِ آثَرَ مَا يَقْتَضِي الْعَقْلُ إِثَارَهُ وَزَهَدَ فِيمَا يَقْتَضِي
 الزُّهْدَ فِيهِ فَكُلُّ أَحَدٍ مَطْبُوعٌ عَلَى أَنْ لَا يَتْرَكَ النَّفْعَ الْعَاجِلَ وَاللَّذَّةَ الْحَاضِرَةَ إِلَى
 النَّفْعِ الْآجِلِ وَاللَّذَّةِ الْغَائِبَةِ الْمُتَنْظَرَةِ إِلَّا إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ فَضْلُ الْآجِلِ عَلَى
 الْعَاجِلِ وَقَوِيَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْأَعْلَى الْأَفْضَلِ فَإِذَا آثَرَ الْفَانِي النَّاقِصَ ، كَانَ ذَلِكَ
 إِمَّا لِعَدَمِ تَبَيُّنِ الْفَضْلِ لَهُ وَإِمَّا لِعَدَمِ رَغْبَتِهِ فِي الْأَفْضَلِ .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْأَيْمَانِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ
وَالْبَصِيرَةِ فَإِنَّ الرَّاعِبَ فِي الدُّنْيَا الْحَرِيصَ عَلَيْهَا الْمُؤْتِرَ لَهَا إِمَّا أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ مَا
هُنَاكَ أَشْرَفُ وَأَفْضَلُ وَأَبْقَى وَأَمَّا أَنْ لَا يُصَدِّقَ فَإِنَّ لَمْ يُصَدِّقْ بِذَلِكَ وَلَمْ يُؤْتِرْهُ
كَانَ فَاسِدَ الْعَقْلِ سَيِّءَ الْأَخْتِيَارِ لِنَفْسِهِ .

وَهَذَا تَقْسِيمٌ حَاضِرٌ ضَرُورِيٌّ لَا يَنْفَكُ الْعَبْدُ مِنْ أَحَدِ الْقِسْمَيْنِ مِنْهُ
فَإِثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ إِمَّا مِنْ فَسَادٍ فِي الْأَيْمَانِ وَإِمَّا مِنْ فَسَادٍ فِي الْعَقْلِ
وَمَا أَكْثَرَ مَا يَكُونُ مِنْهُمَا وَلِهَذَا نَبَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَ
ظَهْرِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَصَرَفُوا عَنْهَا قُلُوبَهُمْ وَأَطْرَحُوهَا وَلَمْ يَأْلُقُوهَا
وَهَجَرُوهَا وَلَمْ يَمِيلُوا إِلَيْهَا وَعَدُّوهَا سِجْنًا لَا جَنَّةَ فَرَّهَدُوا فِيهَا حَقِيقَةَ الزُّهْدِ
وَلَوْ أَرَادُوهَا لَنَالُوا مِنْهَا كُلَّ مَحْبُوبٍ وَلَوْصَلُوا مِنْهَا إِلَى كُلِّ مَرْغُوبٍ .

فَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيحُ كُنُوزِهَا فَرَدَّهَا وَفَاضَتْ عَلَى أَصْحَابِهِ فَأَثَرُوا
بِهَا وَلَمْ يَبِيعُوا بِهَا حَظَّهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ بِهَا وَعَلِمُوا أَنَّهَا مَعْبَرٌ وَمَمَرٌ
لَا دَارَ مَقَامٍ وَمُسْتَقَرٍّ وَأَنَّهَا دَارُ عُبُورٍ لَا دَارَ سُورٍ وَأَنَّهَا سَحَابَةٌ صَيْفٍ تَنْقَشِعُ
عَنْ قَلِيلٍ وَخِيَالٌ طَيْفٍ مَا اسْتَمَّتْ الزِّيَارَةَ حَتَّى آذَنَ بِالرَّجِيلِ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا أَنَا كَرَائِبٍ مَالٍ
فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » وَقَالَ « مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يُدْخَلُ
أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ فِي أَلِيمٍ فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجَعِ » .

وَقَالَ خَالِقُهَا سُبْحَانَهُ « إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذَا أَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ
فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ
يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

شِعْرًا : إِذَا مَا أَصْبَنَا كُلَّ يَوْمٍ مُدَيْقَةً وَسَبَعُ ثُمِرَاتِ صِغَارٍ هَوَامِزِ
فَنَحْنُ مُلُوكُ الْأَرْضِ خِصْبًا وَنِعْمَةً وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْعُغَابِ وَقَتِ الْهَزَاهِزِ

آخِرُ : لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي لِمُنْقَصَةٍ
 آخِرُ : لِعَمْرِي مَنْ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً
 وَمَنْ كُنْتَ مُحْتَاجاً إِلَيْهِ فَإِنَّهُ
 وَمَنْ كُنْتَ عَنْهُ دَا غِنَى وَهُوَ مَالِكٌ
 آخِرُ : لِعَمْرِكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ
 تُحَارِبُنَا أَيَّامُنَا وَلِنَا رِضَى
 أَرَى الْحِيرَةَ الْبَيْضَاءَ عَادَتْ قُصُورُهَا
 رَكِبْنَا مِنَ الْآمَالِ فِي الدَّهْرِ لُجَّةً
 وَحَفَنَهُ مِنْ كَفَافِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي
 وَمَدَّ لَهَا كَفَاً فَأَنْتَ أَمِيرُهُ
 أَمِيرِكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَسِيرُهُ
 أَرَمَّةٌ أَمْوَالٍ فَأَنْتَ نَظِيرُهُ
 وَلَا الْحَيُّ فِي دَارِ السَّلَامَةِ آمِنٌ
 بِذَلِكَ لَوْ أَنَّ الْمَنَائِمَ تَهَادِنُ
 حَلَاءً وَلَمْ تَثْبُتْ لِكِسْرِي الْمَدَائِنُ
 فَمَا صَبَّرْتَ لِلْمَوْجِ تِلْكَ السَّفَائِنُ

فَأَخْبَرَ عَنِ خِسَّةِ الدُّنْيَا وَزَهْدٍ فِيهَا وَأَخْبَرَ عَنِ دَارِ السَّلَامِ وَدَعَا إِلَيْهَا
 وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ
 فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ مُقْتَدِرًا . الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ
 عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
 بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ
 يَهْبِئُ فَتَرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
 مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

وَقَالَ ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
 الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
 مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ ﴿ قُلْ أُوْبُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمْ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
 مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
 مَتَاعٌ ﴾ وَقَدْ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ أَعْظَمَ الْوَعِيدِ لِمَنْ رَضِيَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ

بِهَا وَغَفَلَ عَن آيَاتِهِ وَلَمْ يَرْجُ لِقَاءَهُ فَقَالَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا - وَالَّذِينَ هُمْ عَن آيَاتِنَا غَافِلُونَ • أُولَئِكَ
مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وَعَبَّرَ سُبْحَانَهُ مَن رَضِيَ بِالدُّنْيَا مِن
المُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعِ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ .

شعرا :

وَقَيْتَ سِتِينَ وَاسْتَكْمَلْتَ عِدَّتَهَا فَمَا بِقَاوِكَ إِذْ وَقَيْتَ سِتِينَ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ يَا مَسْكِينَ فِي مَهَلٍ فَكُلُّ يَوْمٍ تَرَى نَاسًا يَمُوتُونَ
وَعَلَى قَدْرِ رَغْبَةِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَرِضَاهُ بِهَا يَكُونُ تَثَاقُلُهُ عَن طَاعَةِ
اللَّهِ وَطَلَبِ الْآخِرَةِ وَيَكْفِي فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ
مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَمْتَعُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾
وَقَوْلُهُ ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ
مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا • إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا • إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن
يَخْشَاهَا • كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبَثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾
وَقَوْلُهُ ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ
فَاسْأَلِ الْعَادِينَ . قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ
﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ
لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا
يَوْمًا ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

خُلِقْنَا لِأَحْدَاثِ اللَّيَالِي فَرَائِسًا
تَزْفُ إِلَى الْأَجْدَاثِ مِنَّا عَرَائِسًا
تُجَهِّزُ مِنَّا لِلْقُبُورِ عَسَاكِرًا
وَتُرْدِفُ أَعْوَادُ الْمَنَايَا فَوَارِسًا
إِذَا أَمَلُ أَرْخَى لَنَا مِنْ عِنَانِهِ
غَدَا أَجَلٌ عَمَّا نُحَاوِلُ حَابِسًا
أَرَى الْغُضْنَ لَمَّا اجْتَتَّ وَهُوَ بِمَائِهِ
رَطِيبًا وَمَا إِنْ أَصْبَحَ الْغُضْنَ يَابِسًا

نَشِيدُ قُصُورًا لِلْخُلُودِ سَفَاهَةً وَنَصِيرُ مَا شِعْنَا فُتُورًا دَوَارِسًا
وَقَدْ نَعَتِ الدُّنْيَا إِلَيْنَا نُفُوسَنَا بِمَنْ مَاتَ مِنَّا لَوْ أَصَابَتْ أَكَايِسًا
لَقَدْ ضَرَبَتْ كِسْرَى الْمُلُوكِ وَتُبَعَا وَقِيَصَرَ أَمِيَالًا فَلَمْ تَرَ قَائِسًا
نَرَى مَا نَرَى مِنْهَا جَهَارًا وَقَدْ غَدَا هَوَاهَا عَلَى نُورِ الْبَصِيرَةِ طَامِسًا
وَقَدْ فَضَحَ الدُّنْيَا لَنَا الْمَوْتُ وَاعْظَا وَهَيْهَاتَ مَا تَزْدَادُ إِلَّا تَقَاعِسًا
أَخْر: كَمْ سَالِمٍ أَسْلَمْتُهُ لِلرَّدَى فَقَضَى حَتْفًا وَلَمْ يَقْضِ مِنْ لَذَاتِهَا وَاطْرَا
وَمُتَرَفٍ قَلْبَتْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ لَهُ فَعَادَ بَعْدَ عُلُوِّ الْقَدْرِ مُحْتَقِرَا
فَأُبْعِدْنَهَا وَلَا تَحْفَلُ بِزُخْرِفِهَا وَغُضَّ طَرْفَكَ عَنْهُ قَلٌّ أَوْ كَثْرَا
فَكُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ الْعَيْنُ مِنْ حَسَنِ كَرَّ الْأَهْلَةِ لَا يُبْقَى لَهُ أَثْرَا
وَاصْحَبْ وَصَلَّ وَوَاصِلُ كُلِّ أَوْتَةٍ عَلَى النَّبِيِّ سَلَامًا طَيِّبًا عَطْرَا
وَصَحْبِهِ وَمَنْ اسْتَهْدَى بِهِدْيِهِمْوَا فَهُمْ أَيْمَةٌ مَنْ صَلَّى وَمَنْ ذَكَرَا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا لِمَا
فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ انْقَسَمُوا قِسْمَيْنِ قِسْمٌ

جَعَلُوا غَايَتَهُمُ الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ وَالتَّمَتُّعَ بِمِلَادِ الدُّنْيَا مِنْ مَسَاكِينِ وَمَلَابِسٍ
وَقَضَاءِ وَطَرٍ وَلَيْسَ وَرَاءَ هَذِهِ الْغَايَةِ عِنْدَهُمْ غَايَةٌ أُخْرَى فَهُمْ يَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ
يَصْرُمُونَ أَعْمَارَهُمْ لِيَتَمَتَّعُوا مَا وَسِعَهُمُ التَّمَتُّعُ فَمَا بَعْدَ نَظَرِهِمُ الْكَلِيلِ الْحَسِيرِ
وَقَلْبِهِمِ الْمَيْتَةِ إِلَّا الْعَدَمَ وَالْفَنَاءَ .

وَهَؤُلَاءِ هُمْ جُنْدُ الشَّيْطَانِ شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ وَأَشَقَاهُمْ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَذَرْنِي
وَالْمُكَذِبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ
وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ فَهُمْ صَارُوا كَالْأَنْعَامِ لَا يَحْتَلِفُونَ
عَنْهَا إِلَّا فِي الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ وَإِلَّا فِي دُخُولِهِمُ النَّارَ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ .

تِلْكَ هِيَ غَايَةُ هَذَا الصَّنْفِ أَمَا مَرَكُزُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ فَهُوَ مَرَكُزُ الْأَفْسَادِ
وَالْأَضْلَالِ وَمَا لَهُمْ جَمِيعًا دُخُولُ النَّارِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْمِهَادِ ﴾ وَقَالَ ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا
فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ .

الصَّنْفُ الثَّانِي الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقِيقَةَ وَالْغَايَةَ الَّتِي خَلَقُوا لَهَا عَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ
خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
أَيُّقُنُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾
فَغَايَتُهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ عِبَادَةُ اللَّهِ .

وَمِنْهَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالِدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَعِمَارَةُ الْأَرْضِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ
وَهِدَايَةُ الْحَيَارَى إِلَى الْحَقِّ وَقِيَادَتُهُمْ فِي دُرُوبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَرَاءَهَا الْغَايَةُ
الْعُظْمَى وَالْعُلْيَا وَهِيَ ابْتِغَاءُ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَحَدَهُ جَلَّ جَلَالُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١٠﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾ .

هَذِهِ مُهِمَّةُ الْمُسْلِمِ وَغَايَتُهُ فِيهَا عِبَادَةُ اللَّهِ وَحَدَهُ وَجِهَادُهُ فِي سَبِيلِهِ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ حَتَّى يَحْمِلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَيَبْعِدَهَا عَنِ الْمَعْصِيَةِ جُهْدَهُ وَيُجَاهِدُ بِقَلْمِهِ وَلِسَانِهِ وَمَالِهِ وَوَدَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى تَعْلُو كَلِمَةُ اللَّهِ وَيَسْتَتِيرَ الْبَشَرُ بِنُورِ الْإِسْلَامِ .

وَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ لِهَذِهِ الْمُهَمَّةِ الْخَطِيرَةِ مُهِمَّةَ دَلَالَةِ النَّاسِ وَقِيَادَتِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فَلَا مَجَالَ لِلتَّخَلُّفِ عَنْ هَذِهِ الْمُهَمَّةِ الشَّرِيفَةِ هَذِهِ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿١٢﴾ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَلَا يُعْذَرُ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴿١٣﴾ .

فَالَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ مُسْلِمٌ عَلَيْهِ أَنْ يُبَلِّغَ وَيَدْعُو وَيُؤَدِّي هَذِهِ الشَّهَادَةَ لِهَذَا الدِّينِ شَهَادَةً تُؤَيِّدُ حَقَّ هَذَا الدِّينِ فِي الْبَقَاءِ وَيُؤَيِّدُ الْخَيْرَ الَّذِي يَحْمِلُهُ هَذَا الدِّينُ لِلْبَشَرِ .

وَهُوَ لَا يُؤَيِّدُ هَذِهِ الشَّهَادَةَ تَمَامًا حَتَّى يَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ خُلُقِهِ
وَمِنْ سُلُوكِهِ وَمِنْ حَيَاتِهِ صُورَةً لِهَذَا الدِّينِ صُورَةً يَرَاهَا النَّاسُ فَيَرُونَ فِيهَا
مَثَلًا رَفِيعًا يَشْهَدُ لِهَذَا الدِّينِ الأَسْلَامِيِّ بِالأَحْقَاقِ فِي الوُجُودِ بِالأَخِيرَةِ
وَبِالأَفْضَلِيَّةِ عَلَى سَائِرِ مَا فِي الأَرْضِ .

فَالشَّهَادَةُ فِي النَفْسِ أَوَّلًا بِمُجَاهَدَتِهَا حَتَّى تَكُونَ تَرْجَمَةً لَهُ تَرْجَمَةٌ
حَيَّةٌ فِي شُعُورِهَا وَسُلُوكِهَا حَتَّى صُورَةُ الأَيْمَانِ فِي هَذِهِ النَفْسِ فَيَقُولُوا مَا
أَطِيبَ هَذَا الأَيْمَانِ وَمَا أَحْسَنُهُ وَمَا أَرْكَاهُ .

وَهُوَ يَصُوغُ أَصْحَابَهُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الخُلُقِ وَالكَمَالِ فَتَكُونُ
هَذِهِ شَهَادَةٌ لِهَذَا الدِّينِ فِي النَفْسِ يَتَأَثَّرُ بِهَا الأَخْرُونَ وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِدَعْوَةِ
النَّاسِ إِلَيْهِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ وَمَحَاسِنِهِ وَمَزِيَّتِهِ بَعْدَ تَمَثُّلِ هَذَا الفَضْلِ .

وَهَذِهِ المَزِيَّةُ فِي نَفْسِ الدَّاعِيَةِ فَمَا يَكْفِي أَنْ يُؤَدِّي المُؤْمِنَ الشَّهَادَةَ
لِلأَيْمَانِ فِي ذَاتِ نَفْسِهِ إِذَا هُوَ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهَا النَّاسَ وَمَا يَكُونُ قَدْ أَدَّى
الدَّعْوَةَ وَالتَّبْلِيغَ وَالبَيَانَ قَالَ تَعَالَى ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَقَالَ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ الآية .

ثُمَّ الشَّهَادَةُ لِهَذَا الدِّينِ بِمُحَاوَلَةِ إقْرَارِهِ فِي الأَرْضِ مِنْهَجًا لِلجَمَاعَةِ
المُؤْمِنَةِ وَمِنْهَجًا لِلبَشَرِيَّةِ جَمِيعًا وَالمُحَاوَلَةُ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ الفَرْدُ مِنْ وَسِيلَةٍ
وَبِكُلِّ مَا تَمْلِكُ الجَمَاعَةُ مِنْ وَسِيلَةٍ .

فإقْرَارُ هَذَا المَنْهَجِ فِي حَيَاةِ البَشَرِ هُوَ كُبْرَى الأَمَانَاتِ بَعْدَ الأَيْمَانِ
الدَّائِيَّةِ وَلا يُعْفَى مِنْ هَذِهِ الأَمَانَةِ الأَخِيرَةِ فَرْدٌ وَلا جَمَاعَةٌ وَمِنْ ثَمَّ فَالجِهَادُ
مَاضٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ أ هـ .

شِعْرًا :

لَقَدْ عَفَتْ مِنْ دِيَارِ الْعِلْمِ آثَارُ
فَأَصْبَحَ الْعِلْمُ لَا أَهْلٌ وَلَا دَارُ
يَا زَائِرِينَ دِيَارِ الْعِلْمِ لَا تَفِدُوا
فَمَا بِذَلِكَ الْجَمَى وَالِدَارِ دِيَارُ
تَرَحَّلَ الْقَوْمُ عَنْهَا وَاسْتَمَرَ بِهِمْ
مُشَمِّرٌ مِنْ حُدَاةِ الْبَيْنِ سَيَّارُ
قَدْ أُورِدَ الْقَوْمَ حَادِيَهُمْ حِيَاضُ رَدَى
فَمَا لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَرْدِ اصْدَارُ
لَهْفِي عَلَى سُجْحِ الدُّنْيَا الَّتِي طَفِئَتْ
وَلَا يَزَالُ لَهَا فِي النَّاسِ أَنْوَارُ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ رِجَالًا طَالَمَا صَبَرُوا
وَهَكَذَا طَالِبُ الْعِلْمِ صَيَّارُ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ رِجَالًا طَالَمَا عَدَلُوا
بَيْنَ الْأَنْامِ وَمَا حَابُوا وَلَا جَارُوا
مَالُوا يَمِينًا عَنِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا
لِأَنَّهَا فِي عُيُونِ الْقَوْمِ أَقْدَارُ
وَصَاحِبُوهَا بِأَجْسَادِ قُلُوبِهِمْ
طَيَّرَ لَهَا فِي ظِلَالِ الْعَرْشِ أَوْكَارُ
هُمُ الَّذِينَ رَعَوْا لِلْعِلْمِ حُرْمَتَهُ
لِلْعِلْمِ بَيْنَهُمْ شَأْنٌ وَمِقْدَارُ
صَانُوهُ طَاقَتَهُمْ عَنِ مَا يُدْنِسُهُ
كَمَا يَصُونُ نَفِيسَ الْمَالِ تُجَارُ

وَأَحْسَنُوا فِيهِ تَضَرِيفاً، لِأَنَّهُمْ
 لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَوْفِيقٌ وَإِقْدَارٌ
 رَأَوْهُ كَالنَّجْمِ بَعْدَ لَيْسَ يُدْرِكُهُ
 بَاعٌ قَصِيرٌ وَفَهُمْ فِيهِ إِقْصَارٌ
 فَدَوَّنُوهَا فُرُوعاً مِنْهُ دَائِبَةً
 لِكُلِّ جَانٍ تَدَلَّتْ مِنْهُ أَثْمَارُ
 يَا صَاحِبَ فَالْزَمِ طَرِيقَ الْقَوْمِ مُتَّبِعاً
 فَرِيقَهُمْ لَيْسَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنْظَارٌ
 وَوَاجِبٌ قَصْرُكَ الْمَمْدُودَ مِنْ أَمَلٍ
 مَسَافَةٌ الْعُمُرِ فِي دُنْيَاكَ أَشْبَارُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا
 يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَدُرِّيَاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا
 وَأَعِدْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ ابْلِيسَ وَجُنُودِهِ وَبَيَانِ
 شَيْءٍ مِنْ حِيلِهِ وَمَكْرِهِ وَكَيْدِهِ لِبَنِي آدَمَ وَوَصَايَاهُ لِجُنُودِهِ كَيْفَ يُوقِعُونَ بَنِي
 آدَمَ فِي الْمَعَاصِي مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ وَتَوَجُّهِهِ جُنُودِهِ
 إِلَى الْمَدَاجِلِ إِلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لِيُدْمِرَهُمْ وَيُهْلِكَهُمْ وَيَرْجُحَهُمْ مَعَهُ فِي
 السَّعِيرِ ، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَلَمَّا عَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ آدَمَ ، وَبَيْنَهُ قَدْ بُلُوا بِهَذَا الْعَدُوِّ ، وَأَنَّهُ قَدْ سُلْطَ عَلَيْهِمْ أَمْدُهُمْ بِعَسَاكِرِ ، وَجُنْدٍ يَلْقَوْنَهُ بِهَا ، وَأَمَدٌ عَدُوَّهُمْ أَيْضاً بِجُنْدٍ وَعَسَاكِرٍ يَلْقَاهُمْ بِهَا وَأَقَامَ سُوقَ الْجِهَادِ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ الَّتِي هِيَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْآخِرَةِ كَنَفْسٍ وَاحِدٍ مِنْ أَنْفَاسِهَا .

وَاشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ وَعَدَّ مُؤَكَّدًا فِي أَشْرَفِ كُتُبِهِ وَهِيَ التَّوْرَةُ ، وَالْإِنْجِيلُ ، وَالْقُرْآنُ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا أَوْفَى بَعْهَدِهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ .

ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَبْشِرُوا بِهَذِهِ الصَّفَقَةِ الَّتِي مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَهَا فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْمُشْتَرِيِّ مَنْ هُوَ ، وَإِلَى الثَّمَنِ الْمَبْدُولِ فِي هَذِهِ السَّلْعَةِ ، وَإِلَى مَنْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ هَذَا الْعَقْدِ ، فَأَيُّ فَوْزٍ أُعْظِمَ مِنْ هَذَا ، وَأَيُّ تِجَارَةٍ أَرْبَحَ مِنْهُ .

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ هَذَا بِقَوْلِهِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

وَلَمْ يُسَلِّطْ هَذَا الْعَدُوَّ عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَيْهِ ، إِلَّا لِأَنَّ الْجِهَادَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ ، وَأَهْلُهُ أَرْفَعُ الْخَلْقِ عِنْدَهُ دَرَجَاتٍ وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَسَيْلَةٌ .

فَعَقَدَ سُبْحَانَهُ لِيَوَاءِ هَذَا الْحَرْبِ لِخِلَاصَةِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَهُوَ الْقَلْبُ
الَّذِي هُوَ مَحَلُّ مَعْرِفَتِهِ ، وَمَحَبَّتِهِ ، وَعُبُودِيَّتِهِ ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالتَّوَكُّلِ
عَلَيْهِ ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ ، فَوَلَّاهُ أَمْرَ هَذَا الْحَرْبِ .

وَأَيْدَهُ بِجُنْدِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يُفَارِقُونَهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ يُشَبِّتُونَهُ وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَأْمُرُونَهُ
بِالْخَيْرِ ، وَيَخْصُمُونَهُ عَلَيْهِ ، وَيَعِدُّونَهُ بِكَرَامَةِ اللَّهِ ، وَيُصَبِّرُونَهُ ، وَيَقُولُونَ
إِنَّمَا هُوَ صَبْرٌ سَاعَةٍ وَقَدْ اسْتَرَحْتُ رَاحَةَ الْأَبَدِ .

ثُمَّ أَمَدَّهُ بِجُنْدٍ آخَرَ مِنْ وَحْيِهِ ، وَكَلَامِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولَهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ كِتَابَهُ ، فَازْدَادَ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِ ، وَمَدَدًا إِلَى
مَدَدِهِ وَعُدَّةً إِلَى عُدَّتِهِ .

وَأَيْدَهُ مَعَ ذَلِكَ بِالْعَقْلِ وَزَيْرًا لَهُ وَمُدَبِّرًا ، وَبِالْمَعْرِفَةِ مُشِيرَةً عَلَيْهِ
وَنَاصِحَةً لَهُ ، وَبِالْإِيمَانِ مُثَبِّتًا لَهُ ، وَمُؤَيِّدًا ، وَنَاصِرًا ، وَبِالْيَقِينِ كَاشِفًا لَهُ
عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ كَأَنَّهُ يُعَايِنُ مَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَحِزْبَهُ عَلَى جِهَادِ
أَعْدَائِهِ .

فَالْعَقْلُ يُدَبِّرُ أَمْرَ جَيْشِهِ ، وَالْمَعْرِفَةُ تَصْنَعُ لَهُ أُمُورَ الْحَرْبِ وَأَسْبَابَهَا
وَمَوَاضِعَهَا اللَّاحِقَةَ بِهَا ، وَالْإِيمَانُ يَشْبِثُهُ وَيُقَوِّيه وَيُصَبِّرُهُ ، وَالْيَقِينُ يُقَدِّمُ بِهِ
وَيَحْمِلُ بِهِ الْحَمَلَاتِ الصَّادِقَةَ .

ثُمَّ أَمَدَّ سُبْحَانَهُ الْقَائِمَ بِهِدْيِهِ الْحَرْبِ بِالْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ،
فَجَعَلَ الْعَيْنَ طَلِيعَتَهُ وَالْأُذُنَ صَاحِبَ خَبْرِهِ ، وَاللِّسَانَ تَرْجُمَانَ ، وَالْيَدَيْنِ
وَالرِّجْلَيْنِ أَعْوَانَهُ .

وَأَقَامَ مَلَائِكَتُهُ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ، وَيَسْأَلُونَ لَهُ أَنْ يَغْفِرَ السَّيِّئَاتِ ،
وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّاتِ ، وَتَوَلَّى سُبْحَانَهُ الدَّفْعَ عَنْهُ وَالدَّفَاعَ عَنْهُ بِنَفْسِهِ

وَقَالَ هَؤُلَاءِ حِزْبِي وَحِزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ، قَالَ تَعَالَى ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَهَؤُلَاءِ جُنْدِي وَجُنْدُ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ .

وَعَلَّمَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ كَيْفَ هَذَا الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ فَجَمَعَهَا لَهُمْ فِي
أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَقَالَ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ،
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ هَذَا الْجِهَادِ إِلَّا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ ، فَلَا يَتِمُّ لَهُ الصَّبْرُ
إِلَّا بِمُصَابَرَةِ الْعَدُوِّ ، وَهِيَ مُقَاوَمَتُهُ ، وَمَنَازِلَتُهُ ، فَإِذَا صَابَرَ عَدُوَّهُ اِحْتِاجَ إِلَى
أَمْرٍ آخَرَ وَهُوَ الْمُرَابِطَةُ وَهِيَ لُزُومُ ثَغْرِ الْقَلْبِ وَحِرَاسَتِهِ لِثَلَاثٍ يَدْخُلُ مَعَهُ
الْعَدُوُّ وَلُزُومُ ثَغْرِ الْعَيْنِ ، وَالْأُذُنِ وَاللِّسَانِ ، وَالْبَطْنِ ، وَالْيَدِ ، وَالرَّجْلِ .

فَهَذِهِ الثُّغُورُ مِنْهَا يَدْخُلُ الْعَدُوُّ ، فَيَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَيُفْسِدُ مَا
قَدَرَ عَلَيْهِ ، فَالْمُرَابِطَةُ لُزُومُ هَذِهِ الثُّغُورِ ، وَلَا يُخْلَى مَكَانُهَا فَيُصَادِفُ الْعَدُوَّ
الثُّغْرَ خَالِيًا فَيَدْخُلُ مِنْهُ .

فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَيْرُ الْخَلْقِ
بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَأَعْظَمُهُمْ حِمَايَةً ، وَحِرَاسَةً مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَقَدْ
أَخْلَوْا الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرُوا بِلُزُومِهِ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَدَخَلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ فَكَانَ مَا
كَانَ .

وَجَمَاعُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَعَمُودُهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ هُوَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَا
يَنْفَعُ الصَّبْرُ وَلَا الْمُصَابَرَةَ ، وَلَا الْمُرَابِطَةَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى وَلَا تَقُومُ التَّقْوَى إِلَّا

عَلَى سَاقِ الصَّبْرِ ، فَانظُرْ الْآنَ فِيكَ إِلَى التَّقَاءِ الْجَيْشَيْنِ وَاصْطِدَامِ
العَسْكَرَيْنِ ، وَكَيْفَ تُدَالُ مَرَّةً ، وَتُدَالُ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى .

أَقْبَلَ مَلِكُ الْكُفْرَةِ بِجُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ ، فَوَجَدَ الْقَلْبَ فِي حِصْنِهِ جَالِسًا
عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلُوكِيهِ ، أَمْرُهُ نَافِذٌ فِي أَعْوَانِهِ ، وَجُنْدِهِ قَدْ حَفُوا بِهِ يُقَاتِلُونَ
عَنْهُ ، وَيُدَافِعُونَ عَنْ حَوَازِيهِ ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُ الْهَجُومُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمُحَامَرَةِ بَعْضِ
أَمْرَائِهِ وَجُنْدِهِ عَلَيْهِ .

فَسَأَلَ عَنْ أَحْصَى الْجُنْدِ بِهِ ، وَأَقْرَبِهِمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً ، فَقِيلَ لَهُ هِيَ
النَّفْسُ ، فَقَالَ لِأَعْوَانِهِ أَدْخُلُوا عَلَيْهَا مِنْ مُرَادِهَا ، وَانظُرُوا مَوَاقِعَ مَحَبَّتِهَا ،
وَمَا هُوَ مَحْبُوبُهَا ، فَعِدُّوْهَا بِهِ ، وَمَنْوَهَا أَيَّاهُ ، وَانْقُشُوا صُورَةَ الْمَحْبُوبِ فِيهَا
فِي يَقْظَتِهَا وَمَنَامِهَا .

فَإِذَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ وَسَكَنتْ عِنْدَهُ فَاطْرَحُوا عَلَيْهَا كَلَالِيْبَ الشَّهْوَةِ
وَخَطَاطِيْفَهَا ، ثُمَّ جُرُّوْهَا بِهَا إِلَيْكُمْ .

فَإِذَا خَامَرَتْ عَلَى الْقَلْبِ وَصَارَتْ مَعَكُمْ عَلَيْهِ مَلَكْتُمْ تُغْوِرُ الْعَيْنِ ،
وَالْأُذُنِ وَاللِّسَانِ ، وَالْفَمِ وَالْيَدِ ، وَالرَّجْلِ ، فَرَابِطُوا عَلَى هَذِهِ الثُّغُورِ كُلِّ
الْمُرَابِطَةِ فَمَتَى دَخَلْتُمْ مِنْهَا إِلَى الْقَلْبِ فَهُوَ قَتِيلٌ أَوْ أُسِيرٌ أَوْ جَرِيحٌ مُشْخَنٌ
الْجِرَاحَاتِ .

وَلَا تُخْلُوا هَذِهِ الثُّغُورَ ، وَلَا تَمَكَّنُوا سَرِيَّةً تَدْخُلُ فِيهِ إِلَى الْقَبِّ
فَتُخْرِجْكُمْ مِنْهَا ، وَأَنْ غُلِبْتُمْ فَاجْتَهُدُوا فِي اضْعَافِ السَّرِيَّةِ وَوَهْنِهَا ، حَتَّى
لَا تَصِلَ إِلَى الْقَلْبِ وَإِنْ وَصَلَتْ ضَعِيفَةٌ لَا تُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا .

فَإِذَا اسْتَوَلَيْتُمْ عَلَى هَذِهِ الثُّغُورِ ، فَاْمْنَعُوا نَفْرَ الْعَيْنِ أَنْ يَكُونَ نَظْرَهُ

اعْتِبَاراً بَلْ اجْعَلُوا نَظْرَهُ تَفَرُّجاً ، وَاسْتِحْسَاناً ، وَتَلَهِيّاً ، فَإِنْ اسْتَرْقَ نَظْرُهُ
عِبْرَةً ، فَافْسِدُوهَا عَلَيْهِ بِنَظْرَةِ الْعَقْلَةِ ، وَالْأَسْتِحْسَانِ وَالشَّهْوَةِ ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ ، وَأَعْلَقَ بِنَفْسِهِ ، وَأَخَفُ عَلَيْهِ .

وَدُونَكُمْ نَعْرُ الْعَيْنِ فَإِنْ مِنْهُ تَنَالُونَ بُغْيَتَكُمْ ، فَإِنِّي مَا أَفْسَدْتُ بَنِي
آدَمَ بِشَيْءٍ مِثْلَ النَّظْرِ ، فَإِنِّي أَبْذُرُ بِهِ فِي الْقَلْبِ بَذْرَ الشَّهْوَةِ ، ثُمَّ اسْقِيهِ
بِمَاءِ الْأَمْنِيَةِ ، ثُمَّ لَا أَزَالُ أَعِدُّهُ وَأَمْنِيهِ حَتَّى أَقْوِي عَزِيمَتَهُ وَأَقْوِدُهُ بِزِمَامِ
الشَّهْوَةِ ، إِلَى الْإِنْخِلَاعِ مِنَ الْعِصْمَةِ .

فَلَا تُهْمِلُوا أَمْرَ هَذَا النَّعْرِ وَأَفْسِدُوهُ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِكُمْ وَهَوْنُوا عَلَيْهِ
أَمْرَهُ وَقُولُوا لَهُ مِقْدَارَ نَظْرَةٍ تَدْعُوكَ إِلَى تَسْبِيحِ الْخَالِقِ وَالتَّامُّلِ لِبَدِيعِ
صُنْعِهِ وَحُسْنِ هَذِهِ الصُّورَةِ الَّتِي إِنَّمَا خُلِقَتْ لِيَسْتَدَلَّ بِهَا النَّاطِرُ عَلَيْهِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ لَكَ الْعَيْنَيْنِ سُدًى وَمَا خَلَقَ هَذِهِ الصُّورَةَ لِيَحْجِبَهَا عَنِ النَّظْرِ .

ثُمَّ امْنَعُوا نَعْرَ الْأُذُنِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْهُ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكُمْ الْأَمْرَ فَاجْتَهِدُوا
أَنْ لَا تَدْخُلُوا مِنْهُ إِلَّا الْبَاطِلَ فَإِنَّهُ خَفِيفٌ عَلَى النَّفْسِ تَسْتَحِيلِيهِ وَتَسْتَحْسِنُهُ
وَتَخَيَّرُوا لَهُ أَعْدَبَ الْأَلْفَاظِ وَأَسْحَرَهَا لِلْأَلْبَابِ وَأَمْرُجُوهُ بِمَا تَهْوَى النَّفْسُ
مَرْجاً وَالْقُوا الْكَلِمَةَ فَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْهُ إِضْغَاءً إِلَيْهَا فَزُجُّوهُ بِأَخْوَاتِهَا وَكَلِّمُوا
صَادِقْتُمْ مِنْهُ اسْتِحْسَاناً شَيْءٍ فَالْهَجُوا لَهُ بِذِكْرِهِ .

وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَدْخُلَ هَذَا النَّعْرُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ كَلَامِ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ كَلَامِ النَّصْحَاءِ فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَى ذَلِكَ وَدَخَلَ مِنْ
ذَلِكَ شَيْءٌ فَحَوَّلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَهْمِهِ وَتَدَبَّرِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَالْعِظَةِ بِهِ إِمَّا بِإِدْخَالِ
ضِدِّهِ عَلَيْهِ وَإِمَّا بِتَهْوِيلِ ذَلِكَ وَتَعْظِيمِهِ وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ حِيلَ بَيْنَ النَّفُوسِ
وَبَيْنَهُ فَلَا سَبِيلَ لَهَا إِلَيْهِ وَهُوَ حِمْلٌ يَثْقُلُ عَلَيْهَا لَا تَسْتَقِلُّ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا بَارِخَاصِهِ عَلَى النَّفُوسِ وَأَنَّ الْاِشْتِغَالَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِهَا هُوَ أَعْلَى
عِنْدَ النَّاسِ وَأَعَزُّ عَلَيْهِمْ وَأَغْرَبُ عِنْدَهُمْ وَالْقَابِلُونَ لَهُ أَكْثَرُ وَأَمَّا الْحَقُّ فَهُوَ
مَهْجُورٌ وَقَائِلُهُ مُعْرَضٌ نَفْسُهُ لِلْعِدَاوَةِ . وَالرَّائِجُ بَيْنَ النَّاسِ أَوْلَى بِالْأَيْثَارِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ فَيُدْخِلُونَ الْبَاطِلَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ قَالِبٍ يَقْبَلُهُ وَيَخْفُ عَلَيْهِ وَتُخْرِجُونَ لَهُ فِي
قَالِبٍ يَكْرَهُهُ وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ .

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ أَنْظِرْ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْأَنْسِ كَيْفَ
يُخْرِجُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي قَالِبِ كَثْرَةِ الْفُضُولِ وَتَتَّبِعِ
عَثْرَاتِ النَّاسِ وَالتَّعْرُضِ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ وَالْإِقَاءِ الْفِتَنِ بَيْنَ النَّاسِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَزِمَ ثَغَرَ الْأُذُنِ أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا مَا يَضُرُّ الْعَبْدَ وَلَا
يَنْفَعُهُ وَيَمْنَعُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهَا مَا يَنْفَعُهُ وَإِنْ دَخَلَ بِغَيْرِ اخْتِيَارٍ أَفْسَدَهُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ يَقُولُ : قَوْمُوا عَلَى ثَغْرِ اللِّسَانِ ، فَإِنَّهُ الثَّغْرُ الْأَعْظَمُ ، وَهُوَ قُبَالَةُ
الْمَلِكِ ، فَأَجْرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ وَامْنَعُوهُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ
شَيْءٌ مِمَّا يَنْفَعُهُ ، مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتِغْفَارِهِ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ وَنَصِيحَةِ
عِبَادِهِ ، وَالتَّكَلُّمِ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ ، وَيَكُونُ فِي هَذَا الثَّغْرِ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، لَا
تُبَالُونَ بِأَيِّمَا ظَفِرْتُمْ .

أَحَدُهُمَا : التَّكَلُّمُ بِالْبَاطِلِ ، فَإِنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِالْبَاطِلِ أَخٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ
وَمِنْ أَكْبَرِ جُنْدِكُمْ وَأَعْوَانِكُمْ .

وَالثَّانِي : السُّكُوتُ عَنِ الْحَقِّ ، فَإِنَّ السَّائِكَتَ عَنِ الْحَقِّ أَخٌ لَكُمْ
أَخْرَسٌ ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ أَخٌ نَاطِقٌ ، وَرَبِّمَا كَانَ الْأَخُ الثَّانِي أَنْفَعَ أَحْوَيْكُمْ لَكُمْ ،

أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ النَّاصِحِ « الْمَتَكَلِّمُ بِالْبَاطِلِ شَيْطَانٌ نَاطِقٌ ، وَالسَّائِتُ عَنْ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أُخْرَسٌ » .

فَالرِّبَاطُ عَلَى هَذَا الثَّغْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ أَوْ يُمَسِكَ عَنْ بَاطِلٍ وَزَيْنُوا لَهُ التَّكَلَّمَ بِالْبَاطِلِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، وَخَوْفُوهُ مِنَ التَّكَلَّمَ بِالْحَقِّ بِكُلِّ طَرِيقٍ .
وَأَعْلَمُوا يَا بَنِيَّ أَنَّ ثَغَرَ اللِّسَانِ هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ مِنْهُ بَنِي آدَمَ وَأَكْبَهُمْ مِنْهُ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي النَّارِ فَكَمْ لِي مِنْ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ وَجَرِيحٍ أَخَذْتَهُ مِنْ هَذَا الثَّغْرِ .

وَأَوْصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظُوهَا ، لِيَنْطِقَ أَحَدُكُمْ عَلَى لِسَانِ أَخِيهِ مِنْ الْإِنْسِ بِالْكَلِمَةِ ، وَيَكُونَ الْآخِرُ عَلَى لِسَانِ السَّامِعِ ، فَيَنْطِقَ بِاسْتِحْسَانِهَا وَتَعْظِيمِهَا وَالتَّعَجُّبِ مِنْهَا ، وَيَطْلُبُ مِنْ أَخِيهِ إِعَادَتَهَا ، وَكُونُوا أَعْوَانًا عَلَى الْإِنْسِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، وَادْخُلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ .

أَمَا سَمِعْتُمْ قَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ بِهِ لِرَبِّهِمْ حَيْثُ قُلْتُ ﴿ ٧ : ١٦ - ١٧ ﴾ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُنِي مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ ١٧ ﴾ أَوْ مَا تَرَوْنِي قَدْ قَعَدْتُ لِابْنِ آدَمَ بِطَرِيقِهِ كُلِّهَا ، فَلَا يَفُوتُنِي مِنْ طَرِيقٍ إِلَّا قَعَدْتُ لَهُ بِطَرِيقٍ غَيْرِهِ ، حَتَّى أُصِيبَ مِنْهُ حَاجَتِي أَوْ بَعْضُهَا .

وَقَدْ حَدَرَهُمْ ذَلِكَ رَسُولُهُمْ ﷺ وَقَالَ لَهُمْ « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطَرِيقِهِ كُلِّهَا ، وَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ » ، فَقَالَ اتَّسَلِمُ وَتَدْرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ ، فَخَالَفَهُ وَأَسْلَمَ .

فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ ، فَقَالَ : اتَّهَاجِرُ وَتَدْرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ ، فَخَالَفَهُ وَهَاجَرَ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ ، فَقَالَ : اتَّجَاهِدُ فَتَقْتُلُ فَيُقَسَّمُ الْمَالُ وَتُنَكَّحُ الزَّوْجَةَ .

فَهَكَذَا فَاقْعُدُوا لَهُمْ بِكُلِّ طُرُقِ الْخَيْرِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَتَصَدَّقَ
فَاقْعُدُوا لَهُ عَلَى طَرِيقِ الصَّدَقَةِ ، وَقُولُوا لَهُ فِي نَفْسِهِ : أَخْرِجِ الْمَالَ فَتَبْقَى مِثْلَ
هَذَا السَّائِلِ ، وَتَصِيرُ بِمَنْزِلَتِهِ أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ .

أَوْ مَا سَمِعْتُمْ مَا أَلْقَيْتَ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ سَأَلَهُ آخَرَ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ : هِيَ أَمْوَالُنَا إِنْ أَعْطَيْنَاكُمْوهَا صِرْنَا مِثْلَكُمْ .

وَاقْعُدُوا لَهُ بِطَرِيقِ الْحَجِّ ، فَقُولُوا : طَرِيقَةُ مَخُوفَةِ مُشِقَّةٌ ، يَتَعَرَّضُ
سَالِكُهَا لِتَلْفِ النَّفْسِ وَالْمَالِ ، وَهَكَذَا فَاقْعُدُوا عَلَى سَائِرِ طُرُقِ الْخَيْرِ بِالتَّنْفِيرِ
عَنْهَا وَذَكَرِ صُعُوبَتِهَا وَأَفَاتِهَا .

ثُمَّ اقْعُدُوا لَهُمْ عَلَى طُرُقِ الْمَعَاصِي فَحَسِّنُوهَا فِي أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ ، وَزَيِّنُوهَا
فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاجْعَلُوا أَكْثَرَ أَعْوَانِكُمْ عَلَى ذَلِكَ النَّسَاءِ ، فَمِنْ أَبْوَابِهِنَّ فَادْخُلُوا
عَلَيْهِمْ فَنِعْمَ الْعَوْنُ هُنَّ لَكُمْ .

ثُمَّ الزَّمُوا ثَغَرَ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ ، فَاْمْنَعُوهُمَا أَنْ تَبْطِشَ بِمَا يَضُرُّكُمْ وَتَمْشِي فِيهِ .
اللَّهُمَّ الْحَقِّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وقال رَحِمَهُ اللهُ فيما يَحْكِيهِ في التحذير عن إبليس وجنوده :
وَاعْلَمُوا أَنَّ أَكْبَرَ أَعْوَانِكُمْ عَلَى لُزُومِ الثُّغُورِ مُصَالِحَةُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ

فَأَعْيُنُوهَا وَاسْتَعِينُوا بِهَا ، وَأَمِدُّوْهَا وَاسْتَمِدُّوْا مِنْهَا ، وَكُونُوا مَعَهَا عَلَى حَرْبِ
النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ فَاجْتَهِدُوا فِي كَسْرِهَا وَأَبْطَالِ قُوَاهَا وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا
بِقَطْعِ مَوَادِّهَا عَنْهَا .

فَإِذَا انْقَطَعَتْ مَوَادُّهَا وَقَوِيَتْ مَوَادُّ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ ، وَأَنْطَاعَتْ لَكُمْ
أَعْوَانُهَا فَاسْتَنْزِلُوا الْقَلْبَ مِنْ حِصْنِهِ ، وَأَعِزُّوْهُ عَنْ مَمْلَكَتِهِ ، وَوَلُّوْا مَكَانَهُ
النَّفْسِ الْأَمَّارَةَ ، فَإِنَّهَا لَا تَأْمُرُ إِلَّا بِمَا تَرَوْنَهُ وَتُحِبُّونَهُ ، وَلَا تَحِبُّكُمْ بِمَا
تَكْرَهُونَهُ الْبَتَّةَ ، مَعَ أَنَّهَا لَا تُخَالِفُكُمْ فِي شَيْءٍ تُشِيرُونَ بِهِ عَلَيْهَا ، بَلْ إِذَا
أَشْرْتُمْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ بَادَرَتْ إِلَى فِعْلِهِ .

فَإِنْ أَحْسَسْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ مُنَازَعَةً إِلَى مَمْلَكَتِهِ ، وَأَرَدْتُمْ الْأَمْنَ مِنْ
ذَلِكَ فَاعْقِدُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّفْسِ عَقْدَ النِّكَاحِ ، فَزَيِّنُوهَا وَجَمِّلُوهَا وَأَزْوَها
إِيَّاهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةِ عَرُوسٍ تُوجَدُ ، وَقُولُوا لَهُ : ذُقْ طَعْمَ هَذَا الْوِصَالِ
وَتَمَتَّعْ بِهِذِهِ الْعَرُوسِ ، كَمَا ذُقْتَ طَعْمَ الْحَرْبِ وَبَاشَرْتَ مَرَارَةَ الطَّعْنِ
وَالضَّرْبِ .

ثُمَّ وَازِنْ بَيْنَ لَذَّةِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَمَرَارَةِ تِلْكَ الْمُحَارَبَةِ ، فَدَعْ الْحَرْبَ
تَضَعُ أَوْزَارَهَا ، فَلَيْسَتْ بِيَوْمٍ وَتَنْقِضِي ، وَإِنَّمَا هُوَ حَرْبٌ مُتَّصِلٌ بِالْمَوْتِ ،
وَقُورَاكَ تَضَعُفٌ عَنْ حَرْبٍ دَائِمٍ .

وَاسْتَعِينُوا يَا بَنِي بَجْدَيْنِ عَظِيمِينَ لَنْ تُغْلِبُوا مَعَهُمَا :

أَحَدُهُمَا : جُنْدُ الْغَفْلَةِ ، فَأَغْفِلُوا قُلُوبَ بَنِي آدَمَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى
وَالدَّارِ الْآخِرَةِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، فَلَيْسَ لَكُمْ شَيْءٌ أَبْلَغُ فِي تَحْصِيلِ غَرَضِكُمْ
مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا غَفَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى تَمَكَّنْتُمْ مِنْهُ وَمِنْ إغْوَائِهِ .

وَالثَّانِي : جُنْدُ الشَّهَوَاتِ ، فَرَزَتْهَا فِي قُلُوبِهِمْ ، وَحَسَّنُوهَا فِي
أَعْيُنِهِمْ وَصَوَّلُوا عَلَيْهِمْ بِهَدْيِ الْعَسْكَرَيْنِ ، فَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ أَبْلَغُ
مِنْهُمَا ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى الْغَفْلَةِ بِالشَّهَوَاتِ ، وَعَلَى الشَّهَوَاتِ بِالْغَفْلَةِ ،
وَاقْرَأُوا بَيْنَ الْغَافِلِينَ .

ثُمَّ اسْتَعِينُوا بِهِمَا عَلَى الذَّاكِرِ ، وَلَا يَغْلِبُ وَاحِدٌ حَمْسَةً ، فَإِنَّ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
الْغَافِلِينَ شَيْطَانَيْنِ صَارُوا أَرْبَعَةً ، وَشَيْطَانُ الذَّاكِرِ مَعَهُمْ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ
جَمَاعَةً مُجْتَمِعِينَ عَلَى مَا يَضُرُّكُمْ - مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ مُذَاكِرَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ
وَدِينِهِ ، وَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَى تَفْرِيقِهِمْ - فَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِبَنِي جَنْسِهِمْ مِنْ
الْأَنْسِ الْبَطَّالِينَ ، فَفَرَّبُوهُمْ مِنْهُمْ ، وَشَوَّشُوا عَلَيْهِمْ بِهِمْ .

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَعِدُّوا لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا ، وَادْخُلُوا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي
آدَمَ مِنْ بَابِ إِرَادَتِهِ وَشَهْوَتِهِ ، فَسَاعِدُوهُ عَلَيْهَا ، وَكُونُوا أَعْوَانًا لَهُ عَلَى
تَحْصِيلِهَا ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَصْبِرُوا لَكُمْ وَيُصَابِرُواكُمْ وَيُرَابِطُوا
عَلَيْكُمْ الشُّعُورَ فَاصْبِرُوا أَنْتُمْ وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا عَلَيْهِمْ بِالشُّعُورِ ، وَأَنْتَهَزُوا
فُرْصَتَكُمْ فِيهِمْ عِنْدَ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ ، فَلَا تَضْطَادُونَ بَنِي آدَمَ فِي أَعْظَمِ
مِنْ هَدْيِ الْمَوْطِنِينَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِ أَغْلَبُ وَسُلْطَانُ
غَضَبِهِ ضَعِيفٌ مَقْهُورٌ ، فَخُذُوا عَلَيْهِ طَرِيقَ الشَّهْوَةِ ، وَدَعُوا طَرِيقَ
الْغَضَبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ الْغَضَبِ عَلَيْهِ أَغْلَبُ ، فَلَا تُخْلُوا طَرِيقَ
الشَّهْوَةِ قَلْبَهُ ، وَلَا تُعْطَلُوا ثَغْرَهَا ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ
فَإِنَّهُ بِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَمْلِكْ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهْوَةِ ، فَزَوِّجُوا بَيْنَ غَضَبِهِ وَشَهْوَتِهِ
وَأَمْزَجُوا أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ ، وَادْعُوهُ إِلَى الشَّهْوَةِ مِنْ بَابِ الْغَضَبِ ، وَالِى
الْغَضَبِ مِنْ طَرِيقِ الشَّهْوَةِ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ فِي بَنِي آدَمَ سِلَاحٌ أَبْلَغُ مِنْ هَدْيَيْنِ السَّلَاحَيْنِ
وَإِنَّمَا أَخْرَجْتُ أَبْوَابَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِالشَّهْوَةِ وَإِنَّمَا لَقِيْتُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ أَوْلَادِهِمْ
بِالغَضَبِ فِيهِ قَطَّعَتْ أَرْحَامَهُمْ وَسَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَبِهِ قَتَلَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ أَخَاهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ وَالشَّهْوَةُ نَارٌ تَتَوْرُ مِنْ قَلْبِهِ وَإِنَّمَا
تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ وَالصَّلَاةِ وَالدُّكْرِ وَالتَّكْبِيرِ .

فَإَيَّاكُمْ أَنْ تُمَكِّنُوا ابْنَ آدَمَ عِنْدَ غَضَبِهِ وَشَهْوَتِهِ مِنْ قُرْبَانِ الوُضُوءِ
وَالصَّلَاةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطْفِئُ عَنْهُمْ نَارَ الغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ وَقَدْ أَمَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ
بِذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ أَحْمِرَارِ عَيْنِيهِ
وَإِتِّفَاحِ أَوْدَاجِهِ فَمَنْ أَحَسَّ بِذَلِكَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ
وَقَدْ أَوْصَاهُمْ أَنْ يَسْتَعِينُوا عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ .

فَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَأَنَسُوهُمْ إِيَّاهُ وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِالشَّهْوَةِ
وَالغَضَبِ وَأَبْلَغُ أَسْلِحَتِكُمْ فِيهِمْ وَأَنكَاهَا الغَفْلَةُ وَاتَّبَاعُ الهَوَى وَأَعْظَمُ
أَسْلِحَتِهِمْ فِيكُمْ وَأَمْنَعُ حُصُونِهِمْ ذِكْرُ اللّهِ وَمُخَالَفَةُ الهَوَى فَإِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ
مُخَالَفًا لِهَوَاهُ فَاهْرَبُوا مِنْ ظِلِّهِ وَلَا تَدْنُوا مِنْهُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِي سِلَاحٌ وَمَدَدٌ يُمَدُّ بِهَا العَبْدُ أَعْدَاءَهُ
وَيُعِينُهُمْ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ فَيُقَاتِلُونَهُ بِسِلَاحِهِ وَيَكُونُ مَعَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَهَذَا
غَايَةُ الجَهْلِ .

مَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ
مَا يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

انتهى كلامه رحمه الله بتصرف يسير .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَصِفُ الدُّنْيَا :
 لَكِنَّ ذَا الْإِيمَانِ يَعْلَمُ أَنَّهَا
 ذَا كَالضَّلَالِ وَكُلُّ هَذَا فَإِنْ
 كَخَيْالِ طَيْفٍ مَا اسْتَتَمَّ زِيَارَةً
 إِلَّا وَصُبْحُ رَجِيلِهِ بِأَذَانِ
 وَسَحَابَةٍ طَلَعَتْ بِيَوْمِ صَائِفِ
 فَالظُّلُّ مَنْسُوخٌ بِقُرْبِ زَمَانِ
 وَكَزَهْرَةٍ وَافَى الرَّبِيعُ بِحُسْنِهَا
 أَوْ لِأَمْعَاءَ فَكِلَاهُمَا أَخْوَانِ
 أَوْ كَالسَّرَابِ يَلُوحُ لِلظُّمآنِ فِي
 وَسَطِ الْهَجِيرِ بِمُسْتَوَى الْقَيْعَانِ
 أَوْ كَالْأَمَانِيِّ طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا
 بِالْقَوْلِ وَاسْتَحْضَارُهَا بِجَنَانِ
 وَهِيَ الْغَرُورُ رُؤُسُ أَمْوَالِ الْمَفَا
 لَيْسِ الْأَوْلَى اتَّجَرُوا بِلَا أُنْمَانِ
 أَوْ كَالطَّعَامِ يَلْدُ عِنْدَ مَسَاغِهِ
 لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ
 هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُو
 لٌ لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
 وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَهَا فَخُذْ
 مِنْهُ مِثَالًا وَاحِدًا ذَا شَانِ
 أَدْخِلْ بِجَهْدِكَ أَصْبَعًا فِي الْيَمِّ وَإِنْ
 ظُرَّ مَا تَعَلَّقَهُ إِذَا بَعِيَانِ

هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُو
لُ مُمَثَّلًا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانٍ
وَكَذَاكَ مَثَلَهَا بِظُلِّ الدَّوْحِ فِي
وَقْتِ الحَرُورِ لِقَائِلِ الرُّكْبَانِ
هَذَا وَلَوْ عَدَلَتْ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
عِنْدَ الإِلهِ الحَقِّ فِي المِيزَانِ
لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِرًا مِنْ شَرَّتِهِ
مَاءً وَكَانَ الحَقُّ بِالحِرْمَانِ
تَا لِلَّهِ مَا عَقَلَ امْرُؤٌ قَدْ بَاعَ مَا
يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَحِلٌّ فَانِ
هَذَا وَيُقْتَى ثُمَّ يَقْضِي حَاكِمًا
بِالحِجْرِ مِنْ سَفَهٍ لَذَا الإِنْسَانِ
إِذْ بَاعَ شَيْئًا قَدْرَهُ فَوْقَ الذِّئْبِ
يَعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الأَثْمَانِ
فَمَنْ السَّفِينَةُ حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا
عَقْلٍ وَأَيْنَ العَقْلَ لِلسُّكْرَانِ
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ القُلُوبَ شَهِدَتْ مِنْ مِ
نَا كَانَ شَأْنٌ غَيْرَ هَذَا الشَّانِ
نَفْسٌ مِنَ الأنْفَاسِ هَذَا العَيْشِ إِنْ
قَسَنَاهُ بِالعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي
يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعَ عَدَمِ الوَقَا
ءِ وَطَوَّلَ جَفَوْتَهَا مِنَ الهِجْرَانِ
هَلْ فِيكَ مُعْتَبَرٌ فَيَسْلُو عَاشِقُ
بِمَصَارِعِ العُشَاقِ كُلِّ زَمَانِ

لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ
وَعَلَى الْقُلُوبِ أَكِنَّةُ النَّسِيَانِ
وَأَخْوُ الْبَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَيَقِّظٌ
مُتَفَرِّدٌ عَنِ زُمْرَةِ الْعُمِّيَانِ
يَسْمُوا إِلَى ذَاكَ الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ أَلْ
أُغْلَى وَخَلَّى اللَّعْبَ لِلصَّبِيَانِ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصْبِيَانٌ وَإِنْ
بَلَّغُوا سِوَى الْإِفْرَادِ وَالْوَحْدَانِ
وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ يَقُولُ مَوْ
عِدُكَ الْجِنَانُ وَجَدَّ فِي الْأَثْمَانِ
وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الْجِمَاحَ أَعَاضَهَا
بِالْعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ
وَيَرَى مِنَ الْخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ أَلْ
بَاقِي بِهِ يَا ذَلَّةَ الْخُسْرَانِ
وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ
وَقُلُوبُهُمْ كَمَرَاجِلِ النَّيِّرَانِ
حَسْرَاتُهَا هُنَّ الْوُقُودُ فَإِنْ خَبَتْ
زَادَتْ سَعِيرًا بِالْوُقُودِ الثَّانِي
جَاؤُوا فُرَادَى مِثْلَ مَا خُلِقُوا بِلَا
مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا إِخْوَانِ
مَا مَعَهُمْ شَيْءٌ سِوَى الْأَعْمَالِ فَهِيَ
بِي مَتَاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِجِنَانِ
تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ شَوْقًا إِلَى الدُّ
ذَارِينَ سَوِّقَ الْخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ

صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَا حُوا دَائِمًا
يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلنَّاسَانِ
حَمَدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ كَذَا السُّرَى
عِنْدَ الصَّبَاحِ فَحَبَّبَا الْحَمْدَانِ
وَوَحَدَتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَى
وَسَرُوا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نِعْمَانِ
بَاعُوا الذِّي يَفْنَى مِنَ الْخَزْفِ الْحَسِي
سِ بَدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ الْعُقَيَانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا
دَةِ وَالْهُدَى يَا زَلَّةَ الْحَيْرَانِ
نَتَسَابَقَ الْأَقْوَامُ وَابْتَدَرُوا لَهَا
كَتَسَابَقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ
وَأَخُو الْهُوَيْنَا فِي الدِّيَارِ مُخَلَّفٌ
مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ

« مَوْعِظَةٌ »

وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال : الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ ، فَمَنْ
صَحِبَهَا بِالْبُغْضِ لَهَا ، وَالزَّهَادَةِ فِيهَا ، وَالْهَضْمِ لَهَا ، سَعِدَ بِهَا ، وَنَفَعَتْهُ
صُحْبَتُهَا .

وَمَنْ صَحِبَهَا بِالرَّغْبَةِ فِيهَا ، وَالْمَحَبَّةِ لَهَا ، شَقِيَ بِهَا ، وَأَجْحَفَتْ بِحِظِّهِ
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ أَسْلَمَتْهُ إِلَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَسَخِطِهِ .
فَأَمْرُهَا صَغِيرٌ ، وَمَتَاعُهَا قَلِيلٌ ، وَالْفَنَاءُ عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ

ميراثها ، وأهلها يتحولون إلى منازل لا تبلى ، ولا يغيرها طول الزمن ، ولا
العمر فيها يفنى فيموتون ، ولا إن طال الثواء فيها يخرجون - ولا حول ولا
قوة إلا بالله - ذلك الوطن ، وأكثروا ذكر ذلك المنقلب .

نظر ابن مطيع إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى ، ثم قال : والله لولا
الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما نصيرُ إليه من ضيق القبور ، لقرت
بالدنيا أعيننا ، ثم بكى حتى ارتفع صوته .

قال أبو زيد الرقي : قال أبو محمد الفضيل بن عياض رضي الله عنه
يا أبا يزيد اشتريت داراً ؟ قلت : نعم . قال : وأشهدت شهوداً ؟ قلت :
نعم . قال : فإنه والله يأتيك من لا ينظر في كتابك ، ولا يسأل عن بيتك ،
فيخرجك منها عرباناً مجرداً .

فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالك ، ووزنت فيها مالاً
من غير حيلة ، فإذا أنت قد خسرت الدنيا والآخرة .

شعراً :

خَلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ
وَفِي هَذَيْنِ كُلِّ الْحَادِثَاتِ
وَمَنْ يُوَلَّدُ يَعِشُ وَيَمُتُ كَأَنْ لَمْ
يَمُرَّ خَيْالُهُ بِالْكَائِنَاتِ
وَمَهْدُ الْمَرْءِ فِي أَيْدِي الرَّوَاقِي
كَنَعَشِ الْمَرْءِ بَيْنَ النَّائِحَاتِ
وَمَا سَلِمَ الْوَلِيدُ مِنْ اشْتِكَاءِ
فَهَلْ يَخْلُ الْمَعْمَرُ مِنْ أَدَاتِ

هِيَ الدُّنْيَا قَتَالُ نَحْنُ فِيهَا
مَقَاصِدُ لِلْحَسَانِ وَلِلْقَنَاتِ

آخر:

لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ
يُعَدُّ طَلِيقًا وَالْمُنُونُ لَهُ أَسْرُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ فِيهَا بِخَالِدٍ
وَلَكِنَّهُ يَسْعَى وَغَايَتُهُ الْقَبْرُ

آخر:

قِفْ بِالْقُبُورِ وَنَادِ الْمُسْتَقِرَّ بِهَا
مِنْ أَعْظَمِ بَلِيَّتِ فِيهَا وَأَجْسَادِ
قَوْمٍ تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ بَيْنَهُمَا
بَعْدَ الْوَصَالِ فَصَارُوا تَحْتَ الْحَادِ
وَاللَّهِ لَوْ بُعِثُوا يَوْمًا وَلَوْ نُشِرُوا
قَالُوا بَأْسَ التَّقَى مِنْ أَعْظَمِ الزَّادِ

آخر:

نُرَاعُ لِذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ
وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْعَبُهَا وَنَلْعَبُ
يَقِينٌ كَأَنَّ الشَّكَّ غَالِبٌ أَمْرِهِ
عَلَيْهِ وَعِرْفَانُ إِلَى الْجَهْلِ يُنْسَبُ

آخر:

وَدُنْيَاكَ الَّتِي غَرَّتْكَ مِنْهَا زَخَارِفُهَا تَصِيرُ إِلَى انْجِذَادِ
تَزْحَزْحُ عَنْ مَهَالِكِهَا بِجُهْدٍ فَمَا أَصْعَى إِلَيْهَا ذُو نَفَادِ

لَقَدْ مُرِجَتْ حَلَاوَتُهَا بِسْمٍ فَمَا كَالِحِذْرِ مِنْهَا مِنْ مَلَاذٍ
عَجِبْتُ لِمُعْجَبٍ بِنِعْمِ دُنْيَا وَمَعْبُودٍ بِأَيَّامٍ لِنَذَاذٍ
وَمُؤَثِّرِ الْمَقَامِ بِأَرْضِ قَفْرِ عَلَى بَلَدٍ خَصِيبِ ذِي رَذَاذٍ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتُوفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فوائد ومواعظ ونصائح

قال أحد العلماء إعلم أنه لا يسلم إنسان من النقص إلا من عصمه
الله كالرسل قال الله جل وعلا عن الإنسان ﴿ إنه كان ظلوما جهولا ﴾ .
وقال ﷺ « كل بني آدم خطا وخير الخطائين التوابون » فَمَنْ خَفِيَتْ
عليه عُيُوبُهُ فَقَدْ سَقَطَ .

وَصَارَ مِنَ السَّخْفِ وَالرَّذَالَةِ وَالْحِسَّةِ وَضَعْفِ التَّمْيِيزِ وَالْعَقْلِ وَقِلَّةِ
الفَهْمِ بِحَيْثُ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مُتَخَلِّفٌ مِنَ الرَّذَائِلِ .
وعليه أن يتدارك نفسه بالبحث عن عُيُوبِهِ والسُّؤَالِ عنها بِدِقَّةٍ وَأَكْثَرُ
مَنْ يَفْهَمُ عُيُوبَ الْإِنْسَانِ أَعْدَاؤُهُ لِأَنَّهُمْ دَائِمًا يَنْقُبُونَ عَنْهَا .

وكذلك الأصدقاء الناصحين الصادقين المنصفين يفهمونها غالباً .
فالعاقِلُ يَشْتَغِلُ بِالْبَحْثِ عَنْهَا وَالسَّعْيِ فِي إِزَالَتِهَا وَلَا يَتَعَرَّضُ لِعُيُوبِ
النَّاسِ الَّتِي لَا تَضُرُّهُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ .
كما لورأى إنساناً مُعْجَباً بِنَفْسِهِ فَيُؤَيِّدِي لَهُ النُّصْحَ وَجَهًا لِرُوحِهِ لَا خَلْفَ
ظَهْرِهِ .

واحذر أن تقارن بينك وبين من هو أكثر منك عيوباً فتستسهل
الردائل وتهاون بعيوبك .

لكن قارن بين نفسك ومن هو أفضل منك لتسلم من عجبك
بنفسك وتفتيق من داء الكبر والعجب الذي يولد عليك الاستحقار
والاستخفاف بالناس مع العلم بأن فيهم من هو خير منك .

فإذا استخففت بهم بغير حق استخفوا بك بحق لأن الله جل وعلا
وتقدس يقول ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ .

فتسبب على نفسك أن تكون أهلاً للإستخفاف بك مع ما تجنيه من
الذنوب وطمس ما فيك من فضيلة .

فإن كنت معجباً بعقلك ففكر وتأمل في كل فكرة سوء تحل بخاطرك
وفي أضاليل الأمانى الطائفة بك فإنك تعلم نقص عقلك حينئذ .

وإن أعجبت بأرائك فتأمل وفكر في غلطاتك وسقطاتك واحفظها
وتذكرها ولا تنسها .

وفي رأي كنت تراه صواباً فتبين لك خطؤك وصواب غيرك والغالب أن
خطأك أكثر من الصواب .

وهكذا ترى الناس غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
وإن أعجبت بعملك فتفكر في معاصيك هل بيتك خال من الملاهي
والمنكرات مثل الصور والتلفاز والمذيع وأغانيه والمجلات والجرائد التي فيها
صور ذوات الأرواح .

وهل هو خال من الأولاد الذي لا يشهدون الجماعة وهل أنت سالم
من الغيبة وإخلاف الوعد والكذب والحسد والكبر والرياء .

والعقوق وقطيعة الرحم والظلم والربا والدخان وحلق اللحية

والغش وقول الزور وسوء الظن بالمسلمين والتجسس عليهم والاحتقار لهم ونحو ذلك .

فَأَنْتَ إِذَا تَفَقَّدْتَ نَفْسَكَ وَبَيْتَكَ وَأَوْلَادَكَ وَجَدْتَ عِنْدَكَ مِنَ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ مَا بَعْضُهُ يَغْلِبُ عَلَى مَا أُعْجِبْتَ بِهِ مِنْ عَمَلِكَ الَّذِي لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مَقْبُولٌ أَوْ مَرْدُودٌ .

وإن أُعْجِبْتَ بِعَمَلِكَ أَوْ عَمَلِكَ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ مُوهَبَةٌ مِنَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهَبَكَ إِيَّاهَا فَلَا تُقَابِلْهَا بِمَا يَسْخِطُهُ عَلَيْكَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ .

قال الله جل وعلا ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَزِيدَ مِنْهُ ، وَأَنْ يَجْعَلَ حِجَّةَ لِكَ لَا عَلَيْكَ ، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

وتفكر فيما تحمله من العلم هل أنت عامِلٌ به أم لا واجْعَلْ مَكَانَ عُجْبِكَ بِنَفْسِكَ اسْتِنْقَاصًا لَهَا وَاسْتِقْصَارًا فَهُوَ أَوْلَى بِكَ .
وتفكر فيمن كان أعلم منك تجدهم كثيرًا ، ثم اعلم أن العلم الذي تفتخر فيه ربما يكون وبالاً عليك .

فِيكَوْنُ الْجَاهِلِ أَحْسَنَ حَالًا وَمَالًا وَأَعْدَرَ مِنْكَ فَبِذَلِكَ التَّفَكِيرِ يَزُولُ الْعُجْبُ وَالْكَبْرُ عَنْكَ وَتَهْوَنُ نَفْسُكَ عِنْدَكَ حِينَئِذٍ .

وإن أُعْجِبْتَ بِشَجَاعَتِكَ وَقُوَّتِكَ فَتَفَكَّرْ فِيمَنْ هُوَ أَشْجَعُ وَأَقْوَى مِنْكَ ثُمَّ أَنْظِرْ فِي تِلْكَ النُّجْدَةِ الَّتِي مَنَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَ صَرَفَتْهَا .

فَإِنْ كُنْتَ صَرَفَتْهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَأَنْتَ جَاهِلٌ آثِمٌ لِأَنَّكَ بَدَلْتَ نَفْسَكَ فِيهَا لَيْسَ ثَمَنًا لَهَا .

وإن كُنْتَ صرَفْتَهَا فِي طَاعَةِ فَقَدْ أَفْسَدْتَهَا بِإِعْجَابِكَ بِعَمَلِكَ .
ثم تفكر في زوالها عَنْكَ وَقْتَ الْكِبَرِ عِنْدَمَا تَنْحَلُ قُوَّتَكَ وَيَضْعُفُ
جِسْمُكَ وَتَدْفَعُ الْأَرْضَ عِنْدَ قِيَامِكَ وَقُعُودِكَ وَمَرَدُّكَ إِلَيْهَا .
تَسَاقُطُ أَسْنَانٌ وَيَضْعُفُ نَاصِرٌ وَتَقْصُرُ خُطَوَاتٌ وَيَثْقُلُ مَسْمَعٌ
قال الله جل وعلا وتقدس ﴿الله الذي خلقكم من ضِعْفٍ ثُمَّ
جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضِعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ .

وقال وصاحب التَّعْبُدِ الْمُطْلَقِ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ فِي تَعْبُدِ بَعِيْنِهِ يُؤْتِرُهُ عَلَى

غيره .

بل غَرَضُهُ تَتَّبِعُ مَرْضَاةَ اللَّهِ تَعَالَى أَيْنَمَا كَانَتْ فَمَدَارُ تَعْبُدِهِ عَلَيْهَا فَلَا
يَزَالُ مُتَنَقِّلًا فِي مَنَازِلِ الْعِبُودِيَّةِ كُلَّمَا رُفِعَتْ لَهُ مَنزِلَةٌ عَمِلَ عَلَى سَيْرِهِ إِلَيْهَا
وَاشْتَغَلَ بِهَا .

حتى تَلُوحَ لَهُ مَنزِلَةٌ أُخْرَى فَهَذَا دَأْبُهُ فِي السَّيْرِ حَتَّى يَنْتَهِيَ سَيْرُهُ .

فَإِنْ رَأَيْتَ الْعُلَمَاءَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ .

وَإِنْ رَأَيْتَ الْمُتَصَدِّقِينَ الْمُحْسِنِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ .

وَإِنْ رَأَيْتَ الْعِبَادَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ .

وَإِنْ رَأَيْتَ الْمُجَاهِدِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ .

وَإِنْ رَأَيْتَ الذَّاكِرِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ .

وَإِنْ رَأَيْتَ أَرْبَابَ الْجَمْعِيَّةِ وَعُكُوفَ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ .

فهَذَا هُوَ الْعَبْدُ الْمُطْلَقُ الَّذِي لَمْ تَمْلِكْهُ الرُّسُومُ وَلَمْ تُقَيِّدْهُ الْقِيُودُ .

وَلَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ عَلَى مَرَادِ نَفْسِهِ وَمَا فِيهِ لَدَّتْهَا وَرَاحَتُهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ .

بل هُوَ عَلَى مَرَادِ رَبِّهِ وَلَوْ كَانَتْ لَذَّةُ نَفْسِهِ وَرَاحَتُهَا فِي سِوَاهِ .

فهذا هو الْمُتَحَقِّقُ ب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حَقًّا الْقَائِمُ
بِهَمَا صِدْقًا .

مَلْبَسُهُ مَا تَهَيَّأَ ، وَمَأْكَلُهُ مَا تَيْسَّرَ ، وَاشْتِغَالُهُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ
بِوَقْتِهِ وَمَجْلِسُهُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَكَانُ وَوَجَدَهُ خَالِيًا .

لَا تَمْلِكُهُ إِشَارَةٌ وَلَا يَتَعَبَّدُهُ قَيْدٌ وَلَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ رَسْمٌ حُرٌّ مُجَرَّدٌ دَائِرٌ
مَعَ الْأَمْرِ حَيْثُمَا دَارَ .

يَدِينُ بِدِينِ الْأَمْرِ أَنَّى تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهُ وَيَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ
مَضَارِبُهُ .

يَأْنَسُ بِهِ كُلُّ مُحِقٍّ وَيَسْتَوْحِشُ مِنْهُ كُلُّ مُبْطِلٍ كَالغَيْثِ حَيْثُ وَقَعَ نَفَعٌ
وَكَالنَّخْلَةِ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَكُلُّهَا مَنْفَعَةٌ حَتَّى شَوْكُهَا وَهُوَ مَوْضِعُ الْغِلْظَةِ مِنْهُ
عَلَى الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْغَضَبِ إِذَا انْتَهَكَتْ مَحَارِمَهُ فَهُوَ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ وَمَعَ
اللَّهِ .

فَوَاهَا لَهُ مَا أَغْرَبَهُ بَيْنَ النَّاسِ وَمَا أَشَدَّ وَحْشَتَهُ مِنْهُمْ وَمَا أَعْظَمَ أُنْسَهُ
بِاللَّهِ وَفَرَحَهُ بِهِ وَطُمَأْنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« فَوَائِدُ وَمَوَاعِظُ »

من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الطاعات وترك
الندم على ما فعلته من الذنوب والزلات .

وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وسأته سيئته فهو مؤمن .

فإذا لم يكن العبد بهذا الوصف فهو ميت القلب .

وإنما كان ذلك من قبل أن أعمال العبد الحسنة علامة على وجود رضى

اللَّهِ عَنْهُ .

وَأَنَّ أَعْمَالَهُ السَّيِّئَةَ عِلَامَةٌ عَلَى وُجُودِ سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِ .
فَإِذَا وَفَّقَ اللَّهُ عَبْدَهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ سَرَّهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عِلَامَةٌ عَلَى رِضَاؤِهِ
عَنْهُ وَغَلَبَ حَيْثُذِ رَجَاؤِهِ .

وَإِذَا خَذَلَهُ وَلَمْ يَعْصِمِهِ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي سَاءَهُ ذَلِكَ وَأَحْزَنَهُ لِأَنَّهُ عِلَامَةٌ
عَلَى سَخَطِهِ عَلَيْهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ حَيْثُذِ خَوْفُهُ .

وَالرَّجَاءُ يَبْعَثُ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ غَالِبًا .
وَالْخَوْفُ يَبْعَثُ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي اجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ .
وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ إِذْ آتَاهُ آتٍ .

فَلَمَّا حَاذَانَا وَرَأَى جَمَاعَتَنَا أَنَاخَ رَا حِلَّتَهُ ثُمَّ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْضَعْتُ رَا حِلَّتِي مِنْ مَسِيرَةٍ تَسْعُ فَسَيَّرْتَهَا إِلَيْكَ سِتًّا .
وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي وَأَنْضَيْتُ رَا حِلَّتِي لِأَسْأَلْكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ
أَسْهَرَتَانِي .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَنْتَ قَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ قَالَ بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ .
سَلْ قُرْبًا مُعْضَلَةً قَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا .

قَالَ جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ عِلَامَةِ اللَّهِ فِيْمَنْ يَرِيدُ وَعِلَامَتِهِ فِيْمَنْ لَا يُرِيدُ .
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَخٍ بَخٍ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا زَيْدُ .

قَالَ أَصْبَحْتُ أَحِبُّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ وَأَحِبُّ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ .

وَإِذَا فَاتَنِي حَنِيتُ إِلَيْهِ وَإِذَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَيقنْتُ بِثَوَابِهِ .

قَالَ هِيَ بَعِينَهَا يَا زَيْدُ .

وَلَوْ أَرَادَكَ اللَّهُ لِلْآخِرَى هَيَّاكَ لَهَا ثَمَّ لَا يُبَالِي فِي أَيِّ وَا دِ هَلَكْتَ .

قال زيد حَسْبِي حَسْبِي ثُمَّ ارْتَحَلَ فَلَمْ يَلْبَثْ .
من علامات التوفيق دُخُولُ أَعْمَالِ الْبِرِّ عَلَيْكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَهَا .
وَصَرْفُ الْمَعَاصِي عَنْكَ مَعَ السَّعْيِ إِلَيْهَا .
وَفَتْحُ اللَّجَاءِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ .
وَاتِبَاعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ .
وَعِظْمُ الذَّنْبِ فِي قَلْبِكَ وَإِنْ كَانَ مِنْ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ .
وَالِإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ وَتَنْزِيهِهِ وَالشَّاءَ عَلَيْهِ .
وَالِاسْتِغْفَارُ وَشُهُودُ التَّقْصِيرِ فِي الْإِخْلَاصِ وَالْغَفْلَةِ فِي الْأَذْكَارِ وَالنَّقْصَانِ
فِي الصَّدَقِ وَالْفَتُورِ فِي الْمَجَاهِدَةِ وَقِلَّةِ الْمَرَاعَاتِ فِي الْفَقْرِ .
فَتَكُونُ جَمِيعُ أَحْوَالِهِ عِنْدَهُ نَاقِصَةً عَلَى الدَّوَامِ وَيَزْدَادُ فَقْرًا وَالتَّجَاءُ إِلَى اللَّهِ
فِي قَصْدِهِ وَسِيرِهِ .

وَمِنْ عِلَامَاتِ الْخِذْلَانِ تَعَسَّرُ الطَّاعَاتُ عَلَيْكَ مَعَ السَّعْيِ فِيهَا وَدُخُولُ
الْمَعَاصِي عَلَيْكَ مَعَ هَرَبِكَ مِنْهَا .
وَعَلَّقَ بَابَ الْإِلْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ وَتَرَكَ التَّضَرُّعَ لَهُ وَتَرَكَ الدُّعَاءَ وَاتَّبَعَ
الْحَسَنَةَ السَّيِّئَاتِ وَاحْتَقَارَكَ لِذُنُوبِكَ وَعَدَمَ الْإِهْتِمَامِ بِهَا وَإِهْمَالَ التَّوْبَةِ
وَالِاسْتِغْفَارِ وَنَسْيَانِكَ لِرَبِّكَ .

وَقَتْلُ الْوَقْتِ عِنْدَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَنَسْيَانُ الْقُرْآنِ وَالِاسْتِبْدَالُ بِقِرَاءَتِهِ
قِرَاءَةَ الْكُتُبِ الضَّارَّةِ وَالْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ وَالْجُلُوسُ عِنْدَ التَّلْفَازِ وَالسِّينِمَا
وَالْمِذْيَاعِ وَيُخَشَى عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ وَأَنْ يَكُونَ آخِرُ
كَلَامِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا التَّحَدُّثُ بِهَا نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .
فَيَنْبَغِي لِمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَافَاهُ مِنْ هَذِهِ الْبَلَايَا وَالْمُنْكَرَاتِ وَالشَّرُّورِ أَنْ

يَحْمَدُ اللَّهَ دَائِمًا وَيَشْكُرُهُ وَيُكثِرُ مِنْ ذِكْرِهِ وَيَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ حَتَّى الْمَمَاتِ ،
وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ ابْتَلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمُحَدَّثَاتِ الَّتِي عَمَّتْ وَطَمَّتْ وَأَفْسَدَتْ
الْأَخْلَاقَ فَاذْنُلْ لَهُ التُّصْحَاحَ جُهْدَكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَاحْذِرْ مِنْ نُصْحِهِ عَلَنًا بَيْنَ
النَّاسِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحٍ فِي انْفِرَادٍ وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
فَإِنَّ التُّصْحَاحَ بَيْنَ النَّاسِ ضَرْبٌ مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
فَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي فَلَا تَغْضَبْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةَ

آخر :

فَيَاوِيحِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَاللَّهْوِ وَالغِنَا
وَرَاعَهُمْ مِنْهَا تَغِيظُ مُحَنِّقٍ
إِذَا مَا رَأَاهَا الْمُجْرِمُونَ وَأَيَقُنُوا
ضَرِيحٌ وَزُقُومٌ وَيَتَلَوُّهُ مَشْرَبٌ
وَمِنْ قَطِرَانٍ كِسْوَةٍ قَدْ تَسْرَبَلُوا
إِذَا أَقْبَلْتَ يَوْمَ الْحِسَابِ جَهَنَّمَ
لِخَوْفِ عَذَابٍ فِي لُظَاهَا يُحِطُّمُ
بِأَنَّ لَهُمْ فِيهَا شَرَابٌ وَمَطْعَمٌ
حَمِيمٌ لِأَمْعَاءِ الشَّقِيينَ يَهْدِمُ
وَسَيَقُومُوا فِيهِ الْعَذَابُ الْمُخِيمُ

آخر :

قُلْ لِلْمُؤْمِلِ إِنْ الْمَوْتُ فِي أَثْرِكَ
فِي مَنْ مَضَى لَكَ إِنْ فَكَّرْتَ مُعْتَبِرٌ
دَارٌ تُسَافِرُ عَنْهَا فِي غَدٍ سَفَرًا
تُضْحِي غَدًا سَمَرًا لِلذَّاكِرِينَ كَمَا
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ الْمَوْتُ فِي نَظْرِكَ
وَمَنْ يَمُتْ كُلَّ يَوْمٍ فَهُوَ مِنْ نَدْرِكَ
وَلَا تُؤْبُ إِذَا سَافَرْتَ مِنْ سَفْرِكَ
كَانَ الَّذِينَ مَضَوْا بِالْأَمْسِ مِنْ سَمْرِكَ

اللهم أمنن علينا باصلاح عُيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك اجتهادنا
وعليك توكلنا واعتمادنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم
والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

(فصل)

ثم أعلم أيها الأخ أنه ما من ساعة تمرُّ على العبدِ لا يذكُر اللهَ فيها إلاَّ تأسَّفَ وتَحَسَّرَ على فواتها بغيرِ ذِكْرِ اللهِ وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ مَعَهُ شَيْئاً يَذْكُرُهُ لِذِكْرِ اللهِ كَلِمَا غَفَلَ عَنْهُ .

ويُقَالُ إِنَّ الْعَبْدَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ سَاعَاتُ عُمُرِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَيَرَاهَا خَزَائِنَ مَصْفُوفَةً أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خِزَانَةً فَيَرَى فِي كُلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا فِي طَاعَةِ اللهِ مَا يَسْرُهُ . فَإِذَا مَرَّتْ بِهِ السَّاعَاتُ الَّتِي غَفَلَ فِيهَا عَنِ ذِكْرِ اللهِ رَأَاهَا فَارِغَةً سَاءَهُ ذَلِكَ وَتَنَدَّمَ حِينَ لَا يُفِيدُهُ النَّدَمُ .

وَأَمَّا السَّاعَاتُ الَّتِي كَانَ يَذْكُرُ اللهُ فِيهَا فَلَا تَسْأَلُ عَنِ سُرُورِهِ فِيهَا وَفَرَحِهِ بِهَا حَتَّى يَكَادُ أَنْ يَقْتُلَهُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ . قَالَ بَعْضُهُمْ أَوْقَاتُ الْإِنْسَانِ أَرْبَعَةٌ لَا خَامِسَ لَهَا النِّعْمَةُ ، وَالْبَلِيَّةُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالْمَعْصِيَةُ .

وَلِلَّهِ عَلَيْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْهَا سَهْمٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ .
فَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الطَّاعَةَ لِلَّهِ فَسَبِيلُهُ شُهُودُ الْمِنَّةِ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ أَنْ هَدَاهُ وَوَقَّفَهُ لِلْقِيَامِ بِهَا .

وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الْمَعْصِيَةَ فَعَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ النِّعْمَةَ فَسَبِيلُهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الْبَلِيَّةَ فَسَبِيلُهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالصَّبْرُ وَالرِّضَا رِضَى النَّفْسِ عَنِ اللهِ ، وَالصَّبْرُ ثَبَاتُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ . أَهـ .

الْعُمُرُ إِذَا مَضَى لَا عِوَضَ وَمَا حَصَلَ لَكَ مِنْهُ لَا قِيَمَةَ لَهُ . فَعُمُرُ الْإِنْسَانِ هُوَ مِيدَانُهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَالْمَوْجِبَةِ لَهُ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ . وَلَكِنْ مَا يَعْرِفُ قَدْرَ الْعُمُرِ إِلَّا نَوَادِرُ الْعُلَمَاءِ .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ وقال ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ الآيات .

وهذه هي السعادة التي يكدح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها إلا ما سعى كما قال جل وعلا وتقدس ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُهُ مِنَ الْعُمَرِ خَالِيًا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ .

يَفُوتُهُ مِنَ السَّعَادَةِ بِقَدْرِهِ وَلَا عَوَاضَ لَهُ مِنْهُ .

فَالْوَقْتُ لَا يُسْتَدْرَكُ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنْهُ وَكُلُّ جُزْءٍ يَحْصِلُ لَهُ مِنَ الْعُمَرِ

غَيْرِ خَالٍ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مُلْكٍ كَبِيرٍ لَا يَفْنَى وَلَا قِيَمَةَ لِمَا يُوَصَّلُ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّرَفِ وَالنَّفَاسَةِ .

وَلِأَجْلِ هَذَا عَظُمَتْ مُرَاعَاةُ السَّلْفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

لِأَنفَاسِهِمْ وَلِحَظَاتِهِمْ وَبَادَرُوا إِلَى اغْتِنَامِ سَاعَاتِهِمْ وَأَوْقَاتِهِمْ وَلَمْ يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُمْ فِي الْبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ وَلَمْ يَقْنَعُوا لِأَنفُسِهِمْ إِلَّا بِالْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ فَلِلَّهِ دَرَاهِمُ مَا

أَبْصَرَهُمْ بِتَصْرِيفِ أَوْقَاتِهِمْ .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيهَا رُمْتَ مَعْرُورٌ

قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصَلُوا هَذَا وَفِي سَيْرِهِمْ جِدٌّ وَتَشْمِيرٌ

قَالَ بَعْضُهُمْ أَذْرَكْتُ أَقْوَمًا كَانُوا عَلَى سَاعَاتِهِمْ أَشْفَقَ مِنْكُمْ عَلَى

دَنَائِيرِكُمْ وَدَرَاهِمِكُمْ فَكَمَا لَا يُخْرَجُ أَحَدُكُمْ دِنْيَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ

عَلَيْهِ فَكَذَلِكَ السَّلْفُ لَا يُحِبُّونَ أَنْ تُخْرَجَ سَاعَةٌ بَلْ وَلَا دَقِيقَةٌ مِنْ أَعْمَارِهِمْ إِلَّا

فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ ضِدَّ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ مِنْ قَتْلِ الْوَقْتِ عِنْدَ

الْمُنْكَرَاتِ .

بَقِيَّةُ الْعُمَرِ عِنْدِي مَا لَهُ ثَمَنٌ وَإِنْ غَدَا غَيْرَ مُحْسُوبٍ مِنَ الزَّمَنِ

يُسْتَدْرَكُ الْمَرْءُ فِيهَا كُلِّ فَائِتَةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَمْحُو السُّوءَ بِالْحَسَنِ

آخِرُ :

لَا يُحْقِرُ الرَّجُلُ الرَّفِيعَ دَقِيقَةً فِي السَّهْوِ فِيهَا لِلْوَضِيعِ مَعَاذِرٌ

فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغِيرَةٌ وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ كَبَائِرٌ

رَأَى أَحَدُ الزَّهَادِ إِنْسَانًا يَأْكُلُ فَطُورَهُ وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى مَضْغٍ فَقَالَ هَذَا

يَسْتَعْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا فَلَمَّا أُخْرِجَ فَطُورُهُ وَإِذَا هُوَ مَا يَسْتَعْرِقُ إِلَّا وَقْتًا يَسِيرًا .
فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا فَقَالَ إِنِّي حَسِبْتُ مَا بَيْنَ الْمُضْغِ وَالسَّفِّ
سَبْعِينَ تَسْبِيحَةً .

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بلغنا أن أحد علماء السلف كان يأكل
باليمنى والكراس باليسرى .

وَإِذَا دَخَلَ الْخَلَاءُ أَمَرَ الْقَارِيءَ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ كُلَّ هَذَا مُحَافَظَةً عَلَى
الْوَقْتِ .

بَلِّغْ يَا أَخِي قِتَالََةَ الْأَوْقَاتِ عِنْدَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ مِنْ تِلْفَازٍ وَمِذْيَاعٍ
وَكُورَاتٍ وَجِرَائِدٍ وَمَجَلَاتٍ وَقِيلٍ وَقَالَ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَيَا أَخِي إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الشَّرُورِ وَالْبَلَايَا وَالْمُنْكَرَاتِ
فَكَثِّرْ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَذِكْرِهِ وَأَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ حَتَّى الْمَمَاتِ .

وَانصَحْ إِخْوَانَكَ الْمُسْلِمِينَ وَاجْتَذِبْهُمْ عَنِ ضِيَاعِ الْأَوْقَاتِ فَلَعَلَّكَ أَنْ
تَكُونَ سَبِيًّا لِهِدَايَتِهِمْ .

وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمْرُ مِنْكَ سَبْهَلًا لَا تُغْبِنَنَّ بِالنَّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهَدْ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ

فَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتَرَازُهَا وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِي ذُلُّ سَرْمَدِ
ثُمَّ أَعْلَمَ أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّ الْوَقْتَ لَيْسَ مِنْ ذَهَبٍ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ فَإِنَّهُ أَعْلَى

مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَهْمَا بَلَغَا كَثْرَةً إِنَّهُ الْحَيَاةُ مِنْ سَاعَةِ الْمِيلَادِ إِلَى سَاعَةِ الْوَفَاةِ
فَتَنَبَّهُ لِذَلِكَ وَحَافِظٌ عَلَيْهِ وَاقْتَدُ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ الَّذِينَ عَرَفُوا قِيَمَةَ الْوَقْتِ .

قَالَ بَنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمِي عَلَى يَوْمٍ غَرَبَتْ
شَمْسُهُ نَقَصَ فِيهِ عُمْرِي وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي .

وَقَالَ آخِرُ كُلِّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِي لَا أَزَادُ فِيهِ عِلْمًا يَقْرِنِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فَلَا بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِهِ .

شعرا :

لا تُعْطِ عَيْنَكَ إِلَّا غَفْوَةَ الْحَذَرِ واسْهَرِ لِنَيْلِ عُلُومِ الدِّينِ تَعْتِنِمِ
ولا تَكُنْ فِي طِلَابِ الْعِلْمِ مُعْتَمِداً إِلَّا مُوجِدِ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْعَدَمِ
وقال آخِرُ مَنْ أَمْضَى يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ فِي غَيْرِ حَقِّ قَضَائِهِ أَوْ فِرْضِ آدَائِهِ
أَوْ مَجْدِ آثَلِهِ أَوْ حَمْدِ حَصَلِهِ أَوْ خَيْرِ أَسَسِهِ أَوْ عِلْمِ اقْتِبَسَهُ فَقَدَ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ
نَفْسَهُ . ولا تَسْأَلُ عَنْ نَدَمِهِ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ .

وإذا كان هذا حِرْصُ السلف على الوقت والمحافظة عليه وتقديره
عندهم فإن مما يُحْزِنُ المُسْلِمَ ويَجْرَحُه ويَدْمِي القلب ويُمَزِقُ الكبد أَسَى وأَسْفَا
ما نُشَاهِدُه عند كثيرين مِنَ المؤمنين مِنْ إِضَاعَةِ اللَّوْتِ تَعَدَّتْ حَدَّ التَّبْدِيرِ
والاسْرَافِ والتَّبْدِيدِ .

وبالحقيقة أن السفية هو مُضَيِّعُ الوقت لأن المال له عَوْضٌ أما الوقتُ
فلا عَوْضَ لَهُ .

فالعاقل مَنْ حَفِظَ وَقْتَهُ وَتَجَنَّبَ ما يُضَيِّعُه عليه كالجلوس عند الملاهي
والمنكرات ومطالعة في الكتب الهدّامات إنَّ مِنْ أَوْخَسِرِ النَّاسِ أَعْمَاراً مَنْ
شغلتهم شهواتهم عن أمور دينهم ومَصَالِحِ أمورهم قال الله جل وعلا وتقدس
﴿ ولا تطع مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً ﴾ وقال عز
من قائل ﴿ أَمِنَ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ .

شعرا : ما أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي طِينِنَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ أَمَلٌ قَدْ نَأَى
أُنْذَرْنَا اللهُ وَمَا نَرَعَوِي
تَعَاشِيًا وَالْمَوْتُ فِي جِدِّهِ
وَالنَّاسُ كَالْأَجْمَالِ قَدْ قَرِبَتْ
تَذُوُّ إِلَى الْعُشْبِ وَمِنْ خَلْفِهَا
تَمْضِي عَلَيْنَا ثُمَّ تَمْضِي بِنَا
مَرَامُهُ عَنِ أَجْلِ قَدْ دَنَا
فَلَيْتَ إِذْ ذَارَهُ أَثْرُ بِنَا
مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ وَمَا أَيْبَنَا
تَنْتَظِرُ الْحَيَّ لِأَنْ يَظْعَمَنَا
مُقَامِرٌ يَطْرُدُهَا بِالْقَنَا

أَيْنَ الْأُولَى شَادُوا مَبَانِيهِمْ تَهَدُّمُوا قَبْلَ انْهِدَامِ الْبِنَا
لَا مُعْدِمٌ يَحْمِيهِ إِعْدَامُهُ وَلَا يَبْقَى نَفْسَ الْغَنِيِّ الْغِنَى
كَيْفَ دِفَاعُ الْمَرْءِ أَحْدَاثَهَا فَرْدًا وَاقْرَانُ اللَّيَالِي ثَنَى
حَطَّ رِجَالٌ وَرَكِبْنَا الدُّرَى وَعُقْبَةُ السَّيْرِ لِمَنْ بَعْدَنَا
وَالْحَازِمُ الرَّأْيِ الَّذِي يَغْتَدِي مُسْتَقْلِعًا يُنْذِرُ مُسْتَوْطِنَا
لَا يَأْمَنُ الْمَوْتَ عَلَى غِرَّةٍ وَعَزَّ كَيْثُ الْغَابِ أَنْ يُؤْمَنَا
كَمْ غَارِسٍ أَمَلَّ فِي غَرْسِهِ فَأَعْجَلَ الْمِقْدَارُ أَنْ يُجْتَنَى

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ،
وَمُنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَوَائِدُ وَمِوَاعِظُ وَحِكْمٌ وَنَصَائِحُ وَآدَابٌ بَيْنَ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ

ثلاثة يُشْتَبَنُ الْوَدَّ فِي قَلْبِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِّعَ لَهُ فِي
الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ .

صَحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُوجِبُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَارِ .

الْبُرْشِيءُ هَيْنٌ وَجَهٌ طَلِقٌ وَلِسَانٌ لَيِّنٌ .

الصَّدِيقُ الْكَامِلُ مَفْقُودٌ لِذَا قَدْ يَجِدُ الْإِنْسَانُ فِي مَجْمُوعِ الْأَصْدِقَاءِ

الْكَمَالَ الْمَنْشُودَ قَالَ ﷺ « إِنْ اللَّهُ يَجِبُ السَّهْلَ الطَّلِقَ » .

لَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ سُوءُ الظَّنِّ فَإِنَّهُ لَا يَتْرُكُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَبِيبٍ صُلْحًا .

سُوءُ الظَّنِّ بُرْهَانٌ عَلَى سُوءِ أَفْعَالِ صَاحِبِهِ .

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْهْمِ

وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٍ .
قال أحدُهم صحبتُ المروزي في سفر فقال لي لا بُدَّ في السفر من أمير
أُحِبُّ أن تكونَ الأميرَ أو أنا فقلتُ بل أنت فأخذَ مِحْلَاةً عَبَّأَهَا زَادًا وَحَمَلَهَا عَلَى
عَاتِقِهِ .

فَقُلْتُ أَنَا أَحْمِلُهَا قَالَ لَا أَنَا الْأَمِيرُ وَعَلَيْكَ الطَّاعَةُ وَسِرْنَا حَتَّى الْمَسَاءِ وَمَا
أَرَدْنَا النُّومَ غَطَّانِي بِكِسَائِهِ وَسَهَرَ يَدْفَعُ عَنِي الْمَطْرَ وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ مَاطِرَةً .
فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْتَنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ أَنْتَ الْأَمِيرُ لِأَنِّي كُلَّمَا طَلَبْتُ
مِنْهُ أَنْ أَحْمِلَ رَفِضَ وَقَالَ أَنَا الْأَمِيرُ وَهَكَذَا أَمَا هُوَ فَقَالَ لِي إِذَا صَحِبْتَ أَحَدًا
فِي سَفَرٍ فَكُنْ هَكَذَا .

من أمثلة الاخلاص لله عز وجل في الأعمال أن جيشاً مسلماً حاصر
مَدِينَةً ذَاتَ سُورٍ مَنِيعٍ يَسْتَدْعِي شُهُورًا طَوِيلَةً .
وفي احدى الليالي جاء إلى القائد أحد الجنود يقول له لقد نَقَبْتُ فِي
السُّورِ نَقْبًا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَدْخُلَ مِنْهُ لِدَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَنَفْتَحُ بَابَ السُّورِ فَأَرْسِلْ
مَعِيَ مَنْ يَدْخُلُ النَّقْبَ فَإِذَا فَتَحْنَا الْبَابَ أَدْخِلِ الْجَيْشَ .

فَأَرْسَلَ مَعَهُ رِجَالًا دَخَلُوا مَعَ النَّقْبِ وَفَتَحُوا الْبَابَ فَدَخَلَهُ الْقَائِدُ
وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْمَدِينَةِ لَيْلًا .

وفي اليوم الثاني نادى المُنَادِي صَاحِبَ النَّقْبِ لِيُعْطَى جَائِزَتَهُ عَلَى عَمَلِهِ
وَطَلَبَهُ الْقَائِدُ فَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ .

وفي الثاني والثالث نادى المُنَادِي يَطْلُبُ حُضُورَ صَاحِبِ النَّقْبِ فَلَمْ يَأْتِهِ
أَحَدٌ .

وفي اليوم الرابع أتى الجُنْدِيُّ صَاحِبَ النَّقْبِ إِلَى الْقَائِدِ فَقَالَ لَهُ أَنَا
أَدُلُّكَ عَلَى صَاحِبِ النَّقْبِ .

فقال أين هو قال بثلاثة شروط .
 الشرط الأول أن لا تكافئه على عمله .
 والشرط الثاني أن لا تدلَّ أحدًا عليه .
 والثالث أن لا تطلبه ثانية .

فقال وافقنا على ذلك فقال الجُنْدِيُّ أنا صاحبُ النقبِ نَقَبْتُهُ ابْتِغَاءَ
 رِضْوَانِ اللَّهِ .

ثم ذَهَبَ فَتَعَجَّبَ الْقَائِدُ وكان إذا صَلَّى رَبِّمَا دَعَا اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُ مع
 صاحبِ النَّقْبِ .
 شعرا :

يا رَبِّ مَا لِي غَيْرَ لُطْفِكَ مَلْجَأُ ولَعَلَّنِي عن بابِهِ لا أُطْرِدُ
 يا رَبِّ هَبْ لِي تَوْبَةً أَقْضِي بِهَا دَيْنًا عَلَيَّ بِهِ جَلَالُكَ يَشْهَدُ
 أَنْتَ الْخَيْرُ بِحَالِ عَبْدِكَ إِنَّهُ بِسَلْسِلِ الْوِزْرِ الثَّقِيلِ مُقَيَّدُ
 أَسْفًا على عُمْرِي الَّذِي ضَيَعْتُهُ نَحْتِ الذُّنُوبِ وَأَنْتَ فَوْقِي تَرْصُدُ
 يا رَبِّ قَدْ ثَقَلْتُ عَلَيَّ كِبَائِرُ بِإِزَاءِ عَيْنِي لَمْ تَزَلْ تَرْدُدُ
 يا رَبِّ إِنْ أَبْعَدْتُ عَنْكَ فَإِنْ لِي طَمَعًا بِرَحْمَتِكَ الَّتِي لا تُبْعَدُ
 أَنْتَ الْمَجِيبُ لِكُلِّ دَاعٍ يَلْتَجِي أَنْتَ الْمَجِيرُ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَنْجِدُ
 مِنْ أَيِّ بَحْرٍ غَيْرِ بِحَرِّكَ نَسْتَقِي وَلِأَيِّ بَابٍ غَيْرِ بِابِكَ نَقْصُدُ

جمع أحدُ العلماءِ بَعْضَ عَلاماتِ حُسْنِ الخُلُقِ فَقَالَ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ
 الحَيَاءِ ، قَلِيلَ الأذَى ، كَثِيرَ الصِّلاحِ ، وَقُورًا صَدُوقَ اللِّسانِ ، قَلِيلَ الكِلامِ
 إلا في ذِكرِ اللَّهِ وما وِلاه .

كثيرُ العملِ للأخِرةِ أو ما هُوَ وَسِيلَةٌ إليها ، قَلِيلَ الفُضُولِ ، بَرًّا ،
 وَصُولًا صَبُورًا ، رَضيًا شُكُورًا ، حَلِيمًا ، رَفِيقًا ، لِينًا ، عَفيفًا شَفِيقًا .

لا لَعَان ولا سَبَاب ، ولا نَهَام ، ولا مُغْتَاب ، ولا جَاسُوس ، ولا
عَجُول ، ولا حَقُود ، ولا حَسُود ، ولا بَخِيل ولا غَضُوب .
هَشَاشًا بَشَاشًا ، لَطِيفًا ، ورَوُوفًا ، وَعَطُوفًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ فِي اللَّهِ
وَيُبَغِضُ فِي اللَّهِ .

حُكِيَّ عَنْ بَعْضِ الزُّهَادِ فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى حُسْنِ
الْخُلُقِ وَسُوءِ الْخُلُقِ .
فَقَالَ الْمُؤْمِنُ مَشْغُولٌ بِالذِّكْرِ وَالْعَمَلِ ، وَالْمُنَافِقُ مَشْغُولٌ بِالْحَرِصِ
وَالْأَمَلِ .

وَالْمُؤْمِنُ آيِسٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا مِنَ اللَّهِ ، وَالْمُنَافِقُ خَائِفٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ
إِلَّا مِنَ اللَّهِ .

وَالْمُؤْمِنُ يُقَدِّمُ مَالَهُ دُونَ دِينِهِ وَالْمُنَافِقُ يُقَدِّمُ دِينَهُ دُونَ مَالِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ
يُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيَبْكِي وَالْمُنَافِقُ يُسِيءُ وَيَضْحَكُ .
وَالْمُؤْمِنُ يُحِبُّ الْوَحْدَةَ إِذَا لَمْ تَرْجَحْ مَصْلَحَةَ الْخُلْطَةِ عَلَيْهَا وَالْمُنَافِقُ يُحِبُّ
الْخُلْطَةَ وَالْمَلَاءَ .

وَالْمُؤْمِنُ يَزْرَعُ وَيَخْشَى الْفَسَادَ وَالْمُنَافِقُ يَقْلَعُ وَيَرْجُو الْحَصَادَ ، وَالْمُؤْمِنُ
يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُصْلِحُ وَالْمُنَافِقُ يَأْمُرُ وَيَنْهَى لِلرِّئَاسَةِ فَيُفْسِدُ .
وَأَحْسَنُ مَا يُمْتَحَنُ بِهِ حُسْنُ الْخُلُقِ الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى وَاحْتِمَالُ الْجَفَاءِ .

وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَايَةِ الْإِحْتِمَالِ لِكُلِّ أَذَى وَالصَّبْرُ لِلَّهِ وَقَدْ شَرَحَ
اللَّهُ لَهُ صَدْرَهُ . وَأَسَاءَ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِقَوْلِهِ جَل وَعَلَا ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ
أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ وَقَالَ جَل وَعَلَا ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ
بِأَعْيُنِنَا ﴾

شِعْرًا : فَعَالِي قَبِيحٍ وَطَنِي حَسَنٌ وَرَبِّي غَفُورٌ كَثِيرُ الْمِنَّةِ
تُبَارِزُ مَوْلَاكَ يَا مَنْ عَصَى وَتَخَشَى مِنَ الْجَارِ لَمَّا فَطِنَ
رَكِبْتُ الْمَعَاصِي وَشَيْبِي مَعِي فَوَاللَّهِ يَا نَفْسُ مَاذَا حَسَنَ

فَقُومِي الدِّيَاجِي لَهْ وَارْغَبِي وَقُومِي لَهْ يَا عَظِيمَ المِنِّ
 وَقُومِي لَهْ يَا عَظِيمَ الرَّجَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْفُ عَنِّي فَمَنْ
 اللّهُمَّ اسلِكْ بِنَا مَسَلَكَ الصَّادِقِينَ الأَبْرَارِ ، وَالحِقْنَا بِعِبَادِكَ المُصْطَفِينَ
 الأَخْيَارِ ، وَاتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

(ف ص ل)

جَاءَ ثَلَاثَةٌ إِلَى الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ وَاشْتَكَى الأَوَّلُ قِلَّةَ المَطَرِ وَالعَيْثِ فَقَالَ
 لَهُ أَكْثَرُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ .

وَاشْتَكَى الثَّانِي العُقْمَ فَقَالَ لَهُ أَكْثَرُ الأَسْتِغْفَارِ .

وَاشْتَكَى الثَّلَاثُ جُدْبَ الأَرْضِ وَقِلَّةَ النِّبَاتِ فَقَالَ لَهُ أَكْثَرُ مِنَ
 الاسْتِغْفَارِ .

فَقَالَ لَهُ أَحَدُ جُلَسَائِهِ يَا ابْنَ رَسُولِ اللّهِ كُلُّ الثَّلَاثَةِ مُخْتَلِفٌ الشِّكَايَةَ
 وَأَنْتَ وَحَدَّثَ الجَوَابَ بَيْنَهُمْ .

فَقَالَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَمَا قَرَأْتُمْ قَوْلَ اللّهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ
 كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
 جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ .

خَطَبَ عَبْدُ المَلِكِ يَوْمًا خُطْبَةً بَلِيغَةً ثُمَّ قَطَعَهَا وَبَكَى ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ إِنَّ
 ذُنُوبِي عَظِيمَةٌ وَإِنَّ قَلِيلَ عَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْهَا .

اللّهُمَّ فَاصْفَحْ بِقَلِيلِ عَفْوِكَ عَظِيمَ ذُنُوبِي ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الحَسَنَ البَصْرِيَّ
 فَبَكَى ، وَقَالَ لَوْ كَانَ كَلَامٌ يُكْتَبُ بِالذَّهَبِ لَكُتِبَ هَذَا الكَلَامُ .

قِيلَ لِخَالِدِ بنِ يَزِيدَ وَكَانَ رَجُلًا زُهْدًا وَصَلَاحًا فِيمَا يَظْهَرُ مَا أَقْرَبَ الأَشْيَاءِ
 قَالَ الأَجَلَ ، قِيلَ فَمَا أبعَدَ الأَشْيَاءِ قَالَ الأَمَلَ قِيلَ فَمَا أَوْحَشُ الأَشْيَاءِ قَالَ
 المِيتَ .

قَالَ أَحَدُ العُلَمَاءِ أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ عَلَيْهَا حَرِيصًا مَنْ لَمْ
 يَرِضَ مِنْهَا إِلاَّ بِالكَسْبِ الحَلَالِ الطَّيِّبِ مَعَ حِفْظِ الأَمَانَاتِ .

وَأَرْغَبَ النَّاسَ فِيهَا وَإِنْ كَانَ عَنْهَا مُعْرِضًا مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ أَيْنَ مَا كَسَبَهُ
مِنْهَا حَلَالًا كَانَ أَوْ حَرَامًا .

وَإِنَّ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا مَنْ جَادَ بِحُقُوقِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَحُقُوقِ خَلْقِهِ
وَإِنْ رَأَى النَّاسُ بَخِيلًا فِيهَا سِوَى ذَلِكَ .

وَإِنْ أَبْخَلَ النَّاسَ مَنْ بَخَلَ بِحُقُوقِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ
الْخَلْقِ وَإِنْ رَأَى النَّاسَ كَرِيمًا جَوَادًا فِيهَا سِوَى ذَلِكَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ إِمْرًا أَذْهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عُمُرِهِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ لِحَرِيٍّ
أَنْ تَطُولَ عَلَيْهَا حَسْرَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَقَالَ آخَرٌ إِذَا سَأَلْتَ رَجُلًا كَرِيمًا حَاجَةً فَأَمْهَلَهُ يُفَكِّرُ فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ لَا
يُفَكِّرُ إِلَّا بِخَيْرٍ .

وَإِذَا سَأَلْتَ لَتِيمًا حَاجَةً فَلَا تُمَهِّلْهُ لِأَنَّهُ إِلَى الرَّدَى أَقْرَبَ وَطَبَعُهُ إِلَى الْمَنْعِ
أُخْرَى .

مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللَّهِ عِنْدَهُ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ .

فَإِنْ قَامَ بِشُكْرِ اللَّهِ وَأَدَّى مَا يَجِبُ لِلَّهِ فِيهَا عَلَيْهِ عَرْضُهَا لِلْبَقَاءِ وَإِنْ لَمْ
يَقُمْ بِذَلِكَ عَرْضُهَا لِلزَّوَالِ وَعَرْضَ نَفْسِهِ لِلدَّمَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ مُوصِيًا ابْنَهُ يَا بُنَيَّ إِذَا مَرَّ بِكَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ قَدْ سَلِمَ فِيهَا دِينُكَ
وَجِسْمُكَ وَمَالُكَ فَأَكْثِرْ مِنَ الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى .

فَكَمْ مِنْ مَسْلُوبٍ دِينَهُ وَمَنْزُوعٍ مُلْكَهُ وَمَهْتُوكٍ سِتْرَهُ وَمَقْصُومٍ ظَهْرَهُ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَنْتَ فِي عَافِيَةٍ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ أَيُّ الْكُنُوزِ أَعْظَمُ قَدْرًا قَالَ الْعِلْمُ الَّذِي خَفِيَ مَحْمَلُهُ
فَتَقَلَّتْ مُفَارَقَتُهُ وَكَثُرَتْ مُرَافَقَتُهُ وَخَفِيَ مَكَانُهُ وَأَمِنَ عَلَيْهِ مِنَ السَّرِقَةِ .

فَهُوَ فِي الْمَلَأِ جَمَالٌ وَفِي الْوَحْدَةِ أُنَيْسٌ وَبِرَأْسِ بِهِ الْخَسِيسُ وَلَا يَقْدِرُ
حَاسِدُكَ نَقْلُهُ عَنْكَ .

قِيلَ فَاَلْمَالُ قَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ مَحْمَلُهُ ثَقِيلٌ وَالْهَمُّ بِهِ طَوِيلٌ إِنْ كُنْتَ فِي مَلَأٍ
شَغَلَكَ الْفِكْرُ فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ فِي خَلْوَةٍ أَتَعَبَتْكَ حِرَاسَتُهُ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ مَنْ أضعَفُ الناسِ قالَ مَنْ ضعَفَ عن كتمانِ سرِّه ،
 قيلَ فمنَ أقواهم ، قالَ مَنْ قوِيَ على غضبِهِ ، قيلَ فَمَنْ أَصبرَهُمْ قالَ مَنْ سترَ
 فاقتَه ، قيلَ فَمَنْ أغناهم قالَ مَنْ قنعَ بما يسرُّه اللهُ له .
 وقالَ آخرُ مِنْ توفيقِ اللهِ لِلقاضي أن يكونَ فيه خمسُ خصالٍ الحِلْمُ
 والنزاهةُ عن الطَّمعِ ، وجودةُ العَقْلِ ، والاقْتداءُ بالعلماءِ المتبعينَ للكتابِ
 والسنةِ ، ومُشاورةُ أهلِ الرأيِ مِنْ ذوى العُقولِ الراجحةِ .
 واللهُ أعلمُ وصلى على محمدٍ وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

قالَ بعضُ العلماءِ : إعلم أنَّ بني آدمَ طائفتانِ طائفةٌ نظروا إلى شاهدِ
 خيالِ الدنيا وتمسَّكوا بتأميلِ العُمُرِ الطويلِ ولم يتفكَّروا في النَّفسِ الأخيرِ .
 وطائفةٌ عُقلاءُ جعلوا النَّفسَ الأخيرَ نَصَبَ أعينِهِم لينظروا ماذا يكونُ
 مَصيرَهُمْ وكيفَ يخرُجونَ مِنَ الدنيا ويفارقونها سَلامَ إيمانِهِمْ .
 وما الذي ينزلُ مَعَهُمْ مِنَ الدنيا في قُبورِهِمْ وما الذي يتركونه لِأعدائِهِمْ
 ويبقى عليهم وبآله ونكآله .

وهذه الفكرةُ واجبةٌ على كافَةِ الخلقِ وهي على المُلوكِ وأهلِ الدنيا
 أوجبُ لأنَّهُمْ كثيراً ما ازعجوا قُلُوبَ الخلقِ وأدخلوا في قلوبِهِم الرُعبَ .
 فإنَّ لله مَلَكًا يُعرفُ بِملكِ الموتِ لا مَهْرَبَ لأحدٍ مِنْ مُطالبَتِهِ .
 وكلُّ مُوكَّلِي مَلوكِ الدنيا يأخذونَ جُعلَهُمْ ذهبًا وفضةً وطعامًا .
 وملكِ الموتِ لا يأخذُ سِوى الرُوحِ .

وسائرُ مُوكلي السلاطينِ تنفعُ عندهم الشفاعةُ وهذا إذا جاءَ لِقَبْضِ
 الروحِ لا تنفعُ عنده الشفاعةُ .

وكثيرٌ مِنَ المُوكَّلِينَ يُمهَلونَ مَنْ يُوكَّلونَ بهِ اليومَ والساعةُ .

وهذا الموكل لا يُهمل ولا نفساً واحداً قال الله جل جلاله وتقدست
أسمائه ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

ويروي أنه كان ملكٌ كثيرُ المالِ قد جمع مالا عظيماً وأحتشد من كل
نوع خلقه الله تعالى من الدنيا ليرفقه نفسه ويتفرغ لأكل ما جمعه ، فجمع
نعماً طائلةً وبنى قصرًا عاليًا مرتفعاً سامياً يصلح للملوك والأمراء والأكابر
والعظماء وركب عليه بابين مُحَكَمين .

وأقام عليه الغلمان والحراسة والأجناد والبوابين كما أراد وأمر بعض
الأنام أن يضطنح له من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمته
ليأكلوا عنده وينالوا رفته .

وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يا نفسُ قد جمعتُ
أنعم الدنيا بأسرها فالآن افرغي لذلك وكلي هذه النعم مهناةً بالعمُرِ
الطويل ، والحظ الجزيل .

فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتى رجلٌ من ظاهري القصر عليه
ثياب خليقة ومخلاته في عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق
حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير .

وخاف الغلمان ووثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضيفُ ما
هذا الحرصُ وسوءُ الأدبِ إصبر إلى أن نأكل ونعطيك مما يفضل .

فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج إليّ فلي إليه شغلٌ مهمٌ وأمرٌ ملِمٌ
فقالوا له تنح أيها الضيفُ من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج إليك .

فقال : أنتم عرفوه ما ذكرتُ لكم فلما عرفوه قال هلاً نهرتموه وجرّدتهم
عليه وزجرتموه .

ثم طرق حلقة الباب أعظم من طرقتِهِ الأولى فهضبوا من أماكنهم
بالعصى والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة .

وقال : الزموا أَمَا كِنَكُمْ فَأَنَا مَلِكُ الْمَوْتِ فَطَاشَتْ حُلُومُهُمْ وَارْتَعَدَتْ
فَرَائِصُهُمْ وَبَطَلَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ جَوَارِحُهُمْ .

فقال الملك قولوا له لِيَأْخُذْ بَدَلًا مِنِّي وَعَوِضًا عَنِّي فَقَالَ مَا آخُذُ إِلَّا
رُوحَكَ وَلَا أَتَيْتُ إِلَّا لِأَجْلِكَ لِأَفْرُقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النِّعَمِ الَّتِي جَمَعْتَهَا وَالْأَمْوَالَ
الَّتِي حَوَيْتَهَا وَخَزَنْتَهَا .

فتنفس الصُّعْدَاءُ وَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ هَذَا الْمَالَ الَّذِي غَرَّنِي وَأَبْعَدَنِي وَمَنْعَنِي
مِنْ عِبَادَةِ رَبِّي وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُنِي فَالْيَوْمَ صَارَ حَسْرَتِي وَبِلَائِي وَخَرَجْتُ
صِفْرَ الْيَدَيْنِ مِنْهُ وَبَقِيَ لِأَعْدَائِي .

فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَالَ حَتَّى قَالَ لِأَيِّ سَبَبٍ تَلَعْنِي إِيَّيْكَ فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ تُرَابٍ وَجَعَلَنِي فِي يَدِكَ لِتَتَزَوَّدَ بِي إِلَى آخِرَتِكَ وَتَتَصَدَّقَ
بِي عَلَى الْفُقَرَاءِ وَتُزَكِّيَ بِي عَلَى الضُّعَفَاءِ .

وَلِتَعْمَرَ بِي الرُّبُطَ وَالْمَسَاجِدَ وَالْجُسُورَ وَالْقَنَاظِرَ لِأَكُونَ عَوْنًا لَكَ فِي الْيَوْمِ
الْآخِرِ فَجَمَعْتَنِي وَخَزَنْتَنِي وَفِي هَوَاكَ أَنْفَقْتَنِي وَلَمْ تَشْكُرْ اللَّهَ فِي حَقِّي بَلْ كَفَرْتَنِي
فَالآنَ تَرَكْتَنِي لِأَعْدَائِكَ وَأَنْتَ بِحَسْرَتِكَ وَبِلَائِكَ .

فَأَيُّ ذَنْبٍ لِي فَتَسْبِنِي وَتَلْعُنُنِي ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ قَبِضَ رُوحَهُ قَبْلَ أَكْلِ
الطَّعَامِ فَسَقَطَ عَنْ سَرِيرِهِ صَرِيحَ الْحِمَامِ .

وقال يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَكَانَ فِي
بَعْضِ الْأَيَّامِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ فَرَأَى رَجُلًا قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الدَّارِ ذَا
صُورَةٍ مُنْكَرَةٍ وَهَيْئَةٍ فَاشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْ هُجُومِهِ وَهَيْئَتِهِ وَقُدُومِهِ فَوَثَبَ فِي وَجْهِهِ
وقال : مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ وَمَنْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ إِلَى دَارِي .

فقال أَذِنَ لِي صَاحِبُ الدَّارِ وَأَنَا الَّذِي لَا يَحْجُبُنِي حَاجِبٌ وَلَا أَحْتَاكُ فِي
دُخُولِي عَلَى الْمَلُوكِ إِلَى إِذْنِهِ وَلَا أَرْهَبُ سِيَاسَةَ السُّلْطَانِ وَلَا يُفْزَعُنِي جَبَّارٌ وَلَا
لِأَحَدٍ مِنْ قَبْضَتِي فِرَارٌ فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَوَقَعَتِ الرَّعْدَةُ فِي
جَسَدِهِ .

وقال : أَنْتَ مَلِكُ الْمَوْتِ قَالَ : نَعَمْ قَالَ أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ إِلَّا أَمَهَلْتَنِي
يَوْمًا وَاحِدًا لِأَتُوبَ مِنْ ذَنْبِي وَأَطْلُبَ الْعُذْرَ مِنْ رَبِّي وَأَرَدَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي أَوْدَعْتَهَا
خَزَائِنِي إِلَى أَرْبَابِهَا وَلَا أَتَحْمَلُ مَشَقَّةَ عَذَابِهَا .

فَقَالَ كَيْفَ أَمَهَلَكَ وَأَيَّامُ عُمْرِكَ مُحْسَبَةٌ وَأَوْقَاتُهَا مُثَبَّتَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَقَالَ
أَمَهَلَنِي سَاعَةٌ ، فَقَالَ إِنَّ السَّاعَاتِ فِي الْحِسَابِ وَقَدْ عَبَرْتَ وَأَنْتَ غَافِلٌ
وَانْقَصَتْ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ وَقَدْ اسْتَوْفَيْتَ أَنْفَاسَكَ وَلَمْ يَبْقَ لَكَ نَفْسٌ وَاحِدٌ .

فَقَالَ مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نَقَلْتَنِي إِلَى الْحَدِيدِ فَقَالَ لَا يَكُونُ عِنْدَكَ سِوَى
عَمَلِكَ فَقَالَ مَا لِي عَمَلٌ ؟ فَقَالَ لَا جَرَمَ يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي النَّارِ وَمَصِيرُكَ إِلَى
غَضَبِ الْجُبَّارِ .

وَقَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ عَنْ سَرِيرِهِ وَعَلَ الصَّجِيجُ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَارْتَفَعَ
وَلَوْ عَلِمُوا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ سَخَطِ رَبِّهِ لَكَانَ بُكَاءُؤُهُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَعَوِيلُهُمْ أَوْفَرَ .

مَا لِنَفْسِي عَنْ مَعَادِي غَفَلْتُ	أَثَرَاهَا نَسِيَتْ مَا فَعَلْتُ
أَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي لَهْوِ الْهَوَى	كُلُّ نَفْسٍ سَتَرَى مَا عَمِلَتْ
أَفْ لِلدُّنْيَا فَكَمْ تَخْدَعُنَا	كَمْ عَزِيزٍ فِي هَوَاهَا خَذَلَتْ
رُبَّ رِيحٍ بِأَنَاسٍ عَصَفَتْ	ثُمَّ مَا إِنْ لَبِثَتْ أَنْ سَكَنْتْ
أَيْنَ مَنْ أَصْبَحَ فِي غِفْلَتِهِ	فِي سُرُورٍ وَمُرَادَاتٍ خَلَتْ
أَصْبَحَتْ آمَالُهُ قَدْ خَسِرَتْ	وَدِيَارُ لَهْوِهِ قَدْ خَرِبَتْ
فَعَدَّتْ أَمْوَالُهُ قَدْ فُرِقَتْ	وَكَانَ دَارُهُ مَا سُكِنَتْ
جُزْ عَلَى الدَّارِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ	ثُمَّ قُلْ يَادَارُ مَاذَا فَعَلْتُ
أَوْجُهُ كَانَتْ بُدُورًا طُلَعَا	وَشُمُوسًا طَالَمَا قَدْ أَشْرَقَتْ
قَالَتِ الدَّارُ : تَفَاتُوا فَمَضُوا	وَكَذَا كُلُّ مُقِيمٍ إِنْ ثَبَّتْ
عَايَنُوا أَفْعَالَهُمْ فِي تُرْبِهِمْ	فَاسْأَلِ الْأَجْدَاثَ عَمَّا اسْتُودِعَتْ

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا
أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ

وَإِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوُزُ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(ف ص ل)

قال بعض العلماء لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مُنْذُ كَانَ إِلَى يَتَنَاهَى أَحَدٌ يَسْتَحْسِنُ
الهِمَّ وَلَا يُرِيدُ إِلَّا طَرَحَهُ عَنْ نَفْسِهِ .

فلما اسْتَقَرَّ فِي نَفْسِي هَذَا الْعِلْمُ الرَّفِيعُ وَانْكَشَفَ لِي هَذَا السِّرُّ الْعَجِيبُ
وَأَنَارَ اللَّهُ تَعَالَى لِفِكْرِي هَذَا الْكَنْزَ الْعَظِيمَ .

بَحَثْتُ عَنْ سَبِيلٍ مُوَصَّلَةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى طَرْدِ الْهِمِّ الَّذِي هُوَ الْمَطْلُوبُ
النَّفِيسُ الَّذِي اتَّفَقَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْإِنْسَانِ الْجَاهِلِ مِنْهُمْ وَالْعَالِمِ وَالصَّالِحِ
وَالطَّالِحِ عَلَى السَّعْيِ لَهُ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا التَّوَجُّهَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَمَلِ
لِلْآخِرَةِ .

وَالْإِنَّمَا طَلَبَ الْمَالِ طُلَابُهُ لِيَطْرُدُوا بِهِ هَمَّ الْفَقْرِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ .
وَإِنَّمَا طَلَبَ الصِّيتِ مَنْ طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ هَمَّ الْأَسْتِعْلَاءِ
عَلَيْهَا .

وَإِنَّمَا طَلَبَ الْعِلْمَ مَنْ طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ هَمَّ الْجَهْلِ .
وَإِنَّمَا هَشَّ إِلَى سَمَاعِ الْأَخْبَارِ وَمُحَادَثَةِ النَّاسِ مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ لِيَطْرُدَ بِهَا
عَنْ نَفْسِهِ هَمَّ التَّوْحِيدِ وَمُغَيِّبِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ عَنْهُ .

وَإِنَّمَا أَكَلَ مَنْ أَكَلَ وَشَرَبَ مَنْ شَرَبَ وَنَكَحَ مَنْ نَكَحَ وَلَبَسَ مَنْ لَبَسَ
وَلَعِبَ مَنْ لَعِبَ وَاكْتَنَزَ مَنْ اكْتَنَزَ وَرَكِبَ مَنْ رَكِبَ وَمَشَى مَنْ مَشَى وَتَوَدَّعَ مَنْ
تَوَدَّعَ .

لِيَطْرُدُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَضْدَادَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَسَائِرِ الْهُمُومِ .
وَفِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَا لِمَنْ تَدَبَّرَهُ هُمُومٌ حَادِثَةٌ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ عَوَارِضٍ تَعْرِضُ فِي
خِلَالِهَا وَتَعْتَدُّ مَا يَتَعَدَّرُ مِنْهَا .

وقال رحمه الله وَجَدْتُ الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ سَلَامًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ خَالِصًا مِنْ
كُلِّ كَدْرٍ مُوَصَّلًا إِلَى طَرْدِ الْهَمِّ عَلَى الْحَقِيقَةِ .
وَوَجَدْتُ الْعَامِلَ لِلْآخِرَةِ إِنْ اُمْتَحِنَ بِمَكْرُوهِ فِي تِلْكَ السَّبِيلِ لَمْ يَهْتَمِ
بَلْ يُسِرُّ .

إِذْ رَجَاؤُهُ فِي عَاقِبَةِ مَا يَنَالُ بِهِ عَوْنٌ عَلَى مَا يَطْلُبُ وَزَائِدٌ فِي الْغَرَضِ الَّذِي
إِيَّاهُ يَقْصُدُ .

وَوَجَدْتُهُ إِنْ عَاقَهُ عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ عَائِقٌ لَمْ يَهْتَمَّ إِذْ لَيْسَ مُوَآخِذًا بِذَلِكَ فَهُوَ
غَيْرُ مُؤْتَرٍ فِيهَا يَطْلُبُ وَرَأَيْتُهُ إِنْ قُصِدَ بِالْأَذَى سُرًّا .

وَإِنْ نَكَبْتَهُ نَكْبَةً سُرًّا وَإِنْ تَعَبَ فِيهَا سَلَكَ فِيهِ سُرًّا فَهُوَ فِي سُرُورٍ مُتَّصِلٍ
أَبَدًا وَغَيْرِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ أَبَدًا .

وقال رحمه الله تعالى : وَلَوْ تَدَبَّرَ الْعَالِمُ فِي مُرُورِ سَاعَاتِهِ مَاذَا كَفَاهُ الْعِلْمُ
مِنَ الذُّلِّ بِتَسْلِيْطِ الْجُهَالِ .

وَمِنَ الْهَمِّ بِمَغْيِبِ الْحَقَائِقِ عَنْهُ وَمِنَ الْغِبْطَةِ بِمَا قَدْ بَانَ لَهُ وَجْهُهُ مِنْ
الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ عَنْ غَيْرِهِ .

لَزَادَ حَمْدًا وَشُكْرًا وَذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَغِبْطَةً بِمَا لَدَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَرَغْبَةً فِي
الْمَزِيدِ مِنْهُ .

أَجَلَّ الْعُلُومِ مَا قَرَّبَكَ إِلَى خَالِقِكَ جَلًّا وَعَلَا وَمَا أَعَانَكَ عَلَى الْوُصُولِ
إِلَى رِضَاهِ .

الْعُلُومُ الْغَامِضَةُ كَالدَّوَاءِ الْقَوِي يُصْلِحُ الْأَجْسَادَ الْقَوِيَّةَ وَيُهْلِكُ
الْأَجْسَادَ الضَّعِيفَةَ .

وَكذَلِكَ الْعُلُومُ الْغَامِضَةُ تَزِيدُ الْعَقْلَ الْقَوِيَّ جَوْدَةً وَتُصَفِّيه مِنْ كُلِّ آفَةٍ
وَتُهْلِكُ ذَا الْعَقْلِ الضَّعِيفِ .

العاقل في الدنيا مُتَعَبٌ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى مُسْتَرِيحٌ .
وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهُ مُتَعَبٌ وَمُتَكَدِّرٌ فِيهَا يَرَى مِنْ انْتِشَارِ الْبَاطِلِ وَغَلَبَةِ دَوْلَتِهِ
وَبِمَا يُحَالُ بَيْنَهُ مِنْ إِظْهَارِ الْحَقِّ .

وَأَمَّا وَجْهُ رَاحَتِهِ فَمِنْ كُلِّ مَا يَهْتَمُّ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ مِنْ فَضُولِ الدُّنْيَا .
إِذَا حَقَّقْتَ أَمْرَ الدُّنْيَا لَمْ تَجِدْهَا إِلَّا الْآنَ الَّذِي هُوَ فَضْلٌ بَيْنَ زَمَانَيْنِ
فَقَطْ .

وَأَمَّا مَا مَضَى وَمَا لَمْ يَأْتِ فَمَعْدُومَانِ كَمَا لَمْ يَكُنْ .
فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَبْتَئُ بِأَقْيَا خَالِدًا بِمُدَّةٍ هِيَ أَقْلٌ مِنْ كَرِ الطَّرْفِ .
مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِأَدْنَى الْعُلُومِ وَتَرَكَ أَعْلَاهَا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ كَانَ كَغَارِسِ
الْأَثَلِ وَالسِّدْرِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَجُودُ وَيَزْكُوا فِيهَا النَخِيلُ وَالتِّينُ وَالْمَوْزُ وَالْعِنَبُ .
نَشَرُ الْعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ مُفْسِدٌ لَهُمْ كَاطْعَامِكَ الْعَسَلِ
وَالسُّكَّرِ وَالتَّمْرِ مَنْ بِهِ مَرَضُ السُّكَّرِ وَمَنْ بِهِ احْتِرَاقٌ وَهَمِيٌّ .
وَكَتَشْمِيمِكَ الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ لَنْ بِهِ صُدَاعُ الصَّفْرَاءِ ، أَوْ بِهِ شَقِيقَةٌ وَهُوَ
وَجَعُ نِصْفِ الرَّأْسِ .

مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَحِكْمَةَ الدُّنْيَا وَعَدَلَ السِّيْرَةَ وَالِاخْتَوَاءَ عَلَى مَحَاسِنِ
الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَابِ كُلِّهَا وَاسْتَحَقَّاقَ الْفَضَائِلِ بِأَسْرِهَا فَلْيَقْتَدِ
بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلْيَسْتَعْمِلْ أَخْلَاقَهُ وَسِيْرَهُ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْل)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْفَعَةَ الْعِلْمِ فِي اسْتِعْمَالِ الْفَضَائِلِ عَظِيمَةٌ وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ
حُسْنَ الْفَضَائِلِ فَيَاتِيهَا وَيَعْلَمَ قُبْحَ الرَّذَائِلِ فَيَجْتَنِبُهَا وَيَسْتَمِعَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ
فَيَرْغَبُ فِي مِثْلِهِ وَالثَّنَاءَ الرَّدِّيَّ فَيَنْفِرُ مِنْهُ .

شعر : لَا تَيَاسَنَّ أَحَا الْإِحْلَاصِ فِي الْعَمَلِ عَلَى نَمُولِكَ أَنْ تَرَقَى عَلَى الْفَلَكِ
بَيْنَا تَرَى الذَّهَبَ الْإِبْرِيْزَ مُطْرَحًا فِي الْأَرْضِ إِذْ صَارَ إِكْلِيْلًا عَلَى أَلْبَلِكِ

آخر : لا تُحَسِّبَنَّ حَسَبَ الْأَبَاءِ مَكْرَمَةً
حُسْنُ الرِّجَالِ بِنَفْسِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ
آخر : لا تُحْفِرِ المرءَ إِنْ رَأَيْتَ بِهِ
فَالنُّحْلَ لَا شَيْءَ مِنْ ضُؤُولَتِهِ
آخر : دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطَلُّبُهَا
آخر : الْعِلْمُ زِينٌ وَتَقْوَى اللَّهِ حِلْيَتُهُ
آخر : وَمَا أَدْرَاكَ الْمَطْلُوبَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
فَعَلَى هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ لِلْعِلْمِ حِصَّةٌ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ
وَلِلْجَهْلِ حِصَّةٌ فِي كُلِّ زِدْبِلَةٍ .

وقال وقد رَأَيْتُ مِنْ غِمَارِ الْعَامَّةِ مَنْ يَجْرِي مِنَ الْإِعْتِدَالِ وَحَمِيدِ
الْأَخْلَاقِ إِلَى مَا لَا يَتَقَدَّمُهُ فِيهِ حَكِيمٌ عَالِمٌ رَائِضٌ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ جَدًّا .
وَرَأَيْتُ مَنْ طَالَعَ الْعُلُومَ وَعَرَفَ عُهُودَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَوَصَايَا الْحُكَمَاءِ وَهُوَ لَا يَتَقَدَّمُهُ فِي خُبْتِ السَّيْرَةِ .
وَفَسَادِ الْعِلْمِ وَالسَّيْرَةِ شِرَارُ الْخَلْقِ وَهَذَا كَثِيرٌ جَدًّا فَعَلِمْتُ أَنَّهَا
مَوَاهِبٌ وَحِرْمَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .
وَقَالَ مَنْ جَالَسَ النَّاسَ لَمْ يَعْدِمْ إِثْمًا وَهِيَ تُؤَلِّمُ نَفْسَهُ وَعَيْظًا يُنْضِجُ كَبْدَهُ
وَذَلًّا يَنْكَسُ هِمَّتَهُ .

فَمَا الظنُّ بَعْدَ بَمَنْ خَالَطَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ وَأَنْدَمَجَ مَعَهُمْ .
وَإِنَّمَا يَنْدُمُ وَيَحْزَنُ وَيَتَحَسَّرُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَعَادِهِ .
فَالعِزُّ وَالسُّرُورُ وَالْأَنَسُ وَالرَّاحَةُ وَالسَّلَامَةُ فِي الْإِنْفِرَادِ عَنْهُمْ .
وَلَكِنْ اجْعَلُهُمْ كَالنَّارِ تَدْفَأُ بِهَا وَلَا تُخَالِطُهَا .
وَقَالَ آخَرُ مِنْ مَضَارِ مُجَالَسَةِ النَّاسِ وَمُخَالَطَتِهِمْ الْإِنْتِهَاكُ فِي الْغَيْبَةِ .
ثَانِيًا ضَيَاعُ الْوَقْتِ فِي الْآثَامِ .

ثَالثًا فَوَاتُ الْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ فِي الْآخِرَةِ أَوْ الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي يَعُودُ

نَفَعَهَا فِي الآخِرَةِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَنْفِرَادِ عَنْ مَجَالَسَتِهِمْ
جُمْلَةً .

مَنْ جَنَّبَ النَّاسَ يَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَدْلَانِ
وَقَالَ لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنْ عَمَلٍ غَدٍ بِأَنْ تُخَفِّفَهُ وَتَعْجَلَهُ الْيَوْمَ وَإِنْ قَلَّ فَإِنَّ
مِنْ قَلِيلِ الْأَعْمَالِ يَجْتَمِعُ كَثِيرُهَا .

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْأُمُورِ صِغَارَهَا فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدْفُقُ الْخِلْجَانِ
وَرَبِمَا أَنْ الْأَعْمَالِ إِذَا لَمْ تُخَفَّفْ يُعْجِزُ أَمْرُهَا فَيَبْطُلُ الْكُلُّ .

وَلَا تَحْقِرْ شَيْئًا مِمَّا تُثْقَلُ بِهِ مِيزَانِكَ يَوْمَ الْبَعْثِ أَنْ تُعْجَلَهُ الْآنَ وَإِنْ قَلَّ .

فَإِنَّهُ يَحْطُ عَنْكَ كَثِيرًا لَوْ اجْتَمَعَ لَقَذَفَ بِكَ فِي النَّارِ .

اجْتَهِدْ فِي أَنْ تَسْتَعِينَ فِي أُمُورِكَ بِمَنْ يُرِيدُ مِنْهَا لِنَفْسِهِ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْهَا

لِنَفْسِكَ .

أَبْلَغَ فِي ذَمِّكَ مِنْ مَدْحِكَ بِمَا لَبَسَ فِيكَ لِأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى نَقْصِكَ .

وَأَبْلَغَ فِي مَدْحِكَ مِنْ ذَمِّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ لِأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى فَضْلِكَ وَلَقَدْ

انْتَصَرَ لَكَ مِنْ نَفْسِكَ بِذَلِكَ وَبِاسْتِهْدَافِهِ إِلَى الْإِنْكَارِ وَاللَّائِمَةِ .

وَلَوْ عَلِمَ النَّاقِصُ نَقْصَهُ لَكَانَ كَامِلًا إِذَا عَدَلَهُ .

مِنْ عَيْبِ حُبِّ الذِّكْرِ أَنَّهُ رَبِّمَا يُحْبِطُ الْأَعْمَالُ إِذَا أَحَبَّ أَنْ يُذَكَرَ بِهَا لِأَنَّهُ

يَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .

وَهُوَ يَطْمَسُ الْفَضَائِلَ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَكَادُ يَفْعَلُ الْخَيْرَ حُبًّا لِلْخَيْرِ لَكِنْ

لِيُذَكَرَ بِهِ .

مِنْ أَفْضَلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُحِبَّ إِلَيْهِ الْعَدْلَ وَيُوفِّقَهُ لِلْعَمَلِ بِهِ

وَيُحِبَّ إِلَيْهِ الْحَقَّ وَإِثَارَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ .

وَمِنْ قِلَّةِ تَوْفِيقِ الْعَبْدِ وَخُدْلَانِهِ أَنْ يُطَبَّعَ عَلَى الْجَوْرِ وَاسْتِسْهَاهَا لَهُ وَعَلَى

الظُّلْمِ وَاسْتِخْفَافِهِ .

وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلْيَيْئَسْ مِنْ أَنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ أَوْ يَقَوْمَ طِبَاعَهُ أَبَدًا إِلَّا أَنْ

إِذَا حَضَرْتَ مَجْلِسَ عِلْمٍ فَلَا يَكُونُ حُضُورُكَ إِلَّا حُضُورَ مُسْتَزِيدٍ عِلْمًا
وَأَجْرًا لَا طَالِبًا لِعَثْرَةٍ أَوْ زَلَّةٍ تُشْنَعُهَا أَوْ غَرِيْبَةٍ تُشِيْعُهَا .

فَإِنَّ تَتَبَعَ الْعَثْرَاتِ وَالزَّلَاتِ أَفْعَالُ الْأَرَادِلِ وَالسُّفَلِ الَّذِينَ لَا يُفْلِحُونَ
فِي الْعِلْمِ فَإِذَا حَضَرْتَهَا عَلَى طَلَبِ الْأَسْتِشَادِ فَقَدْ حَصَلَتْ خَيْرًا .
وَإِنْ لَمْ تَحْضُرْهَا عَلَى نِيَّةٍ صَالِحَةٍ فَجُلُوسُكَ فِي مَنْزِلِكَ أَحْسَنُ وَأَرْوَحُ
لِبَدْنِكَ وَآكْرَمُ لِخُلُقِكَ وَأَسْلَمُ لِدِينِكَ .

فَإِذَا حَضَرْتَهَا فَالْتَزِمِ أَحَدَ ثَلَاثَةٍ أَوْجُهُ أَحَدَهَا إِمَّا أَنْ تَسْكُتَ فَتَحْصُلُ
عَلَى أَجْرِ النِّيَّةِ بِالْمَشَاهِدَةِ وَعَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْكَ بِقَلْبَةٍ فَضُولِ الْكَلَامِ وَعَلَى كَرَمِ
الْمَجَالِسَةِ وَمُودَةٍ مَنِ الْمُجَالِسِ .

وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ سُؤَالَ الْمُتَعَلِّمِ عَمَّا لَا تَدْرِي فَإِنَّ السُّؤَالَ عَمَّا تَدْرِي
سَخَفٌ وَقِلَّةٌ وَعَقْلٌ وَلَا تَخْلُو مِنَ الْعُجْبِ .

وَفِيهِ شُغْلٌ عَمَّا هُوَ أَوْلَى وَفِيهِ قَطْعٌ لِمَآئِكَ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ لَا لَكَ وَلَا
لِغَيْرِكَ وَرُبَّمَا تَرْتَبَ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ أَوْ مَفَاسِدٌ .

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَرَاوِجَ فَرَاوِجَ مُرَاجَعَةَ الْعَالِمِ .
وَصِفَةُ ذَلِكَ أَنْ تُعَارِضَ جَوَابَهُ بِمَا يَنْقُضُهُ نَقْضًا بَيِّنًا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ
إِلَّا تَكَرُّرُ قَوْلِكَ أَوْ لِمُعَارِضَةٍ بِمَا لَا يَرَاهُ خِصْمُكَ مُعَارِضَةً فَأَمْسِكْ .

لَأَنَّكَ لَا تَحْصُلُ بِتَكَرُّرِ ذَلِكَ عَلَى أَجْرٍ زَائِدٍ وَلَا عَلَى تَعْلِيمِ بَلْ رُبَّمَا
حَصَلَتْ عَلَى مَا يَسُوءُكَ مِنَ الْغَيْظِ وَالْعَدَاوَةِ .

وَإِذَا سَأَلْتَ التَّعَنُّتَ وَمُرَاجَعَةَ الْمَكَابِرِ الَّذِي يَطْلُبُ الْغَلْبَةَ بِغَيْرِ عِلْمٍ
فَهِيَ خَلْقًا سَوْءٌ دَلِيلَانِ عَلَى قِلَّةِ الدِّينِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَقُوَّةِ السَّخْفِ وَكَثْرَةِ
الْفُضُولِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْل)

صَلَاحُ الْقَلْبِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَتَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِ
الْعَمَلِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ .

وفساد القلب بعدم التقوى والتوكل والطاعة والتوحيد والاحلاص .

وما يورث فساد القلب وانتكاسه وفساد الأخلاق مجالسة أموات
القلوب وأهل الآراء الفاسدة وأهل البدع كالأشاعرة والمعتزلة والرافضة
والفسقة كأهل الملاهي والمنكرات .

عليك بمجالسة أهل الدين والصلاح فإنهم هم الناس لأن أعقل
خلق الله من أمثال أمره واجتنب نبيه .
وأجهل خلق الله من عصي الله .

العلماء العاملون المخلصون هم السالكون طريقَةَ الرسل عليهم
الصلاة والسلام .

الذين لا يطلُبون من الناس أجراً على أعمالهم بل يُريدون وجهه عز
وجل قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾ .

قلوب صافية طاهرة مُعرضة عن الخلق مُقبلة على الخالق ذاكرة له
ناسيةً للدنيا ذاكرةً للأخرة .

الجلوس مع الذين يطيعون الله نعمةً من الله على عبده والجلوس مع
المنافقين والمكذبين نعمةً على العبد نعوذ بالله من مجالسة أهل الضلال والبدع
والأخلاق المنحرفة وأهل الملاهي والمنكرات .

فالواجب هجرانهم والابتعاد عنهم والتحذير عنهم .

وأهجر أيضاً أقران السوء واقطع المودة والصلة بينك وبينهم وواصلها

بينك وبين الصالحين .

قال بعضهم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقي
فيها آدم ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس لعنه الله بعد طول تعبده
لقي ما لقي .

ولا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ فَإِنَّ بُلْعَامَ كَانَ يُحْسِنُ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ فَانظُرْ مَاذَا لَقِيَ .

ولا تَغْتَرَّ بِرُؤْيَةِ الصَّالِحِينَ فَلَا شَخْصَ أَكْبَرَ مِنَ الْمُصْطَفَى ﷺ ولم يَنْتَفِعْ بِلِقَائِهِ أَعْدَاؤُهُ وَبَعْضُ أَقَارِبِهِ .

وقال إذا سَمِعْتَ بحال الكفار وخُلُودِهِمْ فِي النَّارِ فَلَا تَأْمَنَ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ عَلَى الْخَطَرِ وَلَا تَدْرِي مَاذَا يَكُونُ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَمَاذَا سَبَقَ لَكَ فِي حُكْمِ الْغَيْبِ .

ولا تَغْتَرَّزْ بِصَفَاءِ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ تَحْتَهَا غَوَامِضُ الْآفَاتِ .

آخر :

أَلَا بَلَّغْنِي عَنِّي لِحَيِّ رِسَالَةٍ
لِعَالَمِهِمْ أَوْ طَالِبِ الْعِلْمِ رَائِمٍ
أَقُولُ لَهُ : قُمْ وَادْعُ لِلدِّينِ دَعْوَةً
وَلَا تَخْشَ تَكْذِيبًا وَإِنْكَارَ جَاحِدٍ
وَعِيبَةً هَمَّازٍ وَضَعْنَ مُشَاحِنَ
وَلَيْسَ لِمَا تَبْنِي يَدُ اللَّهِ هَادِمٌ
وَبَيْنَ لَهُمْ أَنَّ الْعَوَائِدَ بَهْرَجَتْ
وَلَهُوَ الشَّبَابِ الْيَوْمَ قَدْ بَارَ سَوْفُهُ
وَأَهْلُ الدُّنَا الْيَوْمَ انْزَوَى ظِلُّ جَاهِهِ
وَمُنْكَرٌ هَذَا الدِّينِ قَدْ خَفَّ وَرْزُهُ
وَنَاصِرُهُ قَدْ صَارَ فِي النَّاسِ عَالِيًا
وَإِنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ قَدْ مَنَّ مِنِّيَّةً
تَعِيهَا رِجَالٌ أَوْ نِسَاءً صَوَالِحُ
لِإِظْهَارِ دِينِ اللَّهِ فِيهِ يُنَاصِحُ
تُجِبُّهَا عَوَامٌ أَوْ خَوَاصٌّ جَحَاجِحُ
وَهُزْءِ جَهُولِ ضَلِّ وَالْحَقُّ صَابِحُ
يُسَاعِدُهُ مَنْ لِلْعَوَائِدِ رَاكِحُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِنْ جَاءَ ضَارِحُ
وَسُنَّتْنَا لَاحَتْ عَلَيْهَا لَوَائِحُ
وَقَامَتْ عَلَى سُوقِ الصَّلَاحِ الْمَدَائِحُ
وَسُنَّتْنَا قَدْ ظَلَلَتْهَا الدَّوَائِحُ
وَمَظْهَرُهُ مِيزَانُهُ الْيَوْمَ رَاجِحُ
وَمُنْكَرُهُ لِلنَّحَاصِ وَالْعَامِ دَانِحُ
عَلَيْنَا وَمَنْ يَشْكُرُ فَذَلِكَ رَابِحُ

فَفِي بَدْنِهِ بَلَهَ الْقِيَامَةَ طَائِحُ
لَنَا نَسْبًا نَعْلُو بِهِ وَنُطَامِحُ
نَفْرُ وَنَحْزُ نَعْمَاهُ وَالْكُلُّ فَالِحُ
مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ مَصَالِحُ
أَبُو طَالِبٍ عَمُّ النَّبِيِّ ، وَتَارِحُ
وَمَاضِرٌّ حَوْضًا أَنْ أَبْتَهُ الْقَوَامِحُ
بِإِذْنِ الْإِلَهِ إِنْ أَفَاضَتْ دَوَائِحُ
بَسَائِسَ تَبَّتْ فِي الْأَرْضِ الْمَوَالِحُ
فَمَدْخَلُهُمْ مَوْلَاهُمْ أَنْتَ فَاتِحُ
فَسَاقِيَهُمُ الْمَوْلَى فَإِنَّكَ جَادِحُ
بِهِ بَلَّغُوا عَنِّي أَنَّهُ صَحَائِحُ
عَلَى شَرْطِهِ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ قَارِحُ
مِنَ الدِّينِ مِمَّا سَهَّلْتَهُ الْقَرَائِحُ
وَصَوْمًا وَبَيْعَاتٍ كَيْفَ يُنَاقِحُ
وَمَنْهِيئُهَا فَالْكُلُّ فِي الْكُتُبِ وَاضِحُ
لِيَرْعَاهُ ذُوفَهُمْ يُطِيعُكَ لَائِحُ
وَكَيْفَ التَّحْلِي بِالْحَمِيدَةِ نَاصِحُ
لَدَى سَوْمِهَا تُرْعَى وَإِنَّكَ كَابِحُ
مُطِيعٌ لِشَيْطَانٍ وَلِلدِّينِ قَابِحُ
يَكُونُ خِلَالَ الْمُنْكَرَاتِ الْمَسَارِحُ
وَلَمْ تَحْتَمِلْ ذُلًّا كَذَلِكَ السَّبَادِحُ

وَمَنْ كَفَرَ الْأَنْعَامَ وَاتَّبَعَ الْهَوَى
وَذَاكَ بَانَ قَدْ بَيْنَ الدِّينِ فِي امْرِئٍ
فَإِنْ نَحْنُ آوَيْنَاهُ نَنْصُرُ قَوْلَهُ
وَأَنْ قَدْ أَضَعْنَاهُ أَفَادَ بَغِيرِنَا
وَلَوْ نَفَعَتْ قُرْبَى فَقَطْ فِيهِ مَارَدَى
وَمَاضِرٌّ شَمْسًا أَنْ تَفَى الْعَيْنَ ضَوْءَهَا
أَطْيَابُ أَرْضٍ تُخْرَجُ التَّبَّتْ رَبِيعًا
وَلَوْ هَمَعَتْ دِيمًا لَمَا أُتْبِتَتْ وَلَوْ
فَلَا يَمْنَعُ الْإِرْشَادَ عُدْمُ قَبُولِهِمْ
فَإِنَّكَ إِنْ بَلَّغْتَهُمْ ضَاعَ عُدْرُهُمْ
مُطِيعٌ لِمَا قَدْ قَالَهُ سَيِّدُ الْوَرَى
وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٌ لِمُنْكَرٍ
وَفَهْمُهُمْ مَا يَلْزَمُ الْمَرْءَ عَقْدُهُ
وَعَسَلًا وَضَوْءًا أَوْ صَلَاةَ زَكَاتِهِمْ
وَوَاجِبُهَا مَسْنُونُهَا مُسْتَحَبُّهَا
وَكَيْفَ تُرَاعَى نِيَّةٌ فِي جَمِيعِهَا
وَكَيْفَ التَّحْلِي عَنْ صِفَاتِ ذَمِيمَةٍ
بِنَفْسِكَ فَابْدَأْ حَائِدًا عَنِ هَوَى الْهَوَى
أَضْرَعْ عَدُوَّ مَنْ بَدَارَكَ سَاكِنٌ
سَلَامَةٌ عَيْنِ النَّفْسِ عَزَّتْ لِمَالِهَا
فَلَا تَسْتَطِيعُ التَّرْكَ عَنْ شَهَوَاتِهَا

لِجَاؤِكَ بِالْمَوْلَى وَتَقْلِيلِ مَطْعَمِهِ
 دَوَاءً لِأَدْوَاءِ النُّفُوسِ مَطْحُطِخِ
 وَبِالْأَصْغَرَيْنِ أَحْفَظَ وَبِالْأَجْوَفَيْنِ وَالْ
 جَوَاسِيْسِ صُنْ دَوْمًا تُطْعَمُكَ الْجَوَارِحُ
 تَبَاعُ لِقُرْآنِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
 وَتَابِعِهِمْ تَرْيَاقٌ مَنْ هُوَ صَالِحٌ
 عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ عَلَيْهِمْ
 كَذَلِكَ سَلَامٌ بِالرِّيَاحِينَ فَائِحُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَا مِنْ نَوْمِ
 الْعَفْلَةِ وَتَبْهِنَا لِأَعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الدُّهْلَةِ وَوَقَفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصَمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
 وَدُنُونَنَا وَلَا تَوَاضَعْنَا بِمَا أَنْطَوْتَ عَلَيْهِ ضَمَائِرُونَا وَآكُتُّهُ سَرَائِرُونَا مِنْ أَنْوَاعِ
 الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

كتب أبو حامد العزالي إلى أبي الفتح بن سلامة فقال : قَرَعَ سَمْعِي
 بِأَنَّكَ تَلْتَمِسُ مِنِّي كَلَامًا وَجِيزًا فِي مَعْرِضِ النُّصْحِ وَالْوَعْظِ وَإِنِّي لَسْتُ أَرَى
 نَفْسِي أَهْلًا لَهُ .

فَإِنَّ الْوَعْظَ زَكَاةُ نِصَابِهِ الْإِتْعَاضُ فَمَنْ لَانِصَابَ لَهُ كَيْفَ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ
 وَفَاقِدُ النُّورِ كَيْفَ يَسْتَنْيرُ بِهِ غَيْرُهُ وَمَتَى يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجُ .

وَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَا ابْنَ مَرْيَمَ
 عِظْ نَفْسَكَ فَإِنِ اتَّعَظْتَ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلَّا فَاسْتَحْيِي مِنِّي .

وَقَالَ نَبِيْنَا ﷺ تَرَكْتُ فِيكُمْ نَاطِقًا وَصَامِتًا فَالْنَاطِقُ هُوَ الْقُرْآنُ وَالصَّامِتُ
 هُوَ الْمَوْتُ وَفِيهِمَا كَفَايَةٌ لِكُلِّ مُتَعِظٍ فَمَنْ لَمْ يَتَعِظْ بِهِمَا كَيْفَ يَعْظُ غَيْرَهُ .

ولقد وَعَظْتُ نَفْسِي بِمَا وَقَبَلْتُ وَصَدَّقْتُ قَوْلًا وَعِلْمًا وَأَبْتٌ وَمَرَدَّتْ تَحْقِيقًا
وَفِعْلًا .

فقلت لِنَفْسِي أما أَنْتَ مُصَدِّقَةٌ بِأَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْوَاعِظُ وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ
الْمَنْزَلُ الَّذِي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ فَقَالَتْ بَلَى فَقُلْتُ
لَهَا قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا
وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا
صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فقد وَعَدَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِالنَّارِ عَلَى إِرَادَةِ الدُّنْيَا وَكُلِّ مَا لَا يَصْحَبُ بَعْدَ
المَوْتِ فَهُوَ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ تَنْزَهَتْ عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا وَإِرَادَتِهَا .
وَلَوْ أَنَّ طَيِّبًا نَصْرَانِيًّا وَعَدَكَ بِالمَوْتِ أَوْ بِالمَرَضِ عَلَى تَنَاوُلِ الذِّ الشَّهَوَاتِ
لَتَحَامَيْتِيهَا وَأَنْفَتَ مِنْهَا وَجَنَّبَتْهَا أَفْكَانَ النُّصْرَانِيِّ عِنْدَكَ أَصْدَقَ مِنَ اللَّهِ
جَلَّ وَعَلَا .

فإن كَانَ كَذَلِكَ فَمَا أَكْفَرَكَ أَمْ كَانَ المَرَضُ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنَ النَّارِ فَإِنْ كَانَ
كَذَلِكَ فَمَا أَجْهَلَكَ فَصَدَّقْتُ ثُمَّ مَا أَنْتَهَتْ بَلْ أَصْرَتْ عَلَى المَيْلِ إِلَى العَاجِلَةِ
وَاسْتَمَرَّتْ .

ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهَا فَوَعَظْتُهَا بِالْوَاعِظِ فَقُلْتُ لَهَا قَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
﴿ قُلْ إِنْ المَوْتَ الَّذِينَ تَفَرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَاقِيكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عَالَمِ الغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وقلت لَهَا هَبِي أَنْكَ مِلْتِ إِلَى العَاجِلَةِ أَفَلَسْتَ مُصَدِّقَةً بِأَنَّ المَوْتَ لَا
مَحَالَةَ يَأْتِيكَ قَاطِعًا عَلَيْكَ مَا أَنْتَ مُتَمَسِّكَةٌ بِهِ وَسَالِبًا مِنْكَ كُلِّ مَا أَنْتِ رَاقِبَةٌ
فِيهِ .

وَأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالَهُ ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ

مَتَّعَنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يُمَتَّعُونَ ﴿١٠﴾ .

وقال مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ عِنْدَمَا وَعَظَهَا وَلَمْ تَجْتَهِدِ فِي التَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ
كَاجْتِهَادِهَا فِي تَدْبِيرِ الْعَاجِلَةِ وَلَمْ تَجْتَهِدِي فِي رِضَا اللَّهِ كاجْتِهَادِهَا فِي طَلَبِ رِضَاهَا
وطلبِ رِضَا الخَلْقِ .

وَلَمْ تَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا تَسْتَحِي مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الخَلْقِ وَلَمْ تُشَمِّرْ
لِلْإِسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ كَتَشَمِيرِهَا فِي الصَّيْفِ لِأَجْلِ الشِّتَاءِ وَفِي الشِّتَاءِ لِأَجْلِ
الصَّيْفِ فَإِنَّهَا لَا تَطْمَئِنُّ فِي أَوَائِلِ الشِّتَاءِ مَا لَمْ تَتَفَرَّغْ عَنْ جَمِيعِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ
مَعَ أَنَّ المَوْتَ رَبِّمَا يَخِيطُفُهَا وَالشِّتَاءُ لَا يُدْرِكُهَا .

فَقُلْتُ لَهَا أَلَسْتَ تَسْتَعِدِّينَ لِلصَّيْفِ بِقَدْرِ طَوْلِهِ وَتَصْنَعِينَ لَهُ آلَةَ الصَّيْفِ
بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَى الحَرِّ قَالَتْ نَعَمْ .

ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ عَلَى سَجِيَّتِهَا وَلَمَّا رَأَيْتَهَا مُتَمَادِيَةً فِي الطُّغْيَانِ غَيْرِ مُنْتَفِعَةٍ
بِمَوْعِظَةِ المَوْتِ وَالقُرْآنِ رَأَيْتُ أَهَمَّ الأُمُورِ التَّفْتِيْشَ عَنْ سَبَبِ تَمَادِيهَا مَعَ
اعْتِرَافِهَا وَتَصَدِيقِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ العَجَائِبِ العَظِيمَةِ .

فَطَالَ تَفْتِيْشِي عَنْهُ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى سَبَبِهِ وَهَا أَنَا ذَا مُوصٍ نَفْسِي وَإِيَّاكَ
بِالحَذَرِ مِنْهُ فَهُوَ الدَّاءُ العَظِيمُ وَهُوَ السَّبَبُ الدَّاعِي إِلَى الغُرُورِ وَالإِهْمَالِ .

وَهُوَ اعْتِقَادُ تَرَاحِي المَوْتِ وَاسْتِبْعَادُ هُجُومِهِ عَلَى القُرْبِ فَإِنَّهُ لَوْ أُخْبِرَ
صَادِقٌ فِي بَيَاضِ نَهَارِهِ أَنَّهُ يَمُوتُ فِي لَيْلَتِهِ أَوْ يَمُوتُ بَعْدَ أُسْبُوعٍ أَوْ شَهْرٍ
لَا اسْتِقَامَ وَاسْتَوَى عَلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ .

فَانكَشَفَ لِي تَحْقِيقًا أَنَّ مَنْ أَصْبَحَ وَهُوَ يُؤْمَلُ أَنَّهُ يُمَسِي أَوْ أَمَسَى وَهُوَ
يُؤْمَلُ أَنْ يُصْبِحَ لَمْ يَخُلْ مِنَ الفُتُورِ وَالتَّسْوِيفِ .

فَأَوْصِيكَ وَنَفْسِي بِمَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ « صَلَّى صَلَاةَ

مُودِعٍ « وَلَقَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَفَصَلَ الْخَطَابِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِوَعظِ إِلَّا بِهِ .
وَمَنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنَهَا آخِرُ صَلَاتِهِ حَضَرَ مَعَهُ خَوْفُهُ مِنْ
اللَّهِ تَعَالَى وَخَشْيَتُهُ مِنْهُ .

بخلاف مَنْ لَمْ يَخْطُرْ بِخَاطِرِهِ قِصْرُ عُمُرِهِ وَقُرْبُ أَجَلِهِ وَعَقَلَ قَلْبُهُ عَنِ
صَلَاتِهِ وَسَيِّمَتْ نَفْسُهُ فَلَا يَزَالُ فِي غَفْلَةٍ دَائِمَةٍ وَفُتُورٍ مُسْتَمِرٍّ وَتَسْوِيفٍ مُتَتَابِعٍ
إِلَى أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ وَيَهْلِكُهُ حَسْرَةُ الْفُوتِ .

فَعَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَحْذَرَ مَوَاقِعَ الْغُرُورِ وَيَحْتَرِزُ مِنْ خِدَاعِ النَّفْسِ
فَإِنْ خَدَاعَهَا لَا يَقِفُ عَلَيْهِ إِلَّا الْإِكْيَاسُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً وَالْمَذْكُورَاتُ وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً فَوَصِيَّةُ اللَّهِ
أَكْمَلُهَا وَأَنْفَعُهَا وَأَجْمَعُهَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴿ فَمَا أَسْعَدَ مَنْ قَبْلَ وَصِيَّةِ اللَّهِ
وَعَمِلَ بِهَا وَادَّخَرَهَا لِيَجْزِيَهَا يَوْمَ مَرَدِّهَا وَمُنْقَلَبِهَا .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ
وَإِغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

رَوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ إِنْ فَلَانًا مَاتَ بَغْتَةً قَالَ مَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ
ذَلِكَ لَوْ لَمْ يَمُتْ بَغْتَةً مَرَضًا ثُمَّ مَاتَ .
وَقَالَ غَيْرُهُ عَلَيْكَ بِاجْتِنَابِ طُولِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ إِذَا طَالَ هَاجَ أَرْبَعَةُ
أَشْيَاءَ .

الأولُ تَرْكُ الطَّاعَةِ وَالْكَسَلُ فِيهَا يَقُولُ سَوْفَ أَفْعَلُ وَالْأَيَّامُ بَيْنَ يَدَيَّ .

والثاني ترك التَّوْبَةِ وتَسْوِئُهَا يَقُولُ سَوْفَ أَتُوبُ فِي الْأَيَّامِ سَعَةً وَأَنَا شَابٌ
والتَّوْبَةُ بَيْنَ يَدَيَّ وَأَنَا قَادِرٌ عَلَيْهَا مَتَى أَرَدْتُهَا وَرُبَّمَا اغْتَالَهَ الْمَوْتُ وَهُوَ مُصِرٌّ
وَاخْتَطَفَهُ الْأَجَلَ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَاصْلَاحِ الْعَمَلِ .

والثالثُ الْحِرْصُ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَالِاسْتِغَالِ بِالدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ يَقُولُ
أَخَافُ الْفَقْرَ فِي الْكِبَرِ وَرُبَّمَا ضَعُفْتُ عَنِ الْاِكْتِسَابِ وَلَا بُدَّ لِي مِنْ شَيْءٍ فَاضِلٍ
أَدْخِرُهُ لِمَرَضٍ أَوْ هَرَمٍ أَوْ فَقْرٍ هَذَا وَنَحْوَهُ يُحَرِّكُ إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْحِرْصِ
عَلَيْهَا .

والرابعُ الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ وَالنِّسْيَانُ لِلْآخِرَةِ لِأَنَّكَ إِذَا أَمَلْتَ الْعَيْشَ
الطَّوِيلَ لَا تَذْكُرُ الْمَوْتَ وَالْقَبْرَ فِي الْغَالِبِ .

وعن علي رضي الله عنه قَالَ أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِثْنَانُ طُولُ الْأَمَلِ
وَإِتْبَاعُ الْهَوَى لِأَنَّ طُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى يَصُدِّكَ عَنِ الْحَقِّ .

فإِذَنْ يَصِيرُ فِكْرُكَ فِي حَدِيثِ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِ الْعَيْشِ فِي صُحْبَةِ الْخَلْقِ
فَيَقْسُو الْقَلْبُ .

وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحِرْصُ . كَمَا قِيلَ :

وَالْمَرْءُ يُدْرِكُ أَنَّ الْمَرْءَ مُخْتَلَسٌ مِنَ الْحَيَاةِ وَلَكِنْ يَغْلِبُ الطَّمَعُ
وَيَسَبِّبُ طُولَ الْأَمَلِ تَقَلُّبُ الطَّاعَةِ وَتَتَأَخَّرُ التَّوْبَةُ وَتَكْثُرُ الْمَعْصِيَةُ وَيَشْتَدُّ
الْحِرْصُ وَتَعْظُمُ الْغَفْلَةُ فَتَذْهَبُ الْآخِرَةُ إِنْ لَمْ يَرْحَمْ اللَّهُ .

فَأَيُّ حَالٍ أَسْوَأَ مِنْ هَذِهِ وَأَيُّ آفَةٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ وَإِنَّمَا رِقَّةُ الْقَلْبِ
وَصَفْوَتُهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَمُفَاجَأَتِهِ وَالْقَبْرِ وَظَلَمَتِهِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَأَحْوَالِ
الْآخِرَةِ .

وقال رحمه الله إعلم أن تَقْصِيرَ الْأَمَلِ مَعَ حُبِّ الدُّنْيَا مُتَعَدِّرٌ وَانْتِظَارُ
الْمَوْتِ مَعَ الْاِكْبَابِ عَلَيْهَا غَيْرُ مُتَيَسِّرٍ .

فالإناء إذا كان مملوءاً بشيء لا يكون لشيء آخر محل فيه ولأن الدنيا والآخرة كضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى .

والمشرق والمغرب بقدر ما تقرب من أحدهما تبعد عن الآخر قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ .

شعرا :

رَجَوْتُ خُلُودًا بَعْدَ مَاتِ آدَمِ وَنُوحٍ وَمَنْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ مِنْ قَرْنِ
وَسَوِّفَتُ بِالْأَعْمَالِ حَتَّى تَصَرَّمَتْ سُنُوكَ فَلَا مَالَ وَلَا وَلَدٌ يُغْنِي
فَشَمِّرْ لِدَارِ الْخُلْدِ فَازَ مَشَمِّرٌ إِلَيْهَا وَنَالَ الْأَمْنَ فِي مَنَزَلِ الْأَمْنِ
لَقَدْ شَغَلْتَنَا أَمْ دَفَّرَ بِزُخْرَفٍ شُغِلْنَا بِهِ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ ذِي الْمَنِّ
عَجِبْتُ لِدُنْيَا لَا تَسْرُ وَإِنَّمَا تَشُوبُ عَلَى تِلْكَ الْمَسْرَةِ بِالْحُزْنِ

قال ابن الجوزي عَجِبْتُ مِنْ عَاقِلٍ يَرَى اسْتِيْلَاءَ الْمَوْتِ عَلَى أَقْرَابِهِ وَجِرَانِهِ كَيْفَ يَطِيبُ عَيْشَهُ خُصُوصًا إِذَا عَلَتْ سَنَّهُ .

وَاعْجَبًا لِمَنْ يَرَى الْأَفَاعِي تَدْبُّ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَنْزَعُجُ أَمَا يَرَى الشَّيْخَ دَيْبَ الْمَوْتِ فِي أَعْضَائِهِ ثُمَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ النَاقِصَ .

ففي نظر العاقل إلى نفسه ما يُشغله عن النظر إلى خراب الدنيا وفراق الإخوان وإن كان ذلك مُزعجا .

وَلَكِنْ شُغِلُ مَنْ احْتَرَقَ بَيْتُهُ بِنَقْلِ مَتَاعِهِ يُلْهِمُهُ عَنِ ذِكْرِ بَيْوتِ الْجِرَانِ .
قُلْتُ وَمِثْلُهُ مَنْ فِي بَيْتِهِ لَصٌ يُلْهِمُهُ عَنِ اللَّصُوصِ الَّتِي فِي بَيْوتِ الْجِرَانِ .

وإنه لما يسلي عن الدنيا ويهون فراقها استبدال المعارف بمن تكرة فقد رأينا أغنياء كانوا يؤثرون وفقراء كانوا يصبرون ومحاسبين لأنفسهم يتورعون .

فاستبدال السفهاء عن العقلاء والبخلاء عن الكرماء فيا سهولة الرحيل لعل النفس تلقى من فقدت فتلحق بمن أحببت .

شعرا : وَلَا تَعْرَنُكَ أَثْوَابُ لَهُمْ حَسُنْتَ فَلَيْسَ مِنْ حَتْمَتِهَا فِي حُسْنِهَا حَمْدًا
فَالْقَرْدُ قَرْدٌ وَلَوْ حَلَيْتَهُ ذَهَبًا وَالْكَلْبُ كَلْبٌ وَلَوْ سَمَيْتَهُ أَسَدًا

شعرا : فَإِنْ تَكُنْ عَبْتُ أَيُّدِي النُّدُولِ بِنَا
فَكَمْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ خَضْرَاءِ مُورِقَةٍ
آخر : عَرَفْتُ أُمُورَ الْوَقْتِ أَمَّا شُرُورُهُ
إِذَا كَانَتْ الدُّنْيَا كَذَاكَ فَخَلَّهَا
آخر : تَغْيِيرُ إِخْوَانِ هَذَا الزَّمَانِ
قَضَيْتُ التَّعْجَبَ مِنْ بَابِهِمْ
وَنَالْنَا مِنْ تَمَادِي بِأَسْهَمِ ضَرَرَ
وَلَيْسَ يُرْجَمُ إِلَّا مَالُهُ تَمَرُ
فَنَقَدُ وَأَمَّا خَيْرُهُ فَوَعُودُ
وَلَوْ أَنَّ كُلَّ الطَّالِعَاتِ سَعُودُ
وَكُلُّ صَدِيقٍ عَرَاهُ خَلَلُ
فَصِرْتُ مُنْتَظِرًا لِبَابِ الْبَدَلِ

آخر : مَضَى الْجُودُ وَالْإِحْسَانُ وَاجْتَثَّ أَصْلُهُ

وَأُخِذْنَ نِيرَانِ الْوَعَى وَالْمَكَارِمِ
وَصِرْتُ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ النَّاسِ آخِرِ
يَرُونَ الْعُلَا وَالْمَجْدَ جَمَعَ الدَّرَاهِمِ
كَأَنَّهُمْوَا كَانُوا جَمِيعًا تَعَاقَدُوا

عَلَى الْبُخْلِ وَالْإِمْسَاكِ فِي صُلْبِ آدَمِ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنُورْهَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوِّهَا
وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لَطَاعَتِكَ وَأَمْتِثَالِ
أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَآيَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ الْإِسْتِعْدَادُ لَهُ
وَاسْتَشْعَارُ قُرْبِهِ الْمَوْتُ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ وَمَا يَدْرِي الْإِنْسَانُ لَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ
مِنْ أَجَلِهِ إِلَّا الْيَسِيرُ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى دُنْيَاهُ وَمُعْرَضٌ عَنْ آخِرَتِهِ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَرْبٌ وَلَا هَوْلٌ وَلَا عَذَابٌ سِوَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ
لَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يَتَنَكَّدَ وَيَتَنَغَّصَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ وَيَتَكَدَّرَ عَلَيْهِ سُرُورُهُ وَيُفَارِقَهُ سَهْوُهُ
وَعَفْلَتُهُ .

إِنَّ فِي الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ لَشُغْلًا وَإِدْكَارًا لِذِي النَّهْيِ وَبَلَاغًا
 فَاعْتَنِمِ خَصْلَتَيْهِ قَبْلَ الْمَنَاءِ صِحَّةَ الْجِسْمِ يَا أُخِي وَالْفَرَاعَا
 وَحَقِيقُ بَأَن يَطُولَ فِيهِ فِكْرُهُ وَيَعْظُمَ لَهُ اسْتِعْدَادُهُ وَهُوَ مُحْتَمِلٌ أَن يَقَعَ عَلَى
 الْإِنْسَانِ بَغْتَةً كَمَا قِيلَ سَهْمٌ بِيَدِ سِوَاكَ لَا تَدْرِي مَتَى يَغْشَاكَ .
 قَالَ لِقَمَانُ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ أَمْرٌ لَا تَدْرِي مَتَى يَلْقَاكَ اسْتِعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ
 يَنْفَجَاكَ .

تُؤْمَلُ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَلَا تَدْرِي إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ
 فَكَمْ مِنْ صَاحِبِ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ عَاشَ دَهْرًا إِلَى دَهْرٍ
 وَقَالَ الْآخَرُ :

قَصَرَ الْأَمْالَ فِي الدُّنْيَا تَفَزُ فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
 إِنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ الْمَوْتُ عَلَى غِرَّةٍ مِنْهُ جَدِيرٌ بِالْوَجَلِ
 وَالْعَجَبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ كَانَ فِي أَعْظَمِ اللَّذَاتِ وَأَطْيَبِ الْمَجَالِسِ الَّتِي
 تَلَذُّ لَهُ وَيَأْنَسُ بِهَا مَعَ أَوْلَادِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَأَقْرَبَائِهِ وَأَخْبَرَ أَنَّ جُنْدِيًّا أَتَى لِيُحْضِرَهُ
 وَيَدْعُوهُ إِلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ لَتَنَكَّدَ وَتَكَدَّرَتْ عَلَيْهِ لَذَّتُهُ وَفَسَدَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ .
 وَهُوَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ بِصَدَدٍ أَن يَدْخُلَ عَلَيْهِ مَلِكُ الْمَوْتِ بِسَكَرَاتِ النَّزْعِ
 وَهُوَ عَنْهُ فِي سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ وَمَا لِذَلِكَ سَبَبٌ إِلَّا الْجَهْلُ وَالْغُرُورُ وَاشْتِغَالُ الْقَلْبِ
 بِالدُّنْيَا .

وَقِيلَ فِي الاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ هُوَ أَنْ يَتُوبَ الْإِنْسَانُ تَوْبَةً طَاهِرَةً عَنْ
 الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا بَأَن لَوْ قِيلَ لَهُ إِنَّكَ تَمُوتُ السَّاعَةَ مَا وَجَدَ عِنْدَهُ ذَنْبًا يَحْتَاجُ إِلَى
 تَوْبَةٍ مِنْهُ فَيَسْأَلُ النَّظْرَةَ مِنْ أَجْلِهِ .

فَإِنْ كَانَ يَجِدُ ذَنْبًا يَحْتَاجُ إِلَى تَوْبَةٍ مِنْهُ فَيَسْأَلُ النَّظْرَةَ مِنْ أَجْلِهِ . كَسْرَقَةٍ
 وَعَضْبِ مَالٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ غَيْبَةٍ أَوْ مُعَامَلَةٍ لَا تُجُوزُ أَوْ يَأْكُلُ مِنْ حَرَامٍ أَوْ
 مُشْتَبِهٍ .

أَوْ مُصِرًّا عَلَى زَكَاةٍ أَوْ عَلَى بَعْضِهَا أَوْ كَاتِمًا لِأَمَانَةٍ أَوْ لَا يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ

وَالْجَمَاعَةَ أَوْ عِنْدَهُ مِنْ آلَاتِ اللَّهْوَ شَيْءٌ فِي بَيْتِهِ أَوْ دُكَّانِهِ كَتَلْفِزِيُونَ أَوْ سِينِمَا أَوْ
مَذْيَاعٍ أَوْ فِذْيُو .

أَوْ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي بِهَا أَوْ لَهُ أَسْهُمٌ فِيهَا يَسْتَمِدُّ مِنْهُ أَهْلُ الْمَعَاصِي تَنْوِيرًا أَوْ
لِتَصْلِيحِ آلَاتِ اللَّهْوَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ أَوْ مُصِرًّا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْكَفْرَةِ كَحَلْقِ لِحْيَةٍ
أَوْ جَعْلِ خَنَافِسٍ أَوْ مُصِرًّا عَلَى شُرْبِ خَمْرٍ أَوْ دُخَانٍ أَوْ يُصَوِّرُ أَوْ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي
بِهَا أَوْ مُجَالِسِ لِلْفَسَقَةِ أَوْ الْكَفْرَةِ أَوْ سَاكِنًا مَعَهُمْ أَوْ فِي بِلَادِهِمْ أَوْ عِنْدَهُ كُفَّارٌ
كَخَدَامِيْنَ وَسَوَاقِيْنَ وَمُرَبِّينَ وَخِيَاطِيْنَ .

فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَعِدَّ لِلِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ لَا يُسْتَشَارُ وَلَا يُؤْخَذُ رَأْيُهُ فِي
إِخْرَاجِ رُوحِهِ وَالْمَوْتُ يَأْتِيهِ فُجَاءَةً فَإِنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَذَلِكَ الذَّنْبُ عِنْدَهُ لَمْ يَأْمَنْ
مِنْ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وَكَيفَ يَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِلِقَاءِ اللَّهِ مَنْ هُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَا يَغْضِبُ اللَّهَ مِنَ
الْمَعَاصِي وَلَا يَأْمَنْ أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ أَغْفَلَ مَا كَانَ وَالْمَوْتُ آتِيَهُ لَا مَحَالَةَ صَدَقَ اللَّهُ
﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ .

شعرا :

يَا مَنْ تَمَتَّعَ فِي الدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا وَلَا تَنَامُ عَنِ اللِّذَاتِ عَيْنَاهُ
شَغَلَتْ نَفْسَكَ فِيمَا لَيْسَ تَدْرِكُهُ تَقُولُ لِلَّهِ مَاذَا حِينَ تَلْقَاهُ

آخر :

النَّاسُ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَا بَقَاءَ لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا مَقْدَارَ مَا عَلِمُوا
وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ كُلُّ مَنْ
عَمِلَهَا فَإِنَّ ﴾ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ وَقْتُ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ فَيُخَافُ فِي ذَلِكَ
الْوَقْتِ وَيُؤْمِنُ مِنْهُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ .

شعرا : تَغْنَمُ مِنَ الدُّنْيَا بِسَاعَتِكَ الَّتِي ظَفِرْتَ بِهَا مَا لَمْ تَعْمُقْ الْعَوَائِقُ
فَلَا يَوْمُكَ الْمَاضِي عَلَيْكَ بِرَاجِعٍ وَلَا يَوْمُكَ الْآتِي بِهٍ أَنْتَ وَائِثِقُ

شعرا :

مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِنَعْلِهِ وَطَىءَ التُّرَابَ بِصَفْحَةِ الحَدِّ
مَنْ كَانَ يَبِينُكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانِ فَهُوَ بِعَايَةِ البُعْدِ
لَوْ كُشِفَتْ لِلنَّاسِ أُعْطِيَةُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ المَوْلَى مِنَ العَبْدِ

فَلَيْسَ يَأْتِي فِي الشِّتَاءِ دُونَ الصَّيْفِ فَيُخَافُ مِنَ الشِّتَاءِ وَيُؤْمِنُ فِي الصَّيْفِ
وَلَا بِالْعَكْسِ وَلَا يَأْتِي فِي النَّهَارِ فَيُؤْمِنُ بِاللَّيْلِ وَلَا بِالْعَكْسِ .
وَلَيْسَ وَقْتُ مِنَ العُمُرِ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ فَيَأْخُذُ أَبْنَاءَ الحَمْسِينَ فَيَأْمَنُهُ
مَنْ دُونَ ذَلِكَ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ دُونَ عِلَّةِ كَالْحُمَى وَالسَّلِّ فَيَأْمَنُهُ مَنْ لَمْ يُصِبْهُ
ذَلِكَ .

فَحَقُّ عَلَى العَالِمِ بِأَمْرِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ الَّذِي انْفَرَدَ بِعِلْمِ ذَلِكَ الوَقْتِ
أَنْ لَا يَأْمَنُهُ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ وَأَنْ يَكُونَ مُسْتَعِدًّا لَهُ أتمَّ الاستعداد .

فَمَنْ ذَكَرَ المَوْتَ بَفِرَاعِ قَلْبٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَعَ ذِكْرِهِ عَظِيمٍ مَا يَأْتِي البَشَرَ
مِنَ العَذَابِ أَوْ بِالرَّحْمَةِ مَعَ الِاعْتِبَارِ بِالَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُ مِمَّنْ فَوْقَهُ وَدُونَهُ وَأَشْكَالَهُ
وَأَمْثَالَهُ مِنْ أَقَارِبٍ وَأَصْدِقَاءٍ وَزُمَلَاءٍ وَأَقْرَانٍ وَجِيرَانٍ وَمَشَايخٍ وَمُلُوكٍ وَأَسَاتِذَةٍ
وَإِخْوَانٍ .

وَمِنْ فَوَائِدِ ذِكْرِ المَوْتِ أَنَّهُ يُورِثُ الِاسْتِشْعَارَ بِالانزِعَاجِ عَنِ هَذِهِ الدَّارِ
الفانية المملوءة بالأكدار والأنكاد والهموم والغموم .

وَمُحْتِكِ ذِكْرِ المَوْتِ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَى الآخِرَةِ بِالِاسْتِعْدَادِ لَهَا
ثُمَّ إِنْ الِانْسَانُ لَا يَنْفِكُ عَنِ حَالَتِي ضَيْقٍ وَسَعَةٍ وَنِعْمَةٍ وَمِحْنَةٍ .
فَإِنْ كَانَ فِي حَالِ ضَيْقَةٍ وَمِحْنَةٍ فَذَكَرَ المَوْتَ سَهَّلَ عَلَيْهِ بَعْضَ مَا هُوَ فِيهِ
إِذَا لَا مُصِيبَةَ إِلَّا وَالمَوْتُ أَعْظَمُ مِنْهَا وَهُوَ ذَائِقُهُ وَلَا بُدَّ .

قال الله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وإن كان في حال سعة ونعمة
شعرا : عَجَبًا لِمَنْ يُبْقِي ذَخَائِرَ مَالِهِ وَيَظَلُّ يَحْفَظُهَا وَهُوَ مُضَيِّعُ
وَلِغَافِلٍ وَيَرَى بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ مُلْقَى لَهُ بَطْنُ الصَّفَائِحِ مُضْجَعُ
أَتْرَاهُ يُحْسِبُ أَنَّهُمْ مَا أَسْأَرُوا وَمَنْ كَأْسِهِ أَضْعَافُ مَا يَتَجَرَّعُ

فَذَكِّرُ الْمَوْتَ يَمْنَعُهُ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالْدُنْيَا وَالرُّكُونَ إِلَيْهَا لِتَحَقُّقِ عَدَمِ
دَوَامِهَا وَتَحَقُّقِ ذَهَابِهَا عَنْهُ وَانْصِرَامِهَا .

قال الله جلَّ وعلا وتقدس ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله

الغرور ﴾ .

شعرا :

أَيَا صَاحِ كُنْ فِي شَأْنِ دُنْيَاكَ هَذِهِ غَرِيبًا كَثِيبًا عَابِرًا لِسَيِّئِ
وَعُدِّ مِنْ أَهْلِ الْقَبْرِ نَفْسَكَ إِثْمًا بَقَاؤِكَ فِيهَا مِنْ أَقْلٍ قَلِيلِ

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ بَيْتِهِ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّكَ إِنْ
اسْتَشَعَرْتَ ذِكْرَ الْمَوْتِ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ بَغَضَ إِلَيْكَ كُلَّ فَنٍ .

وقال بعض العلماء : الأيامُ سهامٌ والناسُ أغراضٌ والدهرُ يرميكُ كلَّ
يومٍ بِسِهامِهِ وَيَحْتَرِمُكَ بِلِيَالِيهِ وَأَيَامِهِ حَتَّى يَسْتَغْرِقَ وَيَسْتَكْمِلَ جَمِيعَ أَجْزَائِكَ
فَكَيْفَ تَبْقَى سَلَامَتُكَ مَعَ وَقُوعِ الْأَيَّامِ بِكَ وَسُرْعَةِ اللَّيَالِي فِي بَدَنِكَ لَوْ كُشِفَ
لَكَ عَمَّا أَحْدَثْتَ الْأَيَّامُ فِيكَ مِنَ النَّفْصِ لَأَسْتَوْحَشْتَ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَيْكَ
وَأَسْتَقَلَّتْ مَرَمَّ السَّاعَاتِ بِكَ وَلَكِنْ تَدْبِيرُ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ تَدْبِيرٍ .

قَالَ بَعْضُهُمْ يَرْتِي أُنْحَالَهُ :

يَا صَاحِبِي إِنْ دَمَعِي الْيَوْمَ مِنْهَمِلٌ
وَفِي الْفُؤَادِ وَفِي الْأَحْشَاءِ نَارٌ أَسَى
عَلَى الْأَحِبَّةِ وَالْأَخْوَانِ إِذْ رَحَلُوا
كُنَّا وَكَانُوا وَكَانَ الشَّمْلُ مُجْتَمِعًا
حَدَا بِهِمْ هَادِمٌ اللَّذَاتِ فِي عَجَلٍ
وَلَمْ يَعْوجُجُوا عَلَى أَهْلِ وَلَا وَلَدٍ
إِنِّي لِأَعْجَبُ لِلدُّنْيَا وَطَالِبِهَا
وَعَافِلٍ لَيْسَ بِالْمَغْفُولِ عَنْهُ وَإِنْ
عَلَى الْخُدُودِ حَكَاهُ الْعَارِضُ الْهَاطِلُ
إِذَا أَلَمَّ بِهَا التَّدْكَارُ تَشْتَعِلُ
إِلَى الْمَقَابِرِ وَالْأَحَادِ وَأَنْتَقَلُوا
وَالدَّارُ أَهْلَةٌ وَالْحَبْلُ مُتَّصِلٌ
فَلَمْ يُقِيمُوا وَعَنْ أَحْبَابِهِمْ شُغِلُوا
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَيْنَهُمْ نَزَلُوا
وَلِلْحَرِيصِ عَلَيْهَا عَقْلُهُ هَبْلٌ
طَالَ الْمَدَى غَرَّهُ الْأَمْهَالُ وَالْأَمَلُ
إِلَى الْقُبُورِ الَّتِي تَعْيَا بِهَا الْحَيْلُ

فِيهَا السُّؤَالُ وَكَمْ هَوَلٌ وَكَمْ فِتْنٌ
 وَفِي الْقُبُورِ نَعِيمٌ لِلتَّقِيِّ كَمَا
 قُلْ لِلْحَزِينِ الذِّي يَبْكِي أَحَبَّتُهُ
 فَسَوْفَ تَشْرَبُ بِالْكَأْسِ الذِّي شَرَبُوا
 فَاعْنَمِ بَقِيَّةَ عُمُرٍ مَرَّ أَكْثَرُهُ
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُوْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ،
 وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ
 عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْتَبِينَ ، الْغُرِّ الْمُحَجَّجِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبَّلِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً ، وَمِيتَةً
 سَوِيَّةً ، وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ
 بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدَعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
 فَصَلْ : ثُمَّ اعْلَمْ أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَآيَاكَ الرِّضَا بِقَضَائِهِ وَقَدْرَهُ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكَ
 وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ الْاسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَانَا أَنَّهُ مَا مِنْ مَخْلُوقٍ مَهْمَا أَمْتَدَّ أَجَلُهُ وَطَالَ
 عُمُرُهُ إِلَّا وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِهِ وَخَاضِعٌ لِسُلْطَانِهِ .

وَلَوْ جَعَلَ اللَّهُ الْخُلُودَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لَكَانَ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ الْأَنْبِيَاءِ
 وَالرُّسُلِ الْمُطَهَّرِينَ الْمُقَرَّبِينَ .

وَكَانَ أَوْلَاهُمْ بِذَلِكَ صَفْوَةٌ أَصْفِيَاءُهُ وَخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ سَيِّدٌ وَوَلَدِ آدَمَ
 عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَالِدَ أَفَانٍ مِتَّ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .
فَالْمَوْتُ حَتْمٌ لَا مَحِيصَ وَلَا مَفْرَءَ مِنْهُ يَصِلُ إِلَيْنَا فِي أَيِّ مَكَانٍ كُنَّا قَالَ اللَّهُ
﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ .
وَلَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنَ الْمَوْتِ لَبَسَطَ فِي جِسْمِهِ أَوْ قُوَّةً فِي بَدَنِهِ أَوْ وَفْرَةً فِي مَالِهِ
أَوْ سَعَةً فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ لَنَجَا مِنَ الْمَوْتِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ .
وَالْأَفَائِنَ عَادَ وَثَمُودُ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ أَيْنَ الْكَاسِرَةِ وَأَيْنَ الْقِيَاصِرَةَ
وَالصَّنَادِيدُ الْأَبْطَالَ ذَهَبُوا فِي خَيْرٍ كَانَ .
شعراً :

سَلِ الْمَدَائِنَ عَمَّنْ كَانَ يَمْلِكُهَا هَلْ أَنْسَتَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ خَبْرًا
فَلَوْ أَجَابَتْكَ قَالَتْ وَهِيَ عَالِمَةٌ بِسِيرَةِ الذَّاهِبِ الْمَاضِي وَمَنْ غَبْرًا
أَرْتَهُمُ الْعِبْرَ الدُّنْيَا فَمَا اعْتَبَرُوا فَصَيَّرْتَهُمْ لِقَوْمٍ بَعْدَهُمْ عِبْرًا
آخر :

نَبِيَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعْتَهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
أَيْنَ الْأَكَاسِرَةِ الْجَبَابِرَةُ الْأَلَى كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا
مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لِحْدٍ ضَيِّقُ
فَالْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسُ وَالْمُسْتَغْرُ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ
فَالْمَوْتُ لَا يَخْشَى أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ وَلَا يَبْقِي عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ وَيَهْجُمُ عَلَى
الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْقَوِي وَالضَّعِيفِ وَالْمُعَالِجِ وَالْمُعَالَجِ وَالغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالرَّئِيسِ
وَالْمَرْؤُوسِ وَكُلِّ عِنْدَهُ عَلَى السَّوَى كَمَا قِيلَ :

هُوَ الْمَوْتُ مَثَرٌ عِنْدَهُ مِثْلُ مُعْدِمٍ وَقَاصِدٌ نَهَجٌ مِثْلُ آخِرِ نَاكِبٍ
وَدِرْعُ الْفَتَى فِي حُكْمِهِ دِرْعُ غَادَةٍ وَأَبْيَاتُ كِسْرَى مِنْ بُيُوتِ الْعِنَاكِبِ
آخر :

إِذَا نَزَلَ الْمَقْدُورُ لَمْ تُلَفِ لِلْقَطَا نُهوضاً وَلَا لِلْمُخَدِرَاتِ إِبَاءُ

فَمَتَى لَزِمَ ذَلِكَ وَدَاوَمَ عَلَيْهِ بَتَدْبِيرٍ وَتَفَكَّرَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ عَظُمَتْ مَعْرِفَتُهُ بِالْمَوْتِ وَفَجَائَتِهِ وَأَنَّهُ نَازِلٌ بِهِ كَمَا نَزَلَ بِمَنْ مَضَى قَبْلَهُ لَا مَحَالَةَ فَإِذَا عَظُمَتْ مَعْرِفَتُهُ بِذَلِكَ قَصُرَ أَمَلُهُ فَإِذَا قَصُرَ أَمَلُهُ حَذِرَ قَلْبُهُ مِنَ الْمَوْتِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ فَإِذَا كَانَ مُرْتَقِبًا لَهُ سَارَعَ إِلَى الْأَسْتِعْدَادِ لَهُ وَالْأُسْتِيبَاقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَ الْفَوَاتِ .

لَا شَيْءَ يَبْقَى سِوَى خَيْرٍ تُقَدِّمُهُ مَا دَامَ مُلْكٌ لِإِنْسَانٍ وَلَا خَلْدًا فَاْمَهْدُ لِنَفْسِكَ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَالتَّوْبُ مُقْتَبَلٌ فَاللَّهُ قَدْ وَعَدَا وَلَا بَأْسَ بِالتَّدَاوِي إِذَا وَقَعَ بِهِ مَرَضٌ أَوْ وَجَعٌ بَمَا هُوَ مُبَاحٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزَلْ دَاءٌ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنْ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزَلْ دَاءٌ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً إِلَّا الْهَرَمَ فَعَلَيْكُمْ بِالْبَانَ الْبَقْرِ فَإِنَّهَا تَرُمُّ مِنْ كُلِّ شَجَرٍ » .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزَلْ دَاءٌ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ إِلَّا السَّامُ وَهُوَ الْمَوْتُ » . فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ الشِّفَاءَ يَسِّرَ ذَلِكَ لِلْعَبْدِ وَوَفَّقَهُ لِاسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ عَلَى وَجْهِهِ وَفِي وَقْتِهِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ عَلَى قَوْلِهِ لَمْ يَضَعْ دَاءٌ إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً هَذِهِ الْكَلِمَةُ صَادِقَةٌ لِأَنَّهَا خَبْرٌ عَنِ الصَّادِقِ الْمُصَدِّقِ عَنِ الْخَالِقِ الْقَدِيرِ أَلَّا يَعْلَمَ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فَالدَّاءُ وَالدَّوَاءُ خَلَقَهُ وَالشِّفَاءُ وَالهَلَاكُ فَعَلَهُ وَرَبَطَ الْأَسْبَابَ بِالْمُسَبِّبَاتِ حِكْمَتُهُ وَحُكْمُهُ فَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدْرِ لَا مَعْدِلَ عَنْهُ .

شِعْرًا : تَوْقِي الدَّاءِ خَيْرٌ مِنْ تَصَدِّ لِأَيْسَرِهِ وَإِنْ قَرُبَ الطَّيِّبُ

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ عَلَى قَوْلِهِ جَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ وَمَا يَدْخُلُ فِيهَا مَا يَقَعُ لِبَعْضِهِمْ أَنَّهُ يُدَاوِي مِنْ دَاءٍ بِدَاوٍ فَيَبْرَأُ ثُمَّ يَعْتَرِيهِ ذَلِكَ الدَّاءُ فَلَا يَنْجَحُ وَسَبَبُهُ الْجُهْلُ بِحِسَابِهِ مِنْ صِفَاتِ الدَّوَاءِ فَرُبَّ مَرِيضِينَ تَشَابَهَا وَيَكُونُ أَحَدُهُمَا مُرْكَبًا لَا يَنْجَحُ

فيه مَا يَنْجَعُ فِي غَيْرِ الْمَرْكَبِ فَيَقَعُ الْخَطَأُ وَقَدْ يَكُونُ مُتَّحِدًا لَكِنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَنْجَحَ وَهَنَا تَخَضَعُ رِقَابُ الْأَطِبَاءِ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّ الطَّبِيبَ لَذُو عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٍ مَا دَامَ فِي أَجْلِ الْإِنْسَانِ تَأْخِيرٌ
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُدَّتِهِ حَارَ الطَّبِيبُ وَخَانَتْهُ الْعَقَاقِيرُ
وَمَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى الاستعدادِ لِلْمَوْتِ مَا يَلِي :

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقُنَ أَسْحَارًا
كَمْ قَدْ أَبَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ مَلِكٍ قَدْ كَانَ فِي الدَّهْرِ نَفَاعًا وَضَرَارًا
يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَارًا
هَلَّا تَرَكْتَ مِنَ الدُّنْيَا مُعَانِقَةً حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارًا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمِنَ الدَّارَا

قال أبو الحسين الأهوازي في كتاب الفرائد والقلائد الدنيا لا تصفو
لشارب . ولا تبقى لصاحب . فخذ زاداً من يومك لغدك فلا يبقى يوم
عليك ولا غد .

ويقال إنه كان على قبر يعقوب بن ليث مكتوباً هذه الأبيات عملها قبل
موته وأمر أن تكتب على قبره وهي هذه :

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ كَانَهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرْبَةً وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسِ
فَقَدْ جَاءَنِي الْمَوْتُ الْمُهُولُ بِسَكْرَةٍ فَلَمْ تُغْنِ عَنِي أَلْفُ آلَافِ فَارِسِ
فِيَا زَائِرَ الْقَبْرِ اتَّعِظْ وَاعْتَبِرْ بِنَا وَلَا تَكُ فِي الدُّنْيَا هُدَيْتَ بِأَنْسِ
خِرَاسَانَ نَحْوِيهَا وَأَطْرَافَ فَارِسِ وَمَا كُنْتُ عَنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بِأَيْسِ
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا وَطِيبِ نَعِيمِهَا كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْقُوبُ فِيهَا بِجَالِسِ
وَأَقْبَلْ رَجُلٌ مِنَ الْمَقْبَرَةِ فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ فَقَالَ مِنَ الْقَافِلَةِ النَّازِلَةِ
قِيلَ لَهُ مَاذَا قُلْتَ لَهُمْ وَمَاذَا قَالُوا لَكَ .

قال : قُلْتُ لَهُمْ مَتَى تَرَحَّلُونَ ؟ قالوا : حِينَ يَنْتَهِي الْقَادِمُونَ . وقال
 آخَرُ أَجَالِسُ قَوْمًا إِنْ حَضَرْتُ وَعَظَوْنِي وَلَمْ يُؤْذُونِي وَإِنْ غَبْتُ لَمْ يَغْتَابُونِي يُرِيدُ
 الْمَوْتَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي غَدِّ عَنْهُ إِرْتِحَالٌ وَكَيْفَ أَشِيدُ فِي يَوْمِي بِنَائِي
 فَإِنَّ الْقَاطِنِينَ عَلَى ارْتِحَالِ فَلَا تَنْصِبْ خِيَامَكَ فِي مَحَلِّ
 وَلَعَلَّ غَيْرَكَ صَاحِبُ اللَّيْلِ آخِرُ : زَيَّنْتَ بَيْتَكَ جَاهِدًا وَعَمَرْتَهُ
 وَهَلَاكُهُ فِي سَوْفِهِ وَاللَّيْلِ وَالْمَرْءُ مُرْتَهَنٌ بِسَوْفٍ وَلَيْتَنِي
 تَبَقُّظُ فَإِنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاصِحٌ أَلَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي نَوْمِ عَقْلَةٍ
 أَتَاهُ الرَّدَى فِي نَوْمِهِ وَهُوَ صَاحِبٌ فَكَمْ نَائِمٌ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ غَافِلٌ
 وَقَامَتْ عَلَيْهِ لِلطُّيُورِ نَوَاحٌ فَشَقَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ جَيْبَ صَبَاحِهِ

اللهم يا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوبِنَا وَاسْتُرْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 عُيُوبَنَا وَاعْفِرْ بَعْفُوكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا مُوَبِقَاتِ الْجَرَائِرِ وَاسْتُرْ عَلَيْنَا
 فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ وَلَا تُخْلِنَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَلَا تَتْرُكْنَا
 مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَاحْسَانِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْإِكْتِسَارَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ مُسْتَحَبٌّ مُرَغَّبٌ فِيهِ وَلَهُ مَنَافِعُ
 وَفَوَائِدُ جَلِيلَةٌ مِنْهَا قِصْرُ الْأَمَلِ ٢ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ٣ الْقَنَاعَةُ مِنْهَا بِالْيَسِيرِ
 ٤ الرِّغْبَةُ فِي الْآخِرَةِ ٥ التَّزَوُّدُ لِلْآخِرَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ٦ الْإِعْتِنَاءُ بِالْوَصِيَّةِ
 وَالْمُبَادَرَةُ فِيهَا ٧ الْإِبْتِعَادُ عَنِ الْمَعَاصِي .

وَوَرَدَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ أَكْثَرُوا ذِكْرَهَا ذِمَّ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ وَكَانَ ﷺ إِذَا
 ذَهَبَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا
 الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ .

وَمَا سُئِلَ ﷺ عَنِ الْاَكْيَاسِ مِنَ النَّاسِ مَنْ هُمْ قَالَ اَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَاَحْسَنُهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا اُولَئِكَ الْاَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِ الْاٰخِرَةِ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اَكْثَرُوا ذَكَرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ فَاِنَّهُ مَا كَانَ فِي كَثِيرٍ اِلَّا جَزْأَهُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِاسْنَادٍ حَسَنٍ .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ بمَجْلِسٍ قَوْمٍ وَهُمْ يَضْحَكُونَ فَقَالَ اَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهَا ذِمَّ اللَّذَاتِ اَحْسِبُهُ قَالَ : فَاِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ اَحَدٌ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ اِلَّا وَسَّعَهُ وَلَا فِي سَعَةٍ اِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ رَوَاهُ الْبَزَارُ بِاسْنَادٍ حَسَنٍ وَابِيهَيْهِ بِاِخْتِصَارٍ .

وفي حديث أبي ذر قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا كَانَتْ صُحُفُ اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ كَانَتْ عِبْرًا كُلُّهَا : عَجِبْتُ لِمَنْ اَيَقَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ هُوَ يَفْرَحُ عَجِبْتُ لِمَنْ اَيَقَنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ عَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَبَّلَهَا بِاَهْلِهَا ثُمَّ اَطْمَأَنَّ اِلَيْهَا وَعَجِبْتُ لِمَنْ اَيَقَنَ بِالْحِسَابِ عَدًّا ثُمَّ لَا يَعْمَلُ رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ شَعْرًا :

وجيران صدق لا تراور بينهم
 كأن حواتيماً من الطين فوقهم
 آخر: قف بالقبور وقل على ساحاتها
 ومن المكرم منكم في قعرها
 أما السكون لذي العيون فواحد
 لو جاؤوك لأخبروك بالسن
 أما المطيع فنازل في روضة
 والمجرم الطاغى بها متقلب
 وعقارب تسعى إليه فروحه
 آخر:

على قرب بعض في التجاور من بعض
 فليس لها حتى القيامة من فض
 من منكم المغمور في ظلماتها
 قد ذاق برد الأمن من روعاتها
 لا يستبين الفضل في درجاتها
 تصف الحقائق بعد من حالاتها
 يفضي إلى ما شاء من دوحاتها
 في حفرة يأوي إلى حياتها
 في شدة التعذيب من لدغاتها

تباين في أحوالها وتخالف
 وفي جانب منها تقوم ماتم

فمن كان فيها قاطناً فهو ظاعنٌ ومن كان فيها آمناً فهو خائفٌ
ووجد مكتوب على جدار محلة قديمة بغربي بغداد :

هذي منازل أقوام عهدتهم في خفض عيشٍ وعزم ماله خطرٌ
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثرٌ
آخر :

ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً لم يدري أن المايا عنه تزعجه
من كان يعلم أن الموت مدرجه والقبر منزله والبعث محرجه
وأنه بين جنات ستهجه يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج وما أقام عليه فهو أسمجه

وعن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس إلى
قبر منها فقال ما يأتي على هذا القبر يوم إلا وهو ينادي بصوتٍ ذلتي طلق يا ابن
آدم نسيتني ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود
وبيت الضيق إلا من وسعني الله عليه ثم قال رسول الله ﷺ القبر إما روضة
من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار رواه الطبراني في الأوسط .

ثم إن الناس في هذا المقام على أقسامٍ منهم المنهمك في الدنيا المحب
لشهواتها فهذا يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت وإن ذكر به كرهه ونفر وأشأز
منه وتناساه وربما كره الذي ذكر الموت وتباعد عنه ، وقسم منهم أيضاً
وغارق في بحور الدنيا ولا يذكر الموت وإن ذكره فذكره له تأسفاً على دنياه
ومفارقةً لها .

وأقرب علاج لهذا القسم أن يطيلوا التفكير ليلهم ونهارهم في أجل
هذه الحياة وهم إذا فكروا في ذلك عرفوا قطعاً أنهم تاركوها ولا بد وليس ذلك
بعد مائة سنة بل هم في كل لحظة مهتدين بفراق الدنيا مرغمين لا مختارين
ويتركون كل شيءٍ وحينئذ يستوي من يملك الملايين والعمارات والقناطير

المقنطرة من الذهب والفضة والأراضي والملايين والبلايين مما ذكر .
 وَمِنْ لَا يَمْلِكُ مِنْهَا إِلَّا ثَوْبُهُ فَقَطُّ يَسْتَوِيَانِ فِي أَنَّ كَلًّا مِنْهَا كَأَنَّهُ لَمْ يَرِ هَذَا
 الوجود ولكنهما يختلفان اختلافاً عظيماً في برزخهما وفي آخرتهما ، ومن الدواء
 النافع لمن أصيب بمرض حُبِّ الدنيا أن ينظر بعينه إلى مَنْ في المستشفيات
 مِنَ المَرْضَى الَّذِينَ تَنَوَّعتْ أَمْرَاضُهُمْ وَبودَّ أَحدهم لو مَلَكَ الدُّنْيَا وَبَدَّلَهَا لِمَنْ
 يَشْفِيهِ مِنْ مَرَضِهِ أَوْ يُخَفِّفُهُ عَنْهُ .

شعراً :

مَنْ عَاشَ لَمْ يَخُلْ مِنْ هَمٍّ ، وَمِنْ حَزَنِ
 وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا عَلَى سَفَرٍ
 وَكُنَّا بِالرَّدَى ، وَالْمَوْتِ مُرْتَهِنٌ
 بَيْنَ المَصَائِبِ ، مِنْ دُنْيَاهُ وَالْمَحَنِ
 فَرَا حُلٌّ خَلَّفَ البَاقِي عَلَى الظَّعَنِ
 فَمَا نَرَى فِيهِمَا فَكًّا لِمُرْتَهَنِ

آخر :

وَقَلَّ غِنَاءُ عَنكَ مَالًا جَمَعْتَهُ إِذَا كَانَ مِيرَاثًا وَوَارَاكَ لِأَحَدٍ
 وَكَذَلِكَ يَنْظُرُ إِلَى المَوْتَى الَّذِينَ يَمُوتُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي المُسْتَشْفِيَّاتِ وَغَيْرِهَا
 مِنْ مِثْلِهِ فِي السَّنِّ وَأَقَلُّ وَأَكْبَرُ وَيَنْظُرُ إِلَى الَّذِينَ يَمُوتُونَ حَوْلَهُ مِنْ أَبْنَائِهِ وَإِخْوَانِهِ
 وَأَحْبَابِهِ وَجِيرَانِهِ وَمَنْ تَقَعُ عَلَيْهِمْ عَيْنُهُ قَائِلًا لِنَفْسِهِ أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ
 فَإِذَا أَدْعَنْتَ وَاعْتَرَفْتَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَادِرَهَا بِقَوْلِهِ إِذَا سَتَكُونِينَ مِثْلَهُمْ .

فَمَعَ تَكَرَّرَ هَذَا تَبَدُّلُ حَالِهِ بِإِذْنِ اللّهِ وَتَهْوُنُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَيَسْهَلُ عَلَيْهِ
 إِخْرَاجَ الأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ مَهْمًا كَثُرَتْ إِنَّ هَذَا المَنْظَرَ تَنْصَدِعُ لَهُ القُلُوبُ انْصِدَاعًا
 لَا تَهْوُنُ بِهَا الدُّنْيَا فَقَطُّ وَلِذَلِكَ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا شِيعَ جَنَازَةٌ رَجَعَ لَا
 يَعْجِي وَرَبِّمَا مَكَثَ أَيَّامًا مَرِيضًا مِنْ هَذَا الهَوْلِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ وَأَذْهَلَهُ حَتَّى عَنَ
 نَفْسِهِ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَمْ أَرَى كَالْأَمْوَاتِ أَفْجَعَ مَنْظِرًا وَلَا وَاعِظِي جُلَاسِهِمْ كَالْمَقَابِرِ
 وَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَكَذَا وَهُوَ يَرَى أَحَدَ إِخْوَانِهِ جُثَّةً هَامِدَةً فِي مُتْنَهِي

الْخُضُوعَ لِمَنْ يُودَعُونَ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ الْمُظْلِمَةِ لَا يُنَازِعُهُمْ عِنْدَ ادْخَالِهِمْ لَهُ فِي
أَيِّ تَصَرُّفٍ يَتَصَرَّفُونَهُ فِيهِ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ تَضَيُّقٌ عَنَّهُ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِهَا .
شعرا :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَقِصْرُكَ الْمَوْتُ لَا مَزَّ حَلٌّ عَنْهُ وَلَا فَوْتُ
يَبْنَا غِنَى يَتِّ وَبِهَجَّتْهُ زَالَ الْغِنَى وَتَقَوَّضَ الْبَيْتُ
آخِر :

وقبلك ذاوى المريض الطيب فَعَاشَ الْمَرِيضَ وَمَاتَ الطَّيِّبَ
فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِدَارِ الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبٌ
شِعْرًا :

لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمَشِيدِ هَلْ وَجَدْتَ الْيَوْمَ فِيهِ مِنْ مَزِيدٍ
وَهَلِ الْبَاطِنُ فِيهِ مِثْلَ مَا هُوَ فِي الظَّاهِرِ تَزْوِينًا وَشَيْدٍ
وَهَلِ الْمَضْجَعُ فِيهِ لَيْنٌ أَوْ سَعِيرٌ مَالَهَا فِيهِ خُمُودٌ
وَهَلِ الْأَرْكَانُ فِيهِ بِالتُّمَى نَبَاتٌ أَوْ بِأَعْمَالِكَ السُّودُ
لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنِ الْقَبْرِ الْمَشِيدِ أَشَقِي أَنْتَ فِيهِ أُمُّ سَعِيدٍ
أَقْرَبُ أَنْتَ مِنْ رَحْمَةٍ مَنْ وَسِعَ الْعَالَمَ إِحْسَانًا وَجُودٌ
أَمْ بَعِيدٌ أَنْتَ مِنْهَا فَلَقَدْ طَرِقتُ دَارُكَ بِالْوَيْلِ الْبَعِيدِ
وَلَقَدْ حَلَّ بِأَرْجَائِكَ مَا ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ مَا فِي ذَا الْوُجُودِ
أَيُّهَا الْعَافِلُ مِثْلِي وَإِلَى كَمْ نَعَامِي وَتَلْوِي وَتَحِيدِ
أُذُنٌ فَاقِرًا فَوْقَ رَأْسِي أَحْرَفًا خَرَجْتَ وَيَحَكَ مِنْ قَلْبِ عَمِيدِ
صَرَعَتْهُ فِكْرَةٌ صَادِقَةٌ وَهُمُومٌ كُلَّمَا تَمَضَى تَعُودُ
وَنَدَامَاتٌ لِأَيَّامٍ مَضَتْ هُوَ مِنْهَا فِي قِيَامٍ وَقُعُودِ
وَعَدَا تَرْجِعُ مِثْلِي فَاتَّعِظْ بِنِي وَإِلَّا فَاْمُضِ وَأَعْمَلْ مَا تُرِيدُ
قَدْ نَصَحْنَاكَ فَإِنْ لَمْ تَرَهُ سِيرَاهُ بَصَرَ مِنْكَ حَدِيدِ

آخر : شعراً :

كأني بنفسي وهي في السكراتي
وقد زُمَ رحلي واستقلت ركائبي
إلى منزل فيه عذاب ورحمة
ومن أعين سالت على وجناتها
ومن وارد فيه على ما يسره
وقال آخر :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
آخر :
الحمد لله ثم الحمد لله
ماذا يرى المرء ذو العيتين من عجب
آخر :

إذا ما صار فرشي من تراب
فهنوني أصيحا بي وقولوا
وبت مجاور الرب الرحيم
لك البشري قدمت على الكريم

وقسم تائب يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف فيفي بتمام التوبة
وربما يكره الموت خشية أن يختطفه قبل تمام توبته وقبل إصلاح الزاد ولا يدخل
هذا تحت قول النبي ﷺ من كره لقاء الله كره الله لقاءه لأن هذا لا يكره
لقاء الله بل يكره فوت لقاءه .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ من أحب لقاء
الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقلت يا نبي الله أكرهية
للموت فكلنا يكره الموت قال ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله
ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا بشر بعذاب
الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه .

وفي رواية شريح بن هانئ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من

أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ قَالَ فَاتَيْتُ
عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا
إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا .

فَقَالَتْ إِنَّ أَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا ذَاكَ ، قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ
لِقَاءَهُ وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ .

فَقَالَتْ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ بِالَّذِي نَذَهَبُ إِلَيْهِ وَلَكِنْ إِذَا
شَخَصَ الْبَصَرَ وَحَشَرَ الصَّدْرَ وَأَقْشَعَرَ الْجِلْدَ وَتَشَنَجَتِ الْأَصَابِعُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ رواه مسلم .

أخرج ابن المبارك وأحمد والطبراني في الكبير عن معاذ بن جبل أن رسول
الله ﷺ قال إن شئتم أنباتكم ما أول ما يقول الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة
وما أول ما يقولون له .

قُلْنَا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي
فَيَقُولُونَ نَعَمْ يَا رَبَّنَا فَيَقُولُ لِمَ ، فَيَقُولُونَ رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ فَيَقُولُ قَدْ
وَجَبَتْ لَكُمْ مَغْفِرَتِي .

وأخرج ابن المبارك عن عتبة بن مسلم قال ما من خصلة في العبد
أحب إلى الله من أن يحب لقاءه .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن مجاهد ، قال ما من مرض يمرضه
العبد إلا ورسول ملك الموت عنده ، حتى إذا كان آخر مرض يمرضه
العبد ، أتاه ملك الموت عليه السلام .

فقال أتاك رسول بعد رسول ونذير بعد نذير فلم تعبأ به ، وقد أتاك
رسول يقطع أثرك من الدنيا . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم .

شعرا : أين الذين على عهد الثرى وطئوا وحكموا في لذيد العيش فاحتكموا

وَمُلْكُوا الْأَرْضَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَخُولُوا نِعْمًا مَا مَثَلَهَا نِعْمٌ
لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ عَلَى ظَنِّ الْقُلُوبِ بِهِمْ إِلَّا رُسُومٌ قُبُورٍ حَشَوَهَا رِمَمٌ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل وعن أنسٍ أن النبي ﷺ قال إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله
قِيلَ كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ قَالَ يُؤَفِّقُهُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ .

وأخرج أحمد والحاكم عن عمرو بن الحمق قال قال رسول الله ﷺ إذا
أحبَّ الله عبداً غسله .
قالوا وما غسله قال يُؤَفِّقُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ حَتَّى يَرْضَى
عَنْ جِرَانِهِ .

« وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَتَقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً فِي النَّاسِ »
وأخرج ابن أبي الدنيا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعاً « إذا
أراد الله بعبد خيراً بعث إليه قبل موته بعامٍ ملكاً يسدده ويؤفقه حتى يموت
على خيرٍ أحيينه فيقول الناس مات فلان على خيرٍ أحيينه » .
فإذا حضر ورأى ما أعدَّ الله له جعل يتهوع نفسه من الحرص على
أن تخرجَ فهناك أحب لقاء الله وأحب لقاءه .

وإذا أراد الله بعبدٍ شراً فيض له قبل موته بعامٍ شيطاناً يضلُّه ويغويه
حتى يموت على شرٍّ أحيينه فيقول الناس قد مات فلان على شرٍّ أحيينه .
فإذا حضر ورأى ما أعدَّ الله جعل يتبلع نفسه كراهية أن تخرجَ فهناك
كره لقاء الله وكره لقاءه .

وأخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول
الله ﷺ « إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ رَشْحًا وَإِنَّ نَفْسَ الْكَافِرِ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ نَفْسُ
الْحِمَارِ .

وإنَّ المؤمنَ ليعملُ الخطيئةَ فيشددُ بها عليه عند الموت ليُكفرَ بها عنه .
وإنَّ الكافرَ ليعملُ الحسنةَ فيسهلُ عليه عند الموت ليُجزى بها » .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ قَالَ إِذَا بَقِيَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ ذَنْبِهِ شَيْءٌ لَمْ يَبْلُغْهُ بِعَمَلِهِ شُدُّدٌ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ لِيَبْلُغَ بِسَكَرَتِ الْمَوْتِ وَشِدَائِدِهِ دَرَجَتَهُ مِنَ الْجَنَّةِ .

وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً في الدنيا هُوَنٌ عليه الموت لِيَسْتَكْمِلَ ثَوَابَ مَعْرُوفِهِ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لِيَصِيرَ إِلَى النَّارِ .

وأخرج ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُؤَجَّرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الْكَفِّ عِنْدَ الْمَوْتِ » .

الكَفُّ الهمُّ الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلَأُ الْجَوْفَ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي نَوَادِرِ الْأَصُولِ وَالْحَاكِمُ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « أَرْقَبُوا الْمَيِّتَ عِنْدَ مَوْتِهِ ثَلَاثًا .

إِنْ رَشَحَتْ جَبِينَهُ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَانْتَشَرَتْ مِنْخِرَاهُ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ قَدْ نَزَلَتْ بِهِ .

وإن غَطَّ غَطِيطَ الْبَكْرِ الْمَخْنُوقِ وَخَمَدَ لَوْنَهُ وَأَزِيدَ شِدْقَاهُ فَهُوَ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ قَدْ حَلَّ بِهِ .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال إن المؤمن يبقى عليه خطايا يجازي بها عند الموت فيعرق لذلك جبينه . وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن علقمة بن قيس أنه حضر ابن عم له وقد حضرته الوفاة فمسح جبينه فإذا هو يرشح .

فقال الله أكبر حدثني بن مسعود عن النبي ﷺ قال « مَوْتُ الْمُؤْمِنِ يَرِشُّ الْجَبِينَ وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا لَهُ ذُنُوبٌ يُكَافَأُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيَبْقَى عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ يُشَدَّدُ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ » .

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن علقمة أنه حضر ابن أخ له لما حضر (أي حضره الموت) فجعل يعرق جبينه فضحك فقل له ما يضحك .

قال سَمِعْتُ ابن مسعود يقول إن نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ رَشْحًا وَإِنَّ نَفْسَ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاجِرِ تَخْرُجُ مِنْ شِدْقِهِ كَمَا تَخْرُجُ نَفْسُ الْحِمَارِ .

وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَكُونُ قَدْ عَمِلَ السَّيِّئَةَ فَيَشَدُّ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيُكَفَّرَ بِهَا وَإِنَّ الْكَافِرَ أَوْ الْفَاجِرَ لَيَكُونُ قَدْ عَمِلَ الْحَسَنَةَ فَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْمُرُوزِيُّ عَنْ سَفْيَانَ قَالَ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ الْعَرَقَ لِلْمَيِّتِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّمَا يَعْرِقُ جَبِينَهُ حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ لِمَا اقْتَرَفَ مِنْ مُخَالَفَتِهِ لِأَنَّ مَا سَفَلَ مِنْهُ قَدْ مَاتَ .

وَإِنَّمَا بَقِيَتْ قُوَى الْحَيَاةِ وَحَرَكَاتُهَا فِيهَا عَلَاً وَالْحَيَاءُ فِي الْعَيْنَيْنِ .

وَالْكَافِرُ فِي عَمَى عَنْ هَذَا كُلِّهِ .

وَالْمَوْحِدُ الْمُعَذَّبُ فِي شُغْلٍ عَنْ هَذَا بِالْعَذَابِ الَّذِي قَدْ حَلَّ بِهِ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي اسْحَاقَ قَالَ قِيلَ لِمُوسَى كَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ الْمَوْتِ قَالَ كَسَفُودٍ أُدْخِلَ فِي جِزَّةِ صُوفٍ فَاْمْتَلَخَ (أَي جَذِبَ) قَالَ يَا مُوسَى قَدْ هَوَّنَ عَلَيْكَ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي الزُّهْدِ وَالْمُرُوزِيُّ فِي الْجَنَائِزِ عَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيَ اللَّهَ قِيلَ لَهُ كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ قَالَ وَجَدْتُ نَفْسِي كَأَنَّهَا تُنَزَعُ بِالسَّلَاسِلِ قِيلَ لَهُ قَدْ يَسِرْنَا عَلَيْكَ الْمَوْتَ .

وَرَوَى أَنَّ مُوسَى لَمَّا صَارَ رُوحَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ لَهُ رَبِّهِ يَا مُوسَى كَيْفَ وَجَدْتَ أَلْمَ الْمَوْتِ قَالَ وَجَدْتُ نَفْسِي كَالْعُصْفُورِ الْحَيِّ حِينَ يُقَالُ عَلَى الْمُقْتَلِ لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَنْجُو فَيَطِيرُ .

وَأَخْرَجَ الدِّيلَمِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ التَّفَكُّرُ فَمَنْ أَثْقَلَهُ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَجَدَ قَبْرَهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَافِعٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَاتُوا أَنْتَبَهُوا وَنَظَمَ هَذَا الْمَعْنَى

بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَإِنَّمَا النَّاسُ نِيَامٌ مَنْ يُمِتُّ مِنْهُمْ أَزَالَ الْمَوْتَ عَنْهُ وَسَنَّهَ

آخر : يا نفسُ إني قائلُ فاسمعي
 ما صحبَ الإنسانَ في قبره
 آخرُ : ثناءُ الفتى يبقى وَيَفنى ثراؤهُ
 فقد ماتَ أهلُ الدينِ والزهدِ والتقى
 آخر : إنَّ التقيَ أحلىَ الملابسِ كلِّها
 ويحلُّ صاحبُه بإحْسَنِ منزلٍ
 آخر : وما أعطى الإنسانَ إلا أcha التقيَ
 مقالتهُ من مُرشدٍ ناصحٍ
 غيرُ التقيِ والعَمَلُ الصَّالحُ
 فلا تكتسبُ بالمالِ شيئاً سوى الذِّكرِ
 وذكرهم غَضُّ جديدهُ إلى الحشرِ
 يَكسُو الرجالَ مهابةً وجمالاً
 يومَ القيامةِ والأَنامُ ذهالاً
 ومن كانَ اتقى كانَ بالمجدِ أجدرًا

(فَضْلٌ)

وأخرج ابنُ أبي الدنيا عن إبراهيم النخعي قال كانوا يستحبون أن
 يُلقنوا العبدَ محاسنَ عمله عند الموت حتى يُحسِنَ ظنَّهُ بربِّه .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن رجاء بن حيوة قال ما أكثر عبد ذكَّر الموت
 إلا تركَ الفرحَ والحسدَ .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهدِ عن أبي الدرداء قال من أكثر ذكر
 الموت قلَّ حسدُه وقل فرحُه .

وعن الربيع بن أنسٍ قال قال رسول الله ﷺ كفى بالموت مژهدًا في
 الدنيا ومُرغبا في الآخرة .

وعن عُمر بن عبد العزيز قال من قرَّب الموتِ من قلبه إستكثر ما في
 يديه .

وعن الحسن قال ما ألزَمَ عبدٌ قلبه ذكْر الموت إلا صغرت الدنيا عنده
 وهان عليه جميع ما فيها وعن قتادة قال كان يقال طوبى لمن ذكر ساعة الموت
 وقال حكيم كفى بذكر الموت للقلوب حياة للعَمَلِ .

وقال سميظ من جعل الموتَ نصبَ عينيه لم يُبالِ بضيقِ الدنيا ولا
 بسَعَتِها .

وعن كعبٍ قال من عرَفَ الموتَ هانت عليه مصائبُ الدنيا .

وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس قال إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه
ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله وإذا كان حياً فحوفوه .

وعن أبي ذر قال قال لي رسول الله ﷺ زُرِ الْقُبُورَ تَذَكَّرَ بِهَا الْآخِرَةَ .
واغسل الموتى فإن في معالجة جسدِ خاومِ موعظة بليغة .

وَصَلِّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَتَعَرَّضُ لِكُلِّ خَيْرٍ
شِعْرًا : إِذَا اللَّهُ لَمْ يَفْرَجْ لَكَ الشُّكَّ لَمْ تَزَلْ جَنِيئًا كَمَا اسْتَلَى الْجَنِيئَةَ قَائِدُ
أَخْرَجَ : وَمُحَرَّرٌ حَظِيئَةٌ يَوْمَ الْوَعْيِ مُنْسَابَةٌ مِنْ خَلْفِهِ كَالْأَرْقَمِ
تَتَضَاءَلُ الْأَبْطَالُ سَاعَةَ ذِكْرِهِ وَتَبَيَّتْ مِنْهُ فِي إِبَاءَةِ ضَيْغَمِ
شَرِسُ الْمَقَادَاةِ لَا يَزَالُ رَيْئَةً وَمَتَى يُحْسُ بِنَارِ حَرْبٍ يُقَدِّمِ
تَقْعُ الْفَرِيْسَةُ مِنْهُ فِي فَوْهَاءِ إِنْ يُطْرَحُ بِهَا صُومُ الْحِجَارَةِ يُحْطَمِ
ضَمَانَ لِلْدَّمِ لَا يَقُومُ بِرَبِّهِ إِلَّا الْمُرُوقُ فِي الْجُسُومِ مِنَ الدَّمِ
جَاءَتْهُ مِنْ قَبْلِ الْمُنُونِ إِشَارَةٌ فَهَوَى صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
وَرَمَى بِمُحَكِّمِ دِرْعِهِ وَبِرُمَحِهِ وَامْتَدَّ مُلْقَى كَالْبَعِيرِ الْأَعْظَمِ
لَا يَسْتَجِيبُ لِصَارِحٍ إِنْ يَدْعُهُ أَبَدًا وَلَا يُرْجَى لِحَظِيئِ مُعْظَمِ
ذَهَبَتْ بِسَالْتِهِ وَمَرَّ غَرَامُهُ لَمَّا رَأَى خَيْلَ الْمَنِيَّةِ تَرْتَمِي
يَا وَيْحَهُ مِنْ فَارِسٍ مَا بَالُهُ ذَهَبَتْ فُرُوسُهُ وَلَمَّا يُكَلِّمِ
هَذِي يَدَاهُ وَهَذِي أَعْضَاؤُهُ مَا مِنْهُ مِنْ عَضْوِ غَدَا بِمِثْلِمِ
هَيْهَاتَ مَا خَيْلُ الرَّدَى مُحْتَاجَةٌ لِلْمَشْرِفِيِّ وَلَا السِّنَانِ اللَّهْذَمِ
هِيَ وَيَحْكُمُ أَمْرُ الْإِلَهِ وَحُكْمُهُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْقَضَاءِ الْمُحَكِّمِ
يَا حَسْرَةً لَوْ كَانَ يُقَدَّرُ قَدْرُهَا وَمُصِيبَةٌ عَظُمَتْ وَلَمَّا تُعْظَمِ
خَبْرٌ عَلِمْنَا كُلَّنَا بِمَكَانِهِ وَكَأَنَّنا فِي حَالِنَا لَمْ نَعْلَمِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا لِمَا فِيهِ
صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ

المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس عن النبي ﷺ « أَكْثَرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يُمَحِّصُ الذُّنُوبَ وَيُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ عِنْدَ الْغِنَى هَدَمَهُ وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ عِنْدَ الْفَقْرِ أَرْضَاكُمْ بِعَيْشِكُمْ » .

وأخرج أيضا عن عطاء الخراساني قال مر رسول الله بمجلس قد اشتغلاه الضحك فقال شئوا مجلسكم بمكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت .

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان عن زيد السلمي أن النبي ﷺ كان إذا أنس من أصحابه غفلة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنيّة راتبه لازمة إما شقاوة وإما سعادة .

قال بعضهم من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ونشاط في العبادة .

ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة .

أخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لي لا أحب الموت قال لك مال قال نعم .

قال قدّمه فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدّمه أحب أن يلحق به وأخرج سعيد بن منصور عن أبي الدرداء قال موعظة بليغة وغفلة

سريعة كفى بالموت واعظا وكفى بالدهر مفرقا اليوم في الدور وعدا في القبور . وروى أن سعد بن أبي وقاص تمنى الموت ورسول الله ﷺ يسمع فقال

رسول الله ﷺ لا تتمن الموت .

فإن كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك وإن كنت من أهل النار فما يعجلك إليها .

وعن أم الفضل أن رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَعَمَّهُ الْعَبَّاسُ يَشْتَكِي
فَتَمَنَّى الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُ يَا عَمُّ لَا تَتَمَنَّى الْمَوْتَ .

فَإِنْ كُنْتَ مُحْسِنًا فَإِنْ تُؤَخَّرُ وَتَزْدَادُ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ
كُنْتَ مُسِيئًا ، فَإِنْ تُؤَخَّرُ وَتَسْتَعْتَبُ مِنْ إِسَاءَتِكَ خَيْرٌ لَكَ ، فَلَا تَتَمَنَّى الْمَوْتَ .
وأخرج أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ وَلَا يَدْعُ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ .

وعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ »
قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا فِي الْإِسْلَامِ إِذَا سَدَدُوا » .

وأخرج أحمد وابن زنجويه في ترغيبه عن أبي هريرة قال كان رجلاً من
حَيِّ قُضَاعَةَ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَشْهَدَ أَحَدُهُمَا وَأَخَّرَ الْآخَرُ سَنَةً .
قال طلحة بن عبيد الله فرأيت الجنة ورأيت المؤخر منها أدخل قبل
الشهيد فعجبت من ذلك .

فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ « أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ
وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ وَكَذَا وَكَذَا رَكْعَةَ صَلَاةِ سَنَةٍ » .

وأخرج أحمد والبراز عن طلحة أن النبي ﷺ قال « لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ
عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ لِتَسْبِيحَةٍ وَتَكْبِيرَةٍ وَتَهْلِيلَةٍ » .
وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال إن بقاء المسلم كل يوم غنيمَةً
لأداء الفرائض والصلوات وما يَرْزُقُهُ اللَّهُ مِنْ ذِكْرِهِ .

وأخرج بن أبي الدنيا عن إبراهيم بن أبي عبدة قال بلغني أن المؤمن إذا
مَاتَ تَمَنَّى الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِيُكَبِّرَ تَكْبِيرَةً أَوْ يُهْلِلَ تَهْلِيلَةً أَوْ يُسَبِّحَ
تَسْبِيحَةً .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَفْرَىءُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ .
وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةٌ التُّرْبَةُ عَذْبَةٌ الْمَاءُ وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا

سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ . رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن سلمان رضي الله عنه قال قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن في الجنة قيعان فأكثروا من غراسها » قالوا يارسول الله وما غراسها قال « سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ » .

واعلم رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ مِمَّا يُعِينُكَ عَلَى الْفِكْرَةِ فِي الْمَوْتِ وَيُفْرِّغُكَ لَهُ وَيُكْثِرُ اشْتِغَالَ فِكْرِكَ بِهِ تَذَكُّرُ مَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِكَ وَخِلَانِكَ وَأَصْحَابِكَ وَأَقْرَبِكَ وَزُمَلَانِكَ وَأَسَاتِذَتِكَ وَمَشَايِخَتِكَ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَكَ وَتَقَدَّمُوا أَمَامَكَ .
شعرا :

وَمُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَشِيدُ وَيُنْبِي دَائِمًا وَيُحْصِنُ
لَهُ حِينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةُ مُوقِنٍ وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ مَنْ لَيْسَ يُوقِنُ
عِيَانُ كَانِكَارٍ وَكَالْجَهْلِ عِلْمُهُ لِمَذْهَبِهِ فِي كُلِّ مَا يَتَّقِنُ
كَانُوا يَحْرِضُونَ حِرْصَكَ وَيَسْعُونَ سَعِيكَ ، وَيَأْمَلُونَ أَمْلَكَ ، وَيَعْمَلُونَ فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا عَمَلَكَ وَقَصَّتِ الْمُنُونُ أَعْنَاقَهُمْ وَقَصَمَتْ ظُهُورَهُمْ وَأَصْلَابَهُمْ ،
وَفَجَعَتْ فِيهِمْ أَهْلِيهِمْ وَأَحْبَاءَهُمْ وَأَقْرَبَاءَهُمْ وَجِيرَانَهُمْ فَأَصْبَحُوا آيَةً لِلْمُتَوَسِّمِينَ
وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

وَيَتَذَكَّرُ أَيْضًا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ بِالْمَلَابِسِ وَنَضَافَتِهَا وَنَضْرَةِ
بَشَرَتِهِمْ ، وَمَا كَانُوا يَسْحَبُونَهُ مِنْ أَرْدِيَةِ الشَّبَابِ وَأَنْتُهُمْ كَانُوا فِي نَعِيمٍ يَتَقَلَّبُونَ ،
وَعَلَى الْأَسِيرَةِ يَتَكَبَّرُونَ ، وَبِمَا شَاؤُوا مِنْ مَحَابِبِهِمْ يَتَنَعَّمُونَ .
وَفِي أَمَانِيهِمْ يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ ، لَا يُفَكِّرُونَ بِالزَّوَالِ ، وَلَا يَهْمُونَ
بِالنَّقَالِ ، وَلَا يَحْطُرُ الْمَوْتُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ ، قَدْ خَدَعَتْهُمْ الدُّنْيَا بِزَخَارِفِهَا ،
وَخَلْبَتُهُمْ وَخَدَعَتْهُمْ بِرَوْنِقِهَا ، وَخَدَّتْهُمْ بِأَحَادِيثِهَا الْكَاذِبَةِ ، وَوَعَدَتْهُمْ
بِمَوَاعِيدِهَا الْمُخْلَفَةِ الْغَرَارَةِ .

فَلَمْ تَزَلْ تُقْرَبُ لَهُمْ بَعِيدَهَا ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ مَشِيدَهَا ، وَتُلْبِسُهُمْ غَضَّهَا
وَجَدِيدَهَا ، حَتَّى إِذَا تَمَكَّنْتَ مِنْهُمْ عَلَاتُفَهَا ، وَتَحَكَّمْتَ فِيهِمْ رَوَاشِقَهَا ،

وَتَكشَّفَتْ لَهُمْ حَقَائِقُهَا ، وَرَمَقَتْهُمْ مِنَ الْمَنِيَّةِ رَوَاقِهَا .
فَوُتِبَتْ عَلَيْهِمْ وَثُبَّتِ الْحَقِيقُ وَأَعَصَّتْهُمْ غُصَّةُ الشَّرِيقِ ، وَقَتَلَتْهُمْ قَتْلَةَ
الْمُحْتَبِقِ ، فَكَمَّ عَلَيْهِمْ مِنْ عُيُونِ بَاكِيَّةٍ ، وَدُمُوعِ جَارِيَّةٍ ، وَخُدُودِ دَامِيَّةٍ ،
وَقُلُوبِ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ لِفَقْدِهِمْ خَالِيَّةٍ . وَأَشْدُّوا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَرِيَّانَ مِنْ مَاءِ الشُّبَابِ إِذَا مَشَى
يَمِيدُ عَلَى حُكْمِ الصَّبَا وَيَمِيدُ
تَعَلَّقَ مِنْ دُنْيَاهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ
خُلُوبًا لِأَلْبَابِ الرِّجَالِ تَصِيدُ
فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي حَصِيدٍ وَقَائِمِ
وَاللَّمْرُ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدُ
خَلَا بِالْأَمَانِيِّ وَاسْتَطَابَ حَدِيثُهَا
فَيَنْقُصُ مِنْ أَطْمَاعِهِ وَيَزِيدُ
وَأَذَنْتَ لَهُ الْأَشْيَاءَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ
وَتَفْعَلُ تُدْنِي الشَّيْءَ وَهُوَ بَعِيدُ
أَتِيحَتْ لَهُ مِنْ جَانِبِ الْمَوْتِ رَمِيَّةٌ
فَرَّاحَ بِهَا الْمَعْرُورُ وَهُوَ حَصِيدُ
وَصَارَ هَشِيمًا بَعْدَمَا كَانَ يَانِعًا
وَعَادَ حَدِيثًا يَنْقُضِي وَيَبِيدُ
كَأَنَّ لَمْ يَنْلُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَذَّةً
وَلَا طَلَعَتْ فِيهِ عَلَيْهِ سَعُودُ
تَبَارَكَ مَنْ يُجْرِي عَلَى الْخَلْقِ حُكْمَهُ .

فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ مَجِيدُ
اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجَّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ
الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحَبِهِ أَجْمَعِينَ .

تنبيه

قال القرطبي لِتَشْدِيدِ يَدِ الْمَوْتِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَائِدَتَانِ إِحْدَهُمَا تَكْمِيلُ فَضَائِلِهِمْ وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ نَقْصاً وَلَا عَذَاباً بَلْ هُوَ كَمَا جَاءَ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ .

والثانية أَنْ تَعْرِفَ الْخَلْقَ مِقْدَارَ أَلْمِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ بَاطِنٌ وَقَدْ يَطَّلِعُ الْإِنْسَانُ عَلَى بَعْضِ الْمَوْتَى فَلَا يَرَى عَلَيْهِ حَرَكَةً وَلَا قَلْقاً وَيَرَى سُهولةَ خُرُوجِ رُوحِهِ فَيُظَنُّ سُهولةَ أَمْرِ الْمَوْتِ وَلَا يَعْرِفُ مَا الْمَيِّتُ فِيهِ .

فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءُ الصَّادِقُونَ فِي خَبَرِهِمْ شِدَّةَ أَلْمِهِ مَعَ كَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى قَطَعَ الْخَلْقُ بِشِدَّةِ الْمَوْتِ الَّذِي يُقَاسِيهِ الْمَيِّتُ مُطْلَقاً لِإِخْبَارِ الصَّادِقِينَ عَنْهُ مَا خَلَا الشَّهِيدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَهَى .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلْمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلْمَ مَسِّ الْقَرْصَةِ » أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْمَرْضِ وَالْكَفَارَاتِ وَابْنُ مَنِيْعٍ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أَخْبَرْتُكَ بِأَمْرِ حَقٍّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ .

قُلْتُ بَلَى قَالَ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا كَبِيرًا وَجَلَالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ .

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبُضَ رُوحِي فِي مَرَضِي هَذَا فَاجْعَلْ رُوحِي فِي أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى وَأَعِزَّنِي مِنَ النَّارِ كَمَا أَعَدْتَ أَوْلِيائِكَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى » .

فَإِنَّ مَتَّ فِي مَرَضِكَ ذَلِكَ فَإِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَفْتَرْتَ ذُنُوبًا تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

سَبِيلُ الْخَلْقِ كُلِّهِمُ الْفَنَاءُ فَمَا أَحَدٌ يَدُومُ لَهُ الْبَقَاءُ

يُقَرَّبُنَا الصَّبَاحُ إِلَى الْمَنِيَا وَيُذِنِنَا إِلَيْهِنَ الْمَسَاءُ
فَلَا تَرَكَبْ هَوَاكَ وَكُنْ مُعَدًّا فَلَيْسَ مُقَدَّرًا لَكَ مَا تَشَاءُ
أَتَأْمَلُ أَنْ تَعِيشَ وَأَيُّ غُضَنِ عَلَى الْأَيَّامِ طَالَ لَهُ النَّمَاءُ
تَرَاهُ أَخْضَرَ الْعِيدَانَ غَضًّا فَيُصْبِحُ وَهُوَ مُسَوِّدٌ غُثَاءُ
وَجَدْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا غَرُورًا مَتَى مَا تُعْطَى يُرْتَجَعُ الْعَطَاءُ
فَلَا تَرَكَنْ إِلَيْهَا مُطْمَئِنًّا فَلَيْسَ بِدَائِمٍ مِنْهَا الصَّفَاءُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فَضْلٌ)

قال ابن الجوزي رحمه الله : إخواني إنَّ الذُّنُوبَ تُعْطِي عَلَى الْقُلُوبِ فَإِذَا
أُظْلِمَتْ مِرَاةَ الْقَلْبِ لَمْ يَبِينْ فِيهَا وَجْهُ الْهُدَى وَمَنْ عَلِمَ ضَرَرَ الذُّنْبِ اسْتَشْعَرَ
النَّدَمَ . يَلْ مَنْ أَعْمَالُهُ إِذَا تُؤْمِلَتْ سَقَطَ ، كَمْ أُثْبِتَ لَهُ عَمَلٌ قَلَمًا عَدِمَ الْإِخْلَاصُ
سَقَطَ ، يَا حَاضِرِ الذُّهْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا جَاءَ الدِّينُ خَلَطَ ، يَجْعَلُ هَمَّهُ فِي
الْحِسَابِ فَإِذَا صَلَّى اخْتَلَطَ .

يَا سَاكِنًا عَنِ الصَّوَابِ فَإِذَا تَكَلَّمَ لَقَطَ ، يَا قَرِيبَ الْأَجْلِ وَهُوَ يَجْرِي مِنَ
الزَّلِيلِ عَلَى نَمَطٍ .

يَأْمَنُ لَا يَعْطُهُ وَهَنْ الْعَظْمِ وَلَا كَلَامُ الشَّمَطِ ، يَأْمَنُ لَا يَزْعَوِي وَلَا يَنْتَهِي
بَلْ عَلَى مِنْهَاجِ الْخَطِيئَةِ فَقَطْ ، وَيَحْكُ بَادِرُ هَذَا الزَّمَانِ فَالصِّحَّةُ غَيْمَةٌ وَالْعَافِيَةُ
لَقَطٌ .

فَكَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ قَدْ سَلَّ سَيْفُهُ عَلَيْكَ وَاخْتَرَطَ ، أَيْنَ الْعَزِيزُ فِي الدُّنْيَا أَيْنَ
الْعَنِيِّ الْمُعْتَبَطِ ، حَيِّمٌ بَيْنَ الْقُبُورِ ، وَضَرَبَ فِسْطَاطَهُ فِي الْوَسْطِ ، وَبَاتَ فِي
اللَّحْدِ كَالْأَسِيرِ الْمُرْتَبِطِ .

وَاسْتَلْبِثْ ذَخَائِرَهُ فَفَرَّغَ الصُّنْدُوقَ وَالسَّفْطَ ، وَتَمَزَّقَ الْجِلْدَ الْمُسْتَحْسَنُ
وَتَمَعَّطَ الشَّعْرَ فَكَأَنَّهُ مَا رَجَّلَهُ وَكَأَنَّهُ مَا امْتَشَطَ وَرَضِيَ وَرَأَاهُ بِمَا أَصَابُوهُ
وَجَعَلُوا نَصْبَهُ السَّخَطَ .

وَفَرَّقُوا مَا كَانَ يَجْمَعُهُ بِكَفِّ الْبُخْلِ وَالْفَنَظِ وَوَقَعَ فِي قَفْرِ لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا
حَنْطٌ وَكَمْ حُدِّثَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ فِي الْقَبْرِ انْضَعَطَ وَكَمْ حُدِّرَ مِنَ الْمَعَاصِي
وَأَخْبِرَ أَنَّ آدَمَ بِلُقْمَةِ زَلٍّ فَهَبَطَ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

آخر : موعظة لله دُرُّ أَقْوَامٍ تَرَكُوا الدُّنْيَا فَأَصَابُوا ، وَسَمِعُوا مُنَادِيَّ اللَّهِ
فَأَجَابُوا ، وَحَضَرُوا مَشَاهِدَ التُّقَى فَمَا غَابُوا ، وَاعْتَدَرُوا مَعَ التَّحْقِيقِ ثُمَّ تَأَبَّأُوا
وَأَنَابُوا ، وَقَصَدُوا بَابَ مَوْلَاهُمْ فَمَا رُدُّوا وَلَا خَابُوا .

قال عَمْرُو بْنُ ذَرٍّ لَمَّا رَأَى الْعَابِدُونَ اللَّيْلَ قَدْ هَجَمَ عَلَيْهِمْ ، وَنَظَرُوا إِلَى
أَهْلِ الْغَفْلَةِ قَدْ سَكَنُوا إِلَى فُرُشِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَلَادِهِمْ .

تَأَمَّنُوا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَحِيمَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا قَدْ وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ
مِنَ السَّهْرِ وَطُولِ التَّهَجُّدِ .

فَأَسْتَقْبَلُوا اللَّيْلَ بِأَيْدِيهِمْ ، وَبَاشَرُوا ظُلْمَتَهُ بِصِفَاحٍ وَجُوهِهِمْ ، فَاثْقَصَى
عِنَهُمُ اللَّيْلُ ، وَمَا انْقَضَتْ لَدَّتُهُمْ مِنَ التَّلَاوَةِ ، وَلَا مَلَّتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ طَوْلِ
الْعِبَادَةِ ، فَأَصْبَحَ الْفَرِيقَانِ وَقَدْ وُلَّى اللَّيْلُ بَرِيحَ وَعَيْنٍ .

فَاعْمَلُوا فِي هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ ، فَإِنَّ الْمُغْبُونَ مَنْ غَبِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ،
كَمْ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي ظُلْمَةِ حُفْرَتِهِ .

قال بَعْضُ الْعَارِفِينَ مَا أَحِبُّ أَنْ حَسَابِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجْعَلُ إِلَى أَبِيِّي لِأَنِّي
أَعْلَمُ وَأَتَّقِنُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَرْحَمُ بِي مِنْهُمْ .

شعرا :

أَفِقْ وَابْكْ حَانَتْ كَبْرَةٌ وَمَشِيْبُ أَمَا لِلتُّقَى وَالْحَقِّ فِيكَ نَصِيْبُ
أَيَا مَنْ لَهُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ مَنْزِلُ أَتَأْتِسُ بِاللُّدْيَا وَأَنْتَ غَرِيْبُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَرُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا نَازِلٌ وَقَرِيْبُ
اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْتِمِمْ لَنَا بِحَاتِمَةِ

السَّعَادَةَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى عَمْدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فـ ص ل)

أخرج الطبراني عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري مرفوعاً « مَنْ قَالَ عِنْدَ
مَوْتِهِ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا تَطَعُمُهُ
النَّارُ .

وأخرج الحاكم عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال هل أدلكم
على اسم الله الأعظم دعاء يونس « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من
الظالمين » .

فأياً مسلم دعأ بها في مرض موته أربعين مرة فمات في مرضه ذلك
أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ وَإِنْ بَرِيَءٌ مَغْفُوراً لَهُ .

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله
ﷺ « مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه والروزي ومسلم وابن أبي شيبة عن
أم الحسن قالت كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال فلان بالموت .
فقلت إنطلق فإذا رأيته احتضر فقل : سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وأخرج الترمذي والبيهقي من طريق ابن اسحاق عن ابن عمر رضي
الله عنهما قال دخل رسول الله ﷺ قبر سعد بن معاذ فاحتبس (أي تأخر في
الخروج) فلما خرج قيل يا رسول الله ما حبسك قال ضَمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً
فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ .

وأخرج الحكيم الترمذي والبيهقي من طريق ابن إسحاق حدثني أمية
ابن عبد الله أنه سئل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في

هذا فقالوا ذكّر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال كان يُقصرُ في بعض الطهور من البول .

وأخرج هناد بن السرى في الزهد عن أبي مُليكة قال ما أجبرَ من ضَغْطَةِ القبرِ أحدٌ ولا سعدُ ابنُ معاذ الذي منديل من مناديلهِ خير من الدنيا وما فيها .

وأخرج أيضا الحسن أن النبي ﷺ قال حين دُفِنَ سعد بن معاذ « إنه ضَمَّ في القبرِ ضُمَّةً حتى صارَ مثل الشعرة فدَعَوْتُ الله أن يرفعه عنه وذلك بأنه كان لا يَسْتَبْرِئُ من البول » الاستبراء (استِفْرَاحُ بَقِيَةِ البَوْلِ) .

وأخرج ابنُ سعدِ المقبري قال لما دَفِنَ رسولُ الله ﷺ سعد بن معاذٍ قال لو نَجَا أحدٌ من ضَغْطَةِ القبرِ لَنَجَا سعدٌ ولقد ضَمَّ ضُمَّةً اِخْتَلَفَتْ فِيهِ أَضْلَاعُهُ مِنْ أَثَرِ البَوْلِ « قلتُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَلْحِظَ نَفْسَهُ مِنْ جِهَةِ الاستِبْرَاءِ مِنَ البَوْلِ لَمَّا سَمِعَتْ مِنْ خَطَرِهِ .

قال أبو القاسم السَّعْدِيُّ فِي كِتَابِ الرُّوحِ لَا يَنْجُو مِنَ ضَغْطَةِ القبرِ صَالِحٌ وَلَا طَالِحٌ غَيْرَ أَنْ الفَرْقَ بَيْنَ المُسْلِمِ وَالكَافِرِ دَوَامُ الضَّغْطَةِ لِلْكَافِرِ . وَحُصُولُ هَذِهِ الحَالَةِ لِلْمُؤْمِنِ فِي أَوَّلِ نُزُولِهِ إِلَى قَبْرِهِ ثُمَّ يَعودُ إِلَى الأَنْفَسَاحِ لَهُ فِيهِ .

قال والمرادُ بِضَغْطَةِ القبرِ التِّقَاءُ جَانِبِيهِ عَلَى جَسَدِ المِيتِ وَقَالَ الحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ سَبَبُ هَذِهِ الضَّغْطَةِ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ أَلَمَّ بِخَطِيئَةٍ وَإِنْ كَانَ صَالِحًا فَجُعِلَتْ هَذِهِ الضَّغْطَةُ جَزَاءً لَهُ ثُمَّ تُدْرِكُهُ الرَّحْمَةُ وَلِذَلِكَ ضَغِطَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي التَّقْصِيرِ مِنَ البَوْلِ .

وقال السبكي في بحرِ الكلامِ المؤمنِ المطيعِ لَا يَكُونُ لَهُ عَذَابُ القبرِ وَيَكُونُ ضَغْطَةُ القبرِ .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد التَّيْمِيِّ قال كان يُقَالُ إِنْ ضَمَّ القبرِ

إنما أصلها أنها أهمهم ومنها خُلِقُوا فَغَابُوا عنها العَيَّة الطويلة .
فلما رد إليها أولادها ضَمَّتْهُمْ ضَمَّ الوالدة غَابَ عنها وَلَدُهَا ثم قَدِمَ
عليها فمن كان لله مُطِيعًا ضَمَّتَهُ بِرَأْفَةٍ وَرَفِقٍ وَمَنْ كان عاصياً ضَمَّتَهُ بِعُنفٍ
سَخَطًا عليه لِرَبِّهَا .

وأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ وابنُ مَنَدَةَ والديلمي وابنُ النجار عن سَعِيدِ بنِ
المُسَيَّبِ أن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إنك منذُ يومِ حَدَّثْتَنِي
بصوتِ منكرٍ ونكيرٍ وضغطةِ القبرِ لَيْسَ يَنْفَعُنِي شيءٌ .

قال « يا عائشة إنَّ أصواتَ منكرٍ ونكيرٍ في سماعِ المؤمنين كالإثْمِدِ في
العين ، وإنَّ ضغطةَ القبرِ على المؤمنِ كالأمِ الشفيقةِ يشكو إليها ابنُها الصُّدَاعُ
فَتَغْمِزُ رأسَهُ غَمْزًا رَفِيقًا .

ولكن يا عائشة وئيلٌ للشاكين في الله كَيْفَ يُضْغَطُونَ في قبورهم
كَضَغْطَةِ الصَّخْرَةِ على البَيْضَةِ » . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم .

فوائد ومواعظ

قال بعضهم مَنْ فَعَلَ سَيئَةً فَإِنَّ عُقُوبَتَهَا تُدْفَعُ عنه بعشرة أسباب .
أحدها أن يَتُوبَ فَيُتَابَ عليه .

ثانياً أن يَسْتَغْفِرَ فَيُغْفَرَ لَهُ .

ثالثاً أن يَعْمَلَ حَسَنَاتٍ فَتَمَحُّوْهَا فَإِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ .

رابعاً أن يُبْتَلَى في الدنيا بِمَصَائِبَ فَتُكْفِرَ عنه .

خامساً الضَّغْطَةُ والفِتْنَةُ فَتُكْفِرَ عنه .

سادساً دُعَاءُ إِخْوَانِهِ المُسْلِمِينَ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لَهُ .

سابعاً أو يُهْدُونَ لَهُ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ مَا يَنْفَعُهُ .

ثامناً أو يُبْتَلَى في عَرَصَاتِ القِيَامَةِ بِأَهْوَالٍ تُكْفِرَ عنه .

تاسعاً أو تُدرِكُهُ شَفَاعَةُ نَبِيِّهِ ﷺ .

عاشراً أو رَحْمَةً رَبِّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ .

موعظة : يُخَشَى عَلَى أَهْلِ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْمَجَالِسِينَ لِأَصْحَابِهَا

مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ .

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَجْلِسِهِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ فَمِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ اللُّهُوِّ فَمِنْ أَهْلِ اللُّهُوِّ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ عَنْ يَزِيدِ بْنِ عُجْرَةَ وَهُوَ صَحَابِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ حَتَّى يُمَثَّلَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِنْ كَانُوا أَهْلًا لهُوَ فَأَهْلٌ لهُوَ وَإِنْ كَانُوا أَهْلًا ذِكْرًا فَأَهْلٌ ذِكْرًا .

وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ بَرَةَ وَكَانَ عَابِداً بِالبَصْرَةِ قَالَ أَدْرَكْتُ النَّاسَ بِالشَّامِ وَقِيلَ لِرَجُلٍ قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : اشْرَبْ وَاسْقِنِي .

وَقِيلَ لِرَجُلٍ بِالأَهْوَازِ يَا فُلَانُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يَقُولُ دَهْ يَا زِدَهُ .
وَقِيلَ لِرَجُلٍ هَهُنَا بِالبَصْرَةِ يَا فُلَانُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يَقُولُ :
يَا رَبُّ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ أَيْنَ الطَّرِيقِ إِلَى حَمَامٍ مُنْجَابٍ
إِنْتَهَى إِهـ .

وَالْقَائِلُ رَجُلٌ طَلَبَتْ مِنْهُ امْرَأَةٌ أَنْ يَدُلَّهَا عَلَى حَمَامٍ مُنْجَابٍ فَدَلَّهَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَذَهَبَ يَأْتِي بِشَيْءٍ وَنَسِيَ إِغْلَاقَ بَابِهِ فَخَرَجَتْ وَقَدْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهَا فَجَعَلَ يَدَوِّرُ فِي الأَسْتَوَاقِ وَيُرَدِّدُ هَذَا البَيْتَ فَمَرَّ بِبَيْتِهَا فَقَالَتْ مِنْ دَاخِلِ بَيْتِهَا وَهُوَ يَسْمَعُ .
الرِّزْقُ إِذَا نَفَدَ لَهُ رَبُّ يَخْلِفُهُ وَالعِرْضُ إِذَا نَفَدَ مِنْ أَيْنَ يُنْجَابُ
فَمَاتَ وَهُوَ يُرَدِّدُ هَذَا البَيْتَ نَسَأَ اللَّهُ حُسْنَ الخَاتِمَةِ وَأَنْ يَكُونَ خَتَامُ
الصَّحِيفَةِ شَهَادَةً إِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنْ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

شعرا : كم آية لله شاهدة بأنه لا إله إلا هو
أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي محمد على قال ما من ميت يموت إلا مثل
له عند موته أعماله الحسنة وأعماله السيئة فيشخص إلى حسنة ويترك عن
سيئاته . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل أخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن جابر بن زيد قال يستحب
إذا حضر الميت (أي حضره الموت) أن يقرأ سورة الرعد فإن ذلك يخفف عن
الميت وأنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه .
وأنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه .

وكان يقال قبل أن يموت الميت بساعة في حياة رسول الله ﷺ اللهم
اغفر لفلان بن فلان ، وبرّد عليه مضجعه ، ووسّع عليه قبره ، وأعطه الراحة
بعد الموت ، والحقّه بنبيه .

وتولّ نفسه ، وصعد روحه في أرواح الصالحين ، واجمع بيننا وبينه في
دار تبقى فيها الصحة ويذهب عنا فيها النصب واللغوب ، ويصلي على رسول
الله ﷺ ، ويكرر ذلك حتى يقبض .

وعن ابن أبي شيبة والمروزي عن الشعبي قال كانت الأنصار يقرؤون
عند الميت سورة البقرة .

وأخرج أبو نعيم عن قتادة في قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ﴾ قال مخرجا من شهاد الدنيا ومن الكرب عند الموت ومن موافق
يوم القيامة .

أخرج ابن أبي الدنيا عن وهيب بن الورد قال بلغنا أنه ما من ميت
يموت حتى يترأى له ملكاه اللذان كان يحفظان عليه عمله في الدنيا .

فإن كان صاحبها بطاعة الله قالا جزاك الله عنا من جليس خيرا فرب
مجلس صدق قد أجلسناه وعمل صالح قد ، أحضرناه وكلام حسن قد
أسمعتناه فجزاك الله عنا من جليس خيرا .

وان كان صَحِبَهُمَا بغير ذلك مِمَّا لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ رِضَاهُ قَلْبًا عَلَيْهِ الشَّاءُ فَقَالَا
لَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا .

فَرُبَّ مَجْلِسٍ سُوءٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَاهُ ، وَعَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَاهُ ،
وَكَلَامٍ قَبِيحٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَاهُ .

فَلَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا قَالَ فَذَلِكَ شُخُوصٌ بَصَرَ المِيتِ
إِلَيْهِمَا وَلَا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا أَبَدًا .

وَأَخْرَجَ عَنْ سَفِيَانَ قَالَ بَلَّغَنِي أَنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا أَحْضَرَ قَالَ مَلَكَاةُ
اللَّذَانِ كَانَا مَعَهُ يَحْفَظَانِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ عِنْدَ رَنَّةِ أَهْلِهِ دَعُونَا فَلْتُنْشِ عَلَى صَاحِبِنَا بِمَا
عَلِمْنَا مِنْهُ .

فَيَقُولَانِ رَحِمَكَ اللَّهُ وَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبٍ خَيْرًا إِنْ كُنْتَ لَسْرِيْعًا إِلَى
طَاعَةِ اللَّهِ بَطِيْئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمَنْ نَأْمَنُ نَأْمَنُ غَيْبِكَ فَنَعْرُجُ فَلَا تُشْغِلْنَا
عَنِ الذِّكْرِ مَعَ المَلَائِكَةِ .

وَإِذَا أَحْضَرَ العَبْدَ السُّوءَ فَرَنَّ أَهْلُهُ وَضَجُّوا قَامَ المَلَكَانَ فَقَالَا دَعُونَا
فَلْتُنْشِ بِمَا عَلِمْنَا مِنْهُ فَيَقُولَانِ جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبٍ شَرًّا .

إِنْ كُنْتَ بَطِيْئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، سَرِيْعًا إِلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَمَا كُنَّا نَأْمَنُ
غَيْبِكَ ، ثُمَّ يَعْرُجَانِ إِلَى السَّمَاءِ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ المُنْذِرِ فِي تَفْسِيرِهِمَا عَنْ ابْنِ جَرِيْجٍ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَائِشَةَ إِذَا عَايَنَ المُؤْمِنُ المَلَائِكَةَ .

قَالُوا نَرْجِعُكَ إِلَى الدُّنْيَا فَيَقُولُ إِلَى دَارِ الِهُمُومِ وَالأَحْزَانِ قُدَّمَا إِلَى اللَّهِ
(أَيْ تَقَدَّمُوا بِي تَقَدَّمَا إِلَى اللَّهِ) .

وَأَمَّا الكَافِرُ فَيَقُولُونَ لَهُ نَرْجِعُكَ إِلَى الدُّنْيَا فَيَقُولُ (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي
أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) .

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الزَّهْدِ عَنِ الرِّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا
إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ ﴾ .

قال هذا له عند الموت وتُخْبَأُ لَهُ فِي الآخرة الجنة .

وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم .

قال هذا عند الموت وتُخْبَأُ لَهُ فِي الآخرة النار .

أخرج أحمد والبراز والحاكم وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال

« كان مَلَكُ الموتِ يأتي الناسَ عياناً فأتى موسى فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عينه .

فأتى رَبَّهُ فقال يا رب عبدك موسى ففأ عيني ولولا كرامته عليك

لَشَقَقْتُ عليه ، قال إذْهَبْ إلى عَبْدِي فقل له فليَضَعْ يده على جلد ثور فله

بكل شعرة وارت يده سنة .

فأتاه فقال ما بعد هذا قال الموت قال فالآن قال فشمه فقبض روحه

ورد الله إليه عينه ، فكان يأتي بعد الناس خفية .

أخرج ابن أبي الدنيا في القبور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال

قال رسول الله ﷺ ما من ميت يوضع على سريره فيخطى به ثلاث خطوات

إلا تكلم بكلام يسمعه من شاء الله إلا الثقلين الإنس والجن .

يقول يا إخواناه ويا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرنتني ، ولا يلعبن

بكم الزمان كما لعب بي .

خلفت ما تركت لورثتي ، والديان يوم القيامة يخاصمني ويحاسبني ،

وأنتم تشيعونني وتدعونني (أي تتركوني) .

أخرج الترمذي وأبو نعيم وأبو يعلى وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن

أنس أن النبي ﷺ قال « ما من إنسان إلا له بابان في السماء ، باب يصعد

عمله فيه ، وباب ينزل منه رزقه ، فإذا مات العبد المؤمن بكيا عليه » .

وأخرج أبو نعيم عن عطاء الخرساني قال ما من عبد يسجد لله سجدة

في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت .

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا عن محمد بن قيس قال بلغني أن

السموات والأرض يَبْكِيَانِ عَلَى الْمُؤْمِنِ تَقُولُ السَّمَاءُ مَا زَالَ يَصْعَدُ إِلَيَّ مِنْهُ خَيْرٌ
وتقول الأرض مَا زَالَ يَفْعَلُ عَلَيَّ خَيْرًا .

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه أنه قال إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا مَاتَ بَكَى عَلَيْهِ مُصَلَّاهُ مِنَ
الأرضِ وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَلَا ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالأرضُ ﴾ .

شِعْرًا :

أَلَا إِنَّ السَّبَّاقَ سَبَّاقٌ زُهْدٍ وَمَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَبَّاقٍ
وَيَفْتَى مَا خَوَاهُ الْمَلِكُ أَصْلًا وَفِعْلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ
سَتَأْتُكَ النَّدَامَةُ عَنْ قَرِيبٍ وَتَشْهَقُ حَسْرَةً يَوْمَ الْمَسَاقِ
أَتُذْرِي أَيَّ ذَاكَ الْيَوْمِ فَكَّرُ وَأَيُّقِنُ أَنَّهُ يَوْمُ الْفِرَاقِ
فِرَاقٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ فِرَاقٌ قَدْ انْقَطَعَ الرَّجَاءُ عَنِ التَّلَافِي

شِعْرًا :

إِلَى كَمِّ ذَا التَّرَاخِيِّ وَالتَّمَادِي وَحَادِي الْمَوْتِ بِالْأُرُوحِ حَادِي
فَلَوْ كُنَّا جَمَادًا لَا تَعْظُنَا وَلَكِنَّا أَشَدُّ مِنَ الْجَمَادِ
تُنَادِينَا الْمَنِيَّةُ كُلَّ وَقْتٍ وَمَا نُصْغِي إِلَى قَوْلِ الْمُنَادِي
وَأَنْفَاسُ النُّفُوسِ إِلَى انْتِقَاصٍ وَلَكِنَّ الذُّنُوبَ إِلَى ازْدِيَادِ
إِذَا مَا الزَّرْعُ قَارَنَهُ إِصْفِرَارٌ فَلَيْسَ دَوَائُهُ غَيْرَ الْحَصَادِ
كَأَنَّكَ بِالْمَشِيبِ وَقَدْ تَبَدَّى وَالْأُخْرَى مُنَادِيهَا يُنَادِي
وَقَالُوا قَدْ مَضَى فَاقْرُوا عَلَيْهِ سَلَامَكُمْوَا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِي

آخِر :

أَبَدًا تَفْهَمُنَا الْخُطُوبُ كُرُورَهَا وَنَعُودُ فِي عَمِهِ كَمَنْ لَا يَفْهَمُ

تَلْقَى مَسَامِعَنَا الْعِظَاتِ كَأَنَّمَا
 وَصَحَائِفُ الْأَيَّامِ نَحْنُ سَطُورُهَا
 لَحْدٌ عَلَى لَحْدٍ يَهَالُ ضَرْيُجُهُ
 مَنْ ذَا تَوْفَاهُ الْمُنُونُ وَقَبْلَنَا
 وَالتَّبَعَانِ تَلَا حَقًّا وَمُحَرَّقٌ
 آخِرُ:

مَا حَالُ مَنْ سَكَنَ الثَّرَى مَا حَالُهُ
 أَمْسَى وَلَا رَوْحَ الْحَيَاةِ يُصِيبُهُ
 أَمْسَى وَحِيدًا مُوَحَّشًا مُتَفَرِّدًا
 أَمْسَى وَقَدْ دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ
 وَاسْتَبَدَّلَتْ مِنْهُ الْمَجَالِسُ غَيْرُهُ
 أَمْسَى وَقَدْ قَطَعْتَ هُنَاكَ جِبَالَهُ
 يَوْمًا وَلَا لُطْفَ الْحَيْبِ يَنَالُهُ
 مُتَشَيِّتًا بَعْدَ الْجَمِيعِ عِيَالُهُ
 وَتَفَرَّقَتْ فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ
 وَتُقَسِّمَتْ مِنْ بَعْدِهِ أَمْوَالُهُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أُتِقْظَنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ
 وَنَبِّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَرْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقْفِنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
 تَوَالِحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
 وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

(فصل)

أخرج أبو نعيم وابن منده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ
 « ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى
 الحي بجار السوء » .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « إذ مات لأحدكم الميت فأحسنوا

كَفَنَهُ وَعَجَّلُوا بِأَنْجَازِ وَصِيَّتِهِ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ وَجَنَّبُوهُ الْجَارَ السُّوءَ .
 قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَارُ الصَّالِحُ فِي الْآخِرَةِ قَالَ « هَلْ يَنْفَعُ
 فِي الدُّنْيَا » قَالَ نَعَمْ قَالَ « كَذَلِكَ يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ » .
 أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 فِي جَنَازَةٍ فَجَلَسَ إِلَى قَبْرِ .

فَقَالَ مَا يَأْتِي عَلَى هَذَا الْقَبْرِ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ يَنَادِي بِصَوْتٍ طَلِقَ ذَلِكَ .
 يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ نَسِيتَنِي أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي بَيْتُ الْوَحْدَةِ ، وَبَيْتُ الْغُرْبَةِ ،
 وَبَيْتُ الْوَحْشَةِ ، وَبَيْتُ الدُّودِ ، وَبَيْتُ الضِّيْقِ إِلَّا مَنْ وَسَّعَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ .
 ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الْقَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ
 مِنْ حُفَرِ النَّارِ » .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالْحَكِيمُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو يَعْلَى وَالْحَاكِمُ فِي الْكُنْيَةِ
 وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ الثَّمَالِيِّ . قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 « يَقُولُ الْقَبْرُ لِلْمَيِّتِ حِينَ يُوضَعُ فِيهِ أَلَمْ تَعْلَمْ وَمَحَكَ أَنِّي بَيْتُ الْفِتْنَةِ ، وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ ،
 وَبَيْتُ الْوَحْدَةِ ، وَبَيْتُ الدُّودِ ، يَا ابْنَ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي إِذْ كُنْتَ تَمُرُّ عَلَيَّ فَذَادًا .

فَإِنْ كَانَ مُصْلِحًا أَجَابَ عَنْهُ مُجِيبُ الْقَبْرِ فَيَقُولُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ يَأْمُرُ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ الْقَبْرُ إِنِّي إِذَا أُنْحُوْتُ عَلَيْهِ خَضِرًا وَيَعُودُ جَسَدُهُ
 نُورًا وَتَصْعَدُ رُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » .

أَخْرَجَ الْبَزَارِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِذَا بَلَغَتْ الْجَنَازَةُ
 الْقَبْرَ فَجَلَسَ النَّاسُ فَلَا تَجْلِسُ وَلَكِنْ قُمْ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَإِذَا دُلِّيَ فِي قَبْرِهِ
 فَقُلْ :

بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ نَزَلَ بِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ
 مَنْزُولٍ بِهِ خَلَّفَ الدُّنْيَا خَلْفَ ظَهْرِهِ فَاجْعَلْ مَا قَدِمَ عَلَيْهِ خَيْرًا مِمَّا خَلَّفَ فَانك
 قُلْتَ ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ .

وأخرج ابن أبي شيبَةَ في المصنف عن خَيْثَمَةَ قال كانوا يَسْتَحِبُّونَ إِذَا دَفَنُوا الْمَيِّتَ أَنْ يَقُولُوا بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وأخرج ابن ماجه والبيهقي في سُنَنِهِ عن ابن المسيب قال حَضَرْتُ بن عمر رضي الله عنهما في جنازةِ ابْنَةِ له فلما وضعها في اللحد قال بسم الله وفي سبيل الله فلما أخذ في تسوية اللحد قال اللهم أجِرْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَلَمَّا سُويَ الكَثِيبُ عليها قامَ جَانِبَ القَبْرِ ثم قال اللهم جافِ الأرضَ عن جَنبِهَا وصعد رُوحَهَا ولقَّهَا مِنْكَ رِضْوَانًا ثم قال سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وأخرج ابن أبي شيبَةَ عن مجاهد أنه كان يقول بسم وفي سبيل الله اللهم افسح في قبره ونور له فيه وألحقه بنبيه .

وأخرج الطبراني عن عبدالرحمن بن العلاء بن الجلاح قال قال أبي يا بُنَيَّ إِذَا وَضَعْتَنِي فِي لِحْدِي فَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ثم سُنَّ عَلِيَّ التَّرَابَ سَنًا ثم أقرأ عند رَأْسِي بِفَاتِحَةِ البقرة وَخَاتِمَتِهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ .

وأخرج الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول إذا مات أحدكم فلا تجبُوه وأسرعوا به إلى قبره .

وليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب ولقظ البيهقي فاتحة البقرة وعند رجله بخاتمة سورة البقرة في قبره .

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال كان رسول الله ﷺ يقف على القبر بعد ما يسوي عليه فيقول :

اللهم نَزَلْ بِكَ صَاحِبُنَا وَخَلَّفَ الدنْيَا خَلْفَ ظَهْرِهِ اللهم ثَبِّتْ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ مَنْطِقَهُ وَلَا تَبْتَلِهِ فِي قَبْرِهِ بِمَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ .

أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ عَنِ الْبَرَاءِ كُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ فَبَكَى وَأَبْكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ « يَا إِخْوَتِي لِمَثَلِ هَذَا فَأَعِدُوا .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْحِزْبِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل (أَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ وَالْخَطِيبُ وَأَبُو نَعِيمٍ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ وَأَنْسًا فِي وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَفَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من قرأ سورة الملك كل ليلة عصم من فتنة القبر ومن وأظب على قول الله تعالى ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴾ سهل الله عليه سؤال منكر ونكير .

وأخرج أبو الفضل في عُيُونِ الْأَخْبَارِ بِسَنَدِهِ عَنْ عُمَرَ مَرْفُوعًا « مَنْ نَوَّرَ فِي مَسَاجِدِ اللَّهِ نَوْرَ اللَّهِ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَمَنْ أَرَاخَ فِيهِ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ .

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن ميمونة قالت قال رسول الله ﷺ « يَا مَيْمُونَةُ تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَإِنْ مِنْ أَشَدِّ عَذَابِ الْقَبْرِ الْغَيْبَةِ وَالْبَوْلِ » .

شِعْرًا : أَمِنْ بَعْدَ مَثْوَى الْمَرْءِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ إِلَى ضَيْقِ مَثْوَاهُ مِنَ الْأَرْضِ يُسَلِّمُ وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ الضَّيْقِ وَالضَّيْقِ فُرْجَةٌ إِلَى ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ بِالْعَبْدِ أَرْحَمُ

شعرا :

وَالسُّونِي ثِيَاباً غَيْرَ أَخْلَاقِ
وَأدْرَجُونِي كَأَنِّي طَيِّ مِخْرَاقِ
لِيُسْنِدُوا فِي ضَرِيحِ الْقَبْرِ أَطْبَاقِي
وَقَالَ قَائِلُهُمْ مَاتَ ابْنُ حَدَّاقِ
فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي

قَدْ رَجَلُونِي وَمَا بِالشَّعْرِ مِنْ شَعَثِ
وَرَفَعُونِي وَقَالُوا أَيُّمَا رَجُلِ
وَأرْسَلُوا فِتْيَةً مِنْ خَيْرِهِمْ حَسَباً
وَقَسَمُوا الْمَالَ وَارْفَضَتْ عَوَائِدُهُمْ
هُونٌ عَلَيْكَ وَلَا تُوَلِّعْ بِاشْفَاقِ

آخر :

وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي غَدِّ عَنْهُ ارْتِحَالِي
فَإِنَّ الْقَاطِطِينَ عَلَى اخْتِمَالِ

وَكَيفَ أَشِيدُ فِي يَوْمِي بِنَاءِ
فَلَا تُنْصِبْ خِيَامَكَ فِي مَحَلِّ

آخر :

كَأَنَّكَ لَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا
أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبَقِّي
إِذَا مَا اسْتَكَمَلْتَ أَجْلاً وَرِزْقَا
وَلَا أَحَدٌ بِذَنْبِكَ مِنْكَ أَشَقِّي
إِذَا جَعَلْتَ إِلِي اللَّهْوَاتِ تَرْقِي

أَحْيِي مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقِي
أَلَا يَا ابْنَ الَّذِينَ فَتَنُوا وَبَادُوا
وَمَا لِلنَّفْسِ عِنْدَكَ مِنْ مَقَامِ
وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَحْظِي
وَلَا لَكَ غَيْرَ تَمَوَّى اللَّهُ زَادٌ

آخر :

شَوَارِعَ يَخْتَرُ مِنْكَ عَنْ قَرِيبِ
فَكَمْ لِلْمَوْتِ مِنْ سَهْمِ مُصِيبِ
وَمَا لِلْمَرْءِ بُدٌّ مِنْ نَصِيبِ
أَمَا يَكْفِيكَ أَنْوَارُ الْمَشِيبِ
تَمُرُّ بِقَبْرِ خَلٍّ أَوْ حَسِيبِ
وَلَا يُغْنِيكَ أَفْرَاحُ التَّحِيبِ

أَتَعْمَلُ يَا ابْنَ أَحْمَدَ وَالْمَنَائِيَا
أَغْرَكَ أَنْ تَخْطُتَكَ الرِّزَايَا
كُوُوسُ الْمَوْتِ دَاثَرَتْ عَلَيْنَا
إِلَى كَمْ تَجْعَلُ التَّسْوِيفَ دَابًّا
أَمَا يَكْفِيكَ أَنْكَ كُلِّ حِينِ
كَأَنَّكَ قَدْ لَحِقْتَ بِهِمْ قَرِيبًا

آخر :

فَلَمْ يُحْضَ مِنْ سِتِّينَ إِلَّا بِسُدْسِهَا

إِذَا كَمَلْتَ لِلْمَرْءِ سِتُونَ حَجَّةً

ألم تر أن التَّصَفَّ بالنوم حَاصِلٌ وَتَذَهَبُ أَوْقَاتُ المَقِيلِ بِخُمْسِهَا
وَتَأْخُذُ أَوْقَاتُ الهُمُومِ بِحِصَّةٍ وَأَوْقَاتُ أَمْرَاضِ ثُمَيْتٍ بِمَيْتِهَا
فَحَاصِلُ مَا يَبْقَى لَهُ سُدُسُ عُمُرِهِ إِذَا صَدَقَتْهُ النَّفْسُ عَنِ عِلْمِ حَدْسِهَا
آخِرُ :

إِسْعَدَ بِمَالِكَ فِي الحَيَاةِ فَإِنَّمَا يَبْقَى وَرَاءَكَ مُصْلِحٌ أَوْ مُفْسِدٌ
فَإِذَا تَرَكْتَ لِْمُفْسِدِ لَمْ يَبْقَ وَأَخُو الصَّلَاحِ قَلِيلُهُ يَتَزَيَّدُ
فَإِنِ اسْتَطَعْتَ فَكُنْ لِنَفْسِكَ وَارِثًا إِنَّ المُوَرَّثَ نَفْسَهُ لَمْ سَدِّدُ
آخِرُ :

كُلُّ مَالٍ لَيْسَ لِلْبِرِّ مِنْ أَيْدِي بَادِلِيَةٍ فَهوَ لِلوَارِثِ وَالوِزْرُ عَلَى مُكْسِبِيَةٍ

وَأَخْرَجَ السَّيْهَقِيُّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنْ عَذَابَ القَبْرِ مِنْ ثَلَاثَةِ مِنَ الغَيْبَةِ ، وَالنَّمِيمَةِ ، وَالبَوْلِ ، فَإِيَّاكُمْ وَذَلِكَ » .

وَأَخْرَجَ عَنِ قَتَادَةَ قَالَ عَذَابُ القَبْرِ ثَلَاثَةٌ أَثَلَاثُ ثُلُثٌ مِنَ الغَيْبَةِ وَثُلُثٌ مِنَ النَّمِيمَةِ وَثُلُثٌ مِنَ البَوْلِ .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْلَى وَالبِيهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ وَالأَصْبَهَانِيُّ فِي التَّرغِيبِ عَنِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَإِلهِ إِلاَّ اللهُ وَحُشَّةٌ عِنْدَ المَوْتِ ، وَلا فِي قُبُورِهِمْ ، وَلا فِي نُشُورِهِمْ » .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « أَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ أَنَّ لَإِلهِ إِلاَّ اللهُ أَنَسٌ لِلْمُسْلِمِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَفِي قَبْرِهٖ ، وَحِينَ يُخْرَجُ مِنْ قَبْرِهٖ » .

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ فِي كِتَابِ أَهْلِ القُبُورِ قَدْ يُكْرَمُ اللهُ بَعْضَ أَهْلِ البَرِّخِ

بأعمالٍ صالحةٍ في البرزخِ وإن لم يحصلْ له بذلك ثوابٌ لانقطاعِ عمله بالموت .

لَكِنَّهُ يَبْقَى عَمَلُهُ عَلَيْهِ ، لِيَتَنَعَّمَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ كَمَا تَتَنَعَّمُ بِذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ بِالْجَنَّةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى ذَلِكَ ثَوَابٌ .

لَأنَّ نَفْسَ الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ أَعْظَمُ نَعِيمٍ عِنْدَ أَهْلِهَا مِنْ جَمِيعِ نَعِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلِذَلِكَ فَما تَتَنَعَّمُ الْمُتَنَعِّمُونَ بِمِثْلِ طَاعَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ .

وقال ابنُ رَجَبٍ وَحَدَّثَنِي المَحْدِثُ أَبُو الحِجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّرِيرِيُّ وَكانَ رَجُلًا صَالِحًا وَأَرَانِي مَوْضِعًا مِنْ قُبُورِ سَامُرَا فَقَالَ هَذَا المَوْضِعُ لِأَنْزَالِ نَسَمِعُ مِنْهُ سُورَةَ ﴿ تَبَارَكَ المَلِكُ ﴾ .

وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن عيسى بن محمد الظوماري قال رَأَيْتُ أبا بكر بن مجاهد المقرئ في النوم كأنه يَقْرَأُ وَكأنِّي أَقُولُ لَهُ أَنْتَ مَيِّتٌ وَتَقْرَأُ .

فكَأنَّهُ يَقُولُ لي كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ وَعِنْدَ خَتَمِ القُرْآنِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِمَّنْ يَقْرَأُ في قَبْرِهِ فَأَنَا أَقْرَأُ في قَبْرِي .

وأخرج النسائي والحاكم والبيهقي في شعب الايمان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي في الجَنَّةِ » .

وَلَفِظُ النِّسَائِيِّ دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ حَارِثَةُ بنُ النُّعْمَانَ فَقَالَ رسولُ اللَّهِ « كَذَّاكَ البِرِّ ، كَذَّاكَ البِرِّ ، كَذَّاكَ البِرِّ ، وَكانَ أَبْرَ النِّاسِ بِأُمَّه » .

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إني أراني في الجنة فبينما أنا فيها سمعتُ صوتَ رجلٍ بالقرآنِ فقلتُ مَنْ هَذَا قالوا حارثة بن النعمان فقال رسول الله ﷺ كَذَّاكَ البِرِّ ، كَذَّاكَ البِرِّ ، كَذَّاكَ البِرِّ » .

شِعْرًا :

يُحَوَّلُ عَنْ قَرِيبٍ مِنْ قُصُورٍ مُزْخَرَفَةٍ إِلَى بَيْتِ التُّرَابِ

فُسِّلِمَ فِيهِ مَهْجُورًا فَرِيدًا أَحَاطَ بِهِ شُحُوبُ الْإِغْتِرَابِ
 وَهَوُلُ الْحَشْرِ أَفْطَعُ كُلَّ أَمْرٍ إِذَا دُعِيَ ابْنُ آدَمَ لِلْحِسَابِ
 وَالْفَى كُلَّ صَالِحَةٍ أَتَاهَا وَسِئَةٍ جَنَاهَا فِي الْكِتَابِ
 لَقَدْ آَنَّ التَّرْوُدُ إِنْ عَقَلْنَا وَأَخَذَ الْحِظُّ مِنْ بَاقِي الشَّبَابِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا
 بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَقَّفْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
 خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرُّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ
 عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِتَعْمَائِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مُدَاوَاةَ مَرَضِ
 الْقَلْبِ وَاجِبَةٌ وَهِيَ تَأْتِي مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ جَدًّا نَشِيرًا إِلَى بَعْضِهَا .
 أَحَدُهَا وَهِيَ مِنْ أَنْفَعِهَا الْعُزْلَةُ الْمَصْحُوبَةُ بِالِاشْتِغَالِ بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ .
 فَبِالْعُزْلَةِ يَتَقَيَّدُ الظَّاهِرُ عَنِ مَخَالَطَةِ مَنْ لَا تَصْلَحُ مَخَالَطَتُهُ وَمَنْ لَا يَأْمَنُ
 دُخُولَ الْآفَاتِ عَلَيْهِ بِصُحْبَتِهِ .
 فَيَتَخَلَّصُ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا بِالْمَخَالَطَةِ مِثْلَ الْغِيْبَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ
 وَالتَّمَلُّقِ وَالرِّيَاءِ وَالتَّصْنُعِ .
 وَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ السَّلَامَةُ مِنْ مُسَارَقَةِ الطَّبَاعِ الرَّدِيئَةِ وَالْأَخْلَاقِ
 الدَّنِيئَةِ .

وَيَسْتَفِيدُ بِذَلِكَ أَيْضًا صِيَانَةَ دِينِهِ وَنَفْسِهِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلْخُصُومَاتِ
 وَأَنْوَاعِ الشَّرُورِ وَالْفِتَنِ .

فَإِنَّ لِلنَّفْسِ تَوَلُّعًا وَتَسْرَعًا إِلَى الْخَوْضِ فِي مِثْلِ هَذَا .
 فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكْفِ لِسَانَهُ عَنِ السُّؤَالِ عَنِ أَخْبَارِ النَّاسِ وَمَا هُمْ

مَشْغُولُونَ فِيهِ وَمَا هُمْ مِنْهُمْ كُونَ فِيهِ وَمَنْ كَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَضَرَرَهُ يَزِيدُ عَلَى نَفْعِهِ وَرَبِمَا أَنَّهُ ضَرَرٌ خَالِصٌ .

وَقَالَ آخِرُ وَإِذَا هَمَمْتَ بِالْبَاطِلِ وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًا وَتَهْلِيلًا .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَصُونَ سَمْعَهُ عَنِ الْأَصْغَاءِ إِلَى أَرَاجِيْفِ الْبُلْدَانِ وَمَا شَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ .

وَلِيُحْرَصَ عَلَى أَنْ لَا يَأْتِيَهُ مِنْ شَأْنِهِ التَّطَلُّعُ وَالْبَحْثُ عَنْ شُؤْنِهِ وَأَحْوَالِهِ كَأَصْحَابِ الْمُقَابَلَاتِ وَالْمَوْلَعِينَ بِأَكْلِ حُومِ الْغَوَافِلِ .

وَلِيَجْتَنِبَ صُحْبَةَ مَنْ لَا يَتَوَرَّعُ فِي مَنْطِقِهِ وَلَا يَضْبُطُ لِسَانَهُ عَنِ الْأَسْتِرْسَالِ فِي دَقَائِقِ الْغَيْبَةِ وَالْوَقِيعَةِ وَالتَّعَرُّضِ بِالطَّعْنِ عَلَى النَّاسِ وَالْقَدْحِ فِيهِمْ .

فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَكْدُرُ صَفَاءَ الْقَلْبِ وَيُؤَدِّي إِلَى ارْتِكَابِ مَسَاخِطِ الرَّبِّ .
فَلِيَهْجِرْهُ وَلِيَفِرَّ مِنْهُ فِرَارَهُ مِنَ الْأَسَدِ وَلَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي مَكَانِ الْبَتَّةِ .
وَفِي الْخَبْرِ « مَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ كَمِثْلِ الْكَبِيرِ إِنْ لَمْ يُحْرِقْكَ بِشَرِّهِ عَلِقَ بِكَ مِنْ رِيحِهِ » .

وَفِي الْأَخْبَارِ السَّالِفَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « يَا ابْنَ عِمْرَانَ كُنْ يَقْظَانًا وَارْتَدِّ لِنَفْسِكَ إِخْوَانًا وَكُلْ أَخٍ أَوْ صَاحِبٍ لَا يُؤَاوِرُكَ عَلَى مَبْرَّتِي فَهَوَ لَكَ عَدُوٌّ » .

وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ « يَا دَاوُدُ مَا لِي أَرَاكَ مُتَبَدِّدًا وَحَدَانِيًّا » فَقَالَ إلهي قَلَيْتُ الْخَلْقَ مِنْ أَجْلِكَ .

فَقَالَ « يَا دَاوُدُ كُنْ يَقْظَانًا وَارْتَدِّ لِنَفْسِكَ أَخْدَانًا وَكُلْ خِدْنٍ لَا يُوَافِقُكَ عَلَى مَبْرَّتِي فَلَا تَصْحَبْهُ فَإِنَّهُ لَكَ عَدُوٌّ وَيُقْسِي قَلْبَكَ وَيُبَاعِدُكَ مِنِّي » .

قَالَ الشَّاعِرُ :

فَخَفْتُ أَبْنَاءَ جَنْسِكَ وَاخْشَى مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الضَّرَاعِمَ وَالسَّبَبَاتَا

وَحَالِطُهُمْ وَزَايِلُهُمْ حَذَارًا وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لُمِسْتَا
وَرُويَ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَا تُجَالِسُوا الْمَوْتَى فَيَمُوتَ قُلُوبُكُمْ »
قِيلَ مَنْ الْمَوْتَى قَالَ « الْمُحِبُّونَ لِلدُّنْيَا الرَّاعِبُونَ فِيهَا وَبِالابْتِعَادِ عَنِ النَّاسِ إِلَّا
لِضُرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ مَاسَةٍ يَنْكُفُ بِصَرِّ الْإِنْسَانِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا
وَزَخْرَفِهَا » .

وَيُنْصَرَفُ خَاطِرُهُ عَنِ الِاسْتِحْسَانِ إِلَى مَا ذَمَّهُ اللَّهُ مِنْهَا فَتَمْتَنِعُ بِذَلِكَ
النَّفْسُ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الدُّنْيَا وَالِاسْتِشْرَافِ لَهَا وَمِنَافَسَةِ أَهْلِهَا فِيهَا .
قَالَ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الْآيَةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ . (فَصْل)

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ عِلْمَاتِ الْهَوَى الْمَسَارِعَةَ إِلَى نَوَافِلِ الْخَيْرَاتِ
وَالْتِكَاسِلَ عَنِ الْقِيَامِ بِالْوَاجِبَاتِ وَهَذِهِ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ .
فَتَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَهْتَمُّ لِلنَّوَافِلِ وَيَكْثُرُ مِنْهَا وَالْفُرُوضُ مَا يَهْتَمُّ لَهَا تَجِدُهُ
يَصُومُ مَثَلًا الْبَيْضَ وَالْإِثْنِينَ وَالْخَمِيسَ وَلَا تَجِدُهُ يَحْفَظُ لِسَانَهُ عَنِ الْقَذْفِ وَالْغِيْبَةِ
وَالْكَذْبِ .

وَلَا يَفْتَشُ عَلَى نَفْسِهِ بِدِقَّةٍ فَتَجِدُ عِنْدَهُ عُقُوقَ وَالِدَيْنِ أَوْ قَطِيعَةَ رَحِمٍ أَوْ
أَكْلَ مِنْ مُشْتَبِهِ أَوْ يِعْمَلُ فِي الرِّبَا أَوْ فِي شَرِكَاتٍ تَتَعَامَلُ مَعَ الْبَنُوكِ فِي الرِّبَا أَوْ
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي فِي الْمَحْرَمَاتِ كَالآتِ الْمَلَاهِي وَتَصْلِيحِهَا .
وَمِنْ نَاحِيَةِ الزَّكَاةِ تَجِدُهُ يَخْرِجُهَا إِلَى مَنْ يَتَقَاضَى مِنْهُ خِدْمَةً أَوْ يَدْفَعُهَا
إِلَى مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ أَوْ لِمَنْ يُهْدِي إِلَيْهَا أَوْ يَتَسَامَحُ مَعَهُ فِي الْمُعَامَلَةِ أَوْ نَحْوِ
ذَلِكَ .

وَمِنْ قَبْلِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ آكِدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ وَهِيَ
الَّتِي إِذَا صَلَّحَتْ وَأَدَّتْ تَمَامًا صَلَّحَ سَائِرُ الْأَعْمَالِ فَلَا تَجِدُهُ يَعْتَنِي بِهَا .
وَيَحْرَصُ عَلَى تَحْضِيرِ قَلْبِهِ لَهَا وَطَرْدِ الْأَفْكَارِ الَّتِي تُخِلُّ بِأَدَائِهَا وَلَا يَعْتَنِي
بِمَعْرِفَةِ مَعَانِي مَا يَتَلَوُ .

المهم أنه مع ذلك لا تُجده مُستدركا لما فرط فيه ولا لما أهمله وما ذاك إلا أنهم لم يشتغلوا بالتفتيش والتفقد لأنفسهم التي خدعتهم ولم يحفلوا بمجاهدة أهوائهم التي استرقتهم وملكتهم .

ولو اشتغلوا في تصليح ذلك لكان لهم فيه أعظم شغلٍ ولم يجدوا فسحةً واسعةً لشيء من النوافل .

قال بعض العلماء من كانت النوافل والفضائل أهم إليه من أداء الفرائض فهو مخدوع .

وقال آخر : هلاك الناس في اثنتين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة .
وعملٌ بالجوارح بلا مواطاة القلب وإنما حرّموا الوصول بتضييع الأصول .
وقال آخر : « انقطع الخلق عن الله بخصلتين إحداهما أنهم طلبوا النوافل وضيّعوا الفرائض » .

والثانية « أنهم عملوا أعمالا بالظاهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها ولا يقبل العمل إلا بالصدق وإصابة الحق » .

وقال آخر : أفضل شيء للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده وإحكامه لحالته التي أقيم فيها وابتدائه بالعمل بما افترض الله عليه واجتنابه لما نهى الله عنه بعلم يرشده في جميع ذلك .

وقال آخر : أنعم الله عليك فيما أمرك به من الطاعات المؤقتة بالأوقات بنعمتين عظيمتين .

إحداهما تقيدها لك بأعيان الأوقات لتوقعها فيها فتفوز بثوابها ولولا التوقيت لسنّفت بها ولم تعمل بها حتى تفوت فيفوتك ثوابها .

والنعمة الثانية توسيع أوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تأتي الطاعات في حال سكونٍ وتمهلٍ من غير حرج ولا ضيق .

اللهم ثبت وقو محبتك في قلوبنا وشرح صدورنا ونورها بنور الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين وألهمنا ذكرك وشكرك واجعلنا ممن يفوز بالنظر إلى

وَجْهَكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمٌ وَيَا كَرِيمٌ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

واعلم أنّ الله جلّ وعلا وتقدس غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا
تضره معصيتهم وأنّ التكاليف كلها إنما أوجبها عليهم لما يرجع إليهم من
مصالحهم لا غير .

فمن وفقه الله ونور بصيرته وشرح صدره وكتب في قلبه الايمان ونغض
إليه العُصيان لم يقتصر على الفرائض واجتناب النواهي .

بل يضيف إلى ذلك المبادرة إلى أعمال الطاعات والمساورة إلى نوافل
العبادات وفعل الخيرات .

وقال : وإعلم رحمك الله أنا تلمّحنا الواجبات فرأينا الحقّ جلّ وعلا
جعل في كلّ ما أوجبته تطوعاً من جنسه في أيّ الأنواع كان .

ليكون ذلك التطوع من الجنس جابراً لما عسى أن يقع من خلل في قيام
العبد بالواجبات .

وكذلك جاء في الحديث « أنه يُنظر في مفروض صلاة العبد فإن نقص
منها شيء كمل من النوافل » .

فافهم رحمك الله هذا واجتهد ولا تكن مقتصراً على ما فرض الله
عليك بل لتكن فيك عزيمة وناهضة قوية توجب اجتهادك وإكبابك على
معاملة الله فيما يجب وفيما يسن .

ففي الحديث ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه
(الحديث) .

ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم إلا فعل الواجبات وثواب ترك
المحرمات لفاتهم من الخير والمنّة ما لا يحصره حاصر ولا يحزره حازر .

فسبحان من فتح لعباده باب المعاملة وهيء لهم أسباب المواصلة

فالمُوقِّفون أهلُ الفهم والمعرفة جَعَلُوا الأوقاتَ كُلَّهَا وقتًا واحدًا والعُمُرُ كُلَّهُ نَهْجًا إلى الله تعالى قاصِدًا .

وعَلِمُوا أن الوقتَ كُلَّهُ لله فلم يجعلُوا منه شيئًا لغيره .
جَعَلُوا أوقاتهم في طاعة الله فِعْلًا ونيةً . قال تعالى ﴿ وما خَلَقْتُ الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .

عَلِمُوا أن الأنفاسَ أماناتَ عندهم وودائعَ لديهم .
وعَلِمُوا أنهم مطالبون برعايتها فوجَّهُوا همَّهم لحفظها وأدائها .
قال بعضهم إَحَالَتْكَ الأعمالُ إلى وجُودِ الفراغِ حُقٌّ ووجهٌ ووجهٌ ذلك : أولاً أنه إيثارٌ للدنيا على الآخرة ، وليس هذا من شأن عُقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منك قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ بل تُؤثِّرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ .

والثاني أن تَسْوِيفَ العَمَلِ إلى آوانِ الفراغِ غَلَطٌ لأنَّهُ قد لا يجدُ مُهلَةً بأن يَحْتَطِفُهُ الموتُ قَبْلَ ذلك .

أوزداد شُغْلُهُ لَأَنَّ أشغالَ الدنيا يَتَدَاعَى بعضها إلى بعضه كما قيل :
فما قَضَى أَحَدٌ منها لُبَانَتَهُ ولا انْتَهَى أَرْبٌ إلا إلى أَرْبٍ
والثالث أنه رَبُّها يَفْرَغُ منها إلى الذي لا يُرْضِيهِ من تَبَدُّلِ عَزْمِهِ وَضَعْفِ

نَيْتِهِ .

المهم أن الواجب عليه المبادرة إلى الأعمال الصالحة على أي حالٍ

كان .

شِعْرًا :

مَنْ كان يُوجِّسُهُ تَبْدِيلُ مَنْزِلِهِ وَأَنْ تُبَدَّلَ مِنْهَا مَنْزِلًا حَسَنًا
ماذا يَقُولُ إِذَا ضَمَّتْ جَوَانِبُهَا عَلَيْهِ واجْتَمَعَتْ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا
ماذا يَقُولُ إِذَا أَمْسَى بِحُفْرَتِهِ فَرْدًا وَقَدْ فَارَقَ الأَهْلِينَ والسَّكَنَا
هُنَاكَ يَعْلَمُ قَدْرَ الوَحْشَتَيْنِ وَمَا يَلْقَاهُ مَنْ باتَ باللذاتِ مَرَّتْهُنَا

يَا غَفَلَةً وِرِمَاحِ المَوْتِ شَارِعَةً
وَلَمْ أَعِدْ مَكَانًا لِلتُّرُوقِ وَلَا
إِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ تَوَالَى جُودَهُ أَبَدًا
فِيَا إِلَهِي وَمُزْنَ الجُودِ وَآكِفَةً
آنِسْ هُنَالِكَ يَا رَحْمَنُ وَحَشْتَنَا
نَحْنُ العِصَاةُ وَأَنْتَ اللهُ مَلَجُونَا
فَكُنْ لَنَا عِنْدَ بَأْسَاهَا وَشِدَّتِهَا
وَالشَّيْبُ أَلْقَى بِرَأْسِي نَحْوَهُ الرَّسْنَا
أَعَدَدْتُ زَادًا وَلَكُنْ غِرَّةً وَمَنَا
وَيَعْفُ مَنْ عَفُوهُ مِنْ طَالِبِيهِ دَنَا
سَحًّا فَتَمَطَّرْنَا الإِفْضَالَ وَالْمِنْنَا
وَأَلْطَفَ بِنَا وَتَرَفَّقَ عِنْدَ ذَاكَ بِنَا
وَأَنْتَ مَقْصِدُنَا الأُسَى وَمَطْلَبُنَا
أُولَى فَمَنْ ذَ الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَنَا

فائدة قال بعض العلماء أصل كل معصية وشهوة الرضا عن النفس لأنه أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عن النفس أصل الصفات المحمودة وذلك لأن الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساوئها وقبائحها فيصير قبيحها حسنًا كما قيل :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنِ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِّي الْمَسَاوِيَا
آخر :

وَنَفْسِكَ أَكْرَمَ عَنِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَلَا تَقْرُبِ الأَمْرَ الحَرَامَ فَإِنَّهُ
فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَ مَا تَسْعِرُهَا
حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا
آخر :

تَوَقَّ نَفْسَكَ لَا تَأْمَنْ غَوَائِلَهَا
وَعَدَمُ الرِّضَا عَنِ النِّفْسِ عَلَى العَكْسِ مِنْ هَذَا لِأَنَّ العَبْدَ إِذَا كَانَ يَتَّهَمُ
نَفْسَهُ وَيَتَطَلَّبُ عُيُوبَهَا وَلَا يَغْتَرُّ بِهَا يَظْهَرُ مِنَ الطَّاعَةِ وَالانْقِيَادِ
شعرا :

أَلَا أَيُّهَا النَّفْسُ السَّوْمُ تَنْبِيهُي
ضَلَالٌ لِأَذْهَانٍ وَظَنٌّ مُكْذِبٌ
وَقَدْ غَصَّ بِالكَأْسِ الكَرِيهَةِ أَحْمَدُ
آخِرُ : إِذَا مَا أَجَبَتِ النَّفْسُ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ
وَأَلْقَى إِلَيَّ السَّمْعَ إِلقَاءَ جَازِمَةٍ
رَجَاؤُكَ أَنْ تَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ سَالِمَةٍ
وَمَاتَ فَمَاتَ الحَقُّ إِلاَّ مَعَالِمُهُ
دَعْتِكَ إِلَى الأَمْرِ القَبِيحِ المَحْرَمِ

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين الذين أهلتهم
لخدمتك وجعلتهم ممن قبلت أعماله يارب العالمين وصلى الله على محمد وآله
وصحبه أجمعين .

(فصل)

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن من رضي عن
نفسه استحسن حالها وسكن إليها ومن استحسن حال نفسه وسكن إليها
استولت عليه الغفلة .

وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي
الشهوة على العبد .

وليس عنده من المراقبة والملاحظة والتذكير ما يدفعها به ويقهرها .
فتصير الشهوة غالباً له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في
المعاصي .

وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن
حالتها ولم يسكن إليها .

ومن كان بهذا الوصف كان متيقظاً متنبهاً للطوارئ وبالتيقظ والتنبه
يتمكن من تفقدِ خواطره ومراعاتها .

وعند ذلك تحمد نيران الشهوة فلا يكون لها غلبة ولا قوة فيضعف العبد
حينئذ بصفة العفة .

فإذا صار عفيفاً كان مجتنباً لكل ما نهاه الله عنه محافظاً على جميع ما
أمره به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم الرضا عن
نفسه .

فإذا يجب على الإنسان أن يعرف نفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها
وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلموا مقامه .

وكان العلماء المخلصون يذمون نفوسهم ويتهمونها ولا يرضون عنها .
قال بعضهم من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها ولم يجرها
إلى مكروها فهو مغرور ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها .
وكيف يرضى عنها عاقل وهي الأمانة بالسوء وقال بعض العلماء لا
تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة الله .

وقال آخر : ما رضى عن نفسي طرفة عين .
وقال آخر : إن من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر
النصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم .

وقال آخر : فائدة الصحبة إنما هي للزيادة في الحال وعدم النقصان
فيها فإياك وصحبة من لا ينهضك حاله ولا يدللك على الله مقالته .
فصحبة من يرضى عن نفسه وإن كان عالماً شراً محض ولا فائدة فيها
لأن علمه في الغالب غير نافع له .

وجهله الذي أوجب رضاه عن نفسه صار غاية الضرر لأنه فاتته العلم
الذي يريه عينه حتى لا يرضى عن نفسه الأمانة بالسوء .
وقال ابن القيم رحمه الله لما ذكر النفس الأمانة بالسوء قال منها أن
يعرف أنها جاهلة ظالمة وأن الجهل والظلم يصدر عنها كل قول وعمل
قبيح .

ومن وصفه الجهل والظلم لا مطمع في استقامته واعتداله البتة فيوجب
له ذلك بذل الجهد في العلم النافع الذي يخرجها به عن وصف الجهل
والعمل الصالح الذي يخرجها به عن وصف الظلم ومع هذا فجهلها أكثر
من علمها وظلمها أعظم من عدلها .

فحقيق بمن هذا شأنه أن يرغب إلى خالقها وفاضلها أن يقبض شرها وأن
يؤتيها تقواها ويؤتيها فهو خير من زكاها وأن لا يكبله إليها طرفة عين فإنه إن

وكله إليها هلك فما هلك من هلك إلا حيث وكل إلى نفسه .

وقال النبي ﷺ لِحُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ « قل اللهم ألهمني رُشْدِي وقني شر نفسي » وفي حُطْبَةِ الْحَاجَةِ « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا » وقد قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُوقِ شِحْنَهُ نَفْسَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ .

فَمَنْ عَرَفَ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ وَمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ عَلِمَ أَنَّهَا مَنبَعُ كُلِّ شَرٍّ وَمَأْوَى كُلِّ سُوءٍ وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ فِيهَا فَفَضْلٌ مِنَ اللَّهِ مَنْ بِهِ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ فهذا الحُبُّ وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها .

ولكن هو الله الذي منَّ بهما فجعل العبد بسببهما من الراشدين ﴿ فضلاً من الله ونعمةً والله عليم حكيم ﴾ عليم بمن يصلح لهذا الفضل ويزكوا عليه وبه ويثمر عنده حكيم فلا يضعه عند غير أهله إنتهى بتصرُّفٍ يسير .

فعلى العاقل اللبيب مُحَاسَبَةٌ نَفْسِهِ دَائِمًا وَالْمُحَاسَبَةُ هِيَ مَطَالَعَةُ الْقَلْبِ وَأَعْمَالِ اللِّسَانِ وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ .

فأجعل ذنوبك نصب عينيك فإن غفلت عنها اجتمعت بسرعة وكثرت .

وتأمل وفكر فلو أنك وضعت في كل معصية تُحدثها حجراً في دارك لامتلاً بيتك في مدة يسيرة .

فمثلاً عندك غيبة أو عندك كذب أو عندك رياء أو عندك عقوق أو قطيعة رحم أو ظلم لمسلم أو لنفسك أو لأهلك أو لأولادك أو لجيرانك أو تعامل معاملة لا تجوز .

أَوْ عِنْدَكَ كُفَّارٌ خَدَّامٌ أَوْ سَوَاقِينٌ أَوْ عِنْدَكَ مَلَاهِي كَالْتَلْفَازِ وَالْفِيدِيوِ أَوْ
عِنْدَكَ صُورٌ أَوْ تَشْرِبُ الدُّخَانَ أَوْ حَلَقَ لَحْيَةٍ أَوْ إِسْبَالَ أَوْ تَشْبَهُ بِكُفَّارٍ أَوْ سَفَرٍ
لِبِلَادِهِمْ .

أَوْ لَكَ أَوْلَادٌ يَدْرُسُونَ عِنْدَهُمْ بَرَضًا مِنْكَ أَوْ أَكَلَكَ وَشَرُّكَ وَتُبَسَّكَ مِنْ
شَرَكَاتٍ تَتَعَامَلُ بِالرَّبَا أَوْ أَنَّ عَمَلَكَ لَا تُؤَدِّيهِ كَامِلًا مُكْمَلًا وَتَأْخُذُ مَا عَلَيْهِ
كَامِلًا .

أَوْ لَا تَتَنَسَّخُ مِنَ الزَّكَاةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ .
فَتَيْقِظُ وَحَاسِبٌ نَفْسِكَ وَفَتَشْ عَلَيْهِا بِدِقَّةٍ وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ أَنْ
يَتَجَاوَزَ عَنْكَ .

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِحَالَكَ نَاجِيًا
قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ
اللَّهُ ﴾ قِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْمَوَاحِذَةِ .

وَلَمَّا نَزَلَتْ بِكَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرْحَمُ
أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِنَفْسِهِ وَبَصِيرَةٌ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَهُوَ
صَادِقٌ فِي طَلَبِهِ لَمْ يَبْقَ لَهُ نَظَرُهُ فِي سَيِّئَاتِهِ حَسَنَةً الْبَتَّةِ فَلَا يَلْقَى اللَّهَ إِلَّا بِالْإِفْلَاسِ
الْمَحْضِ وَالْفَقْرِ الصَّرْفِ .

لَأَنَّهُ إِذَا فَتَشَّ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَعُيُوبِ عَمَلِهِ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تَصْلَحُ لِلَّهِ وَأَنَّ
تِلْكَ الْبِضَاعَةَ لَا تَشْتَرِي بِهَا النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَضْلًا عَنِ الْفَوْزِ بِعَظِيمِ
ثَوَابِهِ .

فَإِنْ خَلَصَ لَهُ عَمَلٌ وَحَالَ مَعَ اللَّهِ وَصَفَا لَهُ مَعَهُ وَقْتُ شَاهِدَ مِنْهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ بِهِ وَجَرَّدَ فَضْلِهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا هِيَ أَهْلٌ لَذَاكَ .

فهو دائماً مشاهدٌ لِمِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلِعُيُوبِ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ لِأَنَّهُ مَتَى تَطَلَّبَهَا زَاوَاهَا وَهَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ .

ولذلك كَانَ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأُبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

فَتَضَمَّنَ هَذَا الْإِسْتِغْفَارُ الْإِعْتِرَافَ مِنَ الْعَبْدِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالْإِعْتِرَافَ بِأَنَّهُ خَالِقُهُ الْعَالِمُ بِهِ إِذْ أَنْشَأَهُ نَشْأَةً تَسْتَلِزِمُ عَجْزَهُ عَنْ أَدَاءِ حَقِّهِ وَتَقْصِيرَهُ فِيهِ وَالْإِعْتِرَافَ بِأَنَّهُ عَبْدُهُ الَّذِي نَاصِبَتُهُ بِيَدِهِ وَفِي قَبْضَتِهِ لَا مَهْرَبَ لَهُ مِنْهُ وَلَا وِليَ لَهُ سِوَاهُ .

ثُمَّ التَّزَمَ الدُّخُولَ تَحْتَ عَهْدِهِ وَهُوَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ الَّذِي عَهَدَهُ إِلَيْهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ وَأَنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ اسْتَطَاعَتِي لَا بِحَسَبِ أَدَاءِ حَقِّكَ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ لِلْبَشَرِ إِنَّمَا هُوَ جُهْدُ الْمُقِلِّ وَقَدْرُ الطَّاقَةِ .

وَمَعَ هَذَا فَأَنَا مُصَدِّقٌ بِوَعْدِكَ ثُمَّ أَنْزَعُ إِلَى الْإِسْتِعَاذَةِ وَالْإِعْتِصَامِ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فَرَطْتُ فِيهِ مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَذِّبْنِي مِنْ شَرِّهِ وَإِلَّا أَحَاطْتُ بِبِ الْهَلَكَةِ فَإِنَّ إِضَاعَةَ حَقِّكَ سَبَبُ الْهَلَاكِ وَأَنَا أَقْرَبُ لَكَ وَالتَّزَمْتُ وَأَبْخَعُ بِذَنْبِي .
فَمِنْكَ الْمِنَّةُ وَالْإِحْسَانُ وَالْفَضْلُ وَمِنِي الذَّنْبُ وَالْإِسَاءَةُ فَاسْأَلْكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي بِمَحْوِ ذَنْبِي وَأَنْ تَعْفِنِي مِنْ شَرِّهِ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَلِهَذَا كَانَ هَذَا الدُّعَاءُ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ .

وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِمَحْضِ الْعُبُودِيَّةِ فَأَيُّ حَسَنَةٍ تَبْقَى لِلْبَصِيرِ الصَّادِقِ مَعَ مُشَاهَدَتِهِ عُيُوبَ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ وَمِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ نَظْرَهُ إِلَى نَفْسِهِ وَنَقِصِهِ أَهـ .

قَالَ بَعْضُ الزُّهَادِ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُجَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُجَاسِبَةِ الشَّرِّيكِ لِشَرِّيكِهِ وَالشَّرِّيكَانَ يَتَحَاسَبَانِ بَعْدَ الْعَمَلِ .

شِعْرًا : النَّاسُ كُلُّهُمْ لِلْعَبِيدِ قَدْ فَرِحُوا وَقَدْ فَرِحْتُ أَنَا بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ

النَّاسُ كُلُّهُمْ لِلْعِيدِ قَدْ صَبَغُوا وَقَدْ صَبَغَتْ ثِيَابَ الذُّلِّ وَالْكَمَدِ
النَّاسُ كُلُّهُمْ لِلْعِيدِ قَدْ غَسَلُوا وَقَدْ غَسَلَتْ أَنَا الدَّمْعَ لِلْكَبِدِ
وقال الحسنُ المؤمنُ قوامٌ على نفسه يُحَاسِبُهَا اللهُ تعالى وإِنَّمَا خَفَّ الحِسَابُ
على قومٍ حَاسَبُوا أَنفُسَهُمْ في الدنيا وإِنَّمَا شَقَّ الحِسَابُ على قومٍ أَخَذُوا هَذَا
الأمرَ من غيرِ مُحَاسَبَةٍ .

وفي حديث أبي طلحة أنه لما شغله الطينُ في صلاته فتدبَّرَ شُغْلُهُ فجعل
حائطُهُ صدقةً لله تعالى ندماً ورجاءً لعوضٍ مما فاتهُ وتأديباً لنفسِهِ .
المهم أن يعلم العبد أن أعدى عدوِّه نفسه التي بين جنبيه وقد خلقت
أمارَةً بالسوء أمارة بالشر فرارةً من الخير .

والإنسانُ مأمورٌ بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل العبرِ إلى عبادة ربها
وخالفها ومنعها عن لذاتها وشهواتها المهلكة .
فإن أهملها شردت وجمحت ولم يظفر بها بعد ذلك وإن لزمها بالتوبيخ
والتقريع والمعاتبة والعدل والملامة ولم يغفل عن تذكيرها وعتابها اعتدلت بإذن
الله تعالى .

والنفسُ كالطفلٍ إن تممَّله شبَّ على حُبِّ الرِّضَاعِ وإن تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمَ
وراعِها وهي في الأعمالِ سائمةٌ وإن هي استحلَّت المرعى فلا تُسم .
كم حسنت لذةً للمرءِ قاتلةً من حيث لم يدري أن السمَّ في الدسمِ
فالعاقل اللبيبُ من يوبخ نفسه ويعاتبها ويوضح لها عيوبها كلها ويقرر
عندها جهلها وحمقتها فإنها إذا أراد الله تُعذِرَ وترعوي وترجع .
فيقول لها ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والفطنة وأنت من أجهل
الناس وأحمقهم .

وأكبر برهان على ذلك إهمالك واستهانتك أما تعرفين ما بين يدك من
الأهوال والعظائم والمزعجات والمخاوف .

أما تقرئين وتسمعين قول أصدق القائلين وأوفى الواعدين وأقدر

القادرين ﴿ إِنَّا لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمٌ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾ .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَانِ
يَوْمَ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لِهَوْلِهِ وَتُشَيَّبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ
وقوله تعالى ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ
الذكري يقول يا ليتني قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ الآية .

وقوله عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ الآية
وقوله جل وعلا ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ
يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ .
وقوله تبارك وتعالى ﴿ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظِي ﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿ إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ .
ونحو هذه الآيات المخوفة ثم يقول لنفسه فهالك تفرحين وتضحكين
وتشتغلين باللهو وأنتِ مطلوبةٌ لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم وبين يديك
إحدى منزلتين الجنة أو النار فكيف يهنؤك نومٌ أو يلدُّ لك مأكول أو مشروب
وأنت لا تدرين في أيِّ الفريقين تكونين « فريق في الجنة وفريق في السعير » .

وكيف تنام العين وهي قريرةٌ ولم تدر في أيِّ المكانين تنزلُ
وقل لها أما تعلمين أن كل ما هوأت قريب وأن البعيد ما ليس آت .
أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة
وأنت لا يأتي في شتاءٍ دون صيفٍ ولا في صيفٍ دون شتاءٍ ولا في نهارٍ دون ليل
ولا في ليلٍ دون نهارٍ ولا يأتي في الصبا دون الكبر ولا في الكبر دون الصبا .
بل كل نفسٍ يمكن أن يأتيها الموت بغتة فإن لم يأت الموت بغتة جاءه
المرض لا محالة ثم المرض يُفضي إلى الموت .

فمالك يا نفس لا تستعدين والموت أقرب إليك من جبل الوريد .
فهكذا معاملة الزهاد والعباد في تويخ أنفسهم وعتابها فإن مطلبهم
من المناجاة الاسترضاء ومقصودهم من المعاتبة التنبيه والاستراعاء .

فَمَنْ أَهْمَلَ مُعَاتَبَةَ نَفْسِهِ وَتَوَيْخَهَا وَأَهْمَلَ مُنَاجَاتَهَا لَمْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُرَاعِيًا
فَسَأَلَ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ بِأَحْوَالِ أَنْفُسِنَا وَغُرُورِهَا .
وَخِتَامًا فَالْعَاقِلُ مَنْ بَدَّلَ وَسْعَهُ فِي التَّفَكُّرِ التَّامِ وَعَلِمَ أَنَّ دَارَ الدُّنْيَا
رِحْلَةٌ فَجَمَعَ لِلسَّفَرِ رِحْلَهُ .

فَمَبْدَأُ السَّفَرِ مِنْ ظُهُورِ الْأَبَاءِ إِلَى بُطُونِ الْأُمَّهَاتِ ثُمَّ إِلَى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَى
القَبْرِ ثُمَّ الْحَشْرِ ثُمَّ إِلَى دَارِ الْإِقَامَةِ الْأَبَدِيَّةِ .

هُوَ عَلَىكَ فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ وَإِنَّمَا أَنْتَ مِثْلُ النَّاسِ مَغْرُورٌ
وَلَوْ تَصَوَّرَ أَهْلُ الدَّهْرِ صُورَتَهُ لَمْ يُنْسِ مِنْهُمْ لَيْبٌ وَهُوَ مَسْرُورٌ
فَدَارُ الْإِقَامَةِ لِلْمُؤْمِنِ هِيَ دَارُ السَّلَامِ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَهِيَ دَارُ
الْخُلُودِ وَالْعَدُوِّ سَبَانَا مِنْهَا إِلَى دَارِ الدُّنْيَا .

فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا الْأَجْتِهَادُ فِي فَكَاكِ أَسْرِنَا ثُمَّ فِي حَثِّ السَّيْرِ إِلَى الْوَصُولِ
إِلَى دَارِنَا الْأُولَى وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ :

فَحَيٌّ عَلَى جَنَاتٍ عَدَنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخِيمُ
وَلَكِنَّا سَبِيَّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى نُرْدُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنَسَلَّمُ

أخر : تَرَكْتُ هَوَى لَيْلِي وَسُعْدَى بِمَغْزَلِ وَعُدْتُ إِلَى تَصْحِيحِ أَوَّلِ مَنْزِلِ
وَنَادَتْ بِي الْأَشْوَاقُ مَهْلًا فَهَذِهِ مَنَازِلُ مَنْ تَهْوَى رُؤْيَدِكَ فَانْزِلِ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مَقْدَارَ السَّيْرِ فِي الدُّنْيَا يَسِيرٌ وَيُقَطَّعُ بِالْأَنْفَاسِ كَمَا قِيلَ :
وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يَبَاعِدُ مَوْلِدًا وَيُدْنِي الْمَنَايَا لِلنُّفُوسِ فَتَقْرُبُ
وَيَسِيرُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سَيْرَ السَّفِينَةِ لَا يُحْسُ بِسَيْرِهَا وَهُوَ جَالِسٌ

فِيهَا كَمَا قِيلَ :

وَإِنَّا لَفِي الدُّنْيَا كَرَكَبِ سَفِينَةٍ تَظُنُّ وَقُوفًا وَالزَّمَانَ بِهَا يَجْرِي

وَيَقُولُ الْآخَرُ :

نَسِيرٌ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطَوَّى وَهِنَّ مَرَاحِلُ

أخر : وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيْرُكَبٍ كَارِهًا عَلَى النَّعْشِ أَعْنَاقَ الْعِدَا وَالْأَقَارِبِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : إعلم أيها الأخ أن جميع مُصِيبَاتِ الدنيا وشُرُورها وأحزَانهَا

كأحلام نوم أو كظِلِّ زائل .

إِنَّ أَضْحَكَتْ قَلِيلًا أُنْكَتْ كَثِيرًا وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا أَوْ أَيَّامًا سَاءَتْ أَشْهُرًا

أَوْ أَعْوَامًا وَإِنْ مَتَّعَتْ قَلِيلًا مَنَعَتْ طَوِيلًا .

وما حَصَلَ لِلْعَبْدِ فِيهَا مِنْ سُرُورٍ إِلَّا أَعْقَبَهُ أَحْزَانٌ وَشُرُورٌ كَمَا قِيلَ :

« مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامُنُ » .

وقال بعضُ العلماءِ لبعضِ الملوكِ إنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِدَمِّ الدُّنْيَا وَقِلَافِهَا

مَنْ بَسِطَ لَهُ فِيهَا وَأَعْطَى حَاجَتَهُ مِنْهَا .

لأنه يَتَوَقَّعُ أَفَّةً تَعْدُو عَلَى مَالِهِ فَتَجْتَاخُهُ ، أَوْ عَلَى جَمْعِهِ فَتُفَرِّقُهُ ، أَوْ تَأْتِي

سُلْطَانَهُ فَتَهْدِمُهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ .

أَوْ تَدْبُ إِلَى جِسْمِهِ فَتَسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بِشَيْءٍ هُوَ ضَيْنٌ بِهِ مِنْ

أَحْبَابِهِ .

فالدنيا أحق بالدم هي الآخذة لما أعطت ، والراجعة لما وهبت .

بَيْنَمَا هِيَ تُضْحِكُ صَاحِبَهَا إِذَا هِيَ تُضْحِكُ مِنْهُ غَيْرِهِ .

وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي لَهُ إِذْ بَكَتْ عَلَيْهِ .

وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذْ بَسَطَتْهَا بِالْإِسْتِرْدَادِ .

تَعْقِدُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُعْفِرُهُ بِالْتُّرَابِ غَدًا .

سِوَاءَ عَلَيْهَا ذَهَابُ مَا ذَهَبَ وَبِقَاءِ مَا بَقِيَ تَجِدُ فِي الْبَاقِي مِنَ الذَّاهِبِ

خَلْفًا وَتَرْضَى بِكُلِّ بَدَلًا .

شعرا :

بَأْمَرِ دُنْيَاكَ لَا تَغْفُلْ وَكُنْ حَذِرًا فَقَدْ أَبَانَتْ لِأَرْبَابِ النَّهْيِ عِبْرًا

فَأَيُّ عَيْشٍ بِهَا مَا شَابَهُ غَيْرٌ وَأَيُّ صَفْوَتِنَاهِي لَمْ يَصِرْ كَدِرًا

كَمْ سَالِمٍ أَسْلَمْتَهُ لِلرَّدَى فَقَضَى حَتْفًا وَلَمْ يَقْضِ مِنْ لَدَاتِهَا وَطَرًا

وَمُتَرَفٍ قَلْبَتْ ظَهَرَ الْمَجْنُّ لَهُ
فَابْعَدْنَهَا وَلَا تَحْفَلْ بِزُخْرُفِهَا
فَكُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ الْعَيْنُ مِنْ حَسَنِ
وَاصْحَبْ وَصَلَّ وَوَاصِلْ كُلَّ أُونَةٍ
وَصَحْبِهِ وَمَنْ اسْتَهْدَى بِهِدْيَهُمْوَا
فَعَادَ بَعْدَ عُلُوِّ الْقَدْرِ مُحْتَقِرًا
وَعُضَّ طَرْفَكَ عَنْهُ قَلًّا أَوْ كَثْرًا
كَرُّ الْأَهْلَةِ لَا يُبْقِي لَهُ أَثْرًا
عَلَى النَّبِيِّ سَلَامًا طَيِّبًا عَطْرًا
فَهُمْ أُمَّةٌ مَنْ صَلَّى وَمَنْ ذَكَرَا

ثم علم أيها الأخ أن من بورك له في عمره أدرك في يسير الزمن من من
الله ما لا يدخل تحت دوائر العبارة .

فبركة العمر أن يزرُق الله العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على الجد
والاجتهاد على اغتنام أوقات عمره وانتهاز فرصة إمكانه .
فيبادر إلى الأعمال القلبية والأعمال البدنية ويستفرغ في ذلك مجهوده
بالكلية وكل ذلك في عمر قصير وزمن يسير .

والخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إلى الله جل

وعلا .

ومن الخذلان أيضا أن تصدك العوائق والشواغل عن التوجه إلى الله

تعالى .

والواجب عليك أن تبادر إلى التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة وأن ترمي

بالعوائق والشواغل خلف ظهرك

شعرا :

مَضَى أَمْسُكَ الْمَاضِي عَلَيْكَ مُعَدَّلًا وَأَصْبَحْتَ فِي يَوْمٍ عَلَيْكَ جَدِيدُ
فَإِنْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ جِنَايَةً فَتَنِّي بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ
وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

وقد قيل سيروا إلى الله عرجًا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فإن انتظار

الصحة بطلالة والعاقيل من بادر إلى الأعمال الصالحة قال الشاعر حاثًا على

اغتنام الوقت :

وَأَخَذَ مِنْ قَرِيبٍ وَأَسْتَجِبَ وَاجْتَنِبَ غَدًا
وَكُنْ صَارِمًا كَالْوَقْتِ فَالْمَقْتُ فِي عَسَى
وَسِرْ زَمِنًا وَأَنْهَضْ كَسِيرًا فَحَظُّكَ الْ
وَجُدَّ بِسَيْفِ الْعَزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجُدَّ
وَشَمَّرَ عَنِ السَّاقِ إِجْتِهَادًا بِنَهْضَةٍ
وَإِيَّاكَ مَهْلًا فَهِيَ أَخْطَرُ عِلَّةٍ
بَطَالَةٌ مَا أَخْرَتَ عَزْمًا لِصِحَّةٍ
تَجِدُ نَفْسًا فَالنَّفْسُ إِنْ جُدَّتْ جَدَّتْ
ثم أعلم أيها الأخ الحريص على حفظ وقته عن الضياع أنه إن قلت
أشغالك وقلت عوائقك ثم قعدت عن الجد والاجتهاد فيما يقربك إلى الله من
أنواع الطاعات أن هذا هو الخذلان أعادنا الله منه .

فَفَرَّغُ الْقَلْبَ مِنَ الْأَشْغَالِ نِعْمَةً عَظِيمَةً لِمَنْ وَقَّعَهُ اللَّهُ إِعْتِنَامَهَا فَصَرَفَهَا
فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ كَفَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِأَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ
الهُوَى وَأَنْجَرَ فِي قِيَادِ الشَّهَوَاتِ .

قال ﷺ بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا
أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو
الساعة فالساعة أدهى وأمر .

وقال بعضهم الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له فالقلب
الخالى من الفكرة خالى من النور مظلم بوجود الجهل والغرور .
فَفَكِّرُ الزَّاهِدِينَ فِي فَنَاءِ الدُّنْيَا وَاضْمِحْلَاهَا وَقِلَّةِ وَقَائِهَا لِطُلَّابِهَا فَيَزِدَادُونَ
بِالْفِكْرِ زُهْدًا فِيهَا .

وَفَكِّرُ الْعَابِدِينَ فِي جَمِيلِ الثَّوَابِ فَيَزِدَادُونَ نَشَاطًا عَلَيْهِ وَرَغْبَةً فِيهِ .
وَفَكِّرُ الْعَارِفِينَ فِي الْآلَاءِ وَالنِّعْمَاءِ فَيَزِدَادُونَ نَشَاطًا فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ
وَيَزِدَادُونَ مَحَبَّةً لِلَّهِ وَشُكْرًا لَهُ وَحَمْدًا عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى قَالَ جَلَّ
وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

شعرا : مالي أراك على الذنوب مواظبا
لا تغفلن كأن يومك قد أتى
وأخذت من سوء الحساب أمانا
ولعل عمرك قد دنا أو حانا
ومضى الحبيب لحفر قبرك مسرعا
وأتى الصديق فأنذر الجيرانا

وَأَتُوا بَغْسَالٍ وَجَاءُوا نَحْوَهُ
فَغُسِلَتْ ثُمَّ كُسِيتَ ثَوْباً لِلْبَلَى
وَأَتَاكَ أَهْلَكَ لِلْوَدَاعِ فَوَدَّعُوا
فَخَفِ الْإِلَهَ فَإِنَّهُ مَنْ خَافَهُ
جَنَاتِ عَدْنٍ لَا يَبِيدُ نَعِيمُهَا
وَلَكِنْ عَصَى نَاراً يُقَالُ لَهَا لَظَى
نَبِيئِي وَحَقٌّ لَنَا الْبُكْيُ يَا قَوْمَنَا
وَدَا بِغَسْلِكَ مَيْتاً عُرْبَانَا
وَدَعُوا لِحِمْلِ سَرِيرِكَ الْإِخْوَانَا
وَجَتِ عَلَيْنَا دَمُوعُهُمْ غُدْرَانَا
سَكَنَ الْجِنَانُ مَجَاوِراً رِضْوَانَا
أَبْدأُ يُخَالِطُ رُوحَهُ رِيحَانَا
تَشْوِي الْوُجُوهَ وَتُحْرِقُ الْأَبْدَانَا
كَيْ لَا يُؤَاخِذَنَا بِمَا قَدْ كَانَا

(فَضْلٌ)

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ ذِكْرُ الْمَوْتِ النَّافِعَ هُوَ أَنْ يَقُولَ الْمَوْتُ فَقَطْ فَإِنَّ هَذَا قَلِيلُ
الْفَائِدَةِ بَلْ لَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ تَفَكُّرٍ بِقَلْبٍ فَارِغٍ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَاسْتِحْضَارِ
لِحَالِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَهْوَالِهِ وَشِدَائِدِهِ وَسَكَرَاتِهِ وَتَتَفَكَّرُ فِي شِدَّةِ النَّزْعِ وَالْأَلَمِ الَّذِي
يُعَانِيهِ عِنْدَ خُرُوجِ الرُّوحِ مِنَ الْبَدَنِ أَعَانَنَا اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

حَتَّى قَالُوا أَنَّهُ أَشَدُّ مِنَ الضَّرْبِ بِالسَّيْفِ وَنَشْرِ الْمَنَاشِيرِ وَقَرَضِ
الْمَقَارِيضِ لِأَنَّهُ يَهْجُمُ عَلَى الْأَنْسَانِ وَيَسْتَعْرِقُ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مِنَ
الْعُرُوقِ وَعَصَبٍ مِنَ الْأَعْصَابِ وَجُزْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَمَفْصِلٍ مِنَ الْمَفَاسِلِ وَمِنْ
أَصْلِ كُلِّ شَعْرَةٍ وَبَشْرَةٍ مِنَ الْمَفْرَقِ إِلَى الْقَدَمِ لِيَسْتَلَّ الرُّوحُ مِنْهَا .

فَلَا تَسْأَلْ عَنْ كَرْبِهِ وَالْمَلِهُ وَلِذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الصِّيَاحِ مَعَ شِدَّةِ الْأَلَمِ
لِزِيَادَةِ الْكَرْبِ حَيْثُ قَهَرَ كُلُّ قُوَّةٍ وَضَعْفَ كُلِّ جَارِحَةٍ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ قُوَّةُ الْاسْتِغَاثَةِ
أَمَّا الْعَقْلُ فَقَدْ غَشِيَهُ وَشَوَّشَهُ .

وَأَمَّا اللِّسَانُ فَقَدْ حَجَزَهُ وَأَبْكَمَهُ وَالْأَطْرَافُ فَقَدْ ضَعَفَهَا وَوَهَّنَهَا وَخَدَّرَهَا
فَإِنَّ بَقِيَّتَ فِيهِ قُوَّةٌ سَمِعَتْ لَهُ عِنْدَ نَزْعِ الرُّوحِ وَجَذَبَهَا خَوَارِأً وَغَرَّغَرَةً مِنْ حَلْقِهِ
وَصَدْرِهِ وَقَدْ تَعَيَّرَ لَوْنُهُ وَارْبَدَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَتْ ظَهَرَ مِنَ التُّرَابِ الَّذِي هُوَ أَصْلُهُ .

وَقَدْ جَذَبَ مِنْهُ كُلُّ عِرْقٍ عَلَى حِدَّتِهِ فَالْأَلَمُ مُنْتَشِرٌ فِي دَاخِلِهِ وَخَارِجِهِ حَتَّى

تَرْتَفِعَ الْحَدَقَتَانِ إِلَىٰ أَعَالِيٰ جَفَانِهِ . وَتَتَقَلَّصُ الشَّفَتَانِ وَيَتَقَلَّصُ اللِّسَانُ وَتَخْضِرُ
أَنَامِلُهُ فَلَا تَسْأَلُ عَن بَدَنِ يُجَذَّبُ مِنْهُ كُلُّ عِرْقٍ مِّنْ عُرُوقِهِ .

ثُمَّ يَمُوتُ كُلُّ عَضْوٍ مِّنْ أَعْضَائِهِ تَدْرِيجًا فَتَبْرُدُ أَوَّلًا قَدَمَاهُ ثُمَّ سَاقَاهُ ثُمَّ
فَخِذَاهُ وَلِكُلِّ عَضْوٍ سَكْرَةٌ بَعْدَ سَكْرَةٍ وَكَرْبَةٌ بَعْدَ كَرْبَةٍ حَتَّىٰ يَبْلُغَ بِهَا إِلَى الْحُلُقُومِ .
فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَتَعْظُمُ حَسْرَةُ الْمَفْرُطِ وَيَنْدُمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ
النَّدَمُ .

هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنْجَىٰ مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي
أُحَاذِرُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَدهَىٰ وَأَفْظَعُ
آخِرُ :

دَعَّ عَنكَ مَا قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَذْكَرُ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكَانَ حِينَ نَسِيْتَهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيْعَةٌ أُودِعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَىٰ لَهَا
وَاللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا
وَجَمِيعُ مَا خَلْفَتْهُ وَجَمَعْتَهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَّاتِهَا
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّمْهَا تَفْرُزُ
وَاعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنْلُ مِنْهُ الرِّضَا
وَاقْنَعْ فَنَفِي بَعْضِ الْقِنَاعَةِ رَاحَةٌ
وَاخْتَرِ قَرِينَكَ وَاصْطَفِيْهِ تَفَاخُرًا
وَدَعِ الكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنِ الكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ

وَأَذْكَرُ ذُنُوبِكَ وَابِكِهَا يَا مُذْنِبُ
لَا بُدَّ يُحْصَىٰ مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لِأِهِ تَلْعَبُ
سَتَرْدُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلِّبُ
دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يُخْرَبُ
مَضْضٌ يَدُلُّ لَهَا الْأَعَزُّ الْأَنْجَبُ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
إِنَّ الْمَطِيْعَ لَهُ لَدَيْهِ مُقَرَّبُ
وَالْيَأْسُ مِمَّا فَاتَ فَهُوَ الْمَطْلَبُ
إِنَّ الْقَرِينِ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الكَذُوبَ لِبَيْسٍ خِلَا يُصْحَبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تُخْطَبُ

وَارْعَ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ وَاعْدِلْ وَلَا تَظْلِمِ يَطِيبُ الْمَكْسَبُ
 وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ
 وَاحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا وَاعْلَمْ بِأَنْ دُعَاءَهُ لَا يُجْجِبُ
 فَاحْفَظْ هُدَيْتَ نَصِيحَةَ أَوْلَاكَهَا بَرٌّ نَصُوحٌ لِلْأَنَامِ مَجْرَبُ
 صَحِبَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مُسْتَبْرًا وَرَأَى الْأُمُورَ وَمَا تَوُوبُ وَتُعْقَبُ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ كُتِبَتْ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

وَمَا يُعِينُ عَلَى الْاِسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ ذِكْرُ مَرَارَاتِهِ كَمَا فَهَمَّتَهُ مِمَّا سَبَقَ وَمِمَّا يَأْتِي
 وَقَدْ سَمَّاهُ ﷺ هَازِمُ اللَّذَاتِ وَتَفَكَّرَ فِي الْمَوْتِ الَّذِي حُبِسُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ لِيُجَازُوا
 بِهَا فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَحْوِ خَطِيئَةٍ وَلَا عَلَى زِيَادَةِ حَسَنَةٍ .

وَلَوْ قُلْتَ لَهُمْ تَمَنَّوْا وَأَنْطَقَهُمُ اللَّهُ لَقَالُوا نُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا لِنَعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لَا
 يُرِيدُونَ ذَهَابًا وَلَا فِضَّةً وَلَا بُسْتَانًا وَلَا فُلَّةً وَلَا عَمَّارَةً . وَلَتَعَجَّبَ مِنَّا وَمِنْ حَالِنَا
 وَتَفَرِّطْنَا وَأَنْهَمَا كُنَّا فِي الدُّنْيَا .

وَمَا يُعِينُ عَلَى الْاِسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ أَيْضًا ذِكْرُ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ
 وَعَذَابِهِ أَوْ نَعِيمِهِ وَالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ
 وَالشَّفَاعَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا أَجْمَالًا وَتَفْصِيلًا .

شعراً : مر رجل على رجل جالساً في المقابر فقال ما أجلسك هنا فقال :

يَشْتَاقُ كُلُّ غَرِيبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ وَيَذْكُرُ الْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ وَالسَّكْنََا
 وَلَيْسَ لِي وَطَنٌ أَمْسَيْتُ أَذْكَرُهُ إِلَّا الْمَقَابِرَ إِذْ كَانَتْ لَهُمْ وَطَنَا

شعراً :

مَا زِلْتُ أَفْجَعُ بِالْأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ وَفَنَاءُ نَفْسِي فِي الْحَقِيقَةِ أَفْجَعُ
 فَوَدُّعُ خَلِيلِ النَّفْسِ قَبْلَ فِرَاقِهِ فَمَا النَّاسُ إِلَّا ظَاعِنٌ وَمُودُّعُ

آخر : أَبَقَيْتَ مَالِكَ مِيرَاثًا لَوَارِثِهِ
الْقَوْمَ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرَهُمْ
مَالُوا لِبُكَاءِ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ
آخر :

فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقَى لَكَ الْمَالَ
فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ حَالَتْ بِكَ الْحَالُ
وَاسْتَحَكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ

أَشْتَاقُ أَهْلِي وَأَوْطَانِي وَقَدْ مُلِكتُ
فَاسْتَرِيحُ إِلَى رُؤْيَا الْقُبُورِ فَفِي
وَلَسْتُ أَحْيَا حَيَاةً أَسْتَلِدُّ بِهَا
آخر :

دُونِي وَأَفْنَى الرَّدَى أَهْلِي وَأَحْبَابِي
أَمْثَالَهَا حَلَّ إِخْوَانِي وَاتِّرَابِي
مِنْ بَعْدِهِمْ وَلِحَاقِ الْقَوْمِ أَوْلَى بِي

خَلتُ دُورَهُمْ مِنْهُمْ وَأَقُوتُ عِرَاصَهُمْ
وَخَلَوَا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا
آخر :

وَسَاقَهُمْ نَحْوَ الْمَنَايَا الْمَقَادِرُ
وَضَمَّهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ الْحَفَائِرُ

وَفِي ذِكْرِ هَوْلِ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالْبَلِي
أَبْعَدَ اقْتِرَابِ الْأَرْبَعِينَ تَرْتُصُّ
كَأَنَّكَ مَعْنِي بِمَا هُوَ ضَائِرُ
آخر :

عَنِ اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ لِلْمَرْءِ زَاجِرُ
وَشَيْبُ قَذَالٍ مُنْذِرٌ لِلْأَكَابِرِ
لِنَفْسِكَ عَمْدًا أَوْ عَنِ الرُّشْدِ حَائِرُ

إِنَّ اللَّيَالِي مِنْ أَخْلَاقِهَا الْكَدْرُ
فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِمَّا تَغْرُبُ بِهِ
قَدْ أَسْمَعْتِكَ اللَّيَالِي مِنْ حَوَادِثِهَا
يَا مَنْ يُغْرُ بِدُنْيَاهُ وَزُخْرُفِهَا
وَيَا مُدِلًّا بِحُسْنِ رَاقٍ مِنْظَرِهِ
تَهْوَى الْحَيَاةَ وَلَا تَرْضَى تَفَارِقِهَا
كُلُّ أَمْرٍ صَائِرٌ حَتْمًا إِلَى جَدَثٍ
آخر :

وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا مَنْظَرٌ نَظَرُ
أَنْ كَانَ يَنْفَعُ مِنْ غِرَاتِهَا الْحَذَرُ
مَا فِيهِ رُشْدُكَ لَكِنْ لَسْتَ تَعْتَبِرُ
تَاللَّهِ يُوشِكُ أَنْ يُودِي بِكَ الْغَرْرُ
لِلْقَبْرِ وَيَحْكُ هَذَا الدَّالُّ وَالْفَخْرُ
كَمَنْ يُجَاوِلُ وَرْدًا مَالَهُ صَدْرُ
وَإِنَّ أَطَالَ مَدَى آمَالِهِ الْعُمُرُ

قُلْ لِلذِّي فَقَدَ الْأَحِبَّةَ وَأَنْشَى
مَاذَا وَقُوفُكَ فِي الدِّيَارِ مُسَائِلًا

يَسْقِي دِيَارَهُمْ دُمُوعًا تَسْجُمُ
عَنْ أَهْلِهَا وَمَتَى يُجِيبُ الْأَبْكَمُ

سَلَّ عَنْهُمْ صَرْفَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
أَفْنَاهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ وَهَذِهِ
وَإِذَا رَأَيْتَ مُحْسَدِينَ فَقَلِّمًا
وَتَرَى تَقْلِبَ هَذِهِ الدُّنْيَا بِنَا
بِهِمْ مِنَ الدَّارِ الْمُحِيلَةِ أَعْلَمَ
آثَارَهُمْ عِظَةً لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
تُرْجِيهِمُ الْأَحْدَاثَ حَتَّى يُرْحَمُوا
وَكَانُوا فِيهَا سُكَارَى نُومٍ

آخر :

وَلَمَّا مَرَرْنَا بِالدِّيَارِ الَّتِي خَلَّتْ
فَأَشْرَاقَهَا بَعْدَ الذِّينِ تَحْمَلُوا
أَثَارَ الْجَوَى عِرْفَانَهَا وَتَبَادَرَتْ
فَهَنَّ لِفُقْدَانِ الْأَنْبِيَاءِ نَوَاحِلُ
ظِلَامٌ وَضُحُوتُ النَّهَارِ أَصَائِلُ
عَلَى أَهْلِهَا مِنَّا الدَّمُوعُ الْهَوَامِلُ

أَخْرَجَ الطَّيَالِسِيُّ وَنُورُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُنْصَفِ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَهَنَادُ بْنُ
السَّرِيِّ فِي الزَّهْدِ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَصَحَّحَهُ
وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا
أَلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يَلْحَدُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَانَ عَلَى رُؤْسِنَا الطَّيْرُ
وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ
الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا .

ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ
الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بَيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ
كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحُنُوطٌ مِنْ حُنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصِيرِ .

وَيَحْيِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ
اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي
السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا إِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا
فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحُنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مِنْكَ
وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

فَيُصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فَيَقُولُونَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتَهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى .

قَالَ فَتَعَادُ رُوحَهُ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّي اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِي الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عَلِمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطَيْبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ الْبَصْرِ .

قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي .

قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَاقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصْرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ أُخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ .

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيُصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْحَبِيثَةُ فَيَقُولُونَ فَلَانُ

بُنْ فُلَانٍ بِأَفْتَحَ أَسْمَاءَهُ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُ فَلَا يَفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) .

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَطَرَحَ
رُوحَهُ طَرَحًا ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ
تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ فَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ
فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ
هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي .

فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي
فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَأَفْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَفْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى
النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ
رَجُلٌ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُتِنُّ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمَكَ الَّذِي
كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ الَّذِي يُجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ
الْحَبِيبُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ » .

شِعْرًا : لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلِي
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا
آخِرُ : وَإِنِّي وَأَهْلِي وَالَّذِي قَدَمَتْ يَدِي
لَأَصْحَابِهِ إِذْ هُمْ ثَلَاثَةٌ إِخْوَةٌ
فِرَاقُ طَوِيلٌ غَيْرَ ذِي مَشْنُونَةٍ
فَقَالَ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ أَنَا الصَّاحِبُ الَّذِي
فَأَمَّا إِذَا جَدَّ الْفِرَاقُ فَاِنْنِي
أَمْدُكَ أَحْيَانًا فَلَا تَسْتَطِيعُنِي
فَخُذْ مَا أَرَدْتَ الْآنَ مِنِّي فَانِّي
وَإِنْ تُبْقِنِي لَا تَبْقَ فَافْهَمِ مَقَالَتِي

لَكِنَّمَا الْمَوْتُ هُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ
أَعْظَمُ مِنْ ذَاكَ لِجَحْدِهِ اللَّهُ
كَدَاعٍ إِلَيْهِ صَحْبَهُ ثُمَّ قَائِلٍ
أَعِينُوا عَلَى أَمْرِ بِي الْيَوْمَ نَازِلٍ
فَمَاذَا لَدَيْكُمْ بِالَّذِي هُوَ غَائِلٍ
أَطَعْتِكَ فِيمَا شِئْتَ قَبْلَ التَّرَايِلِ
لَمَّا بَيْنَنَا مِنْ خُلَّةٍ غَيْرِ وَاصِلِ
كَذَلِكَ أَحْيَانًا صُرُوفُ التَّدَاوُلِ
سَيْسَلُكَ بِي مِنْ مَهَيْلٍ مِنْ مَهَائِلِ
وَعَجَّلْ صَالِحًا قَبْلَ حَتْفِ مُعَاجِلِ

وَقَالَ امْرُؤٌ قَدْ كُنْتُ جَدًّا أَحِبُّهُ
 غِنَائِي أَنِّي جَاهِدُ لَكَ نَاصِحٌ
 وَلَكِنِّي بِكَ عَلَيْكَ وَمُعْوَلٌ
 وَمَتَّبِعُ الْمَاشِينَ أَمْشِي مُشِيْعًا
 إِلَى بَيْتِ مَثْوَاكَ الَّذِي أَنْتَ مُدْخَلٌ
 كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ خُلَّةٌ
 وَذَلِكَ أَهْلُ الْمَرْءِ ذَاكَ غِنَاؤُهُمْ
 وَقَالَ امْرُؤٌ مِنْهُمْ أَنَا الْأَخُ لَا تَرَى
 لَدَى الْقَبْرِ تَلْقَانِي هُنَالِكَ قَاعِدًا
 وَأَقْعُدُ يَوْمَ الْوِزْنِ فِي الْكِفَّةِ الَّتِي
 فَلَا تَنْسِي وَأَعْلَمُ مَكَانِي فَأَيْنِي
 وَذَلِكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ غَدًا

فَأَوْثَرُهُ مِنْ بَيْنِهِم بِالْتَّفَاضِلِ
 إِذَا جَدَّ جَدُّ الْكَرْبِ غَيْرُ مُقَاتِلِ
 وَمُثْنٌ بِخَيْرٍ عِنْدَ مَنْ هُوَ سَائِلِ
 أَعَيْنَ بِرَفْقٍ عُقْبَةَ كُلِّ حَامِلِ
 وَحِينَئِذٍ أَرْجِعُ بِمَا هُوَ شَاغِلِ
 وَلَا حُسْنٌ وَدِّ مَرَّةً فِي التَّبَادُلِ
 وَلَيْسُوا وَإِنْ كَانُوا حِرَاصًا بِطَائِلِ
 أَحَالَكَ مِثْلِي عِنْدَ جَهْدِ الزَّلَازِلِ
 أَجَادُلُ عَنْكَ فِي رِجَاعِ التَّجَادُلِ
 تَكُونُ عَلَيْهَا جَاهِدًا فِي التَّشَاوُلِ
 عَلَيْكَ شَفِيقٌ نَاصِحٌ غَيْرُ خَاذِلِ
 تُلَاقِيهِ إِنْ أَحْسَنْتَ يَوْمَ التَّفَاضِلِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِتَذْكِيرِكَ مُتَّفَعِينَ وَبِكِتَابِكَ وَرَسُولِكَ مُتَّبَعِينَ وَعَلَى طَاعَتِكَ
 مُجْتَمِعِينَ وَتَوْفِنَا رَبَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي صَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قُبِرَ
 أَحَدُكُمْ أَوْ الْإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ ،
 وَلِلْآخَرِ النَّكِيرُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَهُوَ
 قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ .

فان كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ لَهُ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَفْسَحُ
لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ .

وَيُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي فَأَخْبِرْهُمْ ، فَيَقُولَانِ لَهُ نَمْ كَنُومَةِ
الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ
ذَلِكَ .

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ لَا أَذْرِي كُنْتُ ، أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَكُنْتُ
أَقُولُهُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ التَّيْمِي
عَلَيْهِ ، فَتَلْتَمِسُ عَلَيْهِ حَتَّى تَحْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ ، فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ
اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِذَا احْتَضَرَ الْمُؤْمِنُ أُمَّتَهُ
الْمَلَائِكَةُ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ ، فَيَقُولُونَ أَخْرِجِي أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ رَاضِيَةً مَرْضِيًّا
عَنْكَ ، إِلَى رُوحٍ وَرِيحَانٍ ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانٍ .

فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَنَاقِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى
يَأْتُونَ بِهِ السَّمَاءَ ، فَيَقُولُونَ مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ .

فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ ، يَقْدُمُ
عَلَيْهِ ، فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ قَالَ فَيَقُولُونَ دَعُوهُ يَسْتَرِيحُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ
الدُّنْيَا فَإِذَا قَالَ أَمَا أَتَاكُمْ قَالُوا ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمَّهِ الْهَآوِيَةِ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتَضَرَ
أُمَّتَهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمُسْحٍ فَيَقُولُونَ أَخْرِجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكَ إِلَى
عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَخْرُجُ كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهَا بَابَ الْأَرْضِ
فَيَقُولُونَ فَمَا أَتَتْ هَذِهِ الرِّيحُ حَتَّى يَأْتُونَ بِهَا أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ .

وَأَخْرَجَهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ وَقَالَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ حَظَرَتْهُ

مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، فَإِذَا قُبِضَ جَعَلَتْ رُوحَهُ فِي حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ ، فَيُنْطَلَقُ بِهَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ مَا وَجَدْنَا رِيحاً أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ فَيُقَالُ مَا فَعَلَ فُلَانٌ مَا فَعَلَتْ فُلَانَةٌ ، فَيُقَالُ دَعُوهُ يَسْتَرِيحُ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا .

وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ ، ذُهِبَ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ ، فَتَقُولُ خَزَنَةُ الْأَرْضِ مَا وَجَدْنَا رِيحاً أَتَنُّ مِنْ هَذِهِ ، فَيَبْلُغُ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ هَذَا الَّذِي تَحْرُكُ لَهُ الْعَرْشُ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ ، قَالَ النَّسَائِيُّ يَعْنِي سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ .

وَقَالَ هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ مَا أَجِيرَ أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ ، وَلَا سَعْدَ ابْنِ مُعَاذٍ الَّذِي مُنْدِيلٌ مِنْ مَنَادِيلِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

قَالَ وَحَدَّثَنَا عَبْدُهُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ قَالَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ شَهِدَ جَنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لَمْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ قَطُّ ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَقَدْ ضَمَّ صَاحِبِكُمْ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً ، وَقِيلَ فِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شِعْراً :

وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ هَالِكٍ سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا لِسَعْدِ أَبِي عَمْرٍو

وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا دَفِنَ ابْنَتَهُ جَلَسَ عِنْدَ الْقَبْرِ فَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ .
ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ رَأَيْنَا وَجْهَكَ آتِئاً ثُمَّ سُرِّيَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرْتُ ابْنَتِي وَضَعَفَهَا وَعَذَابَ الْقَبْرِ فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَفَرَّجَ عَنْهَا وَيُمُّ اللَّهُ لَقَدْ ضَمَّتْ ضَمَّةً سَمِعَهَا مَنْ بَيْنَ الْخَافِقِينَ .

وَرُوِيَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الْغَنَوِيِّ عَنْ رَجُلٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهَا فَمَرَّتْ جَنَازَةً صَبِيٍّ فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا مَا يُبْكِيكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ هَذَا
الصَّبِيُّ بَكَيتُ لَهُ شَفَقَةً عَلَيْهِ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ .

شعرا : وَتَقْبِضُ كَفُّ الطِّفْلِ عِنْدَ وِلَادَةٍ
وَسَطُّ يَدَا الْإِنْسَانِ عِنْدَ مَمَاتِهِ
يَا بَاكِيَ الْأَمْوَاتِ إِنَّكَ مَيِّتٌ
لَا تَبْكُ غَيْرَكَ وَابْنُكَ تَفْسَكَ إِنَّهَا
آخِر :

وَأَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَهُمْ غَيْرُ خَالِدٍ
كَأَنِّي بَعِيدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ شَاهِدٍ
كَمْ سَتَيْقِظُ يَرْنُو بِمُقَلَّةٍ رَاقِدٍ !
آخِر :

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ
لَئِنْ أَوْحَشْتِ مِمَّنْ أَحَبُّ مَنَازِلُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذِرُ الْمَوْتِ وَحَدُهُ
آخِر :

أَيَا آمَنَ الْأَقْدَارُ بَادِرُ صَرْفِهَا
خُذْ مِنْ تِرَاثِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنِّي
مَالِي إِلَى الدُّنْيَا الْغُرُورَةَ حَاجَةٌ
طَلَقْتُهَا أَلْفًا لِأَحْسِمَ دَاءَهَا
سَكَنَاتُهَا مَحْدُورَةٌ وَعُهُودُهَا
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ رِجَالٍ أَمْسَكُوا
كَنَزُوا الْكُنُوزَ وَأَغْفَلُوا شَهْوَاتِهِمْ
أَتْرَاهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ التُّقَى

اللهم سلمنا من شرور أنفسنا التي هي أقرب أعدائنا وأعذنا من عدوك

وَاعْصِمْنَا مِنَ الْهَوَىٰ وَمِن فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَمَكَّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوِّهَا وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ وَفَرِّحْ قُلُوبَنَا بِالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ اغْتَنِمُوا مَوَاسِمَ الطَّاعَاتِ فَأَيَّامَ الْمَوَاسِمِ مَعْدُودَةٌ وَأَنْتَهِزُوا فُرْصَ
الْأَوْقَاتِ فَسَاعَاتُ الْإِسْعَادِ مَحْدُودَةٌ وَجُدُّوا فِي طَلَبِ الْخَيْرَاتِ فَمَنَاهِلُ الرِّضْوَانِ
مُورُودَةٌ وَقُومُوا عَلَى قَدَمِ السَّدَادِ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

وَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ قَالَ تَعَالَى
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ * أَقْمَنُ
كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ .

فَيَا سَعَادَةَ أُولَى الطَّاعَاتِ الَّذِينَ اجْتَبَاهُمْ مَوْلَاهُمْ لِدَارِ السَّلَامِ
وَاصْطَفَاهُمْ لِحَضِيرَةِ قُدْسِهِ وَأَوْرَدَهُمْ مَنَاهِلَ الْإِنْعَامِ وَأَوْلَاهُمْ حَلَاوَةَ الْأَنْسِ
وَوَالَاهُمْ بِمَوَاهِبِ الْإِكْرَامِ وَسَقَاهُمْ مِنْ رَحِيقِ مَحْتَمٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ
فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ .

وَيَا مَسْرَةَ مَنْ شَاهَدَ مَعَالِمَ الرُّشْدِ فَسَلِّكَ مَسَالِكَهُ وَكَانَ مِنَ الْمُسْتَبْشِرِينَ
الَّذِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وُجُوهُهُمْ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ .

فَتَدَبَّرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْأَمْرَ وَانظُرُوا بَعَيْنِ النَّاقِدِ الْبَصِيرِ وَتَذَكَّرُوا الْعَرْضَ يَوْمَ
الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الظَّالِمِينَ مَا لَهُمْ

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ « يَوْمَ يُقَالُ » ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

أَلَا يَا نَفْسُ هَلْ لَكَ فِي صِيَامٍ
يَكُونُ الْفِطْرِ وَقْتُ الْمَوْتِ مِنْهَا
أَجِبْنِي هُدَيْتَ وَاسْعَفِينِي
لَعَلَّكَ فِي الْجَنَانِ تُحَلِّدِينَا
شعرا :

لَا تَبِكِ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا
وَأَبِكِ إِذَا صَبَحَ بِأَهْلِ الثَّرَى
وَيْلَكَ يَا دُنْيَا لَقَدْ قَصَّرْتَ
وَأَبِكِ لِيَوْمِ تَسْكُنُ الْحَافِرَةَ
فَاجْتَمَعُوا فِي سَاعَةِ السَّاهِرَةِ
أَمَالُ مَنْ يَسْكُنُكَ الْآخِرَةَ

آخر :

وَأذْكَرُ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُانِ حِينَ نَسِيْتَهُ
لَا بُدَّ يُحْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَاشْرَحْ صُدْرَنَا وَيَسِّرْ
أُمُورَنَا وَأَهْمَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُنْبَغِي لِمَنْ أَيْسَ مِنْ حَيَاتِهِ بَلْ يُسْتَحَبُّ لَهُ
بِتَأَكُّدٍ أَنْ يُكْثَرَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ وَيُكْرَهُ لَهُ الْجَزَعُ وَسَوْءُ الْخُلُقِ وَالشَّتْمِ
وَالْمُخَاصَمَةِ وَالْمُنَازَعَةِ فِي غَيْرِ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ
شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيُسْتَحْضَرُ فِي ذَهْنِهِ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَوْقَاتِهِ مِنَ الدُّنْيَا
فَيَجْتَهِدُ عَلَى خْتَمِهَا بِخَيْرٍ وَيُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَبَادِرٍ إِلَىٰ أَذَاءِ الْحُقُوقِ إِلَىٰ أَهْلِهَا مِنْ رَدِّ الْمَظْلَمِ وَالْعَوَارِي وَالْوَدَائِعِ
وَالغُصُوبِ وَيَسْتَحِلُّ أَهْلَهُ وَزَوْجَتَهُ وَوَالِدَيْهِ وَأَوْلَادَهُ وَغِلْمَانَهُ وَجِيرَانَهُ وَأَصْدِقَائِهِ
وَزُمَلَاءَهُ وَكُلَّ مَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مُعَامَلَةٌ أَوْ مَصَاحَبَةٌ فِي سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ لَهُ تَعَلُّقٌ
بِشَيْءٍ .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ
قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَفَاةَ قَالَ أَخْرَجُوا إِلَيَّ مَوَالِيَّ وَخَدَمِي
وَجِيرَانِي وَمَنْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ إِنَّ يَوْمِي هَذَا لَا أَرَاهُ إِلَّا آخِرَ
يَوْمٍ يَأْتِي عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الْآخِرَةِ .

وَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّهُ قَدْ فَرَطَ مِنِّي إِلَيْكُمْ بَيْدِي أَوْ بِلِسَانِي شَيْءٌ وَهُوَ وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ الْقِصَاصُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأُخْرِجُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ
إِلَّا أَقْتَصَّ مِنِّي مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي فَقَالُوا بَلْ كُنْتَ وَالِدًا وَكُنْتَ مُؤَدَّبًا قَالَ
وَمَا قَالَ لِخَادِمٍ سُوءًا قَطُّ فَقَالَ اعْفُوْنِي مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ
أَشْهَدُ . . . الخ .

وَوَرَدَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ انظُرُوا فَلَانَا فَإِنِّي كُنْتُ
قُلْتُ لَهُ فِي ابْنَتِي قَوْلًا كَشِبَهُ الْعِدَّةُ فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِنُثْلِ النِّفَاقِ فَاشْهَدُكُمْ
أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُوصِيَ بِأُمُورِ أَوْلَادِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ جَدًّا يَصْلَحُ لِلْوِلَايَةِ وَيُوصِي بِمَا
لَا يَتِمَّكُنْ مِنْ فِعْلِهِ فِي الْحَالِ مِنْ قِضَاءِ الدُّيُونِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَإِنْ يَكُونُ حَسَنُ
الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى رَاجِيًا عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَإِحْسَانَهُ .

وَيَسْتَحْضِرُ فِي ذِهْنِهِ أَنَّهُ حَقِيرٌ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَنِيٌّ
عَنْ عَذَابِهِ وَعَنْ طَاعَتِهِ وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَلَا يَطْلُبُ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ وَالصَّفْحَ وَالْامْتِنَانَ
إِلَّا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ وَيُحِثُّ أَوْلَادَهُ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُ وَالصَّدَقَةِ عَنْهُ .

شِعْرًا : وَإِذَا رَأَيْتَ بَنِيكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ قَطَعُوا إِلَيْكَ مَسَافَةَ الْأَجَالِ
وَصَلَّ الْبَنُونَ إِلَىٰ مَحَلِّ أَبِيهِمْ وَتَجَهَّزَ الْأَبَاءُ لِلتَّرْحَالِ

آخر : لِيْ خَمْسٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً فَإِذَا قَدَّرْتُهَا كَانَتْ سَنَةً
 إِنَّ عُمَرَ الْمُرَّةَ مَا قَدْ عَمَّرَهُ فِي التَّقَى وَالرُّهْدِ طُولَ الْأَزْمَنِه
 وَيَسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مُتَعَاهِدًا نَفْسَهُ بِقِرَاءَةِ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ فِي
 الرَّجَاءِ وَكَذَلِكَ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ يَقْرُوهَا أَوْ يَجْعَلُ مَنْ يَقْرُوهَا عَلَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرَهُ
 مُتَزَايِدًا وَمُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي أَوْقَاتِهَا .

وَيَجْتَنِبُ النَّجَاسَاتِ وَيَحْرُسُ عَلَى التَّطَهَّرِ وَيَصْبِرُ عَلَى مَشَقَّةِ ذَلِكَ وَكَذَا
 بَاقِي وَظَائِفَ الدِّينِ يَحْرُسُ عَلَى أَدَائِهَا كَامِلَةً مُكَمَّلَةً وَلِيَحْذَرُ مِنَ التَّسَاهُلِ فِي
 ذَلِكَ فَإِنَّهُ أَفْحُ الْقَبَائِحِ أَنْ يَكُونَ آخِرَ عَهْدِهِ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ
 التَّفْرِيطِ فِيمَا وَجَبَ عَلَيْهِ أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ .

وَلِيَجْتَهِدَ فِي خْتَمِ عُمُرِهِ بِأَكْمَلِ الْأَحْوَالِ وَيَسْتَحَبُّ أَنْ يُوصِيَّ أَهْلَهُ
 وَأَصْحَابَهُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ وَاحْتِمَالِ عَمَّا يَصْدُرُ مِنْهُ وَيُوصِيَهُمْ أَيْضًا بِالصَّبْرِ
 عَلَى مُصِيبَتِهِمْ بِهِ وَيُوصِيَهُمْ بِالرَّفْقِ بِمَنْ يَخْلُفُهُ مِنْ طِفْلِ وَعُغْلَامٍ وَجَارِيَةٍ
 وَيُوصِيَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَصْدِقَائِهِ وَيَعْلَمُهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّ مِنْ أَبْرِ الْبِرِّ
 أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَائِيهِ .

وَقَدْ صَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكْرِمُ صَوَاحِبَاتِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 بَعْدَ وَفَاتِهَا :

وَيُوصِيَهُمْ بِتَعَاهُدِهِ بِالدُّعَاءِ وَفِعْلِ مَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ وَيَنْوِي الثَّوَابَ لَهُ
 وَذَلِكَ كَالْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَالْأَضْحِيَّةِ وَطَبْعِ الْمَصَاحِفِ وَالْكَتْبِ الدِّينِيَّةِ الْمُقَوِّمَةِ
 لِلشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ .

وَكَالْعَيْنِ الْجَارِيَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَيُوصِيَهُمْ بِأَنْ لَا يَنْسُوهُ بَلْ يَتَعَاهَدُوهُ بِالدُّعَاءِ
 لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ .

شعرا : يَأْمَنُ سَيْنَايَ عَنْ بَيْنِيهِ كَمَا نَأَى عَنْهُ أَبُوهُ
 مِثْلُ لِنَفْسِكَ قَوْلُهُمْ جَاءَ الْيَقِينُ فَوَجَّهْهُ
 وَتَحَلُّوْا مِنْ ظُلْمِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلِّوْهُ

آخر : إِنِّي لِأَشْكُو خُطُوبًا إِلَّا أَعَيْتَهَا
 كَالشَّمْعِ يَبْكِي فَمَا يُدْرِي أَعْبَرْتَهُ
 مِنْ صُحْبَةِ النَّارِ أَمْ مِنْ فُرْقَةِ الْعَسَلِ
 وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ فِي وَقْتِ بَعْدِ وَقْتِ مَتَى رَأَيْتُمْ مِنِّي تَقْصِيرًا فِي شَيْءٍ
 أَنَّهُونِي عَنْهُ بَرَقَ وَلُطْفٍ لِأَنَّ النَّفْسَ تَضَعُفُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَدُّوا إِلَيَّ النَّصِيحَةَ
 فِي ذَلِكَ فَإِنِّي مُعَرِّضٌ لِلْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْكَسَلِ وَالإِهْمَالِ فَإِذَا قَصُرْتُ فَشَطُّونِي
 وَعَاوَنُونِي عَلَى التَّأَهُبِ لِهَذَا السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَالتَّغْرِبِ الْمُخِيفِ .
 شَعْرًا :

وَلَمْ تَتَرَوُدْ لِلرَّحِيلِ وَقَدْ دَنَا
 فَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَمْ أُسَوِّفُ تَوْتِي
 وَكُلُّ الَّذِي أَسْلَفْتُ فِي الصُّحُفِ مُثَبَّتٌ
 آخِر :

لَهْفِي عَلَى عُمْرِي الَّذِي ضَيَعْتُهُ
 وَيَلِي إِذَا عَسَتْ الْوُجُوهُ لِرَبِّهَا
 وَرَقِيبُ أَعْمَالِي يُنَادِي قَائِلًا
 لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْدِ الْغَوَايَةِ مَنْزَلٌ
 آخِر :

تَحَرَّبُ مَعْمُورًا وَتَعْمُرُ فَانِيَا
 وَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً
 أَرْضَى بِأَنْ تَفْنَى الْحَيَاةُ وَتَنْقُضِي
 آخِر :

كَمْ ضَا حِكِّ وَالْمَنَائِيَا فَوْقَ هَامَتِهِ
 مَنْ كَانَ لَمْ يُوْتِ عِلْمًا فِي بَقَاءِ غَدِ
 آخِر :

كَفَى حَزْنًا أَنْ لَا حَيَاةَ هَيَّيَّةً
 فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ
 وَلَا عَمَلٌ يَرْضَى بِهِ اللَّهُ صَالِحٌ
 وَالتَّوْبُ مُقْتَبَلٌ فَاللَّهُ قَدْ وَعَدَا

لَا تَفْخَرَنَّ بِدُنْيَا أَنْتَ تَارِكَهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَزُورُ الْقَبْرَ وَاللَّحْدَا
وَإِذَا حَضَرَهُ النَّزْعُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِتَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ
فِيَالَهُ مِنْ خِتَامٍ وَيَا لَهُ مِنْ طَابِعٍ ، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقِنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيَسْتَحْضِرُ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ
ثَوْبٌ أَبْيَضٌ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَأَنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ
سَرَقَ الْحَدِيثَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنُوا
وَأَكْثَرُوا فَاتَّوَا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا إِنَّ الَّذِي تَدْعُوا إِلَيْهِ لِحَسَنٍ لَوْ نُخْرِبْنَا أَنْ لِمَا عَمَلْنَا
كَفَارَةً فَتَزَلْ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ الْآيَتِينَ - وَنَزَلَ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةِ وَنَحْوِ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي
سَبَقَتْ .

شعراً :

إِذَا أَتَى اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي ظُلَلٍ
وَحَاسِبَ الْخَلْقِ مَنْ أَحْصَى بِقُدْرَتِهِ
وَجِيءَ بِالْأَمَمِ الْمَاضِينَ وَالرُّسُلِ
وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِي غَيْرَ سَيِّئَةٍ
أَنْفَاسَهُمْ وَتَوَفَّاهُمْ إِلَى أَجَلٍ
رَجَوْتُ رَحْمَةَ رَبِّي وَهِيَ وَاسِعَةٌ
تَسُوءُنِي وَعَسَى الْإِسْلَامُ يَسْلَمُ لِي
وَرَحْمَةُ اللَّهِ أَرْجَى لِي مِنَ الْعَمَلِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى
تَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَازَ بِعِزِّكَ وَالسَّعِيدُ
مَنْ التَّجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالذَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ

بِالْإِعْرَاضِ عَنِ طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ نَزَّ قُلُوبُنَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمٍ تَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ : اَعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ فِي الْجَنَائِزِ عِبْرٌ لِلْبَصِيرِ ، وَفِيهَا تَنْبِيهُ ، وَتَدَكِيرٌ لِأَهْلِ الْعَقْلَةِ ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا تَزِيدُهُ مُشَاهَدَتُهَا إِلَّا قَسْوَةً ، لِأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ أَبَدًا إِلَى جَنَائِزِهِمْ يَنْظُرُونَ وَلَا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ لَا مَحَالَةَ عَلَى الْجَنَائِزِ يُحْمَلُونَ أَوْ يَحْسَبُونَ وَلَكِنَّهُمْ عَلَى الْقُرْبِ لَا يُقَدِّرُونَ وَلَا يَتَفَكَّرُونَ أَنَّ الْمَحْمُولِينَ عَلَى الْجَنَائِزِ هَكَذَا كَانُوا مِثْلَهُمْ يَحْسَبُونَ فَبَطَلَ حُسْبَانُهُمْ وَانْقَرَضَ عَلَى الْقُرْبِ زَمَانُهُمْ .

وَالْبَصِيرُ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْجَنَائِزِ إِلَّا وَيَقْدُرُ نَفْسَهُ مَحْمُولًا عَلَيْهَا فَإِنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَيْهَا عَلَى الْقُرْبِ .

الغز بعضهم في النعش الذي يحمل عليه الميت إلى المقبرة :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ إِذَا طَارَ هَاجَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَرِيهِ أَسِيرُ
يُحْتِ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبَهُ وَتَنْفَرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يَسْتَزِرْ عَنِ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةِ وَلَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُودُ
شِعْرًا : (كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءٌ مَحْمُولٌ)
آخَرُ : فَلِلْمَوْتِ تَعْدُو الْوَالِدَاتُ سَخَاهَا كَمَا لِخِرَابِ الدَّهْرِ تُبْنَى الْمَسَاكِينُ
آخَرُ : (الْأَوْ كَمَا شِيعَتْ يَوْمًا جَنَازَةً فَأَنْتَ كَمَا شِيعَتْهُمْ سَتُشِيعُ)

وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا رَأَى جَنَازَةً قَالَ : ااغْدُوا فَإِنَّا رَائِحُونَ مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ
وَعَقْلَةٌ سَرِيعَةٌ يَذْهَبُ الْأَوَّلُ . وَالْآخِرُ لَا عَقْلَ لَهُ ، وَقَالَ آخَرُ مَا شَهِدْتُ جَنَازَةً
فَحَدَّثْتَنِي نَفْسِي بِشَيْءٍ سِوَى مَا هُوَ مَفْعُولٌ بِهِ وَمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَائِزَ فَلَا نَدْرِي مَنْ نَعَزِّي لِحِزْنِ الْجَمِيعِ .

وَقَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَائِزَ فَلَا نَرَى إِلَّا مُقْنَعًا بَاكِيًا .

هَذَا حَالُ السَّلَفِ وَالْآنَ انْظُرْ إِلَى مُشِيعِي الْجَنَائِزِ بَعْضُهُمْ يَبْحَثُ بِالْعَقَارِ
وَبَعْضُهُمْ يَتَكَلَّمُ وَيَضْحَكُ وَبَعْضُهُمْ يُعَدِّدُ مُحَلَّفَاتِهِ وَيَنْدُرُ أَنْ تَرَى الْمُتَفَكِّرُ فِي
جَنَازَتِهِ إِذَا وَصَلَهُ الدَّوْرُ وَحَمَلَ إِلَى الْقَبْرِ الْمُظْلِمِ بَيْتِ الْوَحْدَةِ بَيْتِ الدَّوْدِ وَالصَّدِيدِ
وَالهُوَامِ .

يَابَاكِيَا مِنْ خِيفَةِ الْمَوْتِ أَصَبْتَ فَارْفَعْ مِنْ مَدَى الصَّوْتِ
وَنَادِ يَا لَهْفِي عَلَى فُسْحَةٍ فِي الْعُمْرِ فَاتَتْ أَيَّمَا فَوْتِ
ضَيَعْتُهَا ظَلِمْتُ نَفْسِي وَلَمْ أَصْغِرْ إِلَى مَوْتٍ وَلَا مَيِّتِ
يَا لَيْتَهَا عَادَتْ وَهَيْهَاتَ أَنْ يُعُودَ مَا قَدْ فَاتَ يَا لَيْتِ
فَحَلَّ عَنِ هَذِي الْأَمَانِي وَدَعَّ نَحْوُضِكَ فِي هَاتِ فِي هَيْتِ
وَبَادِرِ الْأَمْرِ فَمَا غَائِبٌ أُسْرِعُ إِثْيَانًا مِنَ الْمَوْتِ
كَمْ شَأْنٌ يُدِي بَيْتًا لِيَغْنَى بِهِ مَاتَ وَلَمْ يُفْرَغْ مِنَ الْبَيْتِ
اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلِ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْتَطَفِينَ الْأَخْيَارِ ،
وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فَضْلٌ

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِبَعْضِ جَلَسَائِهِ يَا فَلَانُ لَقَدْ أَرَقْتُ اللَّيْلَةَ أَتَفَكَّرُ
فِي الْقَبْرِ وَسَاكِنِهِ إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَلَمِيَّتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ فِي قَبْرِهِ لَا اسْتَوْحَشْتَ مِنْ قُرْبِهِ
بَعْدَ طُولِ الْأَنْسِ مِنْكَ بِهِ وَلَرَأَيْتَ بَيْتًا مُجُولٌ فِيهِ الْهُوَامُ وَيَجْرِي فِيهِ الصَّدِيدُ
وَمُخْتَرَقُهُ الدُّيْدَانُ مَعَ تَغْيِيرِ الرِّيحِ وَبَلَى الْأَكْفَانَ بَعْدَ حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَطِيبِ الرِّيحِ
وَنَقَاءِ الثِّيَابِ ثُمَّ شَهَقَ شَهَقَةً خَرَّ مَعْشِيًا عَلَيْهِ .

وَكَانَ يَزِيدُ الرَّقَاشِي يَقُولُ أَيُّهَا الْمَقْبُورُ فِي حُفْرَتِهِ وَالْمُتَخَلِّي فِي الْقَبْرِ بُوْحَدَتِهِ
الْمُسْتَأْنَسُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ بِأَعْمَالِهِ لَيْتَ شِعْرِي بَأَيِّ أَعْمَالِكَ اسْتَبَشَرْتَ ،
وَبَأَيِّ إِخْوَانِكَ اغْتَبَطْتَ ، ثُمَّ يَبْكِي حَتَّى يُبَلِّ عِمَامَتَهُ .

ثُمَّ يَقُولُ اسْتَبَشِرَ وَاللَّهِ بِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ ، وَاغْتَبَطَ بِإِخْوَانِهِ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى
طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الْمَقَابِرِ يَقُولُ مَا أَحْسَنَ
ظَوَاهِرَكَ إِنَّمَا الدَّوَاهِي فِي بَوَاطِنِكَ .

وَكَانَ عَطَاءُ السُّلَمِيِّ إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ثُمَّ يَقُولُ غَدًا
عَطَاءُ فِي الْقُبُورِ فَلَا يَزَالُ عَطَاءُ ذَلِكَ دَابُّهُ حَتَّى يُصْبِحَ وَيُرْوَى أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ
الْحُسَيْنِ نَظَرَتْ إِلَى جَنَازَةِ زَوْجِهَا الْحَسَنِ ابْنِ الْحَسَنِ فَغَطَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ :
وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ أَمْسُوا رَزِيَّةً لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتْ

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَلَمَّا
نَظَرَ إِلَى الْقُبُورِ بَكَى ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ يَا مَيْمُونُ ، هَذِهِ قُبُورُ آبَائِي بَنِي أُمِّيَّةٍ
كَانَهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي لَدَّتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ أَمَا تَرَاهُمْ صَرَخَى قَدْ حَلَّتْ بِهِمُ
الْمَثَلَاتُ وَاسْتَحْكَمَ فِيهِمُ الْبَلَى وَأَصَابَتْهُمْ الْهَوَامُّ مَقِيلًا فِي أَبْدَانِهِمْ ثُمَّ بَكَى وَقَالَ
وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَنْعَمَ مِمَّنْ صَارَ إِلَى هَذِهِ الْقُبُورِ وَقَدْ أَمِنَ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ ،
وَوُجِدَ مَكْتُوبٌ عَلَى قَبْرِ :

وَقَفْتُ عَلَى الْأَحِبَّةِ حِينَ صَفَّتْ
فَلَمَّا أَنْ بَكَيتُ وَفَاضَ دَمْعِي
أخر: وناء عن الدنيا وعن أعين الوري
قُبُورُهُمْ كَأَفْرَاسِ الرُّهَانِ
رَأَتْ عَيْنَايَ بَيْنَهُمْ مَكَانِي
وَحِيدٌ لِأَصْحَابِ الْقُبُورِ مُجَاوِرُ

آخِرُ :

أَبَا غَانِمٍ أَمَا ذُرَاكَ فَوَاسِعُ
وَقَبْرُكَ مَعْمُورُ الْجَوَانِبِ مُحْكَمُ

وَمَا يَنْفَعُ الْمَقْبُورَ عُمَرَانُ قَبْرِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ
 شِعْرًا: قَصِيدَةٌ زُهْدِيَّةٌ وَعَظِيَّةٌ سَقَطَ بَعْضُهَا وَعَوَّضْنَاهَا عَنْهُ مَا بَيْنَ الْأَقْوَامِ:
 لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا
 فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا فَسَوْفَ يَوْمًا عَلَى رَعْمٍ يُخَلِّئَهَا
 لَا تَشْبَعُ النَّفْسُ مِنْ دُنْيَا تُجْمَعُهَا وَبَلَّغَهُ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيهَا
 أَعْمَلْ لِدَارِ الْبَقَا رِضْوَانُ حَازِنَهَا أَرْضٌ لَهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِيئَتُهَا
 أَرْضٌ لَهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِيئَتُهَا أَنهَارُهَا لَبَنٌ مَحْضٌ وَمِنْ عَسَلٍ
 وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الْأَغْصَانِ عَاكِفَةٌ مَنْ يَشْتَرِي قُبَّةً فِي الْعَدْنِ عَالِيَةً
 دَلَّاهَا الْمُصْطَفَى وَاللَّهُ بَائِعُهَا مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ فِي الْفِرْدَوْسِ يَعْمُرُهَا
 أَوْ سَدَّ جُوعَةَ مَسْكِينٍ بِشِبَعَتِهِ أَوْ سَدَّ جُوعَةَ مَسْكِينٍ بِشِبَعَتِهِ
 النَّفْسُ تَطْمَعُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ وَاللَّهُ لَوْ قَنَعَتْ نَفْسِي بِمَا رَزَقْتُ
 وَاللَّهُ وَاللَّهُ أَيَّمَانُ مُكْرَرَةٌ لَوْ أَنَّ فِي صَخْرَةٍ صَمًّا مُلْمَلَمَةً
 رِزْقًا لِعَبْدٍ بَرَاها اللَّهُ لَانْفَلَقَتْ أَوْ كَانَ فَوْقَ طَبَاقِ السَّبْعِ مَسْلُكُهَا
 حَتَّى يَنَالَ الذِّي فِي اللُّوْحِ خُطُّ لَهُ حَتَّى يَنَالَ الذِّي فِي اللُّوْحِ خُطُّ لَهُ
 أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا
 إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ
 فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا فَسَوْفَ يَوْمًا عَلَى رَعْمٍ يُخَلِّئَهَا
 وَبَلَّغَهُ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيهَا الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ بَانِيهَا
 وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابَتْ فِيهَا وَالخَمْرُ يَجْرِي رَحِيقًا فِي مَجَارِيهَا
 تُسَبِّحُ اللَّهَ جَهْرًا فِي مَغَائِبِهَا فِي ظِلِّ طُوبَى رَفِيعَاتٍ مَبَانِيهَا
 وَجُبْرَيْئِلُ يُنَادِي فِي نَوَاحِيهَا بِرَكْعَةٍ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ يُخْفِيهَا
 فِي يَوْمٍ مَسْعَبَةٍ عَمَّ الْغَلَا فِيهَا أَنْ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكَ مَا فِيهَا
 مِنَ الْمَعِيشَةِ إِلَّا كَانَ يَكْفِيهَا ثَلَاثَةٌ عَنْ يَمِينٍ بَعْدَ ثَانِيهَا
 فِي الْبَحْرِ رَاسِيَّةٌ مَلْسٌ نَوَاحِيهَا حَتَّى تَوْدِي إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا
 لَسَهَّلَ اللَّهُ فِي الْمَرْقَى مَرَا فِيهَا فَإِنَّ أُمَّتَهُ وَإِلَّا سَوْفَ يَأْتِيهَا
 وَدَارُنَا لِخَرَابِ الْبُومِ نَبْنِيهَا إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا

فَمَنْ بَنَاهَا بِخَيْرِ طَابَ مَسْكَنُهُ
وَالنَّاسُ كَالْحَبِّ وَالذُّنْيَا رَحَى نَضِبَتْ
فَلَا الْإِقَامَةَ تُنْجِي النَّفْسَ مِنْ تَلْفٍ
وَلِلنُّفُوسِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ
فَالْمَرْءُ يَبْسُطُهَا وَالذَّهْرُ يَقْبِضُهَا
وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا زَوْرٌ يُصَبِّحُهَا
تِلْكَ الْمَنَازِلُ فِي الْأَفَاقِ خَاوِيَةٌ
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَيْلَقَى بَعْدَ عِزَّتِهِ
وَلِلْمَنَآيَا تُرَبِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ
لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تَنْعَى وَهِيَ سَالِمَةٌ
وَلَنْ تَزَالَ طَوَالَ الذَّهْرِ ظَاعِنَةٌ
أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي عَنْ حَظِّهَا غَفَلَتْ
أَفْنَى الْقُرُونِ وَأَفْنَى كُلِّ ذِي عُمُرٍ
فَالْمَوْتُ أَحْدَقُ بِالدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا
لَوْ أَنَّهَا عَقَلَتْ مَاذَا يُرَادُ بِهَا
نَلَّهُوا وَنَأْمَلُ أَمَالًا نَسْرُ بِهَا
فَاغْرَسَ أَصُولَ التَّقَى مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا
« تَجْنِي الثَّمَارَ غَدًا فِي دَارِ مَكْرَمَةٍ
فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ دَائِمًا أَبَدًا
« الْأَذُنُ وَالْعَيْنُ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَهُ
« فَيَا هَا مِنْ كَرَامَاتٍ إِذَا حَصَلَتْ
« وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَغْرُرُكَ زَهْرَتُهَا
« فَارِبًا بِنَفْسِكَ لَا يَجْدَعُكَ لَامِعُهَا

وَمَنْ بَنَاهَا بِشَرِّ حَابَ بَانِيهَا
لِلْعَالَمِينَ وَكَفُّ الْمَوْتِ يُلْهِيهَا
وَلَا الْفِرَارُ مِنَ الْأَحْدَاثِ يُنْجِيهَا
مِنَ الْمَنِيَةِ أَمَالٌ تُقْوِيهَا
وَالبَشْرُ يَنْشُرُهَا وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا
مِنَ الْمَنِيَةِ يَوْمًا أَوْ يُمَسِّيَهَا
أَضْحَتْ خَرَابًا وَذَاقَ الْمَوْتَ بَانِيهَا
ذُلًّا وَضَاحِكَةً يَوْمًا سَيَبِكِيهَا
وَلِلْحِسَابِ بَرَى الْأَرْوَاحِ بَارِيهَا
حَتَّى يَقُومَ بِنَادِ الْقَوْمِ نَاعِيهَا
حَتَّى تُقِيمَ بَوَادٍ غَيْرِ وَادِيهَا
حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاقِيهَا
كَذَلِكَ الْمَوْتُ يُفْنِي كُلَّ مَا فِيهَا
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ كُلِّ مَا فِيهَا
مَا طَابَ عَيْشُهَا يَوْمًا وَيُلْهِيهَا
شَرِيعَةُ الْمَوْتِ تَطْوِينَا وَتَطْوِيهَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ لَاقِيهَا
لَا مَنْ فِيهَا وَلَا التَّكْدِيرُ يَأْتِيهَا
بَلَا انْقِطَاعٍ وَلَا مَنْ يُدَانِيهَا
وَلَمْ يَدْرِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ مَا فِيهَا
وَيَا هَا مِنْ نُفُوسٍ سَوَّفَ تَحْوِيهَا
فَعَنْ قَرِيبٍ تَرَى مُعْجَبِكَ ذَاوِيهَا
مِنَ الزَّخَارِفِ وَاحْدَرُ مِنْ دَوَاهِيهَا

« خَدَاعَةٌ لَمْ تَدُمْ يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ
 « فَانظُرْ وَفَكِّرْ فَكَمْ غَرَّتْ ذَوِي طَيْشٍ
 اعْتَزَّ قَارُونَ فِي دُنْيَاهُ مِنْ سَفِهِ
 بَيَّتَ لَيْلَتَهُ سَهْرَانَ مُنْشَغَلًا
 وَفِي النَّهَارِ لَقَدْ كَانَتْ مُصِيبَتُهُ
 فَمَا اسْتَقَامَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَا قَبِلَتْ
 « ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُعْصُومِ سَيِّدِنَا
 وَلَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ لِيَالِيهَا »
 وَكَمْ أَصَابَتْ بِسَهْمِ الْمَوْتِ أَهْلِيهَا »
 وَكَانَ مِنْ خَمَرِهَا يَا قَوْمَ ذَاتِهَا
 فِي أَمْرِ أَمْوَالِهِ فِي الْهَمِّ يَفْدِيهَا
 تُحْزُ فِي قَلْبِهِ حَزًّا فَيُخْفِيهَا
 مِنْهُ الْوُدَادَ وَلَمْ تَرْحَمْ مُجْبِيهَا
 أَرْكَى الْبَرِيَّةِ دَانِيَهَا وَقَاصِيهَا »

(موعظة)

قال الله جل وعلا ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ الاعتبار : النظر في
 الأمور ليعرف بها شيء من غير جنسها ، والأبصار : العقول والمعنى تدبروا .

إخواني : الدنيا دار عبرة ما وقعت فيها حبرة إلا وردفتها عبرة أين من
 عاشناه كثيراً وألفنا ، أين من ملنا إليه بالوداد وانعطفنا ، أين من ذكرناه
 بالمحاسن ووصفنا ما نعرفهم لو عنهم كشفنا ، ما ينطقون لو سألناهم والحفنا .

وسنصير كما صاروا فليتنا أنصفنا ، كم أغمضنا من أحبابنا على
 كرههم جفنا ، كم ذكرتنا مصارع من فنى من يقنى ، كم عزيز أحببنا دفناه
 وانصرفنا ، كم مؤنس أضجعناه في اللحد وما وقفنا ، كم كريم علينا إذا مررنا
 عليه انحرفنا .

ما لنا نتحقق الحق فإذا أيقنا صدقنا ، أما ضرر أهله التسويف ، وها
 نحن قد سوفنا ، أما التراب مصيرنا فلماذا منه أنفنا ، الأمل تغرنا السلامة وكان
 قد تلفنا .

أين حبيبنا الذي كان وانتقل ، أما غمسه التلّف في بحرهِ وارتحل أما

خلا في لحده بالعمل أين من جرّ ذيل الخيلاء غافلاً ورقل أما سافر عنا وإلى
الآن ما قفل .

أين من تنعم في قصره وفي قبره قد نزل ، فكأنه بالدار ما كان وفي اللحد
لم يزل ، أين الجبارة الأكاسرة الأول الذين كنزوا الكنوز العتاة الأول ، ملك
الأموال سواهم والدينا دول .

شِعْرًا :

تَنَامُ وَقَدْ أُعِدَّ لَكَ السُّهَادُ وَتُوقِنُ بِالرَّحِيلِ وَلَيْسَ زَادُ
وَتُصْبِحُ مِثْلَ مَا تُمَسِّي مُضِيْعًا كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي مَا الْمُرَادُ
أَتَطْمَعُ أَنْ تَفُوزَ غَدًا هَنِيًّا وَلَمْ يَكْ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا اجْتِهَادُ
إِذَا فَرَطْتَ فِي تَقْدِيمِ زَرْعٍ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ عَدَمِ حَصَادُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى
نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدْلِيلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَادَ بَعْرَكَ وَالسَّعِيدُ
مَنْ التَّجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالدَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ
بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ نَزِّهْ قُلُوبَنَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونَكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ
قَوْمِ تُحِبُّهُمْ وَمُحِبُّونَكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَيَسُنُّ تَوَجُّهَهُ الْمَيِّتِ وَمَنْ فِي النَّزْعِ إِلَى الْقِبْلَةِ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ لِأَنَّ
حُدَيْفَةَ قَالَ « وَجَّهُونِي إِلَى الْقِبْلَةِ » وَاسْتَحَبَّهُ مَالِكٌ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالْأَوْزَاعِيُّ
وَأَهْلُ الشَّامِ وَقَالَ ﷺ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قَبِلْتُمْ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَقَوْلُ بِاسْمِ اللَّهِ وَعَلَى وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْمُزْنِيِّ وَلَفْظُهُ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا بِأَسْ بِتَقْبِيلِ الْمَيِّتِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ لِخَدِيثِ
عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَبَّلَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَالنَّسَائِيُّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ قَبَّلَ النَّبِيَّ ﷺ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ حَتَّى رَأَيْتُ
الدُّمُوعَ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ .

وَعَسَلُ الْمَيِّتِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الَّذِي وَقَصْتَهُ رَاحِلَتُهُ اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ
وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَشُرْطٌ فِي الْمَاءِ الَّذِي يُغْسَلُ فِيهِ الْمَيِّتُ الطُّهُورِيَّةُ
وَالْأَبَاحَةُ كَبَاقِيِ الْاِغْسَالِ .

وَشُرْطٌ فِي الْمُغْسَلِ لِلْمَيِّتِ الْاِسْلَامُ وَالْعَقْلُ وَالتَّمْيِيزُ لِأَنَّ هَذِهِ شُرُوطٌ
لِكُلِّ عِبَادَةٍ شَرْعِيَّةٍ إِلَّا التَّمْيِيزَ فِي الْحَجِّ وَالْاَكْمَلُ أَنْ يَكُونَ الْغَاسِلُ لِلْمَيِّتِ ثِقَةً
يَعْرِفُ أَحْكَامَ الْعَسَلِ لِيَحْتَاطَ فِيهِ وَلِقَوْلِ ابْنِ عَمْرٍو لَا يُغْسَلُ مَوْتَاكُمْ إِلَّا
الْمَأْمُونُونَ .

وَالْأَوْلَى بِغَسَلِ الْمَيِّتِ وَصِيَّةُ الْعَدْلِ لِأَنَّ أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ أَوْصَى أَنْ تُغْسَلَهُ
اِمْرَأَتُهُ اِسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ فَقَدِمَتْ بِذَلِكَ وَأَوْصَى أَنَسٌ أَنْ يُغْسَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ
سَيْرِينَ فَفَعَلَ .

وَإِذَا شَرَعَ فِي غَسَلِهِ سَتَرَ عَوْرَتَهُ وَجُوبًا لِخَدِيثِ لَا تَبْرُزْ فَخَدَكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى
فَخَدِ حَيٍّ وَلَا مَيِّتٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَيَجْرُمُ مَسُّ عَوْرَةٍ مَنْ بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَمَسَّ سَائِرُهُ إِلَّا
بِحَائِلٍ ، اِدْسُوسُ يَدَيْنِ أَوْ نَحْوَهَا لِمَا رَوَى أَنْ عَلِيًّا غَسَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَبِيَدِهِ خِرْقَةٌ
يَمَسُّحُ بِهَا تَحْتَ الْقَمِيصِ ذَكَرَهُ الْمُرُوزِيُّ عَنْ أَحْمَدَ .

وَلِلرَّجُلِ أَنْ يُغَسِّلَ زَوْجَتَهُ وَأُمَّتَهُ لِقَوْلِهِ ﷺ لِعَائِشَةَ لَوْ مِتَّ قَبْلِي لَغَسَلْتُكَ
وَكَفَّيْتُكَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَغَسَلَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَمْ يُنْكِرْهُ مُنْكَرٌ فَكَانَ
إِجْمَاعًا .

وَلِلْمَرْأَةِ تَغْسِيلُ زَوْجِهَا وَسَيِّدِهَا وَابْنِ دُونَ سَبْعِ سِنِينَ قَالَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ
إِجْمَاعًا لِحَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ السَّابِقِ وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْ اسْتَقْبَلْنَا مِنْ
أَمْرَانَا مَا اسْتَدْبَرْنَا مَا غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا نِسَاءَهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَلَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ النَّبِيِّ ﷺ غَسَلَهُ النِّسَاءُ وَحُكْمُ غَسْلِ الْمَيِّتِ
كَغَسْلِ الْجَنَابَةِ لِقَوْلِهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ اللَّاتِي غَسَلْنَ ابْنَتَهُ إِذَا بَلَّ بِمِيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ
الْوَضُوءِ مِنْهَا وَلَا يُدْخَلُ فِي فَمِ الْمَيِّتِ الْمَاءُ وَلَا فِي أَنْفِهِ بَلَّ يَأْخُذُ خِرْقَةً مَبْلُوءَةً
فَيَمْسُحُ بِهَا أَسْنَانَهُ وَمُنْخَرِيهَ لِيُقِيمَ مَقَامَ الْمُضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

وقال ﷺ « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » وَيُكْرَهُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى
غَسَلَةٍ وَاحِدَةٍ لِقَوْلِهِ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتُهُ اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ
ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتَنِ بَيَاءً وَسِدْرًا .

فَإِنْ خَرَجَ مِنَ الْمَيِّتِ الْمَغْسَلِ شَيْءٌ زَيْدٌ فِي الْغَسَلَاتِ وَجُوبًا إِلَى السَّبْعِ فَإِنْ
خَرَجَ بَعْدَ السَّبْعِ حُشِي الْمَحَلُّ بِقُطْنٍ فَإِنْ لَمْ يَسْتَمْسِكْ فَبِطْنٍ حُرِّثُمْ يُغَسَّلُ
الْمَحَلُّ وَيُوضَأُ وَجُوبًا .

وَإِنْ خَرَجَ بَعْدَ التَّكْفِينِ لَمْ يُعَدَّ الْغَسْلُ وَلَا الْوَضُوءُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَرَجِ
وَالْمَشَقَّةِ وَلَا يُغَسَّلُ شَهِيدُ الْمَعْرَكَةِ وَلَا يُكْفَنُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ لِحَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ أَمَرَ بِدَفْنِ شُهَدَاءِ أَحَدٍ فِي دِمَائِهِمْ وَلَمْ يَغْسِلُوا وَلَمْ يُصَلَّى عَلَيْهِمْ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ .

شعرا :

أَلَا ذَكَرَانِي قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْتُ وَيُنْتِنِي لِحْجَمَانِي بِدَارِ الْبِلَى يَيْتُ
وَعَلَّمَنِي رَبِّي طَرِيقَ سَلَامَتِي وَبَصَّرَنِي لِكِنِّي قَدْ تَعَامَيْتُ
وَقَالُوا مَشَيْبَ الرَّأْسِ يَحْدُوا إِلَى الْبِلَى فَقُلْتُ أَرَانِي قَدْ قَرُبْتُ فَأَذْنَيْتُ

وَكَذَا لَا يُغَسَّلُ وَلَا يُكْفَنُ وَلَا يُصَلَّى عَلَى الْمَقْتُولِ ظَلَمًا لِحَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ
زَيْدٍ مَرْفُوعًا مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ
دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَصَحَّحَهُ .

وَقِيلَ يُغَسَّلُ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ لِأَنَّ ابْنَ الزَّيْرِ غُسِّلَ وَصَلِيَ عَلَيْهِ وَهَذَا الْقَوْلُ
يَتَرَجَّحُ عِنْدِي لِأَنَّهُ أَحْوْطُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

فَإِنَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ مَا يُوْجِبُ الْغُسْلَ مِنْ نَحْوِ جَنَابَةٍ فَهُوَ كَعَيْرِهِ يَجِبُ أَنْ
يُغَسَّلَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ أَحُدٍ مَا بَالُ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّاهِبِ إِنِّي رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ
تُغَسِّلُهُ قَالُوا إِنَّهُ سَمِعَ أَهْلَاءَهُ وَهُوَ جُنُبٌ وَلَمْ يَغْتَسِلِ رَوَاهُ الطَّيَالِسِيُّ .

وَأَنْ سَقَطَ مِنْ دَابْتِهِ أَوْ وَجِدَ مَيْتًا وَلَا أَثَرَ بِهِ أَوْ تَرَدَّى مِنْ مَحَلِّ رَفِيعٍ أَوْ
حُمِلَ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ أَوْ طَالَ بَقَاؤُهُ عُرْفًا غُسِّلَ وَصَلِيَ عَلَيْهِ وَكَذَا - لَوْ تَكَلَّمَ أَوْ بَالَ
أَوْ عَطَسَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَسِّلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَصَلِيَ عَلَيْهِ وَكَانَ شَهِيدًا وَصَلَّى
الْمُسْلِمُونَ عَلَى عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَهُمَا شَهِيدَانِ وَالسَّقَطُ لِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ كَالْمَوْلُودِ حَيًّا يُغَسَّلُ
وَيُصَلَّى عَلَيْهِ عَلَيْهِ لِحَدِيثِ الْمُغِيرَةِ مَرْفُوعًا ، وَالسَّقَطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ
وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ .

وَلَا يُغَسَّلُ مُسْلِمٌ كَافِرًا وَلَوْ ذَمِيمًا وَلَا يُكْفَنُهُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يَتَّبَعُ جَنَازَتَهُ
لِأَنَّ فِي ذَلِكَ تَعْظِيمًا لَهُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بَلْ
يُذَفَّنُ إِنْ لَمْ يَدْفِنْهُ الْكُفَّارُ كَمَا فَعَلَ بِأَهْلِ الْقَلْبِ يَوْمَ بَدْرٍ وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ قَالَ إِذْهَبْ فَوَارِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

شِعْرًا :

كَيْفَ إِحْتِيَالِي إِذَا جَاءَ الْحِسَابُ غَدًا
وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى صُحْفِي مُسَوَّدَةٍ
وَقَدْ تَجَلَّى لِسَطِّ الْعَدْلِ خَالِقُنَا
يَفُوزُ كُلُّ مُطِيعٍ لِلْعَزِيزِ غَدًا
لَهُمْ نَعِيمٌ حُلُودٌ لَا نَفَادَ لَهُ
وَمَنْ عَصَى فِي فَرَارِ النَّارِ مَسْكَنَهُ
فَابْكُوا كَثِيرًا فَقَدْ حَقَّ الْبُكَاءُ لَكُمْ
وَقَدْ حُشِرْتُ بِأَثْقَالِي وَأَوْزَارِي
مِنْ سُؤْمِ ذَنْبِ قَدِيمِ الْعَهْدِ أُوطَارِي
يَوْمَ الْمَعَادِ وَيَوْمَ الدُّلِّ وَالْعَارِ
بِدَارِ عَدْنٍ وَأَشْجَارٍ وَأَنْهَارِ
يُخَلِّدُونَ بِدَارِ الْوَاحِدِ الْبَارِي
لَا يَسْتَرِيحُ مِنَ التَّعْذِيبِ فِي النَّارِ
خَوْفَ الْعَذَابِ بَدْمَعٍ وَكَفِّ جَارِي

آخِرُ :

يَا عَجَبًا لِلنَّاسِ كَيْفَ اغْتَدَوْا
لَوْ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ لَمْ يَكُنْ
مَنْ شَكَ فِي اللَّهِ فَذَلِكَ الَّذِي
يُحْيِيهِمْ بَعْدَ الْبَلِي مِثْلَ مَا
فِي غَفْلَةٍ عَمَّا وَرَاءَ الْمَمَاتِ
لَهُمْ عَلَى إِحْدَى الْمَعَاصِي ثَبَاتٌ
أُصِيبَ فِي تَمْيِيزِهِ بِالشُّسْتَاتِ
أَخْرَجَهُمْ مِنْ عَدَمٍ لِلْحَيَاةِ

اللَّهُمَّ اهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا الْإِسْتِقَامَةَ طَوْعًا أَمْرًا وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا
بِعَافِيَتِكَ وَجَزِيلِ عَفْوِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَتَكْفِينُ الْمَيِّتِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَحْرَمِ الَّذِي مَاتَ اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ
وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ وَالْوَاجِبُ ثَوْبٌ يَسْتُرُ جَمِيعَ الْمَيِّتِ لِقَوْلِ أُمِّ عَطِيَّةٍ فَلَمَّا فَرَّغْنَا

أَلْقَى إِلَيْنَا حَقْوَهُ فَقَالَ أَشْعَرْنَهَا وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَلَا يُسْتَرُّرَأْسُ الْمُحْرَمِ وَلَا وَجْهُ الْمَحْرَمَةِ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْمُحْرَمِ الَّذِي مَاتَ « وَلَا تُحْمَرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَالسُّنَّةُ تَكْفِينُ الرَّجُلِ فِي ثَلَاثِ لَفَائِفٍ بِيَضٍ مِنْ قُطْنٍ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ كَفَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيَضٍ سَحْوَلِيَّةٍ يَمَانِيَّةٍ لَيْسَ بِهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ أُدْرِجَ فِيهَا إِدْرَاجًا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْمَسْنُونُ فِي حَقِّ الْأُنْثَى خَمْسَةُ أَثْوَابٍ إِزَارٌ وَخِمَارٌ وَقَمِيصٌ وَلِفَافَتَيْنِ لِحَدِيثِ لَيْلَى بِنْتِ قَائِفِ الثَّقَفِيَّةِ قَالَتْ كُنْتُ فِيْمَنْ غَسَلَ أُمَّ كَلْثُومَ ابْنَةَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ وَفَاتِهَا فَكَانَ أَوَّلَ مَا أَعْطَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحِقَاقِثَ الدَّرْعَ ثُمَّ الْخِمَارَ ثُمَّ الْمَلْحَفَةَ ثُمَّ أُدْرِجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الثَّوْبِ الْآخَرَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَالصَّبِيُّ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ لِأَنَّهُ دُونَ الرَّجُلِ وَبِبَاحٍ فِي ثَلَاثَةٍ ، مَا لَمْ يَرْتُهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ ، وَلِصَغِيرِ قَمِيصٍ وَلِفَافَتَانِ ، وَلِخُنْثَى كَالْأُنْثَى فِي خَمْسَةِ أَثْوَابٍ ، وَأَمَّا صِفَةُ تَهْيِئَةِ اللَّفَائِفِ وَوَضْعُ الْمِيْتِ عَلَيْهَا فَإِنَّا تَبَسَّطُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَتُجْعَلُ اللَّفَافَةُ الظَّاهِرَةُ وَهِيَ السُّفْلَى مِنَ الثَّلَاثِ أَحْسَنَهَا وَذَلِكَ بَعْدَ تَبْخِيرِهَا بِعُودٍ وَنَحْوِهِ بَعْدَ رَشِّهَا بِهَا وَرَدِّ لَتَعْلَقَ رَائِحَةُ الْبُخُورِ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ مُحْرَمًا .

فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى حَنُوطٍ عَدَاةَ الْبَيْنِ فِي خِرْقٍ وَغَيْرِ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقٍ وَتُجْعَلُ الْحَنُوطُ وَهُوَ أَخْلَاطٌ مِنْ طِيبٍ فِيْمَا بَيْنَ اللَّفَائِفِ وَذَلِكَ بَانَ يُدْرُ بَيْنَ اللَّفَائِفِ ثُمَّ يُوَضَعُ الْمِيْتُ عَلَى اللَّفَائِفِ مُسْتَلْقِيًا وَتُجْعَلُ مِنْهُ فِي قُطْنٍ بَيْنَ إِلَيْتَيْهِ وَمِثْلَانِهِ .

وَتُجْعَلُ الْبَاقِي مِنَ الْقُطْنِ الْمُحْنَطِ عَلَى مَنَافِدِ وَجْهِهِ وَمَوَاضِعِ سُجُودِهِ جَبْهَتِهِ وَيَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَتَحْتِ إِبْطِهِ وَسُرَّتِهِ لِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَتَّبِعُ مَغَابِنَ الْمِيْتِ وَمِرَافِقَهُ بِالْمِسْكِ وَإِنْ طِيبَ كُلُّهُ فَحَسَنٌ لِأَنَّ أُنْسَا طَلِيَّ بِالْمِسْكِ وَطَلِيَّ ابْنَ عُمَرَ مِيْتًا بِالْمِسْكِ .

ثُمَّ يُرَدُّ طَرْفَ اللَّفَافَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يُرَدُّ
طَرْفَهَا الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَيْسَرِ ثُمَّ الثَّانِيَةَ كَذَلِكَ ثُمَّ الثَّلَاثَةَ كَذَلِكَ وَيَجْعَلُ أَكْثَرَ
الْفَاضِلِ عِنْدَ رَأْسِهِ ثُمَّ يَعْقِدُهَا وَتَحَلُّ فِي الْقَبْرِ ، لِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِذَا أَدْخَلْتُمْ
أَلْمِيَتَ الْقَبْرِ فَحَلُّوا الْعُقْدَ رَوَاهُ الْأَثَرَمُ .

شعرا :

إِنَّ الَّذِي كَانَ بَعْضُ الْأَرْضِ يَمْلِكُهُ أَمْسَى مِنَ الْأَرْضِ قَدْ يَحْوِيهِ مِثْرَانِ
وَوَغَابَ عَنِ مُلْكِهِ الْمَسْكِينُ وَاقْتَسَمُوا أَمْوَالَهُ فَاغْتَبَرُوا وَاقْتَدَ يَبْقِظَانِ
آخِر :

وَعَرِّيَ عَنْ ثِيَابِ كَانَ فِيهَا وَالْيَسَّ بَعْدَ أَثْوَابِ انْتِقَالَ
وَبَعْدَ رُكُوبِهِ الْأَفْرَاسَ تَيْهًا يُهَادَى بَيْنَ أَعْنَاقِ الرَّجَالِ
إِلَى قَبْرِ يُغَادِرُ فِيهِ فَرْدًا نَأَى مِنْهُ الْأَقَارِبُ وَالْمَوَالِي
تَحَلَّى عَنِ مُورِّثِهِ وَوَلَّى وَلَمْ تَحْجِبْهُ مَأْتَرَةُ الْمَعَالِي

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ مَا هَذَا التَّكَاسُلُ عَنِ الطَّاعَاتِ وَزَرْعُ الْأَعْمَارِ قَدْ دَنَا
لِلْحَصَادِ وَمَا هَذَا التَّبَاعُدُ وَمُدَدُ الْأَيَّامِ قَدْ قَارَبَتْ لِلنَّفَادِ ، وَمَا هَذَا التَّغافلُ
وَالتَّكَاسُلُ عَنِ إِعْدَادِ الزَّادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ .

خَلَّتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْمَعَادِ وَذَكَرَهُ وَتَشَاغَلُوا بِالْحِرْصِ وَالْأَطْمَاعِ
صَارَتْ مَجَالِسُ مَنْ تَرَى وَحَدِيثُهُمْ فِي الصُّحُفِ وَالتِّلْفَازِ وَالمِذْيَاعِ

آخِرُ :

تَزُوذُ لِلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ
يَسْرُكُ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادٍ

عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْحَسْرَاتُ عَلَى قَوْتِ أَمْسٍ أَيْنَ الْعِبْرَاتُ عَلَى مُقَاسَاتِ
الرَّمْسِ أَيْنَ الْأَسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ تَدْنُو فِيهِ مِنْكُمْ الشَّمْسُ ، ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ
الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

يَا مَنْ مَشِيئُهُ أَتَى وَشَبَابُهُ إِضْمَحَلَّ وَخَبِي ، مَتَى تَتَضَرَّعَ إِلَى مَوْلَاكَ
وَتَقْفُ بِالْبَابِ ، أَمَا اعْتَبَرْتَ بِالرَّاحِلِينَ مِنَ الْأَقْرَابِ وَالْجِيرَانِ وَالزَّمَلَاءِ
وَالْأَحْبَابِ ؛ أَمَا قَرَعَ سَمْعَكَ ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ الْآيَةُ .

كَيْفَ حَالُكَ إِذَا بَلَغَتِ الرَّوْحَ التَّرَاقِ وَقَطَّعَتِ الْحَسْرَاتُ وَالنَّدَمُ عَلَائِقُ
الْأَكْبَادِ وَوَضِعَتِ فِي بَيْتِ الظُّلْمَةِ وَالذُّودِ وَالْوَحْدَةِ وَلَا وِلَى لَكَ مِنَ اللَّهِ وَلَا نَاصِرُ
وَضَوْعِفَ الْعَذَابُ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ .

كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَمَ
طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ يَوْمَ النُّشُورِ وَحُرِّرَ الْحِسَابُ بَيْنَ يَدَيْ سَرِيعِ الْحِسَابِ عَالِمِ السَّرِّ
وَالْخَفِيَّاتِ وَالْجَلِيَّاتِ وَنُصِبَ الْمِيزَانُ ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يُظْلِمُونَ ﴿ .

وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ، فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ .

شِعْرًا :
وَلَا بَأْسَ شَرَعًا أَنْ يَطْبِكَ مُسْلِمٌ
وَشَكْوَى الَّذِي تَلَقَى وَبِالْحَمْدِ فَايْتَدِ
وَتَرَكُ الدَّوَا أَوْلَى وَفِعْلُكَ جَائِزٌ
بِمَا لَمْ تَيَقِّنْ فِيهِ حُرْمَةَ مُفْرَدِ
وَرَجَّحْ عَلَى الْخَوْفِ الرَّجَا عِنْدَ يَأْسِهِ
وَلَاقِ بِحُسْنِ الظَّنِّ رَبَّكَ تَسْعَدِ
وَشُرْعُ لِلْمَرْضَى الْعِيَادَةَ فَأَتِهِمْ
تَخُضْ رَحْمَةً تَغْمُرُ مَجَالِسَ عُودِ

فَسَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّضَا
تُصَلِّي عَلَى مَنْ عَادَ مُمَسًى إِلَى الْعَدِ
وَإِنْ عَادَهُ فِي أَوَّلِ الْيَوْمِ وَاصَلَتْ
عَلَيْهِ إِلَى اللَّيْلِ الصَّلَاةَ فَاسْنِدِ
فَمِنْهُمْ مُغِبًا عُدَّ وَخَفِيفٌ وَمِنْهُمْ أَلِ
لَذِي يُؤْتِرُ التَّطْوِيلَ مِنْ مُتَوَدِّدِ
فَفَكَّرَ وَرَاعٍ فِي الْعِيَادَةِ حَالَ مَنْ
تَعُودُ وَلَا تُكْثِرُ سُؤَالَ تَنْكِدِ
وَذَكَرَ لِمَنْ تَأْتِي وَقَوْ فَوَادَهُ
وَمَرَهُ بِأَنْ يُوصِي إِذَا خِفَتْ وَارْشُدِ
وَنَدَّ بِمَاءٍ أَوْ شَرَابٍ لِسَانَهُ
وَلَقْنَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ قَوْلَ الْمُوحِدِ
وَلَا تُضْجِرَنَّ بَلْ إِنْ تَكَلَّمْتَ بَعْدَهُ
فَعَاوِذُ بِلْفُظٍ وَاسْأَلِ اللَّطْفَ وَاجْهَدِ
وَيْسَ إِنْ تُتْلَى يُخَفِّفُ مَوْتَهُ
وَيُرْفَعُ عَنْهُ الْأَصْرَ عِنْدَ التَّلْحُدِ
وَوَجَّهَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ تَلْقَاءَ قَبِيلَةٍ
فَإِنْ مَاتَ غَمَّضَهُ وَلَحِيئِهِ فَاشْدُدِ
وَمَلْبُوسَهُ فَاخْلَعْ وَلَيِّنْ مَفَاصِلَهُ
وَضَعْ فَوْقَ بَطْنِ الْمَيِّتِ مَانِعَ مُصْعِدِ
وَوَفِّ دِيُونََ الْمَيِّتِ شَرْعًا وَفَرَّقَنَّ
وَصِيَّةَ عَدْلِ ثُمَّ تَجْهِيْبِزُهُ أَفْصَدِ

إِذَا بِأَنْخَسَافِ الصُّدُغِ أَيْقَنْتَ مَوْتَهُ
 وَمِثْلَ أَنْفِهِ مَعَ فَضْلِ رِجْلَيْهِ وَالْيَدِ
 وَلَا بَأْسَ فِي إِعْلَامِ خَلِّ وَصَاحِبِ
 وَأَنْسَابِهِ وَأَكْرَةَ نِذَاءٍ وَشَدِّدِ
 وَسَارِعِ إِلَى التَّجْهِيزِ فَرَضَ كِفَايَةَ
 فَقَدِمَ وَصِيًّا بَعْدَهُ الْأَبَ فَاغْدُدِ
 فَجَدُّ فَأَذْنَى ثُمَّ أَدْنَى مُنَاسِبِ
 فَمَوْلَى فَأَذْنَى أَقْرَبِيهِ كَمَا ابْتَدِي
 وَمُسْتَيَّرًا لِلْفَسْلِ ضَعْفُهُ مُوجَّهًا
 وَمُنْحَدِرًا تِلْقَاءَ رِجْلَيْهِ فَاغْمِدِ
 وَصَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَوْقَ قَمِيصِهِ
 بِالْآخَرَى بِالْأَمْسِ وَحَيْزٍ بِأَبْعَدِ
 وَيَخْتَارُ مَجْدُ الدِّينِ لَفَّةً غَاسِلِ
 عَلَى يَدِهِ ثَوْبًا لِيُغْسَلَ مَعْوَدِ
 وَيُشْرَعُ سِتْرُ الْمَيِّتِ عَنْ أَعْيُنِ الْوَرَى
 وَغَسْلُكَ تَحْتَ السَّقْفِ أَوْ سِتْرًا أَشْهَدِ
 وَقَرَّبَهُ مِنْ حَالِ الْجُلُوسِ بِرَفْعِهِ
 وَلِلْبَطْنِ فَاغْصِرْ وَارْفُقْ لَا تُشَدِّدِ
 وَكَثْرَ لِيَصَبَّ الْمَاءُ لِيَذْهَبَ بِالْأَذَى
 وَفِي وَاسِعِ الْكُمِّينِ غَسِلْ بِأَبْعَدِ
 وَلَفَّ لِتَنْضِيفِ النَّجَاسَةِ خِرْقَةً
 بِكَفِّ وَنَجِّيهِ وَعَنْ عَوْرَةِ حُدِ

وَتَعْمِيمُهُ بِالْمَا اشْتَرَطَ وَيَخْرِقُهُ
بِيَمْنٍ وَسَمٍّ وَأَنْوَ شَرْطاً بِأَجْوَدِ
وَلَا تُدْخِلَنَّ الْمَاءَ فَاهُ وَأَنْفَهُ
وَنَظْفَهُمَا وَأَتِمِّمْ وَضُوءَ التَّعَبُّدِ
وَمِنْ رُغْوَةِ السُّدْرِ اغْسِلْنَهُ جَمِيعَهُ
وَبِالْأَيْمَنِ ابْدَأِ ثُمَّ لِالْيَسْرِ أَقْصِدِ
ثَلَاثًا فَإِنْ لَمْ يُنْقِ أَوْ بَانَ خَارِجُ
فَغَسِّلِ إِلَى الْإِنْتَقَى وَبِالْوَتْرِ جَدِّدِ
إِلَى مُتَهَيِّ سَبْعٍ وَفِي كُلِّ غَسَلَةٍ
فَقَلْبَهُ وَارْفِقْ وَامْسَحِ الْبَطْنَ بِالْيَدِ
وَفِي الْآخِرِ الْكَافُورَ ضَعُهُ فَإِنْ بَدَأَ
إِذَا بَعْدَ سَبْعٍ مَخْرَجَ الْمَيْتِ فَاسْدُدِ
بِقُطْنٍ فَإِنْ يَخْرُجُ فَطِينٍ وَقِيلَ لَا
تُغَسِّلُ وَوَضَّ بَعْدَ غَسَلِ الْأَذَى قَدِ
وَيُكْرَهُ تَسْرِيحُ الشُّعُورِ بِأَوْطِدِ
وَشَارِبُهُ وَالظَّفَرَ وَالْأَبْطَ فَاجْدُدِ
وَعَسِّلِ وَكَفِّنِ بَعْضَ مَيْتٍ مُغَيَّبِ
وَصَلِّ عَلَيْهِ مِثْلَ رِجْلِ بِأَوْكِدِ
وَيُخْتَارُ لِلْغَسَلِ الْأَمِينُ وَعَالِمُ
بِأَحْكَامِ تَغْسِيلِ وَلَوْ بِتَقْلُدِ
وَلَا تُفْسِ سِرًّا يُؤَثِّرُ الْمَيْتُ كَتْمَهُ
سِوَى ذِي فُجُورٍ وَابْتِدَاعِ مُعَوِّدِ

وَتَجْهِيْزُ مَيِّتٍ خُذَهُ مِنْ رَأْسٍ مَّالِيهِ
 وَقَدِّمِ عَلَى كُلِّ الْحُقُوْقِ وَأَكْثِدِ
 وَوَاجِبُهُ نَوْبُ يَلْفُ جَمِيْعَهُ
 وَقِيلَ ثَلَاثٌ بَلْ مَعَ الدِّينِ أَفْرِدِ
 وَيُسْرَعُ فِي بِيْضِ ثَلَاثٍ بَسَطْتَهَا
 طِبَاقاً بِطِيْبٍ وَالدُّثَارَ فَجَوِّدِ
 وَحَنْطُهُ فِيمَا بَيْنَهَا وَاجْعَلْنِ عَلَى
 مُلَفِّفِ قُطْنٍ بَيْنَ أَلْيَيْهِ وَأَشْدُدِ
 وَكَفِّفْهُ وَابْدَأْ بِالْيَسَارِ وَفَوْقَهَا أَلِ
 يَمِيْنُ كَذَا الْأَطْرَافُ مِنْهَا فَعَقِّدِ
 وَمَا عِنْدَ رَأْسِ الْمَيِّتِ وَفَرِّوْ حُلَّهَا
 بِلَحْدٍ وَدَعِ أَكْفَانَهُ لَا تُقَدِّدِ
 وَيَكْفِي لِفَافٍ مَعَ قَمِيْصٍ وَمِثْرَةٍ
 وَالْأُنْثَى خِمَارٌ مَعَ لِفَافَةٍ اِزْدِدِ

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوْبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا
 لِلْقِيَامِ بِأَمْرِكَ وَاعِدْنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ
 الْمُسْلِمِيْنَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَضْلٌ)

وَالصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ فَرَضٌ كِفَايَةً لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
 الْغَالِ صَلُّوا عَلَى هَاجِبِكُمْ وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلُّوا عَلَى

أَطْفَالِكُمْ فَإِنَّهُمْ أَفْرَاطُكُمْ وَقَوْلُهُ إِنَّ صَاحِبِكُمْ النَّجَاشِي قَدْ مَاتَ فَقومُوا
فصلُّوا عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ صَلُّوا عَلَيَّ مِنْ قَالِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَتَسْقُطُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ بِمُكَلَّفٍ ، لَأَنَّهَا صَلَاةٌ لَيْسَ مِنْ شُرُوطِهَا
الْجَمَاعَةُ ، فَلَمْ يُشْتَرَطْ لَهَا الْعَدَدُ ، وَشُرُوطُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ ثَمَانِيَةٌ
النِّيَّةُ وَالتَّكْلِيفُ وَاسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ وَسِتْرُ الْعَوْرَةِ وَاجْتِنَابُ النَّجَاسَةِ وَاسْلَامُ
الْمُصَلِّيِّ وَالْمُصَلَّى عَلَيْهِ وَطَهَارَتُهُمَا وَلَوْ بِتُرَابٍ وَحُضُورُ الْمَيِّتِ إِنْ كَانَ فِي
الْبَلَدِ .

وَأَرْكَانُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ سَبْعَةٌ ، الْقِيَامُ فِي فَرْضِهَا وَالتَّكْبِيرَاتُ
الرُّبْعُ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَبَّرَ عَلَى النَّجَاشِي أَرْبَعًا مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ ، وَقِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ ، لِعُمُومِ حَدِيثٍ لَا صَلَاةَ لِمَنْ يَقْرَأُ لَمْ بِفَاتِحَةٍ
الْكِتَابِ ، وَصَلَّى ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى جَنَازَةٍ فَقَرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ وَقَالَ لِتَعْلَمُوا أَنَّهَا
سُنَّةٌ ، أَوْ قَالَ مِنْ تَمَامِ السُّنَّةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالِدُعَاءُ لِلْمَيِّتِ لِقَوْلِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ رَوَاهُ أَبُو
دَاوُدَ ، وَالتَّرْتِيبُ ، وَالسَّلَامُ ، لِعُمُومِ حَدِيثِ تَحْلِيلِهَا التَّسْلِيمِ ، وَصِفَةُ
الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ أَنْ يَنْوِي .

ثُمَّ يُكَبَّرُ أَرْبَعًا يَرْفَعُ يَدَيْهِ مَعَ كُلِّ تَكْبِيرَةٍ يُحْرَمُ بِالتَّكْبِيرَةِ الْأُولَى
وَيَتَعَوَّذُ وَيُسَمِّي وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَلَا يَسْتَفْتِحُ لِأَنَّ مَبْنَاهَا عَلَى التَّخْفِيفِ ،
وَيُكَبَّرُ التَّكْبِيرَةَ الثَّانِيَةَ ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا
يُصَلِّي عَلَيْهِ فِي الشَّهَادَةِ ، وَيُكَبَّرُ فِي الثَّلَاثَةِ وَيَدْعُو لِلْمَيِّتِ بِأَحْسَنِ مَا
يَحْضُرُ .

وَسُنَّ بِمَا وَرَدَ ، وَمِنْهُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيْنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا
وَذَكْرِنَا وَإِنثَانَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مُنْقَلَبَنَا وَمَثْوَانَا وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ مَنْ
أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَيْهِمَا .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَاكْرَمْ نُزْلَهُ ، وَأَوْسِعْ
مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى
الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ
وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَأَفْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَتَوَزَّرْ
لَهُ فِيهِ .

وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ الْمُصَلَّى عَلَيْهِ صَغِيرًا أَوْ مَجْنُونًا وَاسْتَمَرَ قَالَ اللَّهُمَّ
اجْعَلْهُ ذُخْرًا لِدَوْلِدِيهِ وَفِرْطًا وَشَفِيعًا مُجَابًا اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا وَأَعْظِمْ بِهِ
أُجُورَهُمَا وَالْحِقْهُ بِصَالِحِ سَلَفِ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْعَلْهُ فِي كِفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ وَفِيهِ
بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الْجَحِيمِ وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ إِسْلَامُ وَالِدَيْهِ دَعَا لِمَوَالِيهِ .

وَيُؤَنَّثُ الضَّمِيرُ عَلَى أَنْثَى فَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهَا إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ
وَيُشِيرُ بِمَا يَصْلُحُ لَهُمَا عَلَى خُنْثَى ، وَمَا جَهَلَ هَلْ هُوَ ذَكَرٌ أَمْ أَنْثَى فَيَقُولُ
فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِهَذَا الْمَيِّتِ وَنَحْوِهِ كَهَذِهِ الْجَنَازَةِ لِأَنَّهُ يَصْلُحُ لَهُمَا .

وَيُكَبَّرُ التَّكْبِيرَةَ الرَّابِعَةَ وَيَقِفُ بَعْدَهَا قَلِيلًا وَلَا يَدْعُو وَيُسَلِّمُ تَسْلِيمَةً
وَاحِدَةً عَنْ يَمِينِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يُسَلِّمَهَا تَلْقَاءَ وَجْهِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يُسَلِّمَ ثَانِيَةً .

وَسُنُّ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ جَمَاعَةً كَفَعْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَأَصْحَابُهُ وَاسْتَمَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَسُنَّ أَنْ لَا تَنْقُصَ الصُّفُوفُ عَنْ ثَلَاثَةِ
صُّفُوفٍ ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ ثَلَاثَةَ
صُّفُوفٍ مِنَ النَّاسِ فَقَدْ أَوْجَبَ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَالْحَاكِمِيُّ وَقَالَ
صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

وَيَجُوزُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى الْمَيِّتِ مِنْ دَفْنِهِ إِلَى شَهْرٍ وَشَيْءٍ قَلِيلٍ كَيَوْمٍ
وَيَوْمَيْنِ يُرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سِتَّةِ وُجُوهِ كُلِّهَا حِسَانٌ
قَالَ أَحْمَدُ وَقَالَ وَمَنْ يَشْكُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ وَقَالَ أَكْثَرُ مَا سَمِعْتُ أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى أُمِّ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَعْدَ شَهْرٍ .

وَيُصَلَّى عَلَى الْغَائِبِ بِالنِّيَّةِ لِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
النَّجَاشِيِّ وَالْأَوْلَى بِالصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ وَصِيَّهُ الْعَدْلُ فَسَيِّدُ بَرَقِيْقِهِ فَالسُّلْطَانُ
فَنَائِبُهُ الْأَمِيرُ فَالْحَاكِمُ فَالْأَوْلَى بِغَسْلِ رَجُلٍ فَزَوْجٌ بَعْدَ ذَوِي الْأَرْحَامِ .

وَمَعَ تَسَاوٍ يُفْرَعُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ قَدَّمَهُ وَلِيُّ لَا وَصِيَّ بِمَنْزِلَتِهِ وَالسُّنَّةُ أَنْ
يَقِفَ الْإِمَامُ وَالْمُنْفَرِدُ عِنْدَ رَأْسِ الرَّجُلِ الْمَيِّتِ الْمُصَلَّى عَلَيْهِ وَعِنْدَ وَسْطِ
الْأُنْثَى لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى عَلَى رَجُلٍ فَقَامَ عِنْدَ رَأْسِهِ ثُمَّ صَلَّى
عَلَى امْرَأَةٍ فَقَامَ وَسْطَهَا فَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ هَكَذَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ قَالَ نَعَمْ وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ فَقَامَ وَسْطَهَا مُتَّفَقًا
عَلَيْهِ .

وَيُسَنُّ أَنْ يَلِيَّ الْإِمَامَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَفْضَلُهُمْ فَاسْنُ فَاسْبِقُ ثُمَّ يُفْرَعُ
فَإِنْ كَانَ رَجُلًا وَصَبِيًّا وَامْرَأَةً وَخُنْثَى قُدِّمَ إِلَى الْإِمَامِ الرَّجُلُ ثُمَّ الصَّبِيُّ ثُمَّ
الْخُنْثَى ثُمَّ الْمَرْأَةُ لِمَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى عَلَى
تِسْعِ جَنَائِزِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ فَجَعَلَ الرَّجَالَ مِمَّا يَلِي الْإِمَامَ وَالنِّسَاءَ مِمَّا يَلِي
الْقَبْلَةَ .

وَيَقْضِي الْمَسْبُوقُ مَا فَاتَهُ مِنَ التَّكْبِيرَاتِ إِذَا سَلَّمَ إِمَامُهُ عَلَى صِفَتِهَا
فَإِنْ خَشِيَ رَفَعَ الْجَنَازَةَ تَابَعَ التَّكْبِيرَ رُفِعَتْ أَوْ لَمْ تُرْفَعْ وَإِذَا سَلَّمَ وَلَمْ

يَقْضِي شَيْئًا صَحَّتْ وَيَجُوزُ دُخُولُهُ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الرَّابِعَةِ وَيَقْضِي الثَّلَاثَ
التَّكْبِيرَاتِ اسْتِحْبَابًا لَيْسَالِ الْأَجْرِ .

وَأَنْ وَجَدَ بَعْضُ مَيِّتٍ كَرِجَلٍ أَوْ يَدٍ فَحُكْمُهُ كَكُلِّهِ فَيَغْسَلُ وَيُصَلِّي
عَلَيْهِ بَعْدَ مَا يُكْفَنُ وَجُوبًا لِأَنَّ أَبَا أَيُّوبَ صَلَّى عَلَى رَجُلٍ أَنْسَانَ قَالَهُ أَحْمَدُ
وَصَلَّى عُمَرُ عَلَى عِظَامٍ بِالشَّامِ وَصَلَّى أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى رُؤُوسٍ رَوَاهُمَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بِإِسْنَادِهِ .

قَالَ الشَّافِعِيُّ أَلْقَى طَائِرٌ يَدًا مِنْ وَقَعَةِ الْجَمَلِ عُرِفَتْ بِالْخَاتَمِ وَكَانَتْ
يَدَ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا أَهْلُ مَكَّةَ فَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ قَدْ صَلَّى عَلَيْهِ
غُسِلَ ذَلِكَ الْبَعْضُ وَكُفِّنَ وَجُوبًا وَصَلِّيَ عَلَيْهِ اسْتِحْبَابًا لِأَنَّ الْفَرَضَ سَقَطَ
بِالصَّلَاةِ عَلَى أَكْثَرِ الْمَيِّتِ .

وَكَذَا إِنْ وَجَدَ الْبَاقِي مِنَ الْمَيِّتِ فَيَغْسَلُ وَيُكْفَنُ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ وَيُذْفَنُ
بِجَنْبِهِ وَلَا يُصَلَّى عَلَى مَا بَانَ وَانْفَصَلَ مِنْ حَيٍّ كَيَدِ سَارِقٍ وَقَاطِعِ طَرِيقٍ مَا
دَامَ الْإِنْسَانُ حَيًّا .

وَلَا يُصَلَّى عَلَى مَنْ فِي أَحَدِ جَانِبَيْ الْبَلَدِ وَأَنْ كَانَ الْبَلَدُ كَبِيرًا وَلَوْ
لِمَشَقَّةِ مَطَرٍ أَوْ مَرَضٍ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ حُضُورَ الْمَيِّتِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي الْبَلَدِ
وَيُعْتَبَرُ انْفِصَالُهُ عَنِ الْبَلَدِ بِمَا يُعَدُّ الذَّهَابُ إِلَيْهِ نَوْعَ سَفَرٍ .

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ وَأَقْرَبُ الْحُدُودِ مَا تَجِبُ فِيهِ الْجُمُعَةُ وَلَا
يُصَلِّي عَلَى كُلِّ غَائِبٍ قَالَهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ لِأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ وَمَنْ صَلَّى عَلَى
مَيِّتٍ كَرِهَ لَهُ إِعَادَةُ الصَّلَاةِ كَالْعِيدِ إِلَّا مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ بِالنِّيَّةِ إِذَا حَضَرَ .

وَكَذَا إِذَا وَجَدَ بَعْضُ مَيِّتٍ صَلَّى عَلَى جُمْلَتِهِ فَتُسَنُّ الصَّلَاةُ عَلَى
ذَلِكَ الْبَعْضِ .

شِعْرًا :

يَا غَافِلِينَ أَفِيقُوا قَبْلَ مَوْتِكُمْ
وَقَبْلَ يُؤْخَذُ بِالْأَقْدَامِ وَاللَّمَمِ
وَالنَّاسُ أَجْمَعُ طَرًّا شَاخِصُونَ غَدًا
لَا يَنْطِقُونَ بِلَا بَكْمٍ وَلَا صَمَمِ
وَالخَلْقُ قَدْ شَغِلُوا وَالْحَشْرُ جَامِعُهُمْ
وَاللَّهُ طَالِبُهُم بِالْحِلِّ وَالْحَرَمِ
وَقَدْ تَبَدَّى لِأَهْلِ الْجَمْعِ كُليهِم
وَعَدُ الْإِلَهِ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالنَّقَمِ
وَكُلُّ نَفْسٍ لَدَى الْجَبَّارِ شَاخِصَةٌ
لَا يَنْطِقُونَ بِلَا رُوحٍ مِنَ الزَّحَمِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرَنَا وَأَنْ تَضَعَ وَزْرَنَا وَتُصْلِحَ أَمْرَنَا وَتُطَهِّرَ
قُلُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُبُورَنَا وَتَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

ولا يُصَلِّيُ الامامُ عَلَى الْغَالِ وَلَا عَلَى قَاتِلِ نَفْسِهِ أَمَا الْغَالُ وَهُوَ مَنْ
كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا غَنِمَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْكُفَّارِ لِيُخْتَصَّ بِهِ فَلَانَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ امْتَنَعَ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ جُهَيْنَةَ غَلَّ يَوْمَ خَيْبَرَ وَقَالَ صَلُّوا
عَلَى صَاحِبِكُمْ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيَّ اِحْتَجَّ بِهِ أَحْمَدُ وَأَمَا قَاتِلُ نَفْسِهِ
فَلِحَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاؤُهُ بِرَجُلٍ قَدْ
قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ فَلَمْ يُصَلِّيْ عَلَيْهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ .

وَلِلْمُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ قِيرَاطٌ مِنَ الْأَجْرِ وَهُوَ أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى وَلَهُ بِتَمَامٍ دَفِنَهَا قِيرَاطٌ آخَرَ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَهِدَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ
وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ
الْعَظِيمَيْنِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلِمُسْلِمٍ حَتَّى تُوَضَعَ فِي اللَّحْدِ وَلِلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَنْ
تَبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهَا حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ
دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِرَاطَيْنِ كُلُّ قِرَاطٍ مِثْلُ أَحَدٍ وَحَمَلُ الْمَيِّتِ لِمَحَلِّ دَفْنِهِ
فَرَضٌ كِفَايَةٌ .

وَيَسُنُّ التَّرْبِيعُ فِي حَمَلِ الْجَنَازَةِ لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ مَنْ
اتَّبَعَ جَنَازَةً فَلْيَحْمِلْ بِجَوَانِبِ السَّرِيرِ كُلِّهَا فَإِنَّهُ مِنَ السُّنَّةِ ثُمَّ إِنْ شَاءَ
فَلْيَتَطَوَّعْ وَإِنْ شَاءَ فَلْيَدْعُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَصِفَتْهُ أَنْ يَضَعَ قَائِمَةَ السَّرِيرِ
الْيُسْرَى الْمُقَدِّمَةَ عَلَى كَتِفِهِ الْيُمْنَى .

ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمُؤَخَّرَةِ ثُمَّ الْيُمْنَى الْمُقَدِّمَةَ عَلَى كَتِفِهِ الْيُسْرَى ثُمَّ
يَنْتَقِلُ إِلَى الْمُؤَخَّرَةِ وَلَا يُكْرَهُ الْحَمْلُ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْقَائِمَتَيْنِ
الْمُقَدِّمَتَيْنِ أَوْ الْمُؤَخَّرَتَيْنِ أَوْ يَجْعَلُ كُلَّ عَمُودٍ عَلَى عَاتِقِي .

لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَمَلَ جَنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَيْنَ
الْعَمُودَيْنِ وَيَسُنُّ الْأَسْرَاعُ بِالْجَنَازَةِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ فَإِنْ كَانَتْ
صَالِحَةً قَرَّبْتُمُوهَا إِلَى خَيْرٍ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ فَشَرُّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ
رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ .

شعرا : إني أبثك من حديثي والحديث له شجون
غيرت موضع مرقدي ليلا فنافرتي السكون
قل لي فأول ليلة في القبر كيف ترى تكون

شعرا : تُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْهَا وَتَسْكُنُ حِينَ تَخْفَى ذَاهِبَاتٍ
كَرُوعَةٍ ثَلَاثَةٌ لِظُهُورِ ذَنْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتٍ
وَلَا يُكْرَهُ الْحَمْلُ عَلَى دَابَّةٍ لِعَرَضٍ صَحِيحٍ كَبَعْدِ الْمَقْبَرَةِ وَمِثْلُ
الْبَعِيرِ السَّيَّارَةِ وَنَحْوَهَا وَيُسْتَحَبُّ كَوْنُ الْمَاشِي قُدَّامَ الْجَنَازَةِ قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ
ثَبَّتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانُوا يَمْشُونَ أَمَامَ
الْجَنَازَةِ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَلِإِنَّهُمْ شَفَعَاءُ وَالشَّفِيعُ يَتَقَدَّمُ الْمَشْفُوعَ
له .

وَسُنَّ كَوْنُ رَاكِبٍ خَلْفَ الْجَنَازَةِ لِحَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ مَرْفُوعاً
الرَّاكِبُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْهَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ
صَحِيحٌ وَلِأَنَّهُ إِذَا سَارَ أَمَامَهَا الرَّاكِبُ أَدَّى الْمَشَاةَ وَالْقُرْبُ مِنَ الْجَنَازَةِ
أَفْضَلُ كَالْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ .

وَيُكْرَهُ جُلُوسُ تَابِعِهَا حَتَّى تُوَضَعَ بِالْأَرْضِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ
فِيهِ حَتَّى تُوَضَعَ بِالْأَرْضِ وَرَفَعَ الصَّوْتِ مَعَ الْجَنَازَةِ مَكْرُوهٌ لِحَدِيثِ لَا تُتَّبِعُ
الْجَنَازَةَ بِصَوْتٍ وَلَا نَارٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَقَوْلُ الْقَائِلِ مَعَ الْجَنَازَةِ اسْتَغْفِرُوا
بِدَعَةٍ وَرَوَى سَعِيدٌ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَسَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَا لِقَائِلِ ذَلِكَ لَا غَفَرَ اللَّهُ
لَكَ .

وَكُرِهَ أَنْ يَتَّبِعَ الْجَنَازَةَ امْرَأَةٌ لِحَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ « نُهَيْنَا عَنْ اتِّبَاعِ
الْجَنَائِزِ وَلَمْ يُعْزَمَ عَلَيْنَا وَحَرْمٌ أَنْ يَتَّبِعَهَا مَعَ مُنْكَرٍ يَعْجِزُ عَنْ إِزَالَتِهِ وَيَلْزِمُ
الْقَادِرَ عَلَى إِزَالَتِهِ أَنْ يُزِيلَهُ وَلَا يَتْرَكَ اتِّبَاعَهَا .
وَيُسْتَحَبُّ الْقِيَامُ لِلْجَنَازَةِ لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا لَهَا حَتَّى
تُخَلِّفَكُمُ أَوْ تُوَضَعَ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ وَالْأَحْمَدُ .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا رَأَى جَنَازَةً قَامَ حَتَّى تُجَاوِزَهُ وَلَهُ أَيْضاً عَنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا

تَقَدَّمَ الْجَنَازَةَ فَفَعَدَ حَتَّى إِذَا رَأَاهَا قَدْ أَشْرَفَتْ قَامَ حَتَّى تُوَضَعَ وَاخْتَارَ هَذَا
الْقَوْلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ مَرَّتْ بِنَا جَنَازَةٌ فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُمْنَا مَعَهُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِي قَالَ إِذَا
رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا لَهَا .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُمَا كَانَا قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ
فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَيِّ مِنْ أَهْلِ
الدِّمَةِ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ
لَهُ أَنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِي فَقَالَ أَلَيْسَتْ نَفْسًا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنِ مَعَاصِيكَ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ
وَأَرْزُقْنَا مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ مَنْ يُحِبُّكَ وَبُغْضَ مَنْ يُعَادِيكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا :

هَذِهِ قَصِيدَةٌ بَلِيغَةٌ جِدًّا وَهِيَ زُهْدِيَّةٌ وَعَظِيَّةٌ أَلْقَى لَهَا سَمْعَكَ
سِهَامُ الْمَنَابِيَا فِي الْوَرَى لَيْسَ تُمْنَعُ
فَكُلُّ لَهُ يَوْمًا وَإِنْ عَاشَ مَصْرَعُ
وَكُلُّ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى سَوْفَ يَنْتَهِي
إِلَى قَعْرِ لِحْدٍ فِي ثَرَى مِنْهُ يُودَعُ
فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ عَاشَ بَعْدَ قَرِينِهِ
إِلَى مِثْلِهَا عَمَّا قَلِيلٍ سَتُدْفَعُ
فَكُلُّ ابْنِ أُتَى سَوْفَ يُفْضِي إِلَى الرَّدَى
وَيَرْفَعُهُ بَعْدَ الْأَرَائِكِ شَرْجَعُ

وَيُذِرْكُهُ يَوْمًا وَأَنْ عَاشَ بُرْهَةً
قَضَاءً تَسَاوَى فِيهِ عَوْدٌ وَمُرْضَعٌ
فَلَا يَفْرَحُنْ يَوْمًا بِطُولِ حَيَاتِهِ
لَيْبٌ فَمَا فِي عَيْشِهِ الْمَرْءُ مَطْمَعٌ
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مِثْلُ لَمْحَةٍ بَارِقٍ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا مِثْلُ مَا الْعَيْنُ تَهْجَعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالنَّبَاتِ فَيَأْسُ
هَشِيمٌ وَغَضٌ إِثْرَ مَا بَادَ يَطْلَعُ
فَتَبًا لِدَارٍ مَا تَزَالُ تَعْلُنَا
أَفَاوِيقَ كَأْسٍ مُرَّةً لَيْسَ تُقْنِعُ
سَحَابُ أَمَانِيهَا جَهَامٌ وَبَرْقُهَا
إِذَا سِيمَ بَرْقُ حُلْبٍ لَيْسَ يَهْمَعُ
تَغْرُ بَيْنَهَا بِالْمُنَى فَتَقْوُدُهُمْ
إِلَى قَعْرِ مَهْوَاةٍ بِهَا الْمَرْءُ يُوَضَعُ
فَكَمْ أَهْلَكَتْ فِي حُبِّهَا مِنْ مُتِيْمٍ
وَلَمْ يَحْظَ مِنْهَا بِالْمُنَى فِيمَتُّعُ
تُمْنِيهِ بِالْأَمَالِ فِي نَيْلِ وَضَلِيلِهَا
وَعَنْ غَيْهِ فِي حُبِّهَا لَيْسَ يَنْزِعُ
أَضَاعَ بِهَا عُمْرًا لَهُ لَيْسَ رَاجِعًا
وَلَمْ يَنْلِ الْأَمْرَ الَّذِي يُتَوَقَّعُ
فَصَارَ لَهَا عَبْدًا لِيَجْمَعَ حُطَامِهَا
وَلَمْ يَهَنْ فِيهَا بِالَّذِي كَانَ يَجْمَعُ

وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَأَغْتَتَهُ بُلْغَةً
 مِنَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُ يَجْشَعُ
 إِلَى أَنْ تُوَافِيَهُ الْمَيِّتَةُ وَهُوَ بَالٌ
 قَنَاعَةٍ فِيهَا آمِنًا لَا يُرْوَعُ
 مَصَائِبُهَا عَمَّتْ فَلَيْسَ بِمُفْلَتٍ
 شُجَاعٌ وَلَا ذُو ذِلَّةٍ لَيْسَ يَدْفَعُ
 وَلَا سَابِحٌ فِي قَعْرِ بَحْرٍ وَطَائِرٌ
 يُدَوِّمُ فِي بُرُوحِ الْفَضَاءِ وَيَنْزِعُ
 وَلَاذُو امْتِنَاعٍ فِي بُرُوجِ مُشِيدَةٍ
 لَهَا فِي ذُرَى جَوِّ السَّمَاءِ تَرْفَعُ
 أَصَارَتُهُ مِنْ بَعْدِ الْحَيَاةِ بِوَهْدَةٍ
 لَهُ مِنْ تَرَاهَا آخِرَ الدَّهْرِ مَضْجَعُ
 تَسَاوَى بِهَا مَنْ حَلَّ تَحْتَ صَعِيدِهَا
 عَلَى قُرْبٍ عَهْدٍ بِالْمَمَاتِ وَتُبَّعُ
 فَسَيَانَ ذُو فَقْرٍ بِهَا وَذُووَا الْغِنَى
 وَذُو لَكْنٍ عِنْدَ الْمَقَالِ وَمِضْقَعُ
 وَمَنْ لَمْ يَخْفَ عِنْدَ النَّوَابِ حَتْفُهُ
 وَذُو جُبْنٍ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ يُسْرِعُ
 وَذُو جَشَعٍ يَسْطُو بِنَابٍ وَمِخْلَبٍ
 وَكُلُّ بُغَاثٍ ذِلَّةٌ لَيْسَ يَمْنَعُ
 وَمَنْ مَلَكَ الْأَفَاقَ بِأَسَأَ وَشِدَّةً
 وَمَنْ كَانَ مِنْهَا بِالضَّرُورَةِ يَقْنَعُ

وَلَوْ كَشَفَ الْأَجْدَاثَ مُعْتَبِرًا لَهُمْ
لَيَنْظُرَ آثَارَ الْبَلَى كَيْفَ يَصْنَعُ
لشَاهِدَ أَحْدَاقًا تَسِيلُ وَأَوْجَهَا
مُعَفَّرَةً فِي التُّرْبِ سُوهًا تُفْرَعُ
عَدَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مُكْفَهَرَةً
عُبُوسًا وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْبِشْرِ تَلْمَعُ
فَلَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ فِيهِمْ
وَلَا خَامِلًا مِنْ نَابِهِ يَتَرَفَعُ
وَأَنَّى لَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ بَعْدَمَا
تَبَيَّنَ مِنْهُمْ مَا لَهُ الْعَيْنُ تَدْمَعُ
رَأَى مَا يَسُوءُ الظَّرْفَ مِنْهُمْ وَطَالَمَا
رَأَى مَا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَيُمْتِعُ
رَأَى أَعْظَمًا لَا تَسْتَطِيعُ تَمَاسُكًا
تَهَافَتَ مِنْ أَوْصَالِهَا وَتَقَطَّعُ
مُجَرَّدَةً مِنْ لَحْمِهَا فَهِيَ عِبْرَةٌ
لِذِي فِكْرَةٍ فِيمَا لَهُ يَتَوَقَّعُ
تَخُونَهَا مَرُّ اللَّيَالِي فَأَصْبَحَتْ
أَنَابِيْبَ مِنْ أَجْوَابِهَا الرِّيحُ تُسْمَعُ
إِلَى حَالَةٍ مُسْوَدَّةٍ وَجَمَاجِمٍ
مُطَاطَأَةً مِنْ ذِلَّةٍ لَيْسَ تُرْفَعُ
أُزِيلَتْ عَنِ الْأَعْنَاقِ فَهِيَ نَوَاقِسُ
عَلَى التُّرْبِ مِنْ بَعْدِ الْوَسَائِدِ تُوضَعُ

عَلَاهَا ظَلَامٌ لِبَلِيٍّ وَلَطَالَمَا
عَدَا نُورُهَا فِي حِنْدِسِ الظُّلْمِ يَلْمَعُ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا عَلَا مَفْرَقًا لَهَا
نَفَائِسُ تَبَجَّانٍ وَدُرٌّ مُرْصَعُ
تَبَاعَدَ عَنْهُمْ وَخَشَّةٌ كُلُّ وَامِقٍ
وَعَافَهُمُ الْأَهْلُونَ وَالنَّاسُ أَجْمَعُ
وَقَاطَعَهُمْ مَنْ كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ
بِوَضْلِهِمْ وَجَدًّا بِهِمْ لَيْسَ يَطْمَعُ
يُبَكِّهِمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ سُوءِ حَالِهِمْ
وَيَرْحَمُهُمْ مَنْ كَانَ ضِدًّا وَيَجْزَعُ
فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَرَّهُ طُولُ عُمُرِهِ
وَمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ زَخَارِفَ تَخْدَعُ
أَفِقْ وَأَنْظِرِ الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ
تَجِدُ كُلَّ مَا فِيهَا وَدَائِعَ تَرْجِعُ
فَأَيْنَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ قَدَمًا وَمَنْ حَنَوَى
مِنَ الْأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ الشَّمْسُ تَطْلَعُ
حَوَاهُ ضَرِيحٌ مِنْ فِضَاءٍ بَسِيْطِهَا
يُقَصِّرُ عَنْ جُثْمَانِهِ حِينَ يُدْرَعُ
فَكَمْ مَلِكٍ أَضْحَى بِهَذَا مَذَلَّةٍ
وَقَدْ كَانَ حَيًّا لِلْمَهَابَةِ يُتْبَعُ
يَقُودُ عَلَى الْخَيْلِ الْعِتَاقِ فَوَارِسًا
يَسُدُّ بِهَا رَحْبَ الْفَيَافِي وَيُتْرَعُ

فَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ التَّعْمِ فِي ثَرَى
تُوَارِي عِظَاماً مِنْهُ بِهِمَا بَلْقَعُ
بَعِيداً عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ إِيَابُهُ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ مَرْجِعُ
غَرِيباً عَنِ الْأَحْبَابِ وَالْأَهْلِ ثَاوِياً
بِأَقْصَى فَلَاقِ خَرْقُهُ لَيْسَ يُرْقَعُ
تُلِحُّ عَلَيْهِ السَّافِيَاتُ بِمَنْزِلِ
جَدِيبٍ وَقَدْ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُمْرِعُ
رَهِيناً بِهِ لَا يَمْلِكُ الدَّهْرُ رَجْعَةً
وَلَا يَسْتَطِيعَنَّ الْكَلَامَ فَيُسْمَعُ
تَوَسَّدَ فِيهِ التُّرْبُ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَدَى
زَمَاناً عَلَى فُرْشٍ مِنَ الْخَزْرِ يُرْفَعُ
كَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ لَنْ تَرَى
مِنَ النَّاسِ حَيًّا شَمْلُهُ لَيْسَ يُصْدَعُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْسِنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ
وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنَ
الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّداً وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَاً وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً
رَغِداً وَلَا تُشِمْتْ بِنَا عِدْواً وَلَا حَاسِداً وَارْزُقْنَا عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً
وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّاً وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

ثُمَّ اعْلَمَ أَيُّهَا الْأَخُ الْكَرِيمُ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَآيَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِحُسْنِ
الْحَاثِمَةِ أَنَّهُ إِذَا حَلَّ بِالْإِنْسَانِ الْأَجَلُ الْمَحْتُمُ وَوَأَفْتَهُ الْمَيِّتَةَ وَفَاضَتْ رُوحُهُ
وَخَرَجَتْ مِنَ الْجَسَدِ الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ فِي الدُّنْيَا .

فَإِنْ رَأَيْتَ النَّاسَ عَامَّةً وَمَنْ يَلُودُونَ بِهِ خَاصَّةً كَأَقْرِبَائِهِ وَجِيرَانِهِ
وَأَنْسِبَائِهِ وَأَخْوَانِهِ وَزُمَلَائِهِ وَمُعَامِلِيهِ مَا بَيْنَ شَاكٍ وَبَاكٍ وَمَثْنٍ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ وَدَاعٍ
لَهُ وَسَائِلٍ لَهُ النِّجَاةَ مِنَ الْمَخَاوِفِ وَسَائِلٍ لِلَّهِ لَهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ .

وَقَدْ أَجْمَعُوا يَطْلُبُونَ لَهُ الْمُسَامَحَةَ وَالْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ لِمَا كَانَ يَتَجَلَّى
لَهُمْ مِنْ خُلُقِي وَدِينِي وَمُعَامَلَتِي وَاحْسَانِي وَمَعْرُوفِي وَسِيرَةِ حَسَنَتِي وَكَانَ
الْمُتُّونَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْعَدَالَةِ وَالْوَرَعِ وَالتَّقَى وَالصَّدْقِ
وَالْفَضْلِ .

فَاعْلَمْ أَنَّ ثَنَاءَهُمْ دَلِيلٌ قَوِيٌّ وَبُرْهَانٌ جَلِيٌّ عَلَى حُسْنِ حَالِ الْمَيِّتِ
الرَّاحِلِ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَإِنْ رَأَيْتَهُمْ بِالْعَكْسِ خِلَافَ مَا ذَكَرْنَا فَبَدَلُ
الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ قَدْحٌ وَمَكَانُ التَّرْحِمِ وَالِدُّعَاءِ لَهُ الطَّعْنُ وَالسَّبُّ وَالشَّتْمُ
وَالِاسْتِيَاءُ فَتَجِدُ جِيرَانَهُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ فَرِحِينَ لِانْقِطَاعِ شَرِّهِ وَكَذَلِكَ مَنْ
أَسَاءَ إِلَيْهِمْ بِمُعَامَلَةٍ أَوْ نَمِيمَةٍ أَوْ كَذِبٍ أَوْ أَكَلِ حُقُوقِهِمْ أَوْ لِمَا يَعْلَمُونَ عَنْهُ
مِنَ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ وَالِاعْتِدَاءِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

فَهَذَا أَيْضًا بُرْهَانٌ سَاطِعٌ وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى سُوءِ حَالِهِ وَحُبْتِ أَعْمَالِهِ
وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَجَبَتْ ثُمَّ مُرُّ بِأُخْرَى فَأَتْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ وَجَبَتْ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا وَجَبَتْ قَالَ هَذِهِ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا
فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَهَذِهِ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي
الْأَرْضِ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ عِنْدَ الْحَاكِمِ « أَنْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ
بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، قُلْتُ وَلَا يَبْعُدُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ
تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ لِلْفَسَقَةِ وَالْمُجْرِمِينَ حُسْنَ سَيْرٍ وَسُلُوكٍ .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْمُسْنَدِ يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ
أَهْلِ النَّارِ قَالُوا بِمَاذَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بِالنَّاسِ الْحَسَنِ وَالنَّاسِ السَّيِّئِ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ عَلَى حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّهُ مُرُّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِجَنَازَةٍ فَأَتْنُوا عَلَيْهِ خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ ثُمَّ
مُرُّ بِأُخْرَى فَأَتْنُوا عَلَيْهِ شَرًّا فَقَالَ وَجَبَتْ الْحَدِيثُ قَالَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ عَلَى
عُمُومِهِ وَأَنَّ مَنْ مَاتَ فَالْتَمَّ اللَّهُ النَّاسَ الشَّنَاءَ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ كَانَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيثُ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَابْنِ
جِبَانَ وَالْحَاكِمِ مَرْفُوعًا « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ جِيرَانِهِ
الْأَدْنِيِّينَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا إِلَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكُمْ
وَعَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .

وَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ
فَقُلْنَا وَثَلَاثَةٌ قَالَ : وَثَلَاثَةٌ فَقُلْنَا وَاثْنَانِ قَالَ وَاثْنَانِ ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا يُشْهَدُ لِأَحَدٍ بِالْجَنَّةِ إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَوْ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ .

وَقِيلَ يُشْهَدُ بِهِ لِمَنْ اسْتَفَاضَ عِنْدَ الْأُمَّةِ أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ كَعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِمْ .

وَكَانَ أَبُو ثَوْرٍ يُشْهَدُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ بِالْجَنَّةِ وَبِالتَّالِي فَإِذَا شَهِدَ عَامَّةُ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّنْ تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ وَيُوثَقُ بِدِينِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْفَضْلِ وَالْوَرَعِ لِرَجُلٍ بِالْخَيْرِ فَهُوَ بُرْهَانٌ وَدَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ حَالِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَلَا عِبْرَةَ بِنَاءِ الْفَسَقَةِ وَالْفَجْرَةِ لِأَنَّهُمْ قَدْ يُشْنُونَ عَلَى مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ وَلَا مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَيِّتِ عِدَاوَةٌ . لِأَنَّ شَهَادَةَ الْعَدُوِّ لَا تُقْبَلُ عَلَى عَدُوِّهِ .

قال ابن القيم رحمه الله :

لَمَّا رَأَى الْمُتَيْقِظُونَ سَطْوَةَ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَخِدَاعَ الْأَمَلِ لِأَرْبَابِهِ ، وَتَمَلُّكَ الشَّيْطَانِ ، وَقِيَادَةَ النُّفُوسِ ، رَأَوْا الدُّوْلَةَ لِلنَّفْسِ الْأَمَارَةِ ، لَجَأُوا إِلَى حِصْنِ التَّضَرُّعِ وَالْإِلْجَاءِ ، كَمَا يَأْوِي الْعَبْدُ الْمُدْعُورُ إِلَى حَرَمِ سَيِّدِهِ .

شَهَوَاتُ الدُّنْيَا كَلَعَبِ الْخَيَالِ ، وَنَظَرُ الْجَاهِلِ مَقْصُورٌ عَلَى الظَّاهِرِ ، فَأَمَّا ذُو الْعَقْلِ فَيَرَى مَا وَرَاءَ السِّتْرِ . لِأَنَّ لَهُمُ الْمَشْتَهَى ، فَلَمَّا مَدُّوا أَيْدِي التَّنَاوُلِ بَانَ لِأَبْصَارِ الْبَصَائِرِ خَبْطُ الْفَخِّ ، فَطَارُوا بِأَجْنِحَةِ الْحَذَرِ ، وَصَوَّبُوا إِلَى الرَّحِيلِ الثَّانِي (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) .

تَلَمَّحَ الْقَوْمُ الْوُجُودَ فَفَهِمُوا الْمَقْصُودَ ، فَأَجْمَعُوا الرَّحِيلَ قَبْلَ الرَّحِيلِ ، وَشَمَّرُوا لِلسَّيْرِ فِي سِوَاءِ السَّبِيلِ ، فَالِنَّاسُ مُشْتَغِلُونَ بِالْفَضْلَاتِ ، وَهُمْ فِي قِطْعِ الْفَلَوَاتِ ، وَعَصَافِيرُ الْهَوَى فِي وَثَاقِ الشَّبَكَةِ يَنْتَظِرُونَ الدَّبِيحَ .

« وَقَعَ ثَعْلَبَانِ فِي شَبَكَةٍ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : أَيَّنَ الْمُلتَقَى بَعْدَ هَذَا ؟ فَقَالَ : بَعْدَ يَوْمَيْنِ فِي الدَّبَاعَةِ » . تَاللَّهِ مَا كَانَتْ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَامًا فَاسْتَيْقَظُوا ،

وقد حَصَلُوا عَلَى الظَّفَرِ . مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا أَحْلَامٌ ، وَمَا بَقِيَ مِنْهَا أَمَانِي ،
وَالْوَقْتُ ضَائِعٌ بَيْنَهُمَا .

كَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ لَهُ زَوْجَةٌ لَا تَرْحَمُهُ ، وَوَلَدٌ لَا يَعْذُرُهُ ، وَجَارٌ لَا يَأْمَنُهُ ،
وَصَاحِبٌ لَا يَنْصَحُهُ ، وَشَرِيكٌ لَا يُنْصِفُهُ ، وَعَدُوٌّ لَا يَنَامُ عَنْ مُعَادَاتِهِ ، وَنَفْسٌ
أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَدُنْيَاٌ مُتْرَيْنَةٌ ، وَهَوًى مُرْدٌ ، وَشَهْوَةٌ غَالِيَةٌ لَهُ ، وَغَضَبٌ قَاهِرٌ ،
وَشَيْطَانٌ مُزِينٌ ، وَضَعْفٌ مُسْتَوَلٌ عَلَيْهِ .

فَإِنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَجَذَبَهُ إِلَيْهِ ، انْقَهَرَتْ لَهُ هَذِهِ كُلُّهَا ، وَإِنْ تَخَلَّى عَنْهُ وَوَكَّلَهُ
إِلَى نَفْسِهِ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ، فَكَانَتْ الْهَلَكَةَ . -

شِعْرًا :

أَطِيرُ إِلَيْهِ مَنْشُورَ الْجَنَاحِ	أَلَا خَبْرٌ بِمُنْتَرَجِ النَّوَاحِي
سَيَأْسُومَا بِيَدِي مِنْ جِرَاحِ	فَأَسْأَلُهُ وَالطِّفُّهُ عَسَاهُ
بُنُورِ هُدًى كَمَنْبَجِ الصَّبَاحِ	وَيَجْلُو مَا دَجَا مِنْ لَيْلِ جَهْلِي
وَأَهْجُرُهَا وَأَدْفَعُهَا بِرَاحِي	فَأَبْصُقُ فِي مُحْيَا أُمَّ دَفْرِي
عَفَافًا عَنْ جَاذِرِهَا الْمِلَاحِ	وَأُضْحُو مِنْ حُمَيَّاهَا وَأَسْلُوا
إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ	وَأُصْرَفُ هَمَّتِي بِالْكُلِّ عَنْهَا
وَحَادِي الْمَوْتِ يُوقِظُ لِلرَّوَّاحِ	أَفِي السِّتِّينِ أَهْجَعُ فِي مَقِيلِي
لِيَطُونِي وَيَسْلُبْنِي وَشَاحِي	وَقَدْ نَشَرَ الزَّمَانُ لِيَوَاءَ شَيْبِي
سَيَقْتَلْنِي وَإِنْ شَاكَتْ سِلَاحِي	وَقَدْ سَلَ الْحِمَامُ عَلَيَّ نَصْلًا
إِلَى ضَيْقِ هُنَاكَ أَوْ أَنْفَسَاحِ	وَيَحْمِلُنِي إِلَى الْأَجْدَاثِ صَحْبِي
وَشَرًّا إِنْ جُزِيَتْ عَلَيَّ اجْتِرَاحِي	فَأَجْزِي الْخَيْرَ إِنْ قَدَّمْتُ خَيْرًا
بَطِيءِ الشَّأْوِ فِي سَنَنِ الصَّلَاحِ	وَهَا أَنَا ذَا عَلَى عِلْمِي بِهَذَا
إِذْ لَقَطَعْتُ دَهْرِي بِالنِّيَاحِ	فَلَوْ أَنِّي نَظَرْتُ بَعِينَ عَقْلِي
وَلَمْ أَطْرَبْ بِغَايَةِ رَدَاحِ	وَلَمْ أَسْحَبْ دُبُولِي فِي التَّصَابِي

وَكُنْتُ الْيَوْمَ أَوْاباً مُنِيئاً لَعَلِّي أَنْ تَفُوزَ غَدًا قِدَاحِي
 إِذَا مَا كُنْتُ مَكْبُولَ الْخَطَايَا وَعَانِيهَا فَمَنْ لِي بِالْبِرَاحِ
 فَهَلْ مِنْ تَوِيَّةٍ مِنْهَا نَصُوحٍ تُطِيرُنِي وَتَأْخُذُ لِي سَرَاحِي
 فَيَا لَهْفِي إِذَا جُمِعَ الْبَرَايَا عَلَى حَرْبِي لَدَيْهِمْ وَافْتِضَاحِي
 وَلَوْلَا أَنِّي أَرْجُو إلهِي وَرَحْمَتَهُ يَسْتُ مِنْ الْفَلَاحِ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةَ
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَسُنَّ أَنْ يُعَمَّقَ الْقَبْرَ بَأَنْ يُنْزَلَ لِلْأَرْضِ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي قَتْلِ أَحَدٍ أَحْفَرُوا
 وَأَوْسَعُوا وَأَعْمِقُوا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَقَوْلُهُ لِلْحَافِرِ أَوْسَعٌ مِنْ قَبْلِ
 الرَّأْسِ وَأَوْسَعٌ مِنْ قَبْلِ الرَّجْلَيْنِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

قَالَ أَحْمَدُ يُعَمَّقُ إِلَى الصَّدْرِ لِأَنَّ الْحَسَنَ وَابْنَ سَيْرِينَ كَانَا يَسْتَحِبَّانِ ذَلِكَ
 وَيَكْفِي مَا يَمْنَعُ السَّبَاعَ وَالرَّائِحَةَ لِأَنَّهُ يُحْصَلُ بِهِ الْمَقْصُودُ وَسُنَّ أَنْ يُسَجَّى قَبْرُ
 لِأَنْثَى وَخُنْثَى وَكُرِهَ لِرَجُلٍ إِلَّا لِعُدْرٍ .

وَسُنَّ أَنْ يُدْخِلَهُ قَبْرَهُ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ إِنْ سَهَلَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ سَلَّ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ أَدْخَلَ الْحَارِثَ مِنْ قَبْلِ رِجْلِي الْقَبْرِ
 وَقَالَ هَذَا مِنَ السُّنَّةِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَيُسْنُّ قَوْلُ مُدْخِلِهِ الْقَبْرَ بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ
 رَسُولِ اللَّهِ .

وَيَجِبُ أَنْ يُسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ إِذَا وُضِعَ فِي الْقَبْرِ نِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْكَعْبَةِ

قَبَلْتَكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَلِأَنَّهُ طَرِيقُ الْمُسْلِمِينَ بِنَقْلِ الْخَلْفِ عَنِ السَّلَفِ .

وَيَحْرُمُ دَفْنَ غَيْرِهِ مَعَهُ إِلَّا لِضَرُورَةٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْفِنُ كُلَّ مَيِّتٍ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ وَأَمَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ فَيَجُوزُ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَثُرَ الْقَتْلُ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يَسْأَلُ أَيُّهُمَ أَكْثَرُ لِلْقُرْآنِ فَيُقَدِّمُهُ فِي اللَّحْدِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

وَسُنَّ حَثُّ التُّرَابِ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ثُمَّ يُهَالُ عَلَيْهِ التُّرَابُ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ فِيهِ فَحَثَى عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ثَلَاثًا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَيُسْتَحَبُّ الدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ الدَّفْنِ لِمَا وَرَدَ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّيْبَتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَسُنَّ رَفْعُ الْقَبْرِ عَنِ الْأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ مُسْنَأً لِقَوْلِ جَابِرِ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ رَفْعَ قَبْرِهِ عَنِ الْأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ وَيُكْرَهُ رَفْعُهُ أَكْثَرَ لِقَوْلِهِ لِعَلِيٍّ لَا تَدْعُ تَمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مِشْرَفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَسُنَّ رَشُّ الْقَبْرِ بِمَاءٍ لِمَا وَرَدَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَشَّ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ مَاءً وَوَضَعَ الْحَصْبَاءَ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَيُسْتَحَبُّ الدَّفْنُ فِيهَا كَثُرَ فِيهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ فَيَدْفِنُهُ مَعَهُمْ وَيُنْزِلُهُ بَارَائِهِمْ وَيُسْكِنُهُ بِجَوَارِهِمْ وَأَنْ يُجَنَّبَهُ قُبُورَ مَنْ يَحَافُ التَّأْدِيَّ بِهِمْ كَمَا جَاءَ فِي أَثَرٍ أَنَّ امْرَأَةً دُفِنَتْ فِي قَبْرِ فَاتَتْ أَهْلَهَا لَيْلًا أَيُّ فِي النَّوْمِ فَجَعَلَتْ تَعْتَبُهُمْ وَتَقُولُ مَا وَجَدْتُمْ أَنْ تَدْفِنُونِي إِلَّا إِلَى قُرْنِ الْخُبْزِ .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا لَمْ يَجِدُوا بِقُرْبِ الْقَبْرِ قُرْنِ خُبْزٍ لَكِنْ وَجَدُوا رَجُلًا سَافًا لِابْنِ عَامِرٍ دُفِنَ بِقُرْبِهَا وَرَأَى بَعْضُهُمْ وَلَدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ قَالَ مَا ضَرَّنِي إِلَّا أَنِّي دُفِنْتُ بَارَاءً فَلَانَ وَكَانَ فَاسِقًا فَرَوَعَنِي مَا يُعَذِّبُ بِهِ أَهْلُ .

قَصِيدَةٌ تَحْتَوِي عَلَى الثَّنَاءِ وَالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

يَا مُلَبَّسِي بِالنُّطْقِ ثَوْبَ كَرَامَةٍ
خُذْنِي إِذَا أَجَلِي تَنَاهَى وَانْقَضَى
وَاكْشِفْ بِلُطْفِكَ يَا إِلَهِي غُمَّتِي
فَعَسَايَ مِنْ بَعْدِ الْمَهَانَةِ اكْتَسَى
وَأَبْوَاءَ بِالْفِرْدَوْسِ بَعْدَ إِقَامَتِي
فَقَدْ اجْتَوَيْتُ ثَوَايَ فِيهِ وَمَنْ تَكُنْ
دَارٌ يُغَادِرُ بُؤْسَهَا وَشِقَاءَهَا
وَيَعُودُ صَافِي عَيْشِهِ وَحَيَاتِهِ
فَبِكَ الْمَعَادِ إِلَهْنَا مِنْ شَرِّهَا

وَعَلَيْكَ مُتَكَلِّي وَعَفُوكَ لَمْ يَزَلْ
يَأْنَفُسُ جُدِّي وَآدَابِي وَمَسْكِي
لَا تَهْمِلِي يَا نَفْسُ ذَاتَكَ إِنْ فِي
وَعَلَيْكَ بِالتَّفَكِيرِ فِي الْآئِهِ
وَتِيْمَمِي نَهْجَ الْهِدَايَةِ إِنَّهُ
لَا تَرْتَضِي الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ مَوْطِنًا
وَتُعَايِنِي مَا لَا رَأَتْ عَيْنٌ وَلَا
وَتُشَاهِدِي مَا لَيْسَ يُدْرِكُ كُنْهُ
قُدْسٌ يَجُلُّ بِأَنْ يَجُلَّ جَنَابَهُ
وَتُجَاوِرِي الْأَبْرَارَ فِي مُسْتَوْتِنِ
يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ شَبَبْتُ وَلَمْ تَعُدَّ
وَاعْكُفْ عَلَى تَمْجِيدِ مُوْجِدِكَ الَّذِي

قَصِيدِي فَوَاحِسْرَاهُ إِنْ لَمْ تَرَحِمِ
بُعْرَى الْهَدْيِ وَعُرَى الْمَوَانِعِ فَافْصِمِ
نَسِيَانَهَا نَسِيَانُ رَبِّكَ فَاعْلَمِي
لِتَبَوِّي جَنَاتِهِ وَتَتَعَمِّي
مُنْجٍ وَعَنْ طُرُقِ الضَّلَالَةِ أَحْجِمِي
تُعَلِّي عَلَى رُتَبِ السَّوَارِي الْأَنْجَمِ
أُذُنٌ إِلَيْهِ وَعَتَّ فَجِدِّي تَغْنَمِي
بِالْفِكْرِ أَوْ بِتَوْهَمِ الْمُتَوَهَّمِ
يَا نَفْسُ إِلَّا كُلُّ شَهْمٍ أَيْهَمِ
لَا دَائِرَ أَبَدًا وَلَا مُتَهَدِّمِ
عَمَّا لَهَجَّتْ بِهِ وَلَمْ تَتَنَدَّمِ
عَمَرِ الْوُجُودِ الْجُودِ مِنْهُ وَعَظَمِ

فَبَدِّكْرِهِ تُشْفَى النَّفُوسُ مِنَ الْجَوَى
 أَكْرَمَ بِنَفْسٍ فَتَى رَأَى سَبَلَ الْهُدَى
 ذَاكَ الَّذِي يُحْطَى بِيَوْمِ مَعَادِهِ
 يَا جَابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ وَغَافِرِ الْ
 مَالِي إِلَيْكَ وَسَيِّلَةَ وَذَرِيْعَةَ
 فَأَقْبَلْ بِمَنْكَ تَوْتِي مِنْ حَوْتِي
 حَمْدًا لَكَ اللَّهُمَّ يُنْمَى مَا جَلَا
 وَعَلَى نَيْيِكَ ذِي الشَّاءِ وَالْإِه
 وَعَلَى صَحَابَتِهِ الَّذِينَ بَنَصْرِهِ

اللهم إنا نسألك رحمةً من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ،
 وتلمم بها شعثنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائبنا ، وتركي بها أعمالنا ،
 وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ علينا ديننا
 وصحة أبداننا .

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيلَ عَثْرَاتِ الْعَاثِرِينَ ،
 نسألك أن تُلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَيَحْرُمُ إِسْرَاجَ الْقَبْرِ وَاتِّخَاذَ مَسْجِدٍ عَلَيْهِ وَتَجْصِصُهُ وَتَزْوِيقُهُ وَالْبِنَاءَ عَلَيْهِ
 وَالْإِسْتِشْفَاءَ بِتَرَابِهِ وَتَحْلِيقَهُ وَتَبْخِيرَهُ وَتَقْبِيلَهُ وَالْجُلُوسَ عَلَيْهِ وَالْوَطْءَ عَلَيْهِ وَالْكِتَابَةَ

عليه والتخلي عليه والطواف به والتمسح به والتخلي بين القبور والصلاة عنده
لأجل الدعاء والإتكاء إليه .

ويكره المشي بالنعل إلا لخوف شوك ونحوه وإليك أدلة ما سبق منها
حديث ابن عباس قال لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرْح رواه الخمسة إلا ابن ماجه وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ
قال قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد متفق عليه .

وعن جابر قال نهى رسول الله ﷺ أن يُحصص القبر وأن يُقعد عليه وأن
يبنى عليه رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي ولفظه نهى أن
يُحصص القبور أو يُزاد عليه أو يُحصص أو يكتب عليه .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لأن يجلس أحدكم على جمرة
فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر رواه الجماعة إلا
البخاري والترمذي وعن عمرو بن حزم قال رأيت رسول الله ﷺ متكئا على
قبر فقال لا تؤذ صاحب هذا القبر أو لا تؤذه رواه أحمد .

وعن بشير بن الحصاصية أن رسول الله ﷺ قال لا تجلسوا على القبور
ولا تصلوا إليها رواه مسلم وعن عتبة ابن عامر قال قال النبي ﷺ لأن أظأ على
جمرة أو سيف أحب إلي من أن أظأ على قبر مسلم رواه الخلال وابن ماجه .

ويحرم دفن في ملك الغير وينبش ما لم يأذن له المالك للأرض .
ويحرم نبش ميت باق لميت آخر لما في النبش من هتك حرمة الميت ومتى
علم أن الميت بلي وصار رميها جاز نبشه ودفن غيره فيه .

وإن شك في أنه بلي وصار رميها رجع إلى قول أهل الخبرة والمعرفة
بذلك فإن حفر فوجد في الأرض عظاما دفنها ووضعها وأبقاها في مكانها وأعاد

الْتَرَابَ عَلَيْهَا كَمَا كَانَ أَوَّلًا وَلَمْ يَجْزُ دَفْنُ مَيِّتٍ آخَرَ عَلَيْهِ وَحَفَرَ فِي مَكَانٍ آخَرَ .

شِعْرًا :

محمدُ ما أعددتَ للقبرِ والبلى وللملَكَيْنِ الواقِفينِ على القبرِ
وانتِ مُصِرٌّ لا تُراجِعُ تَوْبَةً ولا ترَعوي عَمَّا يُدْمُ من الأمرِ
سَيأتِيكَ يَوْمٌ لا تُحاولُ دَفْعَهُ فقدمْ لَهُ زاداً إلى البعثِ والنَّشرِ

آخِر :

أَبَقِيَتْ مَالِكٌ مِيراثاً لِيوارِثِهِ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقِيَ لَكَ المَالُ
القومِ بَعْدَكَ في حَالِ نُسْرِهِم فكيفَ بَعْدَهُم دَارَتْ بِكَ الحَالُ
مَلُوا البُكاءُ فما يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ واستَحْكَمَ القِيلُ في الميراثِ والقَالُ
مَالَتْ بِهِمُ عَنكَ دُنياً أَقبلتَ لَهُمُ وأدْبَرَتْ عَنكَ والأَيامُ أَحْوالُ
وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجمَعِينَ .

(فَصْل)

تُسَنُّ زِيَارَةُ قَبْرِ مُسْلِمٍ لِرَجُلٍ وَأَنْ يَقِفَ الزَّائِرُ أَمَامَهُ قَرِيباً مِنْهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ
بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُنْتُ
نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُرُّهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ زَادَ التِّرْمِذِيُّ فَإِنِهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ زَادَ
بْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَتَزُهَّدُ فِي الدُّنْيَا .

وَيَقُولُ الزَّائِرُ لِلقُبُورِ وَالْمَارِ بِهَا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ
اللهُ بِكُمْ لِلأَحِقُونَ يَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ نَسَأَلُ لَنَا وَلَكُمْ
العَافِيَةَ اللهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجرَهُمْ ولا تَفْتِننا بَعْدَهُمْ واغْفِرْ لَنَا وَهُمْ .

لِما وَرَدَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ
ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلى المَقَابِرِ أَنْ يَقُولُوا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَهلَ الدِّيَارِ مِنَ
المُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لِأَحِقُونَ نَسَأَلُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ العَافِيَةَ
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شعرا :

مَحَلَّةٌ سَفَرٍ كَانَ آخِرُ زَادِهِمْ إِلَى مَنْزِلِ سَوَى الْبَلَى بَيْنَ أَهْلِهِ
إِلَيْهِ مَتَاعٌ مِنْ حُنُوطٍ وَمِنْ خِرْقٍ فَلَمْ تَسْتَبِنْ فِيهِ الْمُلُوكُ وَلَا السُّوْقُ
أَخْر :

أُثِيتُ إِلَى خَالِقِي خَاضِعاً وَإِنْ كُنْتُ وَافِيْتَهُ مُجْرِماً
وَحَدِّي فِي الثَّرَى يُوضَعُ فَإِنِّي فِي عَفْوِهِ أَطْمَعُ
وَكَيْفَ أَتَخَافُ ذُنُوباً مَضَّتْ وَعَفْوُهُ عَمَّ الْوَرَى أَجْمَعُ

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ أَنْتُمْ سَلَفُنَا
وَنَحْنُ بِالْآثَرِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

شِعْرًا :

قَفَّ بِالْقُبُورِ بِكَبَادٍ مُصَدَّعَةٍ وَسَلَّ بِهَا عَنْ رِجَالٍ طَالَ مَا رَشَفُوا
وَدَمَعَةٍ مِنْ سُودَا الْقَلْبِ تَنْبَعُثُ تَغْرَ النَّعِيمِ وَمَا فِي ظِلِّهِ مَكْثُوا
عَلَيْهِ فِيهَا وَمَا مِنْ أَجَلِهِ ارْتَبَشُوا مَآذَا لَقُوا فِي خَبَايَاهَا وَمَا قَدِمُوا
طُولُ الْمَقَامِ يَبْطِنُ الْأَرْضِ وَاللَّبِثُ وَعَنْ مُحَاسِنِهِمْ إِنْ كَانَ غَيْرَهَا
نَهْشًا تَزُولُ بِهِ الْأَعْضَاءُ وَالْجَثُّ وَمَالَهُمْ حَشْرَاتُ الْأَرْضِ تَنْهَشُهُمْ
وَلَنْ يُجِيبَ بَمَا لَاقَا مُجِيبُهُمْ وَإِنْ يُجِيبُكَ بِمَا لَاقَا مُجِيبُهُمْ
فَإِنَّهُ الْجَدُّ لَا هَزْلٌ وَلَا عَبَثٌ فَانظُرْ مَكَانَكَ فِي أَفْنَاءِ سَاحَتِهِمْ

وَتَحْرِمُ زِيَارَةَ الْقُبُورِ لِلنِّسَاءِ لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ لَعَنَ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَاحْتَجَّ
شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تَحْرِيمِهِ بِلَعْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ
وَصَحَّحَ الْحَدِيثَ .

وَسُئِلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ أَبَابُطِينَ إِذَا كَانَ طَرِيقٌ عَلَى حَدِّ الْمَقْبَرَةِ هَلْ يُكْرَهُ

لِلنِّسَاءِ الْمُرُورِ مَعَهُ فَأَجَابَ إِذَا كَانَ لِلنَّاسِ طَرِيقٌ عَلَى الْمَقْبَرَةِ وَمَرَّتْ مَعَهُ امْرَأَةٌ
وَسَلَّمَتْ فَلَا بَأْسَ لِأَنَّهَا لَا تُسَمَّى زَائِرَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ .

شِعْرًا :

وَلَمَّا حَلَلْنَا مِنْ بَجَايَةِ جَانِبًا تُصَانُ بِهِ تِلْكَ الْجُسُومُ وَتُكْرَمُ
وَجَدْتُ لَهَا طِيبًا وَرَوْحًا وَرَاحَةً كَأَنِّي لِأَنْفَاسِ الصِّبَا أُنْسَمُ
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا الَّذِي أَمْرَجْتَ لَهُ مَقَابِرُ مِنْهَا لَا طِيءٌ وَمُسْنَمُ
فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي جِهَلْتُ وَإِنِّي لِأَذْرِي بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَأَفْهَمُ
فَقَالُوا طَلَبْنَا عِلْمَ ذَلِكَ فَلَمْ نَجِدْ سِوَى رِمَمٍ مِمَّنْ تُحِبُّ وَتُعْظَمُ
تَضَوَّعَ بَطْنِ الْأَرْضِ مِنْهَا كَأَنَّمَا تَفْتَقُ مِنْ دَارَيْنِ مِسْكَ مُخْتَمُ
فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ وَرُبَّمَا تَشْهَرُ بِالذَّمْعِ السَّرَارِ الْمُكْتَمُ
خَلِيلِيَّ مَا بَالِي وَبَالِ مَصَائِبِ يُرَاعُ لِذِكْرَاهَا فُؤَادِي وَيُكَلِّمُ
وَمِمَّا شَجَانِي وَهُوَ أَعْظَمُ أَنَّنِي قَدَفْتُ بِهَا مُسَوَّدَةَ الْجَوْفِ تَلْطِمُ
وَلَمْ أَدْرِ مَا كَانَتْ تَجِيءُ تَخْصِمِهِ لَهُ هَلْ يَبْشُرِي أَمْ بِشَنْعَاءِ تَقْصِمُ
وَأَعْظَمُ مِنْهُ مَوْقِعًا وَأَشَدُّهُ وَمَا خَصَّنِي أَدْهَى عَلَيَّ وَأَعْظَمُ
بَانِي فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ سَالِكُ أُسَاقُ إِلَيْهَا إِنْ أُيِّتُ وَأُرْغَمُ
وَمَا أَنَا أَذْرِي مَا آلَقِي وَمَا الَّذِي عَلَيْهِ إِذَا مَا كَانَ ذَلِكَ أَقْدَمُ
فَهَلْ مِنْ دَمٍ أَبْكِيهِ صِرْفًا فَإِنَّمَا يُبْكِي عَلَى هَذَا مِنَ الْمُقَلَّةِ الدَّمُ

اللَّهُمَّ اعْظِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا
نُحْذِرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ غُيُوبَنَا فَاسْتَرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا
رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

تُسَنُّ تَعَزِيَةُ الْمُسْلِمِ الْمَصَابُ بِالْمَيِّتِ لِمَا وَرَدَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَدِيثَ عَمْرُو بْنِ حَزْمٍ مَرْفُوعًا مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ عَزًّا وَجَلَّ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّعَزِيَةَ هِيَ التَّصْبِيرُ وَذَكَرُ مَا يُسَلِّي صَاحِبَ الْمُصِيبَةِ وَمُخَفِّفُ حُزْنِهِ وَهَيَّوْنُ مُصِيبَتِهِ .

وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ لِأَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ فِي التَّعَزِيَةِ ثُمَّ التَّعَزِيَةُ الَّتِي هِيَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ مُسْتَحَبَّةٌ قَبْلَ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَبَعْدَهُ وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّ أَهْلَ الْمَيِّتِ مَشْغُولُونَ قَبْلَ دَفْنِهِ بِتَجْهِيزِهِ وَلِأَنَّ وَحْشَتَهُمْ بَعْدَ دَفْنِهِ لِفِرَاقِهِ أَكْثَرَ هَذَا إِذَا لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُمْ جَزَعٌ فَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُ مِنْهُمْ جَزَعٌ قَدَّمَ التَّعَزِيَةَ لِيُسْكِنَهُمْ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ وَيُكْرَهُ الْجُلُوسُ لِلتَّعَزِيَةِ وَذَلِكَ بِأَنَّ يَجْتَمِعُ أَهْلَ الْمَيِّتِ فِي بَيْتٍ لِيَقْصِدَهُمْ مَنْ أَرَادَ التَّعَزِيَةَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِسْتِدَامَةِ الْحُزْنِ وَقَدْ حَدَّثَ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَنَّاسٌ يَقْبَلُونَ الْمَصَابَ بِالْمَيِّتِ مَعَ تَعَزِيَتِهِمْ لَهُ وَلَا أُدْرِي مَا مُسْتَنْدَهُمْ وَلَا أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ أَوْ التَّابِعِينَ فَعَلَ ذَلِكَ وَلَا الدِّينَ بَعْدَهُمْ إِلَى مُنْتَصَفِ هَذَا الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ .

اللَّهُمَّ اغْصِمْنَا عَنِ الْبَدْعِ وَأَحْسِنُ مَا يُعَزَى بِهِ مَا رُوِيَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ أُرْسِلْتُ إِحْدَى بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنْ إِنْبَاءَ لَهَا فِي الْمَوْتِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلرَّسُولِ أَرْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرَّهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ وَذَكَرَ الْحَدِيثُ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مُلْكٌ لِلَّهِ وَلَمْ يَأْخُذْ مَا هُوَ لَكُمْ بَلْ هُوَ أَخَذَ مَا هُوَ لَهُ عِنْدَكُمْ فِي مَعْنَى الْعَارِيَّةِ وَقَوْلُهُ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ أَيُّ مَا وَهَبَهُ لَكُمْ لَيْسَ خَارِجًا عَنِ مُلْكِهِ بَلْ سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى .

فَلَا تَجْزَعُوا فَإِنَّ مَنْ قَبِضَهُ فَقَدْ انْقَضَى أَجَلُهُ الْمُسَمًّى فَمَحَالُ تَأْخِيرِهِ أَوْ تَقْدِيمِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ فَإِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ فَاصْبِرُوا وَاحْتَسِبُوا مَا نَزَلَ بِكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَيُقَالُ لِلْمُصَابِ بِمُسْلِمٍ أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ وَأَحْسَنَ عَزَاؤَكَ أَوْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ قَالَ الْمُؤَفَّقُ لَا أَعْلَمُ فِي التَّعْزِيَةِ شَيْئًا مَحْدُودًا إِلَّا أَنَّهُ يُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَزَى رَجُلًا فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ وَأَجْرَكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَيَقُولُ الْمُعْزَى اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاكَ وَرَحِمَنَا وَإِيَّاكَ وَمَحْرَمُ تَعْزِيَةُ الْكَافِرِ سِوَاءِ كَانَ الْمَيِّتُ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا لِأَنَّ فِيهَا تَعْظِيمًا لِلْكَافِرِ .

وَعَزَى بَعْضُهُمْ أَحَا لَهُ فِي ابْنِهِ فَقَالَ أَحْسَنَ عَزَاهُمْ فِيهِ وَأَعْظَمَ لَهُمُ الْأَجُورُ وَاهْمُهُمُ التَّسْلِيمُ لِلْمَقْدُورِ نَقُولُ جَمِيعًا كَمَا قَالَ الصَّابِرُونَ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فَاللَّهُ اللَّهُ أَوْ صِيكَ أَيْ أَن تَتَدَرَّعَ بِالرِّضَا وَتَسَلَّمَ لِلْقَضَاءِ فَالْمُصَابِ مِنْ حُرْمِ الثَّوَابِ .

وَأَذْكَرُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَشْرَحُ لِلْمُؤْمِنِ صَدْرَهُ وَتَجْلِبُ لَهُ صَبْرَهُ وَتُهَوِّنُ خَطْبَهُ وَتَذَكِّرُهُ رَبَّهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَأُوَيْنِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

وَقَالَ ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ

صُهَيْبٌ مَرْفُوعًا عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمْرُهُ خَيْرٌ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا
وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ .

وَقَالَ آخِرُ يُعْزِي بَعْضَ إِخْوَانِهِ الْمَأْمُولُ فَيُكْمِ الصَّبْرُ وَالْإِحْتِسَابُ وَالتَّعْزِي
بِعَزَاءِ اللَّهِ فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ إِلَّا وَهُمْ أَقْلُ
النَّاسِ أَنْزَعًا جَاءَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَأَحْسَنُهُمْ طَهَانِيَّةً وَأَقْلَهُمْ قَلَقًا عِنْدَ النَّوَازِلِ وَمَا
ذَلِكَ إِلَّا لِمَا أُوتُوا مِمَّا حُرِمَهُ الْجَاهِلُونَ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ * أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمْ
الْمُهْتَدُونَ ﴿ .

فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ أَبْلَغِ عِلَاجِ الْمَصَابِ وَأَنْفَعِهِ لَهُ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ
فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ أَصْلِينَ عَظِيمَيْنِ إِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ بِمَعْرِفَتِهَا تَسَلَّى عَنْ مُصِيبَتِهِ لِأَنَّ
الْعَبْدَ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ مُلْكٌ لِلَّهِ يَتَصَرَّفُ فِيهِ حَيْثُ جَعَلَهُ عِنْدَ عَبْدِهِ عَارِيَّةً .

وَالْمُعِيرُ مَالِكٌ قَاهِرٌ قَادِرٌ وَالْعَبْدُ مُحْفُوفٌ بَعْدَمِينَ عَدَمٌ قَبْلَهُ وَعَدَمٌ بَعْدَهُ
وَمُلْكُ الْعَبْدِ مَتْعَةٌ مُعَارَةٌ الثَّانِي أَنْ مَصِيرَ الْعَبْدِ وَمَرْجِعُهُ وَمَرَدُّهُ إِلَى مَوْلَاهُ الْحَقُّ
الَّذِي لَهُ الْحُكْمُ وَالْأَمْرُ وَلَا بُدَّ أَنْ يُخَلَّفَ مَا خَوْلَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَيَأْتِي
فَرْدًا بِلَا أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَشِيرَةٍ وَلَكِنْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ .

وَمَنْ هَذِهِ حَالُهُ لَا يَفْرَحُ بِمَوْجُودٍ وَلَا يَأْسِفُ عَلَى مَفْقُودٍ وَإِذَا عَلِمَ الْمُؤْمِنُ
عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِهِ هَانَتْ عَلَيْهِ
الْمُصِيبَةُ وَأَطْمَأَنَّ بِأَذْنِ اللَّهِ وَقَدْ قِيلَ :

مَا قَدْ قُضِيَ يَا نَفْسُ فَاصْطَبِرِي لَهُ وَلَكَ الْأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرِ
وَتَعَلَّمِي أَنَّ الْمُقَدَّرَ كَائِنٌ يَجْرِي عَلَيْكَ عَذْرَتٌ أَمْ لَمْ تَعْذِرِي

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ عِنْدَ الزَّلَازِلِ وَقُورٍ وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ وَمِمَّا يُخَفِّفُ
الْمَصَائِبَ بُرْدُ النَّاسِيِّ فَاَنْظُرُوا يَمِينًا وَشِمَالًا وَأَمَامَ وَوَرَاءَ فَإِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ إِلَّا مَنْ

قَدْ وَقَعَ بِهِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَتِكُمْ أَوْ مِثْلِهَا أَوْ قَرِيبٌ مِنْهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّفَاوُتُ
فِي عَوَضِ الْفَائِتِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانِ .

وَلَوْ أَمَعَنَ الْبَصِيرُ فِي هَذَا الْعَالَمِ جَمِيعَهُ لَمْ يَرَى إِلَّا الْمُتَبَلِّغَ أَمَّا لِفُوتِ مَحْبُوبٍ
أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ وَإِنَّ سُرُورَ الدُّنْيَا أَحْلَامٌ لَيْلٍ أَوْ كِظَلٌ زَائِلٌ إِنْ أَصْحَكْتَ
قَلِيلًا أَبْكْتَ كَثِيرًا وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا أَسَاءَتْ دَهْرًا جَمَعُهَا إِلَى انْصِدَاعٍ وَوَصَلُهَا إِلَى
انْقِطَاعٍ .

إِقْبَالُهَا خَدِيعَةٌ وَإِدْبَارُهَا فَجِيعَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَلَا يَسْلَمُ نَزَاهُهَا حَالُهَا
انْتِقَالَ وَسُكُونُهَا زَوَالٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مُنَوِّعٌ نَزُوعٌ وَيَكْفِي فِي هَوَانِهَا عَلَى اللَّهِ
أَنْ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

مَعَ أَنَّ الْمَصَائِبَ مِنْ حَيْثُ هِيَ رَحْمَةٌ لِلْوَثَمِ وَزِيَادَةٌ فِي دَرَجَاتِهِ كَمَا قَالَ
بَعْضُ السَّلَفِ لَوْ مَصَائِبُ الدُّنْيَا لَوَرَدْنَا الْآخِرَةَ مَفَالَيْسَ وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرْسِلِ
الْبَلَاءَ إِلَى الْعَبْدِ لِيُهْلِكَهُ وَلَا لِيُعَذِّبَهُ وَلَكِنْ إِمْتِحَانًا لَصَبْرِهِ وَرِضَاهُ عَنْهُ وَاخْتِبَارًا
لِإِيَانِهِ وَلِيَرَاهُ طَرِيحًا بِبَابِهِ لِإِثْدَا بَجَنَابِهِ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَذَا مِنْ حَيْثُ
الْمَصَائِبُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَأَمَّا مَا جَرَى عَلَيْكُمْ فَانْتَمِ بِهِنَّ بِالتَّهَنُّتِ أَجْدَرُ مِنَ التَّعْزِيَةِ .

وَلَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ فَالْمِحْنُ فِي حَقِّهِ مَنِيحٌ وَالْبَلَايَا عَطَايَا
وَالْمَكْرَهَاتُ لَهُ مَحْبُوبَاتٌ وَأَمَّا الْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى وَالْخَطْبُ الْاَكْبَرُ وَالْكَسْرُ الَّذِي لَا
يُجْبَرُ وَالْعِثَارُ الَّتِي لَا تُقَالُ فَهِيَ الْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ كَمَا قِيلَ :

« وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانٌ »

آخِرُ :

الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ فَضْيَاعُهُ هُوَ أَعْظَمُ الْخُسْرَانِ
آخِرُ : لَعَمْرِي مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ قَصُرَ فَسِيحٌ مُنِيَّةٌ لِلْسَّاكِنِينَ
وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَقَدْ دِينَ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِينَ

آخر : لَعْمَرِي مَا عُمُرُ يُعَدُّ بِضَائِعٍ إِذَا كَانَ بِالتَّهْلِيلِ وَالذِّكْرِ يُعَمَّرُ
 آخر :
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْرِكْ رِضَى خَالِقِ الْوَرَى فَمَا حَظُّهُ فِي أَنْ يَطُولَ بِهِ الْعُمُرُ
 آخر :
 لِمَنْ تَطَلَّبَ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْدُ بِهَا رِضَى الْمَلِكِ الْفُؤُوسِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
 آخر :
 « مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ »

وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ لِمَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا أَنْ يُقَدِّمَ الْإِبْتِلَاءَ بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَمِنْ أَسْبَابِ السُّلُوكِ عَنِ الْمَصَائِبِ وَأَقْوَى الْأَدْوِيَةِ بِأَذْنِ اللَّهِ تَعَالَى لِفَاقِدِ
 الْحَبِيبِ الْعِلْمُ بِأَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلذَّهَابِ وَالْأَفْوَلِ وَأَنَّ مَا فِيهَا
 يَتَغَيَّرُ وَيَتَحَوَّلُ وَيَضْمَحِلُ وَيَفْنَى لِأَنَّهَا إِلَى الْآخِرَةِ طَرِيقٌ وَهِيَ مَزْرَعَةٌ لِلْآخِرَةِ .

رَوَى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهَا
 السَّلَامُ ابْنٌ يَجْدِبُهُ وَجَدًّا شَدِيدًا فَمَاتَ الْغُلَامُ فَحَزَنَ عَلَيْهِ حَزْنًا شَدِيدًا وَرَوَى
 ذَلِكَ فِي قِصَائِهِ وَمَجْلِسِهِ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَينِ فِي هَيْئَةِ الْبَشَرِ فَقَالَ مَا أَنْتُمَا فَقَالَا
 خُصْمَانِ قَالَ إِجْلِسَا بِمَجْلِسِ الْخُصُومِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي زَرَعْتُ زَرْعًا فَأَتَى هَذَا
 فَأَفْسَدَهُ .

قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَقُولُ هَذَا قَالَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُ زَرَعَ فِي
 الطَّرِيقِ وَإِنِّي مَرَرْتُ بِهِ فَنَظَرْتُ يَمِينًا فَاذَا الزَّرْعُ وَنَظَرْتُ شِمَالًا فَاذَا الزَّرْعُ وَنَظَرْتُ
 قَارِعَةَ الطَّرِيقِ فَاذَا الزَّرْعُ فَرَكِبْتُ قَارِعَةَ الطَّرِيقِ فَكَانَ فِي ذَلِكَ فَسَادَ زَرْعِهِ .

فَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَزَرََعَ بِالطَّرِيقِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ
 الطَّرِيقَ سَبِيلُ النَّاسِ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَهُمْ فَقَالَ لَهُ أَحَدُ الْمَلَكَينِ
 أَوْ مَا عَلِمْتَ يَا سُلَيْمَانُ أَنَّ الْمَوْتَ سَبِيلُ النَّاسِ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يَسْلُكُوا
 سَبِيلَهُمْ .

قَالَ فَكَأَنَّمَا كُشِفَ عَنِ سُلَيْمَانَ الْغِطَاءُ وَهَذَا مِنْ لَطِيفِ التَّعْزِيَةِ لِمَنْ حَلَّتْ
 بِهِ رَزِيَّةٌ .

أَرَى الدَّهْرَ أَغْنَى خَطْبُهُ عَنْ خِطَابِهِ
لَهُ قُلُوبٌ تَهْدِي الْقُلُوبَ صَوَادِيًا
هُوَ اللَّيْثُ إِلَّا أَنَّهُ وَهُوَ خَادِرٌ
وَهِيهَاتَ لَمْ تَسْلَمْ حَلَاوَةٌ شَهْدِهِ
مُبِيدٌ مَبَادِيهِ تَغْرٌ وَإِنَّمَا
أَلَمْ تَرَمْ مَنْ سَاسَ الْمَمْلِكَ قَادِرًا
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَكَادَتْ نُحْلُهُ
لَقَدْ أَسْلَمْتَهُ حِصْنُهُ وَحُصُونُهُ
فَلَا فِضَّةٌ أَنْجَتْهُ عِنْدَ انْفِضَاضِهِ
سَلَا شَخْصُهُ وَرَأَتْهُ بِرَأْتِهِ

بِوَعْظِ شَفَى الْبَابِنَا بِلْبَابِهِ
إِلَيْهَا وَتَعَمَّى عَنْ وَشِيكَ انْقِلَابِهِ
سَطَا فَأَغَابَ اللَّيْثُ عَنْ أَنْسِ غَابِهِ
لِصَابِ إِلَيْهِ مِنْ مَرَارَةِ صَابِهِ
عَوَاقِبُهُ مَخْتُومَةٌ بِعِقَابِهِ
وَسَارَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَحْتَ رِكَابِهِ
عَلَى شَهْبَهَا لَوْلَا خُمُودُ شَهَابِهِ
غَدَاةٌ غَدَا عَنْ كَسْبِهِ بَاكْتِسَابِهِ
وَلَا ذَهَبٌ أَغْنَاهُ عِنْدَ ذَهَابِهِ
وَأَفْرَدَهُ أَتْرَابُهُ بِتْرَابِهِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَضْلٌ)

قيل لرجل إنك تموت ، قال : وإلى أين يُذْهَبُ بي قالوا إلى الله ، قال
ما أكره أن يذهب بي إلى من لم أرى الخيرَ إلا منه ولو قال أنا أفرح وأسرُّ
وأستبشِّرُ بذهابِ إلى الله .

وعزَّى رَجُلٌ آخَرَ بِأَبْنٍ لَهُ فَقَالَ كَانَ لَكَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْيَوْمَ
مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ .

ولما احتضِرَ المنصور قال اللّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِي قَدْ ارْتَكَبْتُ الْأُمُورَ
الْعِظَامَ جُرْأَةً مِنِّي عَلَيْكَ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ
شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَنَّا مِنْكَ لَا مَنَّا عَلَيْكَ .

ومات عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطَرِّفٍ فَخَرَجَ مُطَرِّفٌ فِي ثِيَابٍ حَسَنَةٍ فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ

فقال أفأستكين لها وقد وعدني عليها ربي ثلاثاً إحداهما أحب إلي من الدنيا وما فيها ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

قيل انه دخل ملك الموت على داود عليه وعلى نبينا السلام ، قال من أنت قال الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشى .

قال فإذا أنت ملك الموت ولم أستعد بعد قال يا داود أين جارك فلان ، أين قريبك فلان ، قال مات ، قال أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد للموت .

عن عائشة رضي الله عنها لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي ﷺ الثوب عن وجهه فقبل ما بين عينيه وبكى طويلاً : فلما رفع على السرير قال طوباك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها .

ودخل على المأمون في مرضه وهو يجود بنفسه فإذا هو قد فرش له جل الدابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ عليه ويقول : يا من لا يزول ملكه إرحم من زال ملكه .

وقال عمرو ابن العاص لأبنيه عندما حضره الموت من يأخذ هذا المال بما فيه قال من جدع الله أنفه فقال إحملوه إلى بيت مال المسلمين .

ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن التوبة مبسوطة ما لم يُغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة فقال اللهم إنك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا ، هذا مقام العائذ بك فأهل العفو أنت .

وإن تعاقب فيما قدمت يداي « سبحانه لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين » فمات وهو مغلول مقيد فبلغ الحسن بن علي فقال استسلم الشيخ حين أيقن بالموت ولعلها تنفعه .

قالت عائشة رضي الله عنها : لا أغبط أحداً بهون الموت بعد الذي رأيت من رسول الله ﷺ وسمع أبو الدرداء رجلاً يقول في جنازة من هذا قال أنت وإن كرهت فانا .

وسمع الحسن امرأة تبكي خلف جنازة وتقول يا أبتاه مثل يومك لم أره فقال لها : بل أبوك مثل يومه لم يره .

وقيل إنه لما احتضر إبراهيم عليه السلام قال هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله فأوحى الله إليه : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله . قال أقبض رُوحِي الساعة .

ونُعيت إلى ابن عباس بنت له في طريق مكة ، فنزل عن دابته فصلى ركعتين ثم رفع يديه وقال : عورة سترها الله ، ومؤونة كفاها الله ، وأجر ساقه الله ثم ركب ومضى .

وقال رجل لأويس القرني أوصيني ، قال تَوَسَّدِ الموتِ إِذَا نِمْتَ وَاجْعَلْهُ نَصَبَ عَيْنَيْكَ إِذَا قُمْتَ . وقال الثوري يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ عَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَهَيْئَا كَفَنَهُ .

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عمرو بن عبيد يعزيه أما بعد فإننا أناس من أهل الآخرة أسكننا في الدنيا أموات أباء أموات أبناء أموات فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت .

وقيل للحسن فلان في الترع ، قال وما معنى الترع قالوا القرب ، قال هو في ذلك منذ خلق .

وتوفيت أم قاضي بلخ فقال له حاتم الأصم إن كانت وفاتها عظة لك فعظم الله أجرك على موت أمك وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك .

وقال له : أيها القاضي منذ كم تحكم بين عباد الله ، قال منذ ثلاثين سنة قال هل رد الله عليك حكماً قال لا قال فان الله لم يرد عليك أحكامك في ثلاثين وترد حكماً واحداً حكّمهم عليك .

وعزى آخر بأخيه فقال له أنظر مُصِيبَتَكَ في نفسك تُنْسِكَ فَقَدْ غَيْرَكَ
واذكر قول الله تعالى لنبيه ﷺ « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » وخذ بقول الشاعر :

تَعَزَّى فَكُلُّ سَالِكٍ لِسَبِيلِهِ وَكُلُّ أَمْرٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ جَاذِعٌ
وَنَحْنُ سَوَاءٌ فِي الْمَصَابِ وَإِنْ نَأَتْ بَنَّا الدَّارَ فَالْأَرْحَامُ مِنَّا جَوَامِعُ
وَلَا شَكَّ مِنَّا بِالتَّعَزَّى وَإِنَّمَا نُعَزِّبُكَ إِذْ جَاءَتْ بِذَلِكَ الشَّرَائِعُ

آخر :

تَفَكَّرْ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاءَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكِ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجَنَّهُ عَلَيَّ وَعِبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

آخر :

وَيَبْكِي عَلَى الْمَوْتَى وَيَتْرِكُ نَفْسَهُ وَيَزْعُمُ أَنْ قَدْ قَلَّ عَنْهُمْ عَزَاؤُهُ
وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَفِطْنَةٍ لَكَانَ عَلَيْهِ لَا عَلَيْهِمْ بُكَاءُؤُهُ

شعرًا :

إِلْهِ عَفْوًا مِنْ ذُنُوبٍ تَثَاقَلَتْ عَلَى ظَهْرِ عَبْدٍ لَا يُطِيقُ لَهَا حَمَلًا
عَصَاكَ فَيَا مَوْلَاهُ مِنْ دُونَ رُقْبَةٍ وَيَخْشَى إِذَا تَبَلَّى السَّرَائِرَ أَنْ يُبْلَى
فِي مَاءٍ إِلَى نَارٍ وَإِنَّمَا لِحْنَةٌ وَكُلُّ إِمْرِيءٍ يُجْزَى بِفِعْلَتِهِ قَبْلًا
وَيَرْكُنُ لِلرَّاحَاتِ قَبْلَ بُلُوغِهَا وَكَمْ ضَا حِكِّ كَانَ الْبُكَاءِ بِهِ أَوْلًا
فَمَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا لِنَعْصِرَ وَجْهَنَا وَلَا لِنَرَى غَيْرَ اعْتِبَارٍ بِهَا شُغْلًا
فَيَا رَبِّ وَفَوْقَ لِلرِّشَادِ مَطَالِبِي وَيَسِّرْ لِمَا تَهَوَّاهُ لِي مِنْ هُدًى فِعْلًا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

وَكَتَبَ ابْنُ السَّمَاكِ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ يُعَزِّيهُ بَوْلَدِهِ فَقَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنْ
اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ شُكْرُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ قَبِضَهُ كَشُكْرِكَ لَهُ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فافْعَلْ فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبِضَهُ أَحْرَزَ لَكَ هَبْتَهُ .

ولو بقي لم تسلم من فتنة أرأيت جزعك على ذهابه وتلهفك على فراقه
أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابيك أما هو فقد خلص من الكدر وبقيت
متعلقاً بالخطر والسلام .

وإن شاء قال إذا كان صغيراً عظم الله أجرك وجبر مصيبتك وأذهب
عنك الحزن وجعله لك فرطاً وذخراً ووسيلة لاكتساب الأجر في الآخرة وأنت
خيرٌ بأن الموت مصيرٌ لكل العباد قال الله جل وعلا وتقدس لرسول الله ﷺ
﴿ وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد أفإن منته فهم الخالدون كل نفس ذائقة
الموت ﴾ .

ومثلك والله الحمد لا يحتاج إلى التسلية والنصيحة لأنه ليس بخافٍ
عليك أن الصبر قد حث الله عليه ووعد بكثرة الأجر وأنه أولى ما تمسك به
مؤمنٌ واعتصم به محتسبٌ فالتسليم لأمر الله بما قدره وقضاه في سابق علمه
يستوجب الثواب الجزيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

شعرا :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوُنُ غَيْرَ مُصِيبَةٍ فِي السُّدَيْنِ
آخِر :

رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَوْفِدَيْنِ كُلَّمَا تَرَحَّلَ وَفَدُ حَطَّ فِي إِثْرِهِ وَفَدُ
وَكَلُّ يَحُثُّ السَّيْرَ عَنْهَا وَنَحْوَهَا فَيَمْضِي بَذَا نَعَشٍ وَيَأْتِي بَذَا مَهْدُ
آخِر :

وَتَأْكُلُنَا أَيَّامُنَا فَكَأْتَمَا تَمُرُّ بِنَا السَّاعَاتُ وَهِيَ أَسْوَدُ
آخِر :

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاجِلُ يَحُثُّ بِهَا حَادٍ مِنَ الْمَوْتِ قَاصِدُ

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَنَّهَا مَنَازِلُ تُطَوَّى وَابْنُ آدَمَ قَاعِدٌ
أَوْ تَقُولُ : بَلَّغْنِي وَفَاةُ الْأَخِ الْعَزِيزِ تَعَمَّدَهُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ
شَيْءٍ وَوَفَّقْنَا وَإِيَّاكُمْ لِلصَّبْرِ وَالِاحْتِسَابِ .

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالْأَخُ أَوْلَى مَنْ يَتَلَقَّى أَمْرَ اللَّهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ وَيُلْقَى
الْحُطُوبَ الصَّادِعَةَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَهُوَ أَذْرَى بِأَنَّ هَذِهِ الدَّارَ لَيْسَتْ بِدَارٍ قَرَرٍ وَأَنَّ
المَفْقُودَ نَزَلَ فِي جِوَارِ الكَرِيمِ وَشَتَانَ بَيْنَ ذَاكَ الجِوَارِ وَهَذَا الجِوَارِ .

وَلَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ وَاحْتِسَابُ الْأَجْرِ مِنَ المَوْتِ الْأَجَلِ هَذَا وَكُلُّ مَنَّا يَعْلَمُ
أَنَّ المَوْتَ مَنَهْلٌ لَا بُدَّ مِنْ وُرُودِهِ وَمَحْضَرٌ لَا بُدَّ مِنْ شُهُودِهِ وَرَسُولٌ لَا بُدَّ مِنْهُ وَأَمْرٌ
لَا مَحِيصَ وَلَا مَفْرَءَ عَنْهُ وَمَا مَاتَ أَحَدٌ قَبْلَ أَجَلِهِ الَّذِي قُدِّرَ لَهُ وَلَا تَقَدَّمَ عَنْهُ وَلَا
تَأَخَّرَ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ وَقَالَ
ﷺ إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا
وَأَجَلَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَيَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فَقَدَ
رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنَهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ .

فَلَقِيَهِ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ ابْنِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا
فَلَانُ أَيُّهَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ أَوْ لَا تَأْتِيَ غَدًا بِأَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ إِلَّا
وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَسْبِقُنِي إِلَى الجَنَّةِ يَفْتَحُهَا لِي
هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ قَالَ فَذَلِكَ لَكَ .

فَقِيلَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةٌ أَمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً قَالَ بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ
عَامَّةً وَبَلَغَ الشَّافِعِيُّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ مَاتَ لَهُ ابْنٌ فَجَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا
شَدِيدًا فَبَعَثَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ يَا أَخِي عَزَّ نَفْسَكَ بِمَا تُعْزِي بِهِ غَيْرَهَا وَاسْتَقْبِحْ
مِنْ فِعْلِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ فِعْلِ غَيْرِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمْضَى المَصَائِبِ فَقْدُ سُرُورٍ وَحِرْمَانُ أَجْرٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَا

مَعَ اكْتِسَابِ وَزْرِ فَتَنَّاوُلِ حَظِّكَ يَا أُخِي إِذَا قَرُبَ مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَهُ وَقَدْ نَأَى
عَنْكَ أَهْلَمَكَ اللَّهُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ صَبْرًا وَأَحْرَزَ لَنَا وَلَكَ بِالصَّبْرِ أَجْرًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ
يَقُولُ :

إِنِّي مُعَزِّبُكَ لَا أَنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ الْحَيَاةِ وَلَكِنْ سُنَّةَ الدِّينِ
لَيْسَ الْمُعَزِّي بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ وَلَا الْمُعَزِّي وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينٍ

وعزى رجل عمر بن عبدالعزيز فقال :

تَعَزَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لَمَّا قَد تَرَى يُفَدَى الصَّغِيرُ وَيُوَلَّدُ
هَلْ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَةِ مَوْرِدُ

فقال ما عزاني أحد بمثل تعزيتك .

وَكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يُعَزِّيهِ بِأَبْنِهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْوَلَدَ عَلَى وَالِدِهِ
مَا عَاشَ حُزْنَ وَفِتْنَةً فَإِذَا قَدَّمَهُ فَضْلًا وَرَحْمَةً فَلَا تُحْزَنُ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ حُزْنِهِ
وَفِتْنَتِهِ وَلَا تُضَيِّعَ مَا عَوَضَكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صَلَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهْدِيِّ لِأَبِرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ وَعَزَّاهُ بِأَبْنِهِ أَسْرَكَ وَهُوَ بَلِيَّةٌ
وَفِتْنَةٌ وَأَحْزَنَكَ وَهُوَ صَلَاةٌ وَرَحْمَةٌ وَاعْلَمْ يَا أَخَ أَنَّ كُلَّ الْمَصَائِبِ الَّتِي تَمُرُّ عَلَى
الْإِنْسَانِ تَهُونُ إِلَّا مُصِيبَةُ الدِّينِ لَا يَنْجِبُ كَسْرُهَا كَمَا قِيلَ :

وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبِرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانٌ

وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ لَمَّا يُجِبُهُ وَيَرْضَاهُ وَأَهْمَنَا وَإِيَّاكَ الرِّضَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ،
وَيَحْرُمُ النَّدْبُ وَهُوَ تَعْدَادُ مُحَاسِنِ الْمَيِّتِ بِلَفْظِ النَّدَاءِ مَعَ زِيَادَةِ أَلْفٍ وَهِيَ فِي آخِرِهِ
وَاسِيدَاهُ وَاجْبَلَاهُ وَانْقِطَاعُ ظَهْرَاهُ وَالنِّيَاحَةُ هِيَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِذَلِكَ بَرْنَةً وَهِيَ
مُحْرَمَةٌ أَيْضًا قَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نُنُوحَ مُتَفَقٍ
عَلَيْهِ .

شعرا : إذا ماتت ابنتها صرخت عليه وماذا تستفيد من الصراخ
 ستبعه كعطف الفاء ليست بمهل أو كتم على التراخي
 وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ لعن النائحة والمستمعة ومحرم شق
 الثوب ونحوه ومحرم لطم الخد والصراخ وتنف الشعر ونشره لما ورد عن ابن
 مسعود أن النبي ﷺ قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى
 الجاهلية .

وعن أبي بردة قال وجع أبو موسى وجعا فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة
 من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا فلما أفاق قال
 أنا بريء من بريء منه رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ بريء من الصالحة
 والحالقة والشاقة .

وعن المغيرة بن شعبة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه من ينح عليه
 يعدب بما ينح عليه وفي صحيح البخاري عن النعمان بن بشير قال أغمي علي
 عبد الله ابن روضة فجعلت أخته عمرة تبكي وا جبلاه وا كذا وا كذا تعدد
 عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئا إلا قيل أنت كذلك فلما مات لم تبك عليه .

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال الميت يعدب ببكاء الحي إذا قالت
 النائحة وا عضداه وا ناصراه وا اكاسياه جبذ الميت وقيل له أنت عضدها أنت
 ناصرها أنت كاسيها رواه أحمد .

وسن أن يصلح لأهل الميت طعاما تبعث به إليهم ويكره لهم فعله
 للناس لما ورد عن عبد الله بن جعفر قال لما جاء نعي أبي حين قتل قال النبي
 ﷺ اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم رواه الخمسة إلا النسائي
 قال الزبير فعمدت سلمى مولاة النبي ﷺ إلى شعير وأدمته بزيت جعل عليه
 وبعثت به إليهم .

ويروى عن عبد الله بن أبي بكر أنه قال فما زالت السنة فينا حتى تركها

مَنْ تَرَكَهَا وَسَوَاءَ كَانَ الْمَيِّتَ حَاضِرًا أَوْ غَائِبًا وَأَتَاهُمْ نَعِيُهُ وَيُنَوَّى فِعْلُ ذَلِكَ لِأَهْلِ
الْمَيِّتِ لَا لِمَنْ يَجْتَمِعُ عِنْدَهُمْ فَيُكْرَهُ لِأَنَّهُ إِعَانَةٌ عَلَى مَكْرُوهٍ وَهُوَ اجْتِمَاعُ النَّاسِ عِنْدَ
أَهْلِ الْمَيِّتِ نَقَلَ الْمُرُوزِيُّ عَنْ أَحْمَدَ هُوَ مِنْ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ .

يُسْرَ الْفَتَى بِالْعَيْشِ وَهُوَ مُبِيدُهُ وَيَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا وَمَا هِيَ دَارُهُ
وَفِي عِبَرِ الْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ وَاعِظُ إِذَا صَحَّ فِيهَا فِكْرُهُ وَاعْتِبَارُهُ
فَلَا تُحْسَبُنْ يَا غَافِلُ الدَّهْرَ صَامِتًا فَأَفْصَحُ شَيْءٍ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
أَصِخْ لِمُنَاجَاةِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ سَيُغْنِيكَ عَنِ جَهْرِ الْمَقَالِ سِرَّارُهُ
أَدَارَ عَلَى الْمَاضِينَ كَأَسَاءَ فَكُلُّهُمْ أَبْبَحَتْ مَغَانِيهِ وَأَقْوَتَ دِيَارُهُ
وَلَمْ يَجْمِهِمْ مِنْ أَنْ يُسَقُّوا بِكَاسِهِمْ تَنَاوَشُ أَطْرَافِ الْقَنَا وَاشْتِجَارُهُ

اللهم نور قلوبنا بنور الايمان ووقفنا لمحببتك ومحبة من يحببك وألهمنا ذكرك
وشكرك واجعلنا من عبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَضْلٌ)

وَيَجُوزُ الْبُكَاءُ عَلَى الْمَيِّتِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ شَهِدْتُ بِنْتًا
لِلنَّبِيِّ ﷺ تُدْفَنُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ عِنْدَ الْقَبْرِ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ .

وعن ابن عمر قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه رسول الله
ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن
مسعود .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَةٍ فَقَالَ قَدْ قُضِيَ فَقَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ
فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بَكَاءَهُ بَكَوْا فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَرْحَمُ وَأَشَارَ إِلَى
لِسَانِهِ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

وَأَخْبَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ عَلَى بُكَاءٍ مَعَهُ نَدْبٌ أَوْ نِيَاحَةٌ وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا فِي الْمَوْتِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى فَمَرَهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَعَادَ الرَّسُولُ فَقَالَ إِنَّهَا أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنِي .

قال فقام النبي ﷺ وقام سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل قال فانطلقت معهم فرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعُّعُ كَأَنَّهَا فِي شِنَّةٍ ففَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدُ مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرَحِمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

شعراً :

إِنْ كُنْتَ تَرْجُو مِنَ الرَّحْمَنِ رَحْمَتَهُ فَارْحَمِ ضِعَافَ الْوَرَى يَا صَاحِبَ مُحْتَرَمَاتِ
وَأَقْصِدْ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ خَالِقِنَا سُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ قَدْ بَرَى النَّسَمَاتِ
وَاطْلُبْ جَزَا ذَاكَ مِنْ مَوْلَاكَ رَحْمَتَهُ فَإِنَّمَا يَرَحِمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا

آخر : إِصْبِرْ لِمُرِّ حَوَادِثِ تَجْرِي
وَاجْهَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مَيْتَتِهَا فَكَأَنَّ أَهْلَكَ قَدْ دَعَاكَ فَلَمْ
وَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَلْبُوكَ عَلَيَّ وَكَأَنَّهُمْ قَدْ زَوَّدُوكَ بِمَا
يَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَوْلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ عَلَيَّ
وَأَوْلَيْتَ شِعْرِي مَا أَقُولُ إِذَا مَا حُجِّتِي فِيمَا أَتَيْتُ عَلَيَّ

يَا سَوَاتِنَا مِمَّا اكْتَسَبْتُ وَيَا
 أَلَّا أَكُونُ عَقَلْتُ شَأْنِي فَاسْتَقْ
 بَلْتُ مَا اسْتَدْبَرْتُ مِنْ أَمْرِي
 اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاخْتِمْ لَنَا بِخَاتَمَةِ
 السَّعَادَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَلَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ
 فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَرَبَ أَبَتَاهُ فَقَالَ لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرْبٌ بَعْدَ
 الْيَوْمِ فَلَمَّا مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رِبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهُ
 جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نُنَعَاهُ .

فَلَمَّا دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهَا يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ التُّرَابَ .

وَلَمَّا بَلَغَتْ أَبَا بَكْرٍ وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ نَائِمًا
 عِنْدَ ابْنِهِ خَارِجَةَ بِالسُّنْحِ جَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَوَضَعَ فَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى صَدْغَيْهِ
 وَقَالَ وَأَنْبِيَآهُ وَاخْلِيلَاةَ وَاصْفِيَاةَ وَخَنَقَةَ الْبُكَاءِ ثُمَّ خَرَجَ لِلنَّاسِ وَعَمَّرُ يُكَلِّمُهُمْ
 فَقَالَ اجْلِسْ يَا عُمَرُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمَا بَعْدُ :

مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ
 حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
 الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَتَقَلَّبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ
 يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

قال : فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا وَيَقُولُ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ فِي عُمَرِ حَوْلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَاسْرَاعِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ السَّقِينَةِ وَلَمْ يَشَعَثِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ .

وَمَوْقِفِ لَكَ بَعْدَ الْمُصْطَفَى افْتَرَقَتْ
 فِيهِ الصُّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
 بَايَعَتْ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ فَبَايَعَهُ
 عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
 « وَأُطِفَّتْ فِتْنَةٌ لَوْلَا إِلَهُ غَشَتْ »
 بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَأَنَسَابَتْ أَفَاعِيهَا
 بَاتَ النَّبِيُّ مُسْجَى فِي حَظِيرَتِهِ
 وَأَنْتَ مُسْتَعِرُّ الْأَحْشَاءِ دَامِيهَا
 تَهَيَّمُ بَيْنَ عَجِيجِ النَّاسِ فِي دَهَشٍ
 مِنْ نَبَأَةٍ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا
 تَصِيحُ مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ
 عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أَبْرِيهَا
 أَنْسَاكَ حُبُّكَ طَهَّ أَنْهُ بَشَرٌ
 يُجْرِي عَلَيْهِ شُؤُونَ الْكَوْنِ مُجْرِيهَا
 وَأَنْهُ وَارِدٌ لَا بُدَّ مَوْرَدَهُ
 مِنَ الْمَنِيَّةِ لَا يُغْفِيهِ سَاقِيهَا
 نَسِيَتْ فِي حَقِّ طَهَّ آيَةٌ نَزَلَتْ
 وَقَدْ يُذَكَّرُ بِالْآيَاتِ نَاسِيهَا

ذَهَلَتْ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةً عَمَّ
 وَثَابَ رُشْدُكَ فَانْجَابَتْ دِيَابِجُهَا
 فَلِسْقِيفَةٍ يَوْمًا أَنْتَ صَاحِبُهُ
 فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيَهَا
 مَدَّتْ لَهَا الْأَوْسُ كَفَأَ كَيْ تَنَاوَلَهَا
 فَمَدَّتِ الْخَزْرَجُ الْأَيْدِي تُبَارِيهَا
 وَظَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ أَنْ صَاحِبَهُمْ
 أَوْلَى بِهَا وَأَتَى الشُّحْنَاءَ آتِيَهَا
 حَتَّى انْبَرَيْتَ لَهُمْ فَارْتَدُّ طَامِعُهُمْ
 عَنْهَا وَآخَى أَبُو بَكْرٍ أَوَاحِيَهَا
 وَقَوْلُهُ لِعَلِيِّ قَالَهَا عُمَرُ
 أَكْرَمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُلْقِيهَا
 حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقِي عَلَيْكَ بِهَا
 إِنْ لَمْ تُبَايِعْ وَبِنْتُ الْمُصْطَفَى فِيهَا
 مَا كَانَ غَيْرُ أَبِي حَفْصٍ يَفُوهُ بِهَا
 أَمَامَ فَارِسِ عَدْنَانَ وَحَامِيهَا
 كِلَاهُمَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ عَزَمْتُهُ
 لَا تَشْنِي أَوْ يَكُونُ الْحَقُّ ثَانِيَهَا

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّوْءِ فَوْقَ مَا
 نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ
 تَعْلَمُ عِيُونَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا
 يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا قَسَتْ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا حُبُّ الدُّنْيَا دَوَّأَتْهَا
النَّافِعُ بِأَذْنِ اللَّهِ ذَكَرُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتِلَاوَةُ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَزِيَارَةُ الْمَقَابِرِ لِتَرَى
فِيهَا بَعَيْنِكَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ تَرَى فِيهَا الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَءَ
وَالْوُجَهَاءَ وَالْجَبَابِرَةَ وَالظَّلَمَةَ وَالْمُنْتَكَبِينَ وَالْفَسَقَةَ صَرَغَى فِي ضَيْقِ تِلْكَ
الْحَفَائِرِ وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِهَا تَضِيقُ عَمَالَهُمْ مِنْ آمَالٍ وَأَمَانِي .

وَتَرَى هُنَاكَ أَحِبَّاءَ اللَّهِ وَأَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْكُلَّ حَكَمَ عَلَيْهِ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الْقَهَّارُ بِالمَوْتِ فَلَبَّوْا طَائِعِينَ أَوْ مُكْرَهِينَ وَأَصْبَحَ الْكُلُّ
مُنْفَرِدًا لَا أُنَيْسَ لَهُ إِلَّا مَا قَدَّمَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ فَالْمَطِيعُ لِلَّهِ الَّذِي امْتَثَلَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ وَانْتَهَى عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَعِنْدَهُ عَمَلُهُ
الصَّالِحِ .

وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ أَنْطَقَهُ اللَّهُ لَقَالَ لَكَ كَلَامًا تَقَطُّعُ لَهُ الْقُلُوبُ حَسَرَاتٍ
يَقُولُ إِنَّ الْحَكْمَ الْعَدْلُ جَازَانِي بِمَا اسْتَحَقُّ وَإِنِّي بَعْدَابٍ لَا تَحْتَمِلُهُ الْجِبَالُ
الرَّاسِيَاتُ وَإِنِّي مُسْتَحَقُّ لِذَلِكَ لِأَنِّي اغْتَرَرْتُ بِالدُّنْيَا وَزَخَّارِفِهَا فَلَمْ أَعْبَأُ
بِأَوْامِرِ رَبِّي وَلَا نَوَاهِيهِ وَاقْتَحَمْتُ الْمُؤَبِقَاتِ لِيَذَا صِرْتُ إِلَى مَا لَوْ رَأَيْتَهُ
لِصَعِقْتَ وَذَهَلْتَ وَعُغِيبِي عَلَيْكَ ، وَمَلِئْتَ رُغْبًا وَاشْتَعَلَ شَعْرُكَ شَيْبًا وَلَمْ
تَنْتَفِعْ بَعْدَ قَوْلِهِ بِأَكْلِ وَشُرْبِ وَرَأَيْتَ أَحْدَاقًا عَلَى الْخُدُودِ سَائِلَةً ، وَرَأَيْتَ
أَعْظَمًا غَيْرَ مَتَمَّاسِكَةٍ وَأَوْصَالَ مُتَقَطَّعَةً وَرَأَيْتَ جَمَاجِمًا قَدْ عَلَاهَا الدُّودُ

وَالْخَشَاشُ كَأَنَّهَا الْأَنْبَابُ وَرَأَيْتَ مَا كَانَ مُجْتَمِعاً مُتَفَرِّقاً رَمِيمًا وَرَأَيْتَ
الصَّدِيدَ وَالْقَيْحَ يَجْرِي فَيَالَهُ مِنْ مَنْظَرٍ مَا أَفْزَعَهُ وَيَالَهُ مِنْ سَفَرٍ مَا أَطْوَلَهُ .

وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَزُورُ الْقُبُورَ وَيَسْمَعُ ذَلِكَ وَيُصَدِّقُ بِهِ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ
وَيَنَامُ مُطْمَئِناً مَا كَأَنَّهُ سَيَسَاكِنُهُمْ عَنْ قَرِيبٍ ، مَاتَتِ الْقُلُوبُ فَأُصْبَحَتْ لَا
تَنْتَفِعُ بِالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ وَلَا بِزَجْرِ الْمَوْتِ وَهُوَ أَبْلَغُ زَاجِرٍ لِلْأَحْيَاءِ فَرُزُّ يَا
أَخِي الْقُبُورَ مُعْتَبِراً وَانْتَبِهْ مِنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ فَالْمَوْتُ مَهْمَا مَدَّ فِي عُمْرِكَ لِأَبَدٍ
أَنْ يَأْتِيكَ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَفْجَأَكَ وَأَنْتَ سَارِحٌ فِي
أُودِيَةِ الدُّنْيَا . وَمَا أَكْثَرَ مَوْتَ الْفُجْأَةِ فِي زَمَانِنَا بِوَاسِطَةِ السَّيَّارَاتِ وَالْقُرْ
وَالكَهْرَبَاءِ وَالطَّائِرَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

شعراً :

تُحُومُ عَلَيْنَا لِلْمَنَايَا حَوَائِمُ
كَأَنَّا حُبُوبٌ وَالْحِمَامُ حَمَائِمُ
وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا حِبَالَةَ صَائِدٍ
تُرَى النَّمْلُ فِي أَشْرَاكِهَا وَالضَّرَاغِمُ
وَلَوْ عَلِمْتَ مِنْهُ الْبَهَائِمُ عَلِمْنَا .
إِذَا هُزِلَتْ خَوْفَ الْمُنُونِ الْبَهَائِمُ
حَيَاةً وَمَوْتٌ ذَا لِذَاكَ مُبَايِنُ
وَبَيْنَهُمَا لِلنَّائِبَاتِ تَلَاذِمُ
فِيَا صَاحِبِي رَافِقُ رَفِيقاً يَمَانِيّاً
فَإِنَّكَ لِلْبَرْقِ الشَّامِيِّ شَائِمُ
وَنَادِمُ نَدَامَاكَ التُّبْقَا وَصِحَابَهُ
فَإِنَّكَ يَوْمًا لِلْمَنَايَا مُنَادِمُ

آخر:

هُوَ الْمَوْتُ فَاحْذَرُ أَنْ يَجِيئَكَ بَغْتَةً
وَأَنْتَ عَلَى سُوءٍ مِنَ الْفِعْلِ عَاكِفٌ
وَإِيَّاكَ أَنْ تَتْرَكَ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً
وَلَا لِحِظَةً إِلَّا وَقَلْبُكَ وَاجِفٌ
وَبَادِرٌ بِأَعْمَالٍ يَسْرُكَ أَنْ تُرَى
إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ

آخر:

فَمَا مِنْ صَبَاحٍ جَاءَ إِلَّا مُؤَدِّبًا
لَأَهْلِ الْعُقُولِ الْنَافِذَاتِ الْبَصَائِرِ
أَيَّدَتْ قُرُونٌ قَبْلُ قَدْ كُنْتَ بَعْدَهَا
وَأَنْتَ عَلَى هَوِ الْقُرُونِ الْأَصَاغِرِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَدْفُنْ حَمِيمًا وَلَمْ تَكُنْ
لَهُ فِي حِيَاطِ الْمَوْتِ يَوْمًا بِحَاضِرِ
نَسِيتَ لَطْفِي عِنْدَ ارْتِكَابِكَ لِلْهَوَى
وَأَنْتَ تَوَقَّى حَرَّ شَمْسِ الْهَوَاجِرِ

آخر:

كَأَنَّكَ قَدْ رَحَلْتَ عَنِ الْمَبَانِي وَوَارَتْكَ الْجَنَادِلُ وَالصَّعِيدُ
وَنَادَاكَ الْحَبِيبُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَقُرْبُكَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا بَعِيدُ
وَأَصْبَحَ مَالِكُ الْمَجْمُوعِ نَهْبًا وَعُطِّلَ بَعْدَكَ الْقَصْرُ الْمَشِيدُ
وَصَارَ بَنُوكَ أَيَّتَامًا صِغَارًا وَعَانَقَ عِرْسَكَ الْبَعْلُ الْجَدِيدُ
وَأَكْبَرُ مِنْهُ أَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي شَقِيَّيْنِ أَنْتَ وَيَحْكُ أُمَّ سَعِيدُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرُّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسُجِّيَ عَلَيْهِ إِرْتَجَبِ الْمَدِينَةِ بِالْبُكَاءِ فَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْتَعْجِلاً مُسْتَرْجِعاً حَتَّى وَقَفَ عَلَى النَّبِيِّ الَّذِي فِيهِ أَبُو بَكْرٍ .

فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَلَقَدْ كُنْتَ الْفَرَسُورِ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْيَسُهُ وَمُسْتَرَاخَهُ وَثِقَتَهُ وَمَوْضِعَ سِرِّهِ وَكُنْتَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا وَأَخْلَصَهُمْ إِيمَانًا وَأَشَدَّهُمْ لِلَّهِ يَقِينًا وَأَخْوَفَهُمْ لِلَّهِ وَأَعْظَمَهُمْ غِنَاءً فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَحْوَطَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَحْسَنَهُمْ صُحْبَةً وَأَكْثَرَهُمْ مَنَاقِبَ وَأَفْضَلَهُمْ سِوَابِقًا وَأَرْفَعَهُمْ دَرَجَةً وَأَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلُقًا وَفَضْلًا وَهَدْيًا وَسَمْتًا وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ رَسُولِهِ وَعَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا .

صَدَّقْتَ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ كَذَبَهُ النَّاسُ وَوَأَسَيْتُهُ حِينَ بَخَلُوا وَقُمْتَ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا وَكُنْتَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلِهِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ صِدِّيقًا فَقَالَ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ .

وَصَحْبَتُهُ فِي الشُّدَّةِ أَكْرَمَ صُحْبَةٍ ثَانِي إِثْنَيْنِ وَصَاحِبُهُ فِي الْغَارِ وَالْمَنْزَلُ عَلَيْهِ السُّكِينَةُ وَرَفِيقُهُ فِي الْهَجْرَةِ .

وَخَلَقْتَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَأُمَّتِهِ أَحْسَنَ الْخِلَافَةِ حِينَ ارْتَدَّوْا فُقِمْتَ بِالْأَمْرِ
مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ خَلِيفَةُ نَبِيِّ نَهَضْتَ حِينَ وَهَنَ أَصْحَابُهُ وَبَرَزْتَ حِينَ اسْتَكَانُوا
وَقَوِيَتْ حِينَ ضَعُفُوا .

وَلَزِمْتَ مِنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتَ خَلِيفَةَ رَسُولِ
اللَّهِ حَقًّا لَنْ تُنَازَعَ وَلَنْ تُضَارَعَ بِرَغْمِ الْمُنَافِقِينَ وَكَبْتِ الْحَاسِدِينَ قُمْتَ
بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا وَاتَّبَعُوكَ فَهَدُوا كُنْتَ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا وَأَقْلَهُمْ كَلَامًا
وَأَصْدَقَهُمْ مَنْطِقًا وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلًا وَأَشَجَعَهُمْ نَفْسًا وَأَشْرَفَهُمْ عَمَلًا .

كُنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا حِينَ صَارُوا عَلَيْكَ عِيَالًا حَمَلْتَ أَنْثَالَ مَا عَنْهُ
ضَعُفُوا وَرَعَيْتَ مَا أَهْمَلُوا وَعَلِمْتَ مَا جَهَلُوا وَصَبَرْتَ إِذْ جَزَعُوا وَرَاجَعُوا
بِرَأْيِكَ رُشِدَهُمْ فَظَفِرُوا وَنَالُوا بِرَأْيِكَ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوا .

كُنْتَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي
صُحْبَتِكَ وَذَاتِ يَدِكَ وَكُنْتَ كَمَا قَالَ ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِكَ عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَلِيلًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ
كَبِيرًا فِي أَنْفُسِهِمْ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيكَ مَغْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيكَ مَهْمَزٌ
الضَّعِيفُ الدَّلِيلُ عِنْدَكَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ حَتَّى تَأْخُذَ بِحَقِّهِ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ عِنْدَكَ
سَوَاءً .

وَأَقْرَبُ النَّاسِ عِنْدَكَ أَطْوَعَهُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاهُمْ ، شَأْنُكَ الْحَقُّ وَالصَّدْقُ
وَالرَّفْقُ إِعْتَدَلَ بِكَ الدِّينَ وَقَوِيَّ بِكَ الْإِيمَانَ فَسَبَقَتْ وَاللَّهُ سَبَقًا بَعِيدٌ
وَأَتَعَبَتْ مَنْ بَعْدَكَ إِتْعَابًا شَدِيدًا رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَقَدْرَهُ وَسَلَّمْنَا لَهُ
أَمْرَهُ .

وَاللَّهُ لَنْ يُصَابَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بِمِثْلِكَ أَبَدًا ، كُنْتَ لِلدِّينِ عِزًّا وَحِرْزًا وَكَهْفًا فَالْحَقَّكَ اللَّهُ بِنَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا حَرَمَنَا أَجْرَكَ وَلَا أَضَلَّنَا بَعْدَكَ فَسَكَتَ النَّاسُ حَتَّى قَضَى كَلَامَهُ ثُمَّ بَكَوْا حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ .

وَقَالُوا صَدَقْتَ يَا خَتَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمَّا مَرَضَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرَكَ التَّطَبُّبَ تَسْلِمًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَادَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَقَالُوا أَلَا نَدْعُوكَ طَبِيبًا يَنْظُرُ إِلَيْكَ فَقَالَ نَظَرَ إِلَيَّ قَالُوا وَمَا قَالَ قَالَ إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ وَاسْتَخْلَفَ فِي مَرَضِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِمُشَاوَرَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ .

شِعْرًا :

لِلْمَوْتِ فَاعْمَلْ بِجِدِّ أَيُّهَا الرَّجُلُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ مُرْتَجِلُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
تُمْسِي وَتُصْبِحُ فِي اللَّذَاتِ مُسْتَعِجِلُ
كَأَنِّي بِكَ يَاذَا الشَّيْبِ فِي كُرْبٍ
بَيْنَ الْأَجْبَةِ قَدْ أَوْدَى بِكَ الْأَجْلُ
لَمَّا رَأَوْكَ صَرِيحًا بَيْنَهُمْ جَزِعُوا
وَوَدَّعُوكَ وَقَالُوا قَدْ مَضَى الرَّجُلُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ فِي مَهَلٍ
مَا دَامَ يَنْفَعُكَ التَّذْكَارُ وَالْعَمَلُ
إِنَّ التَّقِيَّ جَنَّانَ الْخُلْدِ مَسْكَنُهُ
يَنَالُ حُورًا عَلَيْهَا التَّاجُ وَالْحُلَلُ

وَالْمُجْرِمِينَ بِنَارٍ لَا خُمُودَ لَهَا
فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ تَشْتَعِلُ

روي أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رحمه الله باع داراً
بمائتين ألف درهم فقيل له لو اتخذت من هذا المال ذُخْراً فقال أنا أجعل هذا
المال ذُخْراً لي عند الله واجعل الله سبحانه ذُخْراً لولدي ثم تصدق بالمال
كله .

شعرا :

تَعَطَّ بِأَثْوَابِ السَّخَالِ فَإِنِّي أَرَى كُلَّ عَيْبٍ وَالسُّخَاءُ غَطَاؤُهُ
وَقَارِنُ إِذَا قَارَنْتَ حُرّاً فَإِنَّمَا يَزِينُ وَيُزِرِّي بِالْفَتَى قُرْنَاؤُهُ
وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً سَخَاؤُهُ
آخر :

وَقَائِلَةٌ مَا بَالَ مَالِكَ نَاقِصاً وَأَمْوَالُ كُلِّ الْعَالَمِينَ تَزِيدُ
فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي أَجُودُ بِمَا حَوَتْ يَدَيَّ وَبَعْضُ النَّاسِ لَيْسَ يَجُودُ
آخر :

المال يعشى رجلاً لا سماح لهم كالسيل يعشى أصول الدمدم البالي
أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بآرك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه وألست للعرض إن أودى بمحتال

جاءت امرأة إلى الليث ابن سعد بإناء صغير تطلب منه عسلاً وقالت إن
زوجي مريض فأمرها بقربة ملأه عسلاً فقيل له إنها طلبت قدحاً صغيراً فقال
إنما طلبت على قدرها ونحن أعطيناها على قدرنا وجاء رجل إلى سعيد بن
العاص يسأله شيئاً فأمره بخمسمائة وأطلقه فقال الرجل مستفهماً من سعيد
هذه دنائير أو دراهم فقال سعيد ما أردت إلا الدراهم ولكن حينما ترددت
أنت في ذلك فعيرها دنائير فجلس الرجل يبكي فقال سعيد ما يبكيك فقال
أبكي على رجل مثلك ينزل تحت التراب .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَسِرِّنَا
لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نِعَمَ الْوَلِيِّ عُمَرَ أَمَا أَنَّهُ لَا يَقْوَى عَلَيْهِمْ
غَيْرُهُ وَمَا هُوَ بِخَيْرٍ لَهُ أَنْ يَلِيَّ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عُمَرَ
رَأَى لِينًا فَاشْتَدَّ وَلَوْ كَانَ وَإِلْيَا لِلَّانِ لِأَهْلِ اللَّيْنِ ثُمَّ دَعَا بَعْثْمَانَ بْنَ عَقَانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ هَذَا مَا عَهَدَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ بِنِ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ
أَمَا بَعْدَ فَنَئِي قَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ أُغْمِي عَلَيْهِ فَكَتَبَ عُثْمَانُ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ لِمَا سَمِعَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ثُمَّ أَفَاقَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ أَقْرَأْ عَلَيَّ مَا كَتَبْتَ
فَقَرَأَ عَلَيْهِ ذَكَرَ عُمَرَ فَقَالَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا .

ثُمَّ رَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي وَلَّيْتُ خَيْرَهُمْ وَلَمْ أَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا
صَلَاحَهُمْ وَخَفْتُ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ وَفَعَلْتُ فِيهِمْ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ وَقَدْ حَضَرَنِي فِي
أَمْرِي مَا قَدْ حَضَرَ فَاجْتَهَدْتُ لَهُمُ الرَّأْيَ وَوَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُمْ هُوَ أَقْوَاهُمْ
عَلَيْهِمْ وَأَحْرَصُهُمْ عَلَى رُشْدِهِمْ وَلَمْ أَرِدْ مَحَابَاةَ عُمَرَ وَأَنَا خَارِجٌ مِنَ الدُّنْيَا
وَدَاخِلٌ فِي الْآخِرَةِ فَاخْلُفْنِي فِيهِمْ فَهُمْ عِبَادُكَ وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِكَ .

أَصْلِحْ لَهُمْ وَالْيَهُمَّ عُمَرَ ، وَاجْعَلْهُ مِنْ خُلَفَائِكَ الرَّاشِدِينَ يَتَّبِعْ هَدْيَ
نَبِيِّهِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَهَدْيَ الصَّالِحِينَ بَعْدَهُ وَأَصْلِحْ لَهُ أَمْرَ رَعِيَّتِهِ ، وَكَتَبَ بِهَذَا
الْعَهْدُ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَكُمْ وَلَمْ أَلْ نَفْسِي وَلَا
الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا .

ثُمَّ دَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ إِنِّي مُسْتَخْلِفُكَ عَلَى
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عُمَرُ إِنَّ لِلَّهِ حَقًّا فِي اللَّيْلِ لَا
يَقْبَلُهُ فِي النَّهَارِ وَحَقًّا فِي النَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّهَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى
تُؤَدَّى فَرِيضَةٌ وَإِنَّمَا ثَقُلْتَ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلْتَ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ
الْحَقَّ وَثَقُلَهُ عَلَيْهِمْ وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ غَدًا أَنْ يَكُونَ
ثَقِيلًا .

وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ الْبَاطِلَ
فِي الدُّنْيَا وَخَفَّتِهِ عَلَيْهِمْ وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ
خَفِيفًا يَا عُمَرُ إِنَّمَا نَزَلَتْ آيَةُ الرَّخَاءِ مَعَ آيَةِ الشَّدَّةِ وَآيَةُ الشَّدَّةِ مَعَ آيَةِ الرَّخَاءِ
لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاجِعًا رَاهِبًا فَلَا تُرْغَبُ فَتَمَنَّيَ عَلَى اللَّهِ فِيهَا مَا لَيْسَ لَكَ وَلَا
تُرْهَبَ رَهْبَةً تُلْقَى فِيهَا مَا بِيَدِكَ .

يَا عُمَرُ إِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَى أَعْمَالِهِمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ
مِنْ حُسْنٍ فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ .

وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ لِأَنَّهُ تَجَاوَزَ لَهُمْ مَا كَانَ
مِنْ سَيِّئٍ فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ أَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ أَعْمَلُ فَإِنْ حَفِظْتَ
وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ نَازِلٌ بِكَ وَإِنْ ضَيَّعْتَ
وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَكْرَهَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتَ تُعْجِزُهُ .

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ إِعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدِ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ
أَنْفُسَكُمْ وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَائِقَكُمْ وَاشْتَرَى مِنْكُمْ الْقَلِيلَ الْفَانِي بِالْكَثِيرِ
الْبَاقِي وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا يَطْفَى نُورُهُ فَصَدِّقُوا قَوْلَهُ
وَاسْتَنْصِحُوا كِتَابَهُ وَاسْتَضِيئُوا مِنْهُ لِيَوْمِ الظُّلْمَةِ .

وَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا مَرِضَ أَبُو بَكْرٍ مَرَضَهُ

الَّذِي مَاتَ فِيهِ قَالَ انظُرُوا مَا زَادَ فِي مَالِي مِنْذُ دَخَلْتُ الْأِمَارَةَ فابْعَثُوا بِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِي فَانظُرْنَا فَإِذَا عَبْدٌ نُوبِي يَحْمِلُ صَبِيَانَهُ وَإِذَا نَاصِحٌ كَانَ يَسْقِي بُسْتَانًا لَهُ فَبَعَثْنَاهُمَا إِلَى عُمَرَ فَبَكَى عُمَرُ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصُّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسِ التَّقْوَى فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى السُّوقِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ السُّوقَ قَالَ قَدْ جَاءَكَ مَا يُشْغِلُكَ عَنِ السُّوقِ .

قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يُشْغِلُنِي عَنْ عِيَالِي قَالَ نَفَرَضُ بِالْمَعْرُوفِ قَالَ وَنَحْ عُمَرَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا يَسْعِيَنِي أَنْ أَكُلَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا قَالَ فَانْفِقْ فِي سَتَيْنِ وَبَعْضِ أُخْرَى ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ قَدْ كُنْتُ قُلْتُ لِعُمَرَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا يَسْعِيَنِي أَنْ أَكُلَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا فَعَلَّيْنِي فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَخُذُوا مِنْ مَالِي ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَرُدُّوهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ قَالَ فَلَمَّا أَتَى عُمَرَ قَالَ: رَجِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ تَعَبًا شَدِيدًا .

وَأَخْرَجَ بَنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بِنِ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ قَالَ جَاءَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يُعَالِجُ مَا يُعَالِجُ الْمَيِّتُ وَنَفْسُهُ فِي صَدْرِهِ فَتَمَثَّلَتْ بِهِذَا الْبَيْتَ :

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى

إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصُّدْرُ

آخر : وَإِذَا الْمِنْيَةُ أَقْبَلَتْ لَمْ تَشْهَأْ خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ وَلَا أَمْوَالٌ

فَنَظَرَ إِلَيْهَا كَالْغَضْبَانِ ثُمَّ قَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنْ:

« وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَجِيدُ » إِنِّي كُنْتُ

نَحَلْتِكَ حَائِطًا وَإِنَّ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْئًا فَرَدَّيْتَهُ إِلَى الْمِيرَاثِ قَالَتْ نَعَمْ فَرَدَّدْتَهُ
فَقَالَ إِنَّا مُنذُ وَلِينَا أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ نَأْكُلْ لَهُمْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَكِنَّا قَدْ
أَكَلْنَا مِنْ جَرِيشِ طَعَامِهِمْ فِي بَطُونِنَا وَلَبْسِنَا مِنْ خَشَنِ ثِيَابِهِمْ عَلَى ظُهُورِنَا
وَلَيْسَ عِنْدِي مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا هَذَا الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ وَهَذَا
الْبُعَيْرُ النَّاصِخُ وَجَرَدُ هَذِهِ الْقَطِيفَةِ فَإِذَا مِتُّ فَابْعِثِي بِهِنَّ إِلَى عُمَرَ وَابْرَأِي
مِنْهُنَّ فَفَعَلْتُ .

فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ عُمَرَ بَكَى حَتَّى جَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَسِيلُ فِي الْأَرْضِ
وَيَقُولُ : رَجِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ رَجِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ
أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ يَا غُلَامُ ازْفَعْهُنَّ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ سُبْحَانَ اللَّهِ تَسْلُبُ عِيَالَ أَبِي بَكْرٍ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَبُعَيْرًا نَاصِخًا وَجَرَدًا
قَطِيفَةً تَمُنُّ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ .

قَالَ فَمَا تَأْمُرُ قَالَ تَرُدُّهُنَّ عَلَى عِيَالِهِ فَقَالَ لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ : - أَوْ كَمَا حَلَفَ - لَا يَكُونُ هَذَا فِي وَلَايَتِي
أَبَدًا وَلَا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنْهُنَّ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَرُدُّهُنَّ أَنَا عَلَى عِيَالِهِ ، الْمَوْتُ
أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ
آخِر :

تِلْكَ الرِّجَالُ وَغَبْنُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَالِي وَصْفِهِمْ رَجُلٌ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

أَبْنَ آدَمَ كَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ وَقَدْ فَجَأَكَ وَالْحَقَّكَ بِمَنْ قَدْ سَبَقَكَ مِنَ الْأُمَّمِ
وَنَقَلَكَ مِنَ الْقُلَلِ وَالْعَمَائِرِ إِلَى بَيْتِ الْوَحْدَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالظُّلَمِ وَمِنْ ذَلِكَ

إلى عَسْكَرِ الْمَوْتَى مُخَيَّمَةً بَيْنَ الْخِيَمِ مُفَرِّقًا مِنْ مَالِكَ مَا اجْتَمَعَ وَمِنْ
شَمْلِكَ مَا انْتَضَمَ وَلَيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ فَتَدْفَعُهُ بِكثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَلَا بِقُوَّةِ الْخَدَمِ
وَنَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ وَلَاتَ سَاعَةٌ نَدَمَ .

فِيَا عَجَبًا لِعَيْنِ تَنَامُ وَطَالِبُهَا مُجِدُّ فِي طَلِبِهَا لَمْ يَنْمَ، مَتَى تَحْذَرُ مِمَّا
تُوَعِدُ وَتُهَدِّدُ، وَمَتَى تَضُرُّمُ نَارَ الْخَوْفِ فِي قَلْبِكَ وَتَتَوَقَّدُ، إِلَى مَتَى حَسَنَاتِكَ
تَضْمَجِلُ وَسَيِّئَاتِكَ تَتَجَدَّدُ، وَإِلَى مَتَى لَا يَهُوُّ لَكَ زَجْرُ الْوَاعِظِ وَإِنْ شَدَّدَ وَإِلَى
مَتَى وَأَنْتَ بَيْنَ الْفُتُورِ وَالتَّوَانِي تَرُدُّ مَتَى تَحْذَرُ يَوْمًا تَنْطِقُ فِيهِ الْجُلُودُ
وَتَشْهَدُ وَمَتَى تُقْبَلُ عَلَى مَا يَبْقَى وَتَتْرُكُ مَا يَفْنَى وَيَنْفَدُ .

مَتَى تَهْبُ بِكَ فِي بَحْرِ الْوُجِدِ رِيحُ الْخَوْفِ وَالرَّجَا مَتَى تَكُونُ فِي
اللَّيْلِ قَائِمًا إِذَا سَجَى أَيْنَ الَّذِينَ عَامَلُوا مَوْلَاهُمْ بِالْإِخْلَاصِ وَأَنْفَرْدُوا وَقَامُوا
فِي الدُّجَى فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا وَقَدِمُوا إِلَى بَابِهِ فِي الْأَسْحَارِ وَوَفَدُوا وَصَامُوا
هَوَاجِرَ النَّهَارِ فَصَبَرُوا وَاجْتَهَدُوا ، لَقَدْ سَارُوا وَتَخَلَّفَتْ وَفَاتَكَ مَا وَجَدُوا
وَبَقِيَتْ فِي أَعْقَابِهِمْ وَإِنْ لَمْ تُسْرِعْ وَتَجْتَهِدْ بَعْدُوا .

فَتَنَّبَهُ وَتَيَقَّظْ يَا مَسْكِينُ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَادِمُ اللَّذَاتِ فَلَا تَقْدِرُ عَلَى
اسْتِدْرَاكِ لِمَا فَاتَ ، قَالَ اللَّهُ جَلًّا وَعَلَا ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ
وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴾ .

وَمُسْنَدُونَ تَعَاقَرُوا كَأَسِ الرَّدِيِّ وَدَعَا بِشَرِّهِمُ الْحِمَامُ فَأُسْرَعُوا
بَرَكَ الزَّمَانِ عَلَيْهِمُوا بِجِرَانِهِ وَهَفَّتْ بِهِمُ رِيحُ الْخَطُوبِ الزَّرْعُزْغُ
خَرَسُ إِذَا نَادَيْتَ إِلَّا أَنَّهُمْ وَعَظُّوا بِمَا يَزْعُ اللَّيِّبُ فَاسْمَعُوا
وَالدُّهْرُ يَفْتِكُ بِالنُّفُوسِ حِمَامُهُ فَلِمَنْ تُعَدُّ كَرِيمَةٌ أَوْ تُجْمَعُ

عَجَبًا لِمَنْ يُبْقِي دَخَائِرَ مَالِهِ وَيَظَلُّ يَحْفَظُهُنَّ وَهُوَ مُضَيِّعٌ
وَلِغَافِلٍ وَيَرَى بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ مُلْقَى لَهُ بَطْنُ الصَّحَائِفِ مُضْجَعٌ
أَتْرَاهُ يَحْسِبُ أَنَّهُمْ مَا أَسَارُوا مِنْ كَاسِهِ أَضْعَافَ مَا يَتَجَرَّعُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ
نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا
تَعْلَمُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
وَلِلَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ أَعْظَمُ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ التَّوْحِيدُ ، وَعَلَى حَسْبِ
كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انبْشَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (٣٩ :
٢٢) ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ .

وَقَالَ ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ
يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ، كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ .

فَالهُدَى وَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ وَالتَّشْرِكُ وَالتَّضَلُّلُ مِنْ
أَعْظَمِ أَسْبَابِ ضَيِّقِ الصَّدْرِ .

وَمِنْهَا النُّورُ الَّذِي يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ ، وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ ، فَإِنَّهُ
يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوسِّعُهُ ، وَيُفْرِحُ الْقَلْبَ ، فَإِذَا فَقَدَ هَذَا النُّورَ مِنَ الْقَلْبِ
ضَاقَ وَحَرَجَ وَصَارَ فِي أَضْيَقِ سِجْنٍ وَأَضْعَبِهِ .

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ ، قَالُوا وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، قَالَ الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ،
وَالْأَسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ .

فَنَصِيبُ الْعَبْدِ مِنْ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِحَسَبِ نَصِيبِهِ مِنْ هَذَا النُّورِ ،
وَكذَلِكَ النُّورِ الْحَسِيِّ وَالظُّلْمَةُ الْحَسِيَّةُ ، هَذِهِ تَشْرَحُ الصَّدْرَ وَهَذِهِ
تُضَيِّقُهُ .

وَمِنْهَا الْعِلْمُ فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوسِعُهُ ، حَتَّى يَكُونَ أَوْسَعَ مِنْ
الدُّنْيَا ، وَالْجَهْلُ يُورِثُهُ الضِّيقَ وَالْحَضْرَ وَالْحَبْسَ ، فَكُلَّمَا اتَّسَعَ عِلْمُ الْعَبْدِ
انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاتَّسَعَ .

وَلَيْسَ هَذَا لِكُلِّ عِلْمٍ بَلِ لِلْعِلْمِ الْمُرُوْثِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ ، فَأَهْلُهُ اشْرَحَ النَّاسَ صَدْرًا ، وَأَوْسَعَهُمْ
قُلُوبًا ؛ وَأَحْسَنَهُمْ وَأَطْيَبَهُمْ عَيْشًا .

قلت والله در القائل :

اجْعَلْ جَلِيسَكَ دَفْتَرًا فِي نَشْرِهِ

لِلْمَيْتِ مِنْ حِكْمِ الْعُلُومِ نُشُورُ

فَكِتَابُ عِلْمٍ لِلْأَدِيبِ مُؤَانِسُ

وَمُؤَدِّبٌ وَمُبَشِّرٌ وَنَذِيرُ

وَمُفِيدٌ آدَابٍ وَمُؤْنِسٌ وَحَشِيَّةُ

وَإِذَا انْفَرَدْتَ فَصَاحِبٌ وَسَمِيرُ

وَمِنْهَا الْأَنْابَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَحَبَّتُهُ بِكُلِّ الْقَلْبِ ، وَالْأَقْبَالِ

عَلَيْهِ ، وَالتَّعَمُّ بِعِبَادَتِهِ فَلَا شَيْءَ اشْرَحَ لِصَدْرِ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى لِيَقُولَ
أَحْيَانًا إِنْ كُنْتُ فِي الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ فَإِنِّي إِذَا فِي عَيْشٍ
طَيِّبٍ .

وَلِلْمَحَبَّةِ تَأْيِيرٌ عَجِيبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ ، وَطَيِّبِ النَّفْسِ ، وَنَعِيمُ

لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ لَهُ حِسٌّ بِهِ .

وَكَلَّمَا كَانَتْ الْمَحَبَّةُ أَقْوَى وَأَشَدَّ ، كَانَ الصَّدْرُ أَفْسَحَ وَأَشْرَحَ ، وَلَا

يَضِيقُ إِلَّا عِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَطَالِينِ الْفَارِغِينَ مِنْ هَذَا الشَّانِ فَرَوَيْتُهُمْ قَدَى
عَيْنِهِ ، وَمُخَالَطَتُهُمْ حُمَى رُوحِهِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ ضِيقِ الصَّدْرِ ، الْأَعْرَاضُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَعَلُّقُ
الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ ، وَالْعَقْلَةُ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَمَحَبَّةُ سِوَاهُ ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ
اللَّهِ عَذِبَ بِهِ ، وَسَجَنَ قَلْبَهُ فِي مَحَبَّةِ ذَلِكَ الْغَيْرِ .

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَى مِنْهُ ، وَلَا أَكْسَفُ بَالًا ، وَلَا أَنْكَدُ عَيْشًا وَلَا
أَتْعَبُ قَلْبًا .

فَهُمَا مَحَبَّتَانِ مَحَبَّةٌ هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا ، وَسُرُورُ النَّفْسِ ، وَنَعِيمُ
الرُّوحِ وَعَدَاوُهَا ، وَدَوَاؤُهَا ، بَلْ هِيَ حَيَاتُهَا ، وَقَرَّةُ عَيْنِهَا ، وَهِيَ مَحَبَّةُ
اللَّهِ وَحَدَهُ ، بِكُلِّ الْقَلْبِ ، وَأَنْجِدَابُ قُوَى الْمَيْلِ ، وَالْإِرَادَةِ ، وَالْمَحَبَّةِ
كُلُّهَا إِلَيْهِ .

وَمَحَبَّةٌ هِيَ عَذَابُ الرُّوحِ وَغَمُّ النَّفْسِ وَسَجَنُ الْقَلْبِ وَضِيقُ الصَّدْرِ
وَهِيَ سَبَبُ الْأَلَمِ وَالنَّكَدِ وَالْعَنَاءِ ، وَهِيَ مَحَبَّةٌ مَا سِوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ دَوَامَ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَفِي كُلِّ
مَوْطِنٍ فَلِلذِّكْرِ تَأْتِيرٌ عَجِيبٌ فِي إِشْرَاحِ الصَّدْرِ ، وَنَعِيمِ الْقَلْبِ ، وَلِلْعَقْلَةِ
تَأْتِيرٌ عَجِيبٌ فِي ضِيقِهِ ، وَحَبْسِهِ ، وَعَدَابِهِ .

وَمِنْهَا الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ وَنَفْعِهِمْ ، بِمَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالجَاهِ ،
وَالنَّفْعِ بِالْبَدَنِ ، وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحَ النَّاسَ
صَدْرًا ، وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا ، وَأَنْعَمَهُمْ قَلْبًا ، وَالْبَخِيلَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ
أَضِيقَ النَّاسَ صَدْرًا وَأَنْكَدَهُمْ عَيْشًا وَأَعْظَمَهُمْ هَمًّا وَعَمًّا .

وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّحِيحِ مَثَلًا
لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُتَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا هَمَّ ،
الْمُتَّصِدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ ، حَتَّى يَجْرُ ثِيَابُهُ وَيَعْفِي أُنْرَهُ

وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا وَلَمْ تَتَّسِعْ عَلَيْهِ .
فَهَذَا مِثْلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَّصِدِّقِ ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ ، وَمِثْلُ
ضَيْقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ ، وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ .

وَمِنْهَا الشَّجَاعَةُ ، فَإِنَّ الشُّجَاعَ مُنْشِرِحُ الصَّدْرِ ، وَاسِعُ الْبَطَانِ ،
مُتَّسِعُ الْقَلْبِ ، وَالْجَبَانَ ، أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا وَاحْصَرُهُمْ قَلْبًا ، لَا فَرْحَةَ
وَلَا سُورُورَ ، وَلَا لَذَّةَ ، وَلَا نَعِيمَ ، إِلَّا مِنْ جِنْسِ الْحَيَوَانَ الْبِهِيمِ .

وَمِنْهَا اخْرَاجُ دَغَلِ الْقَلْبِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ ، الَّتِي تُوجِبُ
ضَيْقَهُ ، وَعَذَابَهُ ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبُرِّ .

وَمِنْهَا تَرْكُ فُضُولِ النَّظَرِ ، وَالْكَلامِ ، وَالِاسْتِمَاعِ وَالْمُخَالَطَةِ وَالْأَكْلِ
وَالنَّوْمِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْفُضُولَ تَسْتَحِيلُ أَلَامًا وَغُمُومًا وَهُمُومًا فِي الْقَلْبِ
تَحْصُرُهُ ، وَتَحْسِبُهُ ، وَتَضْيِقُهُ ، وَيَتَعَذَّبُ بِهَا ، بَلْ غَالِبُ عَذَابِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ مِنْهَا .

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مَا أَضْيَقَ صَدْرَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ آفَةٍ مِنْ هَذِهِ
الْآفَاتِ بِسَهْمٍ ، وَمَا أَنْكَدَ عَيْشَهُ ، وَمَا أَسْوَأَ حَالَهُ ، وَمَا أَشَدَّ حَصْرَ قَلْبِهِ ،
وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَنْعَمَ عَيْشَ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ خِصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَحْمُودَةِ
بِسَهْمٍ ، وَكَانَتْ هِمَّتُهُ دَائِرَةً عَلَيْهَا حَائِمَةً حَوْلَهَا .

فَلِهَذَا نَصِبْتُ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (٨٢ : ١٣) ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي
نَعِيمٍ ﴾ وَلِذَلِكَ نَصِبْتُ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾
وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبٌ مُتَفَاوِتَةٌ ، وَلَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلَ الْخَلْقِ فِي كُلِّ
صِفَةٍ يَحْصُلُ بِهَا انْشِرَاحُ الصَّدْرِ ، وَاتِّسَاعُ الْقَلْبِ وَقُرَّةُ الْعَيْنِ ، وَحَيَاةُ
الرُّوحِ فَهُوَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي هَذَا الشَّرْحِ وَالْحَيَاةِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ ﴿ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فائدة عظيمة النفع

وقال رحمه الله لَيْسَ فِي الْوُجُودِ شَرٌّ إِلَّا الذُّنُوبُ وَمُوجِبَاتُهَا وَكَوْنُهَا ذُنُوبًا تَأْتِي مِنْ نَفْسِ الْعَبْدِ فَإِنَّ سَبَبَ الذَّنْبِ الظُّلْمُ وَالْجَهْلُ وَهُمَا مِنْ نَفْسِ الْعَبْدِ كَمَا أَنَّ سَبَبَ الْخَيْرِ الْحَمْدُ وَالْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالغِنَى .

وهي أمورٌ ذاتيةٌ للرَّبِّ وذاتُ الربِّ سبحانه ، مُسْتَلَزِمَةٌ لِلْحِكْمَةِ وَالْخَيْرِ وَالْجُودِ .

وذاتُ العبدِ مُسْتَلَزِمَةٌ لِلْجَهْلِ وَالظُّلْمِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ فَإِنَّمَا حَصَلَ لَهُ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنْ نَفْسِهِ .

فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَعْطَاهُ هَذَا الْفَضْلَ فَصَدَرَ مِنْهُ الْإِحْسَانُ وَالْبِرُّ وَالطَّاعَةُ .

وَمَنْ أَرَادَ بِهِ شَرًّا أَمْسَكَهُ عَنْهُ وَخَلَّاهُ ، وَدَوَّاعِي نَفْسِهِ وَطَبَعِهِ وَمُوجِبَاتُهَا فَصَدَرَ مِنْهُ مُوجِبُ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَقَبِيحٍ .

وَلَيْسَ مَنَعُهُ لِذَلِكَ ظُلْمًا مِنْهُ سَبْحَانَهُ فَإِنَّهُ فَضَّلَهُ وَلَيْسَ مَنْ مَنَعَ فَضْلَهُ ظَالِمًا لَا سِيَّيَا إِذَا مَنَعَهُ عَنْ مَحَلِّ لَا يَسْتَحِقُّهُ وَلَا يَلِيْقُ بِهِ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا الْفَضْلَ هُوَ تَوْفِيقُهُ وَإِرَادَتُهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَلْطَفَ بَعْبِدِهِ وَيُوفِّقَهُ وَيُعِينَهُ وَلَا يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَهَذَا مَحْضُ فِعْلِهِ وَفَضْلِهِ .

وهو سبحانه أَعْلَمُ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يَصْلَحُ لَهُذَا الْفَضْلُ وَيَلِيْقُ بِهِ وَيُثْمِرُ بِهِ وَيَبْزُكُو . وقد أشارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ الْإِنْعَامُ (٣٥) .

فأخبر سبحانه أنه أعلم بمن يعرف قدر هذه النعمة ويشكره عليها فإن أصل الشكر هو الاعتراف بانعام المنعم على وجه الخضوع والذل .

والمحبة . فَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ النِّعْمَةَ . بَلْ كَانَ جَاهِلًا بِهَا لَمْ يَشْكُرْهَا .

وَمَنْ عَرَفَهَا وَلَمْ يَعْرِفِ الْمُنْعَمَ بِهَا لَمْ يَشْكُرْهَا أَيْضًا وَمَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ
وَالْمُنْعَمَ لَكِنْ جَحَدَهَا كَمَا يَجْحَدُ الْمُنْكَرُ لِنِعْمَةِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ بِهَا فَقَدْ كَفَرَهَا .

وَمَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ وَالْمُنْعَمَ وَأَقْرَبَهَا وَلَمْ يَجْحَدْهَا وَلَكِنْ لَمْ يَخْضَعْ لَهُ وَيُحِبَّهُ
وَيَرْضَى بِهِ وَعَنْهُ لَمْ يَشْكُرْهَا أَيْضًا .

وَمَنْ عَرَفَهَا وَعَرَفَ الْمُنْعَمَ بِهَا وَخَضَعَ لِلْمُنْعَمِ بِهَا وَأَحَبَّهُ وَرَضِيَ بِهِ وَعَنْهُ
وَأَسْتَعْمَلَهَا فِي مَحَابِّهِ وَطَاعَتِهِ فَهَذَا هُوَ الشُّكْرُ لَهَا .

فَلَا بَدَّ فِي الشُّكْرِ مِنْ عِلْمِ الْقَلْبِ وَعَمَلِ يَتَّبِعُ الْعِلْمَ وَهُوَ الْمِيلُ إِلَى
الْمُنْعَمِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ .

كما في صحيح البخاري عن شداد ابن أوس قال قال رسول الله ﷺ :

« سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا
عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ
لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

« مَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ مُوقِنًا بِهَا فَهَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ قَالَهَا إِذَا
أَمْسَى مُوقِنًا بِهَا فَهَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

فَقَوْلُهُ : « أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ » يَتَضَمَّنُ الْأَقْرَارَ وَالْإِنَابَةَ إِلَى اللَّهِ
بِعِبَادِيَّتِهِ . فَالْعَبْدُ يَبُوءُ إِلَى اللَّهِ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَيَبُوءُ بِذَنْبِهِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ بِالْاعْتِرَافِ
بِهَذَا وَبِهَذَا رُجُوعَ مُطْمَئِنِّ إِلَى رَبِّهِ مَنِيبٍ إِلَيْهِ لَيْسَ رُجُوعَ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهُ .

فَهُوَ مَعْبُودُهُ وَهُوَ مُسْتَعَانُهُ لَا صِلَاحَ لَهُ إِلَّا بِعِبَادَتِهِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْبُدَهُ
إِلَّا بِإِعَانَتِهِ .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَجَلَ نِعْمِهِ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةٌ الْإِيْمَانِ بِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ
وَطَاعَتِهِ وَالرِّضَا بِهِ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَالتَّزَامَ عِبَادِيَّتِهِ .

ومن المعلوم أيضاً أن الأرواحَ منها الخبيثُ الذي لا أخبثَ منه ومنها الطيبُ . وبين ذلك وكذلك القلوبُ منها القلبُ الشريفُ الزكي والقلبُ الخسيسُ الخبيثُ .

وهو أعلمُ بالقلوبِ الزاكيةِ والأرواحِ الطيبةِ التي تصلحُ لاستقرار هذه النعمِ وإيداعِها عندها ويزكو بذرها فيها فيكون تخصيصُها لهذه النعمة كتخصيصِ الأرضِ الطيبةِ القابلةِ للبذرِ بالبذرِ .

فليسَ من الحكمةِ أن يبذرَ البذرَ في الصخورِ والرمالِ والسبخِ وفاعلُ ذلكَ غيرُ حكيمٍ فما الظنُّ ببذرِ الايمانِ والقرآنِ والحكمةِ ونورِ المعرفةِ والبصيرةِ في المحالِ التي هي أخبثُ المحالِ فالله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتهِ أصلاً وميراثاً .

فهو أعلمُ بمن يصلحُ لتحملِ رسالتهِ فيؤدِّيها إلى عبادِهِ بالأمانةِ والنصيحةِ ، تعظيمِ المرسلِ والقيامِ بحقهِ والصبرِ على أوامرهِ والشكرِ لنعمهِ والتقربِ إليه . ومن لا يصلحُ لذلكِ .

وكذلكَ هو سبحانه أعلمُ بمن يصلحُ من الأممِ لوراثةِ رُسلهِ والقيامِ بخلافتهمِ وحملِ ما بلَّغوهُ عن ربهمِ .

فالربُّ سبحانه إذا علمَ من محلِّ أهليةٍ لفضلهِ ومحبتِهِ ومعرفتِهِ وتوحيدهِ حببَ إليه ذلكَ ووَضَعَهُ فيه وكتبه في قلبِهِ ووفَّقه له وأعانهُ عليه وسرَّ له طُرُقَهُ وأغلقَ دُونَهُ الأبوابَ التي تحوُلُ بينَهُ وبينَ ذلكِ .

ثم تولاهُ بلطفِهِ وتُدبيرِهِ وتيسيرِهِ وتربيتِهِ أحسنَ من تربيةِ الوالدِ الشفيقِ الرحيمِ المحسنِ لولدهِ الذي هو أحبُّ شيءٍ إليه .

فلا يزالُ يُعامِلُهُ بلطفِهِ ويختصُّه بفضلهِ ويؤثِّره برحمتهِ ويمدّه بمعونتهِ ويؤيِّده بتوفيقهِ ويريه مواقعَ أحسانِهِ إليه وبرِّه به فيزدادُ العبدُ به معرفةً وله محبةٌ وإليه إنابةٌ وعليه توكلٌ . ولا يتولَّى معه غيره ولا يعبدُ معه سواه .

وهذا هو الذي عَرَفَ قَدَرَ النعمة وَعَرَفَ المنعمَ وأقرَّ بنعمتهِ وصرَفَها في مرضاته .

واقْتَضَتْ حِكْمَةُ الربِّ وَجُودَهُ وَكِرْمَهُ واحسانَهُ أن بَدَرَ في هذا القلبِ نورَ الايمانِ والمعرفةِ وسقاه بالعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ وأطْلَعَ عليه مِن نُورِهِ شَمْسَ الهدايةِ وصرَفَ عنه الآفاتِ المانعةِ مِن حُصولِ الثمرةِ .

فأَنْبَتَتْ أَرْضُهُ الزاكيةُ مِن كُلِّ زوجٍ كَرِيمٍ فَمَنْ لم يُنْبِتْ قلبَهُ شَيْئاً مِن الخيرِ البتةِ فهذا مِن أشقى الأشقياءِ .

فصلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ على مَنْ الهدى والبيانُ والشفاءُ والعصمةُ في كلامِهِ وفي أمثالهِ .

والمقصودُ أن اللَّهَ سُبْحانَهُ أَعْلِمُ بمواقعِ فَضْلِهِ ورحمتهِ وتوفيقِهِ وَمَنْ يَصْلِحُ لها وَمَنْ لا يَصْلِحُ وأن حكمتَهُ تَأبَى أن يَضَعَ ذَلِكَ عندَ غيرِ أهْلِهِ كما تَأبَى أن يَمْنَعَهُ مَنْ يَصْلِحُ لَهُ .

وهو سُبْحانَهُ الذي جَعَلَ المحلَّ صالِحاً وجَعَلَهُ أهلاً وقابلاً فَمِنه الإِعدادُ والإِمدادُ ومنه السَّبَبُ والمُسَبَّبُ .

وقال رحمه الله كمالُ العبدِ وصلاحُهُ يَتَخَلَّفُ عنه مِن إِحْدَى جهتين إما أن تكونَ طَبِيعَتُهُ يابِسةً غيرَ لينةٍ ولا مُنْقَادَةً ولا قابِلةً لِمَا به كمالُها وفلاحُها .

وإما أن تكونَ لينةً مُنْقَادَةً سَلِسَلَةً القِيادةِ لكنها غيرَ ثابتَةٍ على ذلك بَلْ سَرِيعَةً الانتقالِ عنه كثيرةُ التَّغَلُّبِ .

فَمَتى رُزِقَ العبدُ انقياداً لِلْحَقِّ وثباتاً عليه فَلْيَبْشِرْ فقد بُشِّرَ بكلِّ خَيْرٍ وذلك فَضْلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

وقال صِدْقُ التَّاهِبِ لِلِقَاءِ اللَّهِ مِن أَنْفَعِ ما لِلْعَبْدِ وَأَبْلَغُهُ في حُصولِ استقامتِهِ فإن مَنْ اسْتَعَدَّ لِلِقَاءِ اللَّهِ انْقَطَعَ قلبُهُ عن الدنيا وما فيها ومطالبِها

وَحَدَّتْ مِنْ نَفْسِهِ نِيرَانَ الشَّهَوَاتِ وَأُخْبِتَ قَلْبُهُ إِلَى اللَّهِ وَعَكَفَتْ هِمَّتُهُ عَلَى اللَّهِ
وعلى محبته وإيثار مرضاته .

واستحدثت همةً أخرى وعُلوماً آخرَ وولَدَ ولادةً أُخرى نِسْبَةَ قَلْبِهِ فِيهَا
إلى الدارِ الآخرةِ كَنِسْبَةِ جِسْمِهِ إِلَى هَذِهِ الدارِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فَيُولَدُ
قَلْبُهُ وَلادَةٌ حَقِيقِيَّةٌ كَمَا وُلِدَ جِسْمُهُ حَقِيقَةً وكَمَا أَنَّ بَطْنَ أُمِّهِ حِجَاباً لِجِسْمِهِ عَنِ
هَذِهِ الدارِ فَهَكَذَا نَفْسُهُ وَهَوَاهُ حِجَابٌ لِقَلْبِهِ عَنِ الدارِ الآخرةِ .

فَخُرُوجُ قَلْبِهِ عَنِ نَفْسِهِ بَارِزاً إِلَى الدارِ الآخرةِ كَخُرُوجِ جِسْمِهِ عَنِ بَطْنِ
أُمِّهِ بَارِزاً إِلَى هَذِهِ الدارِ وَهَذَا مَعْنَى مَا يُذَكَّرُ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
إِنَّكُمْ لَنْ تَلِجُوا مَلَكَوتَ السَّمَاءِ حَتَّى تُوَلَدُوا مَرَّتَيْنِ .

ولمَّا كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَمْ يُوَلَدُوا هَذِهِ الْوَلادَةَ الثَّانِيَةَ وَلَا تَصَوَّرُوهَا فَضْلاً
عَنْ أَنْ يُصَدِّقُوا بِهَا فَيَقُولُ الْقَائِلُ كَيْفَ يُوَلَدُ الرَّجُلُ الْكَبِيرُ أَوْ كَيْفَ يُوَلَدُ الْقَلْبُ
لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَيْهَا هِمَّةٌ وَلَا عَزِيمَةٌ إِذْ كَيْفَ يَعْزِمُ عَلَى الشَّيْءِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَلَا
يُصَدِّقُهُ وَلَكِنْ إِذَا كُشِفَ حِجَابُ الْغَفْلَةِ عَنِ الْقَلْبِ صَدَّقَ بِذَلِكَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ
يُولَدِ قَلْبُهُ بَعْدُ .

والمقصودُ أَنَّ صَدَقَ التَّأَهُبُ لِلِقَاءِ اللَّهِ هُوَ مِفْتَاحُ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ وَالْأَحْوَالِ الْإِيمَانِيَّةِ وَمَقَامَاتِ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ وَمَنَازِلِ السَّائِرِينَ
إِلَيْهِ مِنَ الْيَقِظَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَشْيَةِ وَالتَّفْوِيزِ وَالتَّسْلِيمِ
وَسَائِرِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ .

فمِفْتَاحُ ذَلِكَ كُلِّهِ صِدْقُ التَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادُ لِلِقَاءِ اللَّهِ وَالْمِفْتَاحُ بِيَدِ
الْفِتْحِ الْعَلِيمِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ .
شعرا :

وَأَهْوَى مِنَ الشُّبَّانِ كُلِّ مُجَنَّبٍ عَنِ اللَّهِ مُقَدِّمًا عَلَى كُلِّ طَاعَةٍ
لَهُ عِفَّةً عَنِ كُلِّ شَيْءٍ مُحَرَّمٍ وَذُو رَغْبَةٍ فِيمَا يَقُودُ لِجَنَّةِ

تَمَسَّكَ بِهِ إِنْ تَلَّقَهُ يَا أَحَا لْتُقَى تَمَسَّكَ ذِي بُحْلِ يَتَبَرِّ وَفَضَّةِ
وَصَلَّى اللّٰهَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فَضْلٌ)

وقال رحمه الله طوبى لمن أنصف فأقر له بالجهل في علمه ، والآفات في
عمله ، والعيوب في نفسه ، والتفريط في حقه ، والظلم في معاملته .
فإن أخذهُ بذنوبه رأى عدله ، وإن لم يؤخذه رأى فضله .
وإن عمل حسنة رآها من منته عليه ، فإن قبلها فمنة وصدقة ثانية ،
وإن ردّها فلكون مثلها لا يصلح أن يواجه به .

وإن عمل سيئة رآها من تحلّيه عنه ، وخذلانه له ، وإمساك عضمته ،
وذلك من عدله فيه .
فيرى في ذلك فقره إلى ربه وظلمه في نفسه ، فإن عفر له فبمحض
إحسانه وجوده وكرمه .

ونكتة المسألة وسرها أنه لا يرى ربه إلا محسناً ولا يرى نفسه إلا مسيئاً
ومفترطاً أو مقصراً .
فيرى كل ما يسره من فضل ربه عليه وإحسانه إليه ، وكل ما يسؤه
من ذنوبه .

وقال من لم يعرف نفسه كيف يعرف خالقه ؟ فاعلم أن الله خلق في
صدرك بيتاً وهو القلب . ووضع في صدره عرشاً لمعرفته يستوي عليه المثل
الأعلى ، فهو مستو على سرير القلب ، وعلى السرير بساط من الرضا .
ووضع عن يمينه وشماله مرافق شرائعه وأوامره ، وفتح إليه باباً من
جنة رحمته ، والأنس به ، والشوق إلى لقائه .

وأطره من وابل كلامه ما أنبت فيه من أصناف الرياحين والأشجار

المثمرة ، من أنواع الطاعات والتهليل والتسبيح والتحميد والتقديس .
وَجَعَلَ فِي وَسْطِ البُسْتَانِ شَجْرَةً مَعْرِفَتِهِ ، فَهِيَ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ
بِإِذْنِ رَبِّهَا مِنَ المَحَبَةِ وَالْإِنَابَةِ ، وَالخَشْيَةِ وَالفرحِ بِهِ ، وَالابْتِهَاجِ بِقُرْبِهِ ،
وَأَجْرَى إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، مَا يَسْقِيهَا مِنْ تَدَبُّرِ كَلَامِهِ وَفَهْمِهِ ، وَالْعَمَلِ
بوصاياهُ .

وَعَلَّقَ فِي ذَلِكَ البَيْتِ قِنْدِيلًا أَسْرَجَهُ بِضِيَاءِ مَعْرِفَتِهِ ، وَإِيَّانِ بِهِ
وَتَوْحِيدِهِ ، فَهُوَ يَسْتَمِدُّ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةِ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسُسُهُ نَارٌ .

ثُمَّ أَحَاطَ عَلَيْهِ حَائِطًا يَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ الْآفَاتِ وَالْمُفْسِدِينَ وَمَنْ يُؤْذِي
البُسْتَانَ ، فَلَا يَلْحَقُهُ أَذَاهُمْ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ حَرَسًا مِنَ المَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ فِي
يَقْظَتِهِ وَمَنَامِهِ .

ثُمَّ أَعْلِمَ صَاحِبُ البَيْتِ وَالبُسْتَانِ بِالسَّاكِنِ فِيهِ فَهُوَ دَائِمًا هُمًّا إِصْلَاحِ
السَّكَنِ وَلَمْ شَعْنِهِ لِيَرْضَاهُ السَّاكِنُ مَنْزِلًا .

وَإِذَا أَحَسَّ بِأَدْنَى شَعَثٍ فِي السَّكَنِ بَادَرَ إِلَى إِصْلَاحِهِ وَبِهِ ، خَشْيَةً
أَنْتَقَالَ السَّاكِنُ مِنْهُ ، فَنِعَمَ السَّاكِنُ ، وَنِعَمَ الْمَسْكِنُ فَسَبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
العَالَمِينَ .

كَمْ بَيْنَ هَذَا البَيْتِ وَبَيْتٍ قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهِ الخَرَابُ ، وَصَارَ مَأْوَى
لِلْحَشَرَاتِ وَالهُوَامِ ، وَمَحَلًّا لِالْقَاءِ الْأَنْتَانِ ، وَالْقَادُورَاتِ فِيهِ .

فَمَنْ أَرَادَ التَّخْلِيَّ وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ وَجَدَ خَرَبَةً لَا سَاكِنَ وَلَا حَافِظَ لَهَا .
وهي مُعَدَّةٌ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ ، مُظْلِمَةٌ الْأَرْجَاءِ ، مُتْنَنَةٌ الرَّائِحَةِ ، قَدْ
عَمَّهَا الخَرَابُ ، وَمَلَأَتْهَا الْقَادُورَاتُ . فَلَا يَأْنَسُ بِهَا وَلَا يَنْزِلُ فِيهَا إِلَّا مَنْ
يُنَاسِبُهُ سُكْنَاهَا مِنَ الحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ وَالهُوَامِ .

الشيطان جالس على سريرها وعلى السرير بساط الجهل وتحقق فيه
الأهواء ، وعن يمينه وشماله مرافق الشهوات .

وقد فتح إليه باب من حقل الخذلان والوحشة ، والركون إلى الدنيا ،
والطمأنينة بها ، والزهد في الآخرة .

وأطر من وابل الجهل والهوى والشرك والبدع ، ما أنبت فيه
أصناف الشوك والحنظل ، والأشجار المثمرة بأنواع المعاصي والمخالفات ،
من الزوائد والانتدابات ، والنوادر والهزليات والمضحكات ، والأشعار
الغزليات ، والخمريات التي تهيج على ارتكاب المحرمات ، وتزهد في
الطاعات .

وجعل في وسط الحقل شجرة الجهل به والإعراض عنه ، فهي تؤتي
أكلها كل حين من الفسوق والمعاصي ، واللهو واللعب والمجون ، والذهاب
مع كل ريح ، واتباع كل شهوة .

ومن ثمرها الهُموم والغُموم ، والأحزان والآلام ، ولكنها متوارية
باشتغال النفس بلهوها ولعبها . فإذا أفاق من سُكرها أحضرت كل هم
وغم وحزن وقلق ، ومعيشة ضنك .

وأجري إلى هذه الشجرة ما يسقيها من اتباع الهوى ، وطول الأمل
والغرور .

ثم ترك ذلك البيت وظلماته وخراب حيطانه بحيث لا يمنع منه مُفسد
ولا حيوان ، ولا مؤذ ولا قذر .

فسبحان خالق هذا البيت وذلك البيت ، فمن عرف بيته وقدر
الساكن فيه ، وقدر ما فيه من الكنوز والذخائر والآلات انتفع بحياته
ونفسه .

وَمَنْ جَهَلَ ذَلِكَ ، جَهَلَ نَفْسَهُ وَأَضَاعَ سَعَادَتَهُ . والله الموفق .

وقال أقامَ اللهُ سبحانه هذا الخلق بين الأمر والنهي والعطاء والمنع فافترقوا فرقةً قابلت أمره بالترك ، ونهيه بالارتكاب ، وعطاءه بالغفلة عن الشكر ، ومنعه بالسخط ؛ وهؤلاء أعداؤه ، وفيهم من العداوة بحسب ما فيهم من ذلك .

وقسمُ قالوا : إنما نحن عبيدك فإن أمرتنا سارعنا إلى الإجابة ، وإن نهيتنا أمسكنا نفوسنا وكففتنا عما نهيتنا عنه ، وإن أعطينا حمدناك وشكرناك ، وإن منعتنا تضرعنا إليك وذكرناك .

فليسَ بين هؤلاء وبين الجنة إلا ستر الحياة الدنيا ، فإذا مرَّ عليهم الموت ، صاروا إلى النعيم المقيم ، وقرّة الأعين كما أن أولئك ليسَ بينهم وبين النار إلا ستر الحياة الدنيا .

فإذا مرَّ الموت صاروا إلى الحسرة والألم . فإذا تصادمت جيوش الدنيا والآخرة في قلبك وأردت أن تعلم من أي الفريقين أنت فانظر مع من تميل منها ، ومن تقابل ؛ إذ لا يمكنك الوقوف بين الجيشين ، فانت مع أحدهما لا محالة .

فقسّم استغشوا الهوى فخالفوه ، واستنصحووا العقل فشاؤروه . وفرغوا قلوبهم للفكر فيما خلقوا له وجوارحهم للعمل بما أمروا به ، وأوقاتهم لعماريتها بما يعمر منازلهم في الآخرة .

واستظهروا على سرعة الأجل بالمبادرة إلى الأعمال وسكنوا الدنيا وقلوبهم مسافرة عنها .

واستوطنوا الآخرة قبل انتقائهم إليها ، واهتموا بالله وطاعته على قدر حاجتهم إليه ، وتزودوا للآخرة على قدر مقامهم فيها .

فَجَعَلَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَرَوْحَهَا ، أَنْ آتَسَهُمْ بِنَفْسِهِ ،
وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ ، وَجَمَعَهَا عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وَشَوَّقَهُمْ إِلَى لِقَائِهِ ، وَنَعَّمَهُمْ
بِقُرْبِهِ .

وَفَرَّغَ قُلُوبَهُمْ مِمَّا مَلَأَ بِهِ قُلُوبَ غَيْرِهِمْ مِنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ عَلَى
فَوْتِهَا ، وَالْغَمِّ مِنْ خَوْفِ ذَهَابِهَا .

فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوَعَرَهُ الْمُتَرْفُونَ ، وَأَنْسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ،
صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِهِمْ ، وَالْمَلَأَ الْأَعْلَى بِأَرْوَاحِهِمْ .

فائدة : وقال رحمه الله إذا أصبح العبدُ وأمسى وليسَ همُّهُ إلا اللهُ
وَحَدَهُ تَحْمَلُ اللهُ سُبْحَانَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمَلَ عَنْهُ كُلَّ مَا أَهَمَّهُ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ
وَلِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وَجَوَارِحَهُ لِطَاعَتِهِ .

وَأَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالِدُنْيَا هُمُّهُ حَمَلَهُ اللهُ هُمُومَهَا وَغُمُومَهَا وَأَنْكَادَهَا
وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ .

فَشَغَلَ قَلْبَهُ عَنْ مَحَبَّتِهِ بِمَحَبَّةِ الْخَلْقِ وَلِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ بِذِكْرِهِمْ وَجَوَارِحَهُ
عَنْ طَاعَتِهِ بِخِدْمَتِهِمْ وَأَشْغَاهِمِ .

فَهُوَ يَكْدَحُ كَدْحَ الْوَحْشِ فِي خِدْمَةِ غَيْرِهِ كَالْكَبِيرِ يَنْفِخُ بَطْنَهُ وَيَعْصِرُ
أَضْلَاعَهُ فِي نَفْعِ غَيْرِهِ .

فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ عِبُودِيَّةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ بُلِيَ بِعِبُودِيَّةِ الْمَخْلُوقِ
وَمَحَبَّتِهِ وَخِدْمَتِهِ .

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ ﴾ .

قال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لَا تَأْتُونَ بِمِثْلِ مَشْهُورٍ لِلْعَرَبِ إِلَّا جِئْتُمْ بِهِ مِنْ
الْقُرْآنِ .

فقال له قائل فأتين في القرآن أعط أخاك ثمرة فإن أبي فجمرة .
فقال في قوله تعالى ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا ﴾

الآية .

شِعْرًا :

وَفِي السُّقْمِ وَالْآفَاتِ أَعْظَمُ حِكْمَةٍ
مُيَقِّظَةٌ ذَا اللَّبِّ عِنْدَ التَّفَقُّدِ
يُنَادِي لِسَانَ الْحَالِ جِدُّوا لِتَرْحَلُوا
عَنِ الْمَنْزِلِ الْغَثَّ الْكَثِيرَ التَّنْكَدِ
أَتَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ بِالسُّقْمِ مُخْبِرًا
بَأَنَّكَ تَتْلُو الْقَوْمَ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدِ
فَخُذْ أُهْبَةً فِي الزَّادِ فَالْمَوْتُ كَائِنٌ
فَمَا مِنْهُ مِنْ مَنْجَا وَلَا عَنْهُ عُنْدِ
فَمَا دَارُكُمْ هَذِهِ بِدَارِ أَقَامَةٍ
وَلَكِنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَتَزْوُدِ
أَمَا جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَتَزْوُدُوا
فَمَا عُذْرٌ مَنْ وَافَاهُ غَيْرَ مُزْوَدِ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاجِلُ
تُقَرَّبُ مِنْ دَارِ الْإِلْقَا كُلِّ مُبْعَدِ
وَمَنْ سَارَ نَحْوَ الدَّارِ سِتِّينَ حِجَّةً
فَقَدْ حَانَ مِنْهُ الْمُلتَقَى وَكَأَنَّ قَدِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مِثْلُ سَفَرٍ تَتَابَعُوا
مُقِيمٌ لِتَهْوِينِ عَلَى اثْرِ مُغْتَدِي

وَمَنْ يَكُ عِزْرَائِيلَ كَافِلَ رُوحِهِ
فَإِنْ فَاتَهُ فِي الْيَوْمِ لَمْ يَنْجُ مِنْ غَدِ
وَمَنْ رُوحَهُ فِي الْجِسْمِ مِنْهُ وَدِيْعَةٌ
فَهَيْهَاتَ أَمِنْ يُرْتَجَى مِنْ مُرَدِّدِ
فَمَا حَقُّ ذِي لُبٍ يَبِيْتُ بِلَيْلَةٍ
بِلا كَتَبِ إِنْصَاءٍ وَإِشْهَادِ شُهْدِ
وَوَاجِبِ الْإِنْصَاءِ عَلَى الْمَرْءِ إِنْ يَكُنْ
عَلَيْهِ حُقُوقٌ وَاجِبَاتُ التُّرُدِّ
وَلَا بَأْسَ أَنْ يَخْبَا الْفَتَى كَفْنَا لَهُ
لِجَلِّ وَأَثَارِ الرُّضَى وَالتَّعْبُدِ
فَبَادِرْ مُجُومَ الْمَوْتِ فِي كَسْبِ مَا بِهِ
تَقُوزُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاجْهَدِ
فَكَمْ عَيْنٌ مَغْبُورٍ بِنِعْمَةٍ صِحَّةِ
وَنِعْمَةٍ إِمْكَانِ اكْتِسَابِ التَّعْبُدِ
فَنَفْسِكَ فَاجْعَلْهَا وَصِيكَ مُكْتَبَرًا
لِسَفَرَةِ يَوْمِ الْحَشْرِ طِيبَ التُّرُودِ
وَمِثْلُ وَرُودِ الْقَبْرِ مَهْمَا رَأَيْتَهُ
لِنَفْسِكَ نَفَاعًا فَقَدِّمُهُ تَسْعِدِ
فَمَا نَفَعَ الْإِنْسَانَ مِثْلُ اكْتِسَابِهِ
بِیَوْمِ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ كُلِّ مَخْتَدِ
كَفَى زَاجِرًا لِلْمَرْءِ مَوْتُ مُحْتَمِّمِ
وَقَبْرٌ وَأَهْوَالٌ تُشَاهَدُ فِي غَدِ

وَنَارٌ تَلْظَى أَوْعَدَ اللَّهُ مَنْ عَصَى
 فَمِنْ خَارِجٍ بَعْدَ الشَّقَا وَمُخَلَّدٍ
 وَيُسْأَلُ فِي الْقَبْرِ الْفَتَى عَنْ نَبِيِّهِ
 وَعَنْ رَبِّهِ وَالذِّينِ فِعْلٌ مُهَدِّدٍ
 فَمَنْ ثَبَّتَ اللَّهُ اسْتَجَابَ مُوَحِّدًا
 وَمَنْ لَمْ يُثَبِّتْ فَهُوَ غَيْرَ مُوَحِّدٍ
 وَتِلْكَ لَعْمَرِي آخِرُ الْفِتَنِ الَّتِي
 مَتَى تَنْجُو مِنْهَا فَزَتْ فَوْزَ مُخَلَّدٍ
 فَسَأَلَهُ التُّثْبِيتَ دُنْيَاً وَآخِرًا
 وَخَاتِمَةَ تَقْضِي بِفَوْزٍ مُؤَبَّدٍ

اللَّهُمَّ الْهَمَّا ذَكَرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا طَاعَتِكَ وَامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي الْحَيَاءِ

الْحَيَاءُ هُوَ انْقِبَاضُ النَّفْسِ عَنِ الْقَبَائِحِ وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ النَّفْسِ
 الْمَمْدُوحَةِ لِأَنَّ اشْتِمَازَ النَّفْسِ عَنِ الْقَبَائِحِ يَسْتَلْزِمُ تَرْكَهَا وَالْإِنْصِرَافَ عَنْهَا
 وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ صِفَاتِ النَّفْسِ وَأَجْلَاهَا قَدْرًا .

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْحَيَاءِ فَقَالَ شَيْءٌ يَتَوَلَّدُ بَيْنَ رُؤْيَةِ النَّعْمَاءِ وَرُؤْيَةِ
 التَّقْصِيرِ .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ : عِلَامَةُ الشَّقَاوَةِ خَمْسَةٌ ، قِلَّةُ الْحَيَاءِ ، وَقَسْوَةُ

الْقَلْبِ ، وَجُمُودُ الْعَيْنِ ، وَالرُّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا ، وَطُولُ الْأَمَلِ أهد .
فَالْحَيَاءُ خُلِقَ الْكِرَامُ وَسِمَةُ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ وَالشَّرَفِ ، وَعُنْوَانُ الْفَضْلِ
وَالنُّبْلِ ، وَلَقَدْ صَدَقَ أَهْلُ اللُّغَةِ حَيْثُ قَالُوا الْاسْتِحْيَاءُ مِنَ الْحَيَاءِ ،
وَاسْتِحْيَاءُ الرَّجُلِ مِنْ قُوَّةِ الْحَيَاءِ فِيهِ لِشِدَّةِ عِلْمِهِ بِمَوَاقِعِ الْعَيْبِ وَالذَّمِّ .

وَالْحَيَاءُ بَاعِثُهُ إِحْسَاسُ رَفِيقٍ ، وَشُعُورُ دَقِيقٍ ، يَبْدُو فِي الْعَيْنِ مَظْهَرُهُ
وَعَلَى الْوَجْهِ أَثْرُهُ ، وَمَنْ حُرِمَهُ حُرْمَ الْخَيْرِ كُلَّهُ ، وَمَنْ تَحَلَّى بِهِ ظَفِرَ بِالْعِزَّةِ
وَالْكَرَامَةِ ، وَنَالَ الْخَيْرَ أَجْمَعَ وَهُوَ رَيْنَةُ النُّفُوسِ يَصُدُّهَا عَنْ فِعْلِ مَا
يَشِينُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى التَّحَلِّيِ بِجَمِيلِ الْخِصَالِ فَهُوَ أَبَدًا لَا يَأْتِي إِلَّا
بِخَيْرٍ ، وَكَفَى خَيْرًا أَنْ يَكُونَ عَلَى الْخَيْرِ دَلِيلًا وَكَفَى بِضِدِّهِ الْبَدَاءُ أَنْ يَكُونَ
عَلَى الشَّرِّ دَلِيلًا وَإِلَيْهِ سَبِيلًا وَمِنْ الْحِكْمِ قَوْلُهُمْ مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ
يَرَى النَّاسَ عَيْبَهُ :

وَرُبَّ قَسِيحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي
وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ
وَيَقُولُ الْآخَرُ :

وَعَقْلُ الْمَرْءِ أَحْسَنُ حَلِيفَتَيْهِ
وَزِينُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا الْحَيَاءُ

آخِرُ : وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ أَنْ أَرَى حَلِيفَ غَوَانٍ أَوْ أَلِيفَ أَعْلَانِي

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ وَلَا أَدَبٌ فَذَلِكَ هُوَ الْحَمَارُ
تَرَاهُ فِي ذَوِي الْأَلْبَابِ ضَجْرًا وَمُلْتَجئًا إِلَى جَنْبِ الْجِدَارِ

أَمَّا انْقِبَاضُ النَّفْسِ عَنِ الْفَضَائِلِ فَلَا يُسَمَّى حَيَاءً بَلْ هُوَ خَوْرٌ وَجَبْنٌ
فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ أَحَدِ الْعُظَمَاءِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الصَّلَاةَ
وَيَأْتُونَ الْمُنْكَرَاتِ ، أَوْ عِنْدَ مَنْ يَتْرُكُونَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ وَانْقَبَضَتْ نَفْسُهُ عَنِ

فِعْلُ الْخَيْرِ وَانْبَسَطَ مَعَهُمْ لِفِعْلِ الشَّرِّ مُجَارَاةً وَمُطَابِقَةً لَهُمْ كَانَ
فِعْلُهُ جُبْنًا وَخَوْرًا وَمُدَاهَنَةً وَنِفَاقًا لَا حَيَاءَ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ
مِنْ مُجَامَلَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِي سَمَاعِ الْمُنْكَرَاتِ وَرُؤْيَيْهَا وَسَمَاعِ الْغَيْبَةِ
وَنَحْوِهَا فَهَذَا جُبْنٌ مَذْمُومٌ كُلُّ الدَّمِ وَصَاحِبُهُ شَرِيكٌ فِي الْإِثْمِ إِنْ لَمْ يُنْكِرْ أَوْ
يُفَارِقُهُمْ .

وَالْحَيَاءُ أَمَارَةٌ صَادِقَةٌ عَلَى طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ فَهُوَ يَكْشِفُ عَنْ قِيَمَةِ
إِيمَانِهِ وَمِقْدَارِ أَدَبِهِ فَعِنْدَمَا تَرَى الْإِنْسَانَ يَشْمِئُ وَيَتَحَرَّجُ مِنْ فِعْلٍ مَا لَا
يَنْبَغِي أَوْ تَرَى حُمْرَةَ الْخَجَلِ فِي وَجْهِهِ صَابِغَةً إِذَا بَدَرَ مِنْهُ مَا لَا يَلِيقُ فَاعْلَمْ
أَنَّهُ حَيٌّ الضَّمِيرُ نَقِيُّ الْمَعْدِنِ زَكِيُّ الْعُنْصُرِ وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَا يَكْتَرِثُ وَلَا
يُبَالِي فِيمَا يَبْدُرُ مِنْهُ فَهُوَ أَمْرٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَيْسَ وَازِعٌ يَمْنَعُهُ مِنْ ارْتِكَابِ
الْجَرَائِمِ ، وَاقْتِرَافِ الْآثَامِ الدُّنْيَا .

وَيَنْقَسِمُ الْحَيَاءُ إِلَى قِسْمَيْنِ حَيَاءٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا رَوَى ابْنُ
مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ
« اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالُوا إِنَّا نَسْتَجِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

قَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظْ
الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَلْيَذْكَرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ أَرَادَ
الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ،
رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : الْحَيَاءُ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ يَقْسِمُهُ رَأْسُ الْفَضَائِلِ
وَأَسَاسُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْعِفَّةِ
وَلِذَا وَرَدَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ الْحَيَاءُ خَيْرٌ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَالْبَدَأُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْبَدَأُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ الْبِنَاقِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَيَاءُ نِظَامُ الْإِيمَانِ .

هَذَا بَعْضُ مَا قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَيَاءِ وَهُوَ كَمَا تَرَى يَتَضَمَّنُ وَعَدَّ مَنْ اتَّصَفَ بِالْحَيَاءِ بِالْجَنَّةِ وَوَعِيدَ مَنْ اتَّصَفَ بِضِدِّهِ مِنَ الْبَدَأِ وَالْجَفَاءِ بِالنَّارِ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْحِكْمِ وَأَفْضَلِ الْمَوَاعِظِ فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَمْسِكُ بِالْحَيَاءِ وَلَا يَحِيدُ عَنْهُ إِلَّا عَاشَ فِي دُنْيَاهُ عَيْشَةً سَعِيدَةً حَمِيدَةً رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً وَظَفِرَ فِي آخِرَتِهِ بِالسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ إِذَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْحَيَاءَ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ حَيَاءٍ مِنَ النَّاسِ فَأَمَّا الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ كُلُّ الْفَضَائِلِ ، الَّتِي يَسْعَدُ بِهَا النَّاسُ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ فَإِنَّ الَّذِي يَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعَاصِيَ بَلْ يَحْفَظُ جَوَارِحَهُ كُلَّهَا عَنْهَا وَلَا يَتْرُكُ وَاجِبًا مَا دَامَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَمْرِهِ .

وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَجْزِيَ الْمُحْسِنَ بِأَحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَسَوَّاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَأَنَّهُ الَّذِي أَمَدَّهُ بِنِعْمِهِ كَمَا قَالَ ﴿ تَعَالَى وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً

وَبَاطِنَةٌ ﴿ وَقَالَ ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

وَأَنَّهُ الَّذِي فَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا وَأَنَّهُ مَدِينُ اللَّهِ فِي وُجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَفَنَائِهِ وَبَعْثِهِ وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ بَلْ مَضْطَرٌ إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ .

وَأَنَّهُ إِذَا فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَأَدْرَكَ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ دَقِيقِ الصُّنْعِ وَبَدِيعِ التَّرَكِيبِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِي مِنْ عِصْيَانِ ذَلِكَ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الْحَكِيمِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَيَنْتَهِيَ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ وَذَلِكَ هُوَ الْخَيْرُ كُلُّهُ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ .

وَهَذَا وَاضِحٌ لِأَنَّ الَّذِي يُطِيعُ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَ يَقُومُ بِالْوَاجِبَاتِ ، وَيَمْتَنِعُ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ فَلَا يَظْلِمُ وَلَا يَتَكَبَّرُ وَلَا يُنَافِقُ وَلَا يَكْذِبُ وَلَا يُرَاطِبُ وَلَا يُرَائِي وَلَا يَخُونُ وَيَتَجَنَّبُ جَمِيعَ سَفْسَافِ الْأُمُورِ ، وَيَعْمَلُ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ مِنَ الْعَدْلِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْحِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالصَّبْرِ وَالْعِفَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وَخَيْرٍ كَثِيرٍ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ يَعِيشُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَيْشَةً رَاضِيَةً وَيَحْيَا حَيَاةً هَيِّئَةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .
وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِوَسٍّ :

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ
 وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ
 حَيَاؤُكَ فَاَحْفَظْ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
 يَدُلُّ عَلَى فِعْلِ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ

اللَّهُمَّ يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ
 وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَأَمَّا الْحَيَاءُ مِنَ النَّاسِ فَهُوَ قِسْمَانِ الْأَوَّلُ أَنْ يَسْتَحِيَ الْمَرْءُ مِنَ
 النَّاسِ وَهُوَ جَائِزٌ بِأَنَّهُ لَا يَأْتِي هَذَا الْمُنْكَرَ وَلَا يَفْعَلُ هَذِهِ الرَّذِيلَةَ خَوْفًا مِنَ
 اللَّهِ تَعَالَى وَحَيَاءٌ مِنْهُ أَيْضًا وَلَوْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَهَذَا هُوَ
 الْحَازِمُ الَّذِي عَرَفَ كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنْ صِفَةِ الْحَيَاءِ ، وَيَأْخُذُ أَجْرَهَا كَامِلًا
 لِأَنَّ الْحَيَاءَ إِنَّمَا يُمْدَحُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ إِذَا تَرْتَبَ عَلَيْهِ الْكُفُّ عَنِ الْقَبَائِحِ
 الَّتِي لَا يَرْضَاهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

وَرُوِيَ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِيِّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ انْصَرَفُوا
 فَتَنَكَّبَ الطَّرِيقَ عَنِ النَّاسِ وَقَالَ لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِيَ مِنَ النَّاسِ .

إِذَا لَمْ تَصُنْ عِرْضًا وَلَمْ تَخْشَ خَالِقًا
 وَتَسْتَحِيَ مَخْلُوقًا فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعِ
 وَيَقَالُ خَمْسَةٌ أَشْيَاءُ تَقْبُحُ فِي خَمْسَةِ أَصْنَافٍ قَلَّةِ الْحَيَاءِ فِي ذَوِي
 الْأَحْسَابِ وَالْحِدَّةِ فِي السُّلْطَانِ ، وَالْبُخْلِ فِي ذَوِي الْأَمْوَالِ ، وَالْفُتُوَّةِ فِي

السُّيُوحِ ، وَالْحِرْصُ فِي الْعُلَمَاءِ ، وَالْقُرَاءُ .

الثاني : أَنْ يَتْرَكَ الْقَبِيحَ حَيَاءً مِنَ النَّاسِ بَحِيثٌ لَوْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ لَفَعَلَهُ وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلَاجٍ لِأَنَّهُ مَا دَامَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَيَاءِ وَهُوَ حَيَاؤُهُ مِنَ النَّاسِ فَقَطْ فَمَا دَامَ لَا يَفْعَلُ الْقَبَائِحَ بَيْنَهُمْ فَإِنَّهُ يَسْهُلُ تَذَكُّرُهُ بِعَظَمَةِ رَبِّهِ وَجَلَالِهِ وَأَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ الْمَطَّلِعُ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبَيِّنُ لَهُ أَنَّهُ لَا يَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ وَلَا مِنَ الْمَرْوَةِ أَنْ يُضَيِّعَ ثَوَابَ تَرْكِ الْقَبِيحِ بِانْصِرَافِهِ عَنِ مُمْلَاحِظَةِ خَالِقِهِ وَمُرَاقِبَةِ رَبِّهِ .

أَمَّا الَّذِي يُجَاهِرُ بِالْمَعَاصِي وَلَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ وَلَا مِنَ النَّاسِ فَهُوَ مِنْ شَرِّ مَا مُنِيَتْ بِهِ الْفَضِيلَةُ لِأَنَّ الْمَعَاصِي دَاءٌ سَرِيْعُ الْإِنْتِقَالِ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَسْرِي إِلَى النَّفْسِ الضَّعِيفَةِ فَيَعْمُ شَرُّ مَعْصِيَةِ الْمُجَاهِرِ وَيَتَفَاقَمُ خَطْبُهَا وَيَضَعَبُ عِلَاجُهَا فَضْلاً عَمَّا فِي الْمُجَاهِرَةِ مِنْ إِنْتِهَاكِ حُرْمَةِ الْفَضِيلَةِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهَا فَشَرُّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى النَّاسِ عَظِيمٌ وَخَطَرُهُ عَلَى الْفَضَائِلِ كَثِيرٌ .

شِعْرًا : إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرِكْ عُيُوبَهُمْ فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا مِنْكَ تَذَكَّرْ
مَتَى تَلْتَمِسَ لِلنَّاسِ عَيْبًا تُجِدْ بِهِمْ عُيُوبًا وَلَكِنْ رُبَّمَا فِيكَ أَكْثَرُ

شِعْرًا : إِذَا حُرِّمَ الْمَرْءُ الْحَيَاءَ فَإِنَّهُ بِكُلِّ قَبِيحٍ مِنْهُ كَانَ جَدِيرٌ
لَهُ قِحَّةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسِرُّهُ مُبَاحٌ وَخِذْنَاهُ خِنَاءٌ وَغُرُورٌ
يَرَى الشَّتْمَ مَدْحًا وَالذَّنَاءَةَ رِفْعَةً وَلِلسَّمْعِ مِنْهُ فِي الْعَطَاءِ نُفُورٌ
فَرَجَّ الْفَتَى مَا دَامَ حَيًّا فَإِنَّهُ إِلَى خَيْرِ حَالَاتِ الْمَيْبُتِ يَصِيرُ

آخِرُ : إِذَا لَمْ تَحْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَكَمْ تَسْتَحْيِي فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ الْحَيَاءُ

آخر : إذا المرء وافى الأربعين ولم يكن
له دُونَ ما يَهْوَى حَياءً ولا سِتْرُ
فدَعُهُ ولا تَنفُسُ عليه الذي أتى

وَإِنَّ جَرَّ أَسبابِ الحِياةِ لَهُ الدَّهْرُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَلَدُّونَ بِذِكرِ فُسُوقِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ وَيَتَبَجَّحُونَ
بِتَعَدادِ جَرائِمِهِمْ وَجَنائِياتِهِمْ فَيُذَيِّعُونَ لِجُلَسائِهِمْ ما سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ
فَيُعَرِّضُونَ أَنفُسَهُمْ لِعُقُوبَةِ الدُّنْيا وَلِلْجَرمانِ مِنَ عَفْوِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَفِي
هُؤُلاءِ وَأَمثالِهِمْ يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ أُمَّتِي مُعافِي إِلاَّ
المُجَاهِرُونَ فَيَجِبُ أَنْ لا يَتَرَكُوا أَوْلِيكَ الَّذِينَ يُجَاهِرُونَ بِارْتِكابِ المُوبِقاتِ
يَعِيشُونَ بَيْنَهُمْ بَلْ يَجِبُ عَلَيَّ كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَبْذِلَ مَجْهُوداً فِي رَدِّهِمْ عَن
غِيْهِمْ بِكُلِّ ما يَسْتَطِيعُ مِنَ النِّصِيحَةِ وَالإِرشادِ وَغَيرِها .

وَخَيْرُ عِلاجٍ لِلقُضاءِ عَلَيَّ هُؤُلاءِ مُقاطِعَتُهُمْ وَعَدَمُ مُخالِطَتِهِمْ وَعَدَمُ
اجابَةِ دَعوتِهِمْ وَالابْتِعادُ عَنْهُمْ وَاحْتِقادُهُمْ فِي مَجالِسِهِمْ وَالانْصِرافُ عَن
حَدِيثِهِمْ إِنْ ابْتَلَى بِهِمْ حَتَّى يَرْجِعُوا عَن غِيْهِمْ وَيَكفُوا عَنِ المُجَاهِرَةِ
بِجَرائِمِهِمْ .

وَمِنَ الأَسفِ أَنَّ المُجَاهِرَةَ بِالْمَعَاصِي قَدْ فَشَتْ فِي زَمَنا بَدُونَ حَياءِ
مِنَ اللهِ وَلا مِنَ النَّاسِ فَلا شابُّ يُنْزِجِرُ وَلا شَيْخٌ يَرْعوي وَلا رَجُلٌ تُدْرِكُهُ
الغِيرةُ وَلا امْرَأَةٌ يَغْلِبُ عَلَيْها الحِياءُ فَتَتَحَفَظُ وَتَسْتَرُ ، وَهَذا مُؤدِّنٌ بِعُقُوبَةِ
واللهِ أَعْلَمُ لِأَنَّ الأَمَمَ تَحيا حِياةً طَيِّبَةً بِالتَّمسُكِ بِالفِضائِلِ ، وَتَعِيشُ عِيشَةً
سَعِيدَةً بِاجْتِنابِ الرِّدائِلِ فَإِذا انْتَهَكَتِ المَحارِمُ ، وَغَلَبَتِ الشَّهواتُ ، وَضاعَ
الحِياءُ فَمَذا يُرْتَجى بَعْدَ ذَلِكَ مِن عِيشٍ وَرَءاهُ سَخَطُ اللهِ وَعِقابُهُ وَمَقْتَهُ
وَعَذابُهُ فَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

شعرا : فَشَرُّ العالِمِينَ ذُوو نِفاقٍ وَإِشراكٍ بَرِّبِ العالِمِنا
وَخَيْرُ النَّاسِ ذُو دِينٍ مَيِّينٍ وَتَعْظِيمِ لِرَبِّ العالِمِنا

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْحَيَاءَ كَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ
وَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِسْلَامَ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجُرُّ إِلَى الْكَمَالَاتِ وَإِلَى الْفَضَائِلِ فَمَنْ لَمْ
يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاءِ حَقِيقَةً فَلْيَقْتَدِي بِهِمْ وَالْيَتَسَبَّهُ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ خَاصَّةُ
الْفُضَلَاءِ .

فَذُو الْحَيَاءِ الْخُلُقِيِّ يَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنَ الْعُدْوَانِ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ ذُو
الْحَيَاءِ لَا تَبْدُرُ مِنْهُ بَادِرَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفَضَائِلِ تَنَافِي ذُو الْحَيَاءِ لَا يُقَدِّمُ عَلَى
الزَّانَا بَلْ وَلَا عَلَى مُغَازَلَةِ النِّسَاءِ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ الْفُسُوقِ وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى
مُعَامَلَةٍ فِي الرَّبَا لِعِلْمِهِ أَنَّ مُتَعَاطِي الرَّبَى الْعَالِمَ بِتَحْرِيمِهِ مُحَارِبٌ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ .

ذُو الْحَيَاءِ لَا يَغْشَى أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ لِعِلْمِهِ بِتَحْرِيمِ الْغَشْرِ وَأَنْ مَنْ غَشَّنَا
فَلَيْسَ مِنَّا ذُو الْحَيَاءِ لَا يَغْتُو فِي لُحُومِ الْغَوَائِلِ ، ذُو الْحَيَاءِ لَا يَنْقُلُ كَلَامَ
مُؤْمِنٍ إِلَى أَحِيهِ لِقَصْدِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ ذُو الْحَيَاءِ لَا يِعْقُ وَالِدِيهِ وَلَا يَقْطَعُ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ وَلَا يَشْهَدُ بِالزُّورِ وَلَا يُؤْذِي جِيرَانَهُ .

صَاحِبُ الْحَيَاءِ يَتَّبِعُ عَنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَعَنْ الْمُجَاهَرَةِ بِالْمَعَاصِي فَلَا
يَخْلِقُ لِحَيْتِهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ بِذَلِكَ عَاصٍ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا يُخْنِفُ وَلَا
يَجْعَلُ تَوَالِيَتَ لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ تَشْبَهُ بِالْأَفْرَنْجِ وَلَا يَسْتَعْمِلُ الْمَلَاهِي بِأَنْوَاعِهَا
مِنْ تَلْفِيزِيُونٍ أَوْ سِينِمَاءٍ أَوْ مِذْيَاعٍ أَوْ كُرَّةٍ أَوْ بَكْمٍ أَوْ عُوْدٍ أَوْ فِدْيُو أَوْ نَحْوِ
ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي زَمَانِنَا كَالْمَذْكُورَاتِ .

صَاحِبُ الْحَيَاءِ لَا يَشْرَبُ الدُّخَانَ أَوْ إِنْ بُلِيَ بِهِ فَلَا يَشْرَبُهُ فِي

الأسواقِ وَمَجَامِعِ النَّاسِ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ إِذَا جَاهَرَ بِهِ فِي ذَلِكَ إِزْدَادَ إِثْمُهُ وَعَظْمَ جُرْمُهُ ذُو الْحَيَاءِ لَا يَخْلُو بِامْرَأَةٍ لَا مَحْرَمَ مَعَهَا لَا فِي بَيْتٍ وَلَا فِي سَيَّارَةٍ وَلَا فِي أَيِّ مَحَلٍّ لِعِلْمِهِ أَنَّ خَلْوَةَ بِالْأَجْنَبِيَّةِ مُحْرَمٌ لِلْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ .

صَاحِبُ الْحَيَاءِ لَا يَبِيعُ وَيَشْتَرِي فِي صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مُجَسَّدَةً أَوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةٍ وَلَا يَبِيعُ آيَاتِ اللَّهِ كَالْتَلْفِزِيُونِ وَالسَّيْنَمَا وَالْمِذْيَاعِ لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ مُحْرَمٌ وَأَنَّهُ بَتْعَاطِيهِ ذَلِكَ يَكُونُ مُعِينًا عَلَى نَشْرِ الْمَعَاصِي فِي أَرْضِ اللَّهِ بَلْ وَلَا يُصَلِّحُهَا لِأَنَّ ذَلِكَ مُسَاعَدَةٌ عَلَى الْمَعَاصِي .

وَالْأَجْرَةُ حَرَامٌ الَّتِي تَأْتِي مُقَابِلَ تَصْلِيحِ آيَاتِ اللَّهِ وَالْفُسُوقِ وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ بَاقِيَ الْمُحْرَمَاتِ فَصَاحِبُ الْحَيَاءِ الْخُلُقِيِّ يَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ وَمَنْ اسْتَحَى مِنَ اللَّهِ لَمْ يُعْضِبْهُ . صَاحِبُ الدِّينِ وَالْحَيَاءِ لَا يَعْمَرُ قُصُورًا لِلْأَعْرَاسِ وَلَا يُشَارِكُ فِي عِمَارَتِهَا لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ يُصَادِمُ تَحْقِيفَ الصَّدَاقِ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ لَتَكْثِيرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَعِصِمَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ عَنْ عِمَارَتِهَا وَالْمُشَارَكَةِ فِيهَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَقِيئًا مُمَقَّتًا فَإِذَا لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَقِيئًا مُمَقَّتًا نَزَعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا فَإِذَا لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةَ لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا رَجِيمًا مُلْعَنًا نَزَعَتْ مِنْهُ رَبَقَةُ الْإِسْلَامِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وَهَذَا تَرْتِيبٌ دَقِيقٌ فِي وَصْفِهِ لَأَمْرَاضِ النُّفُوسِ وَتَتَبِعِهِ لِأَطْوَارِهَا وَكَيْفَ تُسَلِّمُ كُلَّ مَرَحَلَةٍ خَبِيثَةٍ إِلَى أُخْرَى أَشَدَّ نَكْرًا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَزَّقَ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ وَلَمْ يَتَهَيَّبْ عَلَى عَمَلِهِ حِسَابًا وَلَمْ يَخْشَ فِي سُلُوكِهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ مَدَّ يَدَ الْأَذَى لِلنَّاسِ

وَطَفَى عَلَى كُلِّ مَنْ يَقَعُ فِي سُلْطَانِهِ .

وَمِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ الشَّرِسِ لَنْ تَجِدَ لَهُ قَلْبًا يَعْطِفُ عَلَيْهِ بَلْ يَغْرِسُ الضَّغَائِنَ فِي الْقُلُوبِ وَيُنَمِّيهَا وَأَيُّ شَخْصٍ جَرِيءٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى النَّاسِ وَلَا يَرُدُّهُ عَنِ الْإِثَامِ حَيَاءٌ فَإِذَا صَارَ الشَّخْصُ بِهِذِهِ الْمَثَابَةَ لَمْ يُؤْتَمَنَ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ إِذْ كَيْفَ يُؤْتَمَنَ عَلَى أَمْوَالٍ لَا يَخْجَلُ مِنْ أَكْلِهَا أَوْ عَلَى أَعْرَاضٍ لَا يَسْتَحِي مِنْ فَضْحِهَا أَوْ عَلَى مَوْعِدٍ لَا يَهْمُهُ أَنْ يُخْلِفَهُ أَوْ عَلَى وَاجِبٍ لَا يُبَالِي أَنْ يُفْرَطَ فِيهِ أَوْ عَلَى بِضَاعَةٍ لَا يَتَنَزَّهُ عَنِ الْغِسِّ فِيهَا .

فَإِذَا فَقَدَ الشَّخْصُ حَيَاءَهُ وَفَقَدَ أَمَانَتَهُ أَصْبَحَ وَخْشِيًّا كَاسِرًا يَنْطَلِقُ مُعْرِبِدًا وَرَاءَ شَهْوَاتِهِ وَيَدُوسُ فِي سَبِيلِهَا أَرْكَى الْعَوَاطِفِ فَهُوَ يَغْتَالُ أَمْوَالَ الْفُقَرَاءِ غَيْرَ شَاعِرٍ نَحْوَهُمْ بِرِقَّةٍ وَيَنْظُرُ إِلَى الْمُنْكَوبِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فَلَا يَهْتَزُّ فُؤَادُهُ بِشَفَقَةٍ فَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا مَا يُغْوِيهِ وَيُغْرِيبُهُ بِالْمَزِيدِ .

وَيَوْمَ يَبْلُغُ امْرُؤٌ هَذَا الْحَضِيضَ فَقَدْ أَفْلَتَ مِنْ قِيُودِ الدِّينِ وَانْخَلَعَ مِنْ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلِلْحَيَاءِ مَوَاضِعٌ يُسْتَحَبُّ فِيهَا فَالْحَيَاءُ فِي الْكَلَامِ يَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يُطَهَّرَ فَمَهُ مِنَ الْفُحْشِ وَأَنْ يُنَزَّهَ لِسَانَهُ عَنِ الْعَيْبِ وَأَنْ يَخْجَلُ مِنْ ذِكْرِ الْعَوْرَاتِ فَإِنَّ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ أَنْ تُفْلَتِ الْأَلْفَاظُ الْبَدِئَةُ مِنَ الْمَرْءِ غَيْرِ عَابِيءٍ بِمَوَاقِعِهَا وَأَثَارِهَا وَمِنَ الْحَيَاءِ أَنْ يَقْتَصِدَ الْمُسْلِمُ فِي الْكَلَامِ فِي تَحَدُّثِهِ فِي الْمَجَالِسِ أَنْتَهَى .

شِعْرًا : هَذِهِ قَصِيدَةٌ مَمْلُوءَةٌ حِكْمًا رَائِعَةً لَا يَسْتَفْنِي عَنْهَا اللَّيْبُ :

أَحْسِنُ جَنَى الْحَمْدِ تَغْنَمَ لَذَّةِ الْعُمْرِ
وَذَاكَ فِي بَيَاهِرِ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَرِ

هَمُّ الْفَتَى الْمَاجِدِ الْغَطْرِيفِ مَكْرُمَةٌ
يَضُوعُ نَادِي الْمَلَا مِنْ نَشْرِهَا الْعَطْرِ
وَحَلِيَّةُ الْمَرْءِ فِي كَسْبِ الْمَحَامِدِ لَا
فِي نَظْمِ عِقْدٍ مِنَ الْعَقِيَانِ وَالذَّرِيرِ
تَكْسُو الْمَحَامِدُ وَجْهَ الْمَرْءِ بَهْجَتَهَا
كَمَا اكْتَسَى الزَّهْرُ زَهْرَ الرَّوْضِ بِالْمَطْرِ
يُخَلِّدُ الذِّكْرُ حَمْدًا طَابَ مَنْشُؤُهُ
وَلَيْسَ يَمْحُو الْمَزَايَا سَالِفُ الْعُصْرِ
تَمَيَّزَ النَّاسُ بِالْفَضْلِ الْمُبِينِ كَمَا
تَمَيَّزُوا بَيْنَهُمْ فِي خِلْقَةِ الصُّورِ
بِقَدْرِ مَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ
وَبِالْفَضَائِلِ كَانَ الْفَرْقُ فِي الْبَشْرِ
مَا الْفَضْلُ فِي بَزَّةٍ تَزْهُو بِرُؤَيْقِهَا
وَأَيُّ فَضْلٍ لَا بُرَيْزٍ عَلَى مَدْرِ
وَإِنَّمَا الْفَضْلُ فِي عِلْمٍ وَفِي آدَبٍ
وَفِي مَكَارِمٍ تَجْلُو صِدْقَ مُفْتَخِرِ
فَلَا تُسَاوِ بِأَخْلَاقٍ مُهْدَبَةٍ
أَخْلَاقَ سُوءٍ أَتَتْ مِنْ سَارِحِ الْبَقْرِ
وَأَخَذَ بِمَنْهَجِ مَنْ يَعْصِي هَوَاهُ وَقَدْ
أَطَاعَ أَهْلَ الْحِجَا فِي كُلِّ مُؤْتَمَرِ
إِنَّ الْهَوَى يُفْسِدُ الْعَقْلَ السَّلِيمَ وَمَنْ
يَعْصِي الْهَوَى عَاشَ فِي أَمْنٍ مِنَ الضَّرْرِ

وَجَاهِدِ النَّفْسَ فِي غِيٍّ يُلِمُّ بِهَا
 كَيْلًا تُمَائِلَ نَذْلًا غَيْرَ مُعْتَبِرِ
 وَفِي مَعَاشِرَةِ الْأَنْذَالِ مَنْقِصَةٌ
 بِهَا يَعُمُّ الصَّدَا مِرَاةَ ذِي فِكْرِ
 وَلَيْسَ يَبْلُغُ كُنْهَ الْمَجْدِ غَيْرُ فَتَى
 يَرَى اكْتِسَابَ الْمَعَالِي خَيْرَ مُتَجَرِّ
 إِنَّ الْكَرِيمَ يَرَى حَمْلَ الْمَشَقَّةِ فِي
 نَيْلِ الْعُلَى مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ فَاصْطَبِرِ
 فَالصَّبْرُ عَوْنُ الْفَتَى فِيمَا تَجَشَّمَهُ
 إِنَّ السِّيَادَةَ نَهَجٌ وَاصِحُّ الْوَعْرِ
 وَأَفْضَلُ الصَّبْرِ صَبْرٌ عَنْ مُهْيَاةِ
 مِنَ الْمَعَاصِي لِخَوْفِ اللَّهِ فَازْدَجِرِ
 وَاصْبِرْ عَلَى نَصَبِ الطَّاعَاتِ تُحَظَّ بِمَا
 أَمَلْتَهُ مِنْ عَظِيمِ الصَّفْحِ مُغْتَفِرِ
 نَيْفٌ وَسَبْعُونَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ أَتَتْ
 فِي الصَّبْرِ فاعْمَلْ بِهَا طُوبَى لِمُصْطَبِرِ
 وَعِشْ مُحَلًّا بِأَخْلَاقِ مَحَاسِنُهَا
 تُجَلِّي عَلَى أَوْجِهِ الْأَيَّامِ كَالْفَرَرِ
 دِينَ بِهِ عِزْمَةٌ مِنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ
 وَكُلُّ مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ بِرٍّ فَلَا تَذِرِ
 إِنَّ الْعَفَافَ جِمَى لِلنَّسْلِ صُنْهُ بِهِ
 إِذَا أَصَعَّتِ الْجِمَى يَرْعَاهُ كُلُّ جَرِي

قَدْ قِيلَ عَفُوا تَعْفَنَ النِّسَاءُ وَفِي
مُنْقَالَ خَيْرٍ فَشَرُّ أَوْضَحِ النُّذْرِ
وَمِنْ جَمَالِ الْفَتَى صِدْقُ الْعَفَافِ فَكُنْ
بِهِ مُحَلَّى خَلِيقاً مُتَّهَى الْعُمْرِ
وَالزَّمْ فَوَائِدَ تَقْوَى اللَّهِ تَعْلُ بِهَا
إِنِّي سَأُورِدُهَا عَنْ مُحْكَمِ الزُّبْرِ
فَبِالْتَّقَى مَخْرَجٌ مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ
وَالْحِفْظُ مِنْ صَوْلَةِ الْأَعْدَا مَعَ الظَّفْرِ
وَالرِّزْقُ فِي دَعَاةِ بِالْحِلِّ مُقْتَرِنٌ
وَحُسْنُ عَاقِبَةٍ فِي خَيْرِ مُدْخِرِ
وَجَاءَ نُورٌ بِهِ تَمْشِي وَمَغْفِرَةٌ
مِنَ الذُّنُوبِ وَمَنْجَاةٌ مِنَ الْحَذْرِ
بِهِ الْبَشَارَةُ فِي الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
بِهِ النَّجَاةُ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّرِّ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَغْشَى الْمُتَّقِي وَلَهُ
قَبُولُهُ وَلَهُ الْإِكْرَامُ فَاعْتَبِرِ
وِبِالْتَّقَى تَغْنَمِ الْإِضْلَاحِ فِي عَمَلِ
وَتَسْتَفِيدُ بِهِ عِلْماً بِلا سَهْرِ
وَنَفْعُ ذَلِكَ لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدٌ
وَنَصُّ ذَلِكَ فِي آيِ الْكِتَابِ قُرِي
وَخَيْرُ مَا يَقْتَنِي الْإِنْسَانُ إِنْ كَرُمَتْ
أَخْلَاقُهُ وَاسْتَفَادَتْ رِقَّةَ السَّحْرِ

وَمِنْ مَكَارِمِهَا عَشْرٌ عَلَيْكَ بِهَا
 فَإِنَّهَا حِكْمٌ تُرَوَى عَنِ الْأَثَرِ
 صِدْقُ الْحَدِيثِ فَلَا تَعْدِلْ بِهِ خُلُقاً
 تَبَاغٌ مِنَ الْمَجْدِ أَبْهَى بِأَذْخِ السُّرْرِ
 وَكُنْ خَلِيقاً بِصِدْقِ الْبَأْسِ يَوْمَ وَغَى
 فَسْرٌ عَيْبِ الْفَتَى بِالْجُبْنِ وَالْخَوْرِ
 أَحِبُّ مُنَادِي الْعُلَى فِي خَوْضِ غَمْرَتِهَا
 فَالِعِزُّ تَحْتَ ظِلَالِ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
 بِالصَّبْرِ يَكْتَسِبُ الْمِقْدَامَ نُصْرَتَهُ
 وَيُلْبَسُ الضِّدَّ مِنْهُ ثَوْبَ مُنْذَعِرِ
 وَلَا يُدَيِّنِي لَهُ الْإِقْدَامُ مِنْ أَجَلِ
 يَكْفِي حِرَاسَتَهُ مُسْتَأْخِرُ الْقَدْرِ
 وَاحْرِضْ عَلَى عَمَلِ الْمَعْرُوفِ مُجْتَهِداً
 فَإِنَّ ذَلِكَ أَرْجَى كُلِّ مُنْتَظَرِ
 وَلَيْسَ مِنْ حَالَةٍ تَبْقَى كَهَيْئَتِهَا
 فَاغْنِمِ زَمَانَ الصَّفَاءِ خَوْفاً مِنَ الْكَدْرِ
 وَلَا يَضِيعُ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
 مَعْرُوفٌ مُسْتَبْصِرٌ أَنْتَى أَوْ الذِّكْرِ
 إِنْ لَمْ تُصَادِفْ لَهُ أَهْلاً فَأَنْتَ إِذَا
 كُنْ أَهْلُهُ وَاصْطَنَعَهُ غَيْرَ مُقْتَصِرِ
 اغْثِ بِإِمْكَانِكَ الْمَلْهُوفَ حَيْثُ أَتَى
 بِالْكَسْرِ فَاللَّهُ يَرْعَى حَالَ مُنْكَسِرِ

وَكَا فِئْنَ ذَوِي الْمَعْرُوفِ مَا صَنَعُوا
إِنَّ الصَّنَائِعَ بِالْأَحْرَارِ كَالْمَطْرِ
وَلَا تَكُنْ سَبْحًا لَمْ يُجِدِ مَاطِرُهُ
وَكُنْ كَرَوْضٍ أَتَى بِالزُّهْرِ وَالشَّمْرِ
وَأذْكَرَ صَنِيعَةَ حُرِّ حَازٍ عَنْكَ غِنَى
وَقَدْ تَقَاضَيْتَهُ فِي زِيٍّ مُفْتَقِرٍ
وَاحْفَظْ ذِمَامَ صَدِيقٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ
وَذِمَّةَ الْجَارِ صُنَّهَا عَنِ يَدِ الْغَيْرِ
وَصِلْ أَخَا رَجِمٍ تَكْسِبُ مَوَدَّتَهُ
وَفِي الْخُطُوبِ تَرَاهُ خَيْرَ مُنْتَصِرٍ
وَوَصْلُهُ قَدْ يَجْرُ الْوَصْلَ فِي عَقَبٍ
وَقَدْ يُزَادُ بِهِ فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ
وَجَدْ عَلَى سَائِلٍ وَافِيَ بِذَلَّتِهِ
وَلَوْ بِشَيْءٍ قَلِيلِ النَّفْعِ مُحْتَقِرٍ
وَاحْفَظْ أَمَانَةَ مَنْ أَبَدَى سَرِيرَتَهُ
مَالًا وَحَالًا لِحُسْنِ الظَّنِّ وَالنَّظَرِ
وَاقْرِ الضُّيُوفَ وَكُنْ عَبْدًا لِخِدْمَتِهِمْ
وَهَشُّ بِشٍّ وَلَا تَسْأَلْ عَنِ السَّفَرِ
وَبَادِرَنَّ إِلَيْهِمْ بِالَّذِي اقْتَرَحُوا
عَنْ طِيبِ نَفْسٍ بِلَا مَنٍّْ وَلَا كَدَرٍ
وَحُضِّ بِهَمٍّ فِي فُنُونٍ يَأْنُسُونَ بِهَا
مِنْ كُلِّ مَا طَابَ لِلْأَسْمَاعِ فِي السَّمْرِ

لِكُلِّ قَوْمٍ مَقَامٌ فِي الْخِطَابِ فَلَا
تَجْعَلُ مُحَادَثَةَ الْأَعْرَابِ كَالْحَضَرِ
وَاعْرِفْ حُقُوقَ ذَوِي الْهَيْئَاتِ إِذْ وَرَدُوا
وَلِلصَّعَالِيكِ فَاخْذَرْ حَالَةَ الضَّجْرِ
وَالزَّمْ لَدَى الْأَكْلِ آدَاباً سَأُورِدُهَا
تَعِشْ حَمِيدَ الْمَسَاعِي عِنْدَ كُلِّ سَرِي
كُنْ أَنْتَ أَوَّلَ بَادٍ بِأَمْتِدَادِ يَدِ
إِلَى الطَّعَامِ وَسَمِّ اللَّهْ وَأَبْتَدِرِ
وَأَشْرَعْ بِأَصْفَى حَدِيثٍ فِي مَنَاسِبَةٍ
بِالزَّادِ أَنْسَأْ وَتَرْغِيئاً بِلَا هَذِرِ
لَا تُؤْثِرَنَّ بِشَيْءٍ لَدَى مَطْعَمِهِ
نَفْساً وَلَا وَلِداً فَالضُّيُفُ فِيهِ حَرِي
وَكُنْ إِذَا قَامَ كُلُّ الْقَوْمِ آخِرَهُمْ
وَعُضْرٌ عَنِ مَدِّ أَيْدِي الْقَوْمِ بِالْبَصْرِ
وَمَنْ أَقَامَكَ أَهْلاً لِلضُّيَافَةِ قُمْ
بِشُكْرِهِ وَاسْتَزِدْ أَنْعَامَ مُقْتَدِرِ
وَرَأْسُ مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ الْحَيَاءُ فَكُنْ
مِنَ الْحَيَاءِ بِأَوْفَى بَاهِرِ الْجَبْرِ
لَا دِينَ إِلَّا لِمَنْ كَانَ الْحَيَاءُ لَهُ
إِلْفاً قَرِيناً فَيَسْمُو كُلُّ مُسْتَبِرِ
فَاسْتَحْيِي مِنْ خَالِقِ يَرْعَاكَ فِي مَلَأِ
وَفِي خَلَاءٍ وَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ

وَالْعَاقِلُ الشَّهْمُ مَنْ يَأْتِي الرَّدَائِلَ بِلِ
 يَخْتَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَطْيَبَ الْخَبْرِ
 بِالْعَقْلِ تُدْرِكُ غَايَاتِ الْكَمَالِ كَمَا
 بِهِ تُمَيِّزُ بَيْنَ النَّفْعِ وَالضَّرْرِ
 لَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفِ اللَّهَ الْكَرِيمَ وَلَا
 نَمْتَارُ يَوْمًا عَنِ الْأَنْعَامِ فِي الْفِطْرِ
 فَاسْتَعْمِلِ الْعَقْلَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَا
 تَكُنْ كَحَاطِبِ لَيْلٍ أَعْمَشَ الْبَصْرِ
 دَلِيلُ عَقْلِ الْفَتَى بَادِي مُرُوءَتِهِ
 فَمَنْ تَجَنَّبَهَا فَالْعَقْلُ مِنْهُ بَرِي
 عَارِي الْمُرُوءَةِ نِكْسٌ لَا خَلَاقَ لَهُ
 وَذُو الْمُرُوءَةِ مَحْبُوبٌ لَدَى الْبَشْرِ
 أَخُو الْمُرُوءَةِ يَأْتِي أَنْ يَرُدَّ ذَوِي الْ
 آمَالِ مِنْ فَضْلِهِ فِي حَالِ مُنْكَسِرِ
 وَالْجُودُ أَشْرَفُ مَا تَسْمُو الرِّجَالُ بِهِ
 وَقَدْ يُنَالُ بِهِ مُسْتَجْمَعُ الْفَخْرِ
 وَبِالسَّخَاءِ لِحْفِظِ النُّعْمَةِ اعْتَمِدُوا
 يَا حَبْدُ عَمَلٍ بِالْحِفْظِ صَارَ حَرِي
 لَا يَضْلِحُ الدِّينُ إِلَّا بِالسَّخَاءِ أَتَى
 إِنْ السَّخَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ فَاعْتَبِرِ
 وَالْجُودُ مِنْ شَجَرِ الْجَنَاتِ فَاحْظِ بِهِ
 وَخُذْ بِغُضَنِ أَتَى مِنْ ذَلِكَ الشَّجَرِ

يُحِبُّ مَوْلَاكَ حُسْنَ الْخُلُقِ مُقْتَرِنًا
بِالْجُودِ لَمْ يُبْقِيَ لِلذَّنْبِ مِنْ أَثَرِ
إِنَّ السَّخِيَّ حَبِيبٌ لِإِلَهِ لَهُ
قُرْبٌ مِنَ اللَّهِ هَذَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ
وَلَا تَرُحْ بِلَيْئِمٍ سَرَحَ عَارِضَةٍ
تَرُدُّ بِهِ فِي ظَمًا مِنْ حَافَةِ النَّهْرِ
وَلَا تَغُرَّنَكَ مِنْهُ طُولُ مِكَتِهِ
حَلْفَاءَ عَارٍ بِلَا ظِلٍّ وَلَا ثَمَرٍ
بَذُلُ النَّفِيسِ عَلَى نَفْسِ الْخَسِيسِ عَنَّا
فِعْلُ الْجَمِيلِ لَدَيْهِ مُوجِبُ الضَّرَرِ
وَمَنْ يَوْمٌ لَيْمًا عِنْدَ حَاجَتِهِ
يُعْضُ كَفَيْهِ كَالْكُسْبِيِّ وَسَطَ قَرِي
وَأَسْلُكَ سَبِيلِ كِرَامٍ أَصْفِيَاءَ مَضَوْا
بِكُلِّ حَمْدٍ عَلَى الْآفَاقِ مُنْتَشِرٍ
وَاحْذَرْ طَبَائِعَ أَهْلِ اللُّؤْمِ إِنَّ لَهُمْ
ذَمًّا يَدُومٌ عَلَى الْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
وَاعْنَمِ مَكَارِمَ تَبْقِيهَا مُخَلَّدَةٌ
فِي أَلْسِنِ النَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ
فَخَيْرُ فِعْلِ الْفَتَى فِعْلٌ يُبَلِّغُهُ
مِنَ الْمَحَامِدِ مَا يَبْقَى عَلَى الْأَثَرِ
فَالْمَرْءُ يَفْنَى وَيَبْقَى الذِّكْرُ مِنْ حَسَنِ
وَمَنْ قَسِيحٍ فَخُذْ مَا شِئْتَهُ وَذَرِ

وَهَذِهِ حِكْمٌ بِالنُّصْحِ كَافِلَةٌ

بِالنَّقْلِ جَاءَتْ وَعَنْ مَصْقُولَةِ الْفِكْرِ

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ وَوَقِّفْنَا لِلْقِيَامِ بِأَرْكَانِ
دِينِكَ الْقَوِيمِ وَنَجِّنَا مِنْ لَفْحَاتِ الْجَحِيمِ وَأَسْكِنْنَا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

قَالَ فِي مُخْتَصَرٍ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ : وَاعْلَمْ أَنَا قَدْ ذَكَّرْنَا جُمْلَةً مِنْ
نِعْمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَنِعْمَةَ الْبَدَنِ وَاحِدَةً مِنَ النِّعَمِ الْوَاقِعَةِ فِي الرُّتْبَةِ الثَّانِيَةِ
فَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَسْتَقْصِي الْأَسْبَابَ الَّتِي بِهَا تَمَّتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ لَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا
وَلَكِنْ الْأَكْلُ أَحَدُ أَسْبَابِ الصِّحَّةِ ، فَلْنَذَكُرْ شَيْئًا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَتِمُّ بِهَا
الْأَكْلُ عَلَى سَبِيلِ التَّدْرِيجِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِقْصَاءِ .

فَنَقُولُ : مِنْ جُمْلَةِ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَنْ خَلَقَ لَكَ آلَةَ الْإِحْسَاسِ وَآلَةَ
الْحَرَكَةِ فِي طَلَبِ الْغِذَاءِ فَانظُرْ إِلَى تَرْتِيبِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَوَاسِ
الْخَمْسِ الَّتِي هِيَ آلَةُ الْإِدْرَاكِ .

فَأَوَّلُهَا حَاسَةُ اللَّمْسِ وَهُوَ أَوَّلُ حِسٍّ يُخْلَقُ لِلْحَيَوَانَ وَأَنْقَصُ
دَرَجَاتِ الْحِسِّ أَنْ يُحَسَّ بِمَا يُلَاصِقُهُ فَإِنَّ الْإِحْسَاسَ بِمَا يَبْعُدُ مِنْهُ أَتَمُّ لَا
مَحَالَةَ فَافْتَقَرْتُ إِلَى حِسِّ تَدْرِكٍ بِهِ مَا بَعْدَ عَنكَ فَخَلَقَ لَكَ الشَّمَّ تُدْرِكُ بِهِ
الرَّائِحَةَ مِنْ بُعْدٍ وَلَكِنْ لَا تَدْرِي مِنْ أَيِّ نَاحِيَةٍ جَاءَتْ الرَّائِحَةُ فَتَحْتَاجُ أَنْ
تَطُوفَ أَيُّ تَدْوَرَ كَثِيرًا ، حَتَّى تَعْتُرَّ عَلَى الَّذِي شَمَمْتَ رَائِحَتَهُ وَرَبَّمَا لَمْ
تَعْتُرْ عَلَيْهِ .

فَخَلَقَ لَكَ الْبَصَرَ لِتُدْرِكَ بِهِ مَا بَعْدَ عَنكَ وَتُدْرِكَ جِهَتَهُ فَتَقْضِيهَا

بِعَيْنِهَا إِلَّا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَخْلُقْ لَكَ إِلَّا هَذَا لَكُنْتَ نَاقِصًا إِذْ لَا تُدْرِكُ بِذَلِكَ مَا
وَرَاءَ الْجِدَارِ وَالْحِجَابِ فَرُبَّمَا قَصَدَكَ عَدُوٌّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَقَرُبٌ مِنْكَ
قَبْلَ أَنْ يَنْكَشِفَ الْحِجَابُ فَتَعَجَّزَ عَنِ الْهَرَبِ فَخَلَقَ لَكَ السَّمْعَ حَتَّى تُدْرِكَ
بِهِ الْأَصْوَاتَ مِنَ الْحُجْرَاتِ عِنْدَ جَرَيَاتِ الْحَرَكَاتِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ لَوْ لَمْ
يَكُنْ لَكَ حُسْنُ ذَوْقٍ إِذْ بِهِ تَعَلَّمُ مَا يُوَافِقُكَ وَمَا يَضُرُّكَ بِخِلَافِ الشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ
يُصَبُّ فِي أَصْلِهَا كُلِّ مَائِعٍ وَلَا ذَوْقَ لَهَا فَتَجْدِبُهُ وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبٌ
جَفَافِهَا وَتَلَافِهَا .

ثُمَّ أَكْرَمَكَ تَعَالَى بِصِفَةِ أُخْرَى هِيَ أَشْرَفُ مِنَ الْكُلِّ وَهُوَ الْعَقْلُ فِيهِ
تُدْرِكُ الْأَطْعِمَةَ وَمَنْفَعَتَهَا وَمَا يَضُرُّ فِي الْمَالِ وَبِهِ تُدْرِكُ طَبَخَ الْأَطْعِمَةِ
وَتَأْلِفُهَا وَاعْدَادَ أَسْبَابِهَا فَتَنْتَفِعُ بِهِ فِي الْأَكْلِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ صِحَّتِكَ وَهِيَ
أَدْنَى فَوَائِدِ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ الْكُبْرَى فِيهِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى .

وَمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ فَهِيَ بَعْضُ الْإِدْرَاكَاتِ وَلَا
تَظُنُّ أَنَّ اسْتَوْفِينَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْبَصَرَ وَاحِدٌ مِنَ الْحَوَاسِّ وَالْعَيْنُ آلَةٌ لَهُ
وَقَدْ رُكِّبَتْ الْعَيْنُ مِنْ عَشْرِ طَبَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بَعْضُهَا رُطُوبَاتٌ وَبَعْضُهَا أَغْشِيَةٌ
مُخْتَلِفَةٌ .

وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّبَقَاتِ الْعَشْرِ صِفَةٌ وَصُورَةٌ وَشَكْلٌ وَهَيْئَةٌ وَتَدْبِيرٌ
وَتَرْكِيبٌ لَوْ اخْتَلَفَتْ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهَا أَوْ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ لَا اخْتَلَّ الْبَصَرُ ،
وَعَجَّزَ عَنْهُ الْأَطِبَّاءُ كُلُّهُمْ فَهَذَا فِي حِسِّ وَاحِدٍ وَقِسْ حَاسَّةَ السَّمْعِ وَسَائِرَ
الْحَوَاسِّ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسْتَوْفَى ذَلِكَ فِي مَجَلِّدَاتٍ فَكَيْفَ بِجَمِيعِ الْبَدَنِ .
ثُمَّ انظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي خَلْقِ الْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالآلَاتِ
الْحَرَكَةِ مِنْ أَصْنَافِ النِّعَمِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ خَلَقَ لَكَ الْبَصَرَ حَتَّى تُدْرِكَ بِهِ

الطَّعَامَ وَلَمْ يَخْلُقْ لَكَ فِي الطَّعْمِ شَوْقًا إِلَيْهِ وَشَهْوَةً لَهُ تَسْتَحِثُّكَ عَلَى الْحَرَكَةِ لَكَانَ الْبَصَرُ مُعْطَلًا فَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ يَرَى الطَّعَامَ وَهُوَ أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لَهُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَنَاوُلِهِ لِعَدَمِ الشَّهْوَةِ لَهُ فَخَلَقَ اللَّهُ لَكَ شَهْوَةَ الطَّعَامِ وَسَلَطَهَا عَلَيْكَ كَالْمَتَقَاضِي الَّذِي يُضْطَرُّ إِلَى تَنَاوُلِ الْغِذَاءِ .

ثُمَّ هَذِهِ الشَّهْوَةُ لَوْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ أَخْذِ مِقْدَارِ الْحَاجَةِ مِنَ الطَّعَامِ لِأَسْرَفَتْ وَأَهْلَكَتْ نَفْسَكَ فَخَلَقَ لَكَ الْكَرَاهَةَ عِنْدَ الشَّبَعِ لِتَرْكِ الْأَكْلِ بِهَا ، وَكَذَلِكَ الْقُوَّةُ فِي الشَّهْوَةِ لِلْوَقَاعِ لِحِكْمَةِ بَقَاءِ النَّسْلِ .

ثُمَّ خَلَقَ لَكَ الْأَعْضَاءَ الَّتِي هِيَ آلَاتُ الْحَرَكَةِ فِي تَنَاوُلِ الْغِذَاءِ وَغَيْرِهِ مِنْهَا الْيَدَانُ وَهُمَا مُشْتَمِلَتَانِ عَلَى مَفَاصِلَ كَثِيرَةٍ لِتَتَحَرَّكَ فِي الْجِهَاتِ وَتَمْتَدَّ وَتَشْنِي وَلَا تَكُونُ كَخَشَبَةٍ مَنْصُوبَةٍ .

ثُمَّ جَعَلَ رَأْسَ الْيَدِ عَرِيضًا وَهُوَ الْكَفُّ وَقَسَّمَهُ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ وَهِيَ الْأَصَابِعُ وَتَمَدُّ الْأَصَابِعُ وَجَعَلَهَا مُخْتَلِفَةً فِي الطُّوْلِ وَالْقَصْرِ وَوَضَعَهَا فِي صَفَيْنِ بِحَيْثُ يَكُونُ الْإِبْهَامُ فِي جَانِبٍ وَيَدُورُ عَلَى الْأَصَابِعِ الْبَوَاقِي وَلَوْ كَانَتْ مُجْتَمِعَةً مُتْرَاكِمَةً لَمْ يَحْصُلْ تَمَامُ الْغَرَضِ .

ثُمَّ خَلَقَ لَهَا أَظْفَارًا وَأَسْنَدَ إِلَيْهَا رُؤُوسَ الْأَصَابِعِ لِتَقْوَى بِهَا وَلِتَلْتَقِطَ بِهَا الْأَشْيَاءَ الدَّقِيقَةَ الَّتِي لَا تَحْوِيهَا إِلَّا الْأَصَابِعُ ثُمَّ هَبْ أَنْكَ أَخَذْتَ الطَّعَامَ بِالْيَدِ فَلَا يَكْفِيكَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى بَاطِنِكَ فَجَعَلَ لَكَ الْفَمُ وَاللِّحْيَيْنِ خَلْفَهُمَا مِنْ عَظْمَيْنِ وَرَكَّبَ فِيهِمَا الْأَسْنَانَ وَقَسَّمَهَا بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّعَامُ فَبَعْضُهَا قَوَاطِعُ كَالرُّبَاعِيَّاتِ وَبَعْضُهَا يَصْلُحُ لِلْكَسْرِ كَأَنْيَابِ وَبَعْضُهَا طَوَاجِرُ كَالْأَضْرَاسِ .

وَجَعَلَ اللَّحْمِيَّ الْأَسْفَلَ مُتَحَرِّكًا حَرَكَةً دَوْرِيَّةً وَاللَّحْمِيَّ الْأَعْلَى ثَابِتًا لَا يَتَحَرَّكُ فَانظُرْ إِلَى عَجِيبِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَنَّ كُلَّ رَحَى صَنَعَهَا الْحَلْقُ يَثْبُتُ مِنْهَا الْحَجَرُ الْأَسْفَلُ وَيَدُورُ الْأَعْلَى إِلَّا هَذِهِ الرَّحَى الَّتِي هِيَ صُنْعُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ يَدُورُ مِنْهَا الْأَسْفَلُ عَلَى الْأَعْلَى إِذْ لَوْ دَارَ الْأَعْلَى خُوِطِرَ بِالْأَعْضَاءِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَحْتَوِي عَلَيْهَا .

ثُمَّ انظُرْ كَيْفَ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِخَلْقِ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يَطُوفُ فِي جَوَانِبِ الفَمِ وَيُرُدُّ الطَّعَامَ مِنَ الْوَسْطِ إِلَى الْأَسْنَانِ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ كَالْمَجْرَفَةِ الَّتِي تَرُدُّ الطَّعَامَ إِلَى الرَّحَى هَذَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ قُوَّةِ النُّطْقِ ثُمَّ هَبْ أَنْكَ قَطَعْتَ الطَّعَامَ وَعَجَجْتَهُ فَمَا تَقْدِرُ عَلَى الْإِبْتِلَاعِ إِلَّا بِأَنْ يَتَزَلَّتْ إِلَى الْحَلْقِ بِنَوْعِ رُطُوبَةٍ فَانظُرْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى تَحْتَ اللِّسَانِ عَيْنًا يَفِيضُ مِنْهَا اللُّعَابُ وَيَنْصَبُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ حَتَّى يَنْعِجَنَ بِهِ الطَّعَامُ .

ثُمَّ هَذَا الطَّعَامُ الْمَطْحُونُ الْمَعْجُونُ مَنْ يُوَصِّلُهُ إِلَى الْمَعِدَةِ وَهُوَ فِي الفَمِ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ ابْتِصَالَهُ بِالْيَدِ فَهَيَّا لَكَ الْمَرِيَّ وَالْحُنْجَرَةَ وَجَعَلَ رَأْسَهَا طَبَقَاتٍ يَنْفَتِحُ لِأَخِذِ الطَّعَامِ ثُمَّ يَنْطَبِقُ وَيَنْضَغُ حَتَّى يَقْلِبَ الطَّعَامَ فِيهِوِي فِي دِهْلِيزِ الْمَرِيءِ إِلَى الْمَعِدَةِ فَإِذَا وَرَدَ الطَّعَامُ إِلَى الْمَعِدَةِ وَهُوَ خُبِزٌ وَفَاكِهَةٌ مُقَطَّعَةٌ فَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَصِيرَ لَحْمًا وَعَظْمًا وَدَمًا عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ حَتَّى يُطْبَخَ طَبْخًا تَمَامًا فَجَعَلَ اللَّهُ الْمَعِدَةَ عَلَى هَيْئَةِ قَدْرِ يَقَعُ فِيهِ الطَّعَامُ فَتَحْتَوِي عَلَيْهِ وَتُغْلِقُ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ وَيَنْضِجُ بِالْحَرَارَةِ الَّتِي تَتَعَدَّى إِلَيْهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةِ .

وَهِيَ الْكَبِدُ مِنْ جَانِبِهَا الْأَيْمَنِ وَالطَّحَالُ مِنْ جَانِبِهَا الْأَيْسَرِ وَالثَّرْبُ مِنْ أَمَامِهَا وَلَحْمُ الصُّلْبِ مِنْ خَلْفِهَا فَيَنْضِجُ الطَّعَامُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَصِيرُ مَائِعًا مُتَشَابِهًا يَصْلُحُ لِلنُّفُودِ فِي تَجَاوِيفِ الْعُرُوقِ ثُمَّ يَنْصَبُ الطَّعَامُ مِنَ الْعُرُوقِ

إِلَى الْكَبِدِ فَيَسْتَقِرُّ فِيهَا رَيْثَمَا يَصْلُحُ لَهُ نُضْجُ آخَرَ ثُمَّ يَتَفَرَّقُ فِي الْأَعْضَاءِ وَيَبْقَى مِنْهُ ثَقْلٌ ثُمَّ يَنْدْفِعُ .

فَانظُرْ إِلَى نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ لِتَقْوَى عَلَى الشُّكْرِ فَإِنَّكَ لَا تَعْرِفُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا نِعْمَةَ الْأَكْلِ وَهِيَ أَبْسَطُهَا ثُمَّ لَا تَعْرِفُ مِنْهَا إِلَّا أَنَّكَ تَجُوعُ فَتَأْكُلُ وَالْبَهِيمَةُ أَيْضًا تَعْرِفُ أَنَّهَا تَجُوعُ وَتَأْكُلُ وَتَتَعَبُ فَتَنَامُ وَتَسْتَهَيُّ فَتُجَامِعُ وَإِذَا لَمْ تَعْرِفِ أَنْتَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا مَا يَعْرِفُ الْحِمَارُ فَكَيْفَ تَقُومُ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

قَالَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَطْعِمَةَ كَثِيرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ وَلِلَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهَا عَجَائِبٌ لَا تُحْصَى وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَغْذِيَةٍ وَأَدْوِيَةٍ وَفَوَاكِهٍ وَغَيْرِهَا فَتَتَكَلَّمُ عَلَى بَعْضِ الْأَغْذِيَةِ فَنَقُولُ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الْجِنَطَةِ فَلَوْ أَكَلْتَهَا لَفَنَيْتَ وَبَقِيَتْ جَائِعًا فَمَا أَحْوَجَكَ إِلَى عَمَلٍ يَنْمُو بِهِ حَبُّ الْجِنَطَةِ وَيَنْضَاعِفُ حَتَّى يَفِي بِتَمَامِ حَاجَتِكَ وَهُوَ زَرْعُهَا وَهُوَ أَنْ تُجْعَلَ فِي أَرْضٍ فِيهَا مَاءٌ يَمْتَزِجُ مَائُهَا فَيَصِيرُ طِينًا .

ثُمَّ لَا يَكْفِي الْمَاءَ وَالتُّرَابُ إِذْ لَوْ تَرَكْتَ فِي أَرْضٍ نَدِيَّةٍ صَلْبَةٍ لَمْ تُنْبِتْ لِفَقْدِ الْهَوَاءِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَرْكِهَا فِي أَرْضٍ مُتَخَلِّجَةٍ يَتَغَلَّغُلُ الْهَوَاءُ فِيهَا ثُمَّ الْهَوَاءُ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَيْهَا بِنَفْسِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى رِيحٍ يُحَرِّكُ الْهَوَاءَ وَيَصْرِفُهُ بِقَهْرِ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَنْفَذَ فِيهَا ثُمَّ كُلُّ ذَلِكَ وَحْدَهُ لَا يُغْنِي فَيَحْتَاجُ إِلَى حَرَارَةِ الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي الْبَرْدِ الْمَفْرِطِ لَمْ يُنْبِتْ .

ثُمَّ انظُرْ إِلَى الْمَاءِ الَّذِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ هَذِهِ الزَّرَاعَةُ كَيْفَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَجَرَّ الْعُيُونَ وَأَجْرَى مِنْهَا الْأَنْهَارَ وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الْأَرْضِ مُرْتَفِعًا لَا يَنَالُهُ

الْمَاءِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْغَيْومَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا الرِّيَّاحَ لِيَسُوقَهَا بِإِذْنِهِ إِلَى أَقْطَارِ الْعَالَمِ
وَهِيَ سُحْبٌ ثِقَالٌ ثُمَّ يَرْسِلُهُ عَلَى الْأَرْضِ مِدْرَارًا فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .

وَأَنْظُرْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ الْجِبَالَ حَافِظَةً لِلْمَاءِ تَتَفَجَّرُ مِنْهَا الْعُيُونُ
تَدْرِيحًا ، فَلَوْ خَرَجَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً لَغَرَقَتِ الْبِلَادَ وَهَلَكَ الزَّرْعُ وَغَيْرُهُ ،
وَأَنْظُرْ كَيْفَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَخَلَقَهَا مَعَ بُعْدِهَا عَنِ الْأَرْضِ مُسَخِّنَةً لَهَا فِي
وَقْتِ دُونَ وَقْتِ ، لِيَحْصُلَ الْبَرْدُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْحَرُّ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ،
وَخَلَقَ الْقَمَرَ وَجَعَلَ مِنْ خَاصِيَّتِهِ التَّرْطِيبَ ، فَهُوَ يُنْضِجُ الْفَوَاكِيَ بِتَقْدِيرِ
الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ ، وَكُلُّ كَوْكَبٍ خُلِقَ فِي السَّمَاءِ فَهُوَ لِنَوْعٍ فَائِدَةٌ .

وَلَمَّا كَانَتْ كُلُّ الْأَطْعِمَةِ لَا تُوجَدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى
التُّجَّارَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْحِرْصَ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ مَعَ أَنَّهُ لَا يُغْنِيهِمْ فِي
غَالِبِ الْأَمْرِ شَيْءٌ بَلْ يَجْمَعُونَ الْأَمْوَالَ فِيمَا أَنْ تَغْرُقَ بِهَا السُّفُنُ أَوْ تَنْتَهَبُهَا
قُطَاعُ الطَّرِيقِ أَوْ يَمُوتُونَ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ فَتَأْخُذُهَا السَّلَاطِينُ وَأَحْسَنُ
أَحْوَالِهِمْ أَنْ يَأْخُذُهَا وَرَثَتُهُمْ وَهُمْ أَشَدُّ أَعْدَائِهِمْ لَوْ عَرَفُوا .

فَأَنْظُرْ كَيْفَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْأَمَلَ وَالْغَفْلَةَ حَتَّى يُقَاسُوا الشَّدَائِدَ فِي
طَلَبِ الرِّيحِ فِي رُكُوبِ الْبَحَارِ وَرُكُوبِ الْأَخْطَارِ فَيَحْمِلُونَ الْأَطْعِمَةَ وَأَنْوَاعَ
الْحَوَائِجِ مِنْ أَقْصَى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ إِلَيْكَ فَأَكْثَرُ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ .

سَيْرُ الْمَنَايَا إِلَى أَعْمَارِنَا خَبَبٌ
كَيْفَ النَّجَاءِ وَأَيْدِيهَا مُصَمَّمَةٌ
وَهَلْ يُؤْمَلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلْتَمًا
وَمَا إِقَامَتُنَا فِي مَنْزِلٍ هَتَفَتْ
وَأَذِنْتُنَا وَقَدْ تَمَّتْ عِمَارَتُهُ
أَزْرَتْ بِنَا هَذِهِ الدُّنْيَا فَمَا أَمَلٌ
هَذَا وَلَيْسَتْ سِهَامُ الْمَوْتِ طَائِشَةً
فَمَا تَبِينُ وَلَا يَعْتَاقُهَا نَصَبٌ
بَذْبَحِنَا بِمُدَى لَيْسَتْ لَهَا نُصَبٌ
سَفَرُهُمْ كُلُّ يَوْمٍ رَحْلَةٌ عَجَبٌ
فِيهِ بِنَا مُذْ سَكْنَا رَبْعَهُ نُوبٌ
بِأَنَّهُ عَنِ قَرِيبٍ دَاثِرُ خَرْبٌ
إِلَّا لِرَيْبِ الْمَنَايَا عِنْدَهُ أَرْبٌ
وَهَلْ تَطِيشُ سِهَامُ كُلُّهُ نُصَبٌ

وَنَحْنُ أَعْرَاضُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ فَمَرَمِيٍّ وَمُرْتَقِبٍ
أَيْنَ الَّذِينَ تَنَاهَوْا فِي ابْتِنَائِهِمْ صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَاثْقَلُوا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا
أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلْقَ لَمْ يَقْضُوا عَنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ إِلَّا لِلْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ
فَانَّهُمْ مُنِعُوا بِذَلِكَ عَنْ مَعْرِفَةِ النِّعَمِ وَلَا يُتَصَوَّرُ شُكْرُ النِّعْمَةِ بِدُونِ مَعْرِفَتِهَا
ثُمَّ إِنْ عَرَفُوا نِعْمَةَ ظَنُّوا أَنَّ الشُّكْرَ عَلَيْهَا أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ بِلِسَانِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ مَعْنَى الشُّكْرِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ النِّعْمَةَ فِي أَتْمَامِ
الْحِكْمِ الَّتِي أُرِيدَتْ بِهَا وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

شعرا : تَعَلَّمْتُ فِعْلَ الْخَيْرِ مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَعْنِي مُحَمَّدًا
آخر : « وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ عُضْوٍ وَشَعْرَةٍ لِسَانًا يُؤَدِّي الشُّكْرَ لِلَّهِ قَصَّصًا »
آخر :

دَعَيْنِي أَجْدُ السَّعْيِ فِي شُكْرِ مَنْ لَهُ عَلَيَّ بِأَصْنَافِ النِّعَمِ تَفْضُلًا
أَمَّا الْغَفْلَةُ عَنِ النِّعَمِ فَلَهَا أَسْبَابٌ . أَحَدُهَا أَنَّ النَّاسَ لِجَهْلِهِمْ لَا
يَعُدُّونَ مَا يَعْزُمُ الْخَلْقَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ نِعْمَةً فَلِذَلِكَ لَا يَشْكُرُونَ عَلَى
جُمْلَةٍ مَا ذَكَرَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي تَفْضُلُ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ لِأَنَّهَا عَامَةٌ لِلْخَلْقِ
مَبْدُولَةٌ لَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ فَلَا يَرَى مِنْهُمْ اخْتِصَاصًا بِهِ فَلَا يَعُدُّهُ
نِعْمَةً .

وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُهُمْ يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى رَوْحِ الْهَوَا وَلَوْ أَخَذَ بِمَخَقِقِهِمْ
لِحِطَّةٍ حَتَّى أَنْفَطَعَ الْهَوَاءُ عَنْهُمْ مَاتُوا وَلَوْ حُبِسُوا فِي بَيْتٍ أَوْ حَمَامٍ مَاتُوا غَمًّا

فَإِنْ أُبْتَلِيَ أَحَدُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ نَجَا قَدَّرَ ذَلِكَ نِعْمَةً يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَيْهَا .

وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ إِذْ صَارَ شُكْرُهُمْ مَوْقُوفًا عَلَى أَنْ تُسَلَبَ عَنْهُمْ النِّعْمَةُ ثُمَّ تُرَدُّ إِلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ فَالِنِّعَمِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَوْلَى بِالشُّكْرِ فَلَا تَرَى البَصِيرَ يَشْكُرُ نِعْمَةَ البَصْرِ وَصِحَّتَهُ إِلَّا أَنْ يَغْمَى فَإِذَا أُعِيدَ بَصَرُهُ أَحْسَنَ بِالنِّعْمَةِ وَشَكَرَهَا وَعَدَّهَا نِعْمَةً وَهُوَ مِثْلُ عَبْدِ السُّوءِ يُضْرَبُ دَائِمًا فَإِذَا تَرَكَ ضَرْبَهُ سَاعَةً شَكَرَ وَتَقَلَّدَ ذَلِكَ مِنْهُ وَإِنْ تَرَكَ ضَرْبَهُ أَصْلًا غَلَبَهُ البَطْرُ وَتَرَكَ الشُّكْرَ فَصَارَ النَّاسُ لَا يَشْكُرُونَ إِلَّا المَالَ الَّذِي يَتَطَرَّقُ الاختِصاصُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ الكَثْرَةُ وَالقِلَّةُ وَيُنْسَوْنَ جَمِيعَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .
شعرا :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبْقَى مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً عَلَيْكَ فَأَكْثِرْ حَمْدَهُ مَعَ شُكْرِهِ
وَلَا تُعْصِمْ اللَّهَ فِيمَا رَزَقْتَهُ فَيَنْزِعُ عَنْكَ اللَّهُ وَاسِعَ رِزْقِهِ
آخِر :

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا إِذَا أَطَاعَ اللَّهَ مَنْ نَالَهَا
مَنْ لَمْ يُوَالِيَ شُكْرَ إِلَهِهِ عَرَّضَ لِلْإِدْبَالِ إِقْبَالَهَا
فَاحْذَرْ زَوَالَ الفَضْلِ يَأْمَانِعًا زَكَاةَ أَمْوَالِ لِه نَالَهَا
كَمَا رُوِيَ أَنَّ بَعْضَهُمْ شَكَا فَقَرَهُ إِلَى بَعْضِ أَرْبَابِ البَصِيرَةِ وَأَظْهَرَ
شِدَّةَ اغْتِمَامِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ أَيُّرُكَ أَنْكَ أَعْمَى وَلَكَ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ
قَالَ لَا قَالَ أَيُّرُكَ أَنْكَ أَحْرَسَ وَلَكَ عَشْرَةُ آلَافٍ قَالَ لَا قَالَ أَيُّرُكَ أَنْكَ
أَقْطَعَ اليَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَلَكَ عِشْرُونَ أَلْفًا قَالَ لَا قَالَ أَيُّرُكَ أَنْكَ مَعْجُونٌ
وَلَكَ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ قَالَ لَا قَالَ أَمَا تَسْتَجِي أَنْ تَشْكُوَ مَوْلَاكَ وَلَهُ عِنْدَكَ
عُرُوضٌ بِخَمْسِينَ أَلْفًا .

وَدَخَلَ ابْنُ السِّمَّكِ عَلَى الرَّشِيدِ فِي عِظَةِ فَبَكَى وَدَعَا بِمَاءٍ فِي قَدَحٍ
فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ مُنِعْتَ هَذِهِ الشُّرْبَةَ إِلَّا بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتُ

تَفَدِّيَهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاشْرَبْ رِيًّا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَلَمَّا شَرِبَ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ .

أَرَأَيْتَ لَوْ مُنِعْتَ اخْرَاجَ هَذِهِ الشَّرْبَةِ مِنْكَ إِلَّا بِالذُّنْبَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ
تَفْتَدِي ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا تَصْنَعُ بِشَيْءٍ شَرْبُهُ مَاءٍ خَيْرٌ مِنْهُ وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ
نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ فِي شَرْبَةِ عِنْدِ الْعَطَشِ أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ
الْأَرْضِ ثُمَّ تَسْهِيلُ خُرُوجِ الْحَدِيثِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ وَجِيزَةٌ
إِلَى النِّعَمِ الْخَاصَةِ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا إِذَا أَمَعَنَ النَّظَرَ رَأَى عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ
نِعْمًا كَثِيرَةً لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا عُمُومُ النَّاسِ بَلْ قَدْ يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ يَسِيرٌ مِنْهُمْ
مِنْ ذَلِكَ الْعَقْلُ فَمَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي عَقْلِهِ
يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَعْقَلَ النَّاسِ وَقَلَّمَا يَسْأَلُ اللَّهَ الْعَقْلَ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ اعْتِقَادُهُ
فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْخَلْقُ فَإِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَيَرَى مِنْ غَيْرِهِ عِيُونًا يَكْرَهُهَا
وَأَخْلَاقًا يَذُمُّهَا وَيَرَى نَفْسَهُ بَرِيئًا مِنْهَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ حَيْثُ
أَحْسَنَ خُلُقَهُ وَابْتَلَى غَيْرَهُ .

شِعْرًا :

أَيَا ابْنَ آدَمَ وَالْآلَاءِ سَابِغَةً	وَمُزْنَهُ الْجُودِ لِأَتْنَفَكُ عَنْ دِيمِ
هَلْ أَنْتَ ذَاكِرٌ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ	وَشَاكِرٌ كُلَّ حَوْلَتٍ مِنْ نِعَمِ
بَرَكَ بَارِيٍّ هَذَا الْخَلْقِ مِنْ عَدَمِ	بَحْتٍ وَوَلَاؤُهُ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْعَدَمِ
أَنْشَاكَ مِنْ حَمًا وَلَا حَرَكَ بِهِ	فَجِئْتُ مُنْتَصِبًا تَمْشِي عَلَى قَدَمِ
مُكْمَلِ الْأَدْوَاتِ آيَةً عَجَبًا	مُوقِرِ الْعَقْلِ مَنْ حَظَّ وَمِنْ فَهَمِ
تَرَى وَتَسْمَعُ كَلًّا قَدْ حُبِيتَ بِهِ	فَضْلًا وَتَنْطِقُ بِالتَّسِينِ وَالْكَسَمِ
هَذَاكَ بِالْعِلْمِ سُبُلِ الصَّالِحِينَ لَهُ	وَكُنْتَ مِنْ غَمْرَاتِ الْجَهْلِ فِي ظَلَمِ

مَاذَا عَلَيْكَ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ غَمَرَتْ كُلَّ الْجِهَاتِ وَلَمْ تَبْرَحْ وَلَمْ تَرِمِ -
 غَرَاءُ كَالشَّمْسِ قَدْ أَلْقَتْ أَشِعَّتِهَا حَتَّى لَيْبِصِرَهَا عَلَيْكَ كُلُّ عَمِي
 فاشْكُرْ وَلَسْتَ مُطِيقًا شُكْرَهَا أَبَدًا وَلَوْ جَهَدْتَ فَسَدَّ وَيْكَ وَالتَّزِمِ -
 رِزْقٍ وَأَمْنٍ وَإِيمَانٍ وَعَافِيَةٍ مَتَى تَقُومَ بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ
 آخِر:

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 عَلَى نِعَمٍ مِنْهَا الْهِدَايَةُ لِلْحَمْدِ
 صَحِيحًا خَلَقْتَ الْجِسْمَ مِنِّي مُسَلِّمًا
 وَأَلْطَفْتَ بِي مَا زَالَ مُدُّ كُنْتُ فِي الْمَهْدِ
 وَكُنْتُ يَتِيمًا قَدْ أَحَاطَ بِي الرَّدَى
 فَأَوَيْتَ وَاسْتَنْقَذْتَ مِنْ كُلِّ مَا يُرِيدِي
 وَهَبْتَ لِي الْعَقْلَ الَّذِي بِضِيَائِهِ
 إِلَى كُلِّ خَيْرٍ يَهْتَدِي طَالِبُ الرُّشْدِ
 وَوَفَّقْتَ لِلْإِسْلَامِ قَلْبِي وَمَنْطِقِي
 فَيَا نِعْمَةً قَدْ جَلَّ مَوْقِعُهَا عِنْدِي
 وَلَوْ رُمْتُ جُهْدِي أَنْ أُجَازِي فَضِيلَةً
 فَضَلْتُ بِهَا لَمْ يَجُزْ أَطْرَافَهَا جُهْدِي
 أَلَسْتَ الَّذِي أَرْجُو حَنَانَكَ عِنْدَمَا
 يُخَلِّفُونَ الْأَهْلُونَ وَحَدِي فِي لَحْدِي
 قَجْدٌ لِي بِلُطْفِ مِنْكَ يَهْدِي سَرِيرَتِي
 وَقَلْبِي وَيُدْنِيهِ إِلَيْكَ بِلا بُعْدِ

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَعْرِفُ مِنْ بَوَاطِنِ أُمُورِ نَفْسِهِ
 وَخَفَايَا أَرْكَانِهَا مَا هُوَ مُنْفَرِدٌ بِهِ وَلَوْ كَشَفَ الْغِطَاءَ عَنْهُ حَتَّى اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ

مِنَ الْخَلْقِ لَا افْتَضَحَ فَكَيْفَ لَوْ اطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ كَافَّةً فَلِمَ لَا يُشْكِرُ اللَّهُ
عَلَى سِتْرِ مَسَاوِيهِ حَيْثُ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ .

وَأَيْضاً مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ وَأَخْلَقَهُ أَوْ صِفَاتِهِ أَوْ
جَاهِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ وُلْدِهِ أَوْ مَسْكِنِهِ أَوْ بَلَدِهِ أَوْ سَائِرِ مَحَابِّهِ أَمْوراً لَوْ سُلِبَ ذَلِكَ
مِنْهُ وَأَعْطِيَ مَا خُصِّصَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُهُ لَكَانَ لَا يَرْضَى وَذَلِكَ مِثْلُ أَنَّ اللَّهَ
جَعَلَهُ مُؤْمِناً لَا كَافِراً وَحَيّاً لَا مَيْتاً وَإِنْسَاناً لَا بَهِيمَةً وَذَكَراً لَا أُنْثَى وَصَحِيحاً
لَا مَرِيضاً وَعَاقِلاً لَا مَجْنُوناً وَسَلِيماً لَا مَعِيْباً فَإِنَّ هَذِهِ خَصَائِصُ فَعَلِيهِ أَنْ
يُشْكِرَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلَا يَغْفُلُ .

شِعراً :

إِذَا أَنَا لَمْ أَشْكُرْ لِرَبِّي دَائِماً وَلَمْ أَصِفْ مِنْ قَلْبِي لَهُ الْوِدَّ أَجْمَعاً
فَلَا سَلِمَتْ نَفْسِي مِنَ السُّوءِ سَاعَةً وَلَا نَظَرْتُ عَيْنِي مِنَ الشَّمْسِ مَطْلَعاً
شِعراً :

تَبَارَكَ مَنْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيُذَكِّرُ
عَلَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى فَوْقَ عَرْشِهِ
إِلَى خَلْقِهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يُنْظَرُ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَادِرٌ وَمُدَبِّرٌ
وَمَنْ دُونَهُ عَبْدٌ ذَلِيلٌ مُدَبِّرُ
يَدَاهُ لَنَا مَبْسُوطَتَانِ كِلَاهِمَا
يَسْحَانِ وَالْأَيْدِي مِنَ الْخَلْقِ تَقْتَرُ
وَإِنْ فِيهِ فَكَّرْنَا اسْتَحَالَتْ عُقُولُنَا
وَأَبْنَا حَيَارَى وَاضْمَحَلَّ التَّفَكُّرُ

وَأَنَّ نَقَرَ الْمَخْلُوقِ عَنْ عِلْمِ ذَاتِهِ
 وَعَنْ كَيْفِ كَمَا الْأَمْرُ تَأَهُ الْمُنْقَرُ
 وَلَوْ وَصَفَ النَّاسُ الْبَعُوضَةَ وَحَدَهَا
 بِعِلْمِهِمْ لَمْ يُحْكِمُوهَا وَقَصَرُوا
 فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
 وَمَنْ هُوَ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَغَيَّرُ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَوَفَّقْنَا لِلتَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ
 وَاحْطُطْ عَنَّا ثِقَلَ الْأَوْزَارِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
 عَذَابَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَقَالَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ الْمُسَمَّى الْأَدِلَّةُ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالتَّدْبِيرِ :
 تَأَمَّلْ هَذِهِ الْقُوَى الَّتِي فِي النَّفْسِ وَمَوَاقِعَهَا فِي الْإِنْسَانِ أَعْيَى الْفِكْرِ وَالْوَهْمِ
 وَالْعَقْلِ وَالْحِفْظِ وَعَبَّرَ ذَلِكَ أَفْرَأَيْتَ لَوْ نُقِصَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الْحِفْظِ وَحَدَهُ
 كَيْفَ تَكُونُ حَالُهُ وَكَمْ مِنْ خَلَلٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَمَعَاشِيهِ
 وَتِجَارَتِهِ إِذَا لَمْ يَحْفَظْ مَالَهُ وَمَا عَلَيْهِ وَمَا أَخَذَهُ وَمَا أُعْطِيَ وَمَا رَأَى وَمَا سَمِعَ
 وَمَا قَالَ وَمَا قِيلَ لَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ مِمَّنْ أَسَاءَ بِهِ وَمَا نَفَعَهُ مِمَّا ضَرَّهُ

ثُمَّ كَانَ لَا يَهْتَدِي لِطَرِيقِ لَوْ سَلَكَهُ مَا لَا يُحْصَى وَلَا يَحْفَظُ عِلْمًا وَلَوْ
 دَرَسَهُ عُمُرَهُ وَلَا يَعْتَقِدُ دِينًا وَلَا يَنْتَفِعُ بِتَجْرِبَةٍ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْتَبِرَ شَيْئًا عَلَى
 مَا مَضَى بَلْ كَانَ حَقِيقًا خَلِيقًا أَنْ يَنْسَلِخَ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ فَاَنْظُرْ إِلَى الْإِنْسَانِ
 فِي هَذِهِ الْخِلَالِ وَكَيْفَ مَوْجِعَ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا تُؤَنِّجُ الْجَمِيعِ .

وَأَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْحِفْظِ النِّعْمَةُ فِي النِّسْيَانِ
 فَلَوْلَاهُ لَمَا سَلَ أَحَدٌ عَنْ مُصِيبَةٍ وَلَا تَقَضَّتْ لَهُ حَسْرَةٌ وَلَا مَاتَ لَهُ حِقْدٌ وَلَا

اسْتَمْتَعَ بِشَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا مَعَ تَذَكُّرِ الْآفَاتِ وَلَا رَجَا غَفْلَةً مِنْ سُلْطَانِ
وَلَا فِتْرَةً مِنْ حَاسِدٍ أَفَلَا تَرَى كَيْفَ جُعِلَ فِي الْإِنْسَانِ الْحِفْظُ وَالنِّسْيَانُ وَهَمَا
مُخْتَلِفَانِ مُتَضَادَّانِ وَجُعِلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا قِسْمًا مِنَ الْمَصْلَحَةِ .

ثُمَّ انظُرْ إِلَى مَا خُصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ مِنْ هَذَا
الْخُلُقِ الْجَلِيلِ قَدْرُهُ الْعَظِيمِ غِنَاؤُهُ أَعْنَى الْحَيَاءِ فَلَوْلَا هَذَا الْحَيَاءُ الَّذِي
خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْإِنْسَانَ لَمْ يَقْرَ ضَيْفًا وَلَمْ يُوفِ بِالْعِدَّةِ وَلَمْ تُقْضَ الْحَوَائِجُ
وَلَمْ يُنَجَزِ الْجَمِيلُ وَلَمْ يُنْكَبِ الْقَبِيحُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى إِنْ كَثِيرًا
مِنَ الْأُمُورِ الْمَفْرُوضَةِ أَيْضًا إِنَّمَا تَفْعَلُ لِلْحَيَاءِ فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَوْلَا
الْحَيَاءُ لَمْ يَرَعَ حَقَّ وَالِدَيْهِ وَلَمْ يَصِلْ ذَا رَحِمٍ وَلَمْ يُؤَدِّ أَمَانَةً وَلَمْ يَعْفُ عَنْ
فَاحِشَةٍ أَفَلَا تَرَى كَيْفَ وَفِي الْإِنْسَانِ جَمِيعِ الْخِلَالِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُهُ
وَتَمَامُ أَمْرِهِ .

وَتَأَمَّلْ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِهِ مِنْ
هَذَا الْمَنْطِقِ الَّذِي يُعْبَرُ بِهِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ وَمَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ وَفِي قَلْبِهِ وَيَنْتَجِبُهُ
فِكْرُهُ بِهِ يَفْهَمُ عَنْ غَيْرِهِ مَا فِي نَفْسِهِ وَلَوْلَا ذَلِكَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ الْمُهْمَلَةِ
الَّتِي لَا تُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهَا بِشَيْءٍ وَلَا تَفْهَمُ عَنْ مُخْبِرٍ شَيْئًا .

وَكَذَلِكَ الْكِتَابَةُ الَّتِي بِهَا تُعِيدُ أَخْبَارَ الْمَاضِيْنَ لِلْبَاقِيْنَ وَأَخْبَارَ الْبَاقِيْنَ
لِلْآتِيْنَ وَبِهَا تَخْلُدُ الْكُتُبُ فِي الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَبِهَا يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ ذِكْرَ مَا
يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ وَلَوْلَاهَا لَا انْقَطَعَ بَعْضُ الْأَزْمِنَةِ عَنْ
بَعْضٍ وَأَخْبَارُ الْغَائِبِيْنَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَدَرَسَتْ الْعُلُومُ وَضَاعَتْ الْآدَابُ وَعَظُمَ
مَا يَدْخُلُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ
إِلَى النَّظَرِ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ وَمَا رَوَى لَهُمْ مِمَّا لَا يَسْعُهُمْ جَهْلُهُ .

وَانظُرْ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِسَانٌ مُهَيَّأٌ لِلْكَلامِ وَدِهْنٌ يُهْتَدَى بِهِ لِلْأُمُورِ

لَمْ يَكُنْ لِيَتَكَلَّمَ أَبَدًا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُّ مُهَيَّأَةً وَأَصَابِعُ لِلْكِتَابَةِ لَمْ يَكُنْ
لِيَكْتُبَ أَبَدًا وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا كَلَامَ لَهَا وَلَا كِتَابَةَ فَأَصْلُ ذَلِكَ
فِطْرَةُ الْبَارِي جَلٌّ وَعَلَا وَمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَى خَلْقِهِ فَمَنْ شَكَرَ أُثِيبَ وَمَنْ كَفَرَ
إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ .

وَفَكَّرْ فِيمَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ عِلْمَهُ وَمَا مُنِعَ مِنْهُ فَإِنَّهُ أُعْطِيَ عِلْمَ مَا
فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ فَأَمَّا صَلَاحُ دِينِهِ فَهُوَ مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
بِالدَّلَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ الْقَائِمَةِ وَزَكَاةِ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَمِنَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ
كَافَّةً وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَمُؤَاسَاةِ أَهْلِ الْخَلَّةِ وَأَشْبَاهِ
ذَلِكَ .

وَكَذَلِكَ أُعْطِيَ مَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاهُ كَالزَّرَاعَةِ وَالغِرَاسَةِ
وَاسْتِخْرَاجِ مَا فِي الْأَرْضَيْنِ وَاقْتِنَاءِ الْأَغْنَامِ وَالْأَنْعَامِ وَاسْتِنْبَاطِ الْمَاءِ وَمَعْرِفَةِ
الْعَقَاقِيرِ الَّتِي يَسْتَشْفِي بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ ضُرُوبِ الْأَسْقَامِ وَالْمَعَادِنِ الَّتِي
يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا أَنْوَاعَ الْجَوَاهِرِ وَرُكُوبِ السُّفُنِ وَالغُوصِ فِي الْبَحْرِ وَضُرُوبِ
الْحَيْلِ فِي صَيْدِ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْحَيْتَانِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الصَّنَاعَاتِ وَوُجُوهِ
الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَاسِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ وَيَكْثُرُ تَعْدَادُهُ مِمَّا فِيهِ
صَلَاحُ أَمْرِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ .

فَأُعْطِيَ عِلْمَ مَا يَصْلُحُ بِهِ دِينُهُ وَدُنْيَاهُ وَمُنِعَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي
شَأْنِهِ وَلَا طَاقَتِهِ أَنْ يَعْلَمَ كَعِلْمِ الْغَيْبِ وَعِلْمِ مَا فِي السَّمَاءِ وَمَا تَحْتَ
الْبَحَارِ وَأَقْطَارِ الْعَالَمِ وَمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَمَا فِي الْأَرْحَامِ وَأَشْبَاهِ هَذَا
مِمَّا حُجِبَ عَلَى النَّاسِ عِلْمُهُ فَانظُرْ كَيْفَ أُعْطِيَ عِلْمَ جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَحُجِبَ عَنْهُ مَا سِوَى ذَلِكَ لِيَعْرِفَ قُدْرَهُ وَنَقْصَهُ وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ
فِيهِ صَلَاحُهُ .

ثُمَّ تَأَمَّلْ مَا سُتِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ مِنْ مُدَّةِ حَيَاتِهِ فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ مِقْدَارَ عُمْرِهِ
وَكَانَ قَصِيرَ الْعُمْرِ لَمْ يَتَهَنَّأْ بِالْعَيْشِ مَعَ رَقَبِ الْمَوْتِ وَتَوَقَّعَ لَوْفَتِ قَدْ عَرَفَهُ

وَأَيُّقَنَ بِهِ وَإِنْ كَانَ طَوِيلَ الْعُمُرِ وَعَرَفَ ذَلِكَ وَثِقَ بِالْبَقَاءِ وَأَنَّهُمْكَ فِي
اللذاتِ وَالْمَعَاصِي وَعَمِدَ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ شَهْوَتِهِ ثُمَّ يَتُوبُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ وَهَذَا
مَذْهَبُ لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا يَقْبَلُهُ .

قُلْتُ وَمِمَّا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ قَدْرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ التَّفَكُّرُ
فِيهَا وَبِالتَّفَكُّرِ فِي حَالِ نَفْسِهِ قَبْلَ وُجُودِهَا فَيَنْظُرُ إِذَا كَانَ غَنِيًّا إِلَى حَالِ
فَقْرِهِ الْمُتَقَدِّمِ حِسًّا أَوْ مَعْنَى وَيَنْظُرُ إِذَا كَانَ صَاحِبًا إِلَى حَالِهِ حِينَمَا كَانَ
مَرِيضًا وَيَنْظُرُ إِذَا كَانَ مُطِيعًا لِلَّهِ وَقَتَ عِضْيَانِهِ لِلَّهِ حَيْثُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِضِدِّ
تِلْكَ الْحَالَةِ .

وَيَنْظُرُ إِذَا كَانَ ذَاكِرًا لِلَّهِ عَلَى الدَّوَامِ أَيَّامَ كَانَ غَافِلًا لَاهِيًّا وَيَنْظُرُ إِذَا
كَانَ قَارِنًا أَيَّامَ أَنْ كَانَ لَا يَقْرَأُ وَلَيَنْظُرُ إِذَا كَانَ عَالِمًا إِلَى وَقْتِ جَهْلِهِ وَيَنْظُرُ
إِذَا كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ صَالِحِينَ أَيَّامَ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَوْلَادٌ وَيَنْظُرُ إِذَا كَانَ فِي
مَسْكَنٍ وَاسِعٍ مُنَاسِبٍ أَيَّامَ أَنْ كَانَ يَسْتَأْجِرُ أَوْ فِي بَيْتٍ ضَيِّقٍ لَا يَرْضِيهِ .

وَهَكَذَا كُلُّ نِعْمَةٍ يَنْظُرُ إِلَى وُجُودِ ضِدِّهَا الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ ذَلِكَ
فَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ عَمِلَ بِهَذَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا فَيَشْكُرُهَا فَتَدْوُمُ عَلَيْهِ بِإِذْنِ اللَّهِ
تَعَالَى لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فَمَنْ شَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ زَادَهُ اللَّهُ مِنْهَا وَقِيلَ الشُّكْرُ قَيْدُ الْمَوْجُودِ
وَصَيْدُ الْمَفْقُودِ .
شعرا :

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيْعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيْعُ
وَفِي أَثَرِ الْإِلَهِيِّ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مَجَالِسِي وَأَهْلُ
شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أَقْنُطُهُمْ

مِنْ رَحْمَتِي إِنْ تَابُوا فَأَنَا حَسِيْبُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَأَنَا طَيْبُهُمْ ابْتِلِيَهُمْ
بِالْمَصَائِبِ لِأَطْهَرَهُمْ مِنَ الْمَعَائِبِ وَقِيلَ مَنْ كَتَمَ نِعْمَةً فَقَدْ كَفَرَهَا وَمَنْ
أَظْهَرَهَا وَنَشَرَهَا فَقَدْ شَكَرَهَا وَهَذَا مَاخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ
اللَّهُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ قُلْتُ .

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ
النَّاسِكَ الْبَاطِنِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى عَلَى عَبْدِهِ الْجَمَالَ
الظَّاهِرَ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يَرَى عَلَيْهِ الْجَمَالَ الْبَاطِنَ بِالتَّقْوَى وَنِظَافَةِ الظَّاهِرِ مَعَ
نِظَافَةِ الْبَاطِنِ نُورٌ عَلَى نُورٍ قَالَ بَعْضُهُمْ لِمَنْ انْتَقَدَهُ فِي تَحْسِينِ ثِيَابِهِ :

حَسِّنْ ثِيَابَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهَا
رَزِينُ الرَّجَالِ بِهَا تُعَزُّ وَتُكْرَمُ
فَرَنَاتُ ثَوْبِكَ لَا يَزِيدُكَ رِفْعَةً
عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمٌ
وَجَدِيدُ ثَوْبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ أَنْ
تَخْشَى الْإِلَهِ وَتَتَّقِي مَا يَحْرُمُ

آخر :

تَجَمَّلْ بِالثِّيَابِ تَعِشْ حَمِيدًا
فَإِنَّ الْعَيْنَ قَبْلَ الْأَخْتِبَارِ
فَلَوْ لَبَسَ الْجِمَارُ ثِيَابَ خَزِرٍ
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ جِمَارٍ

وَتَأْمَلُ حِكْمَةَ عَدَمِ تَشَابُهِ النَّاسِ بِخِلَافِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ فَإِنَّكَ تَرَى
السَّرْبَ مِنَ الطَّبَائِ وَالْقَطَا يَتَشَابَهُ حَتَّى لَا يُفْرَقُ بَيْنَ وَاحِدٍ مِنْهَا وَبَيْنَ الْأَجْرِ
وَتَرَى النَّاسَ مُخْتَلِفَةً صُورُهُمْ وَخَلْقُهُمْ حَتَّى لَا يَكَادُ اثْنَانِ مِنْهُمْ يَجْتَمِعَانِ
فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يَتَعَارَفُوا

بأعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين
البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه .

ألا ترى أن التشابه في الطير والوحش لا يضرها شيئاً وليس كذلك
الإنسان فإنه ربما تشابه التوأمين تشابهاً شديداً فتعظم المؤنة على الناس
في معاملتها حتى يؤخذ أحدهما بذنب الآخر فتبارك الله أحسن
الخالقين .

وتأمل لو كان الإنسان لا يصبه ألم ولا وجع بم كان يرتدع عن
الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس أما ترى الإنسان إذا عرض
له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربه في العافية وسط يده في الصدقة انتهى .
اللهم طهر قلوبنا من الحسد والحقد والبغض لعبادك المؤمنين واغفر لنا
ولو الديننا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى
الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة : عباد الله لقد أنعم الله علينا بنعم كثيرة ، وجاد علينا بخيرات
وفيرة غفلنا عنها ، وعن ضدها ، وجهلنا حكمتها ، أعطانا جل وعلا العقل ،
وميزنا به عن الحيوانات ، وأرسل إلينا الرسل ، يرشدوننا للحق وخالص
الإيمان ، منحنا القوة والعافية ، وصحة البدن ، وسلامة الأعضاء .

وجعل لنا السمع ، والبصر ، واللسان ، والشفقين ، وعلمنا البيان
والإفصاح ، عن ما نقصد بالكلام ، خلقنا في أحسن تقويم ، وجعل لنا
الأرض فراشاً ، والسماء بناءً ، وأنبت لنا في الأرض النخيل ، والأعنان
والزرع وسائر ما نحتاج إليه من الثمار ، ونستخرج منها المعادن ،
والخامات .

وأجرى لنا فيها الأنهار ، وأنبع لنا الماء الزلال ، وخلق الشمس
والقمر ، والنجوم ، مسخرات بأمره تمدنا بالأنوار ، والمنافع ، للأبدان

والثمار ، والنباتات ، وفيها من الاتقان ، والجمال ، والاتزان في سيرها
مدى الليالي والأيام ، ما يشهد لله بالوحدانية ، والحكمة ، والقدرة
الباهرة ، والعلم ، وسائر صفات الكمال .

ولله نعم أخرى لا تعد ، ولا تحصى ، كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إذا يجب علينا
شكره تعالى على نعمه ، وهو الغني الحميد ، غني عن العالمين ،
والخلق هم الفقراء إليه ، كما قال جل وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، وليس لله في شكرنا منفعة تعود إليه ،
وليس في كفر نعمه ضرر عليه ، إنما تعود منفعة الشكر إلى الشاكر كما
قال تعالى ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ .

إنما الذي ينتظر الشكر مخلوق مثلنا وأنت إذا شكرت الله إنما
تبرهن على فهمك لنعمة الله ، وتقديرك له إن شكرت فقد وجهت النعمة
وجهة الخير ، والنفع ، واستعملتها فيما يسعدك في الدنيا والآخرة ، وإن
كفرت فقد برهنت على سوء فهمك ، وعدم تقديرك لربك ، وعلى
تعمقك في اللوم والرداءة .

وإذا تأملت الكثير من الناس وجدتته مهملًا للشكر الذي هو صرف
النعم فيما خلقت له ، واستعملها فيما شرعت لأجله ، لتظهر فائدتها
وتتم حكمتها ، ويجني العباد منافعها ، فالشاكر بلسانه وقلبه ، وعمله
من الفائزين ، ولكنه قليل ، كما قال تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾
الأكثر كما تقدم صرفوها فيما يعود عليهم ، وعلى أولادهم ، وأهلهم ،
وأمتهم بالضرر .

أنعم عليهم بالمال فقسّم خزنوه ومنعوا حقوقه فلم يخرجوا زكاته ،

وَلَمْ يُسَاهِمُوا فِي مَشَارِيعِ دِينِيَّةٍ ، كِبْنَاءِ مَسَاجِدَ ، وَقَضَاءِ دِينٍ عَنِ مَدِينٍ
وَمُسَاعَدَةِ فَقِيرٍ ، وَإِجْرَاءِ مِيَاهٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُسَاعَدَةِ عَلَى نَشْرِ الْإِسْلَامِ
وِطْبَاعَةِ مَصَاحِفِ طِبَاعَةٍ جَيِّدَةٍ وَتَوَازِيْعَهَا عَلَى التَّالِيْنَ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَطِبَاعَةِ
الْكَتُبِ الدِّيْنِيَّةِ الْمُقَوِّبَةِ لِلشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَبِنَاءِ بُيُوتٍ لِمَنْ لَا مَسَاكِينَ
لَهُمْ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَقَسَمُ أَنْفَقُوا الْمَالَ فِي الْمَلَاذِ وَالْمَلَاهِي ، وَالْمُنْكَرَاتِ ، وَسَائِرِ
الْمُحَرَّمَاتِ ، أَذْهَبُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاسْتَمْتَعُوا بِهَا ، وَلَمْ يُرَاقِبُوا اللَّهَ
فِيهَا ، أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فِي الصِّحَّةِ وَالْفَرَاغِ الْمَفْرُوضِ أَنْ تُغْتَنَمَ فِي طَاعَةِ
اللَّهِ .

وَلَكِنْ يَا لِإِلَاسِفِ صُرِفَتْ فِي السَّهْرِ ، وَفِي الْفَسَادِ ، وَفِي الْمُجُونِ
وَالْكَسَلِ وَالتَّكْسَعِ ، وَالْخُمُولِ أَوْ التَّطَاوُلِ بِالْقُوَّةِ عَلَى الضُّعْفَاءِ ،
وَالْمَسَاكِينِ ، وَإِعَانَةِ الظُّلْمَةِ وَالْفَاسِقِينَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، مِنْ الْمَفَاسِدِ
وَالشَّرُورِ .

وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ بَاقِي النِّعَمِ مِنَ السَّمْعِ وَالبَصْرِ وَاللِّسَانِ وَالرَّجْلِ
فَلَمْ يَتَّقِ نِعْمَةَ إِلَّا وَقَلْبُوهَا ، وَلَا هَبَّةً مِنَ اللَّهِ إِلَّا وَجَحَدُوهَا فَتَزَلُّوا بَعْدَ
الرِّفْعَةِ وَذَلُّوا بَعْدَ الْعِزَّةِ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي مَدْحِ اللُّطِيفِ الْخَيْرِ جَلَّ وَعَلَا وَذَكَرَ بَعْضَ
الطَّافِيهِ :

أَحَاطَ بِتَفْصِيلِ الدَّقَائِقِ عِلْمُهُ
فَأَتَقَنَهَا صُنْعًا وَأَحْكَمَهَا فِعْلًا
فَمِنْ لُطْفِهِ حِفْظَ الْجَنِينِ وَصَوْنَهُ
بِمُسْتَوْدَعٍ قَدْ مَرَّ فِيهِ وَقَدْ حَلَّ
تَكَنَّفَهُ بِاللُّطْفِ فِي ظُلْمَاتِهِ
وَلَا مَالَ يُغْنِيهِ هُنَاكَ وَلَا أَهْلًا

وَيَأْتِيهِ رِزْقٌ سَابِغٌ مِنْهُ سَائِغٌ
يَرُوحُ لَهُ طَوَّالًا وَيَغْدُو لَهُ فَضْلًا
وَمَا هُوَ يَسْتَدْعِي غِذَاءً بِقِيَمَةٍ
وَلَا هُوَ مِمَّنْ يُحْسِنُ الشُّرْبَ وَالْأَكْلَا
جَرَى فِي مَجَارِي عِرْقِهِ بِتَلَطُّفٍ
بِلَا طَلَبٍ جَرِيًّا عَلَى قَدْرِهِ سَهْلًا
وَأَجْرَى لَهُ فِي الشَّدْيِ لُطْفَ غِذَائِهِ
شَرَابًا هَنِئًا مَا أَلَذَّ وَمَا أَحْلَا
وَالْهَمَّهُ مَصًّا بِحِكْمَةٍ فَاطِرٍ
لَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ الْجَزِيلُ بِمَا أَوْلَا
وَأَخَّرَ خَلْقَ السَّنِّ عَنْهُ لِوَفَّيْتَهَا
فَأَبْرَزَهَا عَوْنًا وَجَاءَ بِهَا طَوَّالًا
وَقَسَمَهَا لِلْقَطْعِ وَالْكَسْرِ قِسْمَةً
وَلِللَّطْحَنِ أَعْطَى كُلَّ قِسْمٍ لَهَا شَكْلًا
وَصَرَفَ فِي لَوْكِ الطَّعَامِ لِسَانَهُ
يُصَرِّفُهُ عُلُوقًا إِذَا شَاءَ أَوْ سُفْلًا
وَلَوْ رَامَ حَصْرًا فِي تَيْسُرِ لُقْمَةٍ
وَالطَّافِهِ فِيمَا تَكَنَّفَهَا كَلًّا
فَكَمَّ خَادِمٍ فِيهَا وَكَمَّ صَانِعٍ لَهَا
كَذَلِكَ مَشْرُوبٌ وَمَلْبَسُهُ كَلًّا
وَكَمَّ لُطْفٍ مِنْ حَيْثُ تَحَذَّرُ أَكْرَمَتْ
وَمَا كُنْتَ تَدِيرِي الْفِرْعَ مِنْهَا وَلَا الْأَصْلَا

وَمِنْ لُطْفِهِ تَكْلِيفُهُ لِعِبَادِهِ
 يَسِيرًا وَأَعْظَاهُمْ مِنَ النِّعَمِ الْجَزَلًا
 وَمِنْ لُطْفِهِ تَوْفِيقُهُمْ لِإِنَابَةِ
 تَوْصُلِ لِلْخَيْرَاتِ مِنْ حَبْلِهِمْ حَبْلًا
 وَمِنْ لُطْفِهِ بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
 لِيَشْفَعَ فِي قَوْمٍ وَلَيْسُوا لَهَا أَهْلًا
 وَمِنْ لُطْفِهِ حَفِظَ الْعَقَائِدَ مِنْهُمْ
 وَلَوْ خَالَفَ الْعَاصِي الْمُسِيءُ وَإِنْ زَلَّ
 وَمِنْ لُطْفِهِ إِخْرَاجُهُ عَسَلًا كَمَا
 تُشَاهِدُ مِمَّا كَانَ أَوْدَعَهُ النَّحْلًا
 وَإِخْرَاجُهُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ مُجَاوِرٍ
 دَمًا لَبِنًا صِرْفًا بِلَا شَائِبٍ رِسْلًا
 وَإِخْرَاجُهُ مِنْ دُوْدَةٍ مَلْبَسًا لَهُ
 رُوقًا عَجِيْبًا أَحْكَمْتَهُ لَنَا غَزْلًا
 وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا خَلْقِهِ الْقَلْبَ عَارِفًا
 بِهِ شَاهِدًا أَنْ لَا شَيْبَةَ وَلَا مِثْلًا
 وَالطَّافُ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فَخَذُ بِمَا
 بَدَا لَكَ وَأَشْهَدُهَا وَإِيَّاكَ وَالْجَهْلًا
 وَصَلَّ عَلَى الْمُخْتَارِ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ
 عَلَى خَالِصِ الْعِرْفَانِ بِاللَّهِ قَدْ دَلَّ

اللَّهُمَّ احْتِمِ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُمُ الْحُسْنَى
 وَزِيَادَةَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ) فِي الْمَرْوَةِ

الْمَرْوَةُ بِمَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ لِأَنَّهَا مَأْخُودَةٌ مِنَ الْمَرْءِ وَهِيَ تَعَاظِي مَا يُسْتَعْسَنُ وَتَجُنَّبُ مَا يُسْتَرَدَّلُ قَالَ بَعْضُهُمْ حَدُّ الْمَرْوَةِ رَعْيُ مَسَاعِي الْبِرِّ ، وَرَفْعُ دَوَاعِي الضَّرِّ وَالطَّهَارَةُ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْنَسِ ، وَالتَّخَلُّصُ مِنْ عَوَارِضِ الْإِلْتِيَّاسِ ، حَتَّى لَا يَتَعَلَّقُ بِحَامِلِهَا لَوْمٌ ، وَلَا يَلْحَقُ بِهِ ذَمٌّ .

وَقِيلَ هِيَ آدَابُ نَفْسِيَّةٌ تَحْمِلُ مِرَاعَاتِهَا الْإِنْسَانَ عَلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْعَادَاتِ وَقِيلَ هِيَ قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ مَبْدَأٌ لِمُصْدُورِ الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ عَنْهَا الْمُسْتَبَعَةُ لِلْمَدْحِ شَرْعًا وَعَقْلًا وَفِرْعًا وَكُلُّهَا قَرِيبَةٌ الْمَعْنَى . وَقِيلَ هِيَ الصِّدْقُ وَالشُّرْقُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَالشُّجَاعَةُ وَالْحَمِيَّةُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْمَرْوَةُ كَلِمَةٌ لَفْظُهَا كَمَعْنَاهَا حُلُوٌ جَمِيلٌ إِنْ قَرَعَتْ السَّمْعَ فَعَظْمَةٌ وَجَلَالٌ وَإِنْ نَفَذَتْ إِلَى الْقَلْبِ فَتَبَلُّ وَسُمُوٌّ وَسُعُورٌ بِالْكَرَامَةِ وَالْكَمَالِ وَلَسْتُ أَعِدُّ عَنِ الْحَقِّ إِنْ قُلْتُ إِنَّ الْمَرْوَةَ هِيَ جَمَاعُ الْفَضَائِلِ وَرَأْسُ الْمَكَارِمِ وَعَنْوَانُ الشَّرَفِ بِهَا يَسْمُو الْمَرْءُ وَيَرْتَفِعُ ذِكْرُهُ وَيَفْقِدُهَا يَفْقِدُ كُلَّ كَرَامَةٍ وَفَضْلٍ .

فَهِيَ مِيزَانُ الرَّجَالِ وَأَصْلُ الْجَمَالِ وَحَدُّ الْمَرْوَةِ تَجَمُّلُ النَّفْسِ بِمَا يَزِينُهَا وَتَحْصِينُهَا بِمَا يَشِينُهَا بِحَيْثُ تَكُونُ لِلْمَحَامِدِ أَهْلًا وَعَيْنَ الْمَذَامِ بِمَنَآئٍ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ رَاضٍ نَفْسَهُ عَلَى التَّخَلُّفِ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالتَّجَمُّلِ بِجَمِيلِ الْعَادَاتِ حَتَّى يُصْبِحَ التَّطَبُّعُ جِبِلَّةً وَالتَّعَوُّدُ غَرِيزَةً وَلَيْسَ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَنَازَعَ هَوَاهُ رَغْبَةً فِي حُسْنِ الْأَحْدُوثةِ وَالدَّكْرِ الْجَمِيلَةِ . كَمَا قِيلَ :

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كَلَّمَا تُذَكِّرُنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يُصَدِّعُ
فَأَبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةٍ كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ

وما ذاك من عجبٍ به غير أنني أرى أن ترك الشرِّ للشرِّ أقطعُ
آخر : وإنما المرءُ حديثٌ بعده

فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلَتْهُ

والمرءُ يتقى بعده حُسنُ الثنا

وقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ عَامَلَ النَّاسَ
فَلَمْ يَظْلِمَهُمْ ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ ، فَهُوَ مِمَّنْ
كَمَلَتْ مُرُوَّتُهُ ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ ، وَوَجِبَتْ أُخُوَّتُهُ » وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ
اللَّهُ : وَحَقِيقَةُ الْمُرُوءَةِ تَجَنُّبُ الدَّنَايَا وَالرَّذَائِلِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ .

فَمُرُوءَةُ اللِّسَانِ حَلَاوَتُهُ وَطَيِّبُهُ وَلَيْئُهُ ، وَاجْتِنَاءُ الثَّمَارِ مِنْهُ بِسُهُولَةٍ
وَيُسْرٍ ، وَمُرُوءَةُ الْخُلُقِ سَعَتُهُ وَبَسْطُهُ لِلْحَبِيبِ وَالْبَغِيضِ .

وَمُرُوءَةُ الْمَالِ الْأَصَابَةُ بِبَدْلِهِ مَوَاقِعُهُ الْمَحْمُودَةُ عَقْلًا وَعُرْفًا وَشَرْعًا .
وَمُرُوءَةُ الْجَاهِ بَدْلُهُ لِلْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ ، وَمُرُوءَةُ الْأَحْسَانِ تَعْجِيلُهُ وَتَسْيِيرُهُ
وَتَوْفِيرُهُ وَعَدَمُ رُؤْيَتِهِ حَالَ وَقُوعِهِ وَنَسْيَانُهُ بَعْدَ وَقُوعِهِ ، فَهَذِهِ مُرُوءَةُ الْبَدْلِ .

وَأَمَّا مُرُوءَةُ التَّرْكِ ، فَتَرْكُ الْخِصَامِ وَالْمُعَاتَبَةِ وَالْمُمَارَاتِ ، وَالْأَغْضَاءِ
عَنْ عَيْبِ مَا يَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّكَ وَتَرْكُ الْأَسْتِقْصَاءِ فِي طَلْبِهِ وَالتَّعَافُلِ عَنْ
عَثْرَاتِ النَّاسِ ، وَإِشْعَارُهُمْ أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَثْرَةً ، وَالتَّوْقِيرُ
لِلْكَبِيرِ ، وَحِفْظُ حُرْمَةِ النَّظِيرِ ، وَرِعَايَةُ آدَبِ الصَّغِيرِ قَالَ وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِ
دَرَجَاتٍ الدَّرَجَةُ الْأُولَى مُرُوءَةُ الْإِنْسَانِ مَعَ نَفْسِهِ ، وَهِيَ أَنْ يَحْمِلَهَا قَسْرًا
عَلَى مَا يُجَمَّلُ وَيَزِينُ وَتَرْكُ مَا يُدْنَسُ وَيَشِينُ ، لِيَصِيرَ لَهَا مَلَكَةٌ فِي جَهْرِهِ
وَعَلَانِيَتِهِ .

شعرا : وَهَلْ يَنْفَعُ الْفِتْيَانَ حُسْنُ وَجُوهِهِمْ إِذَا كَانَتْ الْأَعْرَاضُ غَيْرَ حَسَنًا
فَلَا تُجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَى فَمَا كُلُّ مَصْقُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي

آخر : كالتور عقلاً ومثل التيس معرفة
الجهل شخص يُنادي فوق هامته
آخر : خليلي كم ثوب وكم من عباءة
وكم لحيه طال على حد جاهل
وكم راكب بغلاً له عقل بغله
آخر : كل الأنام بنوآب لكنما

فلا يكشف عورته في الخلوة ، ولا يتجشأ بصوت مريح ما وجد
إلى خلافه سبيلا ، ولا يخرج الريح بصوت ولا يجشع وينهم عند أكله
وحده وبالجملة فلا يفعل خالياً ما يستحي من فعله في الملاء إلا ما يحظره
الشرع والعقل إن وافق الشرع ولا يكون إلا في الخلوة كالجماع والتخلي
ونحو ذلك .

الدرجة الثانية المروءة مع الخلق بأن يستعمل معهم شروط الأدب
والحياء والخلق الجميل ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه
وليتخذ الناس المتمشقين مع الشريعة المطهرة في أقوالهم وأفعالهم مراة
لنفسه فكل ما كرهه ونفر عنه من قول أو فعل أو خلق فليجتنبه وما أحبه
من ذلك واستحسنه فليفعله .

وصاحب هذه البصيرة ينتفع بكل من خالطه وصاحبه من كامل
وناقص وسيء الخلق وحسنه ، وعديم المروءة وغزيرها ، وكثير من الناس
يتعلم المروءة ومكارم الأخلاق من الموصوفين بأصدادها كما روي عن
بعض الأكابر أنه كان له مملوك سيء الخلق فظ غليظ لا يناسبه فسئل
عن ذلك فقال أدرس عليه مكارم الأخلاق .

وكان لآخر زوجة حمقاء بذيئة اللسان تشتمه بل وتلعنه باستمرار
وتدعو عليه من دون داع فقيل له كيف تصبر عليها وهذه سيرتها معك غفر
الله لك .

فقال أدرس عليها مكارم الأخلاق وبالأخص الحلم والصبر وأريد أن
تبرز لاتي فأجنبها وكان كثيراً ما يتمثل بهاذين البيتين :

عَدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هَمُّوَا بَحْثُوا عَن رَزَاتِي فَأَجْتَنَّبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَكَتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا
وهَذَا يَكُونُ بِمَعْرِفَةِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي ضِدِّ أَخْلَاقِهِ وَيَكُونُ بِتَمَرِينِ
النَّفْسِ عَلَى مُصَاحَبَتِهِ وَمُعَاشَرَتِهِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَلَكِنْ مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ
الَّذِينَ قَدَّ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ .

كما قيل :

النَّاسُ مِثْلُ بَيُوتِ الشُّعْرِ كَمَ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِالْفِ وَكَمَ بَيْتٍ بِدِيَوَانِ
آخِر :

وَكَمَ لِلَّهِ مِنْ عَبِيدِ سَمِينِ كَثِيرِ اللَّحْمِ مَهْزُولِ الْمَعَالِيَا
كَشِبِهِ الطَّبْلِ يُسْمَعُ مِنْ بَعِيدِ وَيَاطِنُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ خَالِيَا
الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ الْمَرْوَةُ مَعَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْأَسْتِحْيَاءِ مِنْ نَظَرِهِ إِلَيْكَ
وَإِطْلَاعِهِ عَلَيْكَ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ وَنَفْسٍ وَاصْلَاحِ عُيُوبِ نَفْسِكَ جَهْدَ الْإِمْكَانِ
إِنَّهُ قَدْ اشْتَرَاهَا مِنْكَ وَأَنْتَ سَاعٍ فِي تَسْلِيمِ الْمَيْعِ وَتَقَاضِيِ الثَّمَنِ وَلَيْسَ مِنْ
الْمَرْوَةِ تَسْلِيمُهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عُيُوبٍ وَتَقَاضِيِ الثَّمَنِ كَامِلًا أَوْ رُؤْيَا مِثَّتِهِ فِي هَذَا
الْأَصْلَاحِ وَأَنَّهُ هُوَ الْمُتَوَلَّى لَهُ لَا أَنْتَ .

وَالْأَشْتِغَالِ بِاصْلَاحِ عُيُوبِكَ نَفْسَكَ عَنِ التَّفَاتِكِ إِلَى عَيْبِ غَيْرِكَ
وَشُهُودِ الْحَقِيقَةِ عَن رُؤْيَا فِعْلِكَ وَاصْلَاحِهِ أَهـ .

عَلَيْكَ نَفْسَكَ فَتَشْ عَن مَعَايِبِهَا وَخَلِيٍّ مِنْ عَشْرَاتِ النَّاسِ لِلنَّاسِ
وَمَا تَقَدَّمَ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ مُرَاعَاةَ النَّفْسِ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ وَأَفْضَلِهَا
هِيَ الْمَرْوَةُ وَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ يَنْقَادُ لَهَا مَعَ ثِقَلِ كُلْفِهَا إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ
وَسَهَّلَ عَلَيْهِ الْمَشَاقَّ وَبَوَدَّ كُلُّ أَحَدٍ لَوْ حَصَلَتْ لَهُ الْمَرْوَةُ وَلَكِنْ كَمَا قِيلَ :

وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى، وَلَكِنْ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ

آخر: فلا تَحْسَبُوا أَنَّ الْمَعَالِي رَخِيصَةٌ وَلَا أَنْ إِذْرَاكَ الْعُلَى هَيِّنٌ سَهْلٌ
فَمَا كُلُّ مَنْ يَسْعَى إِلَى الْمَجْدِ نَالُهُ وَلَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى الْعُلَا نَفْسُهُ تَعْلُو
قَالَ الْعُلَمَاءُ وَالِدَّاعِي إِلَى اسْتِسْهَالِ الْمَشَاقِ شَيْئَانِ عَلُوُ الْهِمَّةِ وَشَرَفُ
النَّفْسِ فَأَمَّا عَلُوُ الْهِمَّةِ فَيَدْعُو إِلَى التَّقَدُّمِ وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنْ
اللَّهُ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ دَنِيَّهَا وَسَفَسَافَهَا » قَالَ الْمَنَاوِي مَعَالِيَ
الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا هِيَ الْأَخْلَاقُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْحِصَالُ الدِّينِيَّةُ أ هـ .

وَأَمَّا سَفَسَافُ الْأُمُورِ فَهُوَ حَقِيرُهَا وَرَدِيئُهَا ، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَا تَصْغُرَنَّ هِمْمُكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَرِ أَقْعَدَ عَنْ
الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صَغُرِ الْهِمَمِ :

حَاوِلْ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الْمَحَامِدَ وَالْعُلَى أَرْزَاقُ
آخِرُ : يَسْتَقْرِبُ الدَّارَ شَوْقًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مَنْ عَالَجَ الشُّوقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا
آخِرُ : فَإِنَّ عَلِيَّاتِ الْأُمُورِ مَشْوَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ
آخِرُ :

بَصُرْتُ بِالْحَالَةِ الْعُلْيَا فَلَمْ تَرَهَا نُتْنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرٍ مِنَ التَّعَبِ
آخِرُ : وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
ويقول :

تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِذَا طَلَبَ رَجُلَانِ أَمْرًا ظَفَرَ بِهِ أَعْظَمُهَا مُرُوءَةً لِكَثْرَةِ
وُجَاهَتِهِ وَوَسَائِطِهِ عِنْدَ ذَوِي الْأَمْرِ ، وَأَمَّا شَرَفُ النَّفْسِ فَيَدْعُو إِلَى الشَّهَامَةِ
وَهِيَ الْحِرْصُ عَلَى مَا يُوجِبُ الذِّكْرَ الْجَمِيلَ ، وَالْإِحْتِمَالُ وَهُوَ إِتْعَابُ النَّفْسِ
فِي الْحَسَنَاتِ كَمَا قِيلَ :

وَأِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الشَّنَاءِ سَبِيلُ
فِيَاتَعَا بِهَا يَكُونُ قَبُولُ التَّأْدِيبِ وَاسْتِقْرَارُ التَّقْوِيمِ وَالتَّهْدِيبِ لِأَنَّهَا رُبَّمَا
تَرَكَتِ الْأَفْضَلَ وَهِيَ بِهٍ عَارِفَةٌ ، وَنَفَرَتْ عَنِ التَّأْنِيبِ وَهِيَ لَهُ مُسْتَحْسِنَةٌ ،

لِأَنَّهَا عَلَيْهِ غَيْرَ مَطْبُوعَةٍ وَلَهُ غَيْرُ مَلَائِمَةٍ ، وَقَدْ قِيلَ : مَا أَكْثَرُ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا يُطِيعُهُ ، وَإِذَا شَرُفَتِ النَّفْسُ كَانَتْ لِلْأَدَابِ طَالِبَةً ، وَفِي الْفَضَائِلِ رَاغِبَةً فَإِذَا خَالَطَ شَرَفُ النَّفْسِ الْأَدَابَ صَادَفَ طَبَعًا مَلَائِمًا فَنَمَا وَاسْتَقَرَّ بِأُذُنِ اللَّهِ تَعَالَى

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَّتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
اللَّهُمَّ احْمِنَا عَنِ الْمَيْلِ وَالرُّكُوعِ إِلَى أَعْدَائِكَ وَأَرْزُقْنَا بُغْضَهُمْ وَأَعْوَانَهُمْ
وَالْمُؤَيَّدِينَ لَهُمْ اللَّهُمَّ شَتِّتْ شَمْلَهُمْ وَدَمَّرْهُمْ أَجْمَعِينَ وَأَنْصِرْ مَنْ نَصَرَ الْإِسْلَامَ
وَالْمُسْلِمِينَ وَأَحَبَّ فِيكَ وَأَبْغَضَ فِيكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

قَالَ الْعُلَمَاءُ وَلِلْمَرْوَةِ شُرُوطٌ فِي نَفْسِ الْمَرْءِ وَشُرُوطٌ فِي حَقِّ غَيْرِهِ
فَأَمَّا شُرُوطُهَا فِي حَقِّ نَفْسِهِ بَعْدَ التِّزَامِ مَا أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ مِنْ أَحْكَامِهِ فَيَكُونُ
بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ وَهِيَ الْعِفَّةُ وَالنَّزَاهَةُ وَالصِّيَانَةُ .

فَأَمَّا الْعِفَّةُ فَنَوْعَانِ أَحَدُهُمَا الْعِفَّةُ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَالثَّانِي الْعِفَّةُ عَنِ
الْمَائِمِ .
شعرا :

فَيَأْتِنُفْسُ صَبْرًا إِتْمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنِ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرُ
فَأَمَّا الْعِفَّةُ عَنِ الْمَحَارِمِ فَنَوْعَانِ ، أَحَدُهُمَا ضَبْطُ الْفَرْجِ عَنِ الْحَرَامِ
كَالزَّانَا وَاللَّوْاطِ .

وَالثَّانِي : كَفُّ اللَّسَانِ عَنِ الْأَعْرَاضِ كَالْقَذْفِ وَالسَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ
وَالغَيْبَةِ وَالْكَذْبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . مِمَّا قَدْ كَثُرَ فِي زَمَانِنَا بِسَبِّ التَّلْفِزِيُونِ
وَالْفِيْدِيُو وَالْتَلْفُونِ الْمَذِيْعِ فَلِهَذَا يَنْبَغِي الْاِبْتِعَادُ عَنِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ
إِصْلَاحِ قَالِ بَعْضَهُمْ .

لِقَاءِ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيْدُ شَيْئًا سِوَى الْهَدْيَانِ مِنْ قِيْلِ وَقَالِ
فَأَقْبِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِأَخْذِ الْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ

آخر : الناس ذاء ذفين لا دواء له
 إن كنت منبسطاً سُميت مسخرةً
 وإن توأصلهم قالوا به طمع
 وإن تهور يلقوه بمنقصة
 العقل قد حار منهم فهو مندهل
 أو كنت منقبطاً قالوا به ثقل
 وإن تقاطعهم قالوا به ملل
 وإن تزهّد قالوا زهده حيل
 آخر :

لقاء أكثر من تلقاه أوزار
 لهم لديك إذا جاؤك أو طار
 فأمّا ضبط الفرج عن الحرام فلان عدمه مع وعيد الشرع وزاجر
 العقل معرة فاضحة وإثم واضح ، ولذلك قال النبي ﷺ « من وقى شرّاً
 ذنبه ولقلبه وقبّبه فقد وقى » وفي رواية « فقد وجبت له الجنة » والمراد
 بالذنب الفرج وبلقلبه لسانه ، وبقبّبه بطنه .

والداعي إلى الوقوع في الحرام شيان إرسال الطرف والثاني اتباع
 الشهوة وقد تقدّم الكلام على النظر المحرم في ص ٢٠٩ .

شعراً :

ليس الظريف بكامل في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفاً
 فإذا تورّع عن محارم ربه فهناك يدعى في الأنام ظريفاً
 ومن ذلك ترغيب النفس في الحلال عوضاً عن الحرام وأفناعها
 بالمباح بدلاً من المحرم فإن الله ما حرم شيئاً إلا وأغنى عنه بمباح ليكون
 ذلك الأغناء عوناً عوناً على الطاعة ، وحاجزاً عن المخالفة ، قال عمر رضي
 الله عنه ما أمر بشيء إلا وأعان عليه ، ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه .

ما أقبح العرض مدنوساً بفاحشة
 والحسن لا حسن في وجه تأمله
 وللشبيبة ببيان تكمله
 يخطها اللوح أو يجري بها القلم
 إن لم تكن مثله الأخلاق والشيم
 لك الثلاثون عاماً ثم ينهدم

وَمِنْ ذَلِكَ إِشْعَارَ النَّفْسِ تَقْوَى اللَّهِ فِي أَوَامِرِهِ ، وَاتَّقَاؤُهُ فِي زَوَاجِرِهِ
وَالزَّمَامَهَا مَا الزَّمَّ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَتَحذِيرُهَا مَا حَذَرَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَإِعْلَامُهَا أَنَّهُ لَا
يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا بَيْنَهُمَا كَمَا قَالَ تَعَالَى
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا
أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ .

وَأَنَّهُ يُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ وَأَنَّهُ يُجَازِي الْمُسِيءَ بِمَا عَمِلَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ
جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
وَبِذَلِكَ نَزَلَتْ الْكُتُبُ وَبَلَّغَتْ الرُّسُلُ .

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ آخِرَ مَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قَالَ فِي مِنْهَاجِ
الْيَقِينِ شَرْحِ أَدَبِ الدُّنْيَا وَالِدِينِ فَإِذَا أَشْعَرَ صَاحِبُ الشُّهُوَةِ مَا وَصَفَتْ مِنْ
الْأُمُورِ انْقَادَتْ أَيُّ النَّفْسِ إِلَى الْكُفِّ وَأُدْعِنَتْ بِالْإِتْقَانِ فَسَلِمَ دِينُهُ مِنْ دَبْسِ
الرَّيْبَةِ وَظَهَرَتْ مُرُوتُهُ .

وَأَمَّا كُفُّ اللِّسَانِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْأَعْرَاضِ ، فَالْوُقُوعُ فِيهَا مَلَاذُ
السُّفَهَاءِ ، وَانْتِقَامُ أَهْلِ الْعَوْغَاءِ وَالسَّفَلَةِ ، قُلْتُ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ أَبُو الطَّيِّبِ
فِي قَوْلِهِ : مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِقَوْلِهِ فَقَدْ اغْتَابَ وَقَذَفَ الْأَبْرِيَاءَ .

وَأَكْبَرَ نَفْسِي عَنِ جَزَاءِ بَغِيَّةٍ وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدٌ مَنْ لَأَلَهُ جُهْدٌ
وَهُوَ مُسْتَسْهَلُ الْكُلْفِ إِذَا لَمْ يَقْهَرْ نَفْسَهُ عَنْهُ بَرَادِعَ كَافٍ وَزَاجِرَ سَادٍ
تَلَبَّطَ بِمَعَارَةٍ وَتَخَبَّطَ بِمَضَارَةٍ فَهَلْكَ وَأَهْلَكَ وَلِذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » فَجَمَعَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحُرْمَةِ بَيْنَ سَفْكِ الدَّمِ ، وَهَتْكِ الْعِرْضِ ، لِمَا
فِيهِ مِنْ إِيْغَارِ الصُّدُورِ بِالْحَقْدِ وَإِبْدَاءِ الشُّرُورِ وَإِظْهَارِ الْبِدَاءِ .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ بِفُضُولِ الْكَلَامِ وَفُضُولِ

وَأَمَّا الْعِفَّةُ عَنِ الْمَأْتَمِ فَنَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا الْكَفُّ عَنِ الْمُجَاهِرَةِ
بِالظُّلْمِ وَالثَّانِي زَجْرُ النَّفْسِ عَنِ الْأَسْرَارِ بِالْخِيَانَةِ فَأَمَّا الْمُجَاهِرَةُ بِالظُّلْمِ
فَعَتُوْ مُهْلِكٌ ، وَطُغْيَانٌ مُتْلَفٌ لِلْمُجَاهِرِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ رُوِيَ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا تَمْكُرُوا وَلَا تُعِينُوا مَا كَرِهَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يَقُولُ ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ وَلَا تَبْغُوا وَلَا تُعِينُوا
بَاغِيًّا فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿ إِنَّمَا بَغَيْكُم عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ .

وَالْبَاعِثُ عَلَى الْمُجَاهِرَةِ بِالظُّلْمِ الْجُرْأَةُ وَالْقَسْوَةُ ، وَالصَّادُّ عَنْ ذَلِكَ
رُؤْيَةُ آثَارِ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الظَّالِمِينَ ، وَأَنْ يَتَصَوَّرَ عَوَاقِبَ ظُلْمِهِمْ
وَأَمَّا الْأَسْتِسْرَارُ بِالْخِيَانَةِ فَدَنَاءَةٌ وَلَا مَمَّةٌ .

وَأَمَّا النَّزَاهَةُ فَنَوْعَانِ أَحَدُهُمَا النَّزَاهَةُ عَنِ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَا ، وَالثَّانِي
زَجْرُ النَّفْسِ عَنِ الْأَسْرَارِ بِالْخِيَانَةِ فَأَمَّا الْمُجَاهِرَةُ بِالظُّلْمِ فَعَتُوْ وَطُغْيَانٌ .

شِعْرًا :

عَلَيْكَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
وَبِرُّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرُّ الْأَبَاعِدِ
وَلَا تَصْحَبَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ
وَقَارِنٌ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا مُؤَدَّبًا
فَتَى مِنْ بَنِي الْأَحْرَارِ زَيْنِ الْمَشَاهِدِ
وَكُفِّ الْأَذَى وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاتَّقِي
فَدَيْتِكَ فِي وَدِّ الْخَيْلِ الْمُسَاعِدِ
وَعُضِّ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَاجْتَنِبْ
أَذَى الْجَارِ وَاسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ الْمَحَامِدِ

وَكُنْ وَائْتِئاً بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
يَصْنُكَ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعْصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
وَلَا تَكُ لِلنَّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاحِدٍ
وَنَافِسٍ يَبْدُلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
بِهِمَّةِ مَحْمُودِ الْخَلَائِقِ مَا جِدِ
وَلَا تَبِنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءَ مُؤَمِّلٍ
خُلُوداً فَمَا حَيٌّ عَلَيْهَا بِخَالِدٍ
وَكُلْ صَدِيقِي لَيْسَ لِلَّهِ وَدُهُ
فَنَادِ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ

اللَّهُمَّ اسْتُرْ مَا بَدَا مِنَّا مِنْ الْعُيُوبِ وَأَمِّنَّا يَوْمَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

في بر الوالدين وتحريم عقوقهما

البرُّ : الصَّلَةُ وَالْحَسَنَةُ وَالْخَيْرُ ، وَفِي الْمَطَالِعِ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « وَأَنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ » الْبِرُّ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْخَيْرِ ، وَعَقُّ الْوَالِدِ
أَبَاهُ إِذَا آذَاهُ وَعَصَاهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِ : بَرُّ الْوَالِدِينَ فَرِيضَةٌ لَازِمَةٌ وَعَقُوقُهُمَا
حَرَامٌ ، وَلَا يُنْكَرُ فَضْلَ الْوَالِدِينَ إِلَّا الْمَتَوَعَّلُ فِي النَّذَالَةِ وَاللَّامَةِ .

وَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْأَبْنَاءُ وَالْبَنَاتُ مُجَازَاةَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَلَى مَا قَامُوا بِهِ
نَحْوَهُمْ مِنَ الطُّفُولَةِ إِلَى الرَّجُولَةِ مِنْ عَطْفٍ وَرِعَايَةٍ وَتَرْبِيَةٍ وَعِنَايَةٍ إِلَّا أَنْ
يَجِدَ الْوَالِدَ الْوَالِدَ مَمْلُوكاً فَيَسْتَرِيهَ فَيُعْتِقَهُ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجزي ولد والدة إلا أن يجده مملوكاً فيشتره فيعتقه » رواه مسلم .

فشكر المنعم واجب ، ولله سبحانه على العباد نعم ، لا تحصى كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ من ذلك نعمة الخلق والإيجاد ، وجعل سبحانه وتعالى للوالدين نعمة الأيلاء والتربية الصالحة ، والعناية التامة بالأولاد ، وأكبر الخلق وأعظمهم نعمة على الإنسان بعد رسل الله والذاه اللذان جعلهما الله سبباً لوجوده واعتنا به منذ كان حملاً إلى أن كبر .

فأمه حملته شهوراً تسعاً في الغالب تعاني به في تلك الأشهر ما تعاني من آلام من مرض ووحم وثقل فإذا آن وقت الوضع وأجاءها المخاض ، شاهدت الموت ، وقاست من الآلام ما الله به عليم فتارة تموت ، وتارة تنجو ويأليت الألم والتعب ينتهي بالوضع كان الأمر سهلاً ولكن يكثر النصب ويشد بعده قال الله تعالى ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهَا وَوَضَعَتْهُ كُرْهَا ﴾ ثم ترضعه حولين كاملين غالباً فتقوم به مثقلة وتتعهد به مثقلة ، تضيق أحشاؤها وقت حمليه بالطعام والشراب . وتضعف عند الوضع أعضاؤها .

ثم بعد ذلك صياح بالليل يحرم الوالدين النوم ، وكذلك بالنهار يقلق به راحتها ، ويتعب قلبها ، ويذرف دموعها ، ومرض يعتري الولد من وقت لآخر ، تنخلع له قلوبها إنخلاعاً وتنهد به أبدانها هداً . وتعهده من الأم لجسمه بالغسل ، ولثيابه بالتنظيف ، ولا فرآزاته بالازالة ، لا يوماً ولا يومين ، ولا شهراً ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين هي به ليلها ونهارها في متاعب ومشاق ، تصغر بجانبها متاعب المؤبدتين في الأعمال الشاقة .

يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ امْتِصَاصُهُ دَمَهَا الَّذِي هُوَ اللَّبَنُ مُدَّةَ الرَّضَاعِ ، وَلَوْ
لَمْ يَكُنْ مِنْهُ لَهُمْ بَدَنُهَا وَإِضْعَافِهِ وَأَذْهَابُ قُوَّتِهَا إِلَّا هَذَا الْإِمْتِصَاصُ
لَكَفَى .

فَإِذَا شَبَّ وَبَرَزَتْ أَسْنَانُهُ ، وَقَوِيَتْ مِعْدَتُهُ عَلَى قَبُولِ الطَّعَامِ
وَهَضْمِهِ وَأَنْفَتَحَتْ شَهْوَاتُهُ لَهُ ، انْفَتَحَ لِوَالِدِيهِ بَابُ الْفِكْرِ وَالْكَدِّ لِجَلْبِ
طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَسَائِرِ شُؤُونِهِ ، وَرُبَّمَا احْتِمَالًا أَلَمَ الْعُرْبَةَ وَالسَّفَرَ إِلَى بَلَدٍ
بَعِيدٍ لِطَلَبِ الْمَعِيشَةِ لِلْأَوْلَادِ .

وَكَثِيرًا مَا يُضْحِي الْوَالِدَانِ بِرَاحَتِهِمَا فِي سَبِيلِ رَاحَةِ الْأَبْنَاءِ
وَالْبَنَاتِ . وَالطُّفُلُ يَعْرِفُ أُمَّهُ وَيُحِبُّهَا قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ فَإِذَا غَابَتْ صَاحَ حَتَّى
تَأْتِيَهُ وَإِذَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ دَعَاها وَنَاجَاها بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ كَلَامٍ أَوْ غَيْرِهِ وَإِذَا
أَصَابَهُ شَيْءٌ يُؤْلِمُهُ اسْتَعَاثَ وَنَادَاها ، يَظُنُّ أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ عِنْدَهَا وَأَنَّ الشَّرَّ
لَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ مَا دَامَتْ تَضُمُّهُ عَلَى صَدْرِهَا وَتَرَعَاهُ بِعَيْنِهَا وَتَذُبُّ دُونَهُ
بِيَدَيْهَا .

وَلِذَلِكَ هِيَ مُقَدَّمَةٌ فِي الْحَضَانَةِ إِذَا فَارَقَهَا زَوْجُهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ حَتَّى
يُمَيِّزَ وَيَخْتَارَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمَا كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ
امْرَأَةً قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءٌ ، وَحَجْرِي لَهُ
جِوَاءٌ ، وَتُدْبِي لَهُ سِقَاءٌ ، وَزَعَمَ أَبُوهُ أَنَّهُ يَنْتَزِعُهُ مِنِّي فَقَالَ « أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا
لَمْ تَنْكِحِي » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

ثُمَّ الْوَالِدُ لَا يُحِبُّ بَعْدَ أُمَّهُ إِلَّا أَبَاهُ الَّذِي إِذَا دَخَلَ هَسًّا وَبَشًّا بِهِ وَإِنْ
خَرَجَ تَعَلَّقَ بِهِ وَإِذَا حَضَرَ قَعَدَ عَلَى حَجْرِهِ ، مُسْتَبِدًّا عَلَى صَدْرِهِ ، وَإِذَا
غَابَ سَأَلَ عَنْهُ وَانْتَظَرَهُ ، يَرَى أَنَّهُ إِذَا رَضِيَ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَإِذَا غَضِبَ
ضَرَبَهُ وَأَدَّبَهُ ، يُخَوِّفُ مَنْ يُؤْذِيهِ بِأَبِيهِ ، وَأَيُّ حُبِّ وَاحْتِرَامٍ بَعْدَ هَذَا ،

وَلَكِنْ يَا لِلْأَسَفِ سُرْعَانَ مَا يَنْسَى الْجَمِيلَ وَيُنْكِرُ الْمَعْرُوفَ وَيَلْتَفِتُ إِلَى
زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ .

وَلِذَلِكَ لَا يَحْتَاجُ الْآبَاءُ إِلَى تَوْصِيَةِ بِالْأَبْنَاءِ إِنَّمَا يَحْتَاجُ الْأَوْلَادُ إِلَى
اسْتِجَابَةِ وَجْدَانِهِمْ بِقُوَّةٍ لِيَذْكُرُوا وَاجِبَ وَالِدِيهِمْ نَحْوَهُمْ .

شِعْرًا :

قَضَى اللَّهُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ حَتْمًا
فِيَا وَيْحَ شَخْصٍ غَيْرَ خَالِقِهِ أُمَّا
وَأَوْصَاكُمْوَا بِالْوَالِدَيْنِ فَابَالِغُوا
بِرَّهُمَا فَالْأَجْرُ فِي ذَاكَ وَالرَّحْمَا
فَكَمْ بَدَلًا مِنْ رَأْفَةٍ وَلَطَافَةٍ
وَكَمْ مَنَحَا وَقَتَ احْتِيَاجِكَ مِنْ نُعْمَا
وَأُمِّكَ كَمْ بَاتَتْ بِثِقَلِكَ تَشْتَكِي
تُوَاصِلُ مِمَّا شَقَّهَا الْبُؤْسَ وَالْغَمَّا
وَفِي الْوَضْعِ كَمْ قَاسَتْ وَعِنْدَ وِلَادِهَا
مُشَقًّا يُذِيبُ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
وَكَمْ سَهَرَتْ وَجِدًا عَلَيْكَ جُفُونَهَا
وَأَكْبَادُهَا لَهْفًا بِجَمْرِ الْأَسَا تَحْمِي
وَكَمْ غَسَلَتْ عَنْكَ الْأَذَى بِسِمِينِهَا
حُنُورًا وَاشْفَاقًا وَأَكْثَرَتِ الضَّمَا
فَضِيَعَتَهَا لِمَا أَسْنَتُ جَهَالَهٗ
وَضِقَّتْ بِهَا ذَرْعًا وَذَوَّقَتْهَا سُمَّا
وَبِتَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ رِيَانَ نَاعِمًا
مُكَبًّا عَلَى اللَّذَاتِ لَا تَسْمَعُ اللَّوَمَا

وَأُمُّكَ فِي جُوعٍ شَدِيدٍ وَغُرْبَةٍ
تَلِينُ لَهَا مِمَّا بِهَا الصَّخْرَةُ الصَّمَا
أَهَذَا جَزَاهَا بَعْدَ طَوْلِ غَنَائِهَا
لَأَنْتَ لَدُو جَهْلٍ وَأَنْتَ إِذَا أَعْمَى
اخر :

فَلَا تُطْعِ زَوْجَةً فِي قَطْعِ وَالِدَةٍ
عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَخِي قَدْ أَفْنَتِ الْعُمَرَا
فَكَيْفَ تُنْكِرُ أُمًّا ثَقُلَكَ احْتَمَلْتُ
وَقَدْ تَمَرَّغْتَ فِي أَحْسَائِهَا شُهْرًا
وَعَالَجْتَ بِكَ أَوْجَاعَ النَّفَاسِ وَكَمْ
سُرْتُ لِمَا وَلَدْتَ مَوْلُودَهَا ذَكَرًا
وَأَرْضَعْتِكَ إِلَى حَوْلَيْنِ مُكْمَلَةً
فِي حَجْرٍهَا تَسْتَقِي مِنْ ثَدْيِهَا الدُّرَرَا
وَمِنْكَ يُنْجِسُهَا مَا أَنْتَ رَاضِعُهُ
مِنْهَا وَلَا تَشْتَكِي نَتْنًا وَلَا قَدْرًا
وَقُلْ هُوَ اللَّهُ بِالْآلَافِ تَقْرُؤُهَا
خَوْفًا عَلَيْكَ وَتُرْجِي دُونَكَ الشُّرَا
وَعَامَلْتِكَ بِإِحْسَانٍ وَتَرْبِيَةٍ
حَتَّى اسْتَوَيْتَ وَحَتَّى صِرْتَ كَيْفَ تَرَى
فَلَا تُفْضِلْ عَلَيْهَا زَوْجَةً أَبَدًا
وَلَا تَدْعُ قَلْبَهَا بِالْقَهْرِ مُنْكَسِرًا
وَالْوَالِدُ الْأَصْلُ لَا تُنْكِرُ لِتَرْبِيَةٍ
وَاحْفَظْهُ لَا سِيَّمَا إِنْ أَدْرَكَ الْكِبَرَا

فَمَا تُؤَدِّي لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ وَلَوْ
عَلَى عِيُونِكَ حَجَّ الْبَيْتِ وَعَاطَمَرَا

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِحُبِّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى
حُبِّكَ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاعْمُرْ أَوْقَاتَنَا بِطَاعَتِكَ وَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
مَعَاصِيكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ فِي آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَانْخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ
رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ
الْمَصِيرُ ﴾ .

وَقَدْ فَصَّلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يَجِبُ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ بِقَوْلِهِ
﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ﴾ الْآيَتَيْنِ الْمَعْنَى إِذَا وَصَلَ الْوَالِدَانِ أَوْ أَحَدَهُمَا
إِلَى الْكِبَرِ حَالِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ وَصَارَا عِنْدَكَ فِي آخِرِ الْعُمُرِ كَمَا كُنْتَ
عِنْدَهُمَا فِي أَوَّلِهِ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَحْنُو عَلَيْهِمَا وَتُسْفِقَ عَلَيْهِمَا وَتَلَطَّفَ لَهُمَا
وَتُعَامِلَهُمَا مُعَامَلَةَ الشَّاكِرِ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ عَلَى أَنْ الْفَضْلَ لِلْمُتَقَدِّمِ .

وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ بِأَنْ تَتَّبِعَ مَعَهُمَا أُمُورًا خَمْسَةً أَوَّلًا أَلَّا تَتَأَفَّفَ مِنْ شَيْءٍ
تَرَاهُ أَوْ تَشْمُهُ مِنْ أَحَدِهِمَا أَوْ مِنْهُمَا مِمَّا يَتَأَذَى بِهِ النَّاسُ ، وَلَكِنْ اصْبِرْ عَلَى
ذَلِكَ مِنْهُمَا وَاحْتَسِبْ الْأَجْرَ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا كَمَا صَبَرَا عَلَيْكَ فِي

صَغْرِكَ وَاحْذَرِ الصَّجَرَ وَالْمَلَلَ الْقَلِيلَ وَالكَثِيرَ وَعَلَيْكَ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ مَعَهُمَا
وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

ثَانِيًا أَنْ لَا تَنْغِصَ وَلَا تُكَدِّرَ عَلَيْهِمَا بِكَلَامٍ تَزْجُرُهُمَا بِهِ فِي هَذَا مَنَعٍ
مِنْ أَظْهَارِ الْمُخَالَفَةِ لَهُمَا بِالْقَوْلِ عَلَى سَبِيلِ الرَّدِّ عَلَيْهِمَا وَالتَّكْذِيبِ
لَهُمَا .

ثَالِثًا : أَنْ تَقُولَ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا أَيْ حَسَنًا طَيِّبًا مَقْرُونًا بِالِاخْتِرَامِ
وَالتَّعْظِيمِ مِمَّا يَقْتَضِيهِ حُسْنُ الْأَدَبِ وَتُرْشِدُ إِلَيْهِ الْمُرُوءَةُ كَأَنْ تَقُولَ يَا أَبْتَاهُ
أَوْ يَا وَالِدِي وَيَا أُمَاهُ أَوْ يَا وَالِدَتِي وَلَا تَدْعُوهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا وَلَا تَرْفَعِ صَوْتَكَ
أَمَامَهُمَا وَلَا تُحَدِّقَ فِيهِمَا بِنَظْرِكَ بَلْ يَكُونُ نَظْرُكَ إِلَيْهِمَا نَظْرَ لُطْفٍ وَعَطْفٍ
وَتَوَاضُعٍ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « لَمْ يَتَلُ الْقُرْآنَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ ، وَلَمْ يَبِرَّ وَالِدَيْهِ مَنْ أَحَدَّ النَّظَرَ
إِلَيْهِمَا فِي حَالِ الْعُقُوقِ أُولَئِكَ بُرَاءٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ » رَوَاهُ الدَّارِ
قُطَيْبِيُّ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عُرْوَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ الدَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ قَالَ إِنْ أَعْضَبَاكَ فَلَا تَنْظُرْ إِلَيْهِمَا شَرًّا ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ
مَا يُعْرِفُ بِهِ غَضَبُ الْمَرْءِ شِدَّةُ نَظْرِهِ إِلَى مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ إِلَى مَا يَنْتَهِي الْعُقُوقُ .
قَالَ أَنْ يَحْرِمَهُمَا وَيَهْجُرَهُمَا وَيُجِدَّ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا . وَاعْلَمْ أَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا
بِعَيْنِ الْحَنُوقِ وَالْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ وَالتَّفَقُّدِ لَمَا يَكْرَهُانِ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ كَمَا أَنَّ
غَضَبَ الطَّرْفِ عَنْهُمَا كَرَاهَةٌ عُقُوقٌ قَالَ الشَّاعِرُ فِي ابْنِهِ :

يَوْدُ الرَّدَى لِي مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ
وَلَوْ مُتْ بَانَتُ لِإِلْعَادِ مَقَاتِلِهِ
إِذَا مَا رَأَيْتُ مُقْبِلًا غَضَّ طَرْفَهُ
كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ دُونِي يُقَابِلُهُ

رَابِعاً : أَنْ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُمَا بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ كِفَاءً رَحْمَتِهِمَا
لَكَ وَجَمِيلٍ شَفَقَتِهِمَا عَلَيْكَ .

خَامِساً : أَنْ تَتَوَاضَعَ لَهُمَا وَتَتَذَلَّلَ وَتُطِيعَهُمَا فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ مَا لَمْ
يَكُنْ مَعْصِيَةً لِلَّهِ وَتَشْتَاقَ وَتَرْتَاخَ إِلَى بَدَلِ مَا يَطْلُبَانِ مِنْكَ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا
الْفَانِيَةِ رَحْمَةً مِنْكَ بِهِمَا وَشَفَقَةً عَلَيْهِمَا إِذْ هُمَا قَدْ احْتَاجَا إِلَى مَنْ كَانَ
أَحْوَجَ النَّاسِ إِلَيْهِمَا أَيَّامَ كَانَ فِي غَايَةِ الْعَجْزِ عَنْ أَيِّ مَصْلِحَةٍ مِنْ مَصَالِحِهِ
بِحَيْثُ لَوْ غَفَلَ عَنْهُ وَالِدَاهُ قَلِيلاً مِنَ الزَّمَنِ لَهْلَكَ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَقَدْ أَكَّدَ جَلَّ وَعَلَا التَّوَصِيَةَ بِهِمَا مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ ،
وَكَفَاهُمَا أَنْ شَفَعَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا بِتَوْحِيدِهِ ، وَنَظَمَهُمَا فِي سَبْلِ الْقَضَاءِ
بِهِمَا مَعاً ، وَقَدْ وَرَدَ فِي بَرِّ الْوَالِدَيْنِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا
جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ مَعَهُ فَقَالَ : أَحْيُ
وَالِدَاكَ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ لَا يَجْزِي وَوَلَدٌ وَالِدَاهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ
مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ سَأَلْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ
الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ قَالَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ الْجِهَادُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ مَن أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَقْبَلَ
رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ
ابْتِغْيَ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ « فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ » ؟ قَالَ نَعَمْ
بَلْ كِلَاهُمَا ، قَالَ « فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى » ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ « فَارْجِعِ
إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنِ صُحْبَتَهُمَا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا ؟ قَالَ « هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ فِي عُمُرِهِ وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »
رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ رَجَالُهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ ، وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ
بِاخْتِصَارٍ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : جِئْتُ أَبَايَعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ
يَبْكِيَانِ فَقَالَ إِرْجِعِ إِلَيْهِمَا فَاصْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

قَالَ النَّاطِمُ :

وَيَحْسُنُ تَحْسِينُ لِخُلُقٍ وَصُحْبَةٍ
وَلَا سِيَّمَا لِلْوَالِدِ الْمُتَأَكَّدِ

وَلَوْ كَانَ ذَا كُفْرٍ وَأَوْجَبَ طَوْعُهُ
 سِوَى فِي حَرَامٍ أَوْ لِأَمْرٍ مُؤَكَّدٍ
 كَتِطْلَابِ عِلْمٍ لَا يَضُرُّهُمَا بِهِ
 وَتَطْلِيْقِ زُوجَاتٍ بِرَأْيٍ مُجْرَدٍ
 وَأَحْسِنُ إِلَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
 فَهَذَا بَقَايَا بِرِّهِ الْمُتَعَوِّدِ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَّ
 فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ » وَعَنْ
 وَهْبِ ابْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ
 عَلَيْهِ يَا مُوسَى وَقَرَّ وَالِدَيْكَ ، فَإِنَّ مَنْ وَقَرَ وَالِدَيْهِ مَدَدَتْ فِي عُمُرِهِ ،
 وَوَهَبَتْ لَهُ وَلَدًا يُوقِرُهُ وَمَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ قَصَرَتْ فِي عُمُرِهِ وَوَهَبَتْ لَهُ وَلَدًا
 يَعْقُهُ .

وَذَكَرَ فِي الْأَدَابِ الْكُبْرَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ إِنَّمَا
 رَدَّ اللَّهُ عُقُوبَةَ سُلَيْمَانَ عَنْ الْهُدْهُدِ لِبِرِّهِ كَانَ بِأَمِّهِ ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ : إِنَّمَا
 صَرَفَ سُلَيْمَانَ عَنْ ذُبْحِ الْهُدْهُدِ إِنَّهُ كَانَ بَارًا بِوَالِدَيْهِ يَنْقُلُ إِلَيْهِمَا الطَّعَامَ
 فَيَرزُقُهُمَا انْتَهَى .

وَقِصَّةُ الْهُدْهُدِ عَلَى مَا قِيلَ عَنْهَا هِيَ أَنَّهُ لَمَّا تَوَعَّدَهُ سُلَيْمَانُ بِقَوْلِهِ :
 ﴿ لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ
 لَمَّا فَقَدَهُ لِأَجْلِ الْمَاءِ ، فَدَعَا سُلَيْمَانَ عَرِيفَ الطَّيْرِ وَهُوَ النَّسْرُ فَلَمْ يَجِدْ
 عِنْدَهُ عِلْمَهُ .

ثم قال لِسَيِّدِ الطَّيْرِ وَهُوَ الْعُقَابُ عَلَيَّ بِهِ فَارْتَفَعَتْ فَظَنَرْتُ فَإِذَا هُوَ مُقْبِلٌ فَقَصَدْتُهُ فَنَاشَدَهَا اللَّهُ ، وَقَالَ بِحَقِّ الَّذِي قَوَّكُ وَأَقْدَرَكُ عَلَيَّ إِلَّا رَحْمَتِي ، فَتَرَكْتُهُ وَقَالَتْ : تَكَلَّمْتَ أَمَكُ ، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ حَلَفَ لِيُعَذِّبَنَّكَ قَالَ : وَمَا اسْتَنْتَنِي ؟ قَالَتْ بَلَى قَالَ ﴿ أَوْلِيَايَتِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ .

فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْ سُلَيْمَانَ أَرْخَى ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ يَجْرُهُمَا عَلَى الْأَرْضِ تَوَاضِعًا فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَحَدَّ رَأْسَهُ فَمَدَّهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ اذْكُرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيَّ اللَّهُ ، فَارْتَعَدَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَفَا عَنْهُ انْتَهَى .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَبِرُّ الْأُمِّ مُقَدَّمٌ عَلَى بِرِّ الْأَبِّ لِمَا سَيَأْتِي مِنَ الْأَحَادِيثِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَنَفَّرَ عَنِ الْأَبِّ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا مَشَقَّةُ الْحَمْلِ وَصُعُوبَةُ الْوَضْعِ ، وَصُعُوبَةُ الرَّضَاعِ وَكَثْرَةُ الشَّفَقَةِ وَالخِدْمَةِ وَالْحُؤُورِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : « أُمُّكَ » قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ « أُمُّكَ » قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « أُمُّكَ » قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ « أَبُوكَ » .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنِّي اسْتَهَيْتُ الْجِهَادَ وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ . قَالَ « هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ » قَالَ : أُمِّي ، قَالَ « قَابِلِ اللَّهَ فِي بَرِّهَا ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ » رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَإِسْنَادُهُمَا جَيِّدٌ .

وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ : « أُمِّكَ حَيَّةٌ » قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الزَّمْ رَجُلَهَا فَتَمَّ الْجَنَّةُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتُ أَنْ أَعْرُزُ ، وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ ، فَقَالَ « هَلْ لَكَ مِنْ أُمَّ ؟ » قَالَ : نَعَمْ قَالَ : « فَالزَّمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رَجُلِهَا » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالنَّسَائِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ وَلَفْظُهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَشِيرُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَلَيْكَ وَالِدَانِ » قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ « الزَّمْهُمَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَرْجُلِهِمَا » .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنْ أُمِّي تَأْمُرَنِي بِطَلْقِهَا ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ » فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ هَذَا الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ تَحْتِي امْرَأَةٌ أَحْبَبْتُهَا وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا ، فَقَالَ لِي : طَلِّقْهَا فَأَبَيْتُ فَأَتَى عُمَرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « طَلِّقْهَا » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي

صَحِيحِهِ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

شِعْرًا : زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ لِي قَبْرَيْهِمَا فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نُقِلْتُ إِلَيْهِمَا
 مَا كَانَ ذَنْبُهَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا مِنْحَاكَ مَحْضَ الْوَدَمِ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
 كَانَا إِذَا مَا أَبْصَرَا بِكَ عَلِيَّةً جَزَعًا لِمَا تَشْكُوهُ شَقَّ عَلَيْهِمَا
 كَانَا إِذَا سَمِعَا أَيْنِكَ أَسْبَلَا دَمْعَيْهِمَا أَسْفًا عَلَى خَدَيْهِمَا

وَتَمَنِّيَا لَوْ صَادَفَا لَكَ رَاحَةً بِجَمِيعِ مَا يَحْوِيهِ مُلْكُ يَدَيْهِمَا
أَنْسَيْتَ حَقَّهَا عَشِيَّةَ أُسْكِنَا دَارَ الْبَلَاءِ وَسَكَنْتَ فِي دَارِهِمَا
فَلْتَلْحَقْهَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ حَتْمًا كَمَا لِحِقَا هُمَا أَبُوهُمَا

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ »
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَرَجَّحَ وَقَفَّهُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ
عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ .

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي
وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْتُ : قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ ،
أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ « نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَئِنْ كَانَ بِرُ الْوَالِدَيْنِ مُقَدِّمًا
فَمَا يَسْتَوِي فِي بِرِّهِ الْأَبُ وَالْأُمُّ
وَهَلْ يَسْتَوِي الْوَضْعَانِ وَضَعُ مَشَقَّةِ
وَوَضَعُ التِّدَادِ ذَلِكَ بُرٌّ وَذَا سُقْمٌ
إِذَا التَّقَّتْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِطَرْفِهَا
فَكُنْ حَذِرًا مِنْ أَنْ يُصِيبَ قَلْبَكَ السَّهْمُ
وَفِي آيَةِ التَّأْفِيفِ لِلْحُرِّ مُقْنِعٌ
وَلَكِنَّهُ مَا كُلُّ عَبْدٍ لَهُ فَهْمٌ

وَرَوَى وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ أَنَّ فَتَى كَانَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَكَانَ
يَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَإِذَا بَاعَهُ تَصَدَّقَ بِثُلُثِهِ وَأَعْطَى أُمَّهُ ثُلُثَهُ ، وَأَبَقَى لِنَفْسِهِ

ثُلُثَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ يَوْمًا إِنِّي وَرِثْتُ مِنْ أَبِيكَ بَقْرَةً فَتَرَكْتُهَا فِي الْبَقْرِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، فَإِذَا أَتَيْتِ الْبَقْرَ فَادْعُهَا بِاسْمِ إِلِهِ إِبْرَاهِيمَ .

فَذَهَبَ فَصَاحَ بِهَا ، فَأَقْبَلَتْ فَانطَقَهَا اللَّهُ ، فَقَالَتْ : ارْكَبْنِي يَا فَتَى فَقَالَ الْفَتَى : إِنَّ أُمَّي لَمْ تَأْمُرْنِي بِهِذَا فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْبَرُّ بِأَمِّهِ لَوْ رَكِبْتَنِي لَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ فَاَنْطَلِقْ فَلَوْ أَمَرْتَ الْجَبَلَ أَنْ يَنْقَلِعَ مِنْ أَصْلِهِ مَعَكَ لَأَنْقَلَعَ لِبِرِّكَ بِأَمِّكَ .

فَلَمَّا جَاءَ بِهَا قَالَتْ أُمُّهُ : بِعَهَا بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ عَلَى رِضَى مِنِّي فَبَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا فَقَالَ : بِكُمْ هَذِهِ ؟ قَالَ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ عَلَى رِضَى مِنْ أُمِّي ، قَالَ : لَكَ سِتَّةٌ وَلَا تَسْتَأْمِرْهَا ، فَأَبَى وَعَادَ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْبَرَهَا فَقَالَتْ : بِعَهَا بِسِتَّةٍ عَلَى رِضَى مِنِّي ، فَجَاءَ الْمَلِكُ فَقَالَ خُذْ اثْنِي عَشَرَ وَلَا تَسْتَأْمِرْهَا فَأَبَى وَعَادَ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْبَرَهَا فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ ذَاكَ مَلِكٌ فَقُلْ لَهُ بِكُمْ تَأْمُرْنِي أَنْ أَبِيعَهَا ؟ فَجَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا فَتَى يَشْتَرِي بِقَرْتِكَ هَذِهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ لِقَتِيلٍ يُقْتَلُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَفِي رِوَايَةٍ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَذْهَبَ إِلَى أُمَّكَ وَقُلْ لَهَا أُمْسِكِي هَذِهِ الْبَقْرَةَ فَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَشْتَرِيهَا مِنْكَ لِقَتِيلٍ يُقْتَلُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَا تَبِيعْهَا إِلَّا بِمِائَةِ مَسْكِيهَا دَنَانِيرًا فَأَمْسَكَهَا وَقَدَّرَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَبْحَ تِلْكَ الْبَقْرَةَ بَعَيْنِهَا فَمَا زَالُوا يَسْتَوْصِفُونَهَا حَتَّى وُصِفَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْبَقْرَةُ مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى بَرِّهِ بِوَالِدَتِهِ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً .

وَعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْرًا الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ

فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ ؟ قَالَ نَعَمْ
 قَالَ فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ لَكَ
 وَالِدَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَا تَيْيَ عَلَيْهِكُمْ
 أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرِيَءٌ
 مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ ، فَاسْتَغْفِرْ لِي ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيْنَ
 تُرِيدُ ؟ قَالَ الْكُوفَةَ قَالَ أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا ؟ .

قَالَ أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ ، فَانظُرْ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي بَلَغَهَا
 هَذَا الْبَارُ بِأَمِّهِ حَتَّى كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخْبَرَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ وَأَنْ يَقُولَ لِعُمَرَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ إِذَا أَتَى ثُمَّ حِرْصُ
 عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ أُوَيْسٍ لِيَطْلُبَ مِنْهُ الْاسْتِغْفَارَ لَهُ .

رَأَى ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجُلًا قَدْ حَمَلَ أُمَّهُ عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ
 يَطُوفُ بِهَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ فَقَالَ يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَارِيَتُهَا ؟ قَالَ وَلَا بَطْلَقَةٍ
 وَاحِدَةٍ مِنْ طَلْقَاتِهَا وَلَكِنْ أَحْسَنْتَ وَاللَّهُ يُثَبِّتُكَ عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمِعْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ انْطَلَقْتُ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
 حَتَّى آوَاهُم الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ
 عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنَجِّيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ
 بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ :

اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَعْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا
مَالًا فَتَأَيَّ بِِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرْحَ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا
غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكْرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدِي
أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا .

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ
هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَاَنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مَعَهُ قَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ
كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمِّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَاْمْتَنَعَتْ
مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةً
دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلْتُ حَتَّى إِذَا قَدِرْتُ عَلَيْهَا
قَالَتْ لَا أَحِلُّ أَنْ تَفْضُصَ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ،
فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطَيْتُهَا .

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ
فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجْرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أُجْرَهُمْ غَيْرَ
رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ ، فَثَمَرْتُ أُجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ
فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أُجْرِي فَقُلْتُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ
أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي
فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأْفَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا .

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ
فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ، وَالشَّاهِدُ مِنَ الْحَدِيثِ لِمَا نَحْنُ فِيهِ
قِصَّةُ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ الْبَارُّ بِوَالِدَيْهِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَأَمَّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَبِيرُ
كَثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ
فَكَمْ لَيْلَةٌ بَاتَتْ بِثِقَلِكَ تَشْتَكِي
لَهَا مِنْ جَوَاهَا أَنَّهُ وَزْفِيرُ
وَفِي الْوَضْعِ لَوْ تَذَرِي عَلَيَّكَ مَشَقَّةُ
فَكَمْ غُصَصٍ مِنْهَا الْفُؤَادُ يَطِيرُ
وَكَمْ غَسَلَتْ عَنْكَ الْأَذَى بِمِوِينِهَا
وَمِنْ ثُدِيهَا شَرِبْتُ لَدَيْكَ نَمِيرُ
وَكَمْ مَرَّةً جَاعَتْ وَأَعْطَتْكَ قُوَّتَهَا
حُنُوءًا وَإِشْفَاقًا وَأَنْتَ صَغِيرُ
فَضِيغَتَهَا لَمَّا أَسْنَتْ جِهَالَةً
وَطَالَ عَلَيَّكَ الْأَمْرُ وَهُوَ قَصِيرُ
فَأَمَّا لِيذِي عَقْلٍ وَيَتَّبِعُ الْهَوَى
وَوَاهَا لِأَعْمَى الْقَلْبِ وَهُوَ بَصِيرُ
فَدُونِكَ فَارْعَبْ فِي عَمِيمِ دُعَائِهَا
فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ فَقِيرُ

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلِمَنَا وَبَالًا عَلَيْنَا .
اللَّهُمَّ قَوِي مَعْرِفَتْنَا بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنُورَ بَصَائِرِنَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا
وَأَبْصَارِنَا وَقُوَاتِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

وَلَيْسَ بِرُ الْوَالِدَيْنِ مَقْضُورًا عَلَى الْحَيَاةِ فَقَطْ فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٍ أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا .

قَالَ : نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَالْأَسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَانْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّجْمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ ، قَالَ الرَّجُلُ : مَا أَكْثَرَ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَطْيَبُهُ قَالَ « فَاعْمَلْ بِهِ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، قَالَ ابْنُ دِينَارٍ : فَقُلْنَا لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنَّ أَبْرَ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَالِدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ أَتَدْرِي لِمَ أَتَيْتُكَ ؟ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ » وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَبِي عُمَرَ وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوَدٌّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « دَخَلْتُ

الْجَنَّةَ فَسَمِعَتْ فِيهَا قِرَاءَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا حَارِثَةُ بِنُ النُّعْمَانِ كَذَلِكَم
الْبِرُّ كَذَلِكَم الْبِرُّ» وَكَانَ أَبْرَ النَّاسِ بِأُمِّهِ رَوَاهُ فِي شَرْحِ السُّنَنِ وَالْبَيْهَقِيِّ فِي
الشَّعْبِ شَعْبِ الْإِيمَانِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ
أَصْبَحَ مُطِيعًا لِلَّهِ فِي وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ
وَاحِدًا فَوَاحِدٌ وَمَنْ أَمْسَى عَاصِيًا لِلَّهِ فِي وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ
النَّارِ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدٌ قَالَ رَجُلٌ : وَإِنْ ظَلَمَاهُ؟ قَالَ « وَإِنْ ظَلَمَاهُ
وَإِنْ ظَلَمَاهُ وَإِنْ ظَلَمَاهُ » .

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ وَلَدٍ بَارٍ يَنْظُرُ
إِلَى وَالِدَيْهِ نَظْرَ رَحْمَةٍ إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ ، قَالُوا وَإِنْ نَظَرَ
كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؟ قَالَ « نَعَمْ اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَطْيَبُ » رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي
شَعْبِ الْإِيمَانِ (فَوَائِد) .

وَلَمَّا مَاتَتْ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ الدُّكَيْي الْقَاضِي الْمَشْهُورِ بَكَى عَلَيْهَا فَقِيلَ لَهُ
فِي ذَلِكَ فَقَالَ : كَانَ لِي بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ فَعَلِقْتُ أَحَدَهُمَا وَكَانَ
رَجُلٌ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ يُقْبَلُ كُلَّ يَوْمٍ قَدَمِ أُمِّهِ فَأَبْطَأَ يَوْمًا عَلَى أَصْحَابِهِ فَسَأَلُوهُ
فَقَالَ : كُنْتُ أَتَمَرَّعُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَقْدَامِ
الْأُمَّهَاتِ .

وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ إِنَّكَ مِنْ أَبْرَ النَّاسِ وَلَا تَأْكُلْ مَعَ أُمَّكَ فِي
صَحْفَةٍ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدَيَّ يَدَهَا إِلَى مَا تَسْبِقُ إِلَيْهِ عَيْنَاهَا فَأَكُونُ
فَدَعَقْتُهَا وَبَا لِلْأَسْفِ نَحْنُ فِي جَيْلٍ أَكْثَرُ أَهْلِهِ لَا يَرَى لِلْوَالِدَيْنِ حَقًّا بَلْ
يَسْتَهِينُ بِهِمَا وَيَنْتَقِصُهُمَا وَرَبِّمَا سَتَمَهُمَا أَوْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فَلذَلِكَ

إِذَا رَأَيْتَ الْوَالِدَيْنِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْمُظْلِمِ وَرَأَيْتَ خِدْمَتَهُمَا لِوَالِدَيْهِمَا
رَحِمَتَهَا وَرَبَّمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ وَتَأَلَّمَ قَلْبُكَ .

وَتَجِدُ هَذَا الْمَخْدُومَ رَبَّمَا أَنَّهُ لَا يُصَلِّيَ أَصْلًا أَوْ لَا يَشْهَدُ الْجَمَاعَةَ أَوْ
مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ وَالْإِسْكَارِ وَشُرْبِ الدُّخَانِ أَوْ مِمَّنْ يَتَشَبَّهُ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
وَالْمَجُوسِ بِحَلْقِ لِحْيَتِهِ أَوْ يَجْعَلُ خَنَافِسَ أَوْ تَوَالِيَتَ أَوْ مِمَّنْ يَعْكُفُ عِنْدَ
الْمُحْرَمَاتِ وَالْمَلَاهِي وَسَائِرِ الْمُنْكَرَاتِ طَوَالَ لَيْلِهِ عَبْدٌ فَمِ وَفَرَجِ .

شِعْرًا :

هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نَحَازِرُهُ
فِي قَوْلِ كَعْبٍ فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ
ذَهَرُ بِهِ الْحَقُّ مَرْدُودٌ بِأَجْمَعِهِ
وَالظُّلْمُ وَالْبَغْيُ فِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ غَيْرٌ
آخِرُ : لَمْ يُبِكْ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو وَحَدَّثِي فِي مَصَائِبِي
وَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ لَوْ كُنْتَ حَازِمًا
عَلَيْكَ بِالْإِسْتِرْجَاعِ إِنَّكَ فَاقِدٌ
حَيَاةَ الْعُلَى وَابِغِ السُّلُوكِ مُنَادِمًا

قَالَ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بِرُّ الْوَالِدَيْنِ كَفَّارَةٌ الْكِبَائِرِ وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ
عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ مَكْحُولٍ ، وَشَهِدُ لِهَذَا مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ وَابْنُ
جَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :
أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي

من تَوَيَّةٍ ؟ فَقَالَ « هَلْ لَكَ مِنْ أُمِّ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ وَالْحَاكِمِ هَلْ لَكَ
وَالِدَانِ ؟ قَالَ : لَا قَالَ « فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ « فَبَرَّهَا »
وَمِنَ الْفَوَائِدِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَأَى رَجُلًا يَمْشِي خَلْفَ رَجُلٍ فَقَالَ مَنْ هَذَا ؟
قَالَ : أَبِي قَالَ : لَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَجْلِسُ قَبْلَهُ ، وَلَا تَمْشِي أَمَامَهُ .

وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا ﴾ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الْمُصَاحَبَةُ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ
يُطْعِمَهُمَا إِذَا جَاعَا وَيَكْسُوهُمَا إِذَا عَرِيَا » .

وَمِنْ حُقُوقِهِمَا خِدْمَتُهُمَا إِذَا احْتَجَا أَوْ أَحَدُهُمَا إِلَى خِدْمَةٍ وَإِجَابَةُ
دَعْوَتَيْهِمَا ، وَامْتِثَالُ أَمْرِهِمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً لِلَّهِ فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي
مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ . وَمِنْ حُقُوقِهِمَا التَّكَلُّمُ مَعَهُمَا بِاللِّينِ وَاللُّطْفِ ، وَمِنْ ذَلِكَ
أَنْ لَا يَدْعُوهُمَا بِاسْمَيْهِمَا ، وَأَنْ يَمْشِي خَلْفَهُمَا ، وَأَنْ يَدْعُو اللَّهَ لَهُمَا بِالْمَغْفِرَةِ
وَالرَّحْمَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(مَوْعِظَةٌ)

عِبَادَ اللَّهِ أَحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدَيْنِ مَا أَمَكَنَّ لَكُمْ الْأَحْسَانَ ، وَإِنْ حَسِبْتُمْ
أَنْكُمْ كَأَفَاتِمُوهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُسَيْنِ ، وَكُونُوا مَعَهُمَا فِي غَايَةِ الْأَدَبِ
وَالْأَحْتِرَامِ ، وَاحْذَرُوا سُوءَ الْأَدَبِ عِنْدَهُمَا وَإِلَّا هَوَيْتُمْ فِي هُوَةِ شَقَاءٍ مَا لَهَا
مِنْ قَرَارٍ وَكُونُوا مَعَهُمَا فِي إِجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ ، وَتَقْدِيرٍ تَامٍ وَإِنْ حَصَلَ مِنْهُمَا
لَكَ ظُلْمٌ .

لَأَنْتُمَا اللَّذَانِ لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ لَوْلَاهُمَا لَمْ تَخْرُجْ عَلَى هَذَا الْوُجُودِ
وَلَأَنْتُمَا اللَّذَانِ سَخَّرَهُمَا اللَّهُ لَكَ فَصَبْرًا عَلَى مَا رَأَى مِنَ الْأَهْوَالِ ،
وَسَخَّرَهُمَا لِتَرْبِيَّتِكَ وَالْعِنَايَةِ بِكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ . تَذَكَّرْ زَمَنَ حَمَلِ أُمِّكَ

بِكَ وَأَنْتَ فِي بَطْنِهَا عَلَّةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْعِلَلِ ، وَتَذَكَّرُ وَقْتَ أَنْ كَانَتْ تَلِدُكَ وَهِيَ
مِمَّا بِهَا لَا مِنْ الْأَحْيَاءِ وَلَا مِنْ الْأَمْوَاتِ وَتَذَكَّرُ مَا خَرَجَ عَقِبَ وَلَاذَتِكَ مِنْ
النَّزِيفِ الدَّمِ الَّذِي هُوَ نَفْسُهَا .

وَتَذَكَّرُ أَنَّكَ كُنْتَ تَمُصُّ دَمَهَا مُدَّةَ الرِّضَاعِ ، وَسُرُورَهَا بِكَ تَقْصُرُ
عَنْ شَرْحِهِ الْعِبَارَاتُ . وَتَذَكَّرُ تَنْظِيفَهَا لِيَدَيْكَ وَمَلَابِسِكَ مِنَ الْأَقْدَارِ ،
وَتَذَكَّرُ فَرْعَهَا عِنْدَمَا يَعْتَرِيكَ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرُ دِفَاعَهَا
عَنْكَ إِذَا اعْتَدَى عَلَيْكَ مُعْتَدِي .

وَتَذَكَّرُ حِرْصَهَا الشَّدِيدَ عَلَى أَنْ تَعِيشَ لَهَا وَلَوْ حُرِمَتْ لَذَّةَ الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ وَتَذَكَّرُ سَهْرَهَا عَلَيْكَ عِنْدَمَا يُؤَلِّمُكَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِكَ ، وَتَذَكَّرُ
كَدَّ وَالِدِكَ عَلَيْكَ فِي تَحْصِيلِ مَا بِهِ تَحْيَا بِأَذْنِ اللَّهِ ، لَا يَهْدُو عَنْ ذَلِكَ
وَالِدُكَ مَدَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَكُلَّمَا خَشِيَ أَنْ تَجُوعَ تَقْحَمَ الشَّدَائِدَ وَهَامَ
عَلَى وَجْهِهِ فِي الدُّنْيَا لَا يَرُدُّهُ إِلَّا أَنْ يَرَاكَ فِي يَسَارٍ .

وَتَذَكَّرُ عِنَايَتَهُ بِكَ فِي تَعْلِيمِكَ وَتَوْجِيهِكَ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحٌ
دِينِكَ وَدُنْيَاكَ وَتَذَكَّرُ جِبَاطَتَهُ وَنُصْحَهُ لَكَ وَمُقَاسَاةَ الشَّدَائِدِ
لِرَاحَتِكَ ، وَتَذَكَّرُ فَرْحَهُ وَاسْتِيشَارَهُ بِمَحَبَّتِكَ وَنَجَاحِكَ ، وَتَذَكَّرُ دِفَاعَهُ عَنْكَ
بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وَتَذَكَّرُ دُعَاءَهُ لَكَ فِي مَظَنَّةِ أَوْقَاتِ الْأَجَابَةِ أَنْ يُصْلِحَكَ اللَّهُ
وَيُوفِقَكَ .

وَتَذَكَّرُ قَلَقَهُمَا وَالْأَدْلَاجَ فِي الْبَحْثِ عَنْكَ إِذَا تَأَخَّرْتَ عَنْ وَقْتِ
الْمَجِيءِ ، وَتَأَمَّلْ وَتَذَكَّرْ بِشَاسْتَهُمَا فَيَمْنُ يَعِزُّ عَلَيْكَ لِسُرُورِهِمَا بِمَا يَسْرُكَ ،
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَكَّدَ اللَّهُ وَشَدَّدَ عَلَيْكَ بِالْوَصِيَّةِ بِهِمَا .

وَأَخْبَرَ نَبِيْنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمَا جَنَّتَكَ وَنَارَكَ ، وَقَدَّمَ بِرَّهُمَا

عَلَى الْجِهَادِ ، وَدَعَا أَنْ يُرْغَمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ
الْجَنَّةَ ، وَأَحْبَرَ بِأَكْبَرَ الْكَبَائِرِ فَذَكَرَ عُقُوقَهُمَا بَعْدَ الْأَشْرَاقِ بِاللَّهِ .

شِعْرًا :

فَكَمْ وَلِدٍ لِلْوَالِدَيْنِ مُضَيِّعُ
يُجَازِيهِمَا بُخْلًا بِمَا نَحَلَاهُ
طَوَى عَنْهُمَا الْقُوَّةَ الزَّهِيدَةَ نَفَاسَةً
وَجَرَّاهُ سَارًا الْحُزْنَ وَارْتَحَلَاهُ
وَلَا مَهْمَا عَنْ فَرْطِ حُبِّهِمَا لَهُ
وَفِي بُغْضِهِ إِيَّاهُمَا عَدْلَاهُ
أَسَاءَ فَلَمْ يَعْدِلْهُمَا بِشِرَاكِهِ
وَكَانَا بِأَنْوَارِ الدُّجَى عَدْلَاهُ
يُعِيرُهُمَا طَرْفًا مِنَ الْغَيْظِ شَافِنَا
كَأْتُهُمَا فِيمَا مَضَى تَبْلَاهُ
يَتَامُ إِذَا مَا ادْتَفَا وَإِذَا سَرَى
لَهُ الشُّكُوبَاتُ الْغُمُصَ مَا اكْتَحَلَاهُ
إِنْ ادَّعَى فِي وُدِّهِ الْجُهْدَ صُدَّقَا
وَمَا أَتَاهُمَا فِيهِ فَيَنْتَجَلَاهُ
يَغْشُهُمَا فِي الْأَمْرِ هَانَ وَطَالَ مَا
أَفَاءَ عَلَيْهِ النَّصْحَ وَانْتَحَلَاهُ
يَسُرُّهُمَا أَنْ يَهْجَرَ الْقَبْرَ دَهْرَهُ
وَأَنْهُمَا مِنْ قَبْلِهِ نَزَلَاهُ

وَلَوْ بِمُشَارِ الْعَيْنِ يُوجِي إِلَيْهِمَا
 لَوْ شَكَ اعْتَزَلَ الْعَيْشِ لَاعْتَزَلَاهُ
 يَوْدَانِ إِكْرَامًا لَوْ أَنْتَعَلَ السُّهَاءُ
 وَإِنْ حَذِيَا السَّلَاءُ وَأَنْتَعَلَاهُ
 يَذُمُّ لِفَرْطِ الْغَيِّ مَا فَعَلَا بِهِ
 وَأَحْسِنُ وَأَجْمَلُ بِالذِّي فَعَلَاهُ
 يُعْدَانِ كَالصَّارِمِ الْعَضْبِ فِي الْعِدَا
 بِظَنَّهُمَا وَالذَّابِلِ اعْتَقَلَاهُ
 وَيُؤْتِرُ فِي السَّرِّ الْكَيْنِ سَوَاءَهُ
 فَيَنْقُلُهُ عَنْهُ وَمَا نَقَلَاهُ
 اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَّاتِ وَوَقِّفْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي تَحْرِيمِ الْعُقُوقِ

إَعْلَمْ وَوَقِّفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكَ
 مَا يُسْخِطُهُ وَلَا يَرْضَاهُ ، أَنَّ الْعُقُوقَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَحَدِّهِ
 بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ صُدُورِ مَا يَتَأَدَّى بِهِ الْوَالِدُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ ضَابِطُ الْعُقُوقِ هُوَ أَنْ يَحْصَلَ لِلْوَالِدَيْنِ أَوْ لِأَحَدِهِمَا
 إِيْدَاءٌ لَيْسَ بِالْهَيِّنِ عُرْفًا فَسَبَّهُمَا وَعِصْيَانُهُمَا وَالتَّلَكُّوُ فِي قَضَاءِ شَرِّهِمَا ،

وَمَدُّ الْيَدِ بِالسُّوءِ إِلَيْهِمَا ، وَلَعْنُهُمَا وَغَيْبَتُهُمَا ، وَالكَذِبُ عَلَيْهِمَا .

كُلُّ ذَلِكَ عُقُوقٌ وَنُكْرَانٌ لِلْجَمِيلِ ، وَكَذَلِكَ نَهْرُهُمَا وَقَهْرُهُمَا
وَتَوْبِيخُهُمَا وَالتَّأْفُفُ مِنْهُمَا وَالدُّعَاءُ عَلَيْهِمَا ، كَقَوْلِهِ أَرَاخَنَا اللَّهُ مِنْهُ ، أَوْ
أَخَذَهُ اللَّهُ أَوْ عَجَّلَ اللَّهُ بِزَوَالِكِ وَالتَّكْبِيرُ عَلَيْهِمَا

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « شَرُّ النَّاسِ ، ثَلَاثَةٌ مُتَكَبِّرٌ عَلَى وَالدِّيَةِ يَحْقُرُهُمَا وَرَجُلٌ سَعَى بَيْنَ
النَّاسِ بِالْكَذِبِ حَتَّى يَتْبَاعُضُوا وَيَتْبَاعَدُوا وَرَجُلٌ سَعَى بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَتِهِ
بِالْكَذِبِ حَتَّى يُغَيِّرَهُ عَلَيْهَا بَغَيْرِ حَقٍّ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا ثُمَّ يَخْلُفُهُ عَلَيْهَا مِنْ
بَعْدِ » رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ مَخْرَاقٍ قَالَ
حَدَّثَنِي طَيْسَلَةُ بْنُ مِيَّاسٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّجْدَاتِ فَأَصَبْتُ ذُنُوبًا لَا أَرَاهَا إِلَّا
مِنْ الْكَبَائِرِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عُمَرَ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ كَذَا وَكَذَا .

قَالَ : لَيْسَ هَذِهِ الْكَبَائِرُ هُنَّ تِسْعٌ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ نَسَمَةٍ ،
وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَكْلُ الرَّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ
الْيَتِيمِ ، وَالْحَادُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَالَّذِي يَسْتَسْخِرُ ، وَبُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنْ
العُقُوقِ ، قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ : أَتَقْرَأُ مِنَ النَّارِ وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخَلَ الْجَنَّةَ ؟
قُلْتُ أَيْ وَاللَّهِ قَالَ أَحْيِي وَالِدَاكَ ؟ قُلْتُ : عِنْدِي أُمِّي ، قَالَ فَوَاللَّهِ لَوْ أَلَنْتَ
لَهَا الْكَلَامَ ، وَأَطَعَمْتَهَا الطَّعَامَ ، لَتَدْخَلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ وَأَخْرَجَ
فِيهِ أَيْضًا قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ مَخْرَاقٍ عَنْ
طَيْسَلَةَ : أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ : بُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ وَالْكَبَائِرِ .

وَبَعْضُ النَّاسِ لَا يَكْتَفِي بِالتَّقْصِيرِ فِي الْوَاجِبِ فِي حَقِّ أَبِيهِ بَلْ
يُسْمِعُ وَالِدِيهِ مَا يَسُوؤُهُمَا ، وَتَضَيِّقُ بِهِ صُدُورَهُمَا ، وَيُنَكِّدُ عَلَيْهِمَا
مَعِيشَتَهُمَا ، فَتَجِدُ الْوَالِدَ يَكْرَهُ مَعَهُ الْحَيَاةَ ، وَيَتَمَنَّى لِأَجْلِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ
وَلَدٌ وَرُبَّمَا تَمَنَّى أَنَّهُ كَانَ عَقِيمًا .

فَكَلَامُ الْأَبْنِ الْعَاقِّ تَيْنٌ لَهُ الْفَضِيلَةُ ، وَتَبْكِى لَهُ الْمَرْوَةُ ، وَتَأْبَاهُ
الدِّيَانَةُ ، وَلَا يَرْضَى بِهِ الْعَاقِلُ فَضْلًا عَنِ الْمُتَدِينِ ، لِأَنَّ فِعْلَهُ مُنْكَرٌ عَظِيمٌ ،
وَقَدْ لَا يَسُبُّ الْعَاقُ أَبَاهُ مُبَاشَرَةً ، وَلَكِنْ يَسُبُّ أَبَا هَذَا وَأُمَّ هَذَا ، فَيَسُبُّونَ
أُمَّهُ وَأَبَاهُ ، وَيَصُبُّونَ عَلَى وَالِدِيهِ مِنَ اللَّعَنَاتِ أَضْعَافَ مَا صَدَرَ مِنْهُ ،
وَالْبَادِي هُوَ الظَّالِمُ وَمَا أَكْثَرَ السَّبِّ وَالشَّتْمَ وَاللَّعْنَ فِي وَقْتِنَا هَذَا ، وَمَا
أَسْهَلُهُ عِنْدَهُمْ .

وَمَا أَكْثَرَ الْأَحْتِقَارَ لِلْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ فِي الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَفِي كُلِّ
مَحَلٍّ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَاقِفَةَ .

وَمِمَّا جَاءَ فِي الْعُقُوقِ وَجُرْمِهِ وَقُبْحِهِ وَإِثْمِهِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ
عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَادَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعَ
وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَاضَاعَةَ الْمَالِ » .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَلَا أَنْبِتُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ ثَلَاثًا
قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَكَانَ مُتَكِنًا
فَجَلَسَ فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ » فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى
قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ .

وَلِلْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الْكِبَائِرُ الْأَشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ
وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ » وَلِلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِبَائِرَ فَقَالَ
الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شعرا :

إِلَى اللَّهِ أَهْدِي مِدْحَتِي وَثَنَائِيَا
وَقَوْلًا رَصِينًا لَا يَبْنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
إِلَهُ وَلَا رَبُّ يَكُونُ مُدَانِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّذَى
فَإِنَّكَ لَا تَخْفَى مِنْ اللَّهِ خَافِيَا
وَإِيَّاكَ لَا تَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ
فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا

إِلَى أَنْ قَالَ :

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنْ وَرَحْمَةٍ
بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا
فَقُلْتَ لَهُ فَادْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا
إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَآغِيَا
وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ سَوِّتَ هَذِهِ
بِلَا وَتَدِّ حَتَّى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَا

وَقُولًا لَهُ أَأَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ
 بِإِذْنِ عَمَدٍ ارْتُقَى إِذَا تَكَ بِأَيْدِيَا
 وَقُولًا لَهُ أَأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسَطَهَا
 مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
 وَقُولًا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً
 فَيُضِيحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا
 وَقُولًا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى
 فَيُضِيحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا
 وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُؤُوسِهِ
 فَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
 وَأَنْتَ بِفَضْلِ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُؤُسَا
 وَقَدْ بَاتَ فِي بَطْنٍ لِحُوتٍ لَيَالِيَا

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَنَسْأَلُكَ
 شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَفِي كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ
 وَبَعَثَ بِهِ مَعَ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ « وَأَنَّ أَكْبَرَ الْكِبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 الْأَشْرَاكُ بِاللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَالْفِرَارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ
 الزَّحْفِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَرَمْيُ الْمُحَصَّنَةِ وَتَعَلُّمُ السِّحْرِ ، وَأَكْلُ الرَّبَا ،

وَأَكَلُ مَالِ الْيَتِيمِ « الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالْبَزَّازُ وَاللَّفْظُ لَهُ بِإِسْنَادَيْنِ جَيِّدَيْنِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ وَمُذْمَنُ الْخَمْرِ ، وَالْمَنَانُ عَطَاءَهُ وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ وَالذُّيُوثُ وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ » .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَزَّازُ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « ثَلَاثَةٌ حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ مُذْمَنُ الْخَمْرِ وَالْعَاقُ ، وَالذُّيُوثُ الَّذِي يُقْرُ الْخُبْثُ فِي أَهْلِهِ » .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ، عَاقٌ وَمَنَانٌ وَمُكَذَّبٌ بِقَدْرِ » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي كِتَابِ السُّنَنِ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ ، وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلُ الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَصُمْتُ رَمَضَانَ ، وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ ، وَحَجَجْتُ الْبَيْتَ ، فَمَاذَا لِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مَعَ

النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ إِلَّا أَنْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ « رَوَاهُ أَحْمَدُ
وَالطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ أَحَدُهُمَا صَحِيحٌ وَرَوَاهُ ابْنُ خَزِيمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي
صَحِيحِهِمَا .

وَعَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ثُمَّ تَوَلَّى غَيْرَ مَوْلَاهُ ، وَلَعَنَ اللَّهُ الْعَاقَّ
لِوَالِدَيْهِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ نَقَصَ مَنَارَ الْأَرْضِ » رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « لَعَنَ اللَّهُ سَبْعَةَ مَنْ فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ وَرَدَّدَ اللَّعْنَةَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ
ثَلَاثًا وَلَعَنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَعْنَةً تَكْفِيهِ ، قَالَ : مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمٍ
لُوطٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ
لُوطٍ ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ ، مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى
شَيْئًا مِنَ الْبَهَائِمِ ، مَلْعُونٌ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ امْرَأَةٍ وَابْنَتِهَا ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ
حُدُودَ الْأَرْضِ مَلْعُونٌ مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ مَوْلَاهِ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي
الْأَوْسَطِ وَرِجَالَهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ الْإِسْنَادِ الْمُحَرَّرِ وَيُقَالُ مُحَرَّرٌ بِالْأَهْمَالِ ابْنُ
هَارُونَ التَّمِيمِيُّ فَوَاهُ ، وَقَدْ حَسَّنَ لَهُ التِّرْمِذِيُّ وَمَشَّاهُ بَعْضُهُمْ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ
مِنْ رِوَايَةِ هَارُونَ أَخِي مُحَرَّرٍ ، وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ السَّاحِطِ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ غَيْرَ ظَالِمِينَ لَهُ » رَوَاهُ أَبُو الْحَسَنِ
ابْنُ مَعْرُوفٍ فِي كِتَابِ فَصَائِلِ بَنِي هَاشِمٍ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق
الوالدين ، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات » رواه
البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک
والأصبهاني في الترغيب .

وذكر أن شاباً كان مكباً على اللهب واللعب ، لا يفيق عنه ، وكان له
والد صاحب دين كثيراً ما يعظ هذا الابن ويقول له يا بني احذر هفوات
الشباب وعثراته فإن لله سطوات ونقمت ما هي من الظالمين ببعيد ،
وكان إذا إلح عليه زاد في العقوق ، وجار على أبيه ، ولما كان يوم من
الأيام ألح على ابنه بالنصح على عادته ، فمد الولد يده على أبيه ،
فحلف الأب بالله مجتهداً لياتين بيت الله الحرام ، فيتعلق بأستار
الكعبة ، ويدعو على ولده فخرج حتى انتهى إلى البيت الحرام فتعلق
بأستار الكعبة وأنشأ يقول :

يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا
عرض المهامه من قرب ومن بعد
إني أتيتك يا من لا يخيب من
يدعوه مُبتهلاً بالواحد الصمد
هذا منازل لا يرتد من عقبي
فخذ بحقي يا رحمن من ولدي
وشل منه بحول منك جانبه
يا من تقدس لم يولد ولم يلد
ف قيل إنه ما استتم كلامه حتى يس شق ولده الأيمن . نعوذ بالله

مِنَ الْعُقُوقِ ، وَمِنَ قَسَاوَةِ الْقُلُوبِ ، وَمِنَ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ وَكَانَ يُقَالُ كَدَّرَ الْعَيْشَ فِي ثَلَاثِ الْوَلَدِ الْعَاقِّ وَالْجَارِ السُّوِّ وَالْمَرْأَةِ السَّيِّئَةِ الْخُلُقِ لِأَنَّكَ لَا تَتَفَكَّرُ فِي عَنَاءٍ وَشَغَبٍ وَتَعَبٍ فَإِنْ سَكَنَ الْعَاقُ بُرْهَةً مِنْ الزَّمَنِ مَا سَكَنَ الْجَارُ السُّوِّ وَأَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ وَإِنْ سَكَنَّا لَمْ تَسْكُنِ الْعِلَّةُ الدَّاخِلِيَّةُ الْمَرْأَةُ السُّوِّ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ فَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالِ غَرَضٌ لِثَلَاثَةِ سِهَامٍ مُوَجَّهَةٌ إِلَيْكَ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ مِنْهَا .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قَالَ : « لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ ، وَلَا تَعْقَنْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ ، وَلَا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ يَجْلُ سَخَطُ اللَّهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الرَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ وَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتُ ، وَأَنْتَ فِيهِمْ قَائِبٌ .

وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبًا وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَاسْنَادُ أَحْمَدَ صَحِيحٌ إِلَّا أَنْ فِيهِ انْقِطَاعًا لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ مُعَاذٍ وَهُوَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ .

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا عِنْدَ الْعَرْشِ فَعَبَّطَهُ بِمَكَانِهِ فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقَالُوا نُخْرِكَ بِعَمَلِهِ ، لَا يَحْسُدُ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَا يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَلَا يَعُقُّ وَالِدَيْهِ ، قَالَ أَيُّ رَبِّ وَمَنْ يَعُقُّ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ يَتَسَبَّبُ لَهُمَا حَتَّى يُسَبَّأَ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الرَّهْدِ .

شعرا :

صافي الكريم فخير من صافيته من كان ذا دأين وكان عفيفا

وَاحْذَرُ مُوَآخَاةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ
يُبْدِي الْقَبِيحَ وَيُنْكِرُ الْمَعْرُوفَا
آخِر :

تَمَسَّكَ بِوَصْلِ الْمُتَمَسِّكِ الدِّينِ وَاجْتَنَبَ
فَدْوُ الدِّينِ أَذْنَى النَّاسِ مِنْكَ قَرَابَةً
فَصَلِّهُ فَمَا وَصَلُ الْبَعِيدِ بِضَائِعِ
آخِر :

أَخُو الْفِسْقِ لَا يَغْرُرُكَ مِنْهُ تَوَدُّدٌ
وَصَاحِبُ إِذَا مَا كُنْتَ يَوْمًا مُصَاحِبًا
فَكُلْ جِبَالَ الْفَاسِقِينَ مَهِينُ
أَنَا الدِّينِ مَنْ بِالْغَيْبِ مِنْكَ أَمِينُ
آخِر :

أَخْ كُلَّمَا آتَيْهِ أَبْغَى نَوَالَهُ
بَلَوْتُ رَجَالًا بَعْدَهُ وَاخْتَبَرْتُهُمْ
رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي وَوَجْهِي بِمَائِهِ
فَمَا أزدَدْتُ إِلَّا رَغْبَةً فِي إِخَائِهِ
آخِر :

وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي
وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَدُومُ وَصَالَهُ
إِذَا غَبْتُ عَنْهُ بِاعْنِي بِخَلِيلِ
وَيَحْفَظُ سِرِّي عِنْدَ كُلِّ خَلِيلِ
آخِر :

يَمْضِي أَخُوكَ فَلَا تَلْقَى لَهُ عَوْضٌ
وَالْمَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَالِ يُكْتَسَبُ
اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَفِيمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ الْعُقُوقِ كِفَايَةٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَاقِ
مِنَ الْعُقُوبَةِ إِلَّا مَا يُرَى مِنْ سُوءِ حَالِهِ لَكَفَى فَإِنَّكَ تَرَاهُ غَالِيًا فِي أَبَاسِ
الْحَالَاتِ وَالْأَمِيهَا وَأَشَدَّهَا وَتَرَاهُمْ بَعِيدِينَ عَنِ عَطْفِ الْقُلُوبِ عِنْدَ مَنْ عَلِمُوا حَالَهُمْ

لا يَحْنُو عَلَيْهِمْ صَدِيقٌ وَلَا شَفِيقٌ وَلَا قَرِيبٌ ، وَلَا يَأْخُذُ بِيَدِهِمْ كَرِيمٌ فِي كُرْبَةٍ ، وَلَا يُرْعَبُونَ فِي مُصَاهَرَتِهِ خَشْيَةً أَنْ يَجْذِبُوا أَوْلَادَهُمْ فَيَكُونُوا مِثْلَهُمْ عَاقِبِينَ .

بِخِلَافِ الْبَارِئِينَ فَإِنَّكَ تَرَاهُمْ وَنَرَاهُمْ مُحَبِّبِينَ إِلَى الْقُلُوبِ يَتَمَنَّى كُلُّ مَنْ يَعْرِفُهُمْ وَيَفْهَمُ بَرَّهُمْ وَصَلَتْهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِمَا يُجِبُونَ وَتَجِدُهُمْ إِذَا وَقَعُوا فِي شِدَّةٍ يَتَرَحَّمُ النَّاسُ عَلَيْهِمْ ، وَيَدْعُونَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا عَلَى أَيْسَرِ الْأَحْوَالِ وَأَقْرَبِهَا ، هَذَا حَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا الَّتِي لَيْسَتْ هِيَ دَارَ الْجَزَاءِ فَكَيْفَ فِي الْآخِرَةِ دَارَ الْجَزَاءِ ؟

وَمَنْ أَفْجَحَ مَظَاهِرِ الْعُقُوقِ أَنْ يَتَبَرَّأَ الْوَلَدُ مِنَ وَالِدِيهِ حِينَ يَرْتَفِعُ مُسْتَوَاهُ الْاجْتِمَاعِيُّ عَنْهُمَا كَأَنْ يَكُونَا فَلَاحِجِينَ أَوْ نَجَّارِينَ أَوْ صَنَاعِيْنَ وَهُوَ يَعِيشُ فِي تَرَفٍ وَيَتَسَنَّمُ بَعْضَ الْوِظَائِفِ الْكِبَارِ فَيُخْجَلُ مِنْ وُجُودِهِمَا فِي بَيْتِهِ عِنْدَ زُمَلَائِهِ بِرِثَائِهِمَا وَزَيَّيْتِهِمَا الْقَدِيمِ .

وَرُبَّمَا سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِيهِ مَنْ هَذَا الَّذِي يُبَاشِرُ فَقَالَ هَذَا خَادِمٌ عِنْدَنَا مُسْتَأْجَرٌ لِشُؤْنِ الْبَيْتِ لِأَنَّهُ يَتَوَهَّمُ أَنَّ هَذِهِ الْهَيْئَةَ وَاللِّبَاسَ تَتَنَافَى مَعَ وَظِيفَتِهِ أَوْ مَقَامِهِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْكَبِيرِ وَهَذَا بِلَا شَكِّ بُرْهَانٌ عَلَى سَخَافَةِ عَقْلِهِ وَقِلَّةِ دِينِهِ وَالنَّفْسِ الْعَظِيمَةِ الشَّرِيفَةِ تَتَفَخَّرُ وَتَعْتَزُّ بِمَنْبِتِهَا وَأَصْلِهَا أَبِيهَا وَأُمِّهَا مَهْمَا كَانَتْ حَيَاتُهُمَا وَنَشَأَتُهُمَا وَبَيْتُهُمَا وَهَيْئَتُهُمَا .

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُوجَدَ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي يُقَالُ لَهُنَّ مُتَعَلَّمَاتٌ إِذَا سُئِلَتْ عَنْ أُمَّهَا مِنْ هَذِهِ أَنْ تَقُولَ هَذِهِ فَرَأَشَةُ عِنْدَنَا أَوْ طَبَّاحَةٌ أَوْ خَدَّامَةٌ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْاِنتِكَاسِ وَعَمَى الْبَصِيرَةَ رَبَّنَا لَا تُزِعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ مِنَ الْمِيَاسِيرِ بِالْبَصْرَةِ يَتَمَنَّى أَنْ يُرْزَقَ وَلَدًا ،

وَيَنْذِرُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وُلِدَ لَهُ فَسَرَّ بِهِ غَايَةَ السُّرُورِ وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ حَتَّىٰ ارْتَفَعَ عَن مَبْلَغِ الْأَطْفَالِ إِلَىٰ حَدِّ الرِّجَالِ ، وَلَمْ يَهْمَهُ شَيْءٌ مِّنْ أَمْرِ الدُّنْيَا سِوَىٰ هَذَا الْوَلَدِ وَلَمْ يُؤَخِّرْ مُمَكِّنًا مِّنَ الْإِحْسَانِ عَنْهُ ، فَلَمْ يَشْعُرْ الْأَبُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَّا بِخَنْجَرٍ خَالَطَ جَوْفَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ .

فَاسْتَعَاثَ بِابْنِهِ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ صَاحِبُ الضَّرْبَةِ فَقَالَ الشَّيْخُ وَهُوَ يَضْطَرُّ مِنَ الْأَلْمِ لِأَنَّ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، أَسْتَعْفُرُ اللَّهَ ، صَدَقَ اللَّهُ أَرَادَ بِالتَّهْلِيلِ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ بِالْإِيمَانِ .

وَأَرَادَ بِالْإِسْتِغْفَارِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ حَذَرَهُ فَلَمْ يَحْذَرْ مِنْ ابْنِهِ وَيَقُولُ : صَدَقَ اللَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ فَجَمَعَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ .
قال بعضهم ممن تضرر بأقربائه ومعارفه :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْخَيْرَ مَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا
فَمَا سَامَنَا ضَيْمًا وَلَا شَفْنَا أَدَى
آخِر : أَرَى أَنَّ الشَّدَائِدَ فِيهَا خَيْرٌ
وَمَا مَدَحِي لَهَا حُبًّا وَلَكِنْ
أَرَانِي وَقَوْمِي فَرَّقْنَا مَذَاهِبُ
فَأَقْصَاهُمْ أَقْصَاهُمْ عَن مَسَاعِي
نَسِيكَ مَنْ نَاسَبْتَ بِالْوَدِّ قَلْبَهُ
وَأَعْظَمُ أَعْدَاءِ الرِّجَالِ ثِقَاتُهَا
وَقَالَ آخِر :

وَمَا زِلْتُ مُذْنَمٌ الْعِدَارُ بَوَجْنَتِي
فَمَا سَاعَانِي إِلَّا الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ
أَفْتِشُ عَن هَذَا السُّورَى وَأَكْشِفُ
جَزَّ اللَّهُ خَيْرًا كُلِّ مَنْ لَيْسَ نَعْرِفُ

وَقَالَ بَعْضُ الْأَبَاءِ الَّذِينَ ذَاقُوا عُقُوقَ الْأَوْلَادِ لِابْنِ لَهُ :

غَدُوْتُكَ مَوْلُودًا وَعَلَيْكَ يَافِعًا
تَعَلُّ بِمَا أُذْنِي إِلَيْكَ وَتَهْلُ

إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتَ
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّهَا
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي
 جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغَلْظَةً
 وَسَمِّيتَنِي بِاسْمِ الْمُنْفِدِ رَأْيِهِ
 تَرَاهُ مُعَدًّا لِلْخَلَافِ كَأَنَّهُ
 فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَ حَقَّ أُبُوتِي
 فَأَوْلَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ وَلَمْ تَكُنْ

وَقَالَ آخِرُ مَنْ ذَاقَ وَتَجَرَّعَ أَلْمَ الْعُقُوقِ :

يَوَدُّ الرَّدَى لِي مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ
 إِذَا مَا رَأَيْتَنِي مُقْبِلًا غَضَّ طَرْفَهُ
 وَلَوْ مِتُّ بَانَتُ لِلْعُدُوِّ مَقَاتِلَهُ
 كَانَ شِعَاعَ الشَّمْسِ دُونِي يُقَابِلُهُ

(مواعظ وفوائد)

رُبَّ مَسْرُورٍ مَغْبُونٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَضْحَكُ وَقَدْ حُقَّ لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ مِنْ وَقُودِ النَّارِ . مِنْ الْغُرُورِ ذِكْرُ الْحَسَنَاتِ وَنِسْيَانُ السَّيِّئَاتِ .

وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ : يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لِيَتَفَكَّرَ مُتَفَكِّرٌ فِيهَا يَبْقَى لَهُ
 وَيَنْفَعُهُ . أَمَّا مَا وَكَلَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فَتَضَيِّعُونَهُ . وَأَمَّا مَا تَكْفُلُ لَكُمْ بِهِ
 فَتَطْلُبُونَهُ مَا هَكَذَا نَعَتَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ .

أَدْوُوا عُقُولَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَبِلَهُ عَمَّا خَلَقْتُمْ لَهُ فَكَمَا تَرْجُونَ اللَّهَ بِهَا
 تُؤَدُّونَ مِنْ طَاعَتِهِ فَكَذَلِكَ أَشْفِقُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِمَا تَنْتَهِكُونَ مِنْ مَعَاصِيهِ .

وَقَالَ : عِبَادَ اللَّهِ إَعْلَمُوا أَنْكُمْ تَعْمَلُونَ فِي أَيَّامٍ قِصَارٍ لِأَيَّامٍ طَوَالٍ ،
 وَفِي دَارِ زَوَالٍ لِدَارِ مَقَامٍ ، وَفِي دَارِ نَصَبٍ وَحُزْنٍ لِدَارِ نَعِيمٍ وَخُلْدٍ .

وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ عَلَى الْيَقِينِ فَلَا يَتَعَنَّ .
عِبَادَ اللَّهِ هَلْ جَاءَكُمْ مَخْبِرٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِكُمْ تُقْبَلُ مِنْكُمْ أَوْ
شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِكُمْ غُفِرَ لَكُمْ .

قال أبو عمرو الأوزاعي : لَيْسَ سَاعَةٌ مِنْ سَاعَاتِ الدُّنْيَا إِلَّا وَهِيَ
مَعْرُوضَةٌ عَلَى الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمًا فَيَوْمًا وَسَاعَةٌ فَسَاعَةٌ .

ولا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا وتقطعت نفسه عليها حسرات
فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم إلى يوم لم يذكر الله فيهما فيها لها من
حسرة ويا لها من ندامة ويا له من أسف وحزن طويل .

إِبْنُ آدَمَ أَعْمَلُ عَمَلِ رَجُلٍ لَا يُنَجِّيه إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ عَمَلُهُ ، وَتَوَكَّلَ رَجُلٌ
لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ .
شعرا :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ لِحَالِقِهِ فَهُوَ السَّفِيهِ الْمُضِيِّعُ
اللَّهُمَّ يَا مُنَوِّرَ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ ، يَا قَاضِيَ حَوَائِجِ السَّائِلِينَ يَا قَابِلَ تَوْبَةِ
التَّائِبِينَ وَيَا مُفْرَجًا عَنِ الْمَكْرُوبِينَ وَالْمَغْمُومِينَ ، تُبِّ عَلَيْنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي صِلَةِ الرَّحِمِ

الرَّحِمُ الْقَرَابَةُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا دَاعِيَةُ التَّرَاحِمِ بَيْنَ الْأَقْرَبَاءِ
وَصِلَةُ الرَّحِمِ مُوجِبَةٌ لِرِضَا الرَّبِّ عَنِ الْعَبْدِ وَمُوجِبَةٌ لِثَوَابِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فِي
الْآخِرَةِ ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهَا سَبَبٌ لِبَسْطِ الرِّزْقِ وَتَوْسِيعِهِ وَسَبَبٌ لِطَوْلِ الْعُمُرِ ،
وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَى الْعَبْدِ .

وَذَلِكَ حَقٌّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ لِلْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ ، وَقَدْ
 جَعَلَ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ سَبَبًا وَطَرِيقًا يُنَالُ بِهِ ، وَهَذَا جَارٍ عَلَى الْأَصْلِ الْكَبِيرِ ،
 وَأَنَّهُ مِنْ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ جَعَلَ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ
 وَصَلَ رَحْمَهُ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، وَأَدْخَلَ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ ، وَصَلَ اللَّهُ
 عُمُرَهُ وَبَسَطَ فِي رِزْقِهِ وَوَسَّعَهُ وَفَتَحَ لَهُ مِنْ أَبْوَابِ الرِّزْقِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى
 بَالٍ وَبَارَكَ لَهُ .

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ وَهَبَهُ اللَّهُ قُوَّةً فِي جِسْمِهِ وَرِزَانَةً فِي عَقْلِهِ وَمَضَاءً فِي
 عَزِيمَتِهِ وَبَرَكَهَةً فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ كَانَتْ حَيَاتُهُ حَافِلَةً بِالْأَعْمَالِ الطَّيِّبَةِ ، فَهَذَا
 حَيَاتُهُ حَيَاةً طَوِيلَةً وَإِنْ كَانَتْ فِي الْحِسَابِ قَصِيرَةً ، لِأَنَّ الْمِقْيَاسَ الْحَقِيقِيَّ
 لِلْحَيَاةِ الْمُبَارَكَةِ هِيَ جَلَائِلُ الْأَعْمَالِ ، وَكَثْرَةُ الْأَثَارِ لَيْسَ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ
 كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

فَتَى عَاشَ أَعْمَالًا جِسَامًا وَإِنَّمَا تُقَدَّرُ أَعْمَارُ الرِّجَالِ بِأَعْمَالِ
 وَقَالَ آخَرُ :

الْعِلْمُ أَنْفَسُ شَيْءٍ أَنْتَ ذَاخِرُهُ مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ
 أَقْبَلْ عَلَى الْعِلْمِ وَاسْتَقْبِلْ مَبَاحِثَهُ - فَأَوْلُ الْعِلْمِ إِقْبَالُ وَآخِرُهُ
 وَأَنْظُرْ إِلَى مَنْ مَضَى مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ عَاشُوا زَمَنًا قَلِيلًا
 كَانَتْهُمْ لَبُثًا قُرُونًا كَثِيرَةً لِكَثْرَةِ مَا عَمِلُوا وَعِظَمِ مَا خَلَقُوا بَيْنَمَا تَرَى آخَرِينَ
 يَعِيشُونَ زَمَنًا طَوِيلًا وَيَذْهَبُونَ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ أَثَرٌ وَلَا ذِكْرٌ كَمَا قِيلَ :

كَانَهُمْ قَطُّ مَا كَانُوا وَمَا خُلِقُوا
 وَمَاتَ ذِكْرُهُمْ بَيْنَ السُّورِ وَنُسُوا

وَمِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَهَةِ فِي الْعُمُرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ التَّفَرُّغُ مِنَ الشَّوَاغِلِ
 وَالشَّوَاغِبِ فَمَنْ كَثُرَتْ شَوَاغِلُهُ وَشَوَاغِبُهُ قَلِيلُ الْبَرَكَهَةِ فِي الْعُمُرِ أَوْ مَعْدُومُهَا
 لِأَنَّهُ مُنِعَ مِنْ تَصْرِيفِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِمُتَابَعَةِ شَهَوَاتِهِ وَمَلَذَاتِهِ وَتَحْصِيلِ مَنَاهُ

مِنْ دُنْيَاهُ وَمَنْ تَفَرَّغَ مِنَ الشَّوَاغِلِ وَلَمْ يُقْبَلْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ أَيْضًا
مَخْذُولٌ وَمَصْرُوفٌ عَنِ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْهُدَى وَلَا بَرَكَةَ فِي عُمُرِهِ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ أَكْثَرَ النَّاسِ وَجَدْتَ الَّذِي حَبَسَهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَتَضْرِيْفِ أَعْمَارِهِمْ فِي التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ هُوَ
كَثْرَةُ اشْغَالِهِمْ فَاشْتَغَلَتْ جَوَارِحُهُمْ بِخِدْمَةِ الدُّنْيَا لَيْلًا وَنَهَارًا شُهُورًا وَأَعْوَامًا
حَتَّى انْقَرَضَ الْعُمُرُ كُلُّهُ فِي اللَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَلَّتْ شَوَاغِلُهُمْ فِي الظَّاهِرِ لِرُجُودِ مَنْ قَامَ بِهَا عَنْهُمْ
لَكِنْ كَثْرَةَ عِلَاقَتِهِمْ وَتَفَكُّرَاتِهِمْ فِي الْبَاطِنِ لِكَثْرَةِ مَا تَعَلَّقَ بِهِمْ مِنَ الشَّوَاغِبِ
فَهُمْ مُسْتَعْرِقُونَ دَائِمًا فِي التَّفَكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ وَالاخْتِيَارِ وَالتَّقْدِيرَاتِ وَالاِهْتِمَامِ
بِأُمُورٍ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ مِنَ الْأَنَامِ .

لَا سِيِّمًا مَنْ كَانَ لَهُ جَاهٌ وَرِيَّاسَةٌ وَخُطَّةٌ أَوْ سِيَاسَةٌ فَهَذَا بَعِيدٌ عَنْ
تَضْرِيْفِ الْعُمُرِ وَاسْتِعْرَاقِهِ فِي أَنْوَاعِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ
وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْخَيْرَ يَكُونُ غَالِبًا بِإِذْنِ اللَّهِ فِي التَّخْفِيفِ مِنَ الشَّوَاغِلِ
وَالْعَوَائِقِ الَّتِي تَجْذِبُهُ وَتَخْطِفُهُ عَنِ الطَّاعَةِ إِذَا هَمَّ بِهَا وَيَكُونُ لَا بَرَكَةَ فِي
عُمُرِهِ أَوْ قَلِيلَ الْبَرَكَةِ فِيهِ .

وَإِنَّمَا رُبَّتْ الْبَرَكَةُ فِي الْعُمُرِ عَلَى صِلَةِ الرَّحِمِ لِأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا وَصَلَ
رَحِمَهُ أَرْضَى رَبَّهُ فَاجْلَهُ أَقْرَبَاؤُهُ وَاحْتَرَمُوهُ ، فَاثْمَلَاتْ نَفْسُهُ سُرُورًا وَشَعَرَ
بِمَكَانَةٍ عَالِيَةٍ مِنْ أَجْلِ مَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ صَنِيعِهِ الَّذِي صَنَعَ ، وَالسُّرُورُ
مُسْتَشْطٌ ، كَمَا أَنَّ الْحُزْنَ مُثَبِّطٌ ، وَالشُّعُورُ بِالتَّعْظِيمِ عَنِ أَعْمَالٍ مَجِيدَةٍ دَاعٍ
لِلْإِكْتِسَابِ مِنْهَا ، وَبِذَلِكَ الْجُهْدِ فِي سَبِيلِهَا .

وإن لم يفعل لم يحصل له ذلك كما قيل :

وَكَيْفَ يَسُودُ الْمَرْءُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ

بِلا مَنَّةٍ مِنْهُ عَلَيْهِ وَلَا يَدِ

آخر : أخو ثقة يسرُّ بحسنِ حالي وإن لم تُدنيه مِنِّي قرأته
أحبُّ إلى من ألقى قريبٌ تبيتُ صدورهم لي مسترايه
وقال بعض من تضرر بالأقارب :

يُقُولُونَ عِزُّ فِي الْأَقْرَابِ إِنْ ذَنْتُ وَمَا الْعِزُّ إِلَّا فِي فِرَاقِ الْأَقْرَابِ
تَرَاهُمْ جَمِيعًا بَيْنَ حَاسِدٍ نِعْمَةٍ وَبَيْنَ أَخِي بُغْضٍ وَأَخْرَ عَائِبٍ
وَكَمَا أَنَّ الصَّحَّةَ وَطِيبَ الْهَوَاءِ وَطِيبَ الْغِذَاءِ وَاسْتِعْمَالَ الْأُمُورِ
الْمُقَوِّبَةَ لِلْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ مِنْ أَسْبَابِ طُولِ الْعُمُرِ ، فَكَذَلِكَ صِلَةُ الرَّجْمِ
جَعَلَهَا اللَّهُ سَبَبًا رَبَّانِيًّا مِنْ أَسْبَابِ طُولِ الْعُمُرِ .

قَالَ الْبَلْبَانِيُّ وَالْمَرَادُ بِصِلَةِ الرَّجْمِ مُوَالَاتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ
غَيْرِهِمْ لِأَجْلِ قَرَابَتِهِمْ وَتَأَكِيدُ الْمُبَادَرَةَ إِلَى صَلِحِهِمْ عِنْدَ عِدَاوَتِهِمْ
وَالْاجْتِهَادُ فِي إِيْصَالِ كِفَايَتِهِمْ بِطِيبِ نَفْسٍ عِنْدَ فَقْرِهِمْ وَالْإِسْرَاعُ إِلَى
مُسَاعَدَتِهِمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ .

وَمُرَاعَاةَ جَبْرِ قُلُوبِهِمْ مَعَ التَّعَطُّفِ وَالتَّلَطُّفِ بِهِمْ وَتَقْدِيمُهُمْ فِي إِجَابَةِ
دَعْوَتِهِمْ وَالتَّوَاضُّعِ مَعَهُمْ فِي غِنَاهُ وَفَقْرِهِمْ وَقُوَّتِهِ وَضَعْفِهِمْ وَمُدَاوِمَةَ مَوَدَّتِهِمْ
وَنُصْحَهُمْ فِي كُلِّ شَأْنِهِمْ وَالبَدَاءَةَ بِهِمْ فِي الدَّعْوَةِ وَالضِّيَافَةِ قَبْلَ غَيْرِهِمْ
وَإِيْتَارُهُمْ فِي الْإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ وَالْهَدِيَّةِ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ
عَلَيْهِمْ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ .

وَفِي مَعْنَاهَا الْهَدِيَّةُ وَنَحْوَهَا وَتَبْتَاطُفُ فِعْلٌ ذَلِكَ مَعَ الرَّجْمِ الْكَاشِحِ
الْمُبْغِضِ عَسَاءُ أَنْ يَعُودَ وَيَرْجِعَ عَنْ بُغْضٍ إِلَى مَوَدَّةٍ قَرِيبِهِ وَمَحَبَّتِهِ أَنْتَهَى .
وَفِي النَّهَائِيَّةِ : قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ صِلَةُ الرَّجْمِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ
الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَبِينَ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ ، وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ ،
وَالرَّفْقِ بِهِمْ وَالرَّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ وَكَذَلِكَ إِنْ بَعُدُوا وَأَسَاؤُوا ، وَقَطَعُ الرَّجْمِ
ضِدُّ ذَلِكَ كُلُّهُ .

وَفِي الْفَتْحِ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ الرَّجْمُ الَّتِي تُوصَلُ عَامَّةً وَخَاصَّةً فَالْعَامَّةُ
رَجْمُ الدِّينِ ، وَتَجِبُ مُوَاصَلَتُهَا بِالتَّوَادُّدِ وَالتَّنَاصُحِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ

وَالْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ ، وَأَمَّا الرَّحْمُ الْخَاصَّةُ فَتَزِيدُ النِّفْقَةَ
عَلَى الْقَرِيبِ ، وَتَفْقِدُ أَحْوَالَهُمْ ، وَالتَّغَافُلُ عَنِ زَلَّاتِهِمْ وَتَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُ
اسْتِحْقَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْأَقْرَبُ فَلْأَقْرَبُ .

آخر : مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمِي أَنْ لَا أُحْبِكُمْوَا إِنْ لَمْ تُحِبُّوْنِي
لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ظَهَائِرِهِمْ مَا فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ يَكْفِينِي
آخر : مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْشَى الْأَبَاعِدَ نَفْعُهُ وَشَقَى بِهِ حَتَّى أَلْمَاتِ أَقَارِبُهُ
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَالْبَعِيدُ يَنَالُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَابْنُ عَمِّكَ صَاحِبُهُ
آخر : وَإِذَا تَكُونُ كَرِيمَةً أَدْعَى هَا وَإِذَا يُجَاحِسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ
هَذَا لَعَمْرُكُمْوَا الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ وَلَا أَبُ

وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ : تَكُونُ صَلَّةُ الرَّحِمِ بِالْمَالِ وَبِالْعَوْنِ
عَلَى الْحَاجَةِ ، وَبِدْفَعِ الضَّرْرِ وَبِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ ، وَبِالدُّعَاءِ ، وَالْمَعْنَى
الْجَامِعُ إِیْصَالُ مَا أَمَكَّنَ مِنَ الْخَيْرِ ، وَدْفَعُ مَا أَمَكَّنَ مِنَ الشَّرِّ بِحَسَبِ
الطَّاقَةِ .

وَهَذَا إِنَّمَا يَسْتَمِرُّ إِذَا كَانَ أَهْلُ الرَّحِمِ أَهْلَ اسْتِقَامَةٍ فَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا
أَوْ فُجَّارًا فَمُقَاطَعَتُهُمْ فِي اللَّهِ هِيَ صَلَّتُهُمْ ، بِشَرَطِ بَدَلِ الْجُهْدِ فِي وَعْظِهِمْ
ثُمَّ إِعْلَامُهُمْ إِذَا أَصْرُوا بِأَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ تَخْلُفِهِمْ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يَسْقُطُ مَعَ
ذَلِكَ صَلَّتُهُمْ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ بِظَهْرِ الْغَيْبِ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الطَّرِيقِ الْمُثَلَّى
شَعْرًا :

وَلَقَدْ بَلَّوْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبِرْتُهُمْ وَعَلِمْتُ مَا مِنْهُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرَّبُ قَاطِعًا وَإِذَا الدِّيَانَةُ أَقْرَبُ الْأَسْبَابِ
وَمِنَ اللَّطَائِفِ أَنَّ ابْنَ الْمَقْرِيِّ كَتَبَ لِوَالِدِهِ حِينَ امْتَنَعَ عَنِ النِّفْقَةِ
عَلَيْهِ :

لَا تَقْطَعَنَّ عَادَةَ بِيٍّ وَلَا
تَجْعَلْ عِتَابَ الْمَرْءِ فِي رِزْقِهِ

فَإِنَّ أَمْرَ الْإِفْكِ مِنْ مِسْطَحٍ
يَحُطُّ قَدْرَ النُّجْمِ مِنْ أَفْقِهِ
وَقَدْ جَرَى مِنْهُ الَّذِي قَدْ جَرَى
وَعُوتَبَ الصِّدِّيقُ فِي حَقِّهِ
فَأَجَابَهُ وَالِدُهُ مُبَيِّنًا لَهُ السَّبَبَ لِذَلِكَ الْمَنْعِ :

قَدْ يُنْمَعُ الْمُسْطَرُّ مِنْ مَيْتَةٍ
إِذَا عَصَى فِي السَّيْرِ فِي طَرْقِهِ
لَأَنَّهُ يَقْوَى عَلَى تَوْبَةٍ
تُوجِبُ إِضْلَالَ إِلَى رِزْقِهِ
لَوْ لَمْ يُتَبَّ مِنْ ذَنْبِهِ مِسْطَحُ
مَا عُوتَبَ الصِّدِّيقُ فِي حَقِّهِ

وَمَا يَدْخُلُ فِي صِلَتِهِمْ تَعَهُدُهُمْ بِالتَّرِيَةِ وَالتَّوَجِيهِ حِينَ يَكُونُونَ صِغَارًا
مُتَحَاجِينَ إِلَى تَوْجِيهِهِمْ إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَمَا يَدْخُلُ
المَبَادِرَةُ فِي عِلَاجِهِمْ عِنْدَمَا يُمْرَضُونَ وَزِيَارَتِهِمْ إِذَا غَابُوا عَنْهُ ، وَعِيَادَتِهِمْ عِنْدَمَا
يُمْرَضُونَ ، وَإِشْعَارُهُمْ أَنَّهُ مَعَهُمْ دَائِمًا .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ
الْيَسِيرَ مِنَّا وَاجْعَلْنَا يَا مُوَلَانَا مِنْ عِبَادِكَ الدِّينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى صَلَاةِ الرَّجْمِ وَالتَّحْذِيرِ عَنْ قَطِيعَتِهَا آيَاتٌ
وَاحِدَاتٌ كَثِيرَةٌ ، نَذَكُرُ طَرَفًا مِنْهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾
أَيُّ قَرَابَتِكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ وَالْمُرَادُ بِحَقِّهِمْ بِرُّهُمْ وَصِلَتُهُمْ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ أَيِ اتَّقُوا
الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ الْمُرَادُ
الرَّحِمُ وَالْقَرَابَةُ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ
كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » .

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَتَمِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ
رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ « نَعَمْ » قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ
« الْإِيمَانُ بِاللَّهِ » قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ .

قَالَ « ثُمَّ صَلَاةُ الرَّحِمِ » قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَبْغَضُ
إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ » قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ ثُمَّ قَطِيعَةُ
الرَّحِمِ . قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَهْ قَالَ الْأَمْرُ بِالْمُنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْرُوفِ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا
عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِحُطَامِ نَاقَتِهِ
أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ
وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَظَرَ فِي
أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ « لَقَدْ وَفَّقَ أَوْ لَقَدْ هَدَيْتُ » قَالَ كَيْفَ قُلْتَ ؟ قَالَ فَأَعَادَهَا
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ
الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ » .

وَفِي رِوَايَةٍ وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ فَلَمَّا أُدْبِرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرْتُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » وَأَخْرَجَا أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ » .

وَأُخْرَجًا أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقًا حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ زَادَ رِوَايَةَ الْبَيْهَقِيِّ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِي الرَّحْمَنُ فَقَالَ مَهْ ؟ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَاقْطَعِ مَنْ قَطَعَكَ ؟ قَالَتْ بَلَى قَالَ فَذَاكَ لَكَ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِقْرُوا أَنْ شِئْتُمْ « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ « لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرًا عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٌ .

فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وَإِنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي الَّتِي بَيْرُحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفَعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَعْتَقَتْ
وَلَيْدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ
عَلَيْهَا فِيهِ قَالَتْ أَشَعَّرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلَيْدَتِي قَالَ : أَوْ
فَعَلْتِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : « أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ
لَأَجْرِكَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ مَا
يَأْمُرُكُمْ بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ يَقُولُ « اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ
وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ الْأَمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ قَوِيٍّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ الرَّجْمُ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ تَقُولُ يَا رَبِّ إِنِّي قُطِعْتُ يَا رَبِّ إِنِّي أُسِيءُ
إِلَى يَا رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ فَيَجِيئُهَا أَلَّا تَرْضَيْنَ أَنْ أُصِلَ مَنْ
وَصَلَّكَ وَأَقَطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ،

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَضْفَارَ ضِغْنِهِ
بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حُلْمٌ
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ
وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ الرَّغْمُ
فَإِنْ أَغْفَ عَنْهُ أَغْضُ عَيْنًا عَلَى قَدِي
وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمٌ
وَإِنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَائِشِ
سِهَامٍ عَدُوٍّ يُسْتَهَاضُ بِهَا الْعَظْمُ
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَمَا تَسْتَوِي حَرْبُ الْأَقَارِبِ وَالسَّلَامُ

وبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأْيَ وَالْمَرْءَ قَادِرُ
 عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
 وَيَسْتِمُّ عِرْضِي فِي الْمَغِيبِ جَاهِدًا
 وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمُ
 إِذَا سُمُّتُهُ وَصَلَّ الْقَرَابَةَ سَامِي
 قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ
 وَإِنْ أَدْعُهُ لِلنُّصْفِ يَا بِي وَيَعْصِي
 وَيَدْعُو لِحُكْمِ جَائِرٍ غَيْرِهِ الْحُكْمُ
 فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ وَالرَّحْمِ اللَّيْ
 رِعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَعْطِيلُهَا ظُلْمُ
 إِذَا لَعَلَّاهُ بَارِقِي وَخَطْمَتُهُ
 بَوَسْمِ شَنَارٍ لَا يُشَابِهُهُ وَسْمُ
 وَيَسْعَى إِذَا أَبْنِي لَهُدْمِ مَصَالِحِي
 وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهُدْمُ
 يَوَدُّ لَوْ أَنِّي مُعَدِّمٌ دُوَّ خِصَاصَةٍ
 وَأَكْرَهُ جُهْدِي أَنْ يَخَالِطَهُ الْعُدْمُ
 وَيَعْتَدُ غَنَمًا فِي الْحَوَادِثِ نَكْبَتِي
 وَمَا إِنْ لَهُ فِيهَا سَنَاءٌ وَلَا غَنَمُ
 وَمَا زِلْتُ فِي لَيْبِي لَهُ وَتَعْطُفِي
 عَلَيْهِ كَمَا مَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ
 وَخَفَضَ لَهُ مِنِّي الْجَنَاحَ تَأْلَفًا
 لَتُدْنِيَهُ مِنِّي الْقَرَابَةُ وَالرَّحْمُ
 وَقَوْلِي إِذَا أَخْشَى عَلَيْهِ مُلَمَّةً
 إِلَّا اسْلَمَ فِدَاكَ الْخَالُ ذُو الْعَقْدِ وَالْعَمُّ

وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَارٍ مِنْهُ تُرَيْبِي
 وَكَظْمٍ عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ الْكَظْمُ
 لِأَسْتَلِّ مِنَ الظُّغْنِ حَتَّى اسْتَلَلْتُهُ
 وَقَدْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْجُرْمُ
 رَأَيْتُ إِثْلَامًا بَيْنَنَا فَرَقَعْتُهُ
 بِرَفْقِي وَإِحْيَائِي وَقَدْ يُرْقِعُ الثَّلْمُ
 وَابْرَأْتُ غِلَّ الصَّدْرِ مِنْهُ تَوْسَعًا
 بِحِلْمِي كَمَا يُشْفَى بِالْأَدْوِيَةِ الْكَلْمُ
 فَدَاوَيْتُهُ حَتَّى أَرْفَأَنَّ نِفَارُهُ
 فَعُدْنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا جُرْمُ
 وَأَطْفَاءُ نَارِ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنِهِ
 فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَهُوَلْنَا سِلْمُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) وَأَخْرَجَ الْأَمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ رَوَاتُهُ ثِقَاتٌ وَالْبَزَارُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ
 زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنْ مِنْ أَرْبَى
 الرَّبَا اسْتَطَالَتْهُ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَإِنَّ هَذِهِ الرَّجْمَ شَجْنَةٌ مِنَ
 الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ .

وَأَخْرَجَ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « الرَّجْمُ شَجْنَةٌ مُتَمَسِّكَةٌ بِالْعَرْشِ تَكَلِّمَ بِلِسَانِ
 ذِيكَ اللَّهُمَّ صِلْ مَنْ وَصَلْتَنِي وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعْتَنِي فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا
 الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَإِنِّي شَقَقْتُ الرَّجْمَ مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ
 بَتَكَهَا بَتَكْتُهُ .

شعرا: إِيْنِي لِيْمْنَعْنِي مِنْ قَطْعِ ذِي رَجْمٍ مَا جَاءَ فِي الذُّكْرِ مَعَ مَا جَاءَ فِي السُّنَنِ
 إِنْ لَانَ لِنْتُ وَإِنْ دَبْتُ عَقَارِبُهُ إِلَيَّ جَارِيَتُهُ بِالصَّفْحِ لَا الظُّغْنِ

إِذَا هَجَرُوا عِزًّا وَصَلْنَا تَدْلَالًا وَإِنْ بُعِدُوا يَأْسًا قَرَبْنَا تَعْلَالًا
 وَإِنْ أَغْلَقُوا بِالْهَجْرِ أَبْوَابَ وَصْلِهِمْ وَقَالُوا أَبْعِدُوا عَنَّا طَلَبْنَا التَّوَصُّلَا
 وَإِنْ مَنَعُونَا أَنْ نَجُوزَ بِأَرْضِهِمْ وَلَمْ يَسْمَعُوا الشُّكُوى وَرَدُّوا التَّوَسُّلَا
 أَشْرْنَا بِتَسْلِيمٍ وَإِنْ بَعَدَ الْمَدَى إِلَيْهِمْ وَهَذَا مُنْتَهَى الْوَصْلِ أَكْمَلَا
 وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ عَلَى
 شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أُمِّ كُلثُومَ بِنْتِ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْكَاشِحِ » يَعْنِي أَفْضَلُ
 الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْمُضْمِرِ الْعِدَاوَةِ وَهُوَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ » .
 قَالَ النَّازِمُ :

وَكُنْ وَاصِلَ الْأَرْحَامِ حَتَّى لِكَاشِحِ
 تُوفِّرُ فِي عُمُرٍ وَرِزْقٍ وَتَسْعُدُ
 وَلَا تَقْطَعِ الْأَرْحَامَ إِنْ قَطِيعَةً
 لِذِي رَجِمٍ كُبْرَى مِنْ اللَّهِ تُبْعِدُ
 فَلَا تَغْشَى قَوْمًا رَحْمَةً اللَّهُ فِيهِمْ
 ثَوَى قَاطِعٍ قَدْ جَاءَ ذَا بَتَوْعْدِ

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ
 اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ فَقَالَ « يَا عُقْبَةُ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ
 حَرَمَكَ وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » وَفِي لَفْظٍ وَأَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟ أَنْ تَصِلَ
 مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَأَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَرَوَاهُ الْبِزَارُ
 عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مَرْفُوعًا بِلَفْظِ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ

الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « تَحَلَّمْ عَلَى مَنْ جَهَلَ عَلَيْكَ ، وَتَعَفَّوْا عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ » .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقِهِ وَيُنْسَأَلَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » وَلِلْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَلَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِلَفْظٍ « تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ مَنَسَاءٌ فِي الْأَثَرِ » وَمَعْنَى (مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ) أَي زِيَادَةٌ فِيهِ وَمَعْنَى (مَنَسَاءٌ فِي الْأَثَرِ) النَّسَاءُ أَي زِيَادَةٌ فِي عُمُرِهِ أَي يُؤَخَّرُ لَهُ فِي أَثَرِهِ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَسَنُ فِيهِ يَكْتَسِبُ صَاحِبُهُ حَسَنَاتٍ وَهُوَ فِي الْقَبْرِ بِالذَّعَاءِ الصَّالِحِ لَهُ أَوْ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ فِي صَالِحِ عَمَلِهِ .

ذِكْرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

آخِر :

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَتَوَانِي فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمُرٌ ثَانِي

وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَمَامِ أَحْمَدُ فِي زَوَائِدِهِ وَالْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ وَالْحَاكِمُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ ، وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِئْتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَادَ فِي عُمْرِهِ ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ » .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَالْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ لَيَعْمُرُ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ وَيُثْمِرُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ ، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مِنْذُ خَلَقَهُمْ بَعْضًا لَهُمْ » قِيلَ وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « بِصِلْتِهِمْ لِأَرْحَامِهِمْ » .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِنَا عَلَى دِينِكَ وَأَهْلِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَضَّلُ ثُمَّ اعْلَمَ أَنَّ لِصِلَةِ الرَّحِمِ فَوَائِدَ جَمَّةً وَثَمَرَاتٍ مُحَقَّقَةً وَنَتَائِجَ حَسَنَةً فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ وَقَدْ رَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى صِلَةِ الرَّحِمِ أَمْرَيْنِ مُحَقَّقَيْنِ هُمَا بَسْطُ الرِّزْقِ وَسَعَتُهُ وَالْأَنْسَاءُ فِي الْأَثَرِ وَمُسَاعَدَةُ ذَوِي الْقُرْبَى وَصِلْتُهُمْ وَاجِبٌ دِينِي نَدَبَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَجَاءَتْ الْأَحَادِيثُ مُبَيِّنَةً أَنَّهُ مِنْ آكَدِ وَاجِبَاتِ الْمَرْءِ فِي حَيَاتِهِ يَدْعُوكَ لَهُ الشَّفَقَةُ وَالْحَنَانُ وَالْعَطْفُ وَالرَّحْمَةُ عَلَى ذَوِي قَرْبَانِكَ .

وَلَيْسَ مِنَ الْبِرِّ مُسَاعَدَةُ الْخَامِلِ الْكَسَلَانَ وَتَشْجِيعُهُ عَلَى الْبَطَالَةِ وَالْكَسَلِ وَإِنَّمَا الْبِرُّ وَالصَّلَاةُ فِي مُسَاعَدَةِ مَنْ فَقَدَ أَسْبَابَ الْعَمَلِ وَلَمْ تَنْهَيْ لَهُ طُرُقَ الْمَكَاسِبِ وَعَلَيْكَ أَنْ تُعَامِلَهُمْ مُعَامَلَةَ الرَّفِيقِ وَاللِّينِ فَتَحْتَرِمَ كَبِيرَهُمْ وَتُجَلِّهُ وَتُحْسِنَ إِلَى صَغِيرِهِمْ وَتَتَجَاوَزَ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ وَتَغُضَّ الطَّرْفَ عَنْ زَلَّاتِهِمْ وَتُقَابِلَ الْمُسِيءَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ لَا بِالْإِسْتِكْبَارِ وَالْإِسْتِنْقَاصِ لِأَنَّهُمْ أَقَارِبُكَ وَأَوْلَى النَّاسِ بِمَوَدَّتِكَ وَعَطْفِكَ وَرَحْمَتِكَ وَمَا يُؤَلِّدُ الْمَحَبَّةَ وَالْحَنَانَ الْهَدَايَا
قَالَ بَعْضُهُمْ

هَدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تُوَلِّدُ فِي قُلُوبِهِمُ الْوَصَالَ
وَتَزْرَعُ فِي الضَّمِيرِ هَوِيَّ وَوَدًّا وَتَكْسُوكَ الْمَهَابَةَ وَالْجَلَالَ

آخر : فَلَاتُكَ مَنَانًا بِخَيْرٍ فَعَلَّتْهُ فَقَدْ يُفْسِدُ الْمَعْرُوفَ بِاللَّيْنِ صَاحِبُهُ
وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ بَعْدَ أُصُولِكَ وَفُرُوعِكَ وَحَوَاشِيكَ يَتَمَنُّونَ
سَعَادَتَكَ هَنَاءَكَ وَيَرْجُونَ لَكَ الْخَيْرَاتِ فَجَدِيرٌ بِكَ أَنْ تُسَارِعَ إِلَى
مَوَاسِبِهِمْ وَعِيَادَتِهِمْ إِذَا مَرَضُوا وَالسَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ قَدِمَ مِنْهُمْ وَتَوَدَّعِهِ إِذَا
سَافَرَ وَمَشَارَكَتِهِمْ فِي أَفْرَاحِهِمْ وَإِظْهَارِ السُّرُورِ لَهُمْ وَمَشَاطِرَتِهِمْ فِي أَتْرَاحِهِمْ
وَتَخْفِيفِ آلامِ الْحُزَنِ عَنْهُمْ وَالْأَسْرَاعِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
الْأَعْمَالِ الطَّيِّبَةِ وَالْمَظَاهِرِ الشَّرِيفَةِ فَبِذَلِكَ تُضَيَّفُ قُوَّتَكَ إِلَى قُوَّتِهِمْ فَيَسْرِعُونَ
إِلَى إِجَابَتِكَ وَدَفْعِ الْأَذَى عَنْكَ فِي مِلَمَاتِكَ أَه .

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ
الْإِسْنَادِ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلَا
يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ » .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا « صَلَّةُ الرَّجْمِ ، وَحُسْنُ
الْجَوَارِ ، أَوْ حُسْنُ الْخُلُقِ ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ » .
وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ أَوْصَانِي أَنْ
لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي ، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ
الْمَسَاكِينِ وَالذَّنْوِ مِنْهُمْ ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَجَمِي وَإِنْ أَدْبَرْتُ ،
وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ
كَانَ مُرًّا ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَثُرَ
مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ .

شعرا :

الدُّكْرُ أَصْدَقُ مِنْ سَيْفٍ وَمِنْ كُتُبٍ فاعْمَلْ بِهِ تُحْرَزُ الْأَعْلَى مِنَ الرُّتَبِ
فِيهِ جَمِيعُ الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْبَشَرُ وَسُنَّةُ الْمُصْطَفَى مِنْ بَعْدِهِ تُصَبِّ

آخر : العِلْمُ فيما أتى بِالذِّكْرِ مَطْلَبُهُ وَمَا عَنِ الْمُصْطَفَى قَدْ جَاءَ فِي الْكُتُبِ
وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ
الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَيْسَ
الْوَاصِلُ بِالْمَكَافِي ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعْتَ رَحِمَهُ وَصَلَهَا » .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا
يُدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مُدْمِنٌ خَمْرٍ ، وَقَاطِعٌ رَحِمٍ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ »
رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ .

وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَسْرَعُ الْخَيْرِ ثَوَابًا الْبِرُّ وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةٌ
الْبَغْيُ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلُّ حَمِيمٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا
يُقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعٍ رَحِمٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرَوَاهُ ثِقَاتٌ .

وَرَوَى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ فَقَالَ « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ
اتَّقُوا اللَّهَ وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَوَابٌ أَسْرَعُ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ ،
وَإِيَّاكُمْ وَالْبَغْيَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عُقُوبَةٍ أَسْرَعُ مِنْ عُقُوبَةِ بَغْيٍ وَإِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ

الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ ، وَاللَّهِ لَا يَجِدُهَا
عَاقٌ وَلَا قَاطِعٌ رَجِمٍ وَلَا شَيْخٌ زَانٍ وَلَا جَارٌ أَزَارُهُ خِيَلَاءٌ ، إِنَّمَا الْكِبْرِيَاءُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ .

شِعْرًا :

خَفَضُ هُمُومِكَ فَالْحَيَاةُ غَرُورُ
وَرَحَى الْمُنُونِ عَلَى الْأَنَامِ تَدُورُ
وَالْمَرءُ فِي دَارِ الْفَنَاءِ مُكَلَّفُ
« لَا مُهْمَلٌ فِيهَا وَلَا مَعْدُورُ »
وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا كَظَلٍ زَائِلِ
كُلُّ إِلَى حُكْمِ الْفَنَاءِ يَصِيرُ
فَالنَّكْسُ وَالْمَلِكُ الْمُتَوَجُّعُ وَاجِدُ
لَا أَمْرٌ يَبْقَى وَلَا مَأْمُورُ
عَجَبًا لِمَنْ تَرَكَ التَّذْكَرَ وَانْتَنَى
فِي الْأَمْرِ وَهُوَ بِعَيْشِهِ مَغْرُورُ
وَإِذَا الْقَضَاءُ جَرَى بِأَمْرِ نَافِدِ
غَلَطَ الطَّيِّبُ وَأَخْطَأَ التَّذْبِيرُ
إِنْ لُمْتُ صَرْفَ الدَّهْرِ فِيهِ أَجَابِنِي
أَبَتِ النُّهَى أَنْ يُعْتَبَ الْمَقْدُورُ
أَوْ قُلْتُ لَهُ أَيْنَ الْمُؤَيَّدُ قَالَ لِي
أَيْنَ الْمُظْفَرُ قَبْلُ وَالْمَنْصُورُ

أَمْ أَيْنَ كِسْرَى أزدَ شِيرُ وَقِيَصَرُ
 وَالهُرْمَزَانُ وَقَبْلَهُمْ سَابُورُ
 أَيْنَ ابْنُ دَاوُدَ سُلَيْمَانُ الَّذِي
 كَانَتْ بِجَحْفَلِهِ الْجِبَالُ تُمُورُ
 وَالرَّيْحُ تَجْرِي حَيْثُ شَاءَ بِأَمْرِهِ
 مُنْقَاذَةً وَبِهِ الْبِسَاطُ يَسِيرُ
 فَتَكَتْ بِهِمُ أَيْدِي الْمُنُونِ وَلَمْ تَزَلْ
 خَيْلُ الْمُنُونِ عَلَى الْأَنَامِ تُغَيِّرُ
 لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ مَا جَدُ
 مَا ضَمَّتِ الرُّسُلَ الْكِرَامَ قُبُورُ
 كُلُّ يَصِيرُ إِلَى الْبَلَى فَاجْتَبَتْهُ
 إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَبِيرُ
 أَنَّ الْحَيَاةَ وَأَنْ حَرَضَتْ غُرُورُ
 وَرَأَيْتُ كَلَامًا يُعَلِّلُ نَفْسَهُ
 بِتَعَلُّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .
 مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّصِيحَةَ غَالِيَةٌ ذَاتُ أَهْمِيَّةٍ عَظِيمَةٍ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ
 وَالْفُهْمِ لِأَنَّهَا إِرْشَادٌ إِلَى الصَّوَابِ وَتَوْجِيهٌُ نَحْوَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْأَخْلَاقِ
 الْفَاضِلَةِ وَالسِّيَرَةِ الْحَسَنَةِ وَهَدَايَةٌ إِلَى مَا يَعُودُ نَفْعُهُ وَفَائِدَتُهُ عَلَى الْمَنْصُوحِ
 بِالسَّعَادَةِ وَالْعِزِّ وَالنَّصِيحَةُ تَبْصِيرٌ بِالْمَضَارِّ حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهَا مَنْ لَا يَعْرِفُهَا .

وَلِذَلِكَ يُنْبِغِي أَنْ النَّاصِحَ ذَا رَأْيٍ ثَابِتٍ وَعَقْلٍ رَاجِحٍ قَدْ جَرَّبَ
الْأُمُورَ وَعَرَكَتَهُ الْإَيَّامَ وَاللَّيَالِي وَذَاقَ حُلُومَهَا وَمُرَّهَا وَأَنْتَفَعَ بِمَا رَأَهُ فِيهَا مِنْ
عُسْرِ وَيُسْرِ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ وَخَلَّصَ قَلْبَهُ مِنْ هِمِّ قَاطِعٍ وَعَمٍّ شَاغِلٍ لِيَسْلَمَ
رَأْيُهُ وَتَخَلَّصَ نَصِيحَتُهُ مِنَ الشَّوَابِ الْمَكْدَرَةِ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدِّينَ هُوَ النَّصِيحَةُ يُسَدِّدُهَا الْمُؤْمِنُ لِإِخْوَانِهِ لَا يُبْغِي
عَلَيْهَا جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِلَّا مِنْ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ يَبْذُلُهَا خَالِصَةً لِرُؤُوفِ اللَّهِ قَاصِدًا
بِهَا نَفَعَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْأَخْذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى طُرُقِ السَّدَادِ سَارَ عَلَى ذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ
وَالْمُؤْمِنُونَ الْآتِقِيَاءُ .

قَالَ تَعَالَى اخْبَارًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ وَعَنْ هُودٍ
﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ وَعَنْ صَالِحٍ ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ وَعَنْ شُعَيْبٍ
﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ وَعَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ يَنْصَحُ قَوْمَهُ ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ
يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ الْآيَاتِ فَالنَّصِيحَةُ عَلَامَةُ الْحُبِّ
وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَفَارِ .

فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ شَرًّا سَيَنْزِلُ بِمُؤْمِنٍ غَافِلٍ عَنْهُ فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ
تُنَبِّهَهُ وَتُحَذِّرَهُ لِيَأْخُذَ حِذْرَهُ مِنَ الْكَائِدِينَ وَأَسْرِعَ بِأَخْبَارِهِ كَمَا حَدَّرَ رَجُلٌ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ
يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ
فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وَإِنْ رَأَيْتَ إِنْسَانًا تَرَدَّى فِي الْمَعَاصِي وَانْغَمَسَ فِي الْمُؤَبَقَاتِ وَاتَّبَعَ
شَيْطَانَهُ وَهَوَاهُ وَرَكِبَ رَأْسَهُ وَخَالَفَ مَوْلَاهُ فَخُذْ بِيَدِهِ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ

وَادْعُهُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلَى المِتَابِ وَطَاعَةِ رَبِّ العِبَادِ وَذِكْرُهُ بِالمَوْتِ
وَسَكَرَاتِهِ وَالقَبْرِ وَظُلُمَاتِهِ وَالحِسَابِ وَمُنَاقَشَاتِهِ وَالصِّرَاطِ وَعَثْرَاتِهِ وَالنَّارِ
وَعَذَابِهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأهلِهَا مِنَ ألْوَانِ العَذَابِ وَذِكْرُهُ بِالصَّرِيعِ وَالرُّقُومِ
وَوَيْلٍ وَغَسَاقٍ وَغَسَلِينَ .

وَذَكَرَهُ بِالجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأهلِهَا مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ
سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَلَعَلَّ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ بِسَبِّكَ .

وَأَنْ اسْتَنْصَحَكَ أَخُوكَ المُسْلِمُ فِي زِوَاجٍ مَنْ كُنْتَ تَعْرِفُ فَوَضَّحْ لَهُ
وَبَيِّنْ مَا تَعْرِفُ مِنَ العُيُوبِ فَإِنْ كَتَمْتَ العُيُوبَ وَأَظْهَرْتَ المحَاسِنَ فَأَنْتَ
مِنَ الخَائِنِينَ وَأَنْ اسْتَنْصَحَكَ فِي مُسَاهِمَةٍ أَوْ شِرَاءِ عَقَارٍ أَوْ بَيْتٍ أَوْ شِرَاءِ
سِلْعَةٍ فَاحْبَبْ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَشِرْ عَلَيْهِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُشَارَ عَلَيْكَ بِهِ لَوْ
كُنْتَ فِي مَكَانِهِ .

فَإِنْ عَرَّرْتَ بِهِ فَأَنْتَ مِنَ المُنَافِقِينَ . وَأَنْ طَلَبَ مِنْكَ مَشُورَةً فِي دِينٍ
أَوْ دُنْيَا فَرَجِّحْ لَهُ مَا تَرَى فِيهِ الصَّلَاحَ وَلَا تَنْتَظِرْ حَتَّى يَطْلُبَ مِنْكَ النُّصْحُ
فَإِذَا رَأَيْتَهُ فِي خَطَأٍ فَوَجَّهْهُ وَابْدُلِ النَّصِيحَةَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

إِبْدُلْهُ لِلأَبِ كَمَا فَعَلَ الخَلِيلُ إِبْدُلْهُ لِإِبْنَائِكَ وَكُنْ كَمَا كَانَ لُقْمَانُ
الحَكِيمُ لِابْنِهِ وَقُلْ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لَهُ ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ
وَأَنهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ
خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فُخُورٍ ﴾ .

انصَحْهُمْ عَن قُرْنَاءِ السُّوءِ وَعَن مَجَالِسِ اللُّهُوِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ
كَمَجَالِسِ التَّلْفِزِيُونِ وَالسِّينِمَاءِ وَالكُورَةِ وَمَجَالِسِ الغَيْبَةِ وَالكَذِبِ وَالسُّخْرِيَةِ

وَالِاسْتِمَاعَ إِلَى الْغِنَاءِ مِنَ الْمِذْيَاعِ وَالْبِكْمَاتِ وَالْمَطْرِبِينَ وَالْمَطْرِبَاتِ
وَأَنْصَحَهُمْ عَنْ تَعَاظِيهَا بَيْعًا وَشِرَاءً وَأَجْرَةً وَاعَارَةً وَحَذَرَهُمْ مِنْ مُخَالَطَةِ
مُتَعَاظِيهَا وَمُقَارَبَتِهِ وَمُجَاوَرَتِهِ وَمَشَارَكَتِهِ وَمُصَاهَرَتِهِ .

شِعْرًا : أَحْفَظْ نَصِيحَةَ مَنْ بَدَا لَكَ نُصْحُهُ
وَلِرَأْيِ أَهْلِ الْخَيْرِ جَهْدَكَ فَاقْبَلِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ

اعْلَمْ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ فِي كِفَالَةِ الْيَتِيمِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالسَّعْيِ عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ فَضْلٌ عَظِيمٌ يَجِدُهُ مَنْ وَفَّقَهُ
اللَّهُ لِلْقِيَامِ بِهِ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضِرًا﴾
﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾
وَالْيَتِيمُ هُوَ مَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَبْلُغْ ، وَالْجَمْعُ أَيْتَامٌ وَهُمْ الَّذِينَ فَقَدُوا
أَبَاهُمْ الَّذِي كَانَ يَرْعَاهُمْ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَيُجِبُّهُمْ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ وَيُؤَثِّرُ
مُصْلِحَتَهُمْ عَلَى مَصْلِحَتِهِ .

وَأَنَّ مِمَّا يُذْرَفُ الدَّمْعُ مِنَ الْعَيْنِ سَاحِنًا سَاعَةَ الْمَوْتِ صَبِيَّةً صِغَارًا
وَذُرِّيَّةً ضِعْفًا يُخَلِّفُهُمُ السَّيْتُ وَرَأَاهُ يَخْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا
وَصُرُوفِهَا وَيَتَمَنَّى وَصِيًّا مُرْشِدًا يَقُومُ مَقَامَهُ يَرْعَاهُمْ كِرْعَايَتِهِ وَيَسُوسُهُمْ
كَسِيَاسَتِهِ يُعَزِّيهِمْ بِرُّهُ وَلَطْفُهُ عَنْ أَبِيهِمُ الرَّاحِلِ وَيَجِدُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ
وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ مَا يَكُونُ بِإِذْنِ اللَّهِ سَبِيًّا لِإِخْرَاجِهِمْ رَجَالًا فِي الْحَيَاةِ

يَمْلُؤُونَ الْعْيُونَ وَيَشْرَحُونَ الصُّدُورَ .

فَالَّذِي يَكْفُلُ الْيَتِيمَ وَيَتَعَهَّدُهُ وَيُلَاحِظُهُ وَيُؤَدِّبُهُ وَيُهْدِبُ نَفْسَهُ وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُ أَقْرَابِهِ إِذَا رَأَوْهُ وَكَأَنَّ وَالِدَهُ حَيٌّ لَا يَفْقَدُ مِنْ وَالِدِهِ إِلَّا جِسْمَهُ ، فَلَا غَرَوْ أَنْ كَانَ مَكَانَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، وَكَانَ حَرِيًّا أَنْ يَكُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبًا فِي الْجَنَّةِ يَتَمَتَّعُ بِمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، كَمَا قَامَ بِمَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ رِعَايَةِ الْيَتِيمِ .

فَفِي هَذَا تَرْغِيبٌ فِي كِفَالَةِ الْإِيْتَامِ وَالْعِنَايَةِ بِأُمُورِهِمْ فَلَهُمْ حَقٌّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ سِوَاءَ كَانُوا أَقْرَابَ أَوْ غَيْرُهُمْ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِكِفَالَتِهِمْ وَبِرِّهِمْ وَجَبْرِ قُلُوبِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ فِي مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ .

وَلِذَلِكَ أَوْصَى جَلَّ وَعَلَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ لِيَصِيرُوا كَمَنْ لَمْ يَفْقَدْ وَالِدِيهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٍ .

وَأَمَّا الْأَرْمَلَةُ فَهِيَ الَّتِي مَاتَ زَوْجُهَا ، فَهِيَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمُلَاحَظَةِ لِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ وَحَاجَاتُ النِّسَاءِ كَثِيرَةٌ دَقِيقَةٌ وَجَلِيلَةٌ يَرْفَعُهَا الْمَسْكَنُ وَالْمَأْكَلُ وَالْمَلْبَسُ وَهُنَاكَ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْنُ وَالطَّبِيبُ وَالْمِشْطُ وَالْمِكْحَلَةُ وَأَوَانِي لِشُؤُونِهَا فِي حَالِ طَبْخِهَا وَفِي حَالِ الْحُلِيِّ وَأُمُورٍ أُخْرَى يَطُولُ ذِكْرُهَا وَتَعْدَادُهَا .

وَالْمُهْمُّ أَنَّ الَّذِي يَكْدُحُ وَيَنْصَبُ لِيَكْفِي تِلْكَ الْأَرْمَلَةَ حَاجَاتِهَا أَوْ بَعْضَهَا بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ زَوْجَهَا الَّذِي كَانَ يَرْعَاهَا وَيُؤْنِسُهَا وَيُنْفِقُ عَلَيْهَا

وَسُكِّنَهَا مَعَهُ ، فَهُوَ بِذَلِكَ الْإِحْسَانِ يُخَفِّفُ عَنْهَا مِنْ أَلَمِ الْمُصِيبَةِ ،
وَيُسَلِّئُهَا عَنِ الْفَجِيعَةِ ، وَيَكْفُ يَدَهَا عَنِ السُّؤَالِ وَالنَّظَرِ لِمَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ ، وَيَصُونُ وَجْهَهَا ، فَهَذَا كَالْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ
عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَذَلِكَ السَّاعِي عَلَى الْمَسَاكِينِ ، وَهُمْ الَّذِينَ أُسْكَنْتَهُمُ الْحَاجَةُ فَلَا
يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ فِي قُوتِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ وَسُكْنَاهُمْ ، إِمَّا لِفَقْدِ الْمَالِ ،
وَإِمَّا لِعَجْزٍ عَنِ الْكَسْبِ لِمَرَضٍ أَوْ لِيَصْغَرٍ أَوْ لِرِمَانَةٍ أَوْ لِعَمَى ، أَوِ الَّذِي
تَقَطَّعَتْ بِهِ الْأَسْبَابُ ، وَأَظْلَمَتْ عَلَى عَيْنِهِ الدُّنْيَا وَأَنْغَلَقَتْ فِي وَجْهِهِ
الْأَبْوَابُ ، يَسْتَحِفُّ السَّعْيَ عَلَيْهِ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ ، وَالْأَخَذَ بِيَدِهِ .

وَيُعَانُ عَلَى الْعَمَلِ بِالْقَرْضِ وَالْإِجَارِ أَوْ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى نَفَقَةِ
نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ بِأَيِّ عَمَلٍ يُحْسِنُهُ مِنْ تَعْلِيمٍ أَوْ صِنْعَةٍ أَوْ زِرَاعَةٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ
وَظِيفَةٍ يَكْفُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَسْكِينُ مِنَ الْأَقْرَابِ أَوْ ذَا رَحِمٍ
يَجِبُ وَصْلُهَا فَيَعْظُمُ حَقُّهُ ، وَيَكُونُ السَّعْيُ عَلَيْهِ بَرًّا وَصِلَةً يَكْتُبُ أَجْرَهُ عِنْدَ
اللَّهِ أَوْضَاعًا مُضَاعَفَةً ، وَهَذِهِ فُرْصَةٌ ثَمِينَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْقِيَامِ بِهَا !
وَالْخُلَاصَةُ :

أَنَّ الَّذِي يَجْمَعُ الْمَالَ بَعْرَقٍ جَبِينِهِ لَا لِيُنْفِقَهُ فِي السَّرْفِ وَالْبَذْخِ
وَاللَّذَةِ وَالسُّمْعَةِ ، وَلَكِنْ لِيُسَدَّ بِهِ جَوْعَةَ الْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَيُغْنِيَهُ عَنِ
السُّؤَالِ فَيَحْفَظُ عَلَى وَجْهِهِ مَاءَ الْحَيَاةِ وَعَلَى نَفْسِهِ خُلُقَ الْعَفَافِ يَكُونُ حَرِيًّا
بِمَرْتَبَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَمَنْزِلَةِ الْمُقْرَبِينَ ، فَاخِذِمْ بِمَالِكَ وَوَقْتِكَ وَقُوَّتَكَ
وَسَعْيِكَ وَجَاهِكَ ذَوِي الْحَاجَاتِ وَأَرْبَابَ الْعَاهَاتِ تَنْلُ بِأَذْنِ اللَّهِ الْمَنْزِلَةَ
الْعَالِيَةَ الْخَالِدَةَ . تَنْبِيهُ : بِشَرَطِ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ .

ذَكَرَ الرَّعِيدَ فَطَرَفُهُ لَا يَهْجَعُ وَجَفَا الرَّقَادَ فَبَانَ عَنْهُ الْمُضْجَعُ
مُتَفَرِّدًا بِقَلْبِهِ يَشْكُو الَّذِي مَلَى الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا يَسْتَوْجَعُ
لَمَّا ثَبِقَنَ صِدْقَ مَا جَاءَتْ بِهِ أَلْ آيَاتُ صَارَ إِلَى الْإِنَابَةِ يُسْرِعُ

فَجَفَا الْأَجْبَةَ فِي حُبِّهِ رَبِّهِ وَسَمَا إِلَيْهِ بِهَمَّةٍ مَا يُقْلَعُ
وَمَتَّعَتْ بِوَدَادِهِ أَعْضَاؤُهُ إِذْ خَصَّهَا مِنْهُ بَوْدٍ يَنْفَعُ
كَمْ فِي الظَّلَامِ لَهُ إِذَا نَامَ الْوَرَى مِنْ زَفْرَةٍ فِي إِثْرَهَا يَتَوَجَّعُ
وَيَقُولُ فِي دَعْوَاتِهِ يَا سَيِّدِي الْعَيْنُ يُسْعِدُهَا دَمُوعُ رُجَّعُ
إِنِّي فَزَعْتُ إِلَيْكَ فَارْحَمْ عَبْرَتِي وَإِلَيْكَ مِنْ ذُلِّ الخَطِيئَةِ أَفْزَعُ
مَنْ ذَا سِوَاكَ يُجِيرُنِي مِنْ زَلَّتِي يَأْمَنُ لِعِزَّتِهِ أَذُلُّ وَأَخْضَعُ
فَأَمْنٌ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ أَحْيَا بِهَا إِنِّي بِمَا اجْتَرَأْتُ يَدَايَ مُرَدَّعُ

مَوْعِظَةٌ: عِبَادَ اللَّهِ - الدُّنْيَا مَلَأَى بِالمَصَائِبِ وَالْأَلَامِ ، وَالْأَحْزَانِ وَالْأَسْقَامِ
غِنَاهَا فَقَرَّ وَعِزُّهَا ذُلٌّ . وَالْأَجَالَ فِيهَا مَعْدُودَةٌ وَالْأَعْمَارُ مَحْدُودَةٌ ، قَالَ تَعَالَى :
﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

نَعِيمِهَا إِلَى فَنَاءٍ وَعَيْشِهَا إِلَى انْقِضَاءِ مَتَاعِهَا قَلِيلٌ ، وَحَسَابُهَا طَوِيلٌ -
الْخُلُودُ فِيهَا لَا يَكُونُ لِإِنْسَانٍ وَالْبَقَاءُ الدَّائِمُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلدَّيَّانِ الَّذِي يَقُولُ :
﴿ كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَإِنْ وَبِقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

فَالسَّعِيدُ مَنْ اسْتَعَدَّ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ ، وَجَهَّزَ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ
لِسَفَرِ طَوِيلٍ ، وَتَفَكَّرَ فِيمَنْ سَبَقُوهُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا حَقَّ بِهِمْ مَهْمًا
حَاوَلُ الْفِرَارِ ، وَالْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِمَّا نَعِيمٌ مُقِيمٌ أَوْ شَقَاءٌ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ .
فِيَا مَنْ بَنَيْتَ الْأَمَالَ وَقَصَّرْتَ فِي الصَّالِحِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، تَنَبَّهْ لِلْمَوْتِ ،
فَإِنْ نَسِيَانَهُ ضَلَالٌ مَبِينٌ ، كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لَكَ مَاتَ فِي رِبْعَانِ شَبَابِهِ ، وَكَمْ
شَيَّعَتْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ أَحْبَابِهِ ، تَذَكَّرْ يَا مَعْرُورٌ سَاعَةَ الْإِحْتِضَارِ
وُخُرُوجِ الرُّوحِ .

وَالْأَوْلَادُ حَوْلَكَ يَبْكُونَ وَالنِّسَاءُ تَنُوحُ ، يُنَادِيكَ وَلَدُكَ ، أَبَتِي إِنِّي بَعْدَكَ
مَسْكِينٌ ، وَتَصْرُخُ الزَّوْجَةُ يَا زَوْجِي إِلَى أَيْنَ الرَّحِيلِ وَهَلْ مِنْ رَجْعَةٍ أَوْ غِيَابِكَ
طَوِيلٌ .

فَتُغْرِغُ عَيْنَاكَ بِالدَّمُوعِ وَيُلْجِمُ مِنْكَ اللِّسَانَ ، وَتُحَاوَلُ النُّطْقَ فَيَتَعَدَّرُ

عَلَيْكَ الْكَلَامَ ، وَتَطْلُبُ النِّجَاةَ وَلَكِنْ ﴿ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

إِذَا عَلِمْتَ هَذَا يَا أَخَا الْإِسْلَامِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ أَبْنَائِكَ مِنْ بَعْدِكَ . ذُلٌّ بَعْدَ عِزٍّ ، وَحِرْمَانٌ بَعْدَ حَنَانٍ يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَبْنَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ فَيَحْزَنُونَ ، وَيَذْكُرُونَ عَطْفَ أَبِيهِمْ فَيَبْكُونَ ، لَيْلُهُمْ نَهَارٌ ، وَنَهَارُهُمْ لَيْلٌ .

أَعْيَادُهُمْ أَتْرَاحٌ وَأَحْزَانٌ ، وَأَفْرَاحُهُمْ هُمُومٌ وَأَشْجَانٌ ، يَتَلَفَّتُونَ عَلَى أَحْبَابِ أَبِيهِمْ وَأَصْدِقَائِهِ ، عَلَّهُمْ يَجِدُونَ عِنْدَهُمُ الْحَنَانَ وَيَسْتَهِنُونَ ضَمَّةً أَوْ قُبْلَةً كَمَا يَفْعَلُ الْآبَاءُ بِالْغُلَامِ وَالْوَالِدَانُ .

فَإِنْ كُنْتَ يَا مُسْلِمٌ فِي حَيَاتِكَ بَارًا بِمَنْ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ ، عَطُوفًا عَلَى الْيَتَامَى . تَمَسَّحُ دُمُوعَهُمْ بِخَيْرِكَ ، وَتُعَامِلُهُمْ كَوَلَدِكَ تُدْخِلُ السَّرُورَ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْحَزِينَةَ بِمَا تَقَدَّمَهُ لَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالْإِحْسَانِ ، وَمَا تُظْهِرُهُ لَهُمْ مِنْ حُبٍّ وَعَطْفٍ وَرِعَايَةٍ وَحَنَانٍ ، إِنْ فَعَلْتَ هَذَا فِي حَيَاتِكَ فَأَبْشِرْ .

فَإِنْ أَوْلَادَكَ بَعْدَكَ فِي أَمَانٍ ، تَحْنُو عَلَيْهِمُ الْقُلُوبُ ، وَيَرِعَاهُمْ عَلَامُ الْغُيُوبِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : إِنْ رِعَايَةُ الْيَتِيمِ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ ، وَإِنْ إِهْمَالُ شَأْنِهِ وَإِذْلَالُهُ وَقَهْرُهُ مَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ وَأَكْلُ مَالِهِ يُغْضِبُ الدِّيَانَ ، وَيُوجِبُ الْحَرِمَانَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ .

إِنْ مِنْ رِعَايَةِ الْيَتِيمِ تَنْمِيَةٌ مَالِهِ ، وَإِصْلَاحُ حَالِهِ بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّهْذِيبِ وَالتَّقْوِيمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ .

وإن احتاج اليتيم أو الأرملة إلى مُسَاعَدَةٍ تَعُودُ عَلَى مَصْلَحَتِهِ فَيَبْغِي
لِوَالِيهِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ مِمَّنْ هُمْ قَدَمٌ ثَابِتٌ فِي ذَلِكَ وَعِرْقٌ
أَصِيلٌ لَانْهَمِ أَحْرَى مِنْ غَيْرِهِمْ فِي النِّفْعِ . وَاحْذَرِ الْإِثَامَ وَالْبُخْلَاءَ .

شعرا : وَإِنِّي لِأَرْثِي لِلْكَرِيمِ إِذَا غَدَا عَلَى حَاجَةٍ عِنْدَ اللَّيْمِ يُطَالِبُهُ
وَأَرْثِي لَهُ مِنْ وَقْفَةٍ عِنْدَ بَابِهِ كَمَرِّ سِنِي الطَّرْفِ وَالْعِلْجِ رَاكِبُهُ

شِعْرًا : سَلِ الْفَضْلَ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدَمًا وَلَا تَسَلْ

عَلَى مَنْ نَشَأَ فِي الْفَقْرِ ثُمَّ تَمَوْلَا

فَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا جَمِيعًا بِأَسْرَهَا

آخِرُ : تَذَكَّرُهُ الْأَيَّامُ مَا كَانَ أَوْلَا

بَعْضُ الرِّجَالِ كَقَبْرِ الْمَيِّتِ تَمْنَحُهُ أَعَزَّ شَيْءٍ وَلَا يُعْطِيكَ تَعْوِيضًا

آخِرُ :

تَجَنَّبَ بِيُوتًا شُبِعَتْ بَعْدَ جُوعِهَا

فَإِنَّ بَقَاءَ الْجُوعِ فِيهَا مُحْمَرٌ

وَأَوِيَّ بِيُوتًا جُوعَتْ بَعْدَ شِبَعِهَا

آخِرُ : فَإِنَّ كَرِيمَ الْأَصْلِ لَا يَتَغَيَّرُ

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَرْجُوا مَرَأً حَسَنَتْ أَحْوَالُهُ بَعْدَ ضَرْكَانَ قَاسَاهُ

فَنَفْسُهُ تِيكَ مَا زَادَتْ وَمَا نَقَصَتْ وَذَلِكَ الْفَقْرُ فَقْرٌ مَا تَنَاسَاهُ

قَالَ فِي الْفَتْحِ قَالَ شَيْخُنَا فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ لَعَلَّ الْحِكْمَةَ فِي كَوْنِ

كَافِلِ الْيَتِيمِ يُشْبَهُ فِي دُخُولِهِ الْجَنَّةِ أَوْ شُبِّهَتْ مَنْزِلَتُهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ

بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ لِكَوْنِ النَّبِيِّ شَأْنَهُ أَنْ يُبْعَثَ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْقِلُونَ

أَمْرَ دِينِهِمْ ، فَيَكُونُ كَافِلًا لَهُمْ وَمُعَلِّمًا وَمُرْشِدًا .

وَكَذَلِكَ كَافِلُ الْيَتِيمِ يَقُومُ بِكَفَالَتِهِ مَنْ لَا يَعْقِلُ أَمْرَ دِينِهِ بَلْ وَلَا دُنْيَاهُ

وَيُرْشِدُهُ وَيُعَلِّمُهُ وَيُحْسِنُ آدَبَهُ أَنْتَهَى ، قُلْتُ وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ
ذَلِكَ الْإِحْسَانَ زَمَانًا وَيَتْرُكُهُ وَلَا يُتَمِّمُ إِحْسَانَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرْحَبُ بِذَلِكَ أَوَّلِ
الْأَمْرِ وَلَا يَثْبُتُ عَلَى ذَلِكَ وَقَلِيلٌ مَنْ يُتَمِّمُ كَلَامَهُ وَيَثْبُتُ عَلَى جَمِيلِهِ
وَإِحْسَانِهِ وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِ اللَّهِ وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَمَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ

آخر :

فَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَى يَسْرُكَ قَوْلَهُ وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَنْ يُسْرُكَ فِعْلُهُ

آخر :

وَفِي النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ الْجَمِيلَ بِدَيْهَةٍ وَظَنَّ بِفِعْلِ الْخَيْرِ لَمَّا تَفَكَّرَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمَالِكٌ وَغَيْرُهُمَا وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَافِ الَّذِي تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ
وَاللَّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى
يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْظَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ » متفق عليه .

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ عَالَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ
وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَبِيْلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ
كَمَا أَنَّ هَاتَيْنِ أُخْتَانِ » وَالصَّوْقُ أَضْبَعِيهِ السَّبَابَةُ وَالْوَسْطَى رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ « امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ
الْمِسْكِينِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَرَوَاهُ مَالِكٌ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُسْلِمٍ مُرْسَلًا .
 وَرَوَاهُ الْبَزَّازُ مُتَّصِلًا وَلَفْظُهُ قَالَ « مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ ذَا قَرَابَةٍ أَوْ لَا قَرَابَةَ لَهُ فَأَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وَضَمَّ اصْبَعَيْهِ « وَمَنْ سَعَى عَلَى ثَلَاثِ بَنَاتٍ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ وَكَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَائِمًا قَائِمًا »
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَرَزَقَنَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَجَعَلَنَا آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ ، وَأَغْنَانَا عَنِ الْحَاجَةِ ، وَصَانَ وَجُوهَنَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا إِذَا إِزَاءَ هَذِهِ النِّعَمِ الْعِظَامِ أَنْ نُكْثِرَ شُكْرَهُ وَحَمْدَهُ وَالشَّانَاءَ عَلَيْهِ .

وَبِذَلِكَ يَحْفَظُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ وَيَزِيدُكُمْ مِنْهَا وَيُبَارِكُ لَكُمْ فِيهَا قَالَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ وَأَوْفَى وَاعِدٍ ﴿ وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وَلَيْسَ الشُّكْرُ قَوْلُ اللِّسَانِ فَقَطْ ، وَإِنَّمَا الشُّكْرُ مَعَ ذَلِكَ امْتِثَالُ أَوْامِرِ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِحْسَانِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَالْيَاقِينِ عِبَادِ اللَّهِ الْبُؤْسَاءِ مِنَ الْيَتِيمِ وَمَسْكِينِ وَأَرْمَلَةٍ مِمَّنْ أَصَابَتْهُمُ الشَّدَّةُ وَالْفَقْرُ مِنْ أَرْبَابِ الْعِيَالِ الْمُتَعَفِّفِينَ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ وَلَا يُفْطَنُ لَهُمْ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ .

وَفِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى مَنْ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ أَصْلًا لَا أَوْلَادَ يَدْرُسُونَ وَلَا أَوْلَادَ مُوظَّفِينَ يَدْرُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَقَارَ وَلَا غَيْرَهُ ، وَإِنَّ مِنَ الْقَسْوَةِ أَنْ يَمْنَعَ الْإِنْسَانُ رِفْدَهُ وَمَعُونَتَهُ عَنِ إِخْوَانِهِ الْمُحْتَاجِينَ .
شعرا :

أَحْسِنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدَرَةٌ فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ

أَمِنَ الرَّحْمَةَ وَالشَّفَقَةَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي رَعْدٍ مِنَ الْعَيْشِ وَرَفَاهِيَةِ
تَامَةٍ وَسَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ وَأَخْوَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ضَنْكٍ وَبُؤْسٍ لَا يَعْلَمُ بِهِ
إِلَّا اللَّهُ أَوْ مَنْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِحَالِهِ ، أَمِنَ الْمُرُوءَةَ أَنْ يَتَمَتَّعَ الْإِنْسَانُ بِأَصْنَافِ
الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَأَخْوَهُ الْمُسْلِمِ الْمَدْقِعُ فَقَرَأَ يَتَأَلَّمُ مِنْ
الْجُوعِ وَيَتَأَلَّمُ مِنَ الْبُرْدِ .

فَالَّذِي يَرَى مِنْ هَذِهِ صِفَتِهِمْ وَلَا يَتَأَلَّمُ وَيَتَوَجَّعُ لَهُمْ وَيَعْمَلُ مَا فِي
وُسْعِهِ لَهُمْ قَاسِي الْقَلْبِ خَالَ مِنْ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ
يَمُنَّ عَلَيْنَا بِاتِّبَاعِ طَرِيقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ خِصَاصَةٌ ﴾ وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا » وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى
وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ
اللَّهُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ
صَحِيحٌ .

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ « خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ وَشَرُّ بَيْتٍ فِي
الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

وَرَوَى عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفَعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ الْوُسْطَى وَالسَّبَابَةَ «امْرَأَةٌ آمَتْ زَوْجَهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِيَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا الَّذِي أَذْهَبَ بَصْرَكَ وَحَنَى ظَهْرَكَ؟ قَالَ أَمَا الَّذِي أَذْهَبَ بَصْرِي فَالْبُكَاءُ عَلَى يُوسُفَ ، وَأَمَا الَّذِي حَنَى ظَهْرِي فَالْحُزْنُ عَلَى أَخِيهِ بَنِيَامِينَ فَاتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَتَشْكُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ قَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا قُلْتَ مِنْكَ .

قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَخَلَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتَهُ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ أَمَا تَرْحَمُ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ أَذْهَبَتْ بَصْرِي وَحَنَيْتَ ظَهْرِي ، فَارْدُدْ عَلَيَّ رِيحَانَتِي فَاشْمُهُمَا شَمَةً وَاحِدَةً ثُمَّ اصْنَعْ بِي بَعْدَ مَا شِئْتَ ، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا يَعْقُوبُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِنُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ أَبْشِرْ فَإِنَّهُمَا لَوْ كَانَا مَيِّتَيْنِ لَنَشَرْتُهُمَا لَكَ لِاقْرَبِهِمَا عَيْنَكَ .

وَيَقُولُ لَكَ يَا يَعْقُوبُ أَتَدْرِي لِمَ أَذْهَبَتْ بَصْرَكَ وَحَنَيْتَ ظَهْرَكَ؟ وَلِمَ فَعَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ بِيُوسُفَ مَا فَعَلُوهُ؟ قَالَ لَا قَالَ : إِنَّهُ أَنْتَ يَا يَتِيمُ ، مُسْكِينٌ وَهُوَ صَائِمٌ جَائِعٌ وَذَبَحَتْ أَنْتَ وَأَهْلُكَ شاةً فَأَكَلْتُمُوهَا وَلَمْ تَطْعَمُوهُ .

وَيَقُولُ إِنِّي لَمْ أُحِبَّ شَيْئًا مِنْ خَلْقِي حُبِّي الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَاصْنَعْ طَعَامًا وَادْعِ الْمَسَاكِينَ قَالَ أَنَسُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَكَانَ يَعْقُوبُ كُلَّمَا أَمْسَى نَادَى مُنَادِيَهُ مَنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَحْضُرْ طَعَامًا

يَعْقُوبَ وَإِذَا أَصْبَحَ نَادَى مُنَادِيَهُ مَنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَفْطِرْ عَلَى طَعَامِ يَعْقُوبَ
رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالْأَصْبَهَانِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ .

شعرا :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّفْسَ يُرْدِيكَ شُرْهًا
فَمَنْ ذَا يُرِيدُ الْيَوْمَ لِلنَّفْسِ حِكْمَةً
هَلُمَّ إِلَيَّ الْآنَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا
فَعِنْدِي مِنَ الْأَنْبَاءِ عِلْمٌ مَجْرَبٌ
أَخْبِرُ أَخْبَارًا تَقَادِمَ عَهْدِهَا
وَكَيْفَ نَمَى حَتَّى اسْتَتَمَ كَمَالَهُ
وَمِنْ بَعْدِ ذَا عِنْدِي مِنَ الْعِلْمِ جَوْهَرٌ
فَأَخْوَجُ مَا كُنَّا إِلَى وَصْفِ دِينِنَا
فَقَدْ نَدَبَ الْإِسْلَامُ أَحْمَدَ نَدْبَةً
فَأُولُ مَا أَبْدَأُ فِي الْحَمْدِ لِلَّذِي
وَصَيَّرَنِي إِذْ شَاءَ مِنْ نَسْلِ آدَمَ
وَلَوْ شَاءَ مِنْ إِبْلِيسَ صَيَّرَ مَخْرَجِي
وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ بِاللُّطْفِ سَابِقًا
وَصَيَّرَنِي مِنْ بَعْدِ فِي دِينِ أَحْمَدَ
وَفَهَّمَنِي نُورًا وَعِلْمًا وَحِكْمَةً
فَمِنْ أَجْلِ ذَا أَرْجُوهُ إِذْ كَانَ نَاطِرًا
وَمِنْ أَجْلِ ذَا أَرْجُوهُ إِذَا كَانَ غَافِرًا
فَلَوْ كُنْتُ ذَا عَقْلٍ لِمَا قَدْ رَجَوْتُهُ
وَلَوْ كُنْتُ أَرْجُوهُ لِحُسْنِ صَنِيعِهِ
فَشُكْرِي لَهُ إِذْ صَبِرْتُ بِالْحَقِّ عَالِمًا
وَمِنْ بَعْدِ ذَا وَصَفِي لِنَفْسِي وَطَبْعِهَا

وَأَنْتَ مَاخُوذٌ بِمَا كُنْتَ سَاعِيَا
وَعِلْمًا يَزِيدُ الْعَقْلَ لِلصُّدْرِ شَافِيَا
سَبِيلَ الْهُدَى أَوْ كُنْتَ لِلْحَقِّ بَاطِنًا
فَمِنْهُ بِالْهَامِ وَمِنْهُ سَمَاعِيَا
وَكَيْفَ بَدَأَ الْإِسْلَامَ إِذْ كَانَ بَادِيًا
وَكَيْفَ ذَوَى إِذْ كَالْتُوبِ بَالِيَا
يُفِيدُكَ عِلْمًا إِنْ وَعَيْتَ كَلَامِيَا
وَوَصَفِ دَلَالَاتِ الْعُقُولِ زَمَانِيَا
كَمَا نَدَبَ الْأَمْوَاتُ ذُو الشَّجْوِ شَاجِيَا
بَرَانِي لِلْإِسْلَامِ إِذْ كَانَ بَارِيَا
وَلَمْ أَكُ شَيْطَانًا مِنَ الْجِنِّ عَاتِيَا
فَكُنْتُ مُضِلًّا جَاحِدَ الْحَقِّ طَاطِيَا
وَإِذَا لَمْ أَكُنْ حَيًّا عَلَى الْأَرْضِ مَاشِيَا
وَعَلَّمَنِي مَا غَابَ عَنْهُ سُؤَالِيَا
فَشُكْرِي لَهُ فِي الشَّاكِرِينَ مُوَارِيَا
لِضَعْفِي وَجَهْلِي فِي الْمَلَائِمِ حَالِيَا
وَمِنْ أَجْلِ ذَا قَدْ صَحَّ مِنِّي رَجَائِيَا
لَقَدْ كُنْتُ ذَا خَوْفٍ وَشُكْرِي مُحَادِيَا
شَكَرْتُ فَصَحَّ الْآنَ مِنِّي حَيَائِيَا
وَاللُّشْرُ وَصَافًا وَاللَّخِيرُ وَاصِيَا
وَوَصَفِي غَيْرِي إِذْ عَرَفْتُ ابْتِدَائِيَا

فهذا من الأنبياءِ وَصَفُ غَرَائِبِ
 وذاك لأن الناسِ قد آثروا الهوى
 فهذا زمان الشرِّ فاحذَرُ سَبِيلَهُ
 سَيَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَاءِهِ وَصَفُ خَابِرِ
 يَقُولُونَ لِي أَهْجَرَ هَوَاكَ وَإِنَّمَا
 وَنَفْسَكَ جَاهِدَهَا وَإِنِّي لِمَأْتِلُ
 وَكَيْفَ أَطِيقُ الهوى أَنْ أَهْجَرَ الهوى
 تُقَوِّدُنِي الْأَيَّامَ فِي كُلِّ مَحْنَةٍ
 فَأَصْبَحْتُ مَأْسُورًا لِدَى النَّفْسِيِّ وَالهوى
 اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَّاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ
 الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فائدة جليلة)

إِذَا أَصْبَحَ الْعَبْدُ وَأَمْسَى وَلَيْسَ هَمُّهُ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ يَحْمِلُ اللهُ سُبْحَانَهُ
 حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمَلَ عَنْهُ كُلَّ مَا أَهَمَّهُ ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ وَلِسَانَهُ لِذِكْرِهِ
 وَجَوَارِحَهُ لِطَاعَتِهِ وَإِنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالدُّنْيَا هَمُّهُ حَمَلَهُ اللهُ هُمُومَهَا وَعُغُومَهَا
 وَأُنْكَادَهَا وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ فَشَغَلَ مَحَبَّتَهُ بِمَحَبَّةِ الْخَلْقِ وَلِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ
 بِذِكْرِهِمْ وَجَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ بِخِمَتِهِمْ وَأَشْغَلَهُمْ .

فَهُوَ يَكْدُحُ كَدْحَ الْوَحْشِ فِي خِدْمَةِ غَيْرِهِ كَالْكَبِيرِ يَنْفُخُ بَطْنَهُ وَيَعْصِرُ
 أَضْلَاعَهُ فِي نَفْعِ غَيْرِهِ فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ عِبُودِيَّةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ بُلِيَ
 بِعُبُودِيَّةِ الْمَخْلُوقِ وَمَحَبَّتِهِ وَخِدْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
 نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ أ هـ .

دارك فَمَا عُمُرُكَ بِالْوَانِي وَلَا تَيْقُ بِالْعُمُرِ الْفَانِي
 يَأْتِي لَكَ الْيَوْمُ بِمَا تَشْتَهِي فِيهِ وَلَا يَأْتِي لَكَ الثَّانِي

وَيَأْمُلُ الْبَانِي بَقَاءَ الَّذِي يَنْبِي وَقَدْ يُحْتَلَسُ الْبَانِي
 تُصْبِحُ فِي شَأْنٍ بِمَا تَقْتَنِي الْآ مَالُ وَالْأَيَّامُ فِي شَأْنِ
 فَاَنْظُرْ بِعَيْنِ الْحَقِّ مُسْتَبْصِراً إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ وَعِرْفَانِ
 هَلْ نَالَ مَنْ جَمَعَ أَمْوَالَهُ يَوْمًا سِوَى قَبْرِ وَأَكْفَانِ
 أَلَيْسَ كِيسَرَى بَعْدَ مَا نَالَهُ زُحْرَحَ عَنْ قَصْرِ وَإِيْوَانِ
 وَعَادَ فِي حُفْرَتِهِ خَالِياً بُتْرَبَةً يُبْلَى وَدِيْدَانِ
 كَمْ تَلْعَبُ الدُّنْيَا بِأَبْنَائِهَا تَلَاعَبَ الْحَمْرِ بِشَوَانِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الشَّفَقَةَ وَالرَّأْفَةَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَخُصُوصاً اللَّيْتِمِ
 وَالْمَسْكِينِ وَالْأَرْمَلَةِ أَثْرٌ مِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ الَّتِي يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ بَعْضِ
 عِبَادِهِ ، فَقُلْ لِي أَيُّهَا الْأَخُ مَا الَّذِي عِنْدَكَ مِنْهَا فَإِنْ كُنْتَ رَحِيماً بِعِبَادِ اللَّهِ
 فَلَكَ الْبُشْرَى وَالْهَيْئَاءُ بِهَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ الَّذِي هُوَ سَبَبٌ لِسَعَادَتِكَ فِي
 يَوْمِ الْحِسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، ذَلِكَ أَنَّ الرَّجِيمَ يُعَامِلُهُ الْمَوْلَى جَلًّا وَعِلا بِرَحْمَتِهِ
 قَالَ تَعَالَى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ فَالْرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ
 اللَّهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ »
 . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ » وَإِنْ كُنْتَ قَاسِياً
 عَوْمِلْتَ بِالْقَسْوَةِ ﴿ جَزَاءٌ وَفَاقاً ﴾ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ وَاللَّهُ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَغْفُلُ عَنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ ، وَتَظْهَرُ دَلَالِيلُ رَحْمَتِكَ فِي
 مُعَامَلَتِكَ لِلْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَالْأَرْمَلَةِ ، وَفِي مُعَامَلَتِكَ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّهُمْ
 يَعِيشُونَ طُولَ حَيَاتِهِمْ عِنْدَكَ إِنْ كُنْتَ رَحِيماً أَوْ قَاسِياً .
 وَتَظْهَرُ رَحْمَتُكَ أَيْضاً فِي مُعَامَلَتِكَ إِخْوَانَكَ فَإِنَّهُمْ يَجِدُونَكَ إِنْ كُنْتَ
 رَحِيماً لِيَنَّ الْجَانِبِ سَهْلاً بِشَوْشاً لِخَوَائِجِهِمْ وَتَظْهَرُ فِي مُعَامَلَتِكَ لِبَهَائِمِكَ

فِي عَدَمِ تَكْلِيفِهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ وَفِي مُلَاحَظَتِهَا دَائِمًا فِي طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا
وَمَكَانِهَا فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ .

وَتَظْهَرُ رَحْمَتُكَ فِي مُعَامَلَتِكَ مَعَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ
وَالصَّدَقِ وَالْحُنُوِّ عَلَيْهِمْ وَزِيَارَتِهِمْ وَعِيَادَتِهِمْ وَقَضَاءِ مَا سَهَلَ عَلَيْكَ مِنْ
حَوَائِجِهِمْ ، أَمَا مَنْ قَسَا عَلَى الْخَلْقِ وَعَامَلَهُمْ مُعَامَلَةً لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ
الْحَنَانِ وَالشَّفَقَةِ فَهَذَا هُوَ الْجَبَّارُ الْقَاسِي الَّذِي لَا يُعَامِلُهُ مَوْلَاهُ إِلَّا بِمَا
يُنَاسِبُ مُعَامَلَتَهُ مِنَ الْجَبْرُوتِ .

وَكَمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ جَبَابِرَةٍ نَزَعَتِ الرَّحْمَةَ مِنْ صُدُورِهِمْ لَا يَعْرِفُونَ
مُعَامَلَةَ الْخَلْقِ بِالرَّحْمَةِ بَلْ بِالْقَسْوَةِ وَالشَّدَّةِ وَالغِلْظَةِ ، لَا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ
الْأَدَمِيِّ وَالْكَلْبِ الْعَقُورِ وَغَيْرِهِ .

وَمِثْلُ أَوْلَيْكَ لَوْ سَمِعُوا كَلِمَةً لَا تُعْجِبُهُمْ رَبِّمَا أَعْدَمُوا الْقَائِلَ وَأَيَّمُوا
أَوْلَادَهُ وَأَيَّمُوا نِسَاءَهُ ، وَلَوْ رَأَوْا مَنْ فِي أَشَدِّ الْمَصَائِبِ مَا بَالُوا وَلَا اهْتَمُّوا وَكَانَهُ
شَيْءٌ عَادِيٌّ ، وَتَرَى أَحَدَهُمْ يُخْرَجُ مَعَ الْجَنَائِزِ لِتَعْزِيَةِ رَفِيقِهِ فِي مُصَابِهِ وَهُوَ
يَضْحَكُ وَيَتَفَكَّهُ .

وَلَوْ رَأَى إِنْسَانًا مَصْدُومًا أَوْ سَاقِطًا فِي مَحَلٍّ يُرِيدُ إِنْقَاذَهُ تَرَكَهُ وَلَا هِمَّةَ لَهُ
إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ فَقَطْ وَمِثْلُ أَوْلَيْكَ تَنْشُبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ كُلِّ يَوْمٍ
حُرُوبٌ لِأَنَّهَا عَمِلَتْ عَمَلًا فِي نَظَرِهِمْ أَنَّهُ إِجْرَامٌ وَرَبِّمَا قَتَلُوا الْبَهَائِمَ أَوْ قَرِيبًا
مِنَ الْهَلَاقِ .

فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا بَوْنٌ ، كَمَا بَيْنَ الْحَرَكَةِ
وَالسُّكُونِ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ جَبَّارٌ عَلَيْهَا كُلِّ
مَا بَيْنَ حَيْنٍ وَحَيْنٍ يَجْلِدُهَا جَلْدَ الزَّانِي ، وَيَعْضُضُهَا تَجْدُ أُخْتَهُ أَوْ بِنْتَهُ أَوْ رَبِيبَتَهُ
كُلِّ يَوْمٍ تَشْتَكِي مِنْ سُوءِ مُعَامَلَتِهَا . وَرَبِّمَا حَصَلَ مِنْهُ عَلَى أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ أَوْ
كِلَاهُمَا أَذِيَةٌ .

وفي الأرض كثير من هذه البليات ، فعوذ نفسك الرحمة أيها المؤمن ، فإنك في حاجة شديدة إلى رحمة الله ، وعالج نفسك في تهذيبها وتمرنها على الرحمة وإذهاب القسوة ، وأحرص على مقارنة الرحماء لتكسب منهم هذه الصفة وتسلم من ضدها قال صلى الله عليه وسلم « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » .

الرَّاحِمُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُهُمْ
مَنْ فِي السَّمَاءِ كَذَا عَنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ
فَارْحَمْ بِقَلْبِكَ خَلَقَ اللَّهُ وَارْعَهُمْ
بِهِ تَسْأَلُ الرِّضَا وَالْعَفْوَ عَنْ زَلَلِ

اللَّهِمْ وَفَقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَارزُقْنَا الثُّبَاتَ عَلَيْهِ
وَالاسْتِقَامَةَ وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَأَمِنَّا مِنْ فِرَاحِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

اعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبّه ويرضاه من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة أن الرحمة بالناس بل وبالحيوان عاطفة نبيلة وخلق شريف من أفضل الأعمال وأزكاها وأرفعها وأعلاها ونأهيك بها أنها خلق الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين .

ولقد مدح الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه في وصف رسوله ﴿بالمؤمنين ، رؤوف رحيم﴾ وقال ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وضحدها القسوة التي عاقب الله بها اليهود لما نقضوا العهد إذ يقول جلّ وعلا ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ .

فَالرَّحْمَةُ فَضِيلَةٌ وَالْقِسْوَةُ رَذِيلَةٌ ، فَكَانَ مَجِيءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَتِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَحْمَةً لِنَاسٍ يَتَخَبَطُونَ فِي بَحْرِ الْأَوْهَامِ وَالْجَهَالَاتِ وَمَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ وَسَيِّئِ الْعَادَاتِ وَقَبِيحِ الْأَعْمَالِ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ وَالْأَوْثَانَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، آلِهَتُهُمْ شَتَّى وَأَرْبَابُهُمْ مُتَفَرِّقَةٌ .

وَقَدْ فَشَى وَعَمَّ الْفَسَادُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ وَشَمَلَ الظُّلْمُ الْعِبَادَ فَالْقَوِيُّ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ وَلَا مُرَاقِبَ لَهُ وَلَا مُخِيفَ ، يَتَدُونَ الْبَنَاتِ وَيَقْتُلُونَ الْأَوْلَادَ ، جَاءَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْقَذَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَأَخْرَجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَتَعْظِيمِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ ، وَالتَّفَكِيرِ فِي الْآلِهِ وَتَمَجِيدِهِ وَتَقْدِيسِهِ .

وَأَنْشَلَهُمْ مِنْ أَوْهَامِهِمْ وَجَهَالَاتِهِمْ وَضَلَالَاتِهِمْ وَمَسَاوِيهِمْ إِلَى الْإِهْتِدَاءِ بِنُورِ الْقُرْآنِ وَتَعَالِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا قَابِعِينَ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ قَابِعِينَ فِي جَزِيرَتِهِمْ إِذَا بِهِمْ يَحْمِلُونَ إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ رِسَالَاتَ النُّورِ وَالْأَمَانِ وَالْحَقِّ وَالسَّلَامِ فَيَفْتَحُونَ الْبِلَادَ وَيَسُوسُونَ الْعِبَادَ بِفَضْلِ مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنْ مَا تَمَكَّنَ فِي نَفْسِهِمْ وَقَوِيَّ فِي أَفئِدَتِهِمْ مِنْ حُبِّ الرَّحْمَةِ وَابْتِغَاءِ لِلرَّفَافَةِ بِخَلْقِ اللَّهِ وَرَغْبَةِ فِي الْعَدْلِ .

فَكَانَ مَوْلَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَةً وَبِعَثَّتُهُ رَحْمَةً لَا تُدَانِيهَا رَحْمَةٌ وَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الدَّائِيَّةِ الْفِعْلِيَّةِ فَهُوَ رَحِمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَحَدَّثَ جَلَّ وَعَلَا عَنْ رَحْمَتِهِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الْآيَةَ .

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَعِّبُنَا فِي الرَّحْمَةِ وَاللِّينِ وَالرَّفَقِ وَالْمُسَامَحَةِ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ فَهُوَ يَقُولُ « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ وَهُوَ الْقَائِلُ لَا

تُنزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ « أَي وَلَا تَسْكُنُ إِلَّا فِي قَلْبِ تَقِيٍّ فَالرَّحْمَةُ
فَضِيلَةٌ وَالْقَسْوَةُ وَالْغِلْظَةُ رَذِيلَةٌ وَعَمَلٌ مُنْكَرٌ وَالرَّحْمَةُ لَا تَخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِ بَلْ
تَعُمُّ الْحَيَوَانَ وَكُلَّ ذِي رُوحٍ وَاحْسَاسٍ .

فَمِنْ آثَارِهَا مَا يَجِدُهُ الْوَالِدُ لِوَلَدِهِ وَأَثَرُهَا تَقْبِيلُهُ وَمُعَانَقَتُهُ وَشَمُّهُ وَضَمُّهُ
وَحُنُوُّهُ عَلَيْهِ كَمَا صَنَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُسَيْنِ وَالْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا وَمِنْ أَثَرِهَا تَأْدِيبُهُ وَتَرْبِيَتُهُ وَإِجَابَةُ رَغَائِبِهِ مَا دَامَتْ فِي سَبِيلِ الْمَصْلَحَةِ
وَابْعَادُهُ مِنَ الشَّرِّ .

وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَأَثَرُهَا اللَّطْفُ بِهِمَا وَالْعَطْفُ عَلَيْهِمَا
وَالْقَوْلُ الْكَرِيمُ لَهُمَا وَصُنْعُ الْجَمِيلِ فِيهِمَا وَالذَّبُّ عَنْهُمَا وَالْحُنُوُّ عَلَيْهِمَا
وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمَا وَإِظْهَارُ الْبِشْرِ لَهُمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ .

وَمِنْ آثَارِهَا جَرِيَانُ الدَّمْعِ مَعَ الْعَيْنِ وَذَرْفَهَا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ كَمَا كَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالَ وِفَاةِ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ جَعَلَتْ عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ الدَّمْعَ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا
رَحْمَةٌ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ .

وَلِذَا أَحَابَ الْأَعْرَابِيَّ الَّذِي قَالَ أَتَقَبَّلُونَ صِبْيَانَكُمْ فَمَا نَقَبَلُهُمْ قَالَ لَهُ
أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ وَمِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ بِالْقَرِيبِ
وَالصَّدِيقِ أَنْ تَخْصَهُ بِمَزِيدٍ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فَتُنْفَسُ كَرْبَهُ وَتُخَفَّفُ أَلَمُهُ
وَتُفْرَجُ هَمُّهُ وَتَسْعَى لِإِزَالَةِ الشُّحْنَاءِ وَرَفْعِ الْبَغْضَاءِ وَيُوَاسِي فَقْرَهُ وَيُرْسِدُهُ
عِنْدَ الْحَيْرَةِ وَيُبَبِّهُهُ عِنْدَ الْغَفْلَةِ وَيُنْصَحُهُ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ وَيُعِينُ الْعَاجِزَ وَيَعُودُ

الْمَرِيضَ وَيُنْفُسُ لَهُ فِي أَجَلِهِ وَيُسَيِّعُ جَنَازَتَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ النَّافِعَةِ وَالطَّرِيقَةِ الْمُجِدِّيَةِ .

وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ بِالْأَقْرَبَاءِ وَأَثَرُهَا بِرُحْمِ وَصِلَتُهُمْ وَزِيَارَتُهُمْ وَمَوَدَّتُهُمْ
وَالسَّعْيُ فِي مَصَالِحِهِمْ وَدَفْعُ مَا يَضُرُّهُمْ وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَأَثَرُهَا
الْمُعَاشَرَةُ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِخْلَاصُ وَالْوَفَاءُ الْمَتَبَادُلُ وَأَنْ لَا تُرْهَقَهُ بِالطَّلَبَاتِ
وَلَا يُكَلِّفُهَا بِالْمُرْهَقَاتِ بَلْ يُعَاوَنُ عَلَى شُؤُونِ الْمَنْزِلِ وَتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ بِنَفْسِهِ
أَوْ مَالِهِ إِنْ كَانَ ذَا سَعَةٍ .

وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ بِأَهْلِ دِينِكَ تُرْشِدُهُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَتُعَلِّمُهُمْ مَا تَقْدِرُ
عَلَيْهِ مِمَّا يَنْفَعُهُمْ وَتَأْخُذُ بِهِمْ عَنِ اللَّئَمِ إِلَى سَبِيلِ الْأَمْرِ وَتَعْمَلُ لِعِزِّهِمْ
وَدَفْعِ الْمَذَلَّةِ عَنْهُمْ وَتَكُونُ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا فَتُحِبُّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ
لِنَفْسِكَ وَتُكْرَهُ لَهُمْ مَا تُكْرَهُ لَهَا .

وَمِنْ أَثَرِهَا بِالْحَيَوَانِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ
بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَاتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ
فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلْيُجِدْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ .

وَذَلِكَ بِأَنْ يَرْفُقَ بِهَا وَلَا يَصْرَعُهَا وَيُزْعِجُهَا بَغْتَةً وَلَا يَجْرُهَا مِنْ
مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ بِسُرْعَةٍ تُرْهَقُهَا وَتُرْهَبُهَا بَلْ يَلْطَفُ وَلَا يُسْرِعُ بِقَطْعِ
الرَّأْسِ وَيُسْرِعُ بِقَطْعِ الْحُلُقُومِ وَالْمَرِيِّ وَالْوَدِجَيْنِ وَيَتْرُكُهَا إِلَى أَنْ تَبْرُدَ
لِتَخْفِيفِ أَلْمِهَا بِقَدْرِ الْاسْتِطَاعَةِ .

وَمِنْ الرَّحْمَةِ مَا يُحَدِّثُنَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ

يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ
يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأَ
خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا
رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

(فَضْلٌ)

اعْلَمَ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَآيَاكَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ لِلجَّارِ عَلَى جَارِهِ حَقٌّ
عَظِيمٌ فِي الْأَدْيَانِ كُلِّهَا وَالشَّرَائِعِ وَالْأَوْضَاعِ كَافَّةً ، وَالْعَرَبُ كَانُوا يُعَظِّمُونَ
حَقَّ الْجَارِ وَيَحْتَرِمُونَ الْجَوَارَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَيَعْتَزُونَ بِشَاءِ
الْجَارِ عَلَيْهِمْ وَيَفْخَرُونَ بِذَلِكَ ، وَالضَّعِيفُ إِذَا جَاوَرَ الْأَقْوِيَاءَ صَارَ قَوِيًّا بِإِذْنِ
اللَّهِ ، لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَجِئْنَا بِجَاءِ الْإِسْلَامِ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَكَّدَ حَقَّ
الْجَوَارِ وَحَثَّ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ بَعْدَ الْقَرَابَةِ وَكَادَ يُورِثُهُ .

وَالجَّارُ يُطَلَّقُ وَيُرَادُ بِهِ الدَّاخِلُ فِي الْجَوَارِ وَيُطَلَّقُ عَلَى الْمُجَاوِرِ فِي
الدَّارِ ، وَعَلَى السَّاكِنِ مَعَ الْإِنْسَانِ فِي الْبَلَدِ ، وَعَلَى أَرْبَعِينَ دَارًا مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْجَيْرَانُ ثَلَاثَةٌ جَارٌ لَهُ حَقٌّ
وَاحِدٌ وَهُوَ الْمُشْرِكُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانٍ وَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقُّ
الْجَوَارِ وَالْإِسْلَامِ ، وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةٌ حُقُوقٍ وَهُوَ الْمُسْلِمُ الْقَرِيبُ ، لَهُ حَقُّ
الْجَوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الرَّجْمِ .

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ تَوْفِيقِ الْإِنْسَانِ وَسَعَادَتِهِ أَنْ يَكُونَ فِي
بَيْتِهِ يَشْعُرُ بِالْعَطْفِ وَاللُّطْفِ عَلَيْهِ وَالتَّقْدِيرِ لَهُ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ ، وَمِنْ فِئَةِ تَوْفِيقِهِ

أَنْ يَكُونَ بَيْنَ جِيرَانٍ يُضْمِرُونَ الشَّرَّ لَهُ وَالْعَدَاوَةَ ، وَيُدَبِّرُونَ لَهُ الْمَكَائِدَ ،
وَيُدْمِرُونَ عَلَيْهِ خُصُومَهُ .

فَالشَّخْصُ الَّذِي بَجَانِبِهِ جِيرَانٌ سُوءٍ يَعْمَلُونَ لِلْإِضْرَارِ بِهِ فِي نَفْسِهِ أَوْ
مَالِهِ أَوْ عِرْضِهِ ، وَيَحُكُونَ لَهُ الْعِظَائِمَ وَالذَّوَاهِي ، مُنْعَصُ عَيْشُهُ ، لَا يَهْنَأُ
لَهُ بَالٌ ، غَيْرُ مُرْتَاحٍ ، تَجِدُهُ قَلِقًا مِنْهُمْ إِنْ دَخَلَ أَوْ خَرَجَ ، وَلَا يَنْعَمُ
بِمَالٍ ، تَرَاهُ مُقَطَّبَ الْوَجْهِ ، مَحْزُونٍ النَّفْسِ مَكْلُومَ الْفُؤَادِ .

وَتَجِدُ أَهْلَهُ مَعَهُمْ فِي لِحَاجٍ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ ، إِمَّا مِنْ
قَبْلِ التَّسَلُّطِ عَلَى أَهْلِهِ أَوْ عَلَى أَوْلَادِهِ ، وَإِمَّا بِوَضْعِ أَدِيَّةٍ فِي طَرِيقِهِ أَوْ فِي
بَيْتِهِ ، أَوْ بِتَعَدِّي عَلَى مَلِكِهِ أَوْ بِتَجَسُّسٍ عَلَيْهِ بِدُونِ مُبَرَّرٍ وَإِمَّا بِنَظَرٍ وَتَطَّلُعٍ
عَلَيْهِمْ مِنْ نَافِذَةٍ أَوْ بَابٍ أَوْ سَطْحٍ أَوْ رَمِي حَصَاً وَنَحْوِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ
مِنْ أَنْوَاعِ الْأَذَايَا .

وَرَبَّمَا اضْطُرَّ إِلَى بَيْعِ مَنْزِلِهِ مِنْ أَجْلِ جَارِ السُّوءِ ، كَمَا ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ
ابْتُلِيَ بِجَارِ سُوءٍ اضْطُرَّ إِلَى بَيْعِ مَلِكِهِ قَالَ فِي ذَلِكَ .

يَلُومُونِي إِنْ بَعْتُ بِالرُّخْصِ مَنْزِلِي وَلَمْ يَعْلَمُوا جَاراً هُنَاكَ يُنْغِصُ
فَقُلْتُ لَهُمْ كَفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّمَا بِجِيرَانِهَا تَغْلُوا الدِّيَارَ وَتَرْخُصُ
آخِر :

أَرَى دَارَ جَارِي إِنْ تَغَيَّبَ حُقْبَةً عَلَيَّ حَرَاماً بَعْدَهُ إِنْ دَخَلْتَهَا
قَلِيلٌ سُؤَالِي جَارَتِي عَنْ شُؤُونِهَا إِذَا غَابَ رَبُّ الْبَيْتِ عَنْهَا هَجَرْتَهَا
أَلَيْسَ قَبِيحاً أَنْ يُخْبَرَ أَنِّي إِذَا غَابَ عَنْهَا شَاحِطَ الدَّارِ زُرْتَهَا
آخِر :

اطْلُبْ لِنَفْسِكَ جِيرَاناً تُسَرُّ بِهِمْ لَا تَصْلُحِ الدَّارُ حَتَّى يَصْلُحَ الْجَارُ
آخِر :
شِرَى جَارَتِي سِتْرًا فَضُولَ لِأَنْتِي جَعَلْتُ جُفُونِي مَا حَيَّيْتُ لَهَا سِتْرًا

وما جَارِي إِلَّا كَأَمِي وَإِنِّي لِأَحْفَظُهَا سِرًّا وَأَحْفَظُهَا جَهْرًا
بَعَثْتُ إِلَيْهَا انْعَمِي وَتَعَمِّي فَلَسْتُ مُجَلًّا مِنْكَ وَجَهًّا وَلَا شَعْرًا
وَيَقُولُ الْآخِرُ :

دَارِ جَارَ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ
آخِرُ : لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلَ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلِصْ عِبَادَةَ رَبِّهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ وَابْتَعِدْ عَنِ جَوَارِهِ
وَبَعْضُ الْجِرَانِ يَكُونُ فِيهِ خَيْرٌ وَشَرٌّ فَهَذَا رَبِّمَا تُقَابِلُ مَنَافِعُهُ مَضَارُهُ
وَتَحْمَلُ مِنْهُ ذَلِكَ النِّقْصَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْكَمَالِ وَأَمَّا الْآخِرُ فَهُوَ شَرٌّ مُضَرَّةٌ بِلَا
مَنَفَعَةٍ وَنِقْصَانٍ بِلَا فَائِدَةٍ فَكَيْفَ يَعْذِرُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ .

عَذَرْنَا النَّخْلَ فِي إِبْدَاءِ شَوْكٍ يَرُدُّ بِهِ الْأَنَامِلَ عَنِ جَنَاهُ
فَمَا لِلْعَوْسَجِ الْمَذْمُومِ يُبْدِي لَنَا شَوْكًا بِلَا ثَمَرٍ نَرَاهُ
آخِرُ :

مَرِضْتُ وَلِيَّ جِيزَةً كُلُّهُمْ عَنِ الرُّشْدِ فِي صُحْبَتِي حَائِدُ
فَأَصْبَحْتُ فِي النَّقْصِ مِثْلَ الَّذِي وَلَا صِلَةَ لِي وَلَا عَائِدُ
آخِرُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ لَا عَهْدَ عِنْدَهُمْ صَدَفْتُ وَرَبِّ الْخَلْقِ عَنِ صُحْبَةِ النَّاسِ
وَصِرْتُ جَلِيسَ الْكُتُبِ مَاعِشْتُ فِيهِمْ وَأَعْمَلْتُ حُسْنَ الصَّبْرِ عَنْهُمْ مَعَ الْيَاسِ
آخِرُ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ إِخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ أَرَى فِي الْأَيَّامِ خِلًا تَسْرُنِي بَوَادِيهِ إِلَّا سَاعَتِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ أَتَيْتِي إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَابِئِ
آخِرُ :

أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غِبتَ عَنْهُمْ جَعَلُوا كُلُّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا آمَارُوكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ عَلَيْنَا

وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ » قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَائِقِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فَبَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَنْ هَذَا خُلِقَهُ ، وَتِلْكَ دَخِيلَتُهُ مَعَ جَارِهِ غَيْرُ مُؤْمِنٍ ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِالْحَلْفِ وَالتَّكْرَارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

وَهَلِ الْمُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَهَلِ الْإِيمَانُ إِلَّا مِنَ الْأَمْنِ ؟ فَإِذَا كَانَ الْجَارُ لِجَارِهِ حَرْبًا وَعَلَيْهِ ضِدًا فَكَيْفَ يَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ لَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَقَّدَ أُمُورَ جَارِهِ ، وَيُسَاعِدَهُ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعَ ، وَيَعْمَلَ عَلَى جَلْبِ الْخَيْرِ لَهُ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ وَحَيَاةٍ طَيِّبَةٍ ، كَمَا يَعْمَلُ بَعْضُ الْحَيْرَانِ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ .

فَقَدْ يَأْنِسُ الْإِنْسَانُ بِجَارِهِ الْقَرِيبِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْنِسُ بِالنَّسِيبِ فَيَحْسُنُ التَّعَاوُنَ بَيْنَهُمَا ، وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ وَالْإِحْسَانُ بَيْنَهُمَا ، فَإِذَا لَمْ يُحْسِنِ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِمَا لِسَائِرِ النَّاسِ .

أَعَيْنُ أَحْيٍ أَوْ صَاحِبِي فِي بَلَائِهِ أَقُومُ إِذَا عَضَّ الزَّمَانُ وَأَقْعُدُ
وَمَنْ يُفْرِدُ الْإِخْوَانَ فِيمَا يَنْوَهُمْ تَنْبُهُ اللَّيَالِي مَرَّةً وَهُوَ مُفْرَدُ
فَيَنْبَغِي لِلْجَارِ أَنْ يَتَعَاهَدَ جَارَهُ بِأَهْدَاءٍ مَا تَيْسَّرَ وَالصَّدَقَةَ وَالذُّعْوَةَ
وَاللِّطَافَةَ بِهِ وَبِأَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ ، وَالصَّفْحَ عَنْ زَلَّتِهِمْ ، وَبُدَايَةَ السَّلَامِ وَأَظْهَارِ
الْبُشْرِ لَهُ وَأَعَانَتِهِ وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِ فِي مُعَامَلَتِهِ وَأَقْرَاضِهِ ، وَعِيَادَتِهِ وَرَتْعَزِيَّتِهِ
عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَتَهْنِئَتِهِ بِمَا يُفْرِحُهُ ، وَيَسْتُرُ مَا انْكَشَفَ لَهُ مِنْ عَوْرَةٍ ، وَيَعْضُ
بَصْرَهُ عَنْ مَحَارِمِهِ وَيَمْنَعُ أَوْلَادَهُ وَأَهْلَهُ مِنْ أَذِيَّةِ أَوْلَادِ جَارِهِ وَأَهْلِهِمْ .

وَأَنْ بَدَأَ لَهُمْ حَاجَةٌ قَامَ بِهَا ، وَلَا يَرْفَعُ عَلَى الْمِذْيَاعِ أَوْ التَّلْفِيزِيِّينَ
إِنْ كَانَ يَضُرُّهُمْ وَيُسَهِّرُهُمْ وَهُوَ مِمَّنْ ابْتُلِيَ بِهَذَا الْمُنْكَرِ الْمُحْرَمِ ، وَيَعْمَلُ

كُلُّ مَا فِيهِ نَفْعٌ لَهُمْ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ مَا اسْتَطَاعَ فِيهِدِهِ
الْأَشْيَاءِ تَفْعُ بِأَذْنِ اللَّهِ الْأَلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ .

وَبِهَا تَحْصُلُ الْمَوَدَّةُ ، وَيُضْبِحُ الْمَرْءُ بَيْنَ جِيرَانِهِ مَحْبُوبًا مُوقَّرًا
يَتَفَقَّدُونَهُ إِذَا غَابَ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيَعْدُونَهُ إِذَا حَضَرَ مَرْغُوبًا مَرْمُوقًا بِالْعِنَايَةِ
مِنْهُمْ آمِنًا مِنْهُمْ مُطْمَئِنًّا إِلَيْهِمْ يَتَبَادَلُونَ الْمَنَافِعَ .

رُوي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حُذَيْفَةَ بَاعَ دَارَهُ فَلَمَّا أَرَادَ الْمُشْتَرِي أَنْ يُشْهَدَ
عَلَيْهِ قَالَ لَسْتُ أَشْهَدُ عَلَيَّ وَلَا أُسَلِّمُهَا حَتَّى يَشْتَرُوا مِنِّي جِوَارَ سَعِيدِ بْنِ
الْعَاصِ وَتَزَايِدُوا فِي الثَّمَنِ قَالُوا وَهَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا يَشْتَرِي جِوَارًا أَوْ يَبِيعَهُ
قَالَ لَا تَشْتَرُونَ جِوَارَ مَنْ إِنْ أَسَأْتُ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَإِنْ جَهَلْتُ عَلَيْهِ حَلَمْتُ وَإِنْ
أَعْسَرْتُ وَهَبْتُ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعِكُمْ رُدُّوْا عَلَيَّ دَارِي .

فَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَرَوَى
الْمُدَائِنِيِّ أَنَّهُ بَاعَ جَارًا لِفَيْرُوزَ دَارَهُ بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَجِئَتْ بِهَا فَقَالَ الْبَائِعُ هَذَا
ثَمْنُ دَارِي فَأَيْنَ ثَمْنُ جَارِي قَالَ وَجَارِكَ ثَمْنٌ قَالَ لَا أَنْقُصُهُ وَاللَّهِ عَنْ أَرْبَعَةِ
أَلْفِ دِرْهَمٍ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ فَيْرُوزَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِثَمَانِيَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ هَذَا ثَمْنُ دَارِكَ
وَجَارِكَ وَالزَّمَّ دَارِكَ لَا تَبِعْهَا ، أَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنْ أَكْثَرِ جِيرَانِ زَمَنِنَا لَا تَكَادُ تَهْدَأُ
أَذْيَتَهُمْ وَشَتَائِمُهُمْ وَسَبُّهُمْ وَهَجْرَانُهُمْ وَمُشَاجِرَاتِهِمْ وَتَقَاطُطُهُمْ وَكَيْدُ بَعْضِهِمْ
لِبَعْضٍ رِجَالًا وَنِسَاءً وَأَوْلَادًا كَانَهُمْ فِي مَعْزَلٍ عَنِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ
فِي الْجِوَارِ وَحُقُوقِهِ وَلِبَعْضِهِمْ مِمَّنْ بُلِيَ بِجَارِ السُّوءِ :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي جَارًا نُوُومًا بِجَارٍ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيْمُ
وَيَلْبَسُ بِالنَّهَارِ ثِيَابَ نُسُوكٍ وَشَطْرَ اللَّيْلِ شَيْطَانَ رَجِيمٍ

وقيل إن ابن المقفع كان بجوار داره دار صغيرة وكان يرغب في شرائها

لِيُضَيِّفَهَا إِلَى دَارِهِ وَكَانَ جَارُهُ يَمْتَنِعُ مِنْ بَيْعِهَا ثُمَّ رَكِبَهُ دَيْنَ فَاضْطَرَّ إِلَى بَيْعِهَا
وَعَرَضَهَا عَلَى جَارِهِ بِنِ الْمُقَفَّعِ فَقَالَ مَا لِي بِهَا حَاجَةٌ فَقِيلَ لَهُ أَلَسْتَ طَلَبْتَ مِنْهُ
شِرَائِهَا فَقَالَ لَوْ اشْتَرَيْتَهَا الْآنَ مَا قُتِمْتُ بِحُرْمَةِ الْجَوَارِ لِأَنَّهُ الْآنَ يُرِيدُ بَيْعَهَا مِنْ
الْفَقِيرِ ثُمَّ دَفَعَ إِلَى جَارِهِ ثَمَنَ الدَّارِ وَقَالَ إِبْنُ بَدَارِكٍ وَأَوْفَ دَيْنِكَ لِلَّهِ دَرُّهُ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِلْعَبَّاسِ مَا بَقِيَ مِنْ كَرَمِ إِخْوَانِكَ قَالَ الْإِفْضَالُ
عَلَى الْإِخْوَانِ وَتَرَكَ أَذَى الْجَيْرَانِ قَالَ الشَّاعِرُ :

شعرا : سَقِيًّا وَرَعِيًّا لَجَيْرَانٍ نَزَلَتْ بِهِمْ
إِذَا تَأَمَّلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ خُلُقًا
آخر : إِذَا حَفَّتِ الْمَوَدَّةُ وَاسْتَقَامَتْ
وَإِنْ يَكُنْ الْبِعَادُ أَغَابَ وَجْهِي
وَلَمْ يَزَلِ الشَّنَاءُ عَلَيْكَ مِنِّي
آخر : أَحْبَابُنَا مَا عُثِمَ مُدُّ بِنْتُمُوا
بِنْتُمْ عَلَى حُكْمِ الْمَجَازِ وَلَيْسَ فِي
أَنْتُمْ إِذَا أَطْرَدَ الْقِيَاسُ أَنَا وَإِنْ
آخر : تَطَاوَلَ لَيْلِي بِالرِّيَاضِ وَلَمْ يَكُنْ
فَهَلْ لِي إِلَى أَرْضِ الْقَصِيمِ بَرَجَعَةٌ
وَلَا سِيْمَا فِي حَارَةٍ قَدْ سَكَنَتْهَا
آخر : إِذَا أَنَا لَا أُشْتَاقُ أَوَّلَ مَنْزِلٍ
مِنَ الْعَقْلِ أَنْ أُشْتَاقَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ
آخر : يُقِيمُ الرِّجَالَ الْمَوْسِرُونَ بِأَرْضِهِمْ
وَمَا تَرَكُوا أَوْطَانَهُمْ عَنْ مَلَالَةٍ
يَا مَنْ تَحَوَّلَ عَنَّا وَهُوَ يَأْلِفُنَا
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مُدُّ فَارَقْتَ جَيْرَنَا

كَأَنَّ دَارَ اغْتِرَابِي عِنْدَهُمْ وَطَنِي
عَلِمْتُ أَنَّهُمْ مِنْ حِلْيَةِ الزَّمَنِ
فَلَا تَجَزَعُ وَإِنْ بَعُدَ اللَّقَاءُ
فَلَمْ تَغِبِ الْمَوَدَّةُ وَالصَّفَاءُ
مَعَ السَّاعَاتِ يَتَّبِعُهُ الدُّعَاءُ
فَابْتِكُمْ شَوْقِي وَأَسْأَلُ عَنْكُمْ
حُكْمَ الْحَقِيقَةِ أَنْكُمْ قَدْ بِنْتُمُوا
عُكْسَ الْقِيَاسِ فَإِنِّي أَنَا أَنْتُمُوا
عَلَى بَحَارَاتِ الْقَصِيمِ يَطْوُلُ
أُفِيمَ بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ
ثَلَاثِينَ عَامًا أَوْ تَزِيدُ قَلِيلُ
عُذِيْتُ بِحَفْضٍ فِي دَرَاهُ وَلَيْسَ
عُذِيْتُ بِحَفْضٍ فِي دَرَاهُ وَلَيْسَ
وَتَرَمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الرَّامِيَا
وَلَكِنْ حِدَارًا مِنْ شِمَاتِ الْأَعَادِيَا
بَعُدْتَ عَنَّا أَبْعَدَ الْآنَ تَلَقَانَا
بُدِلْتَ جَارًا وَمَا بُدِّلَتْ جَيْرَانَا

فَكَتَبَ إِلَيْهِ جَارَهُ :

وَمَحْضُ وُدِّي وَعَهْدِي كَالَّذِي كَانَا
إِلَّا هُمُومًا أَعَانِيهَا وَأَحْزَانَا
وَلَيْسَ أَحْبَابُهُ لِلدَّارِ جِيرَانَا
يُذِلُّ بِحَقِّ أَوْ يَدُلُّ بِبَاطِلِ
إِلَيْكَ فَمَا شَرِّي إِلَيْكَ بِوَاصِلِ
طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى لِدَارِكَ جَارًا
شِيرًا فَأَعْطِيهِ بِشِيرِ دَارَا
فِيهِ السِّرُّرُ عَلَى يُسْرِ وَأَعْسَارِ
هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَّاحُ غَبِّ أَمْطَارِ
حُبِّ الْبَخِيلِ غِنَاهُ بَعْدَ إِقْتَارِ
مَعَ الْأَقَارِبِ وَالْأَصْحَابِ وَالْجَارِ
سَحَابُ غَوَادِ خَالِيَاتِ مِنَ الرَّعْدِ
مَا أَقْصَرَ وَقْتَهَا عُمْرًا وَأَحْلَاهَا
إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبَ الْمَرْءِ ذِكْرَاهَا
وُلِدْتُ وَحُبُّ الْمُتَّقِينَ بَارِضَهَا
فَلَسْتُ بِرَاعِ عَهْدِ أَهْلِ الْمَنَازِلِ
وَكُنْتُ بِهَا جَدَلًا فِي خَيْرِ أَهْلِ يُرَيْدِ الْقَصِيمِ
فَقَدْتُ صَدِيقِي وَالْبِلَادُ كَمَا هِيَ
كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا
بِدْيَالِكَ الْمَنْزِلِ وَدِيَاكَ مِنْ زُهْدِ
بِهِ أَحْرَفُ التَّصْغِيرِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
سَحَابُ غَوَادِ خَالِيَاتِ مِنَ الرَّعْدِ
إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِلَادُ

بَعْدَتْ عَنْكُمْ بَدَارِي دُونَ خَالِصَتِي
وَمَا تَبَدَّلْتُ مُذْ فَارَقْتُ قُرْبَكُمْ
وَهَلْ يُسِرُّ بِسُكْنِي دَارِهِ أَحَدُ
آخر : أَقُولُ لِجَارِي إِذْ أَتَانِي مُخَاصِمًا
إِذَا لَمْ يَصِلْ خَيْرِي وَأَنْتَ مُجَاوِرِي
آخر : إِنِّي لِأَحْسِدُ جَارَكُمْ لِجَوَارِكُمْ
يَا لَيْتَ جَارَكَ بَاعَنِي مِنْ دَارِهِ
آخر : يَا حَبْدًا وَطَنُ كُتَابِهِ زَمَنًا
وَحَبْدًا نَاعِمٍ مِنْ تُرْبِهِ عَبَقُ
أَحْبُهُ وَبِلَادُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ
وَلَسْتُ أَوْلَ مُشْتَقِّ إِلَى وَطَنِ
آخر : سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالْقَصِيمَ أَخْصُهُ
آخر : يَا حَبْدًا أَرْمُنُ فِي مَنْزِلِ سَلَفْتِ
أَوْقَاتِ أَنْسِ قَضِيئَاهَا فَمَا ذَكِرْتِ
آخر : وَمَنْ مَدَّهَبِي حُبُّ الدِّيَا الَّتِي بِهَا
آخر : إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَعِ الْعُهُودَ الَّتِي مَضَتْ
وَلَا سَيِّمًا دَارًا وُلِدْتَ بِرَبْعِهَا
آخر : إِذَا رُزْتُ أَرْضِي بَعْدَ طُولِ تَعْرُبِ
فَأَكْرِمِ أَحْسَاكَ الْمُخْلِصَ الْوَدَّ إِنَّمَا
آخر : بِدْيَالِكَ الْمَنْزِلِ أَهِيْمُ وَلَمْ أَقْلُ
وَلَكِنْ إِذَا مَا حُبُّ شَيْءٍ تَوَلَّعْتُ
سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالْقَصِيمَ أَخْصُهُ
آخر : بِلَادُهَا كُنَّا وَنَحْنُ نُحِبُّهَا

آخر من من يهوى التنقل تبع المصالح الدنيوية
نقل ركابك في الفلا ودع الغواني في القصور
لولا التغرب ما ارتقى دُرُّ البُحورِ إلى النُحورِ
فمحا لفوا أوطانهم أمثال سُكَّانِ القُبورِ
آخر : كل المنازل والبلاد عزيزة
عندي ولا كمواطني وبلادي
آخر : ما من غريب ولن أبدي
آخر : إن الوداع من الأحباب نافله
وُلست أدري إذا شطَّ المزارُ بهم
دارُ سَكننا بها مُدْ كانَ نشأتنا
آخر : كم منزل في الأرض يألفه الفتى
آخر ولا تياساً أن يجمع الله بيننا
فقد يجمع الله الشيتين بعدما
تجلده إلا تذكر عند الغربة الوطناً
للظاعين إذا ما يمموا بليداً
هل تجمع الدار أم لا نلتقي أبداً
فيها القريب وأصحاب لنا ستدا
وحينه أبداً لأول منزل
كأحسن ما كنا عليه تصافياً
يظنان كل الظن أن لا تلاقياً

قال ابن عبد البر ثلاث إذا كن في الرجل لم يشك في عقله وفضله إذا حمده
جاره وقربته ورفيقه وإليك طرف في الحث على الأحسان إلى الجار والبعد عن
أذيته .

وقد جاء في الأحاديث النبوية التحذير من إيذاء الجار ، والترغيب في
الأحسان إليه ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما
زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يا نساء
المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » متفق عليه .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر إذا
طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك » رواه مسلم .

وفي رواية له عن أبي ذر قال إن خليلي ﷺ أوصاني « إذا طبخت مرقة

فَأَكْثَرَ مَاءَهَا ثُمَّ أَنْظَرَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصَبَهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ .

وَعَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ « مَا تَقُولُونَ فِي الزَّيْنِ ؟ » قَالُوا : حَرَامٌ ، حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لِأَنَّ يَزِينَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزِينَ بِأَمْرَاءِ جَارِهِ . »

قَالَ « مَا تَقُولُونَ فِي السَّرْقَةِ ؟ » قَالُوا : حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ قَالَ « لِأَنَّ يَسْرِقُ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آيَاتٍ ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَرَوَاتُهُ ثِقَاتٌ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ .

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأْتِقَهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّازُ وَاسْنَادُ أَحْمَدَ جَيِّدٌ .

لِلْجَارِ حَقٌّ إِذَا أَدَيْتَ وَاجِبَهُ جَارَكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا
فَأُولَ بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَائْتِنَنَّ بِهِ وَإِنْ أَتَى سُبُّهُ جَارَيْتَ غُفْرَانًا
وَاعْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ عَوَاتٍ مَنْزِلِهِ وَأُولِهِ مِنْكَ لُطْفًا حَيْثُمَا كَانَا
جَارِي أَرَى حِفْظَهُ حَقًّا وَنَصْرَتَهُ فَلَسْتُ أُسَلِّمُ جَارِي عَزَّ أَوْهَانَا
آخِر :

إِنْ كَانَتْ الدَّارُ فِيمَا بَيْنَنَا نَزَحَتْ فَأَنْتُمُوا فِي سُؤْيِدَا الْقَلْبِ سُكَّانُ
وَاللَّهُ مَا غَيْرَ نَبِيِّ سَلْوَةٍ عَرَضَتْ وَلَا انْطَوَى لِي عَلَى الْهَجْرَانِ جُثْمَانُ
وَكَيْفَ أَنْسَاكُمْ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ وَفِي الْحَشَا مِنْكُمْ وَجَدَ وَأَشْجَانُ
لَا تَهْجُرُوا وَافِيًا يَرْعَى ذِمَامَكُمْ فَيَبْلُغُ الْعَرَضَ الْحُسَادُ لَا كَانُوا
قَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى لِسَانِ مَنْ فَارَقَهُ مَنْ يَأْلُفُهُ وَيُحِبُّهُ .

كَيْفَ السَّيْلُ وَقَدْ شَطَطَتْ بِنَا الدَّارُ أَمْ كَيْفَ أَصْبَرُ وَالْأَحْبَابُ قَدْ سَارُوا

وَمَنْزِلُ الْأَنْسِ أَضْحَى بَعْدَ سَاكِنِهِ
 مَا كَانَ أَحْسَنَنَا وَالِدَارُ تَجْمَعُنَا
 يَا سَاكِنِينَ بِقَلْبِي أَيْنَمَا رَحَلُوا
 غِبْتُمْ فَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا لِغَيْبَتِكُمْ
 لَيْتَ الْغُرَابُ الَّذِي نَادَى بِفِرْقَتِكُمْ
 بَعْدَ النِّعِيمِ بَعْدُنَا عَنْ مَنْزِلِنَا
 وَقَالَ آخِرُ :

دَعُونِي عَلَى الْأَحْبَابِ أَبْكِي وَأَنْدُبُ
 وَلَا تُعْتَبُونِي إِنْ جَرَتْ أَدْمُعِي دَمًا
 لَقَدْ جَرَحَ التَّفْرِيقُ قَلْبِي بِنَبْلِهِ
 الْأَحْبَابُنَا مَا بَاخْتِيَارِي فِرَاقَكُمْ
 وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ يُفْرَقَ بَيْنَنَا
 أَجُولُ بِطَرْفِي بَعْدَكُمْ فِي دِيَارِكُمْ
 آخِرُ :

بَكَيْتُ عَلَى الْأَحِيَّةِ حِينَ سَارُوا
 أَنْادِيهِمْ بِصَوْتِي أَيْنَ حَلُّوا
 يَقُولُ لِي الْعَدُولُ وَقَدْ رَأَى
 أَتَهَجَّرُ مَنْ تُحِبُّ وَأَنْتَ جَارُ
 وَتَبْكِي عِنْدَ فُرْقَتِهِ اسْتِيَاقَا
 لِنَفْسِكَ لَمْ وَلَا تَلَمِ الْمَطَايَا
 وَأَزَعَجَنِي الرَّحِيلُ فَلَا قَرَارُ
 وَفِي قَلْبِي مِنَ الْأَشْوَاقِ نَارُ
 وَفِي حَالِي لِمَنْ عَشَقَ إِعْتِبَارُ
 وَتَطْلُبُهُ وَقَدْ شَطَّ الْمَزَارُ
 وَتَسْأَلُ فِي الْمَنَازِلِ أَيْنَ سَارُوا
 وَمُتَّ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اعْتِدَارُ

مَوْعِظَةٌ عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَبَاعَدَتِ الْقُلُوبُ فِي هَذَا الزَّمَانِ تَبَاعُدًا يَنْبَغِي أَنْ يُبْكِيَ
 لَهُ أَشَدَّ الْبُكَاءِ ، وَأَصْبَحْنَا بِهَذَا التَّبَاعُدِ لَا إِخَاءَ بَيْنَنَا ، وَالسَّبَبُ الْوَحِيدُ فِي
 ذَلِكَ أَنَّ عَشَقْنَا الدُّنْيَا قَضَى نَهَائِيًّا عَلَى كُلِّ مُحِبِّ ، وَأَصْبَحَ الْهَدْفُ الْوَحِيدُ
 هُوَ الْحُصُولُ عَلَيْهَا مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ كَانَ ، فَالْقَلْبُ وَاللِّسَانُ وَالْجَوَارِحُ مَشْغُولَةٌ

لَيْلًا وَنَهَارًا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، فَهِيَ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَهَى عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ فِيهَا
وَهِيَ تَلَقَّبَ أُمَّ ذَفْرٍ وَالذَّفْرُ النَّتْنُ :

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ ذَفْرٍ كَمَا أَبَى
هِيَ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَهَى وَمَعَ السُّهَى
وَلَمْ تَلْقَنَا إِلَّا وَفِينَا تَحَاسُدُ
سِوَى أُمَّ عَمْرٍو مُوجِعُ الْقَلْبِ هَائِمُ
أَمَانِيٍّ مِنْهَا دُونُهُنَّ الْعِظَائِمُ
عَلَيْهَا وَإِلَّا فِي الصُّدُورِ سَخَائِمُ

آخر :

نَعَمْ إِنَّهَا الدُّنْيَا إِلَى الْغَدْرِ دَعْوَةٌ
فَفَارَقَ عَمْرُو بَنَ الزُّبَيْرِ شَقِيقَهُ
وَحَلَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيلُ
أَجَابَ إِلَيْهَا عَالِمٌ وَجْهٌ هَوَلُ

آخر :

عَجِبْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَذَمِمِّي نَعِيمَهَا
وَقَوْلِي أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ
وَحُبِّي لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ بَاطِنُ
وَأَكْلَفُ مِنْهَا بِالذِّي هُوَ فَاتِنُ

آخر :

أَرَى أَشْقِيَاءَ النَّاسِ لَا يَسْأَمُونَهَا
أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحِبُّ كَانَهَا
عَلَى أَنَّهُمْ فِيهَا عُرَاةٌ وَجُوعُ
سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنِ قَرِيبٍ تَقَشُّعُ

آخر :

لِسَانُكَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌّ مُشَاحِنُ
وَمَا ضَرَّهَا مَا كَانَ مِنْكَ وَقَدْ صَفَا
وَقَلْبُكَ فِيهَا لِلْسَانَ مُبَايِنُ
لَهَا مِنْكَ وَدٌّ فِي فَوَادِكُ كَامِنُ

فَلِلدُّنْيَا يَعْقُ الْوَالِدُ أَبَاهُ وَيُقَاطِعُ أَخَاهُ ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَمَامًا أَنَّهُ شَقِيقُهُ
وَلِلدُّنْيَا الْمَشَاغِبَاتُ بَيْنَ الْجِيرَانِ وَالْمُتَعَامِلِينَ فَلِلدُّنْيَا مَكَانَةٌ الْيَوْمَ أَنْسَتْ الْخَلْقَ
خَالِقَهُمْ وَرَازَقَهُمْ فَإِنْ حَضَرُوا لِلصَّلَاةِ فَلَا بُدَّ أَنْ حَاضِرَةٌ وَالْقُلُوبُ مَعَ الدُّنْيَا ،
فَعَلَّتْ الدُّنْيَا بِالنَّاسِ الْيَوْمَ أَفَاعِيلَ مَا كَانَتْ تَحْطُرُ عَلَى الْبَالِ ، وَمِنْ أَجْلِ
الدُّنْيَا تَرَى الْخَلْقَ فِي قَلَاقِلٍ وَأَهْوَالٍ .

زُرَّ الْمَحَاكِمَ وَأَنْظُرْ تَرَى الْعَجَبَ الْعُجَابَ ، كُلُّ ذَلِكَ وَأَعْظَمُ مِنْهُ

سَبِيَهُ حُبِّ الدُّنْيَا وَالْأَنْهَمَاكَ فِيهَا فَائِنَ نَحْنُ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِ الَّذِينَ قَالَ
 اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِهِمْ ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ فَانظُرْ شَهَادَةَ
 اللَّهِ لَهُمْ أَنَّهُمْ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ وَهَلْ تَقْتَضِي الرُّحْمَةُ إِلَّا عَظْفًا مِنْهُمْ عَلَى
 إِخْوَانِهِمْ وَإِحْسَانًا ، وَانظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يُجِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا
 يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْتِرُونَ عَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
 بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

هَكَذَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ ، لِذَلِكَ كَانَتْ هَيْبَتُهُمْ فِي نَفُوسِ أَعْدَائِهِمْ
 تَرْتَعِدُ مِنْهَا فَرَائِصُ الشُّجْعَانِ وَكَانُوا سَادَةَ الدُّنْيَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ الْعَدُوُّ قَبْلَ
 الصَّدِيقِ ، فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا ذَكَرْنَا لَكَ فَانظُرْ إِلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ
 مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ .

اللَّهُمَّ اجْمَعْ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَحَبَّتِكَ وَطَاعَتِكَ ، وَأَزِلْ عَنْهُمْ
 مَا حَدَثَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ،
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ ، كَمَا قَسَمَ
 بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ،
 وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ ، وَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسَلِّمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ
 جَارُهُ بِوَأَيْقَهُ » .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بِوَأَيْقَهُ ؟ قَالَ « غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ » وَلَا يَكْسِبُ
 مَالًا مِنْ حَرَامٍ فَيَنْفِقُ مِنْهُ فَيُبَارِكُ فِيهِ ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيَقْبَلُ مِنْهُ ، وَلَا يَتْرُكُهُ
 خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَمْحُو السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ

وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّءَ بِالْحَسَنِ ، إِنَّ الْخَيْثَ لَا يَمْحُو الْخَيْثَ « رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ قَالَ « أَطْرَحُ مَتَاعَكَ عَلَى الطَّرِيقِ » فَطَرَحَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُونَ عَلَيْهِ وَيَلْعَنُونَهُ ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ وَمَا لَقِيتَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : يَلْعَنُونَنِي .

قَالَ « قَدْ لَعَنَكَ اللَّهُ قَبْلَ النَّاسِ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَعُودُ ، فَجَاءَ الَّذِي شَكَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ « ازْفَعْ مَتَاعَكَ فَقَدْ كُفِيتَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَالْبَزَّازُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ بِنَحْوِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ « ضَعْ مَتَاعَكَ عَلَى الطَّرِيقِ » فَوَضَعَهُ ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ مَرَّ بِهِ قَالَ : مَا شَأْنُكَ قَالَ : جَارِي يُؤْذِينِي ، قَالَ فَيَدْعُونَ عَلَيْهِ ، فَجَاءَ جَارُهُ فَقَالَ : رُدِّ مَتَاعَكَ فَإِنِّي لَا أُوذِيكَ أَبَدًا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ : « اذْهَبْ فَاصْبِرْ » فَاتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَقَالَ « اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ » فَفَعَلَ فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَ جَارِهِ ، فَجَعَلُوا يَلْعَنُونَهُ ، فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ ، وَبَعْضُهُمْ يَدْعُو عَلَيْهِ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ وَابْنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ يُلْغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ وَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَائَكَ قَالَ لِلَّهِ أَبُوكَ قَدْ لَقِيتَنِي فَهَاتِي . قُلْتُ حَدِيثُكَ بَلْغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَكَ ، قَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيُبْغِضُ ثَلَاثَةً » قَالَ إِيَّاكَ إِخْلَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : فَقُلْتُ فَمَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ :
رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ
عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَلَا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ ﴾ .

قُلْتُ : وَمَنْ ؟ قَالَ (وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارٌ سُوءٌ يُؤْذِيهِ فَيَضْرِبُ عَلَى أَدَاهُ
حَتَّى يَكْفِيهِ اللَّهُ إِيَّاهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ) فَذَكَرَ الْحَدِيثَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ
وَاللَّفْظُ لَهُ وَاسْنَادُهُ وَاحِدٌ اسْنَادِي أَحْمَدُ رَجَاهُمَا مُخْتَجٌّ بِهِمْ فِي الصَّحِيحِ
وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ بِنَحْوِهِ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

وَعَنْ نَافِعِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْجَارُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيُّ
وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرَوَاتُهُ رُوَاةُ الصَّحِيحِ .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ
وَالجَارُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيُّ وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ الْجَارُ السُّوءُ وَالْمَرْأَةُ
السُّوءُ وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فُلَانَةٌ تَكْثُرُ مِنْ صَلَاتِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصِيَامِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا .

قَالَ « هِيَ فِي النَّارِ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ فُلَانَةٌ يُذَكَّرُ مِنْ قِلَّةِ
صِيَامِهَا وَصَلَاتِهَا وَأَنَّهَا تَتَّصَدَّقُ بِالْأَنْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا ، قَالَ
« هِيَ فِي الْجَنَّةِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَالْحَاكِمُ
وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَيْضًا وَلَفْظُهُ وَهُوَ لَفْظُ

بَعْضِهِمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَانَهُ تَصُومُ النَّهَارَ ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا ، قَالَ « هِيَ فِي النَّارِ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَانَهُ تَصَلِّيُ الْمَكْتُوبَاتِ وَتَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا ، قَالَ « هِيَ فِي الْجَنَّةِ » .

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثَةٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ ، إِمَامٌ إِنْ أَحْسَنَتْ لَمْ يَشْكُرْ وَإِنْ أَسَأَتْ لَمْ يَعْفِرْ وَجَارٌ سُوءٌ إِنْ رَأَى خَيْرًا دَفَنَهُ ، وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَدَاعَهُ ، وَامْرَأَةٌ إِنْ حَضَرَتْ آذَتْكَ وَإِنْ غَبَّتْ عَنْهَا خَانَتْكَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ .

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ إِنْشَانٍ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَاطِعُ رَحِمٍ وَجَارٌ سُوءٌ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا فِي مَحَبَّةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا آيَةً مِنَ الْآيَاتِ وَكَانَ التَّرَاحُمُ بَيْنَهُمْ بِالْغَا مَبْلَغًا يَعُدُّهُ أَهْلُ الْأَنْصَافِ غَايَةَ الْغَايَاتِ لِذَلِكَ كَانُوا فِي مَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِبَعْضِهِمْ عَلَى أَرْقى مَا يُتَصَوَّرُ فِي الدَّرَجَاتِ .

وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ فِي أَشَدِّ الْجُوعِ وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ بِمَالِهِ مِنْ طَعَامٍ عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ وَيَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

وَإِنَّ الْخَجَلَ لَيَعْلُو وَجُوهَنَا إِذَا نَحْنُ قَارِنًا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ ، نَحْنُ فِي حَالَةٍ تَصَوَّرُ حَقِيقَتَهَا فَقَطُّ يُشِيرُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَحْزَانَ .

كَيْفَ وَنَحْنُ إِذَا فَتَّسْنَا ثُمَّ فَتَّسْنَا لَا نَجِدُ قَلْبَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ الْأَخَاءِ التَّامِّ يَكُونُ الْجَارُ فِي نَهَايَةِ الْفَقْرِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ جَارُهُ الْمُثْرِي وَيَنْزِلُ

بِالْأَخِ الشَّقِيقِ أَوْ الْعَمِّ الشَّقِيقِ أَوْ نَحْوِهِمَا مَا يَنْزِلُ مِنَ الْكَوَارِثِ وَلَا أَثَرُ
لِنُزُولِهَا عِنْدَ أَخِيهِ وَلَا كَأَنَّهُ يَرَى تِلْكَ الْمَصَائِبَ الْفَادِحَةَ وَلَعَلَّكَ مُنْتَظِرٌ
الْجَوَابَ مَا هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ فَالِقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

فَأَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ الْيَوْمَ شُغْلٌ وَاحِدٌ هُوَ الْمَالُ شَغَلَهُمْ عَمَّا عَدَاهُ
وَأَنَسَاهُمْ كُلَّ مَا سِوَاهُ مَلَأَ الْقُلُوبَ حُبُّ هَذَا الْمَالِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي
الْقُلُوبِ مُتَسِّعٌ لِسِوَاهُ فَمِنْ أَجْلِهِ تُسْتَبَاحُ الْأَعْرَاضُ وَمِنْ أَجْلِهِ تُرَاقُ الدَّمَاءُ
وَمِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ الصِّفَا وَالْمُعَادَاةُ هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ أَفْعَالُ الْعِبَادِ
فِي هَذَا الزَّمَانِ .

فَالْقُلُوبُ فِي سُرُورٍ مَا دَامَ الْمَالُ سَالِمًا وَإِنْ انْهَارَ بِنَاءُ الشَّرَفِ وَالدِّينِ
وَالنُّفُوسُ فِي هُدُوءٍ وَطَمَائِينَةٍ مَا ابْتُعِدَ عَنِ الْمَالِ فَإِذَا قُرِبَ حَوْلُهُ هَاجُوا هَيَجَانِ
الْجَمَالِ وَهُمْ فِي تَوَاضُلٍ مَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلْمَالِ فَإِذَا تَعَرَّضَ لَهُ انْقَطَعَتِ الصَّلَاتُ
حَتَّى بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلَادٍ وَإِخْوَانٍ .

وهذا من ثمرات البخل قال بعضهم البخيل يستعجل الفقر الذي
هرب منه ويفوته الغنى الذي يطلبه فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب
حساب الأغنياء فالبخيل هو الوحيد الذي يستبشر ورثته بمرضه وموته وتجدده
ليله ونهاره مستغرق في جمع المال لا يفتر خوفًا من الفقر وهذا هو الفقر كما
قيل :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ خَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ
آخِر :

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدَعُ
كَدُودَةَ الْقَرَمِ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ
آخِر :

وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفِرًّا لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنِ حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيْسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

أَمَا عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمَالَ الَّذِي كَانَ بِأَيْدِينَا كَانَ قَبْلَنَا بِيَدِ إِخْوَانِنَا فِي
الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَى الدُّنْيَا ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ جَيْلٍ
إِلَى جَيْلٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَيْنَا سَعِدَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ مَرَاضِي اللَّهِ وَشَقِيَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ
فِي مَا يُغْضِبُ اللَّهَ .

وَلَعَلَّكَ يَا أَخِي تَتَكَدَّرُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيَنْتَقِلُ عَنْكَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ فَلَا
تَفْرُغَ وَلَا تَتَكَدَّرَ وَوَطْنَ نَفْسِكَ وَأَعْلَمَ أَنَّكَ وَاللَّهِ مَيِّتٌ وَمَوْرُوثٌ عَنْكَ مَا جَمَعْتَ
وَمَنَعْتَ رَغْمَ أَنْفِكَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ذَلِكَ الْوَارِثُ الْعَاقُ أَوْ الْبَارُ وَإِنَّتِ تُسْأَلُ عَنْهُ هَلَلَةٌ
وَقِرْشًا قِرْشًا .

وَتَكُونُ النَّتِيجَةُ إِنْ كُنْتَ جُمُوعًا مَنُوعًا شَقَاءَ تَسْتَعِثُ مِنْهُ فَلَا تُغَاثُ
وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا بِيَدِكَ وَافْتَدَيْتَ نَفْسَكَ بِهَا تَكُونُ النَّتِيجَةُ ذَلِكَ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمَغْرُورِينَ الْغَافِلِينَ لِذِينَ ظَنُّوا أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا تَيْسِيرُ جَمْعِ
الْمَالِ وَتَكْدِيسُهُ عِنْدَكَ آفَاءً وَمَلَائِينَ وَعَمَائِرَ وَفُلُلٍ وَأَرَاضِيٍّ وَبُيُوتٍ كَذَّابِ أَهْلِ
هَذَا الْعَصْرِ الْغَافِلِ الْمُظْلِمِ بِالْمَعَاصِيِّ وَالْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ .

الَّذِي اعْتَاَصَ أَهْلُهُ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْعُكُوفَ عَلَى الْجَرَائِدِ
حَمَّالَةَ الْكُذْبِ وَالْمَجَلَاتِ الْخَلِيعَاتِ وَالْكَتُبِ الْهَدَامَاتِ وَالْجُلُوسِ حَوْلَ الْمَلَاهِي
وَالْمُنْكَرَاتِ فَسَوْفَ تَنْدَمُ وَتَتَحَسَّرُ حِينَمَا يَنْكَشِفُ عَنْكَ الْغَطَا وَيَتَبَيَّنُ لَكَ ذَلِكَ
الْخَطَأُ وَتَتَمَنَّى أَنَّكَ أَمْضَيْتَ أَوْقَاتَكَ فِي طَاعَةِ مَوْلَاكَ وَهَيْهَاتَ أَنْ يَحْصَلَ لَكَ
مُنَاكَ ذَهَبَ الْآوَانَ وَيَقِي النَّدْمُ وَالْحَرِمَانُ .

قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوتَ وأخذوا من مكان قريب .
وقالوا آمنا به وأني لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون
بالغيب من مكان بعيد . وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم
من قبل إنهم كانوا في شكٍ مريبٍ ﴾ .

لَقَدْ أُنْسِيَ النَّاسَ حُبَّ هَذَا الْمَالِ مَا لَهُمْ مِنْ شَرَفٍ وَمُرُوءَةٍ وَدِينٍ

وَجَعَلَهُمْ حَوْلَ حُطَامِ الدُّنْيَا كَمَا وَصَفَهُمُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :
وَمَا هِيَ إِلَّا جِنْفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمَّهِنَّ اجْتِنَابُهَا
فَإِنْ مَجْتَنَبَهَا كُنْتَ سَلِمًا لِأَهْلِهَا وَإِنْ تَجْتَنَبَهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

أَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الْمَالَ مِنْ خَدَمِ الدِّينِ فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَانَ نَكْبَةً عَلَى
أَصْحَابِهِ وَكَذَاكَ الْأَوْلَادُ إِنْ كَانُوا غَيْرَ صَالِحِينَ فَهُمْ ضَرَّرَ عَلَى أَبِيهِمْ وَعَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ وَلِلذَلِكَ وَرَدَ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا وَمِنْ وَلَدٍ
يَكُونُ وِيَالًا وَمِنْ زَوْجَةٍ تُشِينِي قَبْلَ الْمَشِيبِ وَمِنْ خَلِيلٍ مَأْكِرٍ عَيْنُهُ تَرَعَانِي وَقَلْبُهُ
يَسْنَانِي إِنْ رَأَى خَيْرًا أَخْفَاهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَفْشَاهُ » .

وَقِيلَ إِنَّهُ سُئِلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْمَالِ فَقَالَ لَا خَيْرَ فِيهِ قِيلَ وَلَمْ
يَا نَبِيَّ اللَّهُ قَالَ لِأَنَّهُ يُجْمَعُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ قِيلَ فَاِنْ جُمِعَ مِنْ حِلٍّ قَالَ لَا يُؤَدِّي
حَقُّهُ قِيلَ فَاِنْ أَدَّى حَقَّهُ قَالَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ قِيلَ فَاِنْ سَلِمَ
قَالَ يُشْغَلُهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ قِيلَ فَاِنْ لَمْ يَشْغَلْهُ قَالَ يُطِيلُ عَلَيْهِ حِسَابُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

فَتَأْمَلْ هَذِهِ الْعَقَبَاتِ الْخَمْسَ وَقَلِيلٌ مَنْ يَتَجَاوَزُهَا سَالِمًا وَوَرَدَ عَنْ عَطَاءِ
بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ كَانَ بَيْنَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ فِي
الْمَسْجِدِ فَقَالَ عَمَّارٌ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا أَنْ لَا يُمِيتَكَ حَتَّى يُكْثِرَ
مَالَكَ وَوَلَدَكَ وَيُوطِئَ عَقَبَكَ وَوَرَدَ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « خِيَارُكُمْ
فِي الْمَائِتِينَ كُلِّ خَفِيفِ الْحَاذِّ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْخَفِيفُ الْحَاذُّ قَالَ :
« الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدٍ » .

شِعْرًا : يَقُولُ الَّذِي يَرْجُو مِنَ اللَّهِ عَفْوَهُ
وَيَرْجُوهُ نَصْرًا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ
لِمَنْ يَتَّقِي الْمَوْلَى وَيَرْجُو لِقَاءَهُ
وَعَمَّا يَقُولُ النَّاسُ لَيْسَ بِسَائِلٍ

أَقُولُ بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلًا مُنْقَحًا
وَلَوْ أَنَّ فَهْمِي قَاصِرٌ فِي الْمَسَائِلِ
عَلَيْهِ مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ شَوَاهِدُ
إِذَا قُلْتُهُ يَهْوِي لَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
أَسِيرٌ بِمَا بِي وَالْعِيُونُ عَوَابِرُ
يَدْمَعُ عَلَى الْخَدَّيْنِ ثَجًّا بِوَابِلِ
وَفِي مُدْعِيِ الْإِسْلَامِ قَلْبِي كَأَنَّهُ
عَلَى الْمُهْلِ مِنْهُمْ لَيْسَ عَنْهُمْ بِذَاهِلِ
فَمَا بَيْنَ دَهْرِي وَمَا بَيْنَ مُشْرِكِ
وَلَمْ يَعْرِفِ الْإِسْلَامَ غَيْرُ الْقَلَائِلِ
وَلَوْ بَدَلُوا الْأَمْوَالَ نَفْلًا لِرَبَّنَا
إِذَا الْفَرَضُ ضَاعَ لَاغْنَى بِالنَّوَابِلِ
تَرَكْنَا الْكِتَابَ وَالْحَدِيثَ وَرَاءَنَا
لِأَجْلِ مَجَلَاتِ أَتَتْ بِالتَّهَازُلِ
لَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَّا عَدُونَا
وَمَقْصُودُنَا مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِحَاصِلِ
مَشِينَا جَمِيعًا فِي فَسَادِ صَلَاحِنَا
وَرُمْنَا مَرَامًا خَاسِرًا غَيْرَ طَائِلِ
وَتَسْتَعْجِبُ الْأَعْدَاءُ مِنَّا لِأَنَّنا
كَمِثْلِ الْقَطَا تَصْطَادُنَا بِالْحَبَائِلِ
أَحَاطَتْ بِنَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
كَأَنَّا طَعَامٌ قَدُمُوهُ لِالْكَائِلِ

وَصَارُوا بِحَاراً يُغْرِقُ الْفُلَكَ مَوْجَهَا
 وَنَحْنُ لَهُمْ صِرْنَا كَمِثْلِ الْجَدَاوِلِ
 وَتَخْتَرِعُ الْأَعْدَاءُ لِلْحَرْبِ قُوَّةً
 وَقَدْ هَدَدَتْ مَنْ لَمْ يُطِغِ بِالْقَنَابِلِ
 وَلَيْسَ لَنَا مِنَّا زَعِيمٌ مُصَادِمٌ
 أَتَتْ تَتَمَطَّى مَا لَهَا مِنْ مُقَابِلِ
 وَنَحْنُ هَبَطْنَا لِلتَّرَابِ تَوَاضِعاً
 نُرِيدُ نَجَاحاً مِنْ خَفِيفِ الْقَسَاطِلِ
 « فِتْبَاءَ لِعِبَادِ الدَّنَانِيرِ كُلِّهِمْ
 وَتَبَاءَ لِحَبِّ جَاهِلٍ مُتَعَاقِلِ »
 وَتَبَاءَ لِعَبِيدِ مُشْرِكِ خَانَ رَبُّهُ
 وَضَيَّعَ دِيناً مَا لَهُ مِنْ مُمَائِلِ
 وَتَبَاءَ لِقَوْمٍ عَزَّ فِيهِمْ سَفِيهِهِمْ
 وَصَارَ ذَلِيلًا عِنْدَهُمْ كُلُّ فَاضِلِ
 وَمِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ عِزُّ عَدُوِّهِمْ
 وَذَلُّهُمْ مِنْ بَعْدِ بَسْرِ الْأَوَائِلِ
 فَيَا لَيْتَ لِلْإِسْلَامِ فِي الْحَالِ شَوْكَةٌ
 ذُؤُورًا نَجْدَةً يَخْشَاهُمْ كُلُّ جَاهِلِ
 رَجَالٌ يَرُونَ الْمَوْتَ مَجْدًا وَجُنَّةً
 عَنِ الدُّلِّ مِنْ فِعْلِ الصُّفُورِ الْحَلَاحِلِ
 تَدُودٌ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ بِسَيْفِهَا
 وَمِنْ أَرْضِهَا تَنْفِي جَمِيعِ الْأَرَادِلِ
 اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا وَحَقِّقْ بِالرِّيَادَةِ أَعْمَالَنَا وَاقْرِنْ بِالْعَافِيَةِ غُدُونَنَا

وَأَصَالَنَا وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَالَنَا وَاصْبُبْ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبِنَا
وَمَنْ بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادُنَا وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَاعْتِمَادُنَا إِلَهِنَا ثَبَّتْنَا عَلَى نَهْجِ الاستِقَامَةِ وَأَعَدَّنَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِمَّا حَثَّ الشَّارِعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ إِكْرَامُ الضَّيْفِ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ
بِعَجَلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ .

وَيُذَكَّرُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ طَعَامَهُ إِلَّا مَعَ ضَيْفٍ وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ خَرَجَ
يَلْتَمِسُ ضَيْفًا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ وَرَغَّبَ فِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ وَقَرَأَ الضَّيْفَ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَإِنَّ
لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَالْحَدِيثُ
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي مَجْهُودٌ فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَى الْآخَرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ
كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ .

فَقَالَ مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ قَالَتْ لَا إِلَّا قُوْتُ صِبْيَانِي قَالَ فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ فَإِذَا أَرَادُوا الْعِشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ وَارِيهِ أَنَا نَأْكُلُ .

وَفِي رِوَايَةٍ فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقَوْمِي إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ قَالَ فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيئِينَ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا زَادَ فِي رِوَايَةٍ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ .

وَعَنْ أَبِي شَرِيحٍ خُوَيْلِدِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ يَوْمَ وَلَيْلَتِهِ وَالضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَوَيَّرَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ رَوَاهُ مَالِكٌ وَابْنُ خَالِيٍّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرٍ قَرَأَهُ وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرَوَاتُهُ ثِقَاتٌ وَالْحَاكِمُ .

وَعَنْ شِهَابِ بْنِ عَبَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ وَفِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَهُمْ يَقُولُونَ قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشْتَدَّ فَرَحُهُمْ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ أَوْسَعُوا لَنَا فَقَعَدْنَا فَرَحَّبَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَا لَنَا .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَقَالَ مَنْ سَيِّدُكُمْ وَرَزِيعُكُمْ فَأَشْرْنَا جَمِيعًا إِلَى الْمُنْدَرِ بْنِ عَائِدٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَذَا الْأَشْجُ فَكَانَ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ عَلَيْهِ الْأَسْمُ لِضَرْبَةِ كَانَتْ فِي وَجْهِهِ بِحَافِرِ جِمَارٍ قُلْنَا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَتَخَلَّفَ بَعْدَ الْقَوْمِ فَعَقَلَ رَوَاهُ لَهُمْ وَضَمَّ مَتَاعَهُمْ .

ثُمَّ أَخْرَجَ عَيْتَهُ فَالْقَى عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ وَلَبَسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ بَسَطَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِجْلَهُ وَاتَّكَأَ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ الْأَشْجُ أَوْسَعَ الْقَوْمُ لَهُ وَقَالُوا هَاهُنَا يَا أَشْجُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَوَى قَاعِدًا وَقَبَضَ رِجْلَهُ هَهُنَا يَا أَشْجُ فَمَعَدَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ بِهِ وَالْطَّفَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ بِلَادِهِمْ وَسَمَّى لَهُمْ قَرْيَةَ الصَّفَا وَالْمَشْقَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قُرَى هَجَرَ .

فَقَالَ بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَعْلَمُ بِأَسْمَاءِ قُرَانَا مِنَّا فَقَالَ إِنِّي وَطِئْتُ بِلَادَكُمْ وَفَسِحَ لِي فِيهَا قَالَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَكْرَمُوا إِخْوَانَكُمْ فَانْتُمْ أَشْبَاهَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِكُمْ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا أَسْلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَلَا مُؤْتَوِرِينَ إِذَا أَبِي قَوْمٌ أَنْ يُسَلِّمُوا حَتَّى قَتَلُوا .

قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ كَيْفَ رَأَيْتُمْ كَرَامَةَ إِخْوَانِكُمْ وَضِيافَتَهُمْ إِيَّاكُمْ قَالُوا خَيْرَ إِخْوَانٍ الْأَنْوَا فُرْشَنَا وَأَطَابُوا مَطْعَمَنَا وَبَاتُوا وَأَصْبَحُوا يُعَلِّمُونَا كِتَابَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَعْجَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَفَرِحَ رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ يَكُونُ بِحُسْنِ اسْتِقْبَالِهِ وَيُقَابِلُهُ بِوَجْهِ طَلْقٍ وَيَهْشُ بِهِ وَيَهْشُ وَيُرْحَبُ بِهِ وَيُوَهَّلُ وَيُظْهِرُ لَهُ مِنَ السُّرُورِ مَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَطْمَئِنُّ بِهِ قَلْبُهُ مِنْ حُسْنِ حَدِيثِهِ مِمَّا يُنَاسِبُ حَالَهُ وَمَقَامَهُ وَابْتِسَامِهِ وَمُدَاعَبَةِ فِي حِسْمَةِ وَاحْتِرَامِهِ وَقَدِيمًا قِيلَ :

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا لَكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَزْمَتُهُ لَدَيْكَ الْمَسَالِكُ
فَكُنْ بِاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقِرَا عَجُولًا وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالَفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
«بَشَاشَةٌ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَا فَكَيْفَ بَمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ»

آخِر : أَمِتْ ذِكْرَ مَعْرُوفٍ تُرِيدُ حَيَاتَهُ
وَصَغْرَهُ يَعْظُمُ فِي النُّفُوسِ مَحَلُّهُ
آخِر : وَمَالِي وَجْهٌ فِي اللُّثَامِ وَلَا يَدُ
أَحِنُّ إِذَا لَاقَيْتُهُمْ وَكَأَنِّي
آخِر :

فَإِحْيَاؤُهُ حَقًّا إِمَانَةٌ ذَكَرَهُ
فَتَصَغِيرُهُ فِي النَّاسِ تَعْظِيمٌ قَدْرَهُ
وَلَكِنْ وَجْهِي لِلْكَرِيمِ عَرِيضٌ
إِذَا أَنَا لَاقَيْتَ اللَّئِيمَ مَرِيضٌ

وَمَا اكْتَسَبَ الْمَحَامِدَ طَالِبُوهَا
آخِر :

بِمِثْلِ الْبِشْرِ وَالْوَجْهِ الطَّلِيْقِ

وَمَا اكْتَسَبَ الْمَعَالِي طَالِبُوهَا
آخِر :

بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ الْجَلِيلُ

أَخُو الْبِشْرِ مُحَمَّدٌ عَلَى حُسْنِ بَشَرِهِ
آخِر :

وَلَنْ يَعْدِمَ الْبَغْضَاءُ مَنْ كَانَ عَابِسًا

يَقُولُونَ لِي هَلْ لِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
فَقُلْتُ لَهُمْ قَوْلًا صَحِيحًا مُحَقَّقًا
آخِر :

قَوَامٌ فِيهِ لَوْ عَلِمْتَ دَوَامَهَا
نَعَمْ طَاعَةُ الرَّحْمَنِ فَهِيَ قَوَامَهَا

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدُ مَنْ لَمْ يُخْلِصِ الْعَمَلَا
وَلَا يَنَالُ الْعُلَا إِلَّا الَّذِي شَرُفَتْ
وَقَالَ آخِر :

لِخَالِقِ الْخَلْقِ ذِي الْفَضْلِ الَّذِي شَمَلَا
أَخْلَاقُهُ وَالْإِمْرِ اللَّهُ مُمْتَثِلَا

جِيءَ بِالسَّاحِ إِذَا مَا جِئْتَ فِي غَرَضٍ
سَمَاحَةُ الْمَرْءِ تُنْبِي عَنْ فَضِيلَتِهِ
آخِر :

فِي الْعُبُوسِ لَدَى الْحَاجَاتِ تَصْعِيبُ
فَلَا يَكُنْ لَكَ مَهْمَا اسْطَعْتَ تَقْطِيبُ

أُضْحَاكُ ضَيْفِي قَبْلَ أَنْزَالِ رَحْلِهِ
وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى

وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيبُ
وَلَكِنَّمَا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

وَلَا يُرِيهِ مِنْ فَقْرِهِ وَسُوءِ حَالِهِ وَقِلَّةِ ذَاتِ الْيَدِ فَإِنَّهُ رَبِّمَا ضَاقَ بِذَلِكَ دَرْعًا
وَيَتَنَكَّدُ عَلَيْهِ الْمَقَامُ وَيَتَكَدَّرُ لِتِلْكَ الشُّكُوى ثُمَّ إِنْ كَانَ عَاقِلًا صَاحِبَ دِينٍ رَقَّ

لَهُ وَرَجِمَهُ وَقَدَّمَ مَا عِنْدَهُ لَهُ وَانْعَكَسَتْ الْمَسْأَلَةُ فَأَصْبَحَ ضَيْفًا عَلَيْهِ صَاحِبُ
الْمَنْزِلِ بَعْدَ أَنْ كَانَ ضَيْفًا لَهُ .

وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا غَيْرَ دِينٍ شَتَمَكَ وَذَمَّكَ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ سَاخِطًا يَقُولُ
مَا لَا يَنْبَغِي وَيَنْسِبُ إِلَيْكَ أَشْيَاءَ رَبِّمَا أَنْكَ بَرِيءٌ مِنْهَا وَلَا تَحْتَقِرْ مَا عِنْدَكَ بَلْ
قَدَّمَ لَهُ مَا تَيْسَّرَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ فَانْهَمَ كَانُوا يُقَدِّمُونَ لِلضَّيْفِ مَا يَجِدُونَهُ وَلَوْ كَانَ شَيْئًا سِيرًا وَيَقُولُونَ
هُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْعَدَمِ .

وَقَدْ دَخَلَ ضَيْفٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدَّمَ لَهُ
نِصْفَ رَغِيفٍ وَنِصْفَ خِيَارَةِ وَقَالَ لَهُ كُلْ فَإِنَّ الْحَلَالَ فِي هَذَا الزَّمَانِ لَا يَحْتَمِلُ
السَّرْفَ وَأَخْرَجَ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى ضَيْفٍ خُبْرًا وَمِلْحًا وَقَالَ لَوْلَا أَنْ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ نَهَانَا عَنِ التَّكْلِيفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكَ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
كَانَ يُعْجِبُهُمْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِمُ التَّمَرُ لِلزَّائِرِ وَالسَّائِلِ وَالْمُهْمُ أَنْ الْإِنْسَانَ لَا
يَبْخُلُ بِمَا تَيْسَّرَ ظَانًّا أَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِضَيْفِهِ وَأَنَّهَا لَا تَتِمُّ الضِّيَافَةُ بِهِ وَأَنَّهُ لَا يُذَكَّرُ
مَعَهُ بِخَيْرٍ فَخَيْرُهُ لَنْ يَقَالَ جَادَ بِمَا لَدَيْهِ مِنْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ أَغْلَقَ بَابَهُ وَغَيْبَ وَجْهَهُ
عَنْ ضَيْفٍ نَزَلَ بِهِ .

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفْرٌ مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ خُبْرًا وَخَلًّا فَقَالَ كُلُوا فَاثِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ « نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ » إِنَّهُ هَلَكَ بِالرَّجُلِ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ النَّفْرُ مِنْ
أَخْوَانِهِ فَيَحْتَقِرَ مَا فِي بَيْتِهِ أَنْ يُقَدِّمَهُ إِلَيْهِمْ وَهَلَكَ بِالْقَوْمِ أَنْ يَحْتَقِرُوا مَا قَدَّمَ
إِلَيْهِمْ وَفِي رِوَايَةٍ كَفَى بِالْمَرْءِ شَرًّا أَنْ يَحْتَقِرَ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَفِي رِوَايَةٍ كَفَى بِالْمَرْءِ
شَرًّا أَنْ يَحْتَقِرَ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَأْثَرَ بِخَيْرٍ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْبُرِّ وَاللَّحْمِ وَالسَّمْنِ وَالْعَسَلِ
وَالفَاكِهَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَيُقَدِّمُ لِضَيْفِهِ الرَّدِيءَ وَالْجَافَّ وَالنَّاشِفَ أَوْ مَا يَكْرَهُهُ هُوَ
وَأَهْلُهُ مِنَ رَدِيءِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْزَالُ الضَّيْفِ فِي بَيْتِهِ لِمَا فِيهِ

من الحرج والمشقة إلا أن لا يجِد الضيف مسجداً ولا رباطاً ولا محلاً فيه ولا يخاف منه ضرراً على نفسه أو ماله أو أهله فيلزم إنزاله في بيته للضرورة فإن خاف فلا يلزمه .

ويجوز للضيف الشرب من كوز صاحب البيت والاتكاء على وسادة موضوعة وقضاء حاجته في الصهريج أو الكنيف من غير استئذان باللفظ لأنه مأذون فيه عرفاً كقرع الباب عليه هذا إذ كان قريباً من محل الضيف وإلا فلا بد من تنبيه شعرا :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِي كَمَا لَاقَى مُجِيرٌ أُمَّ عَامِرٍ
سَقَاهَا وَرَوَّاهَا فَلَمَّا تَضَلَّعَتْ فَرْتُهُ بِأَثَابٍ لَهَا وَأَطَافِرِ
فَقُلْ لِنَدْوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوصِلُ مَعْرُوفاً إِلَى غَيْرِ شَاكِرِ
والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فَضْلٌ)

وَيُنْبَغِي أَنْ يُخْرَجَ مَعَ الضَّيْفِ إِذَا خَرَجَ وَيَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَيَحْفَظَ لَهُ دَابَّتَهُ وَمَتَاعَهُ وَيَقْضِي لَهُ حَاجَتَهُ وَيَحْمِلُ مَعَهُ مَا يَشْرِيهِ لِنَفْسِهِ وَيَسْعَى فِي تَسْهِيلِ الطَّرِيقِ لَهُ مَا أَمَكَنَ مِنْ مُسَاعَدَتِهِ عَلَى رُخْصَةِ أَمْتِعَتِهِ وَجَوَازِ سَفَرِهِ وَنَحْوِهِ .

وَيُنْبَغِي لِلضَّيْفِ أَنْ يَكُونَ خَفِيفَ النَّفْسِ لَطِيفاً يَفْهَمُ بِالْإِشَارَةِ ، يَبَاشِرُ أَعْمَالَهُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَكْلَفُ مُضِيفَهُ وَيُسْغِلُهُ عَنْ شُؤْنِهِ وَلَا يَكْلَفُهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَلَا يَتَأَفَّفُ وَيَتَكَرَّهُ مِنْ طَعَامٍ قُدِّمَ إِلَيْهِ وَلَا يَتَرَفَّعُ عَنْ مَكَانٍ أُعِدَّ لَهُ وَأَنْزَلَ فِيهِ وَلَا يَعِيبُ شَيْئاً مِمَّا يَرَاهُ وَيَغْضُ بَصَرَهُ وَيَكْفُ سَمْعَهُ وَلَا يَتَجَسَّسُ أَخْبَارَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَا يَتَحَكَّمُ بِالْحَاشِيَةِ وَالْأَطْفَالِ وَالْخَدَمِ .

وَلَا يُطِيلُ الْإِقَامَةَ حَتَّى يُخْرَجَ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ كَمَا يَفْعَلُهُ الثَّقَلَاءُ وَلَا يَقُولُ

إِلَّا خَيْرًا وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا فِعْلَ الْكِرَامِ الَّذِينَ يَشْكُرُونَ الصَّنِيعَ وَيُكَافِئُونَ عَلَى
الْإِحْسَانِ وَعَلَى الْمُضِيفِ أَنْ يَحْتَسِبَ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ الْمَعْرُوفِ وَيَعْتَنِمَ
مِثْلَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَلَا يَأَلُ جُهْدًا فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مَهْمَا أَمَكْنَهُ ذَلِكَ فَقَدْ
قَالَ ﷺ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا
يُزْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرٌ مَنْ كَفَرَهُ فَقَدْ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ بِأَضْعَافِ جُحُودِ الْكَافِرِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
أَخْر :

إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ إِحْسَانٌ تَجُودُ بِهِ فَجُدْ بِجَاهِكَ إِنْ الْجَاهُ إِحْسَانٌ
أَخْر :

وَمَا نِعْمَةٌ مَشْكُورَةٌ قَدْ صَنَعْتُهَا إِلَى غَيْرِ ذِي شُكْرٍ بِهَانِعِي أُخْرَى
سَاتِي جَمِيلًا مَا حَيِّتُ فَإِنِّي إِذَا لَمْ أَفِدْ شُكْرًا أَفَدْتُ بِهِ أَجْرًا

قَالُوا وَيَبْغِي لِمَنْ قَدَرَ عَلَى اسْدَائِهِ لِلْمَعْرُوفِ أَنْ يُعَجِّلَهُ حَذْرًا مِنْ فَوَاتِهِ
وَيُبَادِرَ بِهِ خَيْفَةَ عَجْزِهِ وَيَتَحَرَّى الْأَخْيَارَ الْكِرَامَ كَمَا يَتَحَرَّى لِزِرَاعَتِهِ الرِّبَاضَ
الطَّيِّبَةَ وَلِيَحْذَرُ مِنْ بَدْرِ الْمَعْرُوفِ بِاللَّثَامِ الْأَنْدَالَ فَإِنَّهُمْ كَالْأَرْضِ السَّبِيخَةِ تُمَرُّ
الْمَاءَ الْعَذْبَ وَتُفْسِدُ الْبَدْرَ وَلَا تَأْمَنُ مِنْهُمْ أَنْ يَنَالَكَ جَزَاءُ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِمْ سُوءًا
وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَلَا تَصْطَنِعْ إِلَّا الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ يُجَازُونَ بِالنِّعْمَاءِ مَنْ كَانَ مُنْعَمًا
وَمَنْ يَتَّخِذُ عِنْدَ اللَّثَامِ صَنِيعَةً يَظَلُّ عَلَى آثَارِهَا مُتَنَدِّمًا
أَخْر :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْأُمُورَ حُقُوقَهَا وَتُوقِعَ حُكْمَ الْعَدْلِ أَحْسَنَ مَوْقِعِهِ
فَلَا تَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَظَلْمَكَ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
أَخْر : لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ عَنِ الثَّنَاءِ وَإِنْ أَعْلَى بِهِ الثَّنَا
إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ يَقْضُدُ رِضَى رَبِّهِ لَا يَتَّبِعِي ثَمْنَا
وَلَا يُرِيدُ بِيَدْلِ الْعُرْفِ مَحْمَدَةً وَلَا يَمُنُّ إِذَا مَا قَلَّدَ الْمِنَّا

آخر : كَمْ طَامِعٍ بِالثَّنَا مِنْ غَيْرِ بَدَلٍ يَدِ
وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا رَجُلًا
آخر :

إذا كُنْتُمْ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ قَادَةً
وَسُوسُوا لِثَامِ النَّاسِ بِالذُّلِّ وَحَدِّهِ

آخر : أَمْرٌ وَأَمْضَى مِنْ سُومِ الْأَرَاقِمِ
وَقُوفٌ فَتَى حُرِّ تَقِي مَهْدَبِ
أَلَا إِنَّ قَصْدَ الْحُرِّ لِلذُّلِّ هُجْنَةٌ

آخر : مَتَى تَحْمَدُ صَدِيقَ السُّوءِ فَاعْلَمْ
كَطْفَلٍ رَاقَةَ تَرْقِيشُ صِلَ

آخر : مَتَى تُسَدِّ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ
آخر : مَدَحْتَكُمْ طَعْمًا فِيمَا أُوْمَلُّهُ

إِنْ لَمْ تَكُنْ صِلَةً مِنْكُمْ لِذِي آدَبِ
آخر : وَاخْشِ الْأَدَى عِنْدَ أَكْرَامِ اللَّيْمِ كَمَا

وقال آخر :

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرِغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ
فَوْضِعَ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا

آخر : إِذَا افْتَقَرَ الْكَرِيمُ فَمَلْ إِلَيْهِ
وَإِنْ أَثْرَى اللَّيْمُ فَصُدَّ عَنْهُ

آخر : إِذَا مَا أَتَيْنَاهُ فِي حَاجَةٍ
لَهُ حَاجِبٌ دُونَهُ حَاجِبٌ

النَّاسِ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْحَيَاةُ بِهِمْ

وَمُشْتَهٍ حَمْدَهُ لَكِنْ بِمَجَانٍ
حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ هُ آثَارَ إِحْسَانٍ

فَسُوسُوا كِرَامَ النَّاسِ بِالْحِلْمِ وَالْعَدْلِ
صَرِيحًا فَإِنَّ الذُّلَّ أَصْلَحُ لِلذُّلِّ

وَأَوْجَعُ مِنْ ضَرْبِ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
عَلَى بَابِ نَذْلِ لِإِزْتِيَادِ الْمُطَاعِمِ

عَلَيْهِ وَلَوْ أَعْطَاهُ مُلْكُ الْأَعَاجِمِ
بِأَنَّكَ بَعْدَ مَحْمَدَةَ تَذُمَّهُ

فَلَمَّا مَسَّهُ أَرْذَاهُ سَمَّهُهُ
رُزْنَتْ وَلَمْ تَنْظُرْ بِحَمْدِ وَلَا أَجْرِ

فَلَمْ أَنْلِ غَيْرَ حَظِّ الْأَنْمِ وَالتَّعَبِ
فَأَجْرَةُ الْخَطِّ أَوْ كَفَّارَةُ الْكَلْبِ

تُخْشَى الْأَدَى إِنْ أَهَنْتَ الْحُرَّ ذَا النُّبْلِ

تَصَيْدُهُ الضَّرِغَامُ فِيمَا تَصَيْدًا
وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يُحْفَظُ الْيَدَا

وَإِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَمَرَّدَا
مُضِرُّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

فَشَمُّ الْوَرْدِ بَعْدَ الْقَطْفِ عَادَهُ
فَيَبُتُّ الْمَاءُ تَفْسِيدُهُ الزِّيَادَةَ

رَفَعْنَا الرَّقَاعَ لَهُ بِالْقَصَبِ
وَحَاجِبٌ حَاجِبِهِ يَحْتَجِبُ

وَالسَّعْدُ لَا شَكَّ تَارَاتُ وَتَارَاتُ

وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ
لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالسَّعْدُ تَارَاتُ
وَأَشْكُرُ فَضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جُعِلْتُ إِلَيْكَ لَا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَ مَكَارِمُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ

وَلَا يَهْمِلُهُ ثِقَةٌ مِنْهُ بَطْنُ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَكَمْ مِنْ وَائِقٍ بِالْقُدْرَةِ فَاتَتْ
فَأَعْقَبَتْ نَدْمًا وَكَمْ مِنْ مَعُولٍ عَلَى مُكْنَةٍ فَأَوْرَثَتْ خَجَلًا كَمَا قِيلَ :

مَا زِلْتُ أَسْمَعُ كَمَّ مِنْ وَائِقٍ خَجَلٍ حَتَّى ابْتَلَيْتُ فَكُنْتُ الْوَائِقِ الْخَجَلِ

وَلَوْ فَطِنَ لِنَوَائِبِ دَهْرِهِ وَتَحَفَّظَ مِنْ عَوَاقِبِ أَمْرِهِ لَكَانَتْ مَغَانِمُهُ مَذْخُورَةً
وَمَغَارِمُهُ مُحْبُورَةً فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَنْ فَتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ مِنَ الْخَيْرِ
فَلَيْسَتْ هُزُهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةٌ
وَتَمَرَةٌ الْمَعْرُوفِ السَّرَاحِ ، أَيْ التَّعْجِيلِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ أَخَّرَ الْفُرْصَةَ عَنْ
وَقْتِهَا فَلْيَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ قُوَّتِهَا .

شعرا : جُودُ الْكَرِيمِ إِذَا مَا كَانَ عَنْ عِدَّةٍ وَقَدْ تَأَخَّرَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْكَدْرِ
إِنَّ السَّحَابَ لَا تُجِدِّي بَوَارِفُهَا نَفْعًا إِذَا هِيَ لَمْ تُطْمَحِرْ عَلَى الْأَثْرِ
يَا دَوْحَةَ الْجُودِ لَا عَتَبُ عَلَى رَجُلٍ يَهْزُهَا وَهُوَ مُحْتَاخٌ إِلَى الثَّمْرِ

شعرا : إِنَّ الْعَطِيَّةَ رُبَّمَا أَرَى بِهَا عِنْدَ الَّذِي تُقْضَى لَهُ تَطْوِيلُهَا
فَإِذَا ضِمْنَتْ لِصَاحِبٍ لَكَ حَاجَةٌ فَاعْلَمْ بِأَنَّ تَمَامَهَا تَعْجِيلُهَا
آخِر : إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُكْ فَاعْتَنِمَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ

وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا فَمَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ

آخِر :

أَحْسِنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
فَعَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يُسَاعِدَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ عَلَى فِعْلِ مَعْرُوفٍ أَوْ دَفْعِ
مِلْمَةٍ بِمَالِهِ وَجَاهِهِ وَلَا يَقْتَدِي بِمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ لَا فِي جَاهٍ وَلَا مَالٍ يَهْمُهُ إِلَّا نَفْسُهُ

نفسه فقط قال الشاعر :

إِذَا كُنْتَ لَا تُرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ ولم يَكُ لِلْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ مَوْضِعُ
وَلَا أَنْتَ ذُو جَاهٍ يُعَاشِ بِرَثِيهِ وَلَا أَنْتَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَشْفَعُ
فَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا وَمَوْتُكَ وَاحِدٌ وَعُودٌ خِلَالٍ مِنْ حَيَاتِكَ أَنْفَعُ

وَلِيَحْرَضَ فَاعِلُ الْمَعْرُوفِ عَلَى ضَيْفٍ أَوْ غَيْرِهِ عَلَى مَجَانِبَةِ الْأَمْتِنَانِ وَتَرَكَ
الْإِعْجَابَ بِفَعْلِهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ اسْقَاطِ الشُّكْرِ وَأَحْبَابِ الْأَجْرِ فَانَّهُ قَدْ رَوَى
عَنِ الْمُصْطَفَى عليه السلام أَنَّهُ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْأَمْتِنَانِ بِالْمَعْرُوفِ فَانَّهُ يُبْطِلُ الشُّكْرَ وَيَمْحَقُ
الْأَجْرَ ثُمَّ تَلَا عليه السلام آيَةَ الْبَقَرَةِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ
وَالْأَذَى ﴾ فَلَمَّا نَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ غَيْرُ مَحْمُودٍ فِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خِلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا

وَقَالَ الْعَبَّاسُ لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ تَعْجِيلُهُ وَتَضْعِيفُهُ
وَسِتْرُهُ فَأِذَا عَجَّلْتَهُ هَنَأَتْهُ وَإِذَا صَغَّرْتَهُ عَظَّمْتَهُ وَإِذَا سَتَرْتَهُ تَمَمْتَهُ عَلَى أَنْ سَتَرَ
الْمَعْرُوفِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ ظُهُورِهِ وَأَبْلَغِ دَوَاعِي نَشْرِهِ لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ
مِنْ أَظْهَارِ مَا خَفِيَ وَإِعْلَانِ مَا كَتَمَ قَالَ الشَّاعِرُ :

خَلُّ إِذَا جِئْتَهُ يَوْمًا لِتَسْأَلَهُ أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَّاهُ وَاعْتَذَرَا
يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُهَا إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَا
آخر :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْأَيَّامَ عَنْ خَيْرٍ هُمَا يُبْشِرَانِكَ الْأَخْبَارَ تَطْفِيلًا
وَلَا تُعَاتِبْ عَلَى نَقْصِ الطَّبَاعِ أَخَا فَإِنَّ بَدْرَ السَّمَاءِ لَمْ يُعْطَ تَكْمِيلًا
شعرا :

إِذَا الْمَرْءُ أَبَدَى الْخَيْرَ مُكْتَمًا لَهُ فَلَا بُدَّ أَنْ الْخَيْرَ يَوْمًا سَيَظْهَرُ
وَيُكْسَى رِدَاءً بِالذِّي هُوَ عَامِلٌ كَمَا يَلْبَسُ الثَّوْبَ النَّقِيُّ الْمُشَهَّرُ
آخر :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تُخْفِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لأَوْلِيائِكَ وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ
 الْيَسِيرَ مِنَّا وَاجْعَلْنَا يَامُولَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(مَوْعِظَةٌ)

عِبَادَ اللهِ إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَاتِ عِنْدَكُمْ ، مَطْلُوبٌ ، مِنْكُمْ
 أَنْ تُؤَدُّوْهَا وَتُقِيمُوْهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى
 وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فَاللَّهُ
 سَبْحَانَهُ أَمَرَنَا بِالمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا وَالْقِيَامِ فِيهَا خَاشِعِينَ خَاضِعِينَ
 لجلالته وَعَظَمَتِهِ ، وَجَعَلَهَا طَرِيقَ الفُوزِ وَالسَّعَادَةِ فِي العَاجِلِ وَالآجِلِ قَالَ
 تَعَالَى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ .

ذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ الكَامِلَةَ تُبَيِّرُ القَلْبَ وَتُهَذِّبُ النَفْسَ وَتَعْلَمُ العَبْدَ آدَابَ
 العُبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَوَاجِبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بِمَا تَغْرِسُهُ فِي قَلْبِ العَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ اجْلالِ
 اللهِ وَتَعْظِيمِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، وَالتَّحْلِيَّ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ كَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالقَنَاعَةِ
 وَالوَفَاءِ وَالجَلْمِ وَالْحَيَاءِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْعَدْلِ وَالصَّبْرِ وَالإِحْسَانَ .

وَتُوجِّهُهُ إِلَى مَوْلَاهُ ، فَتَكْثُرُ لَهُ مُرَاقِبَتُهُ وَخِدْمَتُهُ حَتَّى تَعْلُو بِذَلِكَ هِمَّتُهُ ،
 وَتَقْوَى عَزِيمَتُهُ وَتَزْكُو نَفْسُهُ ، فَيَتَّعِدُ عَنِ الكَذِبِ وَالخِيَانَةِ ، وَالْأَيْمَانِ الكَاذِبَةِ ،
 وَالشَّرِّ وَالغَدْرِ وَالغَضَبِ وَالكِبْرِ وَالرِّيَاءِ ، وَيَتَرَفَّعُ عَنِ البَغْيِ وَالْعُدْوَانِ ، وَذَنَاءَةِ
 الفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ وَالفَسَادِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ .

فَبِالمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ تَقْوَى النَفْسُ عَلَى اِحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ ، وَتَثْبُتُ
 عِنْدَ نَزْوَلِ البَلَايَا وَالْمِحَنِ ، وَيَسْهَلُ عَلَيْهِ البَدَلُ حَالَةَ الغِنَى وَالْيَسَارِ ، قَالَ اللهُ

تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ .

شعرا :

إِذَا أَلْهِمَ الْإِنْسَانُ ذِكْرًا لِرَبِّهِ وَكَانَ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ اللَّهُ آتِيًا
فَهَذَا الْفَتَى لَا مَنْ يَكُونُ مُضْطَبًّا لِأَمْرِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَالِيًا

ثُمَّ انظُرُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ مَاذَا كَانَ مِنْ آثَارِ تَرْكِ الصَّلَاةِ ، كَانَ مِنْ آثَارِهِ كَثْرَةُ
الشَّرِّ وَوَسَائِلِ الشَّرِّ ، وَانْتِشَارِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ ، مِنْ سُفُورِ وَأَلَاتِ لَهْوٍ
وَحَلْقِ لِحَى عَلْنَاً وَشُرْبِ دُخَانِ عَلْنَاً وَصُورِ مُجَسَّدَةٍ وَغَيْرِ مُجَسَّدَةٍ ، وَغَشِّ
وَتَدْلِيسِ وَرَبَا وَعُقُوقِ وَالِدَيْنِ وَقَطِيعَةِ رَجْمِ وَشَهَادَةِ زُورٍ وَقَذْفِ وَلَعْنِ وَغَيْبَةِ
وَنَمِيمَةٍ وَأَغَانِي مِنْ مَذْيَاعٍ وَفَدْيُوٍ وَتَلْفِيزِيُونَ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ الْمُحْرَمَةِ

وَتَشْبِهِ بِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ بِجَعْلِ خَنَافِسَ وَأَسْبَالٍ ثَوْبٍ وَجَعْلِ سَنَبَاتٍ
مَعَ حَلْقِ لِحْيَةٍ ، وَتَشْبِهِ بِالنِّسَاءِ وَمُعَازَلَةِ لَهْوٍ وَتَسْمِيَةِ لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ بِسَيْدٍ
وَمُعَلِّمٍ وَأَسْتَاذٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَقْشَعُرُ مِنْهُ جِلْدُ الْمُسْلِمِ وَتَفْتَتْ لَهُ كَبْدُهُ فَإِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ
الْوَكِيلُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الْأَمَانَةَ مِنَ
الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَأَصْلٌ مِنَ أَصُولِ الدِّيَانَاتِ ، وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ لِلْمُجْتَمَعِ
الْإِنْسَانِيِّ ، لَا فَرْقَ بَيْنَ حَاكِمٍ وَمُوظَّفٍ وَصَانِعٍ وَتَاجِرٍ وَزَارِعٍ وَلَا بَيْنَ غَنِيِّ
وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، فَهِيَ شَرَفُ الْغَنِيِّ وَفَخْرُ الْفَقِيرِ وَوَاجِبُ الْمُوظَّفِ وَرَأْسُ مَالِ
التَّاجِرِ وَسَبَبُ شَهْرَةِ الصَّانِعِ ، وَسِرُّ نَجَاحِ الْعَامِلِ وَالزَّارِعِ ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ
تَقَدَّمَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَصْدَرُ كُلِّ سَعَادَةٍ وَنَجَاحٍ بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَلَيْسَتْ الْأَمَانَةُ مَقْصُورَةً عَلَى الْوَدَائِعِ الَّتِي تُؤْمَنُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ غَالٍ

وَتَمِيمِينَ كَالنَّقْدِيِّينَ وَمَا نَابَ عَنْهُمَا مِنْ أَوْرَاقٍ ، وَكَالْجَوَاهِرِ وَالْحُلِيِّ وَالْأَمْوَالِ .
بَلِ الْإِمَانَةُ أَوْسَعُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ ، فَهِيَ عَمَلٌ لِكُلِّ مَا لِلَّهِ فِيهِ طَاعَةٌ ، وَامْتِثَالٌ
وَاجْتِنَابُ كُلِّ مَا لِلَّهِ فِيهِ مُخَالَفَةٌ وَعِصْيَانٌ ، سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَوْ
فِي مُعَامَلَةِ عِبَادِهِ .

فَالصَّلَاةُ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ مَطْلُوبٌ مِنْكَ أَنْ تُؤَدِّيَهَا فِي وَقْتِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ عُدْرٌ
شَرْعِيٌّ كَامِلَةٌ غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ مُسْتَوْفِيَةٍ لِفَرَائِضِهَا وَأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَسُنَنِهَا وَأَدَائِهَا
بِقَلْبٍ مَمْلُوءٍ مِنَ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ ، وَجَسْمٍ مَمْلُوءٍ مِنَ الطَّمَأِينَةِ
وَالْأَتْرَانِ .

وَالزَّكَاةُ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ مَطْلُوبٌ مِنْكَ أَنْ تُؤَدِّيَهَا فِي وَقْتِهَا كَامِلَةٌ غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ
إِذَا اجْتَمَعَتِ الشُّرُوطُ ، طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُكَ لِكَيْ تُطَهَّرَ مَالُكَ وَتُرَكَّبَ نَفْسُكَ وَتَبْرَأَ
مِنْهَا ذِمَّتُكَ وَتَسْلَمَ مِنْ عُقُوبَتِهَا .

وَالصِّيَامُ أَمَانَةٌ ، مَطْلُوبٌ أَنْ تَصُومَ وَأَنْ تَصُومَ صِيَامَكَ عَنْ مَا يُفْسِدُهُ ،
وَأَنْ تَتَحَرَّى الْحَلَالَ لِلسُّحُورِ وَالْفُطُورِ ، وَأَنْ لَا يُفَكِّرَ عَقْلُكَ إِلَّا فِي خَيْرٍ وَلَا
يَنْطِقَ لِسَانُكَ إِلَّا حَسَنًا ، وَلَا تَسْمَعَ أُذُنُكَ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا تَنْظُرَ عَيْنُكَ إِلَّا مُبَاحًا وَلَا
تَمُدَّ يَدُكَ إِلَّا إِلَى إِصْلَاحٍ وَلَا يَسْعَى قَدَمُكَ إِلَّا إِلَى طَاعَةٍ وَمَعْرُوفٍ .

وَالْحَجُّ أَمَانَةٌ لِلَّهِ فِي عُقُوبَتِكَ إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ تَوَفَّرَتْ لَدَيْهِ الشُّرُوطُ وَهِيَ
الإِسْلَامُ وَالْحُرِّيَّةُ وَالْبُلُوغُ وَالْعَقْلُ وَالِاسْتِطَاعَةُ ، وَتَزِيدُ الْمَرْأَةَ شَرْطًا سَادِسًا
وَهُوَ وُجُودُ مَحْرَمٍ لَهَا ، وَتُؤَدِّي مَا عَلَيْكَ مِنْ حُقُوقٍ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ .

وَتَنْظُرُ ذَلِكَ الْمَالُ الَّذِي سَتَحُجُّ بِهِ أَهْوَ حَلَالٌ أَمْ حَرَامٌ ، وَهَلْ جَمَعْتَهُ مِنْ
عَرَقِ جَبِينِكَ أَوْ إِرْتَا أَوْ مِنْ دِمَاءِ النَّاسِ وَسَرِقَةٍ مَا لَهُمْ بِغَشٍّ وَنَحْوِهِ ، وَهَلْ تُرِيدُ
حَجَّ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ أَوْ آتِبْغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ ، وَالْمَهْمُ أَنْ تُفْتَشَّ عَلَى نَفْسِكَ قَبْلَ
الْعَمَلِ لِقَلَّا تَخْسَرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .

وَبِقَدْرِ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُقَصِّرًا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ يَكُونُ غَيْرَ
مُوفٍ لِأَمَانَتِهِ تَمَامًا ، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَفِي كُلِّ نَظْرَةٍ

وَلَفْتَةٍ فِي كُلِّ إِشَارَةٍ وَعِبَادَةٍ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ أَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَانَكَ
 أَمَانَةً عِنْدَكَ إِنْ حَفِظْتَهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالسُّخْرِيَةِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ
 وَالْقَذْفِ وَالْفُحْشِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا نَهَى عَنْهُ الشَّرْعُ وَاسْتَعْمَلْتَهُ فِي تِلَاوَةِ كَلَامِ
 اللَّهِ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، فَقَدْ حَفِظْتَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ
 وَالْأَذْنَ أَمَانَةً ، إِنْ جَنَّبْتَهَا اسْتِمَاعَ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْمَلَاهِيِ
 وَالْغِنَاءِ وَكَلَامِ مَنْ لَا يَرْضُونَ بِاسْتِمَاعِكَ وَيَكْرَهُونَ ذَلِكَ ، وَاسْتَعْمَلْتَهَا فِي
 اسْتِمَاعِ مَا يَعُودُ نَفْعُهُ إِلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَدْ حَفِظْتَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ .
 وَرَجُلُكَ أَمَانَةً عِنْدَكَ إِنْ اسْتَعْمَلْتَهَا بِالْمَشْيِ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ،
 وَحَجَزْتَهَا عَنِ السَّيْرِ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ حَفِظْتَهَا .

وَكَذَلِكَ الْفَرْجُ إِنْ جَنَّبْتَهُ الزُّنَا وَاللُّوَاطِ وَالْإِسْتِمْنَاءَ بِالْيَدِ وَكُلَّ مَا نَهَى اللَّهُ
 عَنْهُ ، وَاسْتَعْمَلْتَهُ فِيمَا أَبَاحَهُ لَكَ الشَّرْعُ فَقَدْ حَفِظْتَهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ
 هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
 مَلُومِينَ ، فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاولئك هُمُ الْعَادُونَ ﴾ .

وَكَذَلِكَ الْعَقْلُ إِنْ اسْتَعْمَلْتَهُ فِيمَا يَعُودُ عَلَيْكَ بِالسَّعَادَةِ دُنْيَا وَآخِرَىٰ وَلَمْ
 تَسْتَعْمِلْهُ فِي الْمَكْرِ وَالذَّهَاءِ وَخِدَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَيْدِ لَهُمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَقَدْ
 حَفِظْتَهُ .

وَمِنْ مَعَانِي الْأَمَانَةِ وَضَعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَكَانِهِ اللَّائِقِ بِهِ وَالْجَدِيرُ لَهُ فَلَا
 يُسْنَدُ مَنْصِبٌ إِلَّا لِمَنْ تَرَفَعَهُ كِفَايَتُهُ لَهُ ، أَمَا مَنْ يَعْجُزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ فَلَا يَجُوزُ
 اسْتِنَادُهُ إِلَيْهِ ، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْإِلَهِ الْأَلَى
 تَسْتَعْمِلُنِي ، قَالَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ،
 وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي
 عَلَيْهِ فِيهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ تَمُرُّ الْحَيَاةُ بِأَحْدَانَا وَهُوَ مِنْهُمْ كُفٌّ فِي مَلَذَاتِهِ وَشَهَوَاتِهِ

وَمَطَامِعِهِ ، لَا يُفَكِّرُ فِي مَالِهِ وَلَا فِي يَوْمِ حِسَابِهِ وَكَأَنَّهُ خَالِدٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَمُوتُ أَبَدًا ، أَوْ كَأَنَّ عِنْدَهُ يَقِينٌ أَنَّهُ لَا يُحَاسِبُ عَلَى مَا جَنَاهُ .

وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّهُ لَا يَمُرُّ يَوْمٌ بَلْ وَلَا سَاعَةٌ إِلَّا وَفِي ذَلِكَ نَذِيرٌ لِابْنِ آدَمَ بِالرَّحِيلِ عَنِ هَذِهِ الدَّارِ ، يُشَاهِدُ الْمَوْتَ يَتَخَطَّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِ فَلَا يَزْدَجِرُ ، وَتَقُومُ الْحَوَادِثُ الْجِسَامُ مِنْ حُرُوبٍ تُفْنِي آفَافًا مِنَ الْبَشَرِ وَتُهَدِّدُ الْأَحْيَاءَ بِالِالْتِحَاقِ بِمَنْ مَاتَ ، وَبِالْمَجَاعَاتِ وَالْخَرَابِ ، فَلَا يَتَعِظُ وَلَا يَتَعَبَّرُ .

وَيَرَى الْحَرَائِقَ مَا بَيْنَ آوِنَةٍ وَآوِنَةٍ تُتْلِفُ النُّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ وَالْمَسَاكِينَ ، وَكَيْفَ تَكُونُ جَالَةَ النَّاسِ وَمَطَامِعِهِمْ ، فَلَا يَذْكُرُ جَهَنَّمَ وَأَهْوَالَهَا وَأَنْكَالَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي لَا تَضْمُدُ لَهُ الْجِبَالُ الصُّمَّ الصَّلَابُ ، قَسَتْ الْقُلُوبُ ، وَتَحَجَّرَتِ الضَّمَائِرُ ، (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ ، دُنْيَاكُمْ دَارُ غُرُورٍ وَهَمُومٍ وَأَحْزَانٍ ، وَهِيَ بِلَا شَكٍّ فَانِيَةٌ ، وَأَخْرَاكُمْ دَارُ قَرَارٍ بَاقِيَةٌ ، وَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ وَالتَّقْوَى مِفْتَاحُ السَّعَادَتَيْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ، ضَمَانُ ضَمِنَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ ، وَوَعْدٌ لَا يَتَخَلَّفُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أَمَّا الْمَعَاصِي وَالْغَفْلَةُ وَالنُّسْيَانُ وَالطُّغْيَانُ ، فَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا ضَنْكُ الْمَعِيشَةِ فِي الدُّنْيَا بِالْهَمُومِ الْمَبْرَحَةِ وَالْأَحْزَانِ الْمَجْرَحَةِ مَعَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ الْآيَاتِ .

أَيُّهَا الْعَاقِلُونَ كُلُّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْغَفْلَةَ تُنْسِي الْعَبْدَ رَبَّهُ وَآخِرَتَهُ ، وَمَنْ نَسِيَ رَبَّهُ أَنْسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ، فَلَا تَعْرَضُوا بِذَلِكَ لِسَخِطِهِ وَكُونُوا دَائِمًا ذَاكِرِينَ لِلْآخِرَةِ ، فَإِنَّ

ذَلِكَ يَبْعَثُ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، وَمَنْ خَافَ رَبَّهُ اسْتَقَامَ بِأَذْنِ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ
تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

شِعْرًا : وَصِيَّتِي لَكَ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْكُنَ الْعَالِي مِنْ الرَّتَبِ

وَتُدْرِكَ السَّبْقَ وَالْغَايَاتِ تَبْلُغَهَا

مُهْنًا بِمَنَالِ الْقَصْدِ وَالْأَدَبِ

تَقْوَى الْإِلَهِ الَّذِي تُرْجَى مَرَاجِمُهُ

الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْكَشَّافُ لِلْكَرْبِ

الزَّمْ فَرَائِضُهُ وَأَتْرَكَ مَحَارِمَهُ

وَأَقْطَعَ لِيَالِيكَ وَالْأَيَّامَ فِي الْقُرْبِ

وَأَشْعِرِ الْقَلْبَ خَوْفًا لَا يُفَارِقُهُ

مِنْ رَبِّهِ مَعَهُ مِثْلُ مَنْ الرِّعَابِ

وَزَيَّنِ الْقَلْبَ بِالْأَخْلَاصِ مُجْتَهِدًا

وَأَعْلَمَ بَأَنَّ الرَّيَا يُلْقِيكَ فِي الْبَعْطِ

وَنَقَّ جَيْبِكَ مِنْ كُلِّ الْعُيُوبِ وَلَا

تَدْخُلْ مَدَاجِلَ أَهْلِ الْفِسْقِ وَالرِّيْبِ

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ طَعْنِ عَلَى أَحَدٍ

مِنْ الْعِبَادِ وَمِنْ نَقْلِ وَمِنْ كَذِبِ

وَكُنْ وَقُورًا خَشُوعًا غَيْرَ مُنْهَمِكٍ

فِي اللَّهْوِ وَالضَّحْكِ وَالْأَفْرَاحِ وَاللَّعِبِ

وَنَزِهِ الصَّدْرَ مِنْ غِشٍّ وَمِنْ حَسَدِ

وَجَانِبِ الْكِبَرِ يَا مُسْكِينُ وَالْعُجْبِ

وَارْضَ التَّوَّاصِعَ خُلُقًا إِنَّهُ خُلُقُ الْ
 أُخْيَارِ فَاقْتَدِ بِهِمْ تَنْجُو مِنَ الْوَصْبِ
 وَخَالِفِ النَّفْسَ وَاسْتَشِعِرْ عَدَاوَتَهَا
 وَارْفُضْ هَوَاهَا وَمَا تَخْتَارُهُ تُصِيبُ
 وَإِنْ دَعَّتْكَ إِلَى حَظٍّ بِشَهْوَتِهَا
 فَاشْرَحْ لَهَا غَبًّا مَا فِيهِ مِنَ التَّعَبِ
 وَارْهَدْ بِقَلْبِكَ فِي الدَّارِ الَّتِي فَتَنَتْ
 طَوَائِفًا فَرَاوَهَا غَايَةَ الطَّلَبِ
 تَنَافَسُوهَا وَأَعْطَوْهَا قَوْلَ الْبِهِمِ
 مَعَ الْقُلُوبِ فَيَا لِلَّهِ مِنْ عَجَبِ
 وَهِيَ الَّتِي صَغُرَتْ قَدْرًا وَمَا وَرَنَتْ
 عِنْدَ الْإِلَهِ جَنَاحًا فَالْحَرِيصُ غَيْبِي
 وَخُذْ بِلَاغِكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَاسْعَ بِهِ
 سَعِيَ الْمُجِدِّ إِلَى مَوْلَاكَ وَاحْتَسِبِ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الَّذِي يَبْتَاعُ عَاجِلَهُ
 بِأَجَلٍ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ يَخِبُ
 وَإِنْ وَجَدْتَ فَوَاسِ الْمُعْوِزِينَ تَفِضْ
 عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْأَرْزَاقُ فَاسْتَجِبِ
 وَإِنْ بُلِيتَ بِفَقْرٍ فَارْضَ مُكْتَفِيًا
 بِاللَّهِ رَبِّكَ وَارْجُ الْفَضْلَ وَارْتَقِبِ
 وَاتْلُ الْقُرْآنَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ وَجَلِ
 عَلَى الدَّوَامِ وَلَا تَذْهَلْ وَلَا تَغِبِ
 وَادْكُرْ إِلَهَكَ ذِكْرًا لَا تُفَارِقُهُ
 وَادْعُ الْآلَةَ وَقُلْ يَا فَارِجَ الْكُرْبِ

يَا رَبِّ إِنَّكَ مَقْصُودِي وَمُعْتَمِدِي
 وَمُرْتَجَاي بِدُنْيَاي وَمُنْقَلَبِي
 فَاغْفِرْ وَسَامِحْ عُبِيداً مَا لَهُ عَمَلٌ
 بِالصَّالِحَاتِ وَقَدْ أُوْعَى مِنَ الْحُوبِ

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَتَبَتَّنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فَالْوِلَايَةُ شُرُوطُهَا الْحِفْظُ وَالْعِلْمُ وَالْقُوَّةُ وَالْإِمَانَةُ ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُخْتَارَ
 لِلْعَمَلِ أَحْسَنَ النَّاسِ قِيَاماً بِهِ ، فَإِنْ عُدِلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ لَهْوِيٍّ أَوْ رِشْوَةِ أَوْ قَرَابَةٍ
 فَهَذِهِ خِيَانَةٌ مِمَّنْ وَلَاهُ أَوْ تَسَبَّبَ فِي الْوِلَايَةِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ
 اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عِصَابَةٍ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَالْمُؤْمِنِينَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

وَعَنْ أَبِي يَعْلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ
 وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي
 أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ » .
 وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي
 أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ
 فَفَكَهُ بِرُءُؤِهِ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ أَوْ لَهَا مَلَامَةٌ وَأَوْسَطَهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً « وَيْلٌ لِلْأَمْنَاءِ وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ لَيْتَمَنِّيْنَ أَقْوَامٌ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ أَنْ ذَوَائِبَهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثَّرِيَّا يَتَذَبذَبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا عَلَى شَيْءٍ .

وَفِي أَفْرَادٍ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنِّهَا أَمَانَةٌ وَإِنِّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا وَفِي لَفْظٍ آخَرَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحْبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلِّينَنَّ مَالَ يَتِيمٍ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ أَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عَشْرَةِ أَنْفُسٍ عَلِمَ أَنَّ فِي الْعَشْرَةِ أَفْضَلَ مِمَّنْ اسْتَعْمَلَ فَقَدْ غَشَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَغَشَّ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ، قُلْتُ وَفِي وَقْتِنَا وَزَمَانِنَا الْمُظْلِمِ بِالْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِي كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ يَتَوَلَّاهَا أَنْاسٌ لَا يُصَلُّونَ كَفْرَةً فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ بَعَثَنِي إِلَى الشَّامِ يَا يَزِيدُ ، إِنَّ لَكَ قَرَابَةً عَسَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَهُمْ بِالْأَمَارَةِ وَذَلِكَ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

وَالْأُمَّةُ الَّتِي لَا أَمَانَةَ لَهَا هِيَ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِيهَا الرِّشْوَةُ وَتَعْمَلُ عَلَى إِهْمَالِ الْأَكْفَاءِ وَإِبْعَادِهِمْ وَتَقْدِيمِ الَّذِينَ لَيْسُوا أَهْلًا لِلْمَنَاصِبِ ، وَهَذَا مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الَّتِي وَقَعَتْ . فَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ فَقَالَ إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ فَقَالَ وَكَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ إِذَا وَسَدَّ الْأَمْرُ لِغَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَمِنْ مَعَانِي الْأَمَانَةِ أَنْ يَحْرُصَ الْإِنْسَانُ عَلَى آدَاءِ وَاجِبِهِ كَامِلًا فِي الْعَمَلِ الَّذِي يُنَاطُ بِهِ وَأَنْ يَسْتَنْفِدَ جُهْدَهُ فِي تَكْمِيلِهِ وَتَحْسِينِهِ وَأَنْ يَبْغِيَ بِجَمِيعِ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ عَمَلًا وَوَقْتًا ، وَالْحِيَانَةُ تَفَاوُتٌ ، فَمَا أَصَابَ الدِّينَ وَجْمَهُورَ

المُسْلِمِينَ وَتَعَرَّضَتْ الْبِلَادُ لِأَذَاهُ أَشَدُّ إِنَّمَا وَنُكْرًا وَشِنَاعَةً ، وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ يُعْرَفُ بِهِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وفي رواية « لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ عِنْدَ اسْتِهِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ أَلَا وَلَا غَادِرٍ أَعْظَمُ مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ .

وَمِنَ الْأَمَانَةِ أَنْ لَا يَسْتَعِغِلَّ الْإِنْسَانُ مَنْصِبَهُ الَّذِي عُيِّنَ فِيهِ لِجَرِّ مَنْفَعَةٍ لَهُ أَوْ إِلَى قَرِيبِهِ فَأَخَذُ زِيَادَةَ عَلَى مَا رَتَّبَ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِطُرُقِ مُلْتَوِيَةٍ .

إِمَّا يَتَنَاوَلُ رِشْوَةً وَإِمَّا يَتَنَاوَلُ رِشْوَةً بِاسْمِ هَدِيَّةٍ أَوْ تُحْفَةٍ يَتَنَاوَلُهَا هَذَا الْخَائِنُ يَتَأْوِيلَاتٍ بَاطِلَةٍ أَوْ بِمُحَابَاةٍ قَرِيبٍ أَوْ مُجَامَلَةِ صَدِيقٍ أَوْ رَفِيقٍ أَوْ جَارٍ بِمَا فِيهِ ضَرَرٌ عَلَى عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ بِأَيَّةِ ذَرِيعَةٍ وَوَسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الْاسْتِعْغَالِ الْفُؤُودِيِّ ، فَكُلُّ ذَلِكَ غِشٌّ وَخِيَانَةٌ ، وَمَا أَخَذَ فَهُوَ سُحْتٌ ، لِأَنَّهُ ثَمْرَةٌ خِيَانَةٍ وَغَدْرٍ وَخُدَاعٍ وَمَكْرٍ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْبَلْ عَنِّي عَمَلِكَ قَالَ وَمَالِكَ قَالَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَأَنَا أَقُولُ الْآنَ مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِيءْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شعرا :

يَعُدُّ إِلَى كِسْبِ قِيْرَاطٍ أَخُو عَمَلٍ لَوْ يُوزَنُ الْإِثْمُ فِيهِ كَانَ قِنْطَارًا
وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللَّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ
وَهَذَا أَهْدِي لِي فَخَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي اسْتَعْمِلُ رَجُلًا مِنْكُمْ عَلَى أُمُورٍ وَلَا يَبِي اللَّهَ فَيَأْتِي

أَحَدُكُمْ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ
أُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُّهُدَى لَهُ أُمٌّ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَا أَوْ بَقْرًا لَهُ خَوَارٌ أَوْ شَاةً تَبَعْرُ .
ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عَفْرَتِي إِبْطِيهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ مَتْفِقٌ
عَلَيْهِ ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَفِي قَوْلِهِ هَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ
أَمْ لَا : دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ يُتَدَرَّعُ بِهِ إِلَى مَحْظُورٍ فَهُوَ مَحْظُورٌ .
وَكُلُّ دَاخِلٍ فِي الْعُقُودِ يُنْظَرُ هَلْ يَكُونُ حُكْمُهُ عِنْدَ الْإِنْفِرَادِ كَحُكْمِهِ عِنْدَ
الْإِقْتِرَانِ أَمْ لَا .

أَمَّا الَّذِي يَلْتَزِمُ حُدُودَ اللَّهِ فِي وَظِيفَتِهِ وَلَا يَخُونُ الْوَاجِبَ الَّذِي طَوَّقَهُ فَهُوَ
مِنَ الْمُجَاهِدِينَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْعَامِلُ إِذَا اسْتُعْمِلَ فَأَخَذَ الْحَقَّ
وَأَعْطَى الْحَقَّ لَمْ يَزَلْ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ .
شِعْرًا :

فَلِلَّهِ دُرُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ
تَسَحُّ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمَا
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَأْتَمَا
فَصِيحًا بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِ
وَفَيْمَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا
وَيَذُكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ
وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا
فَصَارَ قَرِينَ الْهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ
وَيَخْدِمُ مَوْلَاهُ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
يَقُولُ إِلَهِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُعَيْتِي
كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤْلًا وَمَغْنَمًا

عَسَىٰ مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي
وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَ

اللَّهُمَّ أَذِقْنَا عَفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَأَسْأَلُكَ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلَنَا
بِلَطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ وَقَاطِعَ عَنَّا مَا يُبْعَدُ عَن طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ وَثَبْتَ مَحَبَّتَكَ فِي
قُلُوبِنَا وَقَوَّهَا وَيَسَّرَ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَمِنْ مَعَانِي الْأَمَانَةِ حِفْظُ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا يَرْضَى أَهْلُهَا أَنْ تُذَاعَ فَكَمْ مِنْ
أَضْرَارٍ عَلَى الْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ حَصَلَتْ بِإِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ إِلَّا إِذَا
كَانَتْ الْأَسْرَارُ فِيهَا أَضْرَارٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ لَهَا حُرْمَةٌ وَلَا يَجُوزُ كَتْمُهَا
وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ شَهْدٌ مَجْلِسًا يَمْكُرُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ بِغَيْرِهِمْ لِيُلْحِقُوا بِهِ الْأَذَى
أَنْ يُسَارِعَ إِلَى الْحِيلُولَةِ دُونَ الْفَسَادِ جَهْدَ طَاقَتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ خَطَرٌ عَظِيمٌ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْمَجْلِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا مَجْلِسَ سَفْكَ دَمٍ
حَرَامٍ أَوْ فَرْجٍ حَرَامٍ أَوْ اقْتِطَاعِ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَمِمَّا يَتَعَيَّنُ كَتْمُهُ وَسْتَرُهُ مَا
يَجْرِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَامْرَأَتِهِ مِمَّا يُفْضِي بِهِ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ فَإِنَّ التَّحَدُّثَ بِهِ
خِيَانَةٌ لِهَذِهِ الْأَمَانَةِ » .

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَهْمٌ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنِ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ
فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَسْرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَشْرُ سِرَّهَا ، وَالتَّرْتَارُونَ مِنْ أَهْلِ
وَأَلَدِّ مَا يَسْتَمَرُونَ بِهِ فِي مَجَالِسِهِمْ مُنْكَرٌ مِنْ أَقْبَحِ الْمُنْكَرَاتِ ، أَلَا وَهُوَ مَا يَقَعُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِمْ فِي الْخُلُوتِ الْخَاصَّةِ مِنْ كَلَامٍ وَأَفْعَالٍ ، وَمَا يَكُونُ مِنْ
الرِّجَالِ قَلِيلٌ مِنْ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ عَادَتْهُنَّ

الْوَحِيدَةُ وَهَذِهِ مَعْصِيَةٌ مِنْ أَفْحَشِ الْمَعَاصِيِ وَوَقَاحَةٌ مُحَرَّمَةٌ .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ زَيْدٍ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا فَعَلَ بِأَهْلِهِ وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِنَا فَعَلْتَ مَعَ زَوْجِهَا فَازِمَ الْقَوْمِ - أَي سَكْتُوا وَجَلِينِ - فَقُلْتُ أَيُّ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلْنَ قَالَ فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

شِعْرًا :

إِن الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَا وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ زَلَّ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمَا

روى عن بعض الورعين أنه أراد طلاق امرأته ف قيل له ما الذي يريدك منها فقال العاقل لا يهتك سترًا فلما طلقها قيل له الآن طلقته فقال ما لي ولامرأة غيري (المعنى عليّ وعليها ستر الله) . وهكذا الرجال الذي يعرفون قدر الأمانة والغالب أن إخبار الناس بالأسرار يترتب عليه أضرار فلذلك قيل حول هذا الكلام :

أَحْفَظُ لِسَانِكَ لَا تَبْحُ بِثَلَاثَةٍ سِنَّ وَمَالٍ إِنْ سُئِلْتَ وَمَذْهَبٍ
فَعَلَى الثَّلَاثَةِ تُبْتَلَى بِثَلَاثَةٍ بِمُكْفِرٍ وَبِحَاسِدٍ وَمُكَذِّبٍ

وَمِنَ الْأَمَانَةِ الرُّضُوءُ فَإِنْ أَدَّاهُ كَامِلًا بَدُونِ مُجَاوِزَةٍ لِلْحَدِّ فَقَدْ حَفِظَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ وَأَدَّاهَا وَإِنْ فَرَطَ فِيهَا وَأَهْمَلَ بَعْضَ الْأَعْضَاءِ أَوْ بَعْضَ الْجِسْمِ فِي الْعُسْلِ أَوْ تَعَدَّى إِلَى الْوَسْوَاسِ وَفَاتَتْ الْمَوْلَاهُ فَقَدْ خَانَ أَمَانَتَهُ .

وَكَذَلِكَ الْكَيْلُ وَالْوِزْنُ أَمَانَةٌ إِنْ أَدَّاهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ بِلَا بَخْسٍ وَلَا غِشٍّ فَقَدْ حَفِظَهَا وَأَدَّاهَا ، وَإِنْ بَخَسَ أَوْ غَشَّ أَوْ دَلَسَ فَقَدْ خَانَ أَمَانَتَهُ .

وَكَذَلِكَ أَوْلَادُكَ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ إِنْ أَحْسَنْتَ فِيهِمْ وَرَبَيْتَهُمْ تَرْبِيَةً صَالِحَةً

وَوَجَّهْتَهُمْ تَوْجِيهاً حَسَناً فَقَدْ أَدَيْتْ أَمَانَتَكَ وَإِنْ أَهْمَلْتَهُمْ وَلَمْ يَبَالِ بِهِمْ فَقَدْ خَانَ
أَمَانَتَهُ .

وَكذَلِكَ الْوَدَائِعُ الَّتِي تُدْفَعُ إِلَى الْإِنْسَانِ لِيَحْفَظَهَا حِيناً ثُمَّ يَرُدُّهَا إِلَى
أَصْحَابِهَا حِينَ يَطْلُبُونَهَا أَوْ إِلَى الْحَاكِمِ إِنْ فُقِدُوا وَمَنْ يَخْلِفُهُمْ وَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ
إِيصَالُهَا إِلَيْهِمْ وَأَيْسَ مِنْ مَجِيءِ صَاحِبِهَا ، فَهَذِهِ مِنَ الْأَمَانَاتِ الَّتِي يُسْأَلُ
عنها ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ ﷺ عِنْدَ هِجْرَتِهِ ابْنَ عَمِّهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عنه لِيُسَلِّمَ الْمُشْرِكِينَ الْوَدَائِعَ الَّتِي اسْتَحْفَظَهَا مَعَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا
بَعْضُ الْأُمَّةِ الَّتِي اسْتَفَزَتْهُ مِنَ الْأَرْضِ وَاضْطَرَّتْهُ إِلَى تَرْكِ وَطْنِهِ فِي سَبِيلِ
عَقِيدَتِهِ ، قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ ثَلَاثَةُ مُؤَدِّينَ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ الْأَمَانَةُ وَالْعَهْدُ
وَصِلَةُ الرَّحِمِ .

وَكذَلِكَ التَّلْمِيذُ أَمَانَةٌ يَجِبُ عَلَى الْاِسْتَاذِ أَنْ يُوَجِّهَهُ إِلَى الْعُلُومِ النَّافِعَةِ
وَالْعَقَائِدِ السَّلِيمَةِ وَيُحَذِّرَهُ مِنَ الْبَدْعِ وَمَا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَيُحَذِّرُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ
وَيُبَيِّنُ مَا يَعْرِفُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُظَلِّ دِرَاسَتِهَا وَالْعُلَمَاءِ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ لِيَجْتَنِبَهُمْ وَكُتُبَهُمْ ، وَيَذْكُرُ لَهُ الْعُلَمَاءَ الْمُحَقِّقِينَ الْمُسْتَقِيمِينَ وَكُتُبَهُمْ
لِيَقْتَنِيَهَا فَيَتَأَثَّرُ بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَحِلُّ الْعَقِيدَةُ السَّلِيمَةُ فِي قَلْبِهِ وَيَسْعَدُ فِي حَيَاتِهِ
وَبَعْدَ مَمَاتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

ويحذره من كتب الأشاعرة والشيعة والمعتزلة ومن علمائهم ومن أضرم ما
على المسلمين اليوم الأشاعرة وكتبهم والرافضة وكتبهم عصمنا الله وجميع
المسلمين منهم ومن كتبهم وبدعهم التي عمّت وطمّت وصرقت كثيراً من
الناس عن طريقة السلف الخالصة من شوائب البدع .

وَيَكُونُ هَذَا الْمَعْلَمُ الْمُخْلِصُ هُوَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِاسْتِقَامَةِ هَذَا التَّلْمِيذِ
وَهَدَايَتِهِ فِيهَا مِنْ تِجَارَةٍ وَيَالَهُ مِنْ رِيحٍ ، وَيَالَهَا مِنْ نَصِيحَةٍ فَجَدَّ التَّلْمِيذُ إِنْ
كَانَ وَافِياً شَكُوراً يَدْعُو لِمَوْجِبِهِ دَائِماً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَاجْرُ الْمَعْلَمِ وَالْمَوْجِبِ

المخلص لا يضيع عند الله ، قال تعالى ﴿ إِنَّا لَآءِ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ وَالنَّاسُ يَحْتَلِفُونَ فِيهِمْ رَوْضٌ وَسَبْحٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَعَمْرُكَ مَا الْمَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ وَفِي أَهْلِهِ إِلَّا كَبَعُضِ الْوَدَائِعِ
فَمُسْتَوْدِعُ ضَاعِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ وَمُسْتَوْدِعُ مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ضَاعِ
وَمَا النَّاسُ فِي كُفْرِ الْأَيْدِي وَشُكْرَهَا إِلَى أَهْلِهَا إِلَّا كَبَعُضِ الْمَزَارِعِ
فَمَزْرَعَةٌ أَجَدَتْ فَأَضَعَفَ زَرْعَهَا وَمَزْرَعَةٌ أَكَدَتْ عَلَى كُلِّ زَارِعِ

وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِ الْعَالِمِ يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا لَمْ يَنْشُرْهُ
بَيْنَ النَّاسِ وَيَتَوَرَّ بِه قُلُوبُهُمْ يَكُونُ خَائِنًا لِأَمَانَتِهِ وَغَاشًا لِإِخْوَانِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ .

قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ : وَالتَّنْذِيدُ بِكِتَابِنَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
الْكِتَابِ الْمَقْصُودُ بِهِ أَوْلَا أَهْلُ الْكِتَابِ وَلَكِنْ مَدْلُولُ النَّصِّ الْعَامِّ يَنْطَبِقُ عَلَى
أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ الَّذِي يَعْلَمُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِمَّا هُوَ
النَّفْعُ الْخَاصُّ الَّذِي يَجْرُصُونَ عَلَيْهِ بِكِتَابِنَاهُمْ لِلْحَقِّ وَالْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ الَّتِي
يَتَحَرَّوْنَهَا بِهَذَا الْكِتَابِ وَيَخْشَوْنَ عَلَيْهَا مِنَ الْبَيَانِ وَإِمَّا هُوَ الدُّنْيَا كُلُّهَا وَهِيَ ثَمَنٌ
قَلِيلٌ حِينَ تُقَاسُ إِلَى مَا يُخْسَرُونَهُ مِنْ رِضَى اللَّهِ وَمِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ انْتَهَى .

وَقَالَ آخَرُ وَهَذِهِ الْآيَةُ تُوجِبُ إِظْهَارَ عُلُومِ الدِّينِ مَنْصُوصَةً كَانَتْ أَوْ
مُسْتَنْبَطَةً وَتَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ جَوَازِ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى ذَلِكَ إِذْ غَيْرُ جَائِزٍ اسْتِحْقَاقِ
الْأَجْرِ عَلَى مَا يَجِبُ فِعْلُهُ بَلَّغٌ يَا أَخِي الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بِالْكِتَابِ الدِّينِيَّةِ وَيَحْتَكِرُونَهَا
بِاسْمِ تَحْقِيقٍ أَوْ نَشْرِ نَسْأَلِ اللَّهِ الْعَافِيَةَ .

وَقَدْ رَوَى الْأَعْرَجُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّكُمْ تَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ ، وَأَيُّمْ لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ بِشَيْءٍ أَبَدًا ، ثُمَّ تَلَا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾ الْآيَةَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالتَّبَهَقِيُّ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ بِنَحْوِهِ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَتَمَ عِلْمًا مِمَّا يَنْفَعُ اللَّهَ بِهِ النَّاسَ فِي أَمْرِ الدِّينِ أُلْجِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ ، وَمِنْ الْأَمَانَةِ فِي الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا أَبَدَيْتَ رَأْيًا ثُمَّ أَرَاكَ الدَّلِيلَ الْقَاطِعُ أَوْ الرَّاجِحُ أَنَّ الْحَقَّ فِي غَيْرِ مَا أَبَدَيْتَ أَنْ تَصْدَعَ بِمَا اسْتَبَانَ لَكَ أَنَّهُ الْحَقُّ .

وَلَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْجَهْرِ بِهِ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى سُوءِ النَّظَرِ فِيمَا رَأَيْتَهُ أَوْلًا ، وَالْأَمَانَةُ حَمَلَتْ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنْ يُظْهِرُوا رُجُوعَهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ آرَاءِ عِلْمِيَّةٍ أَوْ اجْتِهَادِيَّةٍ دِينِيَّةٍ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُصِيبِينَ فِيهَا .

وَلَا يَكْتَرْتُونَ بِمَا يُقَالُ فِيهِمْ مِنَ الْإِعْتِرَاضَاتِ الَّتِي فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا لِعِلْمِهِمْ أَنَّ النَّاسَ مَا مِنْهُمْ سَلَامَةٌ أَبَدًا مَهْمَا اسْتَقَامُوا وَلِهَذَا الرُّسُلُ لَمْ يَسْلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا ، بَلِ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الَّذِي أَوْجَدَهُمْ وَرَبَّاهُمْ وَرَزَقَهُمْ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا وَقَالُوا لَا يُعِيدُنَا ، فَلَا مَطْمَعَ فِي السَّلَامَةِ مِنْهُمْ ، وَهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ مُعْرِبًا عَنْ صِفَاتِهِمْ :

وَإِنْ تُبَدِي يَوْمًا بِالنَّصِيحَةِ لَأَمْرِي؛

بِتُهُمَّتِهِ إِيَّاكَ كَانَ مُجَازِيَا

وَأِنْ تَتَحَلَّى بِالسَّمَاخَةِ وَالسَّخَاءِ
يُقَالُ سَفِيهُهُ أَخْرَقَ لَيْسَ وَإِعْيَا
وَأِنْ أَمْسَكَتْ كَفَّاكَ حَالَ ضَرُورَةٍ
يُقَالُ شَجِيحٌ مُمْسِكٌ لَا مُسَاوِيَا
وَأِنْ ظَهَرَتْ مِنْ فَيْكَ يَبُوعٌ حِكْمَةٌ
يَقُولُونَ مَهْذَارًا بَدِيًّا مُبَاهِيَا
وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَعْنِي إِنْ كُنْتَ تَارِكًا
يَقُولُونَ عَنْ عِيٍّ مِنَ الْعَجْزِ صَاغِيَا
وَأِنْ كُنْتَ مِقْدَامًا لِكُلِّ مُلِمَّةٍ
يُقَالُ عَجُولٌ طَائِشٌ الْعَقْلِ وَاهِيَا
وَأِنْ تَتَغَاصَى عَنْ جَهَالَةٍ نَاقِصٍ
يَعُدُّوكَ خَوَارًا جَبَانًا وَلاهِيَا
وَأِنْ تَتَقَاصَى بِاعْتِزَالِكَ عَنْهُمْ
يَخَالُوكَ مِنْ كِبَرٍ وَتَيْهِ مَجَافِيَا
وَأِنْ تَتَدَانِي مِنْهُمْ لِيَتَأَلَّفِ
يَظُنُّوكَ خَدَاعًا كَذُوبًا مُرَائِيَا
تَرَى الظُّلْمَ مِنْهُمْ كَامِنًا فِي نَفْسِهِمْ
كَذَا غَدْرُهُمْ فِي طَبْعِهِمْ مُتَوَارِيَا
فَفِي قُوَّةِ الْإِنْسَانِ يَظْهَرُ ظُلْمُهُ
وَفِي عَجْزِهِ يَبْقَى كَمَا كَانَ خَائِيَا
وَهَيْهَاتَ تَنْجُو مِنْ غَوَائِلِ فِعْلِهِمْ
وَأَقْوَالِهِمْ مَهْمَا تَكُنْ مُتَحَاشِيَا

فَمَنْ رَامَ إِرْضَاءَ الْأَنَامِ بِقَوْلِهِ
وَفِعَلَ غَدًا لِلْمُسْتَحِيلِ مَعَانِيَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْضَى الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ
رَسُولًا نَبِيًّا أَمْ وَلِيًّا وَقَاضِيَا
وَأَعْظَمُ مِنْ ذَا خَالِقِ الْخَلْقِ هَلْ تَرَى
جَمِيعَ الْوَرَى فِي قِسْمَةٍ مِنْهُ رَاضِيَا
إِذَا كَانَ رَبُّ الْخَلْقِ لَمْ يُرْضَ خَلْقَهُ
فَكَيْفَ بِمَخْلُوقٍ رِضَاهُمْ مُرَاجِيَا
فَلَا زِمَ رِضَى رَبِّ الْعِبَادِ إِذَا وَلَا
تُبَالِ بِمَخْلُوقٍ إِذَا كُنْتَ زَاكِيَا
وَسَدَّدَ وَقَارِبَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا
يُكَلِّفُ عَبْدًا فِعْلَ مَا كَانَ قَاوِيَا

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَشَرِّ الدُّنْيَا وَالْهَوَى وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَمِنَ الْأَمَانَةِ فِي الْعِلْمِ أَنَّكَ إِذَا سُئِلْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ خَافِيَا عَلَيْكَ حُكْمَهَا أَنْ
تَقُولَ لَا أَدْرِي غَيْرَ مُسْتَنَكِفٍ وَلَا مُبَالٍ بِمَا يَكُونُ لَهَا مِنْ أَثَرِ عِنْدَ السَّائِلِينَ
وَالْمُسْتَمَعِينَ وَلَا أَنْ يُقَالَ سُئِلَ فَقَالَ لَا أَدْرِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ سُئِلَ فَأَجَابَ خَطَأً
أَوْ رَوَى مَا لَمْ يَكُنْ وَاقِعًا .

وسأل رجلٌ بنَ عمر عن مسألة فقال لا عِلْمَ لي بها ثم قال السائل بَعْدَ أن وُلِّيَ : نِعَمَ ما قال بنُ عمر قال : لِمَا لا يَعْلَمُ لا أَعْلَمُ .

وقال سفيان بن عُيينة كُنْتُ في حلقة رجلٍ من ولدِ عبد الله بن عمر فسُئِلَ عن شيء فقال : لا أدري فقال له يحيى بن سعيد العَجَبُ مِنْكَ كُلُّ العَجَبِ تَقُولُ لا أدري وأنت ابنُ إمامٍ هَدَى فقال أولاً أَخْبِرْكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عن الله مَنْ قَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ حَدَّثَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ .

وقال الهيثم بن جميل شَهِدْتُ مَالِكَ بنَ أنسٍ سُئِلَ عن ثمانٍ وأربعينَ مسألة ، فقال في اثنتين وثلاثينَ مِنْهَا لا أدري .

وعن أبي سُلَيْمَانَ بنِ بلالٍ قال شَهِدْتُ القاسِمَ بنَ مُحَمَّدٍ بنَ أبي بكرٍ الصديق والناسُ يَسْأَلُونَهُ ، فقال يَا هَوْلًا لَاءَ بَعْضِ مَسَائِلِكُمْ فَإِنَا لا نَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ .

وكان عبد الله بن يزيد بن هُرْمُزٍ يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُورَثَ جُلُوسَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ لا أدري حَتَّى يَكُونَ أَصْلًا مِنْهُ فِي أَيْدِيهِمْ إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ عَمَّا لا يَعْلَمُ قَالَ لا أدري .

عَلَيْكَ بِلا أدري إِذَا كُنْتَ جَاهِلًا
آخر : وَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَّصِدِرًا
آخر : يَمْدُونُ فِي الْإِفْتَاءِ بَاعًا قَصِيرَةً
آخر : حِذَارِكَ أَنْ تَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ
آخر : وَبِالصِّدْقِ فَاسْتَقْبَلِ حَدِيثَكَ إِنَّهُ
لِتَسْلَمَ مِنْ شَرِّ الْخَطَا فِي الْإِجَابَةِ
وَيُكْرَهُ لا أدري أَصِيبتَ مَقَاتِلُهُ
وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الْجَوَابِ يُكَذِّبُكَ
كَفَى بِالشُّكِّ عِنْدَ النَّاسِ جَهْلًا
أَصْحُ وَأَدْنَى لِلسَّدَادِ وَأَمْثَلُ

آخر : تَعَلَّمَ فَلَيْسَ المرءُ يُؤَلِّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ هُوَ جَاهِلٌ
وإنَّ كَبِيرَ القَوْمِ لا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّقَتْ عَلَيْهِ المَحَافِلُ
وَمِنَ الأمانَةِ في العِلْمِ أن لا يُفْتِي بِمَا يَرَاهُ باطلاً . إلا إن سَأَلَهُ عَن ما
يَرَاهُ فلانُ بِأن قال ما رأيُ الشافعيِّ أو أحمدُ فيها ، أو ما هو اختيارُ شيخِ
الإسلامِ فيها ، فهذا إن كُنْتَ عالِمًا بالحُكْمِ تقولُ له يَرى كذا وكذا ولا
بأس .

وبالتالي فَمَا مِن أنسانٍ مِنَّا إلا وَعَمَلُهُ أمانةٌ لِلَّهِ في عُنُقِهِ ، فَالشَّعْبُ أمانةٌ
في يَدِ الوِلايَةِ للأُمُورِ ، وَالدِّينُ أمانةٌ في يَدِ العُلَماءِ وَطَلَبَةُ العِلْمِ وَالعدْلُ أمانةٌ في
يَدِ القُضاةِ وَالحقُّ أمانةٌ في يَدِ المُجاهِدِينَ ، وَالصِّدْقُ أمانةٌ في يَدِ الشُّهُودِ ،
والمَرَضَى أمانةٌ في يَدِ الأَطِباءِ ، وَالْمَصالِحُ أمانةٌ في يَدِ المُسْتَحْدِمِينَ ،
والتَّلميذُ أمانةٌ في يَدِ الأُسْتاذِ ، وَالوَلدُ أمانةٌ في يَدِ أبِيهِ ، وَالوَطَنُ أمانةٌ في
يَدِ الجَمِيعِ ، وَهَكَذا باقِي الأماناتِ .

وقَدْ وَرَدَتْ آياتٌ وَأَحاديثٌ في عِظَمِ شَأْنِ الأمانةِ وَالأمرِ بِحِفْظِها وَأَدائها
والتَّحذِيرِ مِنَ الخِيانَةِ فيها ، قالَ اللهُ تَعالَى ﴿ إِنَّ اللّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤدُّوا
الأماناتِ إِلَى أَهْلِها ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنّا عَرَضنا الأمانةَ عَلَى السَّمواتِ والأَرْضِ
والجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإنسانُ إِنَّه كانَ ظَلُومًا
جَهُولًا ﴾ .

وَعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : القَتْلُ في سَبيلِ اللهِ
يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّها إلا الأمانةَ . قالَ : يُؤْتى بِالْعَبْدِ يَوْمَ القِيامَةِ وَإِنْ قُتِلَ في
سَبيلِ اللهِ فيقالُ أَدْ أمانَتَكَ فيقولُ أَي رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنيا ، فيقالُ
انطَلِقُوا بِهِ إِلَى الهابِويَةِ ، وَتَمَثَّلُ لَهُ أمانَتُهُ كَهَيْئَتِها يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ فَيَراهَا
فيعْرِفُها فيَهويُ في أترِها حَتَّى يَدْرِكُها فيَحْمِلُها على مَنكِبِهِ حَتَّى إِذا ظَنَّ أَنه
خارجٌ رَلَّتْ عَن مَنكِبِيهِ فَهُوَ يَهويُ في أترِها أَبَدَ الأَبدينِ .

ثم قالَ الصَّلاةُ أمانةٌ ، وَالوُضوءُ أمانةٌ وَالكِيلُ أمانةٌ وَأَشياءٌ عَدَدَها وَأَشَدُّ

ذَلِكَ الْوَدَائِعُ ، قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ فَاتَّيْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ فَقُلْتُ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ الْبَرَاءُ صَدَقَ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ .

وَفِي حَدِيثٍ حُدَيْفَةَ فِي وَصْفِهِ لِيَسْرُبَ الْأَمَانَةَ مِنَ الْقُلُوبِ الَّتِي تَخْلَجَلُ فِيهَا الْيَقِينُ ، قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ .

وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلُ أَثَرِ الْمِجَلِّ كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَنْفَطِرُ فَتَرَاهُ مُنْتَبِئاً ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدُهُمْ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانِ الْحَدِيثِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَلِلْأَمِيرِ الصَّنَعَانِيِّ فِي الْحَثِّ عَلَى تَدْبِيرِ كِتَابِ اللَّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ وَالتَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ قَصِيدَةٌ بَلِيغَةٌ .

الْوَارِدَاتُ عَلَيْنَا كُلُّهَا مِنْ
مِنْ رَبَّنَا فَلَهُ الْإِحْسَانُ وَالْحَسَنُ
إِنَّا لَنَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَوَاهِبِهِ
مَا لَا تُحِيطُ بِهِ عَيْنٌ وَلَا أُذُنٌ

فَشَكَرُ بَعْضُ أَيَادِيهِ الَّتِي شَمَلَتْ
عَنْ شُكْرِهَا يَعْجَزُ الْعَلَامَةُ اللِّسْنُ
يَا عَالَمَ الْغَيْبِ لَا يَخْفَاهُ خَافِيَةٌ
وَعِلْمُهُ يَتَسَاوَى السَّرُّ وَالْعَلَنُ
أَهْلُ الْبَسِيطَةِ طُرّاً تَحْتَ قَبْضَتِهِ
وَكُلُّهُمْ بِالذِّي يَأْتِيهِ مُرْتَهَنُ
بِحِكْمَةٍ وَبِعِلْمٍ كَانَ مُبْتَدِئاً
هَذَا الْوُجُودَ الَّذِي حَارَتْ لَهُ الْفِطْنُ
دَحَى الْبَسِيطَةِ فَرَشاً لِلْأَنَامِ وَقَدْ
عَلَتْ عَلَيْهَا الْجِبَالُ الشُّمُّ وَالْقُنُنُ
كَيْلًا تَمِيدَ بِأَهْلِيهَا وَأَوْدَعَهَا
لَهُمْ مَنَافِعَ إِنْ سَارُوا وَإِنْ قَطَنُوا
بَنَى السَّمَاءَ بِأَيْدٍ فَوْقَهَا وَحَوَتْ
عَجَائِباً أَعْرَضُوا عَنْهَا وَمَا فِطَنُوا
فَفِي التَّأْمَلِ فِي آيَاتِهَا عِبْرُ
لَوْ كَانَ يُطْلَقُ عَنْ أَفْكَارِنَا الرَّسْنُ
وَقَدْ حَكَى اللَّهُ إِعْرَاضَ الْعِبَادِ فَهَلْ
غَطَّى عَلَى الْعَيْنِ مِنْ أَفْكَارِنَا الْوَسْنُ
إِنَّ التَّفَكُّرَ فِي آيَاتِ خَالِقِنَا
عِبَادَةُ الْفِكْرِ فِيهَا الْخَلْقُ قَدْ غُنِبُوا
تَزْدَادُ بِالْفِكْرِ إِيمَاناً وَمَعْرِفَةً
فَلَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ مَالَهُ ثَمَنُ

مَنْ الْإِلَهُ عَلَيْنَا بِالْكِتَابِ فَقُلْ
يَا مِنَّةً قَصْرَتْ مِنْ دُونِهَا الْمِنَّةُ
فَصَرَّفِ الْفِكْرَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ تَجِدْ
فِيهِ الْعُلُومَ الَّتِي لَمْ يَحْوِهَا الْفِطْنُ
آيَاتُهُ أَعْجَزَتْ كُلًّا بِبَلَاغَتِهَا
وَأَبْلَغُ الْخَلْقِ قَدْ أَوْدَى بِهِ اللَّكْنُ
أَدْلَةً وَأَقَاصِيصٌ وَأَمْثَلَةٌ
لَفْظٌ بَلِيغٌ وَمَعْنَى فَائِقٌ حَسَنٌ
غُضَّ بَحْرَهُ تَلَقَّ فِيهِ الدُّرُّ مُبْتَدَلًا
وَفُلْكَ فِكْرِكَ فِي أَمْوَاجِهِ السُّفُنُ
كَمْ قِصَّةٍ وَصَفَتْ أَخْبَارَ مَنْ دَرَجُوا
مِنْ صَالِحٍ وَشَقِيٍّ رِيْبُهُ الْوِثْنُ
قِفْ بِالْمَشَانِي تَرَى آيَاتِهَا عَجَبًا
أَوْ بِالْمِثْنِ فِيهَا كُنْهَاتُ الْمِثْنِ
أَوْ الطُّوَالِ فِيهَا الْعِلْمُ أَجْمَعُ
خَزَائِنُ هِيَ لِلْأَحْكَامِ تَخْتَزِنُ
وَفِي الْمَفْصَلِ آيَاتٌ مُفْصَلَةٌ
قَوَارِعُ لِقُلُوبٍ مَا بِهَا دَرْنُ
إِنَّ الدُّنُوبَ لِأَوْسَاخِ الْقُلُوبِ فَلَا
يَكُنْ فُوَادُكَ بَيْتًا حَشْوُهُ الدِّمْنُ
وَدَاوِ قَلْبَكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ فَمَا
يُجِدِي الدَّوَاءُ بِمَيْتٍ بَعْدَ مَا دَفَنُوا

بِمَرَّهِمِ التَّوْبَةَ الصُّدُقِ النَّصُوحِ فَذَا
هُوَ الدَّوَاءُ لِذَلِكَ الدَّاءِ لَوْ فَطَنُوا
وَنَارُ ذَنْبِكَ تُطْفِئُهَا الدَّمُوعُ إِذَا
أَثَارَهَا الْخَوْفُ مِنْ مَوْلَاكَ وَالْحَزَنُ
بَادِرُ بِهِذَا الدَّوَا مِنْ قَبْلِ مِيتَتِهِ
فَمَا لِسَهُمِ الْقَضَا مِنْ دُونِهِ جُنُنُ
وَرُبَّ شَخْصٍ تَوَفَّى قَبْلَهُ وَتَوَى
فِي صَدْرِهِ فَهُوَ قَبْرٌ وَالْحَشَا كَفْرُ
تَرَاهُ فِي النَّاسِ يَمْشِي حَامِلًا جَدًّا
فَهَلْ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا أَتَى الزَّمَنُ
فَأَسْأَلُ اللَّهَ تَوْفِيقًا يَكُونُ بِهِ
حُسْنُ الْخِتَامِ فِيهِ الْفَوْزُ مُرْتَهَنُ
فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى الْآ
آلِ الْكِرَامِ مَعَ التَّسْلِيمِ يَقْتَرِنُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً
مُهْتَدِينَ وَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَآيَاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ تَوْثِيقَ عُرَى
الْمُودَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَصْفِيَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعِلْلِ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ ، وَالْحِرْصِ
عَلَى مَا يَجْلِبُ الْمُودَّةَ وَالتَّالْفَ وَالتَّنَاصُرَ وَالتَّعَاوُدَ ، وَتَجَنُّبَ مَا يُؤْغِرُ الصُّدُورَ

وَيُورَثُ الْعَدَاوَةَ وَاجِبٌ تَقْتَضِيهِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ، وَالْإِيمَانُ لَا يَكُونُ تَامًا إِلَّا بِذَلِكَ .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَهَى عَنِ التَّفْرِقِ فَقَالَ ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فَأَمَرَهُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفْرِقِ ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ مُتَعَدِّدَةٌ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّفْرِقِ وَالْأَمْرِ بِالْاجْتِمَاعِ وَالْإِتِّلَافِ .

وَلَمَّا كَانَ الصُّلْحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَفْرَادًا أَوْ جَمَاعَاتٍ يُشْمَرُ إِحْلَالُ الْأَلْفَةِ مَكَانَ الْفُرْقَةِ وَاسْتِثْصَالُ ذَاةِ النِّزَاعِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ وَحَقْنَ الدِّمَاءِ الَّتِي تُرَاقُ بَيْنَ الطَّوَائِفِ الْمُتَنَازِعَةِ .

وَتَوْفِيرَ الْأَمْوَالِ الَّتِي تُنْفَقُ لِلْمُحَامِينَ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَتَوْفِيرَ الرُّسُومِ وَالنَّفَقَاتِ الْأُخْرَى وَتَجَنُّبَ انْكَارِ الْحَقَائِقِ الَّتِي تَجْرُ إِلَيْهَا الْخُصُومَاتُ وَتَرْكَ شَهَادَةِ الزُّورِ وَتَجَنُّبَ الْمَشَاجِرَاتِ وَالْاعْتِدَاءَاتِ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنُّفُوسِ وَنَفْرَغَ النُّفُوسِ لِلْمَصَالِحِ بَدَلَ جِدَالِهَا وَأَنْهَمَاكِهَا فِي الْكَيْدِ لِلْخُصُومِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُشْمَرُ الصُّلْحُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَحَثَّ عَلَيْهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّهَا الْمُؤْمِنُونَ أُخُوَّةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .

وَحَثَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصُّلْحِ وَأَصْلَحَ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ كَانُوا بَيْنَهُمْ شَرًّا فَخَرَجَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنْاسٍ مَعَهُ الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلَقَدْ بَلَغَتْ الْعِنَايَةُ بِالصُّلْحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّهُ رُخِّصَ فِيهِ بِالْكَذِبِ
رَغْمَ قَبَاحَتِهِ وَشَنَاعَتِهِ وَشِدَّةِ تَحْرِيمِهِ ، وَعَنْ أُمِّ كُلْثُومِ بِنْتِ عُقَبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَمْ يَكْذِبْ مَنْ
نَمَى بَيْنَ اثْنَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ » .

وفي رواية لَيْسَ بِالْكَاذِبِ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى
خَيْرًا . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَتْ وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي
شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ يَعْنِي الْحَرْبَ وَالْإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ
وَحَدِيثَ الرَّجُلِ أَمْرَاتِهِ وَحَدِيثَ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا ، أَيْ قَالَ خَيْرًا عَلَى وَجْهِ
الِإِصْلَاحِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ ذَاتِ الْكَذِبِ بَلْ نَفْيُ اثْمِهِ فَالْكَذِبُ كَذِبٌ وَإِنْ
قِيلَ لِلِإِصْلَاحِ أَوْ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا نَفْيُ عَنِ الْمُصْلِحِ كَوْنُهُ كَذَّابًا بِاعْتِبَارِ قَصْدِهِ .

وَهَذِهِ أُمُورٌ قَدْ يَضْطَرُّ الْإِنْسَانُ فِيهَا إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الْقَوْلِ وَمُجَاوَزَةِ
الصِّدْقِ طَلْبًا لِلسَّلَامَةِ وَدَفْعًا لِلضَّرَرِ وَرَخِّصَ فِي الْيَسِيرِ فِي مِثْلِ هَذَا لِمَا يُؤْمَلُ
فِيهِ مِنَ الصَّلَاحِ ، وَالْكَذِبِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي الْإِصْلَاحِ أَنْ يَنْمِيَ مِنْ أَحَدِهِمَا إِلَى
صَاحِبِهِ خَيْرًا وَيُبَلِّغُهُ جَمِيلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَمِعَهُ مِنْهُ بِقَصْدِ الْإِصْلَاحِ ، وَالْكَذِبُ
فِي الْحَرْبِ أَنْ يُظْهَرَ فِي نَفْسِهِ قُوَّةٌ وَتَتَحَدَّثُ بِمَا يُقْوِي بِهِ أَصْحَابَهُ وَيَكِيدُ بِهِ
عَدُوَّهُ وَيُؤْهِنُهُ وَيُسْتَشْتُ فِكْرَهُ . وَالْكَذِبُ لِلزَّوْجَةِ أَنْ يَعِدَهَا وَيُمَيِّنَهَا وَيُظْهِرَ لَهَا
أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَفْسِهِ لِيَسْتَدِيمَ صُحْبَتَهَا وَيَتَأَلَّفَهَا وَيُصْلِحَ بِهِ خُلُقَهَا .

وَبَلَغَتْ الْعِنَايَةَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ الْمُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ يُعْطَى مِنَ الزُّكَاةِ أَوْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِأَدَاءِ مَا تَحْمَلُهُ مِنَ الدُّيُونِ فِي سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى آدَائِهَا مِنْ مَالِهِ .

وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ تِجَارَةٌ وَأَنَّهُ مِمَّا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ قَالَ بَلَى قَالَ صَلِّ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَقَرَّبْ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَعِنْدَهُ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ يَرْضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ بَلَى قَالَ صَلِّ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَقَرَّبْ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَعْطَاهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا عِتْقَ رَقَبَةٍ وَرَجَعَ مَغْفُورًا لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ رَوَاهُ الْأَصْبَهَانِيُّ وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاعِيْنَ أَلْهَمْنَا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِينٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مُكَلَّفًا بِالسَّعْيِ وَالْعَمَلِ لِطَلْبِ الرِّزْقِ مِنْ وَجْهِهِ الْمَشْرُوعَةِ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ .

وَأَنْ لَا يَمُدَّ يَدَهُ لِسُؤَالِهِمْ وَلَا يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ لِطَلْبِ حُطَامِ الدُّنْيَا إِلَّا عِنْدَ

الضَّرُورَةُ أَوْ الْحَاجَّةُ الشَّدِيدَةُ لِأَنَّهُ إِذَا قَعَدَ عَنِ الْعَمَلِ وَلَزِمَ الْبَطَالَهَ وَالْكَسَلَ وَنَظَرَ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ أَوْسَاحِهِمْ سَاءَتْ حَالُهُ ، وَضَاعَتْ آمَالُهُ ، وَضَعُفَ تَوَكُّلُهُ ، وَضَاقَ عَيْشُهُ ، وَانْحَطَّتْ نَفْسُهُ ، وَاعْتَادَ السُّؤَالَ الَّذِي لَا يَنْفَكُ عَنِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ :

الأوَّلُ : اظْهَارِ الشُّكُورَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، إِذِ السُّؤَالَ اظْهَارُ لِلْفَقْرِ وَذِكْرُ لِقُصُورِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْهُ ، وَهُوَ عَيْنُ الشُّكُورَى ، وَكَمَا أَنَّ الْعَبْدَ الْمَمْلُوكَ لَوْ جَعَلَ يَسْأَلُ وَأَنَّهُ مَا يَجِدُ شَيْئًا لَكَانَ سُؤَالُهُ تَشْنِيعًا عَلَى سَيِّدِهِ وَلَا يَرْضَى بِذَلِكَ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى .

وَلَا سِيَّمَا إِذَا أَتَى إِلَى بَيْتِ اللَّهِ يَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ حِينِ مَا يُسَلِّمُ الْإِمَامَ وَجَعَلَ يَشْرَحُ حَالَهُ وَفَقْرَهُ وَأَوْقَفَ النَّاسَ عَنْ تَهْلِيلِهِمْ ، وَتَسْبِيحِهِمْ ، وَتَكْبِيرِهِمْ ، وَالْمَسَاجِدُ لَمْ تُبْنَ إِلَّا لِذِكْرِ اللَّهِ ، وَالصَّلَاةِ فِيهَا وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ . وَهَذَا الْمُنْكَرُ قَلٌّ مَنْ يَنْتَبَهُ لَهُ .

الأَمْرُ الثَّانِي : أَنَّ فِي سُؤَالِ النَّاسِ إِذْلالًا لِنَفْسِ السَّائِلِ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ وَيُخْضِعَهَا إِلَّا لِلَّهِ ، الَّذِي فِي إِذْلالِهَا عِزُّهُ ، فَأَمَّا سَائِرُ الْخَلْقِ فَإِنَّهُمْ عِبَادٌ أَمْثَالُهُ فَلَا يُذِلُّ لَهُمْ نَفْسَهُ .

ثَالِثًا : أَنَّ فِيهِ ظُلْمٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَوْ الْحَاجَّةِ الشَّدِيدَةِ وَفِيهِ أَيْضًا إِذْلاءٌ لِلْمَسْئُولِ خُصُوصًا إِذَا كَانَ مَعَ الْإِحَاحِ ، وَالْإِذْلاءُ حَرَامٌ ، فَأَيُّ عَاقِلٍ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِهَذِهِ الْحَالَةِ التَّعَسُّةِ ، بَلْ كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عُضْوًا أَشَلًّا فِي الْهَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لَا يُقَامُ لَهُ وَزْنٌ وَلَا تُقَامُ لَهُ قِيَمَةٌ .

وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرْدَهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ

وَالْتَمَرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمَسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ .

فَفِي زَمَانِ الَّذِي اخْتَلَطَ فِيهِ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ وَصَارَ عِنْدَهُمُ الْحَلَالُ مَا وَصَلَ إِلَى الْيَدِ وَذَهَبَ عَنْهُمْ الْوَرَعُ وَالْإِبْتِعَادُ عَنِ الشُّبُهَاتِ ، عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ وَيَتَثَبَّتْ وَلَا يَبْذُلَ زَكَاتَهُ إِلَى كُلِّ مَنْ مَدَّ يَدَهُ ، بَلْ يَسْأَلُ بِدِقَّةٍ ، وَيَتَحَقَّقُ مِنَ الْإِوْرَاقِ الَّتِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ ، الَّتِي صَارَتْ تُصَوَّرُ وَتُبَاعُ وَتُشْتَرَى . وَرَبَّمَا حَصَلَ الْمُتَسَوِّلُ عَلَى أَعْصَافٍ مَا فِيهَا وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَسَوِّلِينَ الشَّحَازِينَ اسْتَعْمَلُوا فِي طَرِيقِ مُنْتَجِ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مَا يَصِلُ إِلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ لَمَا بَقِيَ فِي الْأُمَّةِ مِنْهُمْ مُتَسَوِّلٌ ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ أَلْفُوا هَذَا الْعَيْشَ وَرَكَنُوا إِلَيْهِ لَا يَدْفَعُهُمْ إِلَيْهِ فَقْرٌ وَلَا يَرُدُّهُمْ عَنْهُ غِنَى ، وَكَمْ مِمَّنْ اكْتَشَفَ فَصَارَ عِنْدَهُ ثَرْوَةٌ ، وَهَذَا سَبَبُهُ عَدَمُ التَّيَبُّتِ وَاجْتِرَاءُ الْعَادَاتِ بِدُونِ سُؤَالِ هَلْ اغْتَنَى أَمْ لَا .

وَقَدْ بَيَّنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَحِلُّ لَهُ السُّؤَالُ وَذَلِكَ فِيهَا وَرَدَّ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ قَالَ تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَأَمَرَكَ بِهَا ، ثُمَّ قَالَ يَا قَبِيصَةَ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ : رَجُلٍ تَحْمَلُ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ ، أَوْ رَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاَحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ .

وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةَ مِنْ ذَوِي الْحِجْبَى مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سَحَتْ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سَحْتًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا الْأَحَادِيثَ الَّتِي تَتَضَمَّنُ التَّغْلِيظَ الشَّدِيدَ فِي السُّؤَالِ مِنْ غَيْرِ
ضَرُورَةٍ وَذَلِكَ فِي مَوْضُوعِ « مَنْ نَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ » .

شِعْرًا :

غَفَلْتُ وَحَادِي الْمَوْتِ فِي أَثْرِي يَحْدُو
فَإِنْ لَمْ أَرُحْ يَوْمِي فَلَا بُدَّ أَنْ أَعْدُ
أُنَعِّمُ جِسْمِي بِاللِّبَاسِ وَلَيْنِهِ
وَلَيْسَ لِجِسْمِي مِنْ لِبَاسِ الْبَلَى بُدُّ
كَأَنِّي بِهِ قَدْ مَرَّ فِي بَرْزَخِ الْبَلَى
وَمِنْ فَوْقِهِ رَدْمٌ وَمِنْ تَحْتِهِ لَحْدُ
وَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي الْمَحَاسِنُ وَأَنْمَحَتْ
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ الْعَظْمِ لَحْمٌ وَلَا جِلْدُ
أَرَى الْعُمَرَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ أُدْرِكِ الْمُنَى
وَلَيْسَ مَعِيَ زَادٌ وَفِي سَفَرِي بُعْدُ
وَقَدْ كُنْتُ جَاهِرْتُ الْمُهَيِّمَ عَاصِيًا
وَأَحْدَثْتُ أَحْدَاثًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
وَأَرَخَيْتُ خَوْفَ النَّاسِ سِتْرًا مِنَ الْحَيَا
وَمَا خِيفْتُ مَنْ سَرَى غَدًا عِنْدَهُ يَبْدُو
بَلَى خِيفَتُهُ لَكِنْ وَثِقْتُ بِحِلْمِهِ
وَأَنْ لَيْسَ يَعْضُو غَيْرُهُ فَلَهُ الْحَمْدُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ وَالْبَلَى
عَنِ اللَّهِ لَكِنْ زَالَ عَنِ رَأْيِنَا الرُّشْدُ

عَسَىٰ غَافِرُ الزَّلَّاتِ يَغْفِرُ زَلَّتِي
فَقَدْ يَغْفِرُ الْمَوْلَىٰ إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ
أَنَا عَبْدٌ سُوءٍ خُنْتُ مَوْلَايَ عَهْدَهُ
كَذَلِكَ عَبْدُ السُّوءِ لَيْسَ لَهُ عَهْدٌ
فَكَيْفَ إِذَا أَحْرَقْتَ بِالنَّارِ جُثَّتِي
وَنَارُكَ لَا يَقْوَىٰ لَهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
أَنَا الْفَرْدُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالْفَرْدُ فِي الْبَلَىٰ
وَأَبْعَثُ فَرْدًا فَارْحَمِ الْفَرْدُ يَا فَرْدُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَارْزُقْنَا الْإِقْبَالَ عَلَى طَاعَتِكَ
وَالْإِنَابَةَ وَبَارِكْ فِي أَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَجِرْ لَنَا الْأَجْرَ وَالْإِنَابَةَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ دَرَجَةَ الْمُصْلِحِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ
دَرَجَةِ الصَّائِمِينَ وَالْمُصَلِّينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ
إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَأَبْنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ قَالَ وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ
الدِّينَ .

وَلَا غَرَوَ إِذَا ارْتَفَعَتْ دَرَجَةُ الْمُصْلِحِ الْبَاذِلِ جُهْدُهُ الْمُضْحِي بِرَاحَتِهِ
وَأَمْوَالِهِ فِي رَأْبِ الصَّدْعِ وَجَمْعِ الشَّتَاتِ وَإِصْلَاحِ فَسَادِ الْقُلُوبِ ، وَإِزَالَةِ مَا
فِي النُّفُوسِ مِنْ ضَعِيفَةٍ وَحَقْدٍ وَالْعَمَلِ عَلَى إِحْكَامِ الرِّوَابِطِ لِلْإِلْفَةِ وَالْإِخَاءِ
وَإِطْفَاءِ نَارِ الْعَدَاوَةِ وَالْفِتَنِ .

كَمَا هِيَ وَظِيفَةُ الْمُرْسَلِينَ لَا يَقُومُ بِهَا إِلَّا أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَطَاعُوا رَبَّهُمْ
وَشَرَفَتْ نَفُوسُهُمْ وَصَفَتْ أَرْوَاحُهُمْ يَقُومُونَ بِهِ لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْخَيْرَ وَالْهُدَى
وَيَكْرَهُونَ الشَّرَّ حَتَّى عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ وَيَمَقْتُونَ الْخِلَافَ حَتَّى عِنْدَ
غَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ وَيَجِدُونَ فِي إِحْبَاطِ كَيْدِ الْخَائِنِينَ .

وَلَوْ أَنَّا تَبَعْنَا الْحَوَادِثَ وَرَاجَعْنَا الْوَقَائِعَ لَوَجَدْنَا أَنَّ مَا بِالْمَحَاكِمِ مِنْ
قَضَايَا وَمَا بِالْمَرَائِزِ وَالنِّيَابَاتِ مِنْ خُصُومَاتٍ وَمَا بِالْمُسْتَشْفِيَّاتِ مِنْ مَرَضَى ، وَمَا
بِالسُّجُونِ مِنْ بُؤْسَاءٍ يَرْجِعُ أَكْثَرُهُ إِلَى إِهْمَالِ الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى عَمَّ الشَّرُّ
الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ وَأَهْلَكَ النُّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ وَقَضَى عَلَى الْأَوَاصِرِ وَقَطَعَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ مِنْ وَشَائِحِ الرَّجْمِ وَالْقَرَابَةِ وَذَهَبَ بِرِيحِ الْجَمَاعَةِ وَبَعَثَ
عَلَى الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ الْيَوْمَ وَجَدَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ قَدْ فَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ
وَخَبَّتْ نِيَّتُهُمْ لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الشَّرَّ وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِ وَيَعْمَلُونَ عَلَى نَشْرِهِ بَيْنَ
النَّاسِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَتْرُكُونَ الْمُتَخَاصِمِينَ فِي غَضَبِهِمْ وَشَتَائِمِهِمْ وَكَيْدِ
بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ حَتَّى يَسْتَفْجِلَ الْأَمْرُ .

وَيَشْتَدُّ الشَّرُّ وَيَسْتَحْكِمُ الْخِصَامُ بَيْنَهُمْ فَيَنْتَقِلُوا مِنَ الْكَلَامِ إِلَى الْقَذْفِ
وَالطَّعْنِ وَمِنْ ذَلِكَ إِلَى اللَّطْمِ وَمِنَ اللَّطْمِ إِلَى الْعَصِيِّ وَمِنَ الْعَصِيِّ إِلَى
السُّلَاحِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمَرَائِزِ ثُمَّ إِلَى السُّجُونِ وَالنَّاسِ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ

يَتَفَرَّجُونَ وَيَتَغَامِرُونَ وَيَتَّبِعُونَ الْحَوَادِثَ وَيَلْتَقِطُونَ الْأَخْبَارَ ، بَلْ قَدْ يُلْهَمُونَ نَارَ
الْفِتْنَةِ وَالْعَدَاوَةِ وَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَقْهَرَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ
بِالْبَاطِلِ وَالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ بِدُونِ خَوْفٍ مِنَ اللَّهِ وَلَا حَيَاءٍ مِنَ النَّاسِ .

وَتَكُونُ النَّيِّجَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ضِيَاعَ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ مَالٍ أَوْ عَقَارٍ وَقَدْ كَانَ
يَكْفِي لِإِزَالَةِ مَا فِي النُّفُوسِ مِنَ الْأَضْغَانِ وَالْأَحْقَادِ وَالْكَرَاهَةِ ، كَلِمَةً وَاحِدَةً
مِنْ عَاقِلٍ لَيْسَ نَاصِحٍ مُخْلِصٍ تَقْضِي عَلَى الْخُصُومَاتِ فِي مَهْدِهَا فَيَتَغَلَّبُ
جَانِبُ الْخَيْرِ وَيَرْتَفِعُ الشَّرُّ وَتَسَلَّمَ الْجَمَاعَةُ مِنَ التَّصَدُّعِ وَالْإِنْشِقَاقِ وَالتَّفَرُّقِ .

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا ، إِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ
وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ ، فَقَالَ أَنَا يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فَعِنْدَمَا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَسْتَنْكِرُ عَمَلَهُ عَدَلَ عَنْ رَأْيِهِ وَاسْتَجَابَ لِفِعْلِ الْخَيْرِ وَقَدْ قَامَتْ فِي نَفْسِهِ
دَوَافِعُهُ إِرْضَاءً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

وَالشَّاهِدُ مِنْ ذَلِكَ خُرُوجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ
فَالدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ الْحَنِيفُ أَوْجَبَ عَلَى الْعُقَلَاءِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَتَوَسَّطُوا بَيْنَ
الْمُتَخَاصِمِينَ وَيَقُومُوا بِإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَيُلْزِمُوا الْمُعْتَدِيَّ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ حَدِّهِ
دِرًّا لِلْمَفَاسِدِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى الْخِلَافِ وَالنِّزَاعِ وَمَنْعًا لِلْفَوْضَى وَالْخِصَامِ ، وَأَقْوَمُ
الْوَسَائِلِ الَّتِي تَصْفُو بِهَا الْقُلُوبُ مِنْ أَحْقَادِهَا أَنْ يَجْعَلَ كُلُّ امْرِئٍ نَفْسَهُ مِيزَانًا
بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ فَمَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ يُحِبُّ لَهُمْ وَمَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ يَكْرَهُهُ
لَهُمْ شعرا :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَمْ يَلِدْهُ أَبُوكَ وَأَخٌ أَبُوهُ أَبُوكَ قَدْ يَخْفُوكَ
كَمْ إِخْوَةٌ لَكَ لَمْ يَلِدْكَ أَبُوهُمَا وَكَأَنَّمَا آبَاؤُهُمْ وَلَدُوكَا

وَبِذَلِكَ تَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، قَالَ ﷺ لَا يُؤْمِنُ أَذُكُم حَتَّى يُحِبَّ
لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ هِيَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ مُفْلِحِينَ

شعرا : إِنَّ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا لَوْ حُصِّلتَ رَجَعَتْ جُمْلَتَهَا إِلَى شَيْئِينَ
تَعْظِيمُ أَمْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَالسَّعْيُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ

آخِر :

« فَأَحْسِنْ إِذَا أُوتِيَتْ جَاهًا فَإِنَّهُ سَحَابَةٌ صَيفٍ عَنِ قَلِيلٍ تَقَشُّعُ »
« وَكُنْ شَافِعًا مَا كُنْتَ فِي الدَّهْرِ قَادِرًا وَخَيْرُ زَمَانِ الْمَرْءِ مَا فِيهِ يَشْفَعُ »
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَضْلُ)

الْعَدْلُ : ضِدُّ الْجَوْرِ وَهُوَ الْإِعْتِدَالُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَالْمَيْلُ إِلَى الْحَقِّ .
وَشَرْعًا : هُوَ الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ بِالِاجْتِنَابِ عَمَّا هُوَ مَحْظُورٌ دِينًا :
وَفِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ الْعَدَالَةُ اسْتِوَاءُ أَحْوَالِهِ فِي دِينِهِ وَاعْتِدَالُ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ .

وَيُعْتَبَرُ لَهَا شَيْئَانِ الصَّلَاحُ فِي الدِّينِ وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَ ، وَالْعَدَالَةُ تَارَةً
يُقَالُ لَهَا هِيَ الْفَضَائِلُ كُلُّهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنَ الْفَضَائِلِ عَنْهَا وَتَارَةً
يُقَالُ لَهَا هِيَ أَجْمَلُ الْفَضَائِلِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ صَاحِبَهَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي نَفْسِهِ
وَفِي غَيْرِهِ .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ أَيُّ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾
وَقَوْلِهِ ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ قَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ :
الْعَدْلُ . وَسُمِّيَ الْعَدْلُ مِيزَانًا لِأَنَّ الْمِيزَانَ آلَةُ الْإِنصَافِ وَالتَّسْوِيَةِ ، وَعَبَّرَ عَنِ
الْعَدَالَةِ بِالْمِيزَانِ إِذْ كَانَ مِنْ أَثَرِهَا ، وَمِنْ أَظْهَرَ أَفْعَالِهَا لِلْحَاسَةِ .

وَمِنْ مَزِيَةِ الْعَدْلِ أَنْ الْجَوْرَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْعَدْلِ لَا يَتَسَبَّبُ إِلَّا بِهِ فَلَوْ أَنَّ
لُصُوصاً أَوْ نَحْوَهُمْ تَشَارَطُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ شَرْطاً فَلَمْ يِرَاعُوا الْعَدَالََةَ فِيهِ لَمْ يَنْتَظِمِ
أَمْرُهُمْ . وَمِنْ فَضْلِهَا أَنْ كُلَّ نَفْسٍ تَتَلَذَّذُ بِسَمَاعِهَا وَتَتَأَلَّمُ مِنْ ضِدِّهَا وَلِذَلِكَ
حَتَّى الْجَائِرُ يَسْتَحْسِنُ عَدْلَ غَيْرِهِ إِذَا رَأَهُ أَوْ سَمِعَهُ .

وَالْعَدْلُ يَدْعُو إِلَى الْإِلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَيُبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ وَتَعْمُرُ بِهِ الْبِلَادُ
وَتَنْمِي بِهِ الْأَمْوَالُ وَيَكْتَثُرُ مَعَهُ النَّسْلُ وَيَأْمَنُ بِهِ السُّلْطَانُ لِحُصُولِ الْأَمْنِ الْعَامِّ
وَأَنْبَسَاطِ الْأَمَالِ .

عَلَيْكَ بِالْعَدْلِ إِنْ وُلِّيتَ مَمْلَكَةً واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على عدل الكفور ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حصر

وَقَدْ قَالَ الْمَرْزَبَانُ ، رَئِيسُ الْمَجُوسِ لِعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا رَأَهُ
مُتَبَدِّلاً لَا حَارِسَ لَهُ عَدَلَتْ فَأَمِنَتْ فَنَمَتْ .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَرَاعَ صَاحِبَ كِسْرَى أَنْ رَأَى عُمَرَأً
بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُظْلاً وَهُوَ رَاعِيهَا
وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الْفُرْسِ أَنَّ لَهَا
سُوراً مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَحْمِيهَا
رَأَهُ مُسْتَغْرِقاً فِي نَوْمِهِ فَرَأَى
فِيهِ الْجَلَالََةَ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا
فَوْقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلاً
بِبُرْدَةٍ كَادَ طَوَّلَ الْعَهْدِ يُبْلِيهَا

فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ
 مِنَ الْأَكَاسِرِ وَالذُّنْيَا بِأَيْدِيهَا
 وَقَالَ قَوْلَةً حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا
 وَأَصْبَحَ الْجَيْلُ بَعْدَ الْجَيْلٍ يَحْكِيهَا
 أَمِنْتَ لَمَّا أَقَمْتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمُوا
 فَجِئْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ فَأَمَّا
 الْمُنْجِيَاتُ فَالْعَدْلُ فِي حَالَةِ الْغَضَبِ وَالرِّضَا وَخَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ
 وَالْعَلَانِيَةِ وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ .

وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ فَشُحُّ مَطَاعٍ وَهَوَى مُتَّبِعٍ وَأَعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، « وَالَّذِي
 يَجِبُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْإِنْسَانَ الْعَدْلَ مَعَهُ أَوْلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا
 بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِهِ وَتَطْبِيقِهَا بِالْعَمَلِ بِهَا .

فَأَعْظَمُ الْحُقُوقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ وَذَلِكَ بِأَنْ
 يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
 لِيَعْبُدُونِ ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
 الدِّينَ ﴾ وَفِي حَدِيثٍ مُعَاذِ الْمُتَّقِي عَلَيْهِ « حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا
 يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » فَمَنْ قَامَ بِهَذَا الْحَقِّ فَعَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ . وَأَدَّى هَذَا الْحَقَّ وَقَامَ
 بِحُقُوقِهِ مُخْلِصًا لِلَّهِ ، فَقَدْ قَامَ بِأَعْظَمِ الْعَدْلِ ، وَمَنْ صَرَفَهُ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ جَارَ
 وَظَلَمَ ، وَعَدَلَ عَنِ الْعَدْلِ وَاسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ .
 الظُّلْمُ نَارٌ فَلَا تَحْقِرُ صَغِيرَتَهُ
 لَعَلَّ جَذْوَةَ نَارٍ أَحْرَقَتْ بَلَدًا

الثاني : أن يعدل مع نفسه وذلك بحملها على ما فيه صلاحها وكفها عن القبائح ثم بالوقوف في أحوالها على عدل الأمرين من تجاوز أو تقصير ، فإن التجاوز في الأحوال جور على النفس والتقصير فيها ظلم لها لمنعها عن كمالها ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم ومن جار على نفسه فهو على غيره أجور ، لأن من لم يراع حقوق نفسه فعدم مراعاته حقوق غيره أولى وأخرى .

الثالث : عدل الإنسان فيمن دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع صحابته ، وذلك بأمور : الأول اتباع الميسور لهم وترك المعسور وحذفه عنهم وترك التسلط والقهر بالقوة وابتغاء الحق في الميسور ويقيم العدل فيهم قريبيهم وبعيبيهم غنيهم وفقيرهم وأن يكونوا عنده في هذا سواء .

ولا يقصر شيئاً من واجبه مع رعيته ولا يهمل شيئاً يرفي أبدانهم وعقولهم وأخلاقهم ويحفظ عليهم أموالهم ودماءهم وأعراضهم ويكون لهم مثلاً أعلى في معاملته بعضهم بعضاً بالعدل والانصاف ، فالحاكم كالقلب من الجسد إذا صلح صلح الجسد ، فإذا صلح الراعي صلحت الرعية وإذا فسدت فسدت ، فلهذا كانت مسؤوليته ولاة الأمور عظيمة في نظر الشريعة الإسلامية .

وقد حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم تحذيراً شديداً روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ألا تستعلمني . قال فصر ببيده على منكبي ، ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها رواه مسلم ، وحققها في نظر الدين أن يقوم بكل شيء فيه مصلحة للمحكومين .

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَاللَّهِ لَوْ عَثَرْتُ بَغْلَةً فِي الْعِرَاقِ لَوَجَدْتَنِي
مَسْئُولًا عَنْهَا ، فَقِيلَ لِمَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لِأَنِّي مُكَلَّفٌ بِاصْلَاحِ
الطَّرِيقِ . هَذَا مِثَالُ الْحَاكِمِ الْعَدْلِ ، وَلِهَذَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فَضْلًا عَظِيمًا وَمَيَّزَهُ
كَمَا سَيَأْتِي فِي الْأَحَادِيثِ .

وَرُوِيَ أَنَّ يَهُودِيًّا شَكَا عَلِيًّا إِلَى عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ
عُمَرُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : قِفْ بِجَوَارِ خَصْمِكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، فَوَقَّفَ وَقَدْ
عَلَا وَجْهُهُ الْغَضَبُ فَبَعْدَ أَنْ قَضَى الْخَلِيفَةُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ قَالَ أَغْضِبْتَ يَا عَلِيُّ
أَنْ قُلْتُ لَكَ قِفْ بِجَوَارِ خَصْمِكَ ، قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ مِنْ
كَوْنِكَ كُنَيْتَنِي بِأَبِي الْحَسَنِ فَخَشِيتُ مِنْ تَعْظِيمِكَ إِيَّايَ أَمَامَ الْيَهُودِيِّ أَنْ يَقُولَ
ضَاعَ الْعَدْلُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْخُذُ رِزْقَهُ وَكَانَ جُنْدِيًّا
مِنْ جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ وَلَكِنَّهُ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ قَتَلَ أَخَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلَمَّا
رَأَاهُ عُمَرُ ارْتَبَدَ وَجْهُهُ ، وَقَالَ لَهُ يَا هَذَا إِنِّي لَا أُحِبُّكَ حَتَّى تُحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ ،
فَقَالَ الرَّجُلُ لِعُمَرَ أَوْ مَا نَعِيَ ذَلِكَ عِنْدَكَ حَقًّا مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ اللَّهُمَّ
لَا .

فَقَالَ الرَّجُلُ مَا يَصِيرُنِي بَغْضِكَ إِيَّايَ إِنَّمَا يَأْسَى عَلَى الْحُبِّ النِّسَاءُ فَقَدْ
عَرَفَ الرَّجُلُ مِنْ وَرَعِ عُمَرَ وَدِينِهِ أَنَّ شِدَّةَ غَضَبِهِ وَغَيْضِهِ وَحَنَقِهِ عَلَيْهِ وَكَرَاهِيَّتَهُ
لَهُ لَا تَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْعَدْلِ إِلَى الظُّلْمِ فَهُوَ لِمَا عَلِمَ مِنْ عَدْلِهِ وَثِقَتِهِ بِدِينِهِ آمِنٌ مِنْ
بَطْشِهِ .

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَنِيْبَ لِكُلِّ عَمَلٍ الْأَكْفَأَ الْأَمِينِ وَلِيَحْذَرَ أَنْ يُؤَلَّى
عَلَيْهِمْ رَجُلًا وَفِي رَعِيَّتِهِ خَيْرٌ مِنْهُ .

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابِيَّةٍ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ قَالَ قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
حِينَ بَعَثَنِي إِلَى الشَّامِ يَا يَزِيدُ إِنَّ لَكَ قَرَابَةً عَسَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَهُمْ بِالْأَمَارَةِ وَذَلِكَ
أَكْثَرُ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَلِيَ مِنْ
أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ
صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَعَلَى الْإِمَامِ أَنْ يُوصِيَ مَنْ اسْتَنَابَهُ بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ وَيُحَذِّرَهُمْ مِنَ الْجَوْرِ
وَيُظْلِمِ الْعِبَادَ فِي الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ ، وَيَذَكِّرُهُمْ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ
دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَالِدِهِ .

وَيَتَفَقَّدُهُمْ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ الصَّلَاحِ الدِّينِيِّ وَالذُّنُوبِيِّ
فَلَا يَصْلُحُ الدِّينُ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَلَا تَصْلُحُ الدُّنْيَا وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَى
الْعَدْلِ .

وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي
فِيهِ اشْتِرَاكٌ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْمِ أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ
تَشْتَرِكْ فِي إِثْمٍ ، وَلِهَذَا قِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا
يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَيُقَالُ الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكَفْرُ وَلَا تَدُومُ
مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ نِظَامٌ كُلُّ شَيْءٍ فَإِذَا أُفِيْمَ أَمْرُ الدُّنْيَا
بِعَدْلِ قَامَتْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ أَهْ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم يوم من إمام عادلٍ أفضل من عبادة ستين سنةً وحدٌ يُقام في الأرض بحقه أركى فيها من مطرٍ أربعين صباحاً رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأسناد الكبير حسن .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنةً قياماً ليلها وصيام نهارها ، ويا أبا هريرة جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله عز وجل من معاصي ستين سنةً وفي رواية عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنةً رواه الاصبهاني .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم مجلساً إمام جائر » رواه الترمذي والطبراني في الأوسط مختصراً ، وعدَّ صلى الله عليه وسلم من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل .

اللهم ارزقنا علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ورزقاً واسعاً نستعين به على طاعتك ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذاكراً ، وإيماناً خالصاً ، وهب لنا إنابة المخلصين ، وخشوع المخبتين ، وأعمال الصالحين ، ويقين الصادقين ، وسعادة المتقين ، ودرجات الفائزين ، يا أفضل من رجي وقصد ، وأكرم من سئل ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فضل)

ويجب على القضاة والحكام بين الناس أن يتحروا العدل ويحكموا به بين الناس .

وَهُمْ أَمَّهُمْ رُكْنَ تَقُومُ عَلَيْهِ سَعَادَةُ الْمُجْتَمَعِ وَيُنْبِنِي عَلَيْهِ أَمْنُ النَّاسِ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ ، فَإِذَا جَارَ الْقَاضِي وَلَمْ يُقْسِطْ اخْتَلَّ النِّظَامُ وَسَادَتِ الْفُوضَى ، وَلِهَذَا إِذَا عَمَّ الْعَدْلُ اسْتَعْنَتِ الْأُمَّةُ عَنِ الْمَحَاكِمِ وَقَضَاتِهَا وَمُحَامِيهَا وَالْوُكَلَاءِ وَالسَّمَاوِيَّةِ ، وَأَنْقَطَعَ دَابِرُ شُهَدَاءِ الزُّورِ أَعَدَمَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْوُجُودِ أَوْ أَصْلَحَهُمْ ، فَأَكْثَرَ الْحُكَّامِ وَظَيْفَتَهُمْ إِقَامَةُ الْعَدْلِ ، فَإِذَا وَجَدَ الْعَدْلُ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِمْ ، وَبِذَلِكَ يَتَوَفَّرُ عَلَى الْأُمَّةِ عَدَدٌ كَبِيرٌ يَشْتَغِلُ فِي مَصَالِحِ أُخْرَى ، وَيَتَوَفَّرُ مِقْدَارٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَالِ .

وَلِهَذَا السَّلْفُ تَمُرُّ الْمُدَّةُ الْكَثِيرَةُ عَلَى الْقَاضِي لَا يَأْتِيهِ خُصُومٌ ، وَإِلَيْكَ حِكَايَةُ حَالِ تَارِيخِيَّةٍ تَنْطَبِقُ تَمَامًا عَلَى الْمُتَّصِفِينَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ ، عَيْنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَاضِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَمَكَثَ عُمَرُ سَنَةً لَمْ يَخْتَصِمَ إِلَيْهِ اثْنَانِ فَطَلَبَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ إِعْفَاءَهُ مِنَ الْقَضَاءِ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ أَمِنْ مَشَقَّةِ الْقَضَاءِ تَطَلَّبُ الْإِعْفَاءِ يَا عُمَرُ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَا يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا حَاجَةَ لِي عِنْدَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ عَرَفَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا لَهُ مِنْ حَقٍّ فَلَمْ يَطْلُبْ أَكْثَرَ مِنْهُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبٍ فَلَمْ يَقْصُرْ فِي أَدَائِهِ ، أَحَبَّ كُلُّ مِنْهُمْ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَإِذَا غَابَ أَحَدُهُمْ تَفَقَّدُوهُ وَإِذَا مَرِضَ عَادُوهُ وَإِذَا افْتَقَرَ أَعَانُوهُ ، وَإِذَا احتَاجَ سَاعَدُوهُ ، وَإِذَا أُصِيبَ وَاسَوْهُ ، ذِينَهُمُ النَّصِيحَةُ ، وَخَلَقُهُمُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَفِيمَ يَخْتَصِمُونَ إِذَا .

وَبِالْتَّالِيِ فَقَدْ عُنِيَتِ الشَّرِيعَةُ بِالْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ عِنَايَتَهَا بِكُلِّ مَا هُوَ دِعَامَةٌ لِسَعَادَةِ الْحَيَاةِ ، فَآتَتْ بِالْعِظَاتِ الْبَالِغَاتِ تَبَشِّرُ مَنْ أَقَامَهُ بِعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ ، وَتَحَذِرُ مَنْ انْحَرَفَ عَنْهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

فَمِنَ الْآيَاتِ الْمُنْبَهَةِ لِمَا فِي الْعَدْلِ مِنْ فَضْلِ وَكَرَامَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ فَأَمَرَ بِالْعَدْلِ وَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ الْحَاكِمَ الْمُقْسِطَ يَنَالُ خَيْرًا عَظِيمًا ، هُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ ، وَمَا بَعْدَ مَحَبَّةِ اللَّهِ إِلَّا الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْعَيْشَةُ الرَّاضِيَةُ فِي الْآخِرَةِ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ وَمِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا يُورِثُهُ الْعَدْلُ مِنْ شَرَفِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ .

فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْعِنَايَةِ بِهِمْ لِكَوْنِهِمْ عَنْ يَمِينِهِ جَلٌّ وَعَلَا وَدَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ قُرْبِهِمْ مِنْهُ جَلٌّ وَعَلَا وَفَوَازِهِمْ بِرِضْوَانِهِ وَفِي ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَرْبِيَةً لِقُوَّةِ الرَّجَاءِ وَالثِّقَةِ بِأَنَّ الْحَاكِمَ الْعَادِلَ يَجِدُ مِنَ النَّعِيمِ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ وَتَلَذُّ عَيْنُهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ فَالْمُقَرَّبُونَ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ مَا لَا يَحْصُلُ لِغَيْرِهِمْ .

وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ تُحذِّرُ مِنَ الْجَوْرِ فِي الْقَضَاءِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَفْكَّهُ الْعَدْلُ أَوْ يُؤْبِقَهُ الْجَوْرُ رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرِجَالُ الْبَزَّازِ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْقَضَاءُ
ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ
فَقَضَى بِهِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى
لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

فَالْقَاضِي الْمَمْدُوحُ فِي نَظَرِ الدِّينِ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيَقْضِي بِهِ فَأَمَّا
مَعْرِفَةُ الْحَقِّ فَإِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى مَجْهُودٍ عَظِيمٍ وَبَحْثٍ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ
وَالْأَحْوَالِ الْمُحِيطَةِ بِالْخُصُومِ وَأَمَّا الْحُكْمُ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مُجَاهَدَةٍ
عَظِيمَةٍ حَتَّى يُبْعَدَ الْقَاضِي عَنِ الْمَيْلِ وَيَتَنَزَّهَ عَنِ التَّحْيِزِ إِلَى أَقْرَبَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ
وَأَصْهَارِهِ وَجِيرَانِهِ أَوْ مَنْ بَيْنَهُمْ وَيَبْنِيهِ رَابِطَةٌ ، أَوْ تَجْمَعُهُمْ مَعَهُ جَامِعَةٌ أَوْ يَكُونُ لَهُ
فِي الْمَيْلِ غَرَضٌ يَنَالُهُ مِنْ مَالٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ شَهْوَةٍ .

فَالْقَاضِي لَا يَنْجُو إِلَّا إِذَا كَانَ كَالْمِيزَانِ الْمُنْضَبِطِ فَلَا يَمِيلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ إِلَى
أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَتَحَقَّقُ فِيهِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ عَلَى مَا فَسَّرَهُ بَعْضُ
الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَهَذَا إِنْ لَمْ
يَقْضِ بِالْحَقِّ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ لِيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةً يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ
بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ جِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَلَفْظُهُ قَالَتْ سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُدْعَى الْقَاضِي الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى
مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي عُمُرِهِ قَطُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَكَذَلِكَ الْعَدْلُ بَيْنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَقَارِبِ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِ
مَرَاتِبِهِمْ وَالْقِيَامِ بِصَلَاتِهِمْ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ بِهِ تَتِمُّ الصَّلَةُ وَتَقْوَى رَوَابِطُ
الْمَحَبَّةِ وَالتَّعَاطُفِ ، وَبِذَلِكَ يَكْسِبُونَ الشَّرْفَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ وَبِهِ تُنْظَرُ
هَذِهِ الْبُيُوتِ الَّتِي قَامَتْ عَلَى ذَلِكَ بَعَيْنِ التَّقْدِيرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ .

وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ بِإِذْنِ اللَّهِ التَّكَاتُفُ وَالتَّسَاعُدُ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ
وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الْعَدْلِ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ
رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ
عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَإِنَّهَا مَسْئُولَةٌ عَنْ تَدْبِيرِ مَنْزِلِهَا بِمَا يُوَافِقُ حَالَ زَوْجِهَا فَلَا
تُرْهَقُهُ بِالْإِنْفَاقِ وَلَا تَطْلُبُهُ بِطَلْبِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا تَحُونُهُ فِي عِرْضِهِ وَلَا تَفْعَلُ مَا
يُؤْذِيهِ وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَعْدَلَ بَيْنَ أَبْنَائِهَا فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ طَعَامٍ
وَشَرَابٍ فَلَا تُفْضِلُ وَاحِدًا عَلَى الْآخَرِ مِنْ غَيْرِ حَقِّ بَلِّ تُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مَا يُنَاسِبُهُ
فَلَا تَحْرِمُ مَنْ تَبْغِضُ وَتُجْزِلُ الْعَطَاءَ لِمَنْ تُحِبُّ فَإِنْ خَانتَ زَوْجَها فِي عِرْضِها أَوْ
مَالِها أَوْ أَدْتَهُ بِعِضْيَانِها أَوْ فَضَلَّتْ بَعْضَ أَوْلَادِها عَلَى بَعْضٍ كَانَتْ ظَالِمَةً تَسْتَحِقُّ
العِقَابَ .

وَكَذَا الْخَادِمُ وَالْعَامِلُ مَسْئُولٌ عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي وَكِّلَ إِلَيْهِ وَائْتِمَنَ عَلَيْهِ
فَإِذَا أَهْمَلَ الْعَامِلُ عَمَلًا أَوْ آدَاهُ نَاقِصًا فَقَدْ ظَلَمَ سَيِّدَهُ وَاسْتَحَقَّ الْعِقَابَ وَكَذَلِكَ
الْخَادِمُ إِذَا خَانَ سَيِّدَهُ فِي مَالِهِ كَأَنْ كَلَّفَهُ بِشْرَائِهِ فَزَادَ فِي ثَمَنِهِ وَأَخَذَهُ لِنَفْسِهِ أَوْ
أَهْمَلَ مُسَاوَمَةَ التَّاجِرِ فَعَبَّهُ فِي السِّلْعَةِ أَوْ رَأَى أَحَدًا يُعْتَدِي عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ فَلَمْ
يُرُدَّهُ أَوْ كَلَّفَهُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى عَمَلٍ فَاسْرَفَ فِيهِ بِدُونِ حَقِّ فَاتَهُ يَكُونُ ظَالِمًا
وَإِثْمًا .

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الصُّنَاعِ الَّذِينَ يَتَعَابُونَ عَلَى عَمَلٍ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ صُنْعَهُ
وَيَغُشُّونَ النَّاسَ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ آثِمُونَ وَكَذَلِكَ النَّجَارُونَ وَالْحَدَّادُونَ وَسَائِرُ
أَهْلِ الصَّنَائِعِ لِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ بِالْعَدْلِ فِي صَنَائِعِهِمْ بَأْنَ يُجِدُوهَا وَلَا يَتْرُكُوا
خَلًّا إِلَّا أَصْلَحُوهُ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِنْ اللَّهُ سَأَلَ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي
صَحِيحِهِ وَجَاءَ فِي تَرْكِ الْعَدْلِ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ أَحَادِيثٌ تَدُلُّ عَلَى خُطُورَةِ ذَلِكَ
مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَّةُ سَاقِطٌ رَوَاهُ
الترمذی .

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَلَفْظُهُ مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى أَحَدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَشِقَّةُ مَائِلٌ وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَلَفْظُهُ مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ أَحَدَاهُمَا
عَلَى الْآخَرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ شِقَّتَيْهِ مَائِلٌ وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي
صَحِيحِهِ بِنَحْوِ رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ هَذِهِ إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّتَيْهِ
سَاقِطٌ ، اللَّهُمَّ قُوْ إِيمَانِنَا بِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَإِذَا تَبَعْتَ سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَمَنْ اقْتَدَى بِهِمْ وَجَدْتَهُمْ يَعْدِلُونَ

وَيَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ بِنَفْسِهِ مِنَ الْأُمَّةِ أَنْ تُحَاسِبَهُ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ
وَتَصْرَفٍ وَتُقَوِّمَهُ فِي كُلِّ خَطَاٍ قَدْ يَصْدُرُ مِنْهُ مَا دَامُوا مُخْلِصِينَ يَتَّبِعُونَ وَجْهَ اللَّهِ
فِي حُكْمِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ .

فَهَذَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ يَقُولُ عِنْدَمَا اسْتَلَمَ الْحُكْمَ فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِنْ أَسَأْتُ
فَقَوِّمُونِي ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَيُكْمُ وَيَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فِي اعْوَجَاجًا فَلْيَقَوِّمَهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ اتَّقِ اللَّهَ يَا عُمَرُ فَأَجَابَهُ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ بِقَوْلِهِ أَتَقُولُ هَذَا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ عُمَرَ نَهَرَهُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ وَقَالَ لَا خَيْرَ فِيكُمْ إِنْ لَمْ تَقُولُوهَا
وَلَا خَيْرَ فِينَا إِنْ لَمْ نَسْمَعْهَا .

وَفِي مَرَّةٍ كَانَتْ جُمْلَةٌ مِنْ غَنَائِمِ الْمُسْلِمِينَ أَبْرَادُ يَمَانِيَّةٍ فَقَامَ عُمَرُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ يَقْسِمُ هَذِهِ الْغَنَائِمَ بِالْعَدْلِ وَقَدْ أَصَابَهُ مِنْهَا بُرْدٌ كَمَا أَصَابَ ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ
مِثْلُ ذَلِكَ كَأَيِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَمَّا كَانَ عُمَرُ بِحَاجَةٍ إِلَى ثَوْبٍ طَوِيلٍ لِأَنَّهُ
طَوِيلُ الْجِسْمِ تَبَرَّعَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بِبُرْدِهِ لِيَصْنَعَ مِنْهُمَا ثَوْبًا يَكْفِيهِ ثُمَّ وَقَفَ
وَعَلَيْهِ هَذَا الثَّوْبُ الطَّوِيلُ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَى
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَوَقَفَ لَهُ
سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ الصَّحَابِيُّ الْمَشْهُورُ الْجَلِيلُ فَقَالَ لِعُمَرَ لَا سَمْعَ لَكَ عَلَيْنَا
وَلَا طَاعَةَ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِمَ ؟ قَالَ سَلْمَانُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الثَّوْبُ ،
وَقَدْ نَالَكَ بُرْدٌ وَاحِدٌ وَأَنْتَ رَجُلٌ طَوِيلٌ فَقَالَ لَا تَعْجَلْ وَنَادَى ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ
لَبَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ نَاشِدَتُكَ اللَّهُ الْبُرْدُ الَّذِي اتَّزَرْتُ بِهِ أَهْوَرِ دَاوُكُ ،
فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ سَلْمَانُ الْآنَ مُرْ نَسْمَعُ وَنُطِيعُ .

وخرَجَ عُمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه من المسجدِ ومعه الجارودُ فإذا امرأةٌ برِزَّةٌ على ظَهْرِ الطَّرِيقِ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا فَردَّتْ عليه أو سَلَّمَتْ عليه فَردَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ هَيْهَ يا عُمرُ عَهْدُكَ وَأَنْتَ تُسَمِّي عُمَيْرًا في سُوْقِ عُكَّاضِ تُصَارِعُ الصَّبِيَّانَ فلم تَذْهَبِ الأيَّامُ حَتَّى سُمِّيتَ أميرَ المُؤمِنينَ فَاتَّقَى اللهُ في الرَّعِيَّةِ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ مَنْ خَافَ المَوْتَ خَشِيَ الفَوْتَ، فَبَكَى عُمرُ رضي اللهُ عنه.

فقال الجارودُ هَيْهَ قَدْ اجْتَرَأْتُ على أميرِ المُؤمِنينَ وَأَبْكَيْتِيه فَقَالَ عُمرُ دَعَهَا أَمَا تَعْرِفُ هَذِهِ هِيَ خَوْلةُ بِنْتِ حَكِيمِ التي سَمِعَ اللهُ قولَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ فَعُمرَ وَاللهِ أُخْرَى أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهَا.

وقامَ مرَّةً حَظِيبيًّا فقال إن رَأَيْتُمْ فيَّ اعوجاجاً فَقومُوني فقام رَجُلٌ مِنَ الحَاضِرِينَ وقال وَاللهِ لَوْ وَجَدْنَا فيكَ اعوجاجاً لَقومْنَاه بِسَيُوفِنَا فَقَالَ عُمرُ الحَمْدُ لِلَّهِ الذي جَعَلَ في الرَّعِيَّةِ مَنْ يُقوِّمُ اعوجاجَ عُمرِ.

وكان رضي اللهُ عنه إذا التبست عليه بعضُ الأمورِ يشاورُ الصحابةَ وقال رضي اللهُ عنه ما تشاورُ قومَ قط إلا هدوا لرشدهم. وقال لقمان لابنه يا بني شاور من جَرَّبَ فإنه يعطيك من رأيه ما أقام عليه بالغلاء وأنت تأخذه بالهجان.

وقال الحسنُ الناسُ ثلاثةُ فرجُلٍ ورجلٍ نصفُ رجلٍ ورجلٍ لا رجُلَ، فأما الرجلُ فذو الرأيِ والمشورةِ وأما نصفُ الرجلِ فالذي له رأيٌ ولا يشاورُ، وأما الرجلُ الذي ليسَ برَجُلٍ فالذي لا رأيَ له ولا يُشاورُ.

وقال ابنُ عُيينةَ كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أرادَ أمراً شاورَ فيه الرجالَ وكَيْفَ يَحْتَاجُ إلى مشاورةِ المخلوقينَ مِنَ الخالقِ مُدَبِّرِ أمرِهِ، ولكنه تَعَلَّمَ منه لِيُشاورَ الرجلَ النَّاسَ.

وقال لقمانُ لابنِهِ يا بُنَيَّ إذا أَرَدْتَ أن تَقطَعَ أمراً فلا تَقطعه حتى تستشيرَ مُرْشِداً.

شعرا : رُكوبُكَ الأمرِ ما لم تَبْدُ مَصْلِحَةً جَهْلٌ وِرايِكَ في الإقحامِ تَغْرِيرٌ فاعْمَلْ صَوْباً وَخُذْ بِالْحِزْمِ مَأْتِرةً فَلَنْ يَدَمَّ لِأهلِ الحِزْمِ تَدْبِيرٌ

وقال عمر رضي الله عنه لا أمين إلا من يحشى الله فشاور في أمرك الذين
يخشون الله.

شعرا : إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن

برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة

آخر : فإن الخوافي قوة للقوادم

شاور سواك إذا نالتك نائبة يوماً وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تبصر فيها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرات

آخر : إذا عن أمر فاستشر فيه صاحباً

وإن كنت ذا رأي تُشير على الصاحب
فإني رأيت العين تجهل نفسها

وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

وقال سليمان بن داود يا بني ، لا تقطع أمراً حتى تأمر مرشداً فإذا
فعلت فلا تحزن .

وفي كتاب الامام علي رضي الله عنه للاشتر النخعي لما ولاه على مصر
ولا تدخل في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً
يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور فإن البخل والحرص
والجبن غرائز وشتى يجمعن سوء الظن بالله .

وعنه من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها .
شعراً :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة

فإن فساد الرأي أن تردداً

وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً

فإن فساد العزم أن تتقيداً

ولما بويغ بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر بوصية من أبي بكر

إِلَيْهِ هَابَهُ النَّاسُ هَيْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى إِنَّهُمْ تَرَكَوْا الْجُلُوسَ فِي الْأَفْنِيَةِ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ جَمَعَ النَّاسَ ثُمَّ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ حَيْثُ كَانَ يَقُومُ أَبُو بَكْرٍ يَضَعُ قَدَمَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ النَّاسَ هَابُوا شِدَّتِي وَخَافُوا غَلْظَتِي وَقَالُوا قَدْ كَانَ عَمْرُؤُا يَشْتَدُّ عَلَيْنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ثُمَّ اشْتَدَّ عَلَيْنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالنَّاسُ دُونَهُ فَكَيْفَ الْآنَ وَقَدْ صَارَتِ الْأُمُورُ إِلَيْهِ .

وَلَعَمْرِي مَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنْتُ عَبْدَهُ وَخَادِمَهُ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ رَاضٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَأَنَا أَسْعَدُ النَّاسَ بِذَلِكَ ثُمَّ وَلِيَ أَمْرَ النَّاسِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكُنْتُ خَادِمَهُ وَعَوْنَهُ أَخْلَطُ شِدَّتِي بِلَيْبِهِ فَأَكُونُ سَيْفًا مَسْلُورًا حَتَّى يُغَمِدَنِي أَوْ يَدْعَنِي فَمَا زِلْتُ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيَّ رَاضٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَأَنَا أَسْعَدُ النَّاسَ بِذَلِكَ .

ثُمَّ إِنِّي وُلِّيتُ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ تِلْكَ الشَّدَّةَ قَدْ تَضَاعَفَتْ وَلَكِنَّهَا تَكُونُ عَلَى أَهْلِ الظُّلْمِ وَالتَّعَدِّيِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَأَمَّا أَهْلُ السَّلَامَةِ وَالِدِّينِ وَالْقَصْدِ فَأَنَا أَلَيْنُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ وَلَسْتُ أَدْعُ أَحَدًا يَظْلِمُ أَحَدًا وَيَتَعَدَّى عَلَيْهِ حَتَّى يَضَعَ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْضِ وَأَضَعَ قَدَمِي عَلَى الْأَخْرِ حَتَّى يُدْعِنَ لِلْحَقِّ .

وإلى هذا أشار الشاعرُ في قوله :

في طيِّ شِدَّتِهِ أَسْرَارُ رَحْمَتِهِ

لِلْعَالَمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُفْشِيهَا

وَيَبِينَ جَنَبِيهِ فِي أَوْقَى صَرَامَتِهِ
فُوَادُ وَالِدَةٍ تَرَعَى ذَرَارِيهَا
أَعْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْفُوقِ دُرَّتُهُ
فَكَمْ أَحَافَتْ غَوِيَّ النَّفْسِ عَائِيهَا

وقال : وَلَكُمْ عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ لَا أَخْبَأَ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ خَرَاجِكُمْ وَإِذَا وَقَعَ عِنْدِي أَنْ لَا يَخْرُجَ إِلَّا بِحَقِّهِ وَلَكُمْ عَلَيَّ أَنْ لَا أَلْفِيَكُمْ فِي الْمَهَالِكِ وَإِذَا غَبْتُمْ فِي الْبُعُوثِ فَأَنَا أَبُو الْعِيَالِ حَتَّى تَرْجِعُوا أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

وَأَخْرَجَ بَنُ سَعْدٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ كَتَبَ عُمَرُ إِلَى حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ أَعْطِيَ النَّاسَ أَعْطِيَتَهُمْ وَأَرْزَأَهُمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّا قَدْ فَعَلْنَا وَبَقِيَ شَيْءٌ كَثِيرٌ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ إِنَّهُ فَيْتَهُمُ الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَيْسَ هُوَ لِعُمَرَ وَلَا لِأَلِ
عُمَرَ أَقْسِمُهُ بَيْنَهُمْ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ عَسَاكِرٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ كَتَبَ عُمَرُ بَنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَمَا بَعْدُ فَأَعْلَمُ يَوْمًا مِنَ السَّنَةِ لَا يَبْقَى فِي بَيْتِ الْمَالِ دِرْهَمٌ حَتَّى يُكْتَسَحَ اكْتِسَاحًا حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنِّي قَدْ أَدَيْتُ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ .

وَعِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرٍ عَنِ سَلْمَةَ بِنِ سَعِيدٍ قَالَ أَنِّي عُمَرُ بَنُ الْخَطَّابِ بِمَالٍ فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَنُ عَوْفٍ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ حَبَسْتَ مِنْ هَذَا الْمَالِ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِنَائِبَةٍ تَكُونُ أَوْ أَمْرٍ يَحْدُثُ .

فَقَالَ كَلِمَةً مَا عَرَضَ بِهَا إِلَّا شَيْطَانُ لِقَائِي اللَّهُ حُجَّتْهَا وَوَقَانِي فِتْنَتَهَا

أَعَصَى الْعَامَ مَخَافَةَ قَابِلٍ أَعَدُّ لَهُمْ تَقْوَى اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَتَى اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وَلِتَكُونَ فِتْنَةً مِنْ بَعْدِي .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ تُوْفِيَ وَاللَّهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَزَادَ فِي الشَّدَّةِ
فِي مَوَاضِعِهَا وَاللَّيْنِ فِي مَوَاضِعِهِ وَكَانَ أَبَا الْعِيَالِ حَتَّى إِنَّهُ يَمْشِي عَلَى
الْمُغْيِبَاتِ اللَّاتِي غَابَ عَنْهُنَّ أَرْوَاجُهُنَّ وَيَقُولُ الْكُنَّ حَاجَةٌ حَتَّى اشْتَرِي لَكُنَّ
فَإِنِّي أكرهُ أَنْ تُخَدَعْنَ فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ فَيُرْسَلْنَ مَعَهُ جَوَارِيَهُنَّ .

فَيَدْخُلُ وَمَعَهُ جَوَارِي النِّسَاءِ وَغِلْمَانُهُنَّ مَا لَا يُحْصَى فَيَشْتَرِي لَهُنَّ
حَوَائِجَهُنَّ فَمَنْ كَانَتْ لَيْسَ عِنْدَهَا شَيْءٌ اشْتَرَى لَهَا مِنْ عِنْدِهِ وَكَانَ يَحْمِلُ
جَرَابَ الدَّقِيقِ عَلَى ظَهْرِهِ لِلْأَرَامِلِ وَالْأَيَامِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَهُ دَعْنِي أَحْمِلُ عَنْكَ
فَقَالَ عُمَرُ وَمَنْ يَحْمِلُ عَنِّي ذُنُوبِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَيُرَوَى أَنَّهُ مَرَّ بِنُوقٍ قَدْ بَدَتْ عَلَيْهَا آثَارُ النِّعْمَةِ تَهْفُ ذُرَاهَا فَسَأَلَ عَنْ
صَاحِبِهَا فَقَالُوا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَسَاقَهَا إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ
ثُرُوءَ ابْنِهِ لَا تَفِي لَهَا وَأَنَّهُ لَوْلَا جَاهُهُ بَيْنَ النَّاسِ مَا قَدِرَ عَلَى إِطْعَامِهَا .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَمَا وَفَى ابْنُكَ عَبْدُ اللَّهِ أُبْنِقُهُ
لَمَّا أَطْلَعْتَ عَلَيْهَا فِي مَرَاعِيهَا
رَأَيْتَهَا فِي جِمَاهُ وَهِيَ سَارِحَةٌ
مِثْلَ الْقُصُورِ قَدْ اهْتَزَّتْ أَعَالِيهَا
فَقُلْتَ مَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُشْعِبُهَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ وَلَدِي أَوْ كَانَ يُرْوِيهَا

قَدْ اسْتَعَانَ بِجَاهِي فِي تَجَارَتِهِ
 وَبَاتَ بِاسْمِ أَبِي حَفْصٍ يُنَمِّيهَا
 رُدُّوا النَّيَاقَ لِبَيْتِ الْمَالِ إِنَّ لَهُ
 حَقَّ الزِّيَادَةِ فِيهَا قَبْلَ شَارِيهَا
 وَهَذِهِ خُطَّةٌ لِلَّهِ وَاضِعُهَا
 رَدَّتْ حُقُوقًا فَأَعْنَتَ مُسْتَمِيحِيهَا

وَرُوِيَ أَنَّ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ فَرَأَى عُمَرَ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ قَدْ دَخَلَ بَيْتًا ثُمَّ خَرَجَ فَلَمَّا أَصْبَحَ طَلْحَةُ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَإِذَا
 فِيهِ عَجُوزٌ عَمِيَاءُ مُقْعَدَةٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ فَقَالَ لَهَا طَلْحَةُ مَا بَالُ هَذَا الرَّجُلِ
 يَأْتِيكَ إِنَّهُ يَتَعَاهَدُنِي مِنْ مُدَّةٍ كَذَا وَكَذَا بِمَا يُصْلِحُنِي وَيُخْرِجُ عَنِّي الْأَذَى
 يَعْنِي الْقَدْرَ وَالنَّجَاسَةَ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا
 عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ وَأَيِّدْنَا بِبَصْرِكَ وَارْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ
 تَبْعَثُ عِبَادَكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَلَمَّا رَجَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ انْفَرَدَ عَنِ النَّاسِ
 لِيَتَعَرَّفَ وَيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ رَعِيَّتِهِ فَمَرَّ بِعَجُوزٍ فِي خِيبَاءٍ لَهَا فَقَصَدَهَا فَقَالَتْ يَا هَذَا مَا
 فَعَلَ عُمَرُ قَالَ قَدْ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ سَالِمًا فَقَالَتْ لِأَجْزَاءِ اللَّهِ خَيْرًا .

قَالَ وَلِمَ قَالَتْ لِأَنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَالَنِي مِنْ عَطَائِهِ مُنْذُ تَوَلَّى أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ دِينَارًا

وَلَا دِرْهَمٌ قَالَ وَمَا يُدْرِي عُمَرُ بِحَالِكَ وَأَنْتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ
وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ أَحَدًا يَلِيَّ عَلَيَّ النَّاسِ وَلَا يُدْرِي مَا بَيْنَ مَشْرِقِهَا وَمَغْرِبِهَا
فَبَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ وَأَعْمَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ أَفْقَهُ مِنْكَ يَا عُمَرُ حَتَّى
الْعَجَائِزِ .

ثُمَّ قَالَ لَهَا يَا أُمَّةَ اللَّهِ بِكُمْ تَبِعِينِي ظُلَامَتِكَ مِنْ عُمَرَ فَإِنِّي أَرْحَمُهُ مِنَ النَّارِ
فَقَالَتْ لَا تَسْتَهْزِئْ بِنَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَقَالَ لَسْتُ بِهِزَاءٍ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى اشْتَرَى
ظُلَامَتَهَا بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ دِينَارًا .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَضَعَتْ الْعُجُورُ يَدَهَا عَلَى
رَأْسِهَا وَقَالَتْ وَأَسْوَأَتَاهُ شَتَمْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَجْهِهِ .

فَقَالَ لَهَا عُمَرُ مَا عَلَيْكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ثُمَّ طَلَبَ رُقْعَةً جِلْدٍ يَكْتُبُ بِهَا فَلَمْ
يَجِدْ فَقَطَعَ قِطْعَةً مِنْ مَرْقَعَتِهِ وَكَتَبَ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا
اشْتَرَى بِهِ عُمَرُ مِنْ فُلَانَةٍ ظُلَامَتَهَا مِنْذُ وَلِيَّ إِلَى يَوْمِ كَذَا وَكَذَا بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ
دِينَارًا فَمَا تَدْعِي عِنْدَ وَقُوفِهِ فِي الْحَشْرِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَعُمَرُ مِنْهُ بَرِيءٌ شَهِدَ
عَلَى ذَلِكَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ ثُمَّ دَفَعَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْعَلْهُ فِي
كَفْنِي أَلْتَمَى بِهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ .

هَكَذَا يَكُونُ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ .

عَلَى قَدْرِ عِلْمِ الْمَرْءِ يَعْظُمُ خَوْفُهُ
فَلَا عَالِمٌ إِلَّا مِنَ اللَّهِ خَائِفٌ

فَأَمِنُ مَكْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ جَاهِلٌ
وَحَائِفٌ مَكْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ عَارِفٌ

وَأُخْرِجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ كَانَ بَيْنَ
عُمَرَ وَبَيْنَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حُصُومَةٌ فَقَالَ عُمَرُ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
رَجُلًا فَجَعَلَا بَيْنَهُمَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأْتِيَاهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَتَيْنَاكَ
لِتَحْكُمَ بَيْنَنَا وَفِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكْمَ .

فَلَمَّا دَخَلَا عَلَيْهِ وَسَّعَ لَهُ زَيْدٌ عَنْ صَدْرِ فِرَاشِهِ فَقَالَ هَا هُنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :

هَذَا أَوَّلُ جَوْرِ جُرْتٍ فِي حُكْمِكَ ، وَلَكِنْ أَجْلِسْ مَعَ خَصْمِي فَجَلَسَا
بَيْنَ يَدَيْهِ فَادَّعَى أَبِي وَأَنْكَرَ عُمَرُ فَقَالَ زَيْدٌ لِأَبِي أَعْظَمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْيَمِينِ
وَمَا كُنْتُ لِأَسْأَلَهَا لِأَحَدٍ غَيْرِهِ فَحَلَفَ عُمَرُ ثُمَّ أَقْسَمَ لَا يُدْرِكُ زَيْدُ الْقَضَاءَ حَتَّى
يَكُونَ عُمَرُ وَرَجُلٌ مِنْ عُرْضِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَهُ سَوَاءً .

وَأُخْرِجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ كَانَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دَارٌ إِلَى جَنْبِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بِعَيْنِهَا فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَزِيدَهَا فِي الْمَسْجِدِ فَأَبَى الْعَبَّاسُ أَنْ يَبِيعَهَا إِيَّاهُ فَقَالَ عُمَرُ
فَهَبْهَا لِي فَأَبَى فَقَالَ فَوَسَّعَهَا أَنْتَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَبَى .

فَقَالَ عُمَرُ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ إِحْدَاهُنَّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَقَالَ خُذْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَجُلًا
فَأَخَذَ أَبِيَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَاخْتَصَمَا إِلَيْهِ فَقَالَ أَبِي لِعُمَرَ مَا أَرَى أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ
دَارِهِ حَتَّى تُرْضِيَهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَرَأَيْتَ قَضَاءَكَ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَجَدْتَهُ أُمَّ سُنَّةً
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبِي بَلْ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ عُمَرُ وَمَا ذَاكَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ جَعَلَ كُلَّمَا بَنَى حَائِطًا أَصْبَحَ مُنْهَدِمًا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ لَا تَبْنِي فِي حَقِّ رَجُلٍ حَتَّى تُرْضِيَهُ فَتَرَكَهُ عُمَرُ فَوَسَّعَهَا الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ .

بَلِّغْ يَا أَحْيَى هَذِهِ الْقِصَّةَ لِلسَّاكِنِينَ فِي بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ رِضَاهُمْ وَقُلْ لِمَ تَصَلُّونَ وَتَصُومُونَ وَتَنْكِحُونَ فِي بَيْتِ مَعْصُوبٍ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مَا لَكُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا سِرًّا وَجَهَارًا . أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ وَجَعَلَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ مُحْرَمًا .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَيْضًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ أَرَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَأْخُذَ دَارَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَزِيدَهَا فِي الْمَسْجِدِ فَأَبَى الْعَبَّاسُ أَنْ يُعْطِيَهَا إِيَّاهُ فَقَالَ عُمَرُ لَأُخَذَنَّهَا فَقَالَ فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَبِي بَنٍ كَعَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ نَعَمْ .

فَاتِيَا أُبَيًّا فَذَكَرَا لَهُ فَقَالَ أَبِي أَوْحَى اللَّهُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَكَانَتْ أَرْضًا لِرَجُلٍ فَاشْتَرَى مِنْهُ الْأَرْضَ فَلَمَّا أَعْطَاهُ الثَّمَنَ قَالَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي خَيْرٌ أَمْ الَّذِي أَخَذْتَ مِنِّي قَالَ بَلِ الَّذِي أَخَذْتَ مِنْكَ قَالَ فَاثْنِي لَا أَجِيزُ ثُمَّ اشْتَرَاهَا مِنْهُ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَنَعَ الرَّجُلُ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا .

فَاشْتَرَطَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنِّي أَبْتَاعُهَا مِنْكَ عَلَى حُكْمِكَ فَلَا تَسْأَلْنِي أَيُّهُمَا خَيْرٌ قَالَ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ بِحُكْمِهِ فَاحْتَكَمَ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ قِنْطَارٍ ذَهَبًا فَتَعَاظَمَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يُعْطِيَهُ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنْ كُنْتُ تُعْطِيهِ مِنْ شَيْءٍ هُوَ لَكَ فَأَنْتَ أَعْلَمُ وَإِنْ كُنْتُ تُعْطِيهِ مِنْ رِزْقِنَا فَأَعْطِهِ حَتَّى يَرْضَى فَفَعَلَ وَأَنَا أَرَى أَنَّ عَبَّاسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَقُّ بِدَارِهِ حَتَّى يَرْضَى ، بَلِّغْ يَا

أَخِي أَيْضاً هَذِهِ الْقِصَّةُ السَّاكِنِينَ فِي بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ وَقُلْ لَهُمْ أَمَا تَتَّقُونَ اللَّهَ وَتَخْشَوْنَ عُقُوبَتَهُ .

قَالَ الْعَبَّاسُ فَإِذَا قَضَيْتَ لِي فَإِنِّي أَجْعَلُهَا صَدَقَةً لِلْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَثْوَانًا وَمَثْوَاهُمْ .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ بِقَلْعِ مِيزَابٍ كَانَ فِي دَارِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ إِلَى الطَّرِيقِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ قَلَعْتَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ إِذَا لَا يَرُدُّهُ إِلَى مَكَانِهِ غَيْرِكَ وَلَا يَكُونُ سُلْمٌ غَيْرَ عَاتِقِ عُمَرَ فَأَقَامَهُ وَأَعَادَهُ عَلَى عَاتِقِ عُمَرَ وَرَدَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ .

وَسَاوَمَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا مِنْ رَعِيَّتِهِ فِي شِرَاءِ فَرَسٍ ثُمَّ رَكِبَهُ عُمَرُ لِيَجْرِبَهُ فَعَطِبَ فَرْدَهُ إِلَى صَاحِبِهِ فَأَبَى صَاحِبُ الْفَرَسِ أَنْ يَأْخُذَهُ فَقَالَ لَهُ وَهُوَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَكْمًا فَرَضِي الرَّجُلُ بِقَضَاءِ شُرَيْحِ الْعِرَاقِيِّ فَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ .

فَقَالَ شُرَيْحٌ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ حُجَّةَ كُلِّ مِنْهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خُذْ مَا اشْتَرَيْتَ أَوْ رُدَّهُ كَمَا أَخَذْتَهُ فَأَكْبَرَ عُمَرُ هَذِهِ الْعَدَالَةَ وَالنِّزَاهَةَ مِنْ شُرَيْحٍ وَقَالَ وَهَلْ الْقَضَاءُ إِلَّا هَكَذَا ثُمَّ أَقَامَ شُرَيْحًا عَلَى الْقَضَاءِ فِي الْكُوفَةِ تَقْدِيرًا لِلنِّزَاهَةِ وَعَدْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أَمثَالَهُمَا وَأَبْعُدْ عَنَّا أَمْثَالَهُمَا

اللَّهُمَّ يَا حَيَّ يَا قَيُّوْمُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ مَكَّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَعِنَّا عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ فَإِنَّا نَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَتَصَرَّمَتْ أَمَالُهُ وَبَقِيَتْ آثَامُهُ وَأَنْسَلَبَتْ دَمَعَتُهُ وَأَنْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ دُعَاءَ مَنْ لَا يَرْجُو لِذَنْبِهِ غَافِرًا غَيْرَكَ وَلَا لِمَا يُؤْمَلُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ مُعْطِيًا سِوَاكَ وَلَا

لِكَسْرِهِ جَابِراً إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ يَتَعَهَّدُ امْرَأَةً عَمِيَاءَ بِالْمَدِينَةِ
لِيُقِيمَ بِأَمْرِهَا فَكَانَ إِذَا جَاءَهَا أَلْفَاهَا قَدْ قُضِيَتْ حَاجَتُهَا فَتَرَصَّدَ عُمَرُ يَوْمًا فَأَذَا أَبُو
بَكْرٍ هُوَ الَّذِي يَكْفِيهَا مَوْتَهَا لَا تَشْغَلُهُ عَنْ ذَلِكَ الْخِلَافَةَ وَتَبْعَاتُهَا ، عِنْدَئِذٍ صَاحَ
عُمَرُ حِينَ رَأَاهُ أَنْتَ هُوَ لِعَمْرِي . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ يَصِفُ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ :

قَوْمٌ طَعَمُهُمْو دِرَاسَةُ عِلْمِهِمْ
يَتَسَابِقُونَ إِلَى الْعُلَا وَالسُّودَدِ

وَمِنْ كَلَامِهِ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّ بِغَيْرِ
مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ .

وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ أَنَّهُ قَالَ رَأَيْتُ عُمَرَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ
صُوفٍ فِيهَا اثْنَا عَشَرَ رُقْعَةً بَعْضُهَا مِنْ جِلْدٍ ، وَرَأَاهُ رَجُلٌ وَهُوَ يَطْلُبِي بَعِيرًا مِنْ
إِبِلِ الصَّدَقَةِ بِالْقَطْرَانِ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَمَرْتُ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ الصَّدَقَةِ
فَكَفَالَهُ فَضْرَبَ عُمَرُ صَدْرَ الرَّجُلِ وَقَالَ عَبْدٌ أَعْبُدْ مِنِّي .

وَرُوي أَنَّهُ أَتَى بِمَالٍ كَثِيرٍ فَاتَتْهُ ابْنَتُهُ حَفْصَةَ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَقُّ
أَقْرَبِيكَ فَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ بِالْأَقْرَبِينَ فَقَالَ لَا يَا حَفْصَةُ إِنَّمَا حَقُّ الْأَقْرَبِينَ فِي مَالِي

فَأَمَّا مَالُ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَأْخُذُ بِحَفْصَةَ نَصَحَتْ قَوْمَكَ وَعَشَشْتَ أَبَاكَ فَقَامَتْ تَجُرُّ
ذَيْلَهَا .

وَرُوِيَ أَنَّهُ جِيءَ بِمَالٍ كَثِيرٍ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَقِيلَ لَهُ ادْخُلْهُ بَيْتَ الْمَالِ فَقَالَ
لَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ لَا يُرَى تَحْتَ سَقْفِهِ حَتَّى أَقْسِمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَجُعِلَ
بِالْمَسْجِدِ ، وَغُطِّيَ بِالْأَنْطَاعِ ، وَحَرَسَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ نَظَرَ إِلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ وَالدَّرِّ
يَتَلَأَلًا ، فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هَذَا يَوْمَ بُكَاءٍ وَلَكِنَّهُ
يَوْمَ بُشْرَى ، وَسُرُورٍ ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا ذَهَبْتُ حَيْثُ ذَهَبْتَ ، وَلَكِنَّهُ مَا كَثُرَ هَذَا
فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا وَقَعَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ .

ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَدْرَجًا فَإِنِّي
أَسْمَعُكَ تَقُولُ « سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » .

وَعَنْ سِنَانَ الدَّوْلِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوْلِيَيْنِ
فَأَرْسَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسْفِطِ أَبِي بِهِ مِنْ قَلْعَةٍ بِالْعِرَاقِ ، وَكَانَ فِيهِ خَاتَمٌ
فَأَخَذَهُ بَعْضُ بَنِيهِ فَأَدْخَلَهُ فِي فِيهِ فَانْتَرَعَهُ مِنْهُ ثُمَّ بَكَى ، فَقَالَ لَهُ مَنْ عِنْدَهُ لِمَ
تَبْكِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَأَظْهَرَكَ عَلَى عَدُوِّكَ ، وَأَقْرَأَ
عَيْنَكَ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُفْتَحُ الدُّنْيَا عَلَى
أَحَدٍ حَتَّى تُلْقَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ ، وَالْبَغْضَاءُ ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَشْفِقُ مِنْ
ذَلِكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّازُ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَقْسِمُ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَدَخَلَتْ ابْنَةٌ لَهُ صَغِيرَةٌ
فَأَخَذَتْ دِرْهَمًا فَهَضَّ فِي طَلِبِهَا حَتَّى سَقَطَتْ مِلْحَفَتُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، وَدَخَلَتْ

الصَّيِّئَةَ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهَا وَهِيَ تَبْكِي ، وَجَعَلَتِ الدَّرْهَمَ فِي فَمِهَا ، فَأَدْخَلَ عُمَرَ
أَصْبَعَهُ فِي فَمِهَا فَأَخْرَجَ الدَّرْهَمَ وَطَرَحَهُ عَلَى خِرَاجِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ لِعُمَرَ وَلَا لِأَلِ عُمَرَ إِلَّا مَا لِلْمُسْلِمِينَ قَرِيبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى أَشْرَفْنَا
عَلَى حَرَّةٍ رَاقِمٍ ، فَإِذَا نَارٌ تُورِي بَصْرَامٍ ، فَقَالَ يَا ابْنَ أَسْلَمَ إِنِّي أَحْسِبُ
هَؤُلَاءِ رُكْبًا يَضْرِبُهُمُ اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ ، أَنْطَلِقُ بِنَا إِلَيْهِمْ ، قَالَ فَخَرَجْنَا نُهْرُولُ حَتَّى
انْتَهَيْنَا إِلَى النَّارِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوْقَدُ تَحْتَ قِدْرِ ، وَمَعَهَا صَبِيَانٌ يَتَضَاعُونَ ، فَقَالَ
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَصْحَابَ الضَّوءِ أَأَذْنُو فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ أَدْنُ بِخَيْرٍ أَوْ دَعُ فَقَالَ مَا
بَالُكُمْ قَالَتْ يَضْرِبُنَا اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ قَالَ فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّيِّئَةِ يَتَضَاعُونَ ، قَالَتْ
الْجُوعُ قَالَ فَمَا هَذَا الْقِدْرُ قَالَتْ مَاءٌ أَسَكَّتُهُمْ بِهِ وَاللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ .

فَقَالَ وَمَا يُدْرِي عُمَرَ قَالَتْ يَتَوَلَّى أَمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ
انْطَلِقُ بِنَا فَخَرَجْنَا نُهْرُولُ حَتَّى أَتَيْنَا دَارَ الدَّقِيقِ ، فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ فِيهِ
عُكْنَةٌ مِنْ شَحْمٍ ، فَقَالَ أَحْمِلْهُ عَلَيَّ ، قُلْتُ أَنَا أَحْمِلُهُ عَنكَ ، فَقَالَ إِنَّتِ
تَحْمِلُ عَنِّي وَزَرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا أُمَّ لَكَ ، أَحْمِلْهُ عَلَيَّ فَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ فَخَرَجْنَا
نُهْرُولُ حَتَّى أَلْقَيْنَا ذَلِكَ الْعِدْلَ عِنْدَهَا .

ثُمَّ أَخْرَجَ الدَّقِيقَ فَجَعَلَ يَقُولُ ذُرِّي عَلَيَّ وَأَنَا أُسْوِطُهُ ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ
تَحْتَ الْقِدْرِ وَكَانَتْ لِحْيَتُهُ عَظِيمَةً ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الدُّخَانِ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ
خَلَلِ لِحْيَتِهِ حَتَّى أَنْضَجَ .

ثُمَّ أَخَذَ مِنَ الشَّحْمِ فَأَدَمَهَا بِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّتِ بَشِيءٌ فَجَاءَتْهُ بِصَحْفَةٍ ،
فَأَفْرَغَ الْقِدْرَ فِيهَا ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لَهَا أَطْعِمِيهِمْ ، وَأَنَا أَسْطُحُ لَكَ ، يَعْنِي

أَبْرَدُهُ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا .

ثُمَّ تَرَكَ عِنْدَهَا فَضْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا أَنْتَ أَوْلَى بِهِذَا
الْأَمْرِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ قَوْلِي خَيْرًا إِنَّكَ إِذَا جِئْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَجَدْتَنِي هُنَاكَ .

ثُمَّ تَنَحَّى قَرِيبًا فَرَبِضَ مَرَبِضَ السَّبْعِ ، فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ لَكَ شَأْنًا غَيْرَ هَذَا ،
فَلَمْ يُكَلِّمْنِي حَتَّى رَأَيْتُ الصَّبِيَّةَ يَصْطَرِحُونَ وَيَضْحَكُونَ ، ثُمَّ نَامُوا فَقَامَ وَهُوَ
يَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ يَا ابْنَ أَسْلَمَ إِنِّي رَأَيْتُ الْجُوعَ أَبْكَاهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ
لَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مِنْهُمْ مَا رَأَيْتُ أَه .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ :

وَمَنْ رَأَهُ أَمَامَ الْقَدْرِ مُنْصَهَرًا
وَالنَّارَ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُذَكِّيهَا
وَقَدْ تَحَلَّلَ فِي أَثْنَاءِ لِحْيَتِهِ
مِنْهَا الدُّخَانُ وَفُوهُ غَابَ فِي فِيهَا
رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
حَالِ تَرَوُّعٍ لَعَمْرُ اللَّهِ رَأَيْتُهَا
يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي غَدِهِ
وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةِ سَأَلَتْ مَا قِيَهَا

وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ بَيْنَمَا عُمَرُ يَعُشُ بِالْمَدِينَةِ لَيْلًا لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ
تَحْمِلُ قُرْبَةً ، فَسَأَلَهَا فَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّ لَهَا عِيَالًا وَلَيْسَ لَهَا خَادِمٌ ، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ

لَيْلًا فَتَسْقِي لَهُمَ الْمَاءَ ، وَتَكَرَّهُ أَنْ تَخْرُجَ نَهَارًا ، فَحَمَلَ عُمَرُ عَنْهَا الْقِرْبَةَ حَتَّى بَلَغَ مَنْزِلَهَا .

ثُمَّ قَالَ لَهَا أَغْدِي إِلَى عُمَرَ غَدَوَةٌ يُخْدِمُكَ خَادِمًا ، قَالَتْ لَا أَصِلُ إِلَيْهِ ، قَالَ إِنَّكَ سَتَجِدِيْنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَغَدَتْ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هِيَ بِهِ فَعَرَفَتْ أَنَّهُ الَّذِي جَمَلَ عَنْهَا الْقِرْبَةَ ، فَاسْتَحْيَتْ وَذَهَبَتْ فَأَرْسَلَتْ لَهَا عُمَرَ بِخَادِمٍ وَنَفَقَةٍ .

وَكَانَ إِذَا قَدِمَ الرَّسُولُ مِنَ الثُّغُورِ يَكْتُبُ الْغُرَاةَ إِلَى أَهْلِيْهِمْ هُوَ الَّذِي يَدُوْرُ بِهَا وَيُوْصِلُهَا إِلَى بُيُوْتِهِمْ بِنَفْسِهِ ، وَيَقُوْلُ إِذَا كَانَ عِنْدَكَنَّ مَنْ يَقْرَأُ وَإِلَّا فَاقْرَبْنِ مِنَ الْأَبْوَابِ حَتَّى أَقْرَأَ لَكُنَّ ثُمَّ إِذَا خَرَجَ الرَّسُولُ دَارَ عَلِيْهِنَّ بِالْقِرْطَاسِ وَالِدَوَاةِ بِنَفْسِهِ ، فَيَقْرَبْنَ مِنَ الْأَبْوَابِ فَيَكْتُبُ لَهُنَّ إِلَى رِجَالِهِنَّ .

ثُمَّ يَأْخُذُ الْكُتُبَ فَيَأْمُرُ بِهَا مَعَ الرَّسُولِ ، وَعَنْ أَبِي فِرَاسٍ قَالَ خَطَبَنَا عُمَرُ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ عُمَّالِي لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ - أَي جُلُوْدَكُمْ - وَلَا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ .

فَمَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ أَقْصُهُ مِنْهُ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَدَبَ بَعْضَ رَعِيَّتِي ، أَتَقْصُهُ مِنْهُ ، قَالَ أَيْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَقْصُهُ مِنْهُ ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْصَ مِنْ نَفْسِهِ - أَي مَكَنَ مِنَ الْقِصَاصِ مِنْهُ - أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَفِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى أَمْرَاءِ الْأَمْصَارِ ، وَإِنِّي إِنَّمَا بَعَثْتُهُمْ لِيُعَدِلُوا ، وَلِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِيْنَهُمْ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ، وَيَقْسِمُوا فِيهِمْ فَيَأْتِيهِمْ ، وَيَرْفَعُوا إِلَيَّ مَا أَشْكَلَ مِنْ أَمْرِهِمْ .

وَفِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ عُمَرَ لَمَّا طَعِنَ قِيلَ لَهُ لَوْ
 اسْتَخَلَفْتَ ، فَقَالَ أَتَحْمَلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا ، إِنْ اسْتَخَلَفْتُ فَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ مَنْ
 هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدِدْتُ أَنْ حَظَّيْتُ مِنْهَا الْكَفَافُ ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي ، فَقَالُوا جَزَاكَ
 اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَالَ رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ .

اللَّهُمَّ رَضْنَا بِقَضَائِكَ وَأَعْنَا عَلَى الدُّنْيَا بِالْعَقَّةِ وَالزُّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَعَلَى
 الدِّينِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَطَهَّرْ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الْكُذْبِ وَقُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَأَعْمَالَنَا مِنَ
 الرِّيَاءِ وَاحْفَظْ أَبْصَارَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ تَضَرَّعْتُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُرِيَنِي أَبِي فِي النَّوْمِ ، حَتَّى
 رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ جَبِينِهِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ
 لَهَلَكْتُ أَبُوكَ إِنَّهُ سَأَلَنِي عَنْ عِقَالِ بَعِيرِ الصَّدَقَةِ ، وَعَنْ حِيَاضِ الْإِبِلِ ،
 فَكَيْفَ النَّاسُ فَسَمِعَ بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَصَاحَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى
 رَأْسِهِ ، وَقَالَ فَعِلْ هَذَا بِالتَّبَقِيِّ الطَّاهِرِ ، فَكَيْفَ بِالمُتْرَفِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وَلَمَّا أَصَابَ النَّاسَ هَوْلُ الْمَجَاعَةِ وَالْقَحْطِ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ كَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ، وَلَا يَجِدُ الرَّاحَةَ إِلَّا قَلِيلًا كَانَ كُلُّ هَمِّهِ أَنْ
 يَدْفَعَ خَطَرَ الْمَجَاعَةِ عَنْ شَعْبِهِ ، وَمَا زَالَ بِهِ الْهَمُّ حَتَّى تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَهَزُلَ ،

وَقَالَ مَنْ رَأَاهُ لَوْ اسْتَمَرَّتِ الْمَجَاعَةُ شُهُورًا أُخْرَى لَمَاتَ عُمَرُ مِنَ الْهَمِّ
وَالْأَسَى .

وَجَاءَتْهُ يَوْمًا قَافِلَةٌ مِنْ مَضْرٍ تَحْمِلُ اللَّحْمَ وَالسَّمْنَ وَالطَّعَامَ وَالكِسَاءَ
فَوَزَّعَهَا عَلَى النَّاسِ بِنَفْسِهِ وَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا وَقَالَ لِرَئِيسِ الْقَافِلَةِ سَتَأْكُلُ مَعِي
فِي الْبَيْتِ وَمَنَى الرَّجُلُ نَفْسَهُ مُمْتَازًا حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَكُونُ طَعَامُهُ
خَيْرًا مِنْ طَعَامِ النَّاسِ .

وَجَاءَ عُمَرُ وَالرَّجُلُ إِلَى الْبَيْتِ جَائِعِينَ بَعْدَ التَّعَبِ وَنَادَى عُمَرُ بِالطَّعَامِ
فَإِذَا هُوَ خُبْزٌ مُكَسَّرٌ يَابِسٌ مَعَ صَحْنٍ مِنَ الزَّيْتِ وَأَنْدَهَشَ الرَّجُلُ وَتَعَجَّبَ مِنْ أَنْ
يَكُونَ هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ لِمَاذَا مَنَعْتَنِي مِنْ أَنْ أَكُلَ مَعَ النَّاسِ لَحْمًا وَسَمْنًا وَقَدَّمْتَ هَذَا
الطَّعَامَ قَالَ عُمَرُ مَا أَطْعَمَكَ إِلَّا مَا أَطْعَمُ نَفْسِي .

قَالَ وَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْكُلَ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَقَدْ وَرَّعْتَ بِيَدِكَ اللَّحْمَ
وَالطَّعَامَ عَلَيْهِمْ قَالَ عُمَرُ لَقَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَذُوقَ السَّمْنَ وَاللَّحْمَ حَتَّى
يَشْبَعَ مِنْهُمَا الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا ، أَسَمِعْتَ مِثْلَ هَذَا الْإِثَارِ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ .

وَمِنْ وَرَعِهِ وَتَقَشُّفِهِ مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ امْرَأَتَهُ اشْتَهَتْ الْحَلْوَى فَادَّخَرَتْ
لِذَلِكَ مِنْ نَفَقَةِ بَيْتِهَا حَتَّى جَمَعَتْ مَا يَكْفِي لِصُنْعِهَا فَلَمَّا بَلَغَ عُمَرُ ذَلِكَ رَدَّ مَا
ادَّخَرْتُهُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ وَنَقَصَ مِنَ النَّفَقَةِ بِقَدْرِ مَا ادَّخَرَتْ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ
الشَّاعِرُ :

إِنَّ جَاعَ فِي شِدَّةِ قَوْمٍ شَرَكْتَهُمْ
 فِي الْجُوعِ أَوْ تَنَجَّلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيَهَا
 جُوعَ الْخَلِيفَةِ وَالْدُنْيَا بِقَبْضَتِهِ
 فِي الزُّهْدِ مَنْزِلَةَ سُبْحَانَ مُوَلِّيَهَا
 فَمَنْ يُبَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتَهُ
 أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ لِلْفَارُوقِ تَشْبِيَهَا
 يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلْوَى فَقَالَ لَهَا
 مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلْوَى فَأَشْرِيَهَا
 لَا تَمْتَطِي شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَامِحَةً
 فَيَكْسِرُهُ الْخُبْزِ عَنْ حَلْوَاكِ تُجْزِيَهَا
 قَالَتْ لَكَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ أَرْزُؤُهُ
 مَا لِي لِحَاجَةِ نَفْسٍ كُنْتُ أُبْعِثُهَا
 لَكِنْ أُجَنِّبُ شَيْئاً مِنْ وَضِيفَتِنَا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى حَالِ أَسْوِيَهَا
 حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَنَا مَا يُكَافِئُهَا
 شَرِبْتُهَا ثُمَّ إِنِّي لَا أُثْنِيَهَا
 قَالَ اذْهَبِي وَاعْلَمِي إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً
 أَنَّ الْقَنَاعَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيَهَا
 وَأَقْبَلْتِ بَعْدَ خَمْسٍ وَهِيَ حَامِلَةٌ
 دُرَيْهَمَاتٍ لِتَقْضِي مِنْ تَشْهِيَهَا
 فَقَالَ نَبَّهْتِ مِنِّي غَافِلاً فَدَعِي
 هَذِي الدَّرَاهِمَ إِذْ لَا حَقَّ لِي فِيهَا

مَا زَادَ عَن قَوْلِنَا فَالْمُسْلِمُونَ بِهِ

أَوْلَى فِقْهُومِي لِبَيْتِ الْمَالِ رُدِّيْهَا

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا أنفذ عمالاً قال لهم اشترؤا دوابكم وأسَلِّحْتَكُمْ من أرزاقكم ولا تُمَدُّوا أيديكم إلى بيت مال المسلمين ولا تُغْلِقُوا أبوابكم دُونَ أربابِ الحوائج.

قال عبدالرحمن بن عوف دَعَانِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَالَ قَدْ نَزَلَ بِيَابِ الْمَدِينَةِ قَافِلَةٌ وَأَخَافُ عَلَيْهِمْ إِذَا نَامُوا أَنْ يُسْرِقَ شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِهِمْ فَمَضَيْتُ مَعَهُ فَلَمَّا وَصَلْنَا قَالَ لِي نَمُ أَنْتَ ثُمَّ جَعَلَ يَحْرُسُ الْقَافِلَةَ طَوْلَ لَيْلَتِهِ.

وقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَسَافِرَ لِأَقْضِي حَوَائِجَ النَّاسِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ لِأَنَّهَا ضَعْفَاءٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى قَضَائِي فِي حَوَائِجِهِمْ لِبُعْدِ الْمَكَانِ فَيَنْبَغِي أَنْ أَطُوفَ الْبِلَادَ لِأَشَاهِدَ أَحْوَالَ الْعُمَّالِ وَأَسْبِرَ سِيرَتَهُمْ وَأَقْضِي حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَا يَكُونُ فِي سِنِي عُمَرَ أَبْرَكَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَامِلِهِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ «أَمَا بَعْدُ فَإِنِ اسْعَدَ الْوَلَاةَ مَنْ سَعِدَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَإِنِ اشْقَى الْوَلَاةَ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ فَيَاكَ وَالتَّبَسُّطُ فَإِنَّ عُمَّالَكَ يَقْتَدُونَ بِكَ. وَإِنَّمَا مِثْلَكَ كَمِثْلِ ذَابَّةٍ رَأَتْ مَرَعَى مُخْضَرًّا فَأَكَلَتْ كَثِيرًا حَتَّى سَمِنَتْ لِأَنَّهَا بِذَلِكَ السَّمَنِ تُذْبَحُ وَتُؤْكَلُ وَفِي التَّوْرَةِ كُلُّ ظَلَمٍ عَلِمَهُ السُّلْطَانُ مِنْ عُمَّالِهِ فَسَكَتَ عَنْهُ كَانَ ذَلِكَ الظُّلْمُ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ وَأَخَذَ بِهِ وَعُوقِبَ عَلَيْهِ.

وَيَنْبَغِي لِلْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدُّ غِنًا مِمَّنْ بَاعَ دِينَهُ وَأَخْرَجَتْهُ بِدُونِ غَيْرِهِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ فِي خِدْمَةِ شَهْوَتِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَسْتَنْبِطُونَ الْحِيلَ لِيَصِلُوا إِلَى مُرَادِهِمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَكَذَلِكَ الْعُمَّالُ لِأَجْلِ نَصِيْبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا يَغْرُونَ الْوَالِيَّ وَيَحْسِنُونَ الظُّلْمَ عِنْدَهُ فَيُلْقُونَهُ فِي النَّارِ لِيَصِلُوا إِلَى أَغْرَاضِهِمْ وَأَيُّ عَدُوٍّ أَشَدُّ عَدَاوَةً مِمَّنْ يَسْعَى فِي هَلَاكِكَ وَهَلَاكِ نَفْسِهِ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ يَكْتَسِبُهُ وَيُحْصَلُهُ. وَفِي الْجُمْلَةِ يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ حِفْظَ الْعَدْلِ عَلَى الرَّعِيَّةِ أَنْ يُرْتَبَ غِلْمَانُهُ وَعُمَّالُهُ

لِلْعَدْلِ وَيَحْفَظَ أَحْوَالَ الْعُمَّالِ وَيَنْظُرَ فِيهَا كَمَا يَنْظُرُ فِي أَحْوَالِ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ
 وَمَنْزِلِهِ وَلَا يَتَمُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِحِفْظِ الْعَدْلِ أَوْلَا مِنْ بَاطِنِهِ وَذَلِكَ أَنْ لَا يُسَلِّطَ
 شَهْوَتَهُ وَغَضَبَهُ عَلَى عَقْلِهِ وَدِينِهِ وَلَا يَجْعَلَ عَقْلَهُ وَدِينَهُ أُسْرَى شَهْوَتِهِ وَغَضَبِهِ بَلْ
 يَجْعَلُ شَهْوَتَهُ وَغَضَبَهُ أُسْرَى عَقْلِهِ وَدِينِهِ .
 وَكَانَ يَقُولُ إِنِّي أَنْزَلْتُ مَالَ اللَّهِ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ مَالِ الْيَتِيمِ، فَإِنِ اسْتَعْنَيْتُ عَنْهُ
 عَفَفْتُ عَنْهُ وَإِنِ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ .

وَسُئِلَ يَوْمًا غَمًّا يَجِلُّ لَهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَقَالَ أَنَا أَخْبَرُكُمْ بِمَا أُسْتَجَلُّ مِنْهُ
 يَجِلُّ لِي حُلَّتَانِ حُلَّةٌ فِي الشِّتَاءِ وَحُلَّةٌ فِي الصَّيْفِ وَمَا أَحْجُّ عَلَيْهِ وَأَعْتَمِرُ مِنَ
 الظُّهْرِ وَقُوْتِي وَقُوْتُ أَهْلِي كَقُوْتِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْسَ بِأَغْنَاهُمْ وَلَا
 بِأَفْقَرِهِمْ ثُمَّ أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُصِيبُنِي مَا أَصَابَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ وَأَرْضَاهُ
 وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مِثْوَاهُ .

وَرُوِيَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ - وَهُوَ عَلَى الشَّامِ - بَعَثَ مَرَّةً إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
 بِمَالٍ وَأَذْهَمٍ - أَيِ قَيْدٍ - وَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ أَبَا سُفْيَانَ أَنْ يَدْفَعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ
 فَخَرَجَ رَسُولُ مُعَاوِيَةَ بِالْمَالِ وَالْأَذْهَمِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ بِالْمَالِ
 وَالْأَذْهَمِ ، فَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ بِالْأَذْهَمِ وَالْكِتَابِ إِلَى عُمَرَ وَاحْتَبَسَ الْمَالَ لِنَفْسِهِ
 فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرَ الْكِتَابَ قَالَ فَأَيْنَ الْمَالُ يَا أَبَا سُفْيَانَ قَالَ كَانَ عَلَيْنَا دَيْنٌ وَمَعُونَةٌ وَلَنَا
 فِي بَيْتِ الْمَالِ حَقٌّ فَإِذَا أُخْرِجَتْ لَنَا شَيْئًا قَاضِيَتْنَا بِهِ فَقَالَ اطْرَحُوهُ فِي الْأَذْهَمِ
 أَيِ فِي الْقَيْدِ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَالُ .

فَأَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ مَنْ أَنَاهُ بِالْمَالِ فَأَمَرَ عُمَرَ بِاطْلَاقِهِ مِنَ الْقَيْدِ فَلَمَّا قَدِمَ
 رَسُولُ مُعَاوِيَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ أَرَأَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْجَبَ بِالْأَذْهَمِ
 قَالَ نَعَمْ وَطَرَحَ فِيهِ أَبَاكَ قَالَ وَلِمَ قَالَ إِنَّهُ جَاءَ بِالْأَذْهَمِ وَحَبَسَ الْمَالَ قَالَ مُعَاوِيَةُ
 أَيِ وَاللَّهِ وَالْخَطَّابُ لَوْ كَانَ لَطَرَحَهُ فِيهِ يُرِيدُ لَوْ أَنَّ الْخَطَّابَ أَبَا عُمَرَ مَكَانَ أَبِي

سُفْيَانَ فِي الْقِصَّةِ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَالَ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ عُمَرَ وَأَرْضَاهُ مَا أَنْصَفَهُ
وَأَعَدَّهُ وَأُورَعَهُ .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَمَا أَقَلَّتْ أَبَا سُفْيَانَ حِينَ طَوَى
عَنْكَ الْهَدِيَّةَ مُعْتَرَاً بِمُهْدِيهَا
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسَبْتَهُ حَسْبُ
وَلَا مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ يَجْبِيهَا
قَيْدَتِ مِنْهُ جَلِيلاً شَابَ مَفْرُقُهُ
فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزِّ يُدَانِيهَا
قَدْ نَوَّهُوا فِي اسْمِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ
وَزَادَهُ سَيِّدُ الْكُونِينَ تَنْوِيهَا
فِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ دَارُهُ حَرَمًا
قَدْ أَمَّنَ اللَّهُ بَعْدَ الْبَيْتِ غَاشِيهَا
وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَدَى عُمَرَ
فِي هَفْوَةٍ لِأَبِي سُفْيَانَ يَأْتِيهَا
تَا لِلَّهِ لَوْ فَعَلَ الْخَطَّابُ فِعْلَتَهُ
لَمَا تَرَخَّصَ فِيهَا أَوْ يُجَارِيهَا
فَلَا الْحَسَابَةَ فِي حَقِّ يُجَامِلُهَا
وَلَا الْقَرَابَةَ فِي بُطْلٍ يُحَابِيهَا

وَيُرْوَى أَنَّ جَبَلَةَ بَنَ الْأَيْهَمِ أَحَدُ أَبْنَاءِ الْغَسَّاسِيَّةِ مُلُوكِ الشَّامِ قَدْ اعْتَنَقَ

الاسلامَ وَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَطُوفُ إِذْ وَطِىءَ أَعْرَابِيٌّ ثَوْبَهُ فَلَطَمَهُ جَبَلَةً لَطْمَةً
هَشَمَتْ أَنْفَهُ فَشَكَاهُ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى عُمَرَ فَأَمَرَ أَنْ يُقْتَصَّ مِنْ جَبَلَةٍ فَأَبَى جَبَلَةً
أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنَ الْقِصَاصِ وَهَرَبَ وَالتَّجَأَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَتَنَصَّرَ .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

كَمْ خِفْتُ فِي اللَّهِ مَضْعُوفًا دَعَاكَ بِهِ
وَكَمْ أَخِفْتُ قَوِيًّا يَنْشِينِي تَيْهَا
وَفِي حَدِيثِ فَتَى غَسَّانَ مَوْعِظَةً
لِكُلِّ ذِي نَعْرَةٍ يَا أَبَى تَنَاسِيهَا
فَمَا الْقَوِيُّ قَوِيًّا رَغَمَ عِزَّتِهِ
عِنْدَ الْخُصُومَةِ وَالْفَارُوقُ قَاضِيهَا
وَمَا الضَّعِيفُ ضَعِيفًا بَعْدَ حُجَّتِهِ
وَإِنْ تَخَاصَمَ وَالْيَهِهَا وَرَاعِيهَا

وَيُرَوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِنَّهُ قَدْ فَشَتْ
لَكَ فَاشِيَةٌ مِنْ مَتَاعِ وَرَقِيقِ وَأَنْبِيَةٍ وَحَيَوَانٍ لَمْ تَكُنْ حِينَ وُلِّيتَ مِصْرَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ
عَمْرٍو إِنَّ أَرْضَنَا أَرْضُ مُزْدَرَجٍ وَمُتَّجِرٍ فَنَحْنُ نُصِيبُ فَضْلًا عَمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ
لَنَفَقَتِنَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنِّي خَبَرْتُ مِنْ عُمَالِ السُّوءِ مَا كَفَى وَكِتَابُكَ إِلَيَّ كِتَابٌ مِنْ
أَقْلَقُهُ الْأَخْذُ بِالْحَقِّ وَقَدْ سَوَّيْتُ بِكَ ظَنًّا وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ
لِيُقَاسِمَكَ مَالَكَ فَأَطْلِعْهُ وَأَخْرِجْ إِلَيْهِ مَا يُطَالِبُكَ وَأَعْفِهِ مِنَ الْغِلْظَةِ عَلَيْكَ ،
فَلَمْ يَسْعَ عَمْرٍو ابْنُ الْعَاصِ عَلَى دَهَائِهِ وَعُلُوِّ مَكَانِهِ وَبُعْدِهِ عَنِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا الْخُضُوعَ لِمَا أَمَرَ بِهِ وَمُقَاسَمَةَ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ مَالَهُ وَإِلَى
هَذِهِ الْقِصَّةِ يُشِيرُ الشَّاعِرُ .

شَاطَرَتْ دَاهِيَةَ السُّوَّاسِ نَرَوْتَهُ
وَلَمْ تَخْفُهُ بِمِصْرَ وَهُوَ وَالْيَهَا
وَأَنْتَ تَعْرِفُ عَمْرًا فِي حَوَاضِرِهَا
وَلَسْتَ تَجْهَلُ عَمْرًا فِي بَوَادِيهَا
فَلَمْ يَرُغْ جِيْلَةً فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ
وَقَامَ عَمْرُو إِلَى الْأَجْمَالِ يُزْجِيهَا
وَلَمْ تُقَلِّ عَامِلًا مِنْهَا وَإِنْ كَثُرَتْ
أَمْوَالُهُ وَفَشَا فِي الْأَرْضِ فَاشِيهَا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا وَتَسِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمِ
بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ لَا
خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَمَنْ وَرَعَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا يَتَجَلَّى فِيمَا يَلِي مِمَّا رَوَى عَنْهُ : كَانَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ يَأْخُذُونَ بِالشُّورَى فِي أُمُورِهِمْ عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ وَكَانَ يَقُولُ لَا خَيْرَ فِي أَمْرِ أُبْرِمَ مِنْ غَيْرِ
شُورَى .

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَّرَ قَاعِدَةَ الشُّورَى فِي انْتِخَابِ الْخَلِيفَةِ فَقَدْ سُئِلَ عِنْدَمَا
طُعِنَ عَمَّنْ يُوصِي بَعْدَهُ فَقَالَ لِلْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ إِذَا وَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي
فَادْخُلْ عَلَيَّ وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةَ إِنْ قَدِمَ

وَأَحْضِرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ وَقُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَإِنْ اجْتَمَعَ
خَمْسَةٌ وَرَضُوا رَجُلًا وَأَبَى وَاحِدٌ فَاضْرِبْ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ وَإِنْ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ وَرَضُوا
رَجُلًا مِنْهُمْ وَأَبَى اثْنَانِ فَاضْرِبْ رَأْسَيْهِمَا فَإِنْ رَضِيَ ثَلَاثَةٌ رَجُلًا وَثَلَاثَةٌ رَجُلًا
مِنْهُمْ فَحَكِّمُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَإِيَّ الْفَرِيقَيْنِ حَكَمَ لَهُ فَلْيُخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ .

فَإِنْ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ عَبْدِ اللَّهِ فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
بْنُ عَوْفٍ وَاقْتُلُوا الْبَاقِينَ إِنْ رَغِبُوا عَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي
الشُّورَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ لِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ فَخَشِيَ أَنْ يُرَاعَى
فِيؤَلَى لِكُونِهِ ابْنِ عَمِّهِ فَلِذَلِكَ تَرَكَهُ وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ فِي الْجَنَّةِ
بَلْ قِيلَ إِنَّهُ اسْتثنَاهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَالِي هَذِهِ الْقِصَّةِ يُشِيرُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ :

يَا رَافِعًا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا
جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَنْ مُحِيبِهَا
لَمْ يُلْهِكَ التَّرُّعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا
وَلِلْمَنِيَّةِ آلامٌ تُعَانِيهَا
لَمْ أُنْسَ أَمْرَكَ لِلْمُقَدَّادِ يَحْمِلُهُ
إِلَى الْجَمَاعَةِ إِنْذَارًا وَتَنْبِيْهَا
إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلَاثِ رَأْيِهَا شُعْبًا
فَجَرَّدَ السَّيْفَ وَاضْرِبْ فِي هَوَادِيهَا
فَاعْجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ يَضْرِفُهَا
طَعْمُ الْمَنِيَّةِ مُرًّا عَنْ مَرَامِيهَا
دَرَى عَمِيْدُ بَنِي الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا
فَعَاشَ مَا عَاشَ بَيْنِهَا وَيُعَلِّمُهَا

وَمَا اسْتَبَدَّ بِرَأْيِي فِي حُكُومَتِهِ
إِنَّ الْحُكُومَةَ تَغْرِئُ مُسْتَبِدِّيَهَا
رَأْيِي الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ
رَغَمَ الْخِلَافِ وَرَأْيِي الْفَرْدِ يُشْقِيهَا

وَمِنْ لُطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ بِرِعِيَّتِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى الْعَدْلِ فِيهِمْ مَا يَتَجَلَّى فِي وَصِيَّتِهِ
لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَقَدْ كَتَبَ لَهُ كِتَابًا قَالَ فِيهِ إِذَا جَاءَ كِتَابِي هَذَا فَأَذِنْ لِأَهْلِ
الشَّرَفِ وَأَهْلِ الْقُرْآنِ وَالتَّقْوَى وَالدِّينِ إِذَا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ فَأَذِنْ لِلْعَامَّةِ وَلَا
تُؤَخِّرْ عَمَلَ الْيَوْمِ لِغَدٍ فَتَزْدَجِمُ عَلَيْكَ الْأَعْمَالَ فَتَضِيعُ .

وَإِيَّاكَ وَاتَّبَاعَ الْهَوَى فَإِنَّ لِلنَّاسِ أَهْوَاءَ مُتَّبَعَةً وَدُنْيَا مَوْثِرَةً وَضَعَائِنَ
مَحْمُولَةً وَحَاسِبَ نَفْسِكَ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشُّدَّةِ فَإِنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ
فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشُّدَّةِ كَانَ مَرْجِعُهُ إِلَى الرِّضَا وَالْغِنَا .

وَمَنْ أَلْهَتْهُ حَيَاتُهُ وَشَغَلَتْهُ أَهْوَاؤُهُ عَادَ أَمْرُهُ إِلَى النَّدَامَةِ وَالْحَسْرَةِ ، آسَ
بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعُ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ وَلَا
يَيْئَسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ .

وَلَا يَمْنَعُكَ قِضَاءُ قَضِيَّتِهِ الْيَوْمَ فَرَأَجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ
أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ
وَالْفَهْمُ الْفَهْمُ فِيمَا تَلْجَلَجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اعْرِفِ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ فِقِسْ الْأُمُورَ عِنْدَ
ذَلِكَ بِنَظَائِرِهَا .

وَاعْمُدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ وَأَشْبِهِهَا بِالْحَقِّ وَاجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا

أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ فَإِنْ أَحْضَرَ بَيْنَتَهُ أَخَذَتْ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَى لِلشَّكِّ وَأَجْلَى لِلْمَعْنَى وَأَبْلَغُ فِي الْعُدْرِ ، وَالْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدِّ أَوْ مُجْرَبًا عَلَيْهِ شَهَادَةٌ زُورٌ أَوْ مُتَّهَمًا فِي وَلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ . وَادْرَأْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَيْمَانِ وَإِيَّاكَ وَالْعَلَقَ وَالضُّجْرَ وَالنَّادِيَّ بِالْخُصُومِ . وَالتَّنَكُّرِ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ

فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُعْظَمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ وَيُحْسِنُ بِهِ الدُّخْرَ فَمَنْ صَحَّتْ نَيْتُهُ وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

وَمَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَانَهُ اللَّهُ فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ وَالسَّلَامُ .
وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

مقتل عمر رضي الله عنه

لَمْ يُصَبِّ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ بِمِصْبِيَّةٍ بَعْدَ وِفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوِفَاةِ الصِّدِّيقِ أَعْظَمَ مِنْ قَتْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
جَنَى عَلَيْهِ غَلَامٌ مَجُوسِيٌّ اسْمُهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ كَانَ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَهَذَا نَسُوقُ لَكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ فِي هَذَا الْمَصَابِ الْجَلَلِ .

قَالَ عَمْرُو بْنُ لُؤَقِفٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ (عمر) إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةً أُصِيبَ .

وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَيْنِ قَالَ اسْتَوْوَا حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ .

وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس .

فما هو الا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة فسار العليج بسكين ذا طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فهات منهم سبعة .

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه .

وتناول (عمر) يد عبدالرحمن بن عوف فقدمه فممن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فانهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فضلى بهم عبدالرحمن بن عوف صلاة خفيفة .

فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال الصنع قال نعم فقال قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذي لم يجعل ميتي بيد رجل يدعي الإسلام فاحتمل إلى بيته .

فانطلقنا معه وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقاتل يقول لا بأس عليه وقائل يقول أخاف عليه فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فخرج من جوفه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يشنون عليه .

وجاء رجل شاب فقال أبشريا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صعبة رسول الله ﷺ وقدّم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة .

قال وددت أن ذلك كصاف لا علي ولا لي فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال ردوا الغلام قال يا ابن أخي ارفع ثوبك فانه أبقى لثوبك وأتقى لربك .

يا عبدالله بن عمر أنظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه قال إن وفي بذلك مال آل عمر فأدّه من أموالهم ولا فسّل في بني عدى ابن كعب فإن لم تف أموالهم فسّل في قريش ولا تعدّهم إلى غيرهم فأدّعني هذا المال .

انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه .

فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال اقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه .
فقلت كنت أريده لنفسي ولا أوثرته به اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال ما لديك .

قال الذي يحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شيء أهم إلي من ذلك فإذا قضيت فأحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر ابن الخطاب فإن أذنت فأدخلوني وإن ردّتي ردوني إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصه (بنت عمر) والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فوالت عليه داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل .

فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف فقال كما في رواية مسلم أحمل أمركم حياً وميتاً لوددت أني أخطى منها الكفاف لا علي ولا لي .

وأن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر .
وان إترككم فقد ترككم من هو خير مني يعني رسول الله ﷺ .

قال عبد الله بن عمر فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف
ثم قال عمر ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي
رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

فسمي علياً وعثمان والزبير وسعداً وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وقال
يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له .

شعرا :

في كل عصرٍ للجنة جريرة
جأروا على الفاروق أعدل من قضي
وعلى علي وهو أظهرنا فماً
كم دولة شهد الصباح جلالها
وقصور قوم زاهرات في الدجى

شعرا :

ولكننا والحمد لله لم نزل
نقر بأن الله فوق عباده
وكل مكان فهو فيه بعلمه
وما أثبت الباري تعالى لنفسه
فثبته لله جل جلاله
هو الواحد الحي القيدير له البقا
سميع بصير قادر متكلم
تتره عن نبد وولد ووالد
وليس كمثل الله شيء وما له
وإن كتاب الله من كلماته
هو الذكر متلو بالسنة الورى
فألفاظه ليست بمخنوقة ولا
وقد أسمع الرحمن موسى كلامه

ليست على مر الزمان نزول
بعد النبي وزكى رأيه التنزيل
ويداً وسيف نبيتنا المسلول
وأنى عليها الليل وهي فلول
طلعت عليها الشمس وهي طلول

على قول أصحاب الرسول نؤول
على عرشه لكنما الكيف مجهل
شهند على كل الورى ليس يغفل
من الوصف أو أبدأه من هو مرسل
كما جاء لا تنفي ولا تتأول
ملك يولي من يشاء ويعزل
عليهم مرید آخر هو أول
وصاحبة فالله أعلى وأكمل
شينة ولا ند بربك يعبد
ومن وصفه الأعلى حكيم منزل
وفي الصدر محفوظ وفي الصحف مسجل
معانيه فاثرك قول من هو مبطل
على طور سيناء والإله يفضّل

وَلِلطُّورِ مَوْلَانَا تَجَلَّى بُنُورِهِ
 وَإِنَّ عَلَيْنَا حَافِظِينَ مَلَائِكَةً
 فَيَحْصُونَ أَقْوَالَ ابْنِ آدَمَ كُلَّهَا
 وَلَا حَيٍّ غَيْرُ اللَّهِ يَبْقَى وَكُلُّ مَنْ
 وَإِنَّ نُفُوسَ الْعَالَمِينَ بِقَبْضِهَا
 وَلَا نَفْسَ تَفْتَى قَبْلَ إِكْمَالِ رِزْقِهَا
 وَسَيِّانٍ مِنْهُمْ مَنْ وَدَى حَتْفَ أَنْفِهِ
 وَإِنَّ سُؤَالَ الْفَاتِنِينَ مُحَقَّقٌ
 يَقُولَانِ : مَاذَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ مَا الَّذِي
 فَيَارَبُّ ثَبَّتْنَا عَلَى الْحَقِّ وَاهْدِنَا
 وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ وَرُوحٌ مِنْ
 فَأَرْوَاحُ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ تُعَمَّتْ
 وَتَسْرَحُ فِي الْجَنَّاتِ تَجْنِي بِمَارَهَا
 وَلَكِنْ شَهِيدُ الْحَرْبِ حَيٌّ مُنْعَمٌ
 وَأَرْوَاحُ أَصْحَابِ الشَّقَاءِ مُهَانَةٌ
 وَإِنَّ مَعَادَ الرُّوحِ وَالْجِسْمِ وَقَعَ
 وَصِيحَ بِكُلِّ الْعَالَمِينَ فَأَحْضِرُوا
 فَذَلِكَ يَوْمٌ لَا تُحَدُّ كُرُوبُهُ
 يُحَاسِبُ فِيهِ الْمَرْءَ عَنْ كُلِّ سَعْيِهِ
 وَتُوزَنُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ جَمِيعُهَا
 وَفِي الْحَسَنَاتِ الْأَجْرُ يُلْقَى مُضَاعَفًا
 وَلَا يُدْرِكُ الْغُفْرَانَ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا
 وَيَغْفِرُ غَيْرَ الشِّرْكِ رَبِّي لِمَنْ يَشَاءُ

فَصَارَ لِحَوْفِ اللَّهِ ذَكَا يُرْزَلُ
 كِرَامًا بِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ وَكُلُوا
 وَأَفْعَالَهُ طُرًّا فَلَا شَيْءَ يُهْمَلُ
 سِوَاهُ لَهُ حَوْضُ الْمَنِيَةِ مِنْهَلٌ
 رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ مُوَكَّلٌ
 وَلَكِنْ إِذَا تَمَّ الْكِتَابُ الْمُوَجَّلُ
 وَمَنْ بِالطُّبَا وَالسَّمْهَرِيَّةِ يُقْتَلُ
 لِكُلِّ صَرِيحٍ فِي الثَّرَى حِينَ يُجْعَلُ
 تَدِينُ؟ وَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مُرْسَلٌ؟
 إِلَيْهِ وَإِنْ طَقْنَا بِهِ حِينَ نُسْأَلُ
 وَدَى فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ سَتَجْعَلُ
 بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَمَا هُوَ أَفْضَلُ
 وَتَشْرَبُ مِنْ تِلْكَ الْمِيَاهِ وَتَأْكُلُ
 فَتَنْعِمُهُ لِلرُّوحِ وَالْجِسْمِ يَحْصُلُ
 مُعَذِّبَةٌ لِلْحَشْرِ وَاللَّهُ يَعْدِلُ
 فَيَنْهَضُ مَنْ قَدْ مَاتَ حَيًّا يُهْرَوُلُ
 وَقِيلَ : قِفُوهُمْ لِلْحِسَابِ لِيُسْأَلُوا
 بِوَصْفٍ فَإِنَّ الْأَمْرَ أَذْهَى وَأَهْوَلُ
 وَكُلُّ يُجَازَى بِالَّذِي كَانَ يَعْمَلُ
 وَقَدْ فَازَ مَنْ مِيزَانَ تَقْوَاهُ يُثْقَلُ
 وَبِالْمِثْلِ تُجْزَى السَّيِّئَاتُ وَتُعْدَلُ
 وَأَعْمَالُهُ مَرْدُودَةٌ لَيْسَ تُقْبَلُ
 وَحُسْنُ الرَّجَا وَالظَّنُّ بِاللَّهِ أَجْمَلُ

وَإِنَّ جَنَّاتِ الْخُلْدِ تَبْقَى وَمَنْ بِهَا
أَعَدَّتْ لِمَنْ يَخْشَى الْإِلَهَ وَيَتَّقِي
وَيَنْظُرُ مَنْ فِيهَا إِلَى وَجهِ رَبِّهِ
وَإِنَّ عَذَابَ النَّارِ حَقٌّ وَإِنَّهَا
يُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ عَلَى الْمَدَى
وَلَمْ يَبْقَ بِالْإِجْمَاعِ فِيهَا مُوَحَّدٌ
وَإِنَّ لِحَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ شَفَاعَةً
وَيَشْفَعُ لِلْعَاصِينَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ
فَيُلْقُونَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُوا
وَإِنَّ لَهُ حَوْضًا هَيئَةً شَرَابُهُ
يُقَدَّرُ شَهْرًا فِي الْمَسَافَةِ عَرْضُهُ
وَكَيْرَانُهُ مِثْلُ النُّجُومِ كَثِيرَةٌ
مِنَ الْأُمَّةِ الْمُسْتَمْسِكِينَ بِدِينِهِ
فَيَا رَبِّ هَبْ لِي شُرْبَةً مِنْ زُلَالِهِ
اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ ، يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ ، يَا ذَا
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، هَبْ لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّوْمُ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكْفَلْتَ لَنَا
بِهِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ،
وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا ، وَلَا تَشْمِتْ بِنَا أَحَدًا .

اللَّهُمَّ رَغْبًا فِيمَا يَبْقَى ، وَزَهْدًا فِيمَا يَفْنَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي
لَا تَسْكُنُ النَّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعَوَّلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ .
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يِرَامُ وَمَلِكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ وَبِنُورِكَ

الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .
اللهم يا عليم يا حلِيم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء
يا مَنْ تَعْنُوا له الوجوه وتخشع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

قال النبي ﷺ : (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ يُمْسِي : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهُدُكَ وَأَشْهَدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ » . أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ . فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ . فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ . فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) . رواه أبو داود عن أنس رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ الْمَسِيحِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِنْ مَاتَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا . وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ » . رواه أحمد والترمذي عن معقل بن يسار رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ حِينَ يُمْسِي : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ . أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ . فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن بريدة رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ . لَا شَرِيكَ لَكَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ . وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ » . رواه أبو داود وابن حبان وابن السني والبيهقي عن عبدالله بن غنم رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ : أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يَمْسِي أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي لَيْلَتِهِ » . رواه أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي ثَلَاثَ مَرَاتٍ : رَضِيْتُ بِاللَّهِ وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا . كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرَضِّيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم ورواه الترمذي عن ثوبان رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » . رواه أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ : وَأَنَا شَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا . غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ

التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته . حلت له شفاعتي يوم القيامة » . رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « قولي عند أذان المغرب : اللهم هذا إقبال ليلتك وإدبار نهارك وأصوات دعواتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي » رواه الترمذي والطبراني والحاكم عن أم م سلمة رضي الله عنها .

وقال النبي ﷺ : « إذا صليت الصبح فقل قبل أن تكلم أحداً من الناس : « اللهم اجزني من النار . سبع مرات . فإنك إن متت من يومك . هذا كتب الله لك جواراً من النار .

وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تكلم أحداً من الناس : اللهم جرنني من النار . سبع مرات ، فإنك إن متت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النار » رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن الحارث التيمي رضي الله عنه .

كان أكثر دعاء النبي ﷺ : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » . فقيل له ، قال : « ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ » . رواه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها .

وقال النبي ﷺ : « لو دُعِيَ بهذا الدعاء على شيء بين المشرق والمغرب في ساعة من يوم الجمعة لا سئجيب لصاحبه : لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بدیع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام » .

رواه الخطيب عن جابر رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « يا سعد ، لو دعوت على من بين السموات والأرض لا سئجيب لك ، فأبشِرْ يا سعد » . يعني « سُبْحَانَكَ لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام » . رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال النبي ﷺ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجاً ومن كل همٍّ ورزقَهُ من حيث لا يحتسب » . رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال النبي ﷺ : « ألا أعلمك كلمات إذا فُلتَهُنَّ غفرَ الله لك وإن كنت مغفوراً لك ؟ قل : لا إله إلا الله سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم . الحمد لله رب العالمين » . رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه .

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدرداءِ رضيَ اللهُ عنه فقال : يا أبا الدرداءِ ، قد احترق بيتك . فقال : ما احترق . لم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك بكلماتٍ سمعتهن من رسول الله ﷺ وقد فُلتَهُنَّ اليومَ . ثم قال : انهضوا بنا . فانتهوا إلى دارِهِ وقد احترق ما حولها ولم يُصبها شيءٌ .

وهذه هي الكلمات : قال النبي ﷺ : « من قال حين يصبح وحين يمسي : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . أعلم أن الله على كل شيء قديرٌ . وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علماً . اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ نفسي ومن شرِّ كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتها . إن ربي على صراطٍ مستقيم . لم يُصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيءٌ يكرهه » رواه ابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « أما لِدُنْيَاكَ ، فإذا صليت الصُّبحَ فقل بعد صلاة الصُّبح : سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثلاث مرَّاتٍ يُوقيك الله من بلايا أربع : من الجنون والجذام والعمى والفالج . وأما لآخرتك فقل : اللهم اهدني من عندك ، وأفض علي من فضلك ، وانشر علي من رحمتك ، وأنزل علي من بركاتك . والذي نفسي بيده من وأفى بهنَّ يومٍ

القيامة لم يدعهن ليفتنن له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء . رواه السني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال النبي ﷺ : « ما من رجل يدعو بهذا الدعاء في أول ليله وأول نهاره إلا عصمه الله من إبليس و جنوده : بسم الله ذي الشان ، عظيم البرهان . شديد السلطان . ما شاء الله كان . أعوذ بالله من الشيطان » . رواه الحاكم وابن عساكر عن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « من قال حين يصبح وحين يمسي : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهّمه من أمر الدنيا والآخرة » . رواه ابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

وقال النبي ﷺ : « من قال حين يمسي : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي » رواه أبو داود وابن حبان والحاكم عن عثمان رضي الله عنه .

معارضة بدء الامالي

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله :

وثنني بالمديح لذي الجلال	بِحمد الله تَبْدَأُ فِي الْمَقَالِ
تفرد بالعبودة والكمال	إِلَى الْعَالَمِينَ وَكُلِّ حَيٍّ
عن التشبيه أو ضرب المثل	وَمَوْصُوفٍ بِأَوْصَافٍ تَعَالَتْ
هو المعصوم أحمد ذو الجمال	وَمِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّ
كريم المحتدى سامي المعالي	زَكِيِّ النَّفْسِ مَنبَعٍ . كُلِّ خَيْرٍ
تهور في المقالة لا يوالي	فإني قد رأيت نظام شخص

نظاماً في العقيده لا سديداً
كما قد قاله فيما قد نماه
وقد أخطأ بما أبداه مما
فبعض قد أصاب القول فيه
فهذا بعض ما قد قال فيها
صفات الذات والأفعال طراً
فهذا بعضه حق وبعض
صفات الذات لازمة وحق
فخذ منهن أمثلة وقل لي
عليم قادر حي مريد
وأفعال الإله فإن فيها
كلاماً فاصلاً لا ريب فيه
قديم نوعها إن رمت حقاً
فيضحك ربنا من غير كيف
بتوبة عبده مما جناه
ومنتقم بما قد شاء ممن
ويرحم من يشاء بغير كيف
ويغضب ربنا وكذلك يرضى
ويخلق ربنا ويحي ويأتي
وينزل ربنا من غير كيف
ويقهر ربنا ويرى تعالى
ولسنا كالذين تأولوها
ولكننا سنجرىها كما قد

ولا منظومه مثل اللّاهي
وخال نظامه عالٍ وحالي
له قد قال في بعض الأمالي
وبعض جاء بالزور المحال
من الزور الملقق والضلال
قديمات مصونات الزوال
فمن قول المعطلة الخوالي
قديمات عديمات المثال
جزييت الخير من كل الخصال
بصير سامع لذوى السؤال
لأهل الحق من أهل الكمال
وحقاً عن أمثال ذي معال
وآحاد الحوادث بالفعال
ويفرح ذو الجلال وذو الجمال
ويسخط إن جنى سوء الفعال
تعدى واعتدى من كل غال
يحب المحسنين ذوى النوال
وأفعال الإله من الكمال
بلا كيف ويرزق ذو التعالي
ويهبط ذو المعارج والجلال
وذى الأوصاف أمثلة الفعال
بأنواع من القول المحال
أتى في النصّ والسور العوالي

وَأَهْلُ الْبَغْيِ مِنْ بَطْرِ وَغِيٍّ
 حُلُولِ حَوَادِثٍ بَغِيًّا وَقَصْدًا
 وَمِمَّا قَالَ فِيمَا كَانَ أَمَلِي
 تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا قَالَ هَذَا
 فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ غَيْرِ امْتِرَاءٍ
 عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ
 وَعَنْهَا بَيِّنٌ وَلَهُ تَعَالَى
 وَقَهْرٌ لِلْخَلَائِقِ وَالْبَرَايَا
 وَمَعْنَى بَاطِلٍ لَا شَكَّ فِيهِ
 وَلَا بِنِ الْقِيمِ الثَّقَةِ الْمُزَكَّى
 كَلَامٌ فِي الْبِدَائِعِ مُسْتَبِينٌ
 وَيَعْسُرُ نَظْمُ مَا قَدْ قَالَ فِيهَا
 فَقَوَّى قَوْلَ أَهْلِ الْحَقِّ فِيهِ
 فَرَاغَهُ تَجَدُّ قَوْلًا سَدِيدًا
 وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ لَهُ صِفَاتٌ
 وَتَكْفِي سُورَةُ الْإِحْلَاصِ وَصَفَاءً
 وَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ يَوْمًا
 وَفِيمَا قَالَهُ الرَّحْمَنُ رَبِّي
 شِفَاءً لِلْسُّقَامِ وَفِيهِ بُرَّةٌ
 وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى
 عَنِ الْمَعْصُومِ عِشْرِينَ وَبِضْعًا
 وَفِي الْقُرْآنِ ذَلِكَ مُسْتَبِينٌ
 لَقَدْ جَاءُوا مِنَ الْكُفْرَانِ أَمْرًا
 يُسَمُّونَ الصِّفَاتِ لِذِي الْكَمَالِ
 لِتَنْفِيرِ الْوَرَى عَنِ ذِي الْفِعَالِ
 وَذَاتًا عَنِ جِهَاتِ السَّتِّ خَالِي
 فَذَا قَوْلٌ لِأَرْبَابِ الضَّلَالِ
 عَلَى السَّبْعِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ عَالِ
 فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ عَنِ الْمِثَالِ
 عَلُوُّ الذَّاتِ مِنْ فَوْقِ الْعَوَالِي
 وَقَدْرُ وَالْكَمَالِ لِذِي الْجَمَالِ
 وَمِنْهُ اغْتَرَّ أَرْبَابُ الضَّلَالِ
 بِإِثْقَانٍ وَحِفْظٍ وَاحْتِفَالِ
 بِتَفْصِيلِ اللَّيْلِ الشَّكِّ جَالِ
 مِنَ التَّفْصِيلِ فِي هَذَا الْمَجَالِ
 وَأَوْهَى قَوْلَ أَهْلِ الْاِعْتِرَالِ
 مُفِيدًا شَافِيًّا سَهْلَ الْمَنَالِ
 وَأَسْمَاءُ تَعَالَتْ عَنْ مِثَالِ
 لِرَبِّي ذِي الْمَعَارِجِ وَالْجَلَالِ
 عَنِ الْمَعْصُومِ صَحَّ بِلَا اِخْتِلَالِ
 وَمَا أَبْدَى الرَّسُولُ مِنَ الْمَقَالِ
 وَمُقْنِعُ كُلِّ أَرْبَابِ الْكَمَالِ
 أَتَتْ بِالنَّصِّ عَنِ صَحْبِ وَآلِ
 أَحَادِيثًا صِحَاحًا كَاللَّهَالِي
 فَيَا بُعْدًا لِأَهْلِ الْاِعْتِرَالِ
 يَهْدُ الرَّاسِيَاتِ مِنَ الْجِبَالِ

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَفِي نَعِيمٍ
وَأَنَّ الَّذِينَ مَا يَلْقَوْنَ فِيهَا
وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْحَقِّ رَبًّا
إِلَهًا وَاحِدًا صَمَدًا سَمِيعًا
قَدِيرًا مَاجِدًا فَردًا كَرِيمًا
لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالْأَوْصَافُ جَلَّتْ
وَيُؤْمِنُونَ أَنَّمَا قَدَّ شَاءَ رَبِّي
وَأَنَّ مَا شَاءَهُ أَحَدٌ وَمَا لَمْ
وَأَقْسَامُ الْإِرَادَةِ إِنْ تُرِيدُهَا
فَمَا قَدَّ شَاءَهُ شَرْعًا وَدِينًا
بِمَا وَقَعَ الْمَقْدَرُ مِنْ قَضَاءِ
مِنَ الطَّاعَاتِ فَهِيَ لَهَا مُجِبٌ
فَهَذَا قَدَّ أَرَادَ اللَّهُ دِينًا
وَرَبُّ الْعَرْشِ كَوْنَهَا فَكَانَتْ
وَتَانِيهَا الَّذِي قَدَّ شَاءَ دِينًا
مِنَ الطَّاعَاتِ لَوْ وَقَعَتْ وَصَارَتْ
وَلَكِنْ لَمْ تَقَعْ مِنْهُمْ فَبَاءُوا
وَتَالْتَمَسُوا الَّذِي قَدَّ شَاءَ كَوْنًا
كَفَعَلِ لِلْمَعَاصِي أَوْ مُبَاحٍ
وَلَمْ يَرْضَ بِهَا مِنْهُمْ وَكَانَتْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى بِكُفْرٍ
فَلَوْلَا أَنَّهُ قَدَّ شَاءَ هَذَا
لَمَا كَانَتْ وَلَمْ تُوجَدْ عَيَانًا

نَعِيمٍ لَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالٍ
مِنَ الذَّاتِ رُؤْيَا ذِي الْجَمَالِ
عَظِيمًا قَدَّ تَقَرَّدَ بِالْكَمَالِ
بَصِيرًا ذِي الْمَعَارِجِ وَالْجَلَالِ
عَلِيمًا وَاسِعًا حَكَمَ الْفِعَالِ
عَنِ التَّشْبِيهِ أَوْ ضَرْبِ الْمَثَلِ
فَحَقُّ كَائِنٍ فِي كُلِّ حَالٍ
يَشَاءُ اللَّهُ كَانَ مِنَ الْمُحَالِ
فَأَرْبَعَةٌ مُوضَّحَةٌ لِتَالِ
مِنَ الْعَبْدِ الْمُؤَفَّقِ لِلْكَمَالِ
بِذَلِكَ فِي الْوُجُودِ بِلا اِخْتِلَالِ
إِلَهِي رَاضِيًا بِالْإِمْتِثَالِ
وَشَرْعًا كَوْنَهُ فِي كُلِّ حَالٍ
وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَتْ بِحَالِ
مِنَ الْكُفَّارِ أَصْحَابِ الْوَبَالِ
عَلَى وَفَقِ الْمَحَبَّةِ بِالْفِعَالِ
لَعَمْرِي بِالْخَسَارِ وَبِالتَّكَالِ
بِتَقْدِيرِ الْحَوَادِثِ لِلْوَبَالِ
فَلَمْ يَأْمُرْ بِهَا رَبُّ الْعَوَالِي
عَلَى غَيْرِ الْمَحَبَّةِ لِلْفِعَالِ
وَلَا يَرْضَى الْفَوَاحِشَ ذُو الْجَلَالِ
وَقَدَّرَ خَلْقَهُ فِي كُلِّ حَالٍ
فَمَا قَدَّ شَاءَ كَانَ بِلا اِخْتِلَالِ

لَهُ كَوْنًا وَلَا دِينًا بِحَالٍ
وَلَا هَذَا وَهَذَا فِي الْمِثَالِ
فَهَذَا الْحَقُّ عَنْ أَهْلِ الْكَمَالِ
وَدَعِ قَوْلَ الْمُخْبِطِ ذَ الْخِيَالِ
أَتَتْ بِالنَّصِّ فِي أَيِّ لِسَالِ
هُدَيْتِ الرُّشْدَ فِي كُلِّ الْخِلَالِ
لَعَمْرِي قُدْرَةٌ بِالْاِفْتَعَالِ
وَرَبِّي ذُو الْمَعَارِجِ وَالْجَلَالِ
أَتَى فِي النَّصِّ فَاسْمَعْ لِلْمَقَالِ
وَبِالرُّسْلِ الْكِرَامِ ذَوِي الْكَمَالِ
وَبِالْقَدْرِ الْمُقَدَّرِ لَا نُبَالِي
لَعَمْرِي مُصْطَفَيْنَ لِذِي الْجَلَالِ
لِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَالِ
لِأَهْلِ الْكُفْرِ أَصْحَابِ الْوَبَالِ
لِأَصْحَابِ الْكِبَائِرِ عَنْ نِكَالِ
وَكُلُّ سَوْفَ يُجْزَى بِانْتِحَالِ
كِتَابًا بِالْيَمِينِ أَوْ الشَّمَالِ
سُتُورُنْ غَيْرَ أَصْحَابِ الضَّلَالِ
كَأَهْلِ الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ
إِلَى قَعْرِ التُّهَى بِذَوِي التَّكَالِ
عَلَى مَتْنِ الصَّرَاطِ بِكُلِّ حَالِ
وَهَاؤِ هَالِكٌ لِلنَّارِ صَالِ
لِيَوْمِ الْحَشْرِ مَوْعِدُ ذِي الْجَلَالِ

وَرَابِعُهَا الَّذِي مَاشَاءَ رَبِّي
فَإِذَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ نَوْعِ هَذَا
كَأَنْوَاعِ الْمَعَاصِي أَوْ مُبَاحِ
فَخُذْ بِالْحَقِّ وَاسْمُ إِلَى الْمَعَالِي
وَلِلْعَبْدِ الْمَشِيئَةُ وَهِيَ حَقُّ
وَبَعْدَ مَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ فَاعْلَمْ
وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ لَهُمْ عَلَيْهَا
وَمَا الْأَفْعَالُ إِلَّا بِاخْتِيَارِ
لِذَلِكَ خَالِقٌ وَلَهُمْ كَمَا قَدْ
وَتُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ كَمَا أَتَانَا
وَتُؤْمِنُ بِالْقَضَا خَيْرًا وَشَرًّا
وَأَمْلَاكَ الْإِلَهِ وَإِنْ مِنْهُمْ
وَإِنَّ الْجَنَّةَ الْعُلْيَا مَنَابٌ
وَإِنَّ النَّارَ حَقٌّ قَدْ أُعِدَّتْ
وَإِنَّ شَفَاعَةَ الْمَعْصُومِ حَقٌّ
وَتُؤْمِنُ بِالْحِسَابِ وَذَلِكَ حَقٌّ
وَكُلُّ سَوْفَ يُؤْتَى يَوْمَ حَشْرِ
وَتُؤْمِنُ أَنَّ أَعْمَالَ الْبَرَآيَا
فَلَيْسَتْ تُوزَنُ الْأَعْمَالُ مِنْهُمْ
وَلَكِنْ كَيْ لِيُحْصَى ثُمَّ يُلْقَى
وَتُؤْمِنُ أَنَّ لَا شَكَّ نَجْرِي
فَنَاجٍ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ
وَأَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ

بِذَاتِ الْمُصْطَفَى نَحْوَ الْعَوَالِ
عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْعَوَالِي
وَعُدْوَانٍ وَقَوْلٍ ذِي وَبَالٍ
هُوَ التَّعْطِيلُ عِنْدَ ذَوِي الْكَمَالِ
لِأَهْلِ الْخَيْرِ لَا أَهْلَ الضَّلَالِ
سَيِّئَاتِي الْفَاتِنَانِ بِكُلِّ حَالٍ
فَنَاجِ الثَّبَاتِ بِلَا اخْتِلَالِ
سَيَلَقِي غِبَّهَا بَعْدَ السُّؤَالِ
بِأَشْيَاءِ مُمَحَّصَةٍ بِحَالِ
عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ سُوءِ الْفِعَالِ
خِيَارِ النَّاسِ مِنْ صَحْبِ وَآلِ
عَلَى دِينِ الْهُدَى وَالْإِنْتِحَالِ
وَتَقْدِيمِ الْخِلَافَةِ بِالنَّوَالِي
فَذُو النُّورَيْنِ ثُمَّ عَلِيٌّ عَالِ
نُجُومِ الْأَرْضِ كَالدَّرْرِ الْعَوَالِي
هُدَاتِ كَالرَّعَانِ مِنَ الْجِبَالِ
فَحَقُّ لِلْوَلِيِّ بِلَا اخْتِلَالِ
بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ أَهْلَ الْإِنْفِعَالِ
لِمَنْ يَدْعُوهُمْ مِنْ كُلِّ عَالِ
عَلَى نَوْعَيْنِ وَاضِحَةِ الْمِثَالِ
لِمَنْ وَالْأَهْمُو مِنْ ذِي الْخِيَالِ
لِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ
لِشَخْصِ ذِي تُقَى سَامِي الْمَعَالِي

وَمِعْرَاجِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقُّ
وَفِي الْمِعْرَاجِ رَدُّ مُسْتَيِّنٍ
وَمَنْ يَنْحُو طَرِيفَتَهُمْ يَبْغِي
بِتَأْوِيلِ وَتَحْرِيفِ وَهَذَا
وَأَنَّ الْحَوْضَ لِلْمَعْصُومِ حَقُّ
وَتَوْمُنُ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ شَكِّ
إِلَى الْمَقْبُورِ ثَمَّةَ يَسْأَلَانِيهِ
سِوَى مَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا مَعَاصِرِ
إِذَا مَا لَمْ تُكْفَرْ تِلْكَ عَنْهُ
وَأَخْرُ بِالشَّقَاوَةِ سَوْفَ يَلْقَى
وَتَوْمُنُ بِالَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ
كَذَاكَ التَّابِعُونَ وَتَابِعُوهُمْ
وَإِنَّ الْفَضْلَ لِلْمُخْلَفَاءِ حَقُّ
أَبُو بَكْرٍ فَفَارُوقُ الْبِرَايَا
عَلَى مَنْ بَعْدَهُ وَهُمْوَا فَهُمْ هُمْ
وَكَالْأَعْلَامِ لِلْحَيْرَانِ بَلْ هُمْ
وَكَلُّ كَرَامَةٍ ثَبَّتَتْ بِحَقِّ
نَوَالٍ مِنْ كَرِيمٍ حَيْثُ كَانُوا
وَلَيْسَ لَهُمْ نَوَالٌ أَوْ حِبَاءٌ
وَإِنَّ الْخَرْقَ لِلْعَادَاتِ فَاغْلَمَ
فَنَوْعٌ مِنْ شَيَاطِينِ غَوَاةٍ
وَنَوْعٌ وَهُوَ مَا قَدْ كَانَ يَجْرِي
مِنَ الرَّحْمَنِ تَكْرِمَةً وَفَضْلًا

وَلَكِنْ لَيْسَ يُوجِبُ أَنْ سِيدَعَى
 فَمَا فِي الْعَقْلِ مَا يَقْضِي بِهِذَا
 وَفَارَقَ ذَلِكَ التَّوَعَيْنِ أَمْرٌ
 سُلُوكُ طَرِيقَةِ الْمَعْصُومِ حَقًّا
 فَمَنْ يَسْئَلُكَ طَرِيقَتَهُ بِصِدْقٍ
 وَمَنْ يَسْئَلُكَ سِوَاهَا كَانَ حَتْمًا
 وَتُؤْمِنُ أَنْ عَيْسَى سَوْفَ يَأْتِي
 وَيَقْتُلُ لِلْيَهُودِ وَكُلِّ بَاغٍ
 وَرَبِّي خَالِقُ مُخَيِّ مُمَيَّتٍ
 وَبِالْأَسْبَابِ يَخْلُقُ لَا كَقَوْلٍ
 وَفِي الْقُرْآنِ ذَلِكَ مُسْتَبِينٌ
 لِرَيْبِ الشَّكِّ عَنْ كُلِّ اعْتِقَادٍ
 عَلَى هَذَا ابْنُ حَنْبَلٍ وَهُوَ قَوْلٌ
 وَمَنْ يَنْسُبُ إِلَيْهِ غَيْرَ هَذَا
 وَمِمَّا قَالَ فِيمَا زَاغَ فِيهِ
 وَمَا أَفْعَالٌ خَيْرٌ فِي حِسَابٍ
 بَلِ الْأَعْمَالُ وَالْأَفْعَالُ حَقٌّ
 يَزِيدُ بِطَاعَةِ الْإِنْسَانِ يَوْمًا
 وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْحَقِّ مِمَّنْ
 وَدَعْنِي مِنْ حُرَافَاتٍ وَهَمْطٍ
 وَإِنَّ السُّحْتَ رِزْقٌ لَا حَلَالَ
 وَتَكْفِيرٌ بِذَنْبٍ لَا نَرَاهُ
 وَلَكِنْ مَنْ أَتَى كُفْرًا بَوَاحًا
 وَيُرْجَى أَوْ يُخَافُ بِكُلِّ حَالٍ
 وَلَا فِي الشَّرْعِ يَا أَهْلَ الْوَبَالِ
 هُوَ الْفَضْلُ الْمُحَكَّمُ فِي الْمَقَالِ
 وَتَوْحِيدٌ بِإِخْلَاصِ الْفِعَالِ
 فَمِنْ أَهْلِ الْوَلَا لَا ذِي الضَّلَالِ
 بِلَا شَكٍّ يُخَالِجُ ذَا انْسِلَالِ
 لِقَتْلِ الْأَعْوَرِ الْبَاغِي الْمُحَالِ
 وَيَحْكُمُ بِالشَّرِيعَةِ لَا يُبَالِي
 هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدَّرُ ذُو التَّعَالِي
 لِقَوْمٍ عِنْدَهَا قَوْلُ الضَّلَالِ
 فَأُنْبَأْنَا بِهِ وَالْحَقُّ جَالٍ
 صَحِيحٌ عَنْ أَمَائِلِ ذِي مَقَالِ
 لِأَهْلِ الْحَقِّ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ
 فَقَدْ أَخْطَأَ خَطَاءً ذَا وَبَالِ
 وَأَعْنِي فِي الْقَصِيدَةِ ذَا الْأَمَالِي
 مِنَ الْإِيمَانِ مَفْرُوضُ الْوِصَالِ
 مِنَ الْإِيمَانِ فَاحْفَظْ لِي مَقَالِي
 وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي ذِي الْوَبَالِ
 هُمْ الْأَعْلَامُ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ
 لِأَرْبَابِ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالِ
 حَرَامٌ كُلُّهُ لَا كَالْحَلَالِ
 لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ الْمُثَلَى بِحَالِ
 وَأَشْرَكَ فِي الْعِبَادَةِ لَا نُبَالِي

وإنَّ الهِجْرَةَ المُثْلَى لَفَرَضٌ
وَلَمْ تُنْسَخْ بِحُكْمِ الْفَتْحِ بَلْ ذَا
فَإِنْ عَادَتْ وَصَارَتْ دَارَ كُفْرٍ
لَأَنَّ الْمُصْطَفَى قَدْ قَالَ مَا قَدْ
بِذَكَرٍ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ مُقِيمٍ
وَذَا مِنْ مُسْلِمٍ إِذْ جَاءَ ذَنْبٌ
رَوَى ذَا التِّرْمِذِيُّ كَذَلِكَ جَاءَتْ
وَجُمْلَةُ كُلِّ مُعْتَقِدٍ صَحِيحٌ
وَعَنْ سَلَفٍ رَوَى خَلْفٌ ثِقَاتٌ
فَأِنَّا بَاعْتِقَادٍ وَاحْتِفَالٍ
فَإِنْ رُمْتَ النَّجَاةَ غَدًا وَتَرْجُو
نَعِيمًا لَا يَبِيدُ وَلَيْسَ يَفْنَى
وَحُورًا فِي الْجَنَانِ مُنْعَمَاتٍ
فَلَا تُشْرِكْ بِرَبِّكَ قَطُّ شَيْئًا
وَلَا تَذْهَبْ إِلَى الْأَمْوَاتِ جَهْلًا
وَلَا تَجْعَلْ وَسَائِطَ تَرْجِيهِمْ
عَلِمَ قَادِرٌ بِرُ كَرِيمٌ
وَلَيْسَ بِعَاجِزٍ فِعَانُ حَاشَا
فَلَا يَدْرِي بِأَحْوَالِ الْبَرَايَا
فَتَجْعَلُهُ الْوَسَاطَةَ إِنَّ هَذَا
وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ لَيْسَ رَبِّي
وَلَا الْإِحْسَانُ إِلَّا مِنْ شَفِيعٍ
لِحَاجَتِهِ وَرَغْبَتِهِ إِلَيْهِ

عَلَى ذِي قُدْرَةٍ بِالْإِنْتِقَالِ
بِذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْإِسْلَامُ عَالٍ
فَهَاجِرٌ لَا تَطْفَفُ بِاعْتِرَالِ
رَوَى الْإِبْرَاهِيمُ مِنَ أَهْلِ الْكَمَالِ
بِدَارِ الْكُفْرِ بَيْنَ ذَوِي الضَّلَالِ
كَبِيرٌ بِالْإِقَامَةِ لَا يُبَالِي
بِهِ الْآيَاتُ وَاضِحَةٌ لِتَالِ
رَوَاهُ النَّاسُ عَنْ صَحْبٍ وَآلِ
لَنَا بِالثَّقَلِ عَنْهُمْ بِاحْتِفَالِ
لَهُ بِالْأَخْذِ فِي كُلِّ الْخِلَالِ
نَعِيمًا لَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالِ
بِدَارِ الْخُلْدِ فِي غُرْفِ عَوَالِ
مَلِيحَاتِ التَّبَعْلِ وَالذَّلَالِ
وَأَخْلَصُ فِي الْعِبَادَةِ وَالْفِعَالِ
لِنَفْعٍ أَوْ لِضَرٍّ أَوْ نَوَالِ
فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ ذُو الْكَمَالِ
بَصِيرٌ سَامِعٌ لِذَوِي السُّؤَالِ
وَلَيْسَ بِعَائِبٍ أَوْ ذِي اشْتِعَالِ
فَتَدْعُو مَنْ يُخْبِرُ بِالسُّؤَالِ
لَعَمْرِي مِنْ مَزَلَاتِ الضَّلَالِ
مُرِيدَ النَّفْعِ أَوْ بَدَلَ التَّوَالِ
يُحَرِّكُهُ فَيُعْطِفُ ذُو الْجَلَالِ
وَهَذَا لَا يَكُونُ لِذِي الْكَمَالِ

أَلَيْسَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
 وَمَنْ ذَا شَأْنُهُ وَلَهُ الْبَرَايَا
 أَكَانَ يَكُونُ عَوْنًا أَوْ شَفِيعًا
 وَيُكْرَهُهُ عَلَى مَا لَيْسَ يَرْضَى
 أَكَانَ يَكُونُ مِنْ يَخْشَانُ رَبِّي
 وَيَشْفَعُ عِنْدَهُ كَرهًا عَلَيْهِ
 لِحَاجَتِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ إِلَيْهِمْ
 تَعَالَى اللَّهُ خَالِقُنَا تَعَالَى
 أَلَيْسَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَنْ يُنَاجِي
 وَأَصْوَاتِ الْجَمِيعِ كَصَوْتِ فَرْدٍ
 فَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمَاعٍ
 وَلَا يَتَبَرَّمُ الرَّحْمَنُ رَبِّي
 وَلَا يُغْلِظُهُ كَثْرَةُ سَائِلِيهِ
 بِكُلِّ تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ مِنْهُمْ
 فَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا قَدْ يَشَاءُ
 أَلَيْسَ اللَّهُ يُبْصِرُ كُلَّ شَيْءٍ
 ذَيْبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَا تَعَالَى
 عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ ذَوِي سَوَادٍ
 وَمُجْرِي الْقُوْتِ فِي الْأَعْضَاءِ مِنْهَا
 وَمَدَّ جَنَاحِهِ فِي جُنْحِ لَيْلٍ
 وَيَعْلَمُ مَا أَسْرَّ الْعَبْدُ حَقًّا
 فَمَنْ ذَا شَأْنُهُ أَيُصِحُّ شَرْعًا
 مَعَاذَ اللَّهِ مَا هَذَا بِحَقِّ

وَمَالِكُهُ وَرَبُّكَ ذُو التَّعَالِي
 بِأَجْمَعِهَا الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي
 يُخَبِّرُ بِالْعَوَامِضِ وَالْفَعَالِ
 تَعَالَى ذُو الْمَعَارِجِ وَالْمَعَالِي
 وَيَرْجُوهُ لِتَبْلِيغِ الْمَقَالِ
 كَمَا عِنْدَ الْمَلُوكِ مِنَ الْمَوَالِي
 لَخَوْفٍ أَوْ رَجَاءٍ أَوْ نَوَالِ
 تَقَدَّسَ بَلْ تَعَاظَمَ ذُو الْجَلَالِ
 كَمَنْ يَدْعُو بِصَوْتِ السُّؤَالِ
 لَدَى الرَّحْمَنِ وَهُوَ عَلَى الْعَوَالِي
 لِمَنْ يَدْعُو وَيَهْتَفُ بِأَيْتِهَالِ
 بِالْحَاحِ الْمُلْحِنِ الْمَوَالِي
 جَمِيعًا بِالتَّضَرُّعِ وَالسُّؤَالِ
 وَأَصْنَافِ اللُّغَاتِ بِلَا اخْتِلَالِ
 وَيَمْنَعُ مَا يَشَاءُ مِنَ النَّوَالِ
 بِلَا شَكٍّ وَيُبْصِرُ ذُو الْحَلَالِ
 وَأَعْطَى تِلْكَ فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي
 شَدِيدِ حَالِكِ مِثْلِ الْكُحَالِ
 وَأَعْضَاءِ الْبُعُوضِ بِكُلِّ حَالِ
 وَأَعْرَاقِ النَّيَاطِ بِلَا اخْتِلَالِ
 وَأَخْفَى مِنْهُ فَاسْمَعِ لِلْمَقَالِ
 وَعَقْلًا أَنْ يُشَارِكَهُ الْمَوَالِي
 وَلَا فِي الْعَقْلِ عِنْدَ ذَوِي الْكَمَالِ

أَفِي مَعْقُولِ ذِي حُجْرٍ عُدُولِ
عَدِيمِ السَّمْعِ لَيْسَ يَرَاهُ يَوْمًا
وَيَتْرُكُ عَالِمًا حَيًّا قَدِيرًا
كَرِيمًا مُحْسِنًا بَرًّا جَوَادًا
لَعْمَرِي إِنَّ مَنْ يَأْتِي بِهَذَا
وَعَقْلٍ يَرْضَى هَذَا لَعْمَرِي
وَأَهْلُوهُ أَضَلُّ النَّاسِ طُرًّا
فَلَا يَغْرُوكَ إِقْرَارٌ بِمَا قَدْ
بَانَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
وَرَزَاقُ مُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ
فَهَذَا قَدْ أَقْرَبَ بِهِ قُرَيْشٌ
وَهُمْ يَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ جَهْرًا
وَلِلْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ كَانَتْ
وَلِلْأَمْوَاتِ هَذَا كَانَ مِنْهُمْ
وَنَذِرٌ وَاسْتِعَاثَةٌ مُسْتَضَامٌ
وَإِنَّ الْحَقَّ إِنْ تَسَلَّكَهُ تَنْجُو
طَرِيقُ الْمُصْطَفَى الْمَعْصُومِ حَقًّا
بِأَفْعَالٍ لَهُ وَحَدُّهُ فِيهَا
بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِنْ رَجَاءٍ
وَذَبْحٍ وَاسْتِعَاثَةٍ مُسْتَعِيثٍ
وَلَا تَخْضَعُ لِغَيْرِ اللَّهِ طُرًّا
وَبِالرَّغْبَاءِ وَالرَّهْبَاءِ مِنْهُ
لِرَبِّكَ لَا لِمَخْلُوقٍ وَمَيْتٍ

إِلَى مَيْتِ رَمِيمٍ ذِي اغْتِفَالِ
عَدِيمِ الْعِلْمِ لَيْسَ يَذِي نَوَالِ
بَصِيرًا سَامِعًا فِي كُلِّ حَالِ
رَجِيمًا ذُو الْفَوَاضِلِ وَالنَّوَالِ
لَذُو خَبَلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِ
سَقِيمٍ زَائِعٌ وَاهِ الْمَقَالِ
وَأَسْفَهُهُمْ وَأَوْلَى بِالتَّكَالِ
أَقْرَ الْمُشْرِكُونَ ذُؤُورَ الضَّلَالِ
وَمَالِكُهُ وَذَا بِالْاِقْتِلَالِ
وَحَيٌّ قَادِرٌ رَبُّ الْعَوَالِ
فَلَمْ يَنْفَعَهُمُوا فَاسْمَعْ مَقَالِي
وَجَهْلًا بِالْمُهَيْمِنِ ذِي الْجَلَالِ
عِبَادَتُهُمْ بِذَبْحٍ مَعَ سُؤَالِ
بِخَوْفٍ مَعَ رَجَاءٍ وَانْدِلَالِ
فَبَاءُوا بِالْوَبَالِ وَبِالتَّكَالِ
مِنَ الْإِشْرَاكِ ذِي الدَّاءِ الْعُضَالِ
بِتَوْحِيدِ الْمُهَيْمِنِ ذِي الْكَمَالِ
وَبِالْأَفْعَالِ مِنْكَ بِلَا اخْتِلَالِ
وِخَوْفٍ وَالتَّوَكُّلِ وَالسُّؤَالِ
وَنَذِرٍ وَاسْتِعَاثَةٍ ذِي الْجَلَالِ
وَلَا تَخْشَاهُ فِي كُلِّ الْفِعَالِ
بِتَعْظِيمٍ وَحُبِّ وَانْدِلَالِ
ضَعِيفٍ عَاجِزٍ فِي كُلِّ حَالِ

فَوَحَّضَهُ وَأَفْرَدَهُ بِهَذَا
وَأَوْضَاعٍ لِأَفَاكِ جَهْوَلٍ
وَكُلِّ طَرِيقَةٍ خَرَجَتْ وَزَاعَتْ
فَأِنَّا مِنْ طَرَائِقِهِمْ بَرَاءٌ
فَتَبْرَأُ مِنْ ذَوِي الإِشْرَاقِ طُرًّا
وَمِنْ كُلِّ الرِّوَافِضِ حَيْثُ زَاغُوا
وَمِنْ قَوْلِ النَّوَاصِبِ حَيْثُ ضَلَّتْ
وَمِنْ قَوْلِ الخَوَارِجِ قَدْ بَرِئْنَا
بِمَا قَالُوهُ وَانْتَحَلُوهُ مِمَّا
فَقَدْ جَاءُوا مِنَ الكُفْرَانِ أَمْرًا
وَتَبْرَأُ مِنَ أَشَاعِرَةِ غُوَاةٍ
وَمِنْ جَبْرِئِيَّةٍ كَفَرَتْ وَضَلَّتْ
كَنَّا فِي قُدْرَةِ الرَّحْمَنِ رَبِّي
وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ كُلابِ بَرِئْنَا
وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ كَرَّامٍ وَمَنْ
وَأَهْلَ الوَحْدَةِ الكُفَّارِ إِذْ هُمْ
وَمِنْ أَهْلِ الحُلُولِ ذَوِي المَحَازِي
وَمِنْ قَالِ بِالإِرْجَاءِ يَوْمًا
يُخَالِفُ شَرَعَ أَحْمَدَ ذِي المَعَالِي
وَتَبْرَأُ مِنْ طَرَائِقِ مُحَدَّثَاتِ
بِالْحَانِ وَتَصْدِيَةِ وَرَقِصِ
وَأَذْكَارِ مُلَفَّقَةِ وَشِعْرِ
فَحينَا كَالكُلابِ لَدَى انْتِحَالِ

وَدَعْنَا مِنْ مَزَلَاتِ الضَّلَالِ
حِكَايَاتِ مُلَفَّقَةِ لِغَالِي
عَنِ المَشْرُوعِ بِالقَوْلِ المَحَالِ
إِلَى اللهِ المُهَيِّمِ ذِي الجَلَالِ
وَمِنْ جَهْمِيَّةِ مُعَلِّ غَوَالِ
فَهُمْ أَهْلُ المَنَاكِرِ وَالضَّلَالِ
حُلُومُهُمُوا بِقَوْلِ ذِي وَبَالِ
وَيَا بَعْدًا لِأَهْلِ الاغْتِرَالِ
يُخَالِفُ دِينَ أَرْبَابِ الكَمَالِ
عَظِيمًا وَاجْتِرَاءً بِالمَحَالِ
قَفَّوْا جَهْمًا بِرَأْيِ وَانْتِحَالِ
وَتَبْرَأُ جَهْرَةً مِنْ كُلِّ غَالِ
وَتَقْدِيرِ المُهَيِّمِ ذِي الجَلَالِ
فَلَسْنَا مِنْهُمْ مُبَدَأً بِحَالِ
نُؤْمِي بِالاغْتِرَانِ ذَوِي الضَّلَالِ
أَضَلَّ النَّاسَ فِي كُلِّ الخِلَالِ
فَقَدْ جَاءُوا بِقَوْلِ ذِي وَبَالِ
وَمِنْ كُلِّ ابْتِدَاعٍ فِي وَانْتِحَالِ
وَأَصْحَابِ كِرَامٍ ثُمَّ آلِ
مَلَاهِ مِنْ مَلَاعِبِ ذِي الضَّلَالِ
وَمِزْمَارِ وَدُفِّ ذِي اغْتِيَالِ
بِأَصْوَاتِ تَرُوقِ لِذِي الحَبَالِ
وَحينَا كَالحَمِيرِ أَوْ البَعَالِ

يُلاعِبُهُمْ وَيَرْقُصُ فِي الْمَجَالِ
فَلَمْ نَسْمَعُهُ فِي الْعَصْرِ الْخَوَالِي
فَهُمْ أَهْلُ التَّقَى وَالْإِتِهَالِ
لَعَمْرِي ذُو ائْتِدَاعٍ فِي ائْتِحَالِ
عَلَيْهِ الشَّرْعُ دَلٌّ مِنَ الْكَمَالِ
عَنِ الْإِثْبَاتِ عَنْ صَحْبٍ وَآلِ
لَهُ بِالْأَقْضَا فِي كُلِّ حَالِ
بِأَمْرِ وَارِدٍ لِذَوِي الْكَمَالِ
وَتُعْرَضُ فِي الْفَنَاءِ فِي ذَا الْمَجَالِ
بِحُكْمِ الشَّاهِدِينَ بِلَا ائْتِحَالِ
صَرِيحٍ وَاضِحٍ لِذَوِي الْمَعَالِي
إِلَى الْأَفَاقِ طَارَ وَلَا يُيَالِي
وَيَأْتِي بِالْحَوَارِقِ بِالْفِعَالِ
أَتَى بِالشَّرْعِ فِي كُلِّ الْخِصَالِ
لِمَنْ وَالْأَهْمُو مِنْ كُلِّ غَالِ
وَسُرَّ فِي إِثْرِ أَصْحَابِ الْكَمَالِ
ذَكَرْنَا جُمْلَةً فِي ذَا الْمَجَالِ
وَأَبْغَضُ جَاهِدًا فِيهِ وَوَالِ
وَلَا تُرْكَنُ إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ
بِلَا بَحْثٍ وَفِي قِيلٍ وَقَالَ

فَذَا مِنْ شَأْنِ أَرْبَابِ الْكَمَالِ
قَرِيضٌ قَدْ رَأَيْتُ لِذِي الْأَمَالِي
وَقَدْ سَاعَفْتُهُ بِالْأَمْتِثَالِ

وَتَلَقَى الشَّيْخَ فِيهِمْ مِثْلَ قَرْدٍ
بِأَيِّ شَرِيعةٍ جَاءَتْ بِهَذَا
فَأَمَّا عَنْ ذَوِي التَّقْوَى فَحَاشَا
وَأَهْلُ الْاِئْتِبَاعِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ
وَكَانَ سُلُوكُهُمْ حَقًّا عَلَى مَا
بِأَذْكَارٍ وَأُورَادٍ رَوَوْهَا
وَحَالٍ يَشْهَدُ الشَّرْعُ الْمُرَكِّي
وَمَعَ هَذَا إِذَا مَا جَاءَ حَالٌ
مِنَ النُّكْتِ الَّتِي لِلْقَوْمِ تُرَوَى
أَبُوا أَنْ يَقْبَلُوهَا ذَاكَ إِلَّا
كِتَابُ اللَّهِ أَوْ نَصٌّ صَحِيحٌ
وَقَدْ قَالُوا وَلَا يَغْرُرُكَ شَخْصٌ
وَيَمْشِي فَوْقَ ظَهْرِ الْمَاءِ رَهْوًا
وَلَمْ يَكُ سَالِكًا فِي نَهْجٍ مَنْ قَدْ
فَدَلَكَ مِنْ شَيْطَانِينَ غُوَاةٍ
فَدَعُ عَنْكَ ائْتِدَاعًا وَائْتِرَاعًا
وَلَمْ نَسْتَوْعِبِ الْمَفْرُوضَ لَكِنْ
فَأَحِبُّ فِي الْإِلَهِ وَعَادٍ فِيهِ
وَأَهْلَ الْعِلْمِ جَالِسَهُمْ وَسَائِلِ
وَلَا يَذْهَبُ زَمَانُكَ فِي ائْتِفَالِ

وَمُرٌّ بِالْعُرْفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنَاهِي
دَعَانِي وَاقْتَضَى نَظْمِي لِهَذَا
وَحَقُّ إِجَابَةِ لِسْؤَالِ خَلِّ

فَعَارَضْتُ الَّذِي لَا تَرْضِيهِ وَأَبْقَيْتُ الَّذِي لِلشَّكِّ جَالٍ
 وَزِدْنَا فِيهِ أَبْحَاثًا حَسَنًا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْعَصْرِ الْخَوَالِي
 فَيَاذَا الْعَرْشِ ثَبَّتِي وَكُنْ لِي نَصِيرًا حَافِظًا وَلِمَنْ دَعَا لِي
 وَحَقَّقْ فِيكَ آمَالِي وَجُدْ لِي بِعِلْمٍ نَافِعٍ يَأْذُ الْجَلَالِ
 وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِكَ وَاعْفُ عَنِّي جَمِيعَ السُّوءِ مِنْ كُلِّ الْفَعَالِ
 وَصَلِّ اللَّهُ مَا قَدْ صَابَ وَذُقْ عَلَى الْمُعْصُومِ أَحْمَدَ ذِي الْمَعَالِي
 وَأَتْبَاعِ وَأَصْحَابِ وَآلِ

تَمَّ هَذَا الْجُزْءُ الثَّلَاثَ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ
 ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ
 يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذُلَ الْكُفْرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مَنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ فِي
 هَلَاقِهِ عِزٌّ وَصَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلْمَ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ
 شَمْلَهُمْ وَيُوجِدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِي مَرْضَاهُمْ
 وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَنْصِمَنَا وَإِيَاهُمْ
 مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا وَإِيَاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً
 عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

(حَائِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيحَةٌ)

إِعْلَمَ وَفَقَّنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا
يَجِبُ الْاِعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظاً وَعَمَلًا كَلَامَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ .
وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا
تَيَسَّرَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ .
وَمِنَ الْفَقْهِ مَخْتَصَرِ الْمُقْنِعِ لِتَيَسَّرَ لَهُ اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلَ لِأَوْلَادِهِ مَا
يَحْتُومُ عَلَيْهِ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صَدْرِهِ حِفْظًا صَاحِبًا عَشْرَةَ
آلِفٍ أَوْ أَزِيدَ أَوْ أَقَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغِنَى .
وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ اللَّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلِفٍ (٦٠٠٠) رِيَالٍ .
فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظَهَا ثَلَاثَةَ
آلِفٍ (٣٠٠٠) رِيَالٍ أَوْ الْأَرْبَعِينَ التَّوَابِعَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا (١٠٠٠)
رِيَالٍ .

وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ الْمُقْنِعِ فِي الْفِقْهِ أَلْفِينَ (٢٠٠٠) مِنْ
الرِّيَالِ فَالْغَيْبُ سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ لِسُرْعَةِ اسْتِخْرَاجِ مَا أُرِيدَ مِنْ
ذَلِكَ وَمَا أَشْكَلَ مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فِي بُيُوتِ اللهِ أَوْ
الْبُيُوتِ الْمُعَدَّةِ لِذَلِكَ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِ
الْمُمْتَازِ الْبَاقِي التَّافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي حَلَقَاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَسَاجِدِ .

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنْ
اللهِ وَسَبَبًا لِبَرِّهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبَارَكًا
يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَلَهُمْ نَسْأَلُ اللهُ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ
لِحُسْنِ النِّيَّةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحِيحِهِ وَسَلَّم .
وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ كَعِلْمِ الشَّرْعِ يُؤْخَذُ عَنْ ثِقَاتِ
بَنِيَتِ اللهُ مَدْرَسَةَ الْأَوْلَادِ لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ

(فَصْلٌ يَحْتَوِي عَلَى الدُّعَاءِ)

اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ ، يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ ،
يَا إِذَا الْجَلَالَ وَالْأَكْرَامَ ، هَبْ لَنَا الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ وَيَا قَيُّوْمُ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، وَلَا تُشْغَلْنَا بِهَا
تَكْفَلْتَ لَنَا بِهِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ ،
وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا ، وَلَا تُشِمِّتْ بِنَا أَحَدًا .
اللَّهُمَّ رَغِّبْنَا رَفِيمًا يَبْقَى ، وَزَهِّدْنَا فِيمَا يَفْنَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ
الَّذِي لَا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعْوَلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يِرَامُ وَمَلِكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ
وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِينَا شَرًّا مَا أَهْمُنَا وَمَا لَا نَهْتَمُ
بِهِ وَأَنْ تَعِيدَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .

اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ يَا قَوِي يَا عَزِيزُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْعَطَا وَالْعِزِّ
وَالكِبْرِيَاءِ يَا مَنْ تَعَنَّا لَهُ الْوَجُوهُ وَتَخَشَعُ لَهُ الْأَصْوَاتُ .
وَفَقَّنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفَنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ

عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا
شَمْلَنَا ، وَلَمْ بِهَا شَعَثَنَا ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ،
وَتَرْكِي بِهَا أَعْمَالَنَا ، وَتَلْهَمُنَا بِهَا رِشْدَنَا ، وَتَعْصِمُنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ ، وَأَكْفُنَا شَرَّ خَلْقِكَ ، وَأَحْفَظْ عَلَيْنَا
دِينَنَا وَصِحَّةَ أَبْدَانِنَا .

اللَّهُمَّ يَا هَادِيَ الْمُضِلِّينَ وَيَا رَاحِمَ الْمَذْنِبِينَ ، وَمُقِيلَ عَثْرَاتِ

العائرين ، نسألك أن تُلحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .
نسألك أن تذيقنا برد عفوِكَ ، وحلاوة رحمتِكَ ، يا أرحم الراحمين وأرأف الرائيين وأكرم الأكرمين .

اللهم اعتقنا من رقِّ الذنوبِ ، وخلصنا من أشرِّ النفوسِ ، وأذهب عنا وحشةَ الإساءةِ ، وطهرنا من دنسِ الذنوبِ ، وباعد بيننا وبين الخطايا وأجرنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طيِّبنا للقاءِكَ ، وأهلنا لولائِكَ وأدخِلنا مع المرحومين من أوليائِكَ ، وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين .

اللهم أعنا على ذِكركَ وشُكركَ وحُسنِ عبادتِكَ ، وتلاوةِ كتابِكَ ، واجعلنا من حزبك المُفلحين ، وأيدنا بجُندِكَ المنصُورين ، وارزُقنا مُرافقةَ الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

اللهم يا فالقَ الحب والنوى ، يا مُنشىءَ الأجسادِ بعدَ البلى يا مُؤيِّ المنقطعينَ إليه ، يا كافي المتوكِّلينَ عليه ، انقطعَ الرجاءُ إلا مِنكَ ، وخابتَ الظنونُ إلا فيكَ ، وضعفَ الاعتِدادُ إلا عليكَ نسألكَ أن تُمطرَ محلَّ قلوبنا مِن سحابِ بركِ واحسانِكَ وأن توفقنا لموجباتِ رحمتِكَ وعزائمِ مغفرتِكَ إنكَ جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

اللهم إننا نسألكَ قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وعملاً متقبلاً ،

ونسألك بركة الحياة وخير الحياة ، ونعوذ بك من شر الحياة ، وشر
الوفاة .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَغْرَّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ
الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ .
وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ
الْوُجُوهُ ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا
الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا مَالِكَ الْمَلِكِ ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِينُ ،
وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .
اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك ، واسعدنا بتقواك ،
ولا تُشقنا بمعصيتك .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامَنَا ، وَتَرَى مَكَانَنَا ، وَتَعْلَمُ سِرَّانَا ،
وَعَلَانِيَتَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ
إِلَيْكَ ، الْمُسْتَعِينُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ الْوَجُلُونَ الْمَشْفُقُونَ الْمَعْتَرِفُونَ
بِدُنُوبِنَا .

نَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ ، وَنَبْتَهَلُ إِلَيْكَ إِبْتِهَالَ الْمُدْنَبِ
الذَّلِيلِ ، وَنَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ .

اللهم يَا مَنْ خَضَعَتْ لَهُ رِقَابِنَا ، وَفَاضَتْ لَهُ عِبَارَاتُنَا ،
وَذَلَّتْ لَهُ أَجْسَامُنَا ، وَرَغَمَتْ لَهُ أَنْفُوقُنَا لَا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِكَ أَشْقِيَاءَ ،
وَكَنْ بِنَا رَوْفًا يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى
بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَحَمَّ الرَّاحِمِينَ .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا نُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ
صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللهم اجعلنا من عِبَادِكَ الْمُحِبِّينَ ، الغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ الوَفْدِ
الْمُتَقَبِّلِينَ .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً ،
وَمِيتَةً سَوِيَّةً ، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن
المؤيدين بنصرِكَ وتأييدِكَ ورضاك يارب العالمين .

« اللهم مالكَ الملكِ تؤتي الملكَ من تشاء وتزعجُ الملكَ ممن
تشاء وتُعزِّزُ من تشاء وتُدْهِلُ من تشاء بيديكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ » .

ياوَدُّوُدُ يَاذَا العَرْشِ المَجِيدِ يَا مُبْدِيءُ يَا مُعِيدُ يَا فَعَالُ مَا تُرِيدُ
نَسْأَلُكَ بنورِ وجهِكَ الذي مَلَأَ أركانَ عَرْشِكَ وبِقُدْرَتِكَ التي قَدَرْتَ
بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ وبرحمتِكَ التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ
أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَسَيِّئَاتِنَا وَأَنْ تَبْدِلَها لَنَا بِحَسَنَاتٍ إِنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ
رؤُوفٌ رَحِيمٌ .

اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بابَ القَبولِ والإِجابَةِ واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدِينَا وَجَمِيعِ
المُسلمينَ بِرحمتِكَ يا أرحمَ الرّاحمينَ .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ، ، ،

عبدالعزیز بن محمد بن سلمان

شعرا :

مُنَايَ مِنَ الدنِيا عُلُومُ أَبْثُها وَأَنْشُرُها فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
دُعَاءٍ إِلَى القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ التي تَنَاسَى رِجالُ ذِكْرَها فِي المَحَاضِرِ
وَقَدْ أَبَدَلُوها بِالْجَرائِدِ تَارَةً وَتَلْفَازِهِم رَأْسُ الشُّرُورِ المَناکِرِ
وَمِدْياهِمُ أَيضًا فلا تَنْسَ شَرُّهُ فَكَمْ ضَاعَ مِنْ وَقْتِ بِها بِالْخَسائِرِ

آخر : أَلْبُ كُتْبًا طَلَمًا قَدْ جَمَعْتَهَا
 وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنِّ بِهَا وَتَمَسُّكِ
 وَأَحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تُتَالَ بِنَائِلِ
 وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بِأَقِيًّا
 وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا
 لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيهَا مُنْضَدًا
 مَهِينٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
 فَيَأْتِي شِعْرِي مَنْ يُقْلِبُهَا غَدَا

فوائد عَظِيمَةِ النَّفْعِ

وَاعْجَبًا مِنْكَ يَضِيعُ مِنْكَ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ وَتَتَكَدَّرُ وَتَتَأَسَّفُ ، وَقَدْ ضَاعَ
 أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ عِنْدَكَ وَهُوَ عُمْرُكَ الَّذِي لَا عِوَضَ لَهُ ، وَأَنْتَ عِنْدَ قِتَالَاتِ
 الْأَوْقَاتِ ، الْكُورَةِ وَالتَّلْفَازِ وَالْمِذْيَاعِ وَنَحْوِهَا مِنْ قُطَاعِ الطَّرِيقِ عَنِ الْأَعْمَالِ
 الصَّالِحَةِ ، وَلَكِنْ سَتَنْدَمُ « يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ
 الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ » .

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلْمَنَا وَنَالَ عَلَيْنَا
 اللَّهُمَّ قَوِي مَعْرِفَتَنَا بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنَوِّرْ بَصَائِرَنَا وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا
 وَأَبْصَارَنَا وَقَوَاتِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
٥	نماذج من وصايا السلف
١٤	قال بعضهم موصياً أولاده بوصية نافعة
٢٦	فائدة عظيمة النفع لمن عمل بها
٣٠	قصيدة ينبغي تأملها
٣١	ماذا ينبغي لمن نزل به الموت
٣٤	ما ينبغي لمن أراد لحاق القوم المجتهدين
٣٦	قصيدة تحتوي على نصائح ووصايا ومواعظ
٣٦	وآداب وأخلاق
٤٥	وصية مقتول في سبيل الله
٤٦	وصية الامام الغزالي لبعض إخوانه
٥١	من أحوال السلف عند الاحتضار لما نزل الموت بالحسن رحمه الله
٥٤	ومن أخلاق السلف مقت أنفسهم
٥٦	قصيدة في الثناء على السلف وتواضعهم وورعهم
٥٧	من أخلاق السلف كثرة الحزن والههم كلما تذكروا الموت خوف سوء الخاتمة
٥٨	آيات تضرع إلى الله وحث على القناعة
٦٠	من فوائد مُحاسبة النفس
٦١	إشغال الجوارح بطاعة الله
٦٢	قال بعضهم صلاح الأمة وفسادها بصلاح العلماء وفسادهم وبعده قصيدة
٦٦	آثار تربية الرسول ﷺ لأصحابه
٦٩/٦٨	ونماذج من كرمهم وجودهم
٧٠	من أخلاقهم إخراج الطيب لله
	الصحابة ينفقون ما حصل بأيديهم من المال حال وصوله لثقتهم بالله الرزاق ذو القوة
٧١	المتين
٧٢	آيات في الحث على الكرم والزهد
٧٥	من أخلاق السلف توصية بعضهم بعضاً بما يحبه الله
٧٧	موعظة بليغة في المقارنة بين حالنا وحال السلف

تابع فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
٨٢ ما يغلب على القلب واللسان عند مفارقة الدنيا
٨٦ موعظة بليغة تحتوي على المقارنة بين أحوالنا وأحوال السلف وبعدها قصيدة في الحث على التمسك بطريقة السلف والثناء عليهم بما هم أهلهم
٩٠ موعظة بليغة في الحث على طاعة الله ووصية نافعة من عمر لأمير جيشه سعد بن أبي وقاص
٩٧ الذي يرجع إلى فعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور قاله ابن القيم
١٠٠ ويلى ذلك قصيدة
١٠١ فصل في ذم طول الأمل والحث على تقصيره
١٠٣ لطول الأمل سببان الجهل وحب الدنيا
١٠٥ أصل الأمانى كلها حُب الدنيا
١٠٦ الجهل الذي هو سبب لطول الأمل له علاج بإذن الله
١٠٧ وكذلك السبب الثاني طول الأمل وهو حب الدنيا له علاج هو الإيمان بالله وباليوم الآخر ... الخ
١١٠ الناس متفاوتون في طول الأمل تفاوتاً كثيراً وتقصير الأمل دليل على كمال العقل
١٢٠ الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة ، أمثلة الدنيا ، تحقير الدنيا
١٢٢ نبذة من زهد النبي ﷺ
١٢٦ علي بن الحسين يُحاسبُ نفسه
١٣٣ لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد بالدنيا
١٣٧ موعظة في بيان أن الناس في هذه الدنيا إنقسموا قسمين لكل قسم غاية
١٤١ قصيدة وعظية زهدية مرثية للسلف رضي الله عنهم
١٤٢ كلام ابن القيم في التحذير من إبليس وجنوده
١٥٤ وله رحمه الله من النونية في ذم الدنيا ويليها موعظة
١٥٧ موعظة
١٦٠ فوائد ومواعظ ونصائح
١٦٤ فسوائد ومواعظ
١٦٨ فصل في ذكر الله
١٧٢ فوائد ومواعظ وحكم ونصائح وآداب

تابع فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
١٧٦	فصل في الاستغفار
١٧٨	بعض علامات حسن الخلق
١٧٩	جاء ثلاثة نفر إلى الحسين بن علي
١٨٢	ليس في العالم من يستحسنهم
١٨٧	صلاح القلب بتقوى الله
١٩١	كتب أبو حامد الغزالي إلى أبي الفتح بن سلامة
١٩٧	فصل في ذكر الموت والاستعداد له
١٩٨	معنى الاستعداد للموت والحث على تذكره والاستعداد له
٢٠٤	لا بأس بالتداوي إذا وقع بالإنسان مرض
٢٠٥	أبيات في التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة
٢٠٦	الاكتثار من ذكر الموت مستحب لفوائده الكثيرة
٢٠٧	أبيات حول الموضوع
٢٠٨	الناس أقسام في تذكر الموت والتأثر بذكره
٢١١	معنى من أحب الله أحب الله لقاءه ... الخ
٢١٣	ذكر أمور تتعلق بحالة الاحتضار
٢١٣	أمور وأحوال تتعلق بحالة الاحتضار وفي القبر
٢٢٧	فوائد ومواعظ حول ذلك ويليهما موعظة
٢٢٨	مسائل حول المحتضرين وما يقولون وما يقال لهم
٢٤٠	فصل في مداواة مرض القلب
٢٤٢	مُحَاسِبَةُ النَّفْسِ وما يترتب على ذلك من
٢٥٥	مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وشروطها
٢٥٦	حث على اغتنام أوقات العمر
٢٥٨	ليس ذكر الموت النافع أن يقول الإنسان الموت فقط
٢٦٠	مما يُعِينُ على الاستعداد للموت ، وما حول ذلك
٢٦٩	موعظة على الحث في إغتنام الطاعات
٢٧٠	ما ينبغي لمن أيس من حياته

تابع فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
٢٧١ ما ينبغي إذا حضره الموت وبدأت تسحب الروح من الجسد
٢٧٥ في الجنائز عبر لمن اعتبر
٢٧٦ الناس حول تشييع الجنائز
٢٧٨ قصيدة زهدية وعظية بليغة تبعث الجسد والاجتهاد على التشمير إلى الآخرة والترهيد في الدنيا ويلبها موعظة
٢٨١ وتوجيه الميت عند النزاع إلى القبلة
٢٨٢ حكم غسل الميت والأولى بغسله وحكم مس عورته وما حول ذلك من التكفين ونحوه
٢٨٣ حكم ما إذا خرج بعد التكفين خارج من الميت أو إذا قتل وعليه ما يوجب الغسل أو سَقَطَ من دابته
٢٨٤ لا يغسل الكافر ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يتبع جنازته ويدفن إن لم يدفنه الكفار لئلا تؤذي رائحته المسلمين
٢٨٥ الكفن وما يتعلق به وصفه وضع الميت فيه والطيب والمسنون والواجب في الكفن للكبير والصغير والأنثى
٢٨٧ موعظة بليغة في الحث على الاستعداد للموت
٢٨٨ من نظم عبدالقوي فيما يتعلق بالجنائز
٢٩٢ الصلاة على الميت وشروطها وأركانها ... الخ
٢٩٣ الدعاء في الصلاة على الميت وكونها جماعة أفضل
٢٩٤ تكون الصفوف في ثلاثة وأزيد ومدة الصلاة عليه بعد دفنه
٢٩٥ الصلاة على الغائب الأولى بالصلاة على الميت وصفة الصفوف
٢٩٥ إذا كانوا رجالاً وصبياناً ونساء وموقف الامام من الجنازة وإذا وجد بعض ميت وما يفعله المسبوق في الصلاة على الميت
٢٩٦ إذا وجد بعض ميت بعد ما صلى عليه وانه لا يصلى على من في البلد في النية لأنه يمكن حضوره للصلاة عليه ولا يصلى على كل غائب ولا يصلى الإمام على الغال من الغنيمة ولا على قاتل نفسه
٢٩٧ صفة حمل الميت وحكم اتباع جنازته للرجال والراكب
٢٩٨ حكم اتباع النساء للجنائز وحكم القيام للجنازة
٢٩٩ حكم اتباع النساء للجنائز وحكم القيام للجنازة

تابع فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
٣٠٠	قصيدة زهدية وعظية بليغة جداً جرسها يهز القلوب
٣٠٦	الثناء على الميت بخير أو شر دليل على حال الإنسان
٣١٠	القبر والوضع فيه وما يتعلق بذلك
٣١٢	قصيدة تضرع إلى الله
٣١٣	حكم إسراج القبور والتحصيص والبناء وما إلى ذلك
٣١٥	زيارة القبور وما يقوله الزائر وزيارة النساء لها
٣١٨	التعزية وما يتعلق بها وما يقال فيها وما يجاب به المعزي
٣١٩	من صور التعزية التي وردت عن بعض السلف
٣٣١	النياحة على الميت والبكاء والتدب
٣٣٣	وفاة النبي ﷺ وما جرى بعدها وحالة الصحابة
٣٣٦	موعظة لعلاج قسوة القلوب وبعدها ذكر ما حصل
٣٣٩	لما قبض أبو بكر رضي الله عنه وما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٣٤٣	إستخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما
٣٤٦	موعظة بليغة تزهد في الدنيا
٣٤٨	شرح الصدر له أسباب بإذن الله ذكرها ابن القيم
٣٥٢	فائدة عظيمة النفع ومواعظ تليها
٣٦٤	فصل في الحياء ، تعريفه وابعثه والحث عليه والأدلة على ذلك
٣٧٣	موعظة بليغة في صفة الذي يستحي من الله ومن الناس
٣٧٥	قصيدة مملوءة حكماً ووعظاً وحثاً على مكارم الأخلاق
٣٨٤	بعض الحكم والأسرار المودعة في بعض نعم الله على عباده
٣٨٤	الحواس الخمس أولها حاسة اللمس ثم البصر ثم الشم ثم السمع ثم الذوق
٣٨٥	العقل والارادة والقدرة والشهوة والحركة
٣٨٦	الفوائد والحكم التي في اليدين والأصابع واللسان والخلق الخ
٣٨٧	المعدة والكبد وما فيها من المنافع
٣٨٨	الأطعمة تنقسم إلى أغذية وأدوية وفواكه وغيرها
٣٩٠	أسباب تقصير الخلق عن شكر نعم الله

تابع فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
٣٩١	التفكر في نعم الله وأنها كما ذكر الله جل وعلا وتقدس كثيرة ولا تحصى
٣٩٢	من نعم الله على عبده ستر مساوية عن الناس
٣٩٤	قصيدة تتضمن الثناء على رب العزة جلا وعلا
٣٩٥	الحث على تدبر القوى التي وهبها الله للإنسان ، الفكر والوهم والعقل والحفظ والحياء والمنطق وما أعطى علمه وما منع منه علمه
٣٩٦	مما يستعان به على معرفة قدر نعم الله على العبد
٤٠٢/٣٩٧	الحكمة على عدم تشابه الناس بخلاف الحيوان ويليهِ موعظة تتضمن ذكر بعض نعم الله وبعدها قصيدة في مدح اللطيف الخبير وذكر بعض أظافه
٤٠٥	المروءة تعريفها وأنها أنواع متعددة ودرجات متفاوتة
٤٠٦	بعض الطرق التي تدرك بها مكارم الأخلاق
٤٠٧	الحث على مكارم الأخلاق والنهي عن سفاسفها
٤١٠	شروط المروءة ويتفرع عنها أنواع كثيرة
٤١٤	فصل في بر الوالدين وما يجازيه به إن وفق
٤١٥	ذكر بعض فضل الوالدين على الولد وما يعانين بسببه من ألم
٤١٦	الحضانة ومن الأحق بها الأب أم الأم وبعد ذلك
٤١٧	قصيدة في الحث على بر الوالدين ثم قصيدة أخرى كذلك
٤١٩	الأدلة على بر الوالدين من الكتاب والسنة
٤٢٠	النظر إلى الوالدين والأدلة على برهما والتحذير من العقوق
٤٢٤	من آثار البر ، بر الأم مقدم على بر الأب
٤٢٥	الجنة تحت رجلي الأم ، من آثار البر
٤٣١	بر الوالدين حتى بعد موتها ، من آثار البر
٤٣٢	من حقوق الوالدين ويليهِ موعظة بليغة في البر
٤٣٣	قصيدة في بعض ما أسديا إلى الوالد من المعروف
٤٣٧	فصل في تحريم العقوق ، نماذج من العقوق
٤٤٠	قصيدة في مدح رب العزة والثناء عليه
٤٤٢	أحاديث في التحذير عن العقوق

تابع فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
٤٤٦	إحتقار الوالدين عند كثير من أهل هذا الزمان ولا سيما الشباب
٤٤٨	وبعد ذلك قصيدة حول ذلك
٤٥٠	فصل في صلة الرحم والحث عليها وبأي شيء تكون
٤٥٢	المراد بصلة الرحم ما هو وبأي شيء تحصل والأدلة تليها حث عليها
٤٥٥	التحذير من قطيعة الرحم
٤٥٦	صلة الرحم زيادة في العمر بإذن الله ومثراة في المال
٤٦٣	من فوائد صلة الرحم وبيان من يحسن مساعدته
٤٦٦	قصيدة زهدية في الحث على الاستعداد للموت
٤٦٧	موعظة بليغة في الحث على النصيحة وماذا يعملها الناصح والأمثلة
٤٧٠	في الاحسان إلى اليتيم والأرملة والمسكين
٤٧٠	تعريف اليتيم والأرملة والمسكين وكيف مساعدته والأحاديث الواردة على نفعهم ويليها موعظة
٤٧٣	موعظة في الشفقة على خلق الله والحث على رحمتهم وبالأخص اليتيم والأرملة
٤٧٦	وأحاديث وردة بذلك
٤٧٧	موعظة أيضاً في الشفة والرأفة بعباد الله
٤٧٨	من آثار الرحمة والأدلة على ذلك وبأي شيء تكون
٤٧٩	الرحمة وبيان أن الرسول ﷺ رحمة أرسله الله
٤٨٨	الجار وحقوقه والحث على احترامه وعلى أي شيء يطلق الجار
٤٩١	ما ينبغي للجار أن يعامل فيه جاره
٤٩٢	معاملة بعض الجيران الكرام لجارهم عند ثنائهم عليهم
٤٩٥	والتحذير من أذية الجار
٤٩٧	موعظة في التحذير من إستفراق الأوقات في طلب الدنيا
٤٩٩	الحيلة لتسكين أذية الجار إذا كان المؤذي محترم ولم يكن عاصياً
٥٠٠	ثلاثة من سعادة المرء وأربع من السعادة
٥٠٢	اللسان قد يقضي على الصلاة والصيام ، ويليه موعظة في الفرق بيننا وبين السلف الصالح في طلب المال وصيانة الوقت

تابع فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
٥٠٥	قصيدة في غربة الدين وإهمال الكثير من المسلمين لتعاليم دينهم
٥٠٨	إكرام الضيف والترغيب فيه وتوجيهات النبي ﷺ لأصحابه لذلك
٥١٠	وأبيات في الحث عليه والأدب مع الضيف
٥١١	آداب تتعلق بالضيف والمضيف
٥١٣	إصطناع المعروف وفعل البر والآداب لذلك
٥١٨	موعظة بليغة جداً تصلح خطبة للجمعة وتعلق بالصلاة
٥١٨	الأمانة موضوعها واسع جداً منها الصلاة والزكاة والصيام
٥٢٠	من أنواع الأمانة الحج والحواس والسمع والبصر واليد والرجل والعقل
٥٢١	موعظة بليغة صالحة خطبة وكل المواعظ تصلح خطب
٥٢٣	قصيدة مضمنة نصيحة في الحث على تقوى الله وطاعته ومكارم الأخلاق والتحذير من أضرارها ويلها الولاية وشروط
٥٢٥	من معاني الأمانة الحرص على أداء الواجب
٥٢٦	من معاني الأمانة ويلها أبيات زهدية
٥٢٩	من معاني الأمانة حفظ الأسرار والودائع ... الخ
٥٣١	من معاني الأمانة العلم ويلها التحذير من كتم العلم
٥٣٢	قصيدة في أن الناس ما منهم سلامة
٥٣٥	من معاني الأمانة في العلم ويلها قصيدة في ذكر بعض نعم الله والحث على شكرها ..
٥٤١	فصل في الحث على توثيق عرى المودة بين المسلمين والحث على الصلح
٥٤٤	بينهم وبعدها موعظة بليغة تتعلق بالصدقة
٥٤٧	قصيدة زهدية
٥٤٨	درجة الصلح بين المسلمين عالية وبيان المفاصد التي تكون عند عدم الصلح والأضرار التي تنشأ عن ذلك
٥٥١	العدل وما يعتبر للعدالة وذكر بعض فوائد العدل
٥٥٢	العدل أنواع كثيرة نذكر بعضها ونذكر نموذج من عدل عمر رضي الله عنه
٥٥٤	الحث على العدل وما ورد فيه والتحذير من الظلم والجور يجب على
٥٥٧	الحاكم تحري العدل والافتداء بالنبي ﷺ فيه
٥٥٩	آيات في الحث على العدل وأحاديث فيه أيضاً

تابع فهرس الجزء الثالث

رقم الصفحة	الموضوع
٥٦٠	التحذير من القضاء لمن لا يحسنه ولم تجتمع فيه شروطه
٥٦١	العدل بين الأولاد والمرأة مسئولة عنه والخادم ... الخ
٥٦٢	سيرة الخلفاء على من يريد العدل أن ينظر فيها
٥٦٣	من سيرة عمر رضي الله عنه كلامه حين بويع للخلافة
	من ورع عمر وزهده وعدله وملاحظته للرعية تفقده للفقراء والعجزة والأيتام وعسه
٥٦٤	بالليل ، من إثاره على نفسه وعدله رضي الله عنه
٥٦٩	من رأفته ولطفه وحرصه على العدل وتواضعه وتفقده لأحوال الرعية وخدمتهم
٥٨٦	ذكر طرف من تقشفه وورعه
٥٨٩	من عدله وانصافه وعدم مبالاته بالقوي وذكر مقتله رضي الله عنه
٥٩٢	قصيدة في الثناء على رب العزة والجلال
٥٩٥	أحاديث حول أوراد المساء والصبح
٥٩٩	قصيدة معارضة بديء الأمل
٦١٢	خاتمة ، وصية ، نصيحة
٦١٣	فصل يحتوي على الدعاء
٦١٧	فوائد عظيمة النفع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِيْتِعَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ الدُّنْيَا، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفّاً لِلَّهِ، أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبِيعِهِ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبِيعِهِ وَتَوَزَّيَعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ .

مَوَارِدُ الظَّمَانِ لِذُرُوسِ الزَّمَانِ

خُطْبٌ وَحِكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حَسَنَانِ

تأليف الفقير إلى عفوريته

عبد العزيز المحمَّد السَّلْمَانِ

المدرِّس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الثالث

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢٤ هـ

بمشيئة الله العزيز الحكيم
(والله أعلم بالصواب)

يسروع بحسب

موارد الثمن لدروس الزمان

تأليف وتحرير الأستاذ الدكتور محمد عبد الوهاب محمد عثمان وآداب والتفاني

في اللغة العربية

مكتبة دار الفكر العربي

الطبعة الأولى سنة ١٩٤٤م

سنة

الجزء الثالث

الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤م (٣٠)

طبع في دار الفكر العربي
بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عثمان
بمصر سنة ١٩٤٤م

١٩٤٤

مطبعة دار الفكر العربي